

روسيا

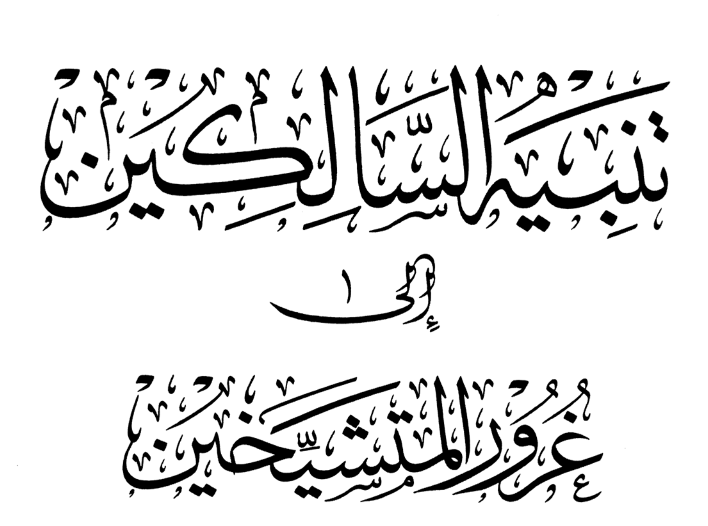
الجمهورية داغستان

محاچ قلعة شارع عزيز علي ٢

الإدارة الدينية لمسلمي داغستان

فاكس ٦٣٦٤٧٧

هاتف ٦٣٤١٨٥



تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين

العلامة الولي الكبير

حسن بن محمد حلمي القحي النقشبندي الشاذلي

المتوفى سنة: ١٣٥٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمَّد سيِّد الأوّلين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى ومصابيح الدنيا إلى يوم الدين .

أما بعد ؛ فلِكَوْن ذكر السادات سبباً لنزول الرحمة ، والمحبَّة بهم وسيلة للوصول إلى الدرجة العلية ، والارتقاء إلى المراتب الجليّة الإلهيّة ، ووسيلة إلى الرسول سيد البريّة ؛ أردت أن أبيّن آثار شيخنا وشيخ مشائخنا ، قطب الإرشاد ، ومنبع الفيض والإمداد ، المشتهر في الأقطار والبلاد بإرشاد الخلق إلى سبيل الرشاد ، قطب الأولياء الربّاني ، وإمام الطريقة الصَمداني ، صاحب التأليفات المستطابات ، ومبيّن أسرار الطريقة العلويّات ، وحيد زمانه وفريد أوانه ، مجدّد الطريقة النقشبندية العليّة ، والشاذلية السنية ، والقادرية الجليّة ، ومحقق أسرار الطرق الحقيقية المحمَّدية والشريعة الأحمدية ، وحافظ السنن المختارية ، المتورع في جميع أموره الدينية والدنيوية ، المتخلّق بالأخلاق الحميدة الحسنة المختارية ، ذي الطبع السَليم ، والمؤدّب الحليم ، حاوي المكارم والفضائل ، الحامي عن الغوائل والرذائل ، ذي الغيرة والمروءة والصبر على البلاء ، والرضاء على القدر والقضاء كثير الإخفاء فيما وهبه الله تعالى من الكشوفات الإلهية والفتوحات الرَبَّانية ، والمشمّر في طلب العلم عن ساعد الجدّ والاجتهاد ، ولازم الأخذ والتلقّي عن أبطال الرجال ذوي البصيرة والإمداد ، الفاني الباقي في الله ، العالم الفاضل البارع جامع الكمالات ؛ أبونا المعنوي :

حسن حلمي أفندي بن محمد بن حسين القحي الداغستاني

النقشبندي الشاذلي القادريّ قدس سره وأفاض علينا من فيوضاته . آمين .

مولده ولد في قرية « قحِب » من قرى ناحية « هِدْ » سنة ألف ومئتين وثمانين من هجرة خير البرية محمد المصطفى ﷺ .

نشأته وكان ابناً مسعوداً وطفلاً محموداً ، مباركاً ميموناً ، ذا أحوال حميدة ، وشمائل جميلة ، ذا عقل وغَيْرة كاملة وفطنة عجيبة ، يغبطه كلّ من رآه ، ويحبّه كلّ من لقيه ، وكان ذا أدب بلا تأديب ولا مؤدِّب ، وإنّ أباه المذكور الحاج محمدا ؛ مات وهو في المهد في بلدة جِدَّة وقت رجوعه من الحج ، ودُفن فيها قرب قبر أمّنا وأمّ بني آدم حوّاء رضي الله عنها ، وصار هو رحمه الله تعالى يتيماً في تربية الوالدة ، وأنها جزاها الله تعالى خيراً ربَّته بأكمل تربية ، وترعرع في نظرتها الحسنة العفيفة كما يربَّى أولاد أهل الثروة والمعيشة الواسعة ، وكانت له دليلة إلى كلّ خيرٍ ، ومانعة من كل ضرٍّ ، ومقدِّمة لكل فضل ، وحافظة من كل ذُلٍّ .

تلقيه العلوم فلما بلغ إلى سبع سنين ابتدأ لقراءة القرآن بنفسه بلا داعٍ ولا هاد إليها ، فبعد إتمام فرائضه وتصحيحه ابتدأ لطلب العلم ، واختار للتدريس العالمَ الورع المخلص والد صاحبته وخادمته القاضي « حسن بيك » ، وكان يقرأ الدرس معه صبيحة كل يوم ، ويذهب إلى الفضاء راعياً لأنعامهم ، ويأخذ الكتاب معه ، ويتعلّم الدرس إلى المساء ، ثم إذا رجع إلى البيت لا يخرج مع أقرانه إلى الملاعب ، ولا يضيّع أوقاته بالتعطيل مع الصبيان ، وكان يكتب الدرس الذي يقرأ له في الصباح ، وكان له خطٌّ جسيم حسن جداً ، وكتب كلّ ما قرأه من الكتب بخطه ، واجتهد لتحصيل العلوم حتى كان لا ينام إلا قليلا ، ويسهر الليالي كثيراً ، وكان لا ينام تحت اللحاف

واللفاف بل يضطجع في حالة يكون نصف جسده خالياً من الأغطية ، كي يسهل له القيام في السحر .

وأنه أيضاً طلب العلم من العلماء الأجلّة المخلصين الورعين ، فصار ماهراً حاذقاً في جميع العلوم والفنون بحيث يعترف له فحول العلماء والعقلاء لذكاء فهمه وعلمه وعقله ، وإن لقيه أمير أو كافر خضع له وخشع ، وما بقي فيه مسلك من مسالك الكمالات إلاّ حازه ، فإن سئل عن مسائل العلوم ؛ وإن كان غريباً ، كان يجيب بأحسن جواب ويقول بلسان حاله : هل من مزيد ؟ ! هذا منه مع صغره وقبل تمام نشأته ، ومع تجاهله عن كثير من العلوم .

ثم بعد ذلك في وقت كمال النشأة والبلوغ دخل إلى الوظيفة البهلوانية[1] ، بسبب سرٍّ من أسرار الله تعالى قذفه جل وعلا إلى قلب والدته زهيدة حين رأت بهلواناً حاذقاً بأن تريد أن يكون ابناً لها ، فأجاب الله تعالى لسرّ خاطرها ، ووهب لها ابناً فائقاً منه ، وكان هو حاذقاً ماهراً في تلك الصناعة ؛ ولم يكن في زمانه مثله في تلك الوظيفة .

وكان يقرأ قبيل الصعود إلى الحبل سلسلة المشائخ وأسماء الأولياء ، ويعظ الناس ويذكّر لهم أهوال القيامة ، ويمثّل الحبل المربوط بالصراط ، ويقول : أيها الإخوان لابد لنا من المرور على الصراط مثل هذا يوم القيامة ، صعوداً وهبوطاً بلا ريب .

وقال واحد إذا سمع مايقرؤه من أسماء المشائخ بأنه يكون من الأولياء المذكورين . وأنه قدس سره كان يبكي وقت الصعود إلى الحبل بكاءً شديداً خوفاً من الصراط . وكان هو أيضاً يبكي في الخلوات والجلوات في أكثر الأوقات ويُبكي الحاضرين معه في المجلس ، فإذا

---

(١) هي لعبة على الحبل .

تخلَّى عن الناس كان يبكي بكاءاً شديداً خوفاً من الله بتضييع الأوقات على هذه الوظيفة الخسيسة ، وأنه لم يفعل ذلك إلا لحكمة إلهية ، وكان ما يفعله من تلك الصناعة اللهوية صوريّاً لا حقيقيّاً ، وحصل له بسبب تلك الوظيفة ذُلٌّ وانكسارٌ ؛ وإن كانت حلالاً ، لما في « التحفة » بهذه العبارة : وإن كان في الوظيفة صورة محرّمة ، لكن ذات أنواع اللعب الخطرة الكائنة من الذين تغلب سلامتهم عنها حلال ، وكذا في الرملي ، وإذا مات يموت شهيداً ؛ كذا في « حواشي عبد الحميد الشرواني » رحمه الله ، وأن المعصية التي أورثت ذُلاً وانكساراً خيرٌ من طاعة أورثت عزّاً واستكباراً ، وبه قال أئمة الصوفية ، وأن الذنب للعبد قد يكون خيراً من الطاعة التي توقعه في العجب ، وبقاء العجب في الطاعة أكبر من كلِّ سيئة ، ومن كمال حال الفقير الذي أراد الله أن يؤهّله لتربية المريدين وإرشادهم وقوعه في بداية أمره ولو في نية مخالفة ، وذلك ليصير عنده حلم على العصاة ، وصبر على تقويم عِوَجهم ، وأنّ من سبقتْ له العناية لا تضرّه جناية ؛ كذا بيَّنه رحمه الله تعالى في تصنيفاته بعد أن صار هو على منصِب الإرشاد بفضل الله تعالى .

ملازمته الاستقامة ثم بعد ذلك نزل عن تلك الوظيفة ، ولازم على العلم والعبادة في حال شبابه ، وكان آثار الجذبات الإلهية وأنوار الهداية ظاهرةً في جبينه ، واشتغل أولاً بتحصيل العلوم الظاهرة عند أجلَّة علماء عصره المخلصين الورعين من أهل السنة والجماعة ، وفاق في ملازمته على جميع أقرانه ، وكان يحفظ جميع متون الكتب ، فإذا سئل شيئاً من أيّ علم يجيب ببيان الصحيفة والسَطْر ، وكان يعرب ويفسِّر مثل أعرب العرباء ، فمع كونه كذلك كان يُظهر فيه الجهالة وعدم العلم ، ويسأل العلماء الذين كانوا أدنى منه درجات في العلوم عن أسئلة العوام .

طريق سلوكه ثم بدى في أثناء ذلك داعية الدخول في سلك سادات الصوفية المسلسلة من سيّد الأمّة ، وانبعث من باطنه شوقُ صحبة الأولياء الكرام والمشائخ العظام؛ أهل الطريقة المحمدية ذوي الاحترام ، ففي يوم حين كان هو متعلِّماً في قرية فلانية ذهب لدى واحد من مريدي الشيخ المرشد الحاج عبد الرحمن العسلي لتعليم الدرس فوجده يذكرالله بالذكر الخفي القلبيّ ، ويجرّ السبحة على قاعدة النقشبنديين ، فوقع المكالمة بينهما في تلك المثابة؛ وقال له : إن شئت أدلّك إلى من يرشدك ويهديك إلى هذه المرتبة ، فاشتاق بفضله تعالى إلى لقائه وقصد الذهاب إلى حضرته ، ففي تلك الليلة استخار الله تعالى في حقّ ذهابه لديه؛ فرأى في المنام أن المسجد الذي كان هو فيه مملوء من القماش الأبيض ، وكذا رأى في هذه الليلة كأنّ ماء صافية تسيل من موضع الوضوء إلى المسجد ، فأوَّل الواقعة إلى صلاحية الدخول في تربية المرشد المذكور العسلي ، فبعد صبح ذلك اليوم خرج باكراً زائراً إلى جناب حضرة الخليفة من سادات الصوفية قطب الإرشاد ومنبع الإمداد الحاج عبد الرحمان العسلي ، ولقيه بالفرح والبِشْرِ ببسط الوجه ونَشْطَةِ الكلام . وقال الشيخ قدس سره : لم أفرح في عمري أزيَدَ من هذا اليوم؛ لاطّلاعه على أحواله الباطنة والظاهرة ، إن الله يعطي الحكمة لمن يشاء ، ما أحسن وأعجب فِراسة الشيخ؛ قد علم من أوّل رؤيته قدره وجلالته واستفادته منه ، وعلّم الرابطة الشريفة والاستغفار والصلاة على كيفية النقشبنديين ، وساعتئذٍ قد علم حياة قلبه ، فبعد أيَّامٍ قلائل ذهب ثانياً لدى حضرة الشيخ ، وتوجّه إليه ولقّنه الذكر القلبيّ ، وعَلِم حياة سائر اللطائف بحركة عجيبة وارتعاش أكيدة بذكر الله تعالى ، وكان المرشد العسوي أعلى الله درجته وأفاض علينا من فيوضاته يُربّيه أحسنَ تربية ويلاطفه ، ويحبّه أشدّ حبّاً من سائر

المريدين ، ويقدّمه ويشرّفه على خواصِّ أمنائه وأحبّائه ، وربّاه إلى أن يصل إلى مراقبة السرِّ التي يكون مشرب السالك فيها موسويّ المشرب .

وأجازه بالإجازة المطلقة في الطريقة النقشبندية الصديقية في مجمع العلماء والعارفين من مريديه ، وأظهر علوّ مقامه وكراماته في ذلك المجلس مع كونه على خجَل ووجَل خاشعاً من الله تعالى يكاد أن تذوب أعضائه من شدة الحياء من المرشد والمريدين ، وكان خائفاً كارهاً أمر الإرشاد والخِلافة ، لكونه رأى في نفسه عدم الأهلية لذلك المنصِب العظيم ، وكان يقول : فلولا أن أمر الشيخ من واجب الاقتداء لما أجبته لذلك ؛ ولا قبلته ، بيد أنه لم يصحَّ ردُّ ما ألزمه الشيخ ، فقبله بالحياء الشديد ، فأمضى من بعده زمناً مديداً نحو سبع سنين بإخفاء هذا الأمر عن الناس ، وتزهَّد في ذلك الزمن ولم يطلب من الدنيا إلا قدراً يسيراً بحيث يسدُّ الرمق ، ولم يلبس إلا منخرقاً ، ونهى النفس عن الهوى ، وانعزل عن الناس ولازم البيت ، وكان هو فقيراً ذا عيال ، وعلم الشيخ حقيقته ودعاه لديه فقال : إنّي جعلتُكَ خليفتي وخليفة الرسول ، وسلطان السلاطين وأمير الأمراء ، وأعطيتك الدنيا والآخرة ، فأمر بالإرشاد وأكَّد الأمر به ، فاستعفى قدس سره كرّات ومرّات وكان لايريده ؛ وقال : يا أستاذي ، لو رددتَ عنّي هذا الأمر العظيم لكنت في كهف خال عن الناس مع العيال بترك العقار والمنقول ! ! فأكّد الأمر ثانياً بحيث لا يكون له بدّ لردّه . فامتثل قدس سره أمره ، وقَبِلَ ذلك المنصِب العظيم ، وأمره الشيخ بخلع تلك الملابس المنخرقة ، وبلبس اللباس الحسنة الجديدة ، وبإرشاد الخلق إلى سبيل الحق ؛ وقال : أنت خليفتي ، فيدُك يدي وقبولك قبولي . فقال قدس سره : يا أستاذي لست أهلاً لهذا الأمر الرفيع . ثم أغلظ القول ؛ وقال : افعل ما تُؤمر . ثم قبل قوله سمعاً وطاعة ، فبعد ذلك ابتدأ لإرشاد الخلق ، وقعد على

سجادة الخِلافة : مستعيناً بالله العظيم ، ومستفيضاً من الرسول الكريم ، ومتوسِّلاً بالسادات الكرام ؛ أهل الطريقة ذوي الاحترام .

اشتهار أمره واشتهر أمره بين العباد ، وارتحل إليه كلُّ من أراد السلوك إلى سبيل الحقّ حتى من أقصى البلاد ، فبعد ذلك قد كثر المريدون الحاضرون ، وسعى إليه الطالبون من كلِّ جانب ، وجاؤوا من القرى البعيدة والبلاد الشاسعة حتى صار الحاضرون في كلِّ يوم جمّاً غفيراً ، واجتهد لهداية مَن حضر لديه من الطالبين السالكين في تربيته لله تعالى ، ولأجل رسوله ﷺ ؛ امتثالاً لقوله تعالى ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ ، ولقوله ﷺ « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها » كذا في « الإحياء » في صحيفة ٩ ، وقال عليه السلام : « الدالُّ على الخير كفاعله » . فبعد إقامته على هذا المنصب العظيم ذهب الشيخ الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره إلى الحج وفوَّض أمر الإرشاد إليه ، ومات هو رحمه الله في جِدَّةَ إياباً بعد إتمام الحج ، ودفن فيها عند قبر حواء رضي الله تعالى عنها وأفاض الله علينا من فيضه العميم ، وكان هذا السفر منه ثانياً إلى الحج .

لحوقه بالشيخ شعيب الباكني ثم بعد نقله من هذه الفانية إلى جوار رب البرية ذهب الشيخ حسن أفندي لدى الشيخ الشهير الحافظ الحاج شعيب أفندي الباكّني قدس سره ، وقَبِلَه بالتحيّة والإكرام ، وربّاه بأحسن تربية وأوصله إلى المشرب المحمديّ ، وأذن له بالإذن الصحيح ، وأجازه بالإجازة المطلقة كما أجازه أشياخُهُ ، وكتب له صكّ الإجازة في الطريقة النقشبندية العلية ، وانتقل الشيخ الباكني إلى جوار ربّ العزة قدس الله سره العزيز ، ونور الله ضريحه ، وأفاض علينا من فيوضاته .

لحوقه بالنژبكري ثم ذهب لدى حضرة القطب المستور مير سيف الله النقشبندي الشاذلي القادري الأويسيّ الحسينيّ النژبكري الغازي غموقي

قدس سره العزيز ، وقبله قبولاً حسناً وتفطّم منه بالرضاع المعنوي ، وصبَّ ذلك القطب الأعظم والشيخ الأكبر ما في صدره إلى صدر الشيخ حسن حلمي أفندي ؛ وقال : صَبَبْتُ ما في صدري إلى صدرك . وأجاز له في الطريقة الصديقية العلية ، والشاذلية السنية ، والقادرية الجليّة ، وفي جميع العلوم الظاهرة والباطنة ، والأحزاب المأثورة من أئمة الصوفية ، وفي « صحيح البخاري » و« مشكات المصابيح » ، وفي « الحزب الأعظم والورد الأفخم » ، وفي « **دلائل الخيرات** » و« الطريق العالية » ، و« البردة الشريفة » ، والأحزاب المنسوبة إلى العارف الشاذلي ، و« حزب الإمام النووي » و« حزب الدور الأعلى » للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي ، وسائر الفنون النقلية والعقلية ، وكتب الأحاديث الصحيحة المسلسلة ، وفي الطريقة العالية من طريق الحسن ؛ كما هو مذكور في الثبت ، وفي سائر العلوم والأحاديث ؛ حتى لكتابة التمائم والأسباب فيما لا يحصى عدُّه ، وأوصله إلى الدرجة العلية والمراقبات الأقربية ، وصار هو كائناً بائناً ، عرشياً فرشياً ، فانياً باقياً .

وفاة النژبكري ثم بعد ذلك انتقل الشيخ الأكبر والقطب الأعظم سيف الله قدس سره من هذه الفانية إلى الدار الأبدية الباقية ، ودفن في غزانش الأعلى ، نوّر الله مرقده وأفاض علينا من فيوضاته . آمين . وكان قدس سره يقول قبيل خروج روحه هَيْ اَمَانْ حَسَنْ ما رأيتك ! جمعنا الله معك في دار السلام .

ثم تفرَّد في ديار داغستان في المَشْيَخَة الصادقة الصديقية ، وتوحَّد في الطريقة الشاذلية السنية ، ولكن لم يُظهر الطريقة القادرية الجلية لعدم وصول صكّ الإجازة من الشيخ المذكور المرحوم المغفور له ؛ وإن كان مجازاً فيها بالإجازة الصحيحة المطلقة مشافهة ، وذلك لشدَّة

إنصافه وصفائه في الطريقة النبوية ، وإن الوثيقة وصكّ الإجازة ولبس الخرقة مما جرت به عادات سادات الصوفية المسلسلة من صاحب الشريعة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم .

وصار هو مجدداً للقرن الرابع عشر ، وشهد له بذلك أشياخه المذكورون قبلُ ، وازدحم المريدون السالكون في الطريقة النقشبندية الخالصة من كدورات جهلة الصوفية ، وفي الطريقة السنية الشاذلية العلية في زاوية داره وعَتَبَة بابه ، وأقرَّ له العلماء والعقلاء والصلحاء ، وانتشر صِيته في الأقطار والبلاد ، وتواترت آثاره وأخباره بين العباد ، وجاء لديه من أراد الوصول إلى حضرة الخالق من بلاد الشرق والغرب ، ومن أبعد الطريق ، بل من كلّ فجّ عميق .

بداية تصنيفه فبعد ترصّده على هذا المنصب العظيم قد طلع أنوار العلوم الباطنة اللدنية من صدره ، وأشرق شمس الهداية من جبينه ، وصنَّف كتباً عديدة مستطابة بالعرب والعجم ، وبها حصَّل للجهلاء علوماً ، وللعلماء فهوماً ، وشاعت العلوم الباطنة وآداب السلوك في جميع أقطار داغستان ؛ كما شاع ضوء الشمس في بَسْط الأرضين والسماوات والآفاق والبلدان ، وتوجه إليه من النواحي الحوالية الخواصُّ والعوام وفداً وفداً ، وأخذوا منه العهود فرداً فرداً ، وأرشد من حضر لديه بالنية الخالصة والاعتقاد الكامل صغيراً وكبيراً ، ذكراً وأنثى ، جاهلاً وعالماً ؛ فصاروا من الذاكرين الله والذاكرات كثيراً ؛ منهم عرشيين فرشيين ، واصلين مواصلين ، لا يشغلهم الخلق عن الحق ، والحق عن الخلق .

مريدوه وكان له من المريدين والمرادين مَن وصل إلى الولاية الصغرى والولاية الكبرى ، وإلى المشرب المحمدي ؛ إذا رأيتهم عجبتهم بالعبادة الخالصة السرية الصافية عن العجب والرياء ، وأقرَّ له كلّ معاند وملحد ، وكل عالم حاذق ، وسَعَوا إليه بعد أن كانوا معاندين ومنكرين ، فكم من

عالم ذكي وفاهم لبيب كانوا يرسلون الرسائل إليه بسبِّ طريقته وذم أخلاقه ؛ وإذا رأوه وجاؤوا لديه أقرّوا له ودخلوا في دائرة تربيته ! ! وأخذوا منه العهود ، ولازموا عليها ، ووصلوا إلى المراتب العلية ، وذلك من شدَّة تصرّفه وقوّة سرّه وسريرته .

من أخلاقه وكان يتكلم مع من جاء لديه بالمداراة ، ويحسن أخلاقه بحيث يوافق حاله ، وإنه كان لا يقبل إلا ما خفي وسُتِر ، ولا يأذن لإظهار الكشوفات والخوارق ، ويقول : الكشف حيض الرجال ومنصب الشيطان . وكان لا يُظهر ما ظهر له من الكشوفات الإلهية ؛ وإن كان هو أسبق الأولياء المكاشفين .

وكان وَرِعاً لم يُرَ منه ما يخالف الشريعة ؛ ولو أدنى شيء . وكان ذا أخلاق حميدة ومناقب سديدة ، وطبع سليم وحياء عظيم ، بارعاً حاذقاً في جميع العلوم ؛ نثراً ونظماً ، عرباً وعجماً . وكان بسيط الوجه نشيط النطق ، يحبّه كلٌّ من رآه ، وقوراً حليماً ، سخياً جواداً ، مطابقاً مسماه باسمه ، معرضاً عن حبّ الدنيا وحبّ الجاه .

وكان محسناً لرياضة نفسه من قلة الأكل والنوم والقول ، وكثرة الصلاة والصدقة والصوم ، ومتواضعاً صادقاً ، ذا وفاء ووَقار .

وكان رؤوفاً عطوفاً على الفقراء والمساكين والأيتام ، ذا مروءة وغَيْرة ، جميل الصوت مدوَّر الوجه ، أبيض اللون مائلاً إلى السواد ، طويل اللحية كثيف الشعر قد ابيضَّ ، نحيف الجسم معتدل القامة .

وكان تقياً نقياً ، فقيراً صابراً حُسَينياً ، وكان ذا عيال وأولاد ، لا يطلب من الدنيا إلا قدراً يسيراً حلالاً ، لا يقبل هدية إلا حقيراً مثل الكعك والرغيف .

وكان شديد المنة ؛ كثير العفة ، وكان يزجر الأولاد والأحباب

عن قبول الهدايا والإحسانات ، ويقول لهم : إني أريد أن أكون كالتيس ؛ ولا أريد أن أكون كالمعز . الإنسان عُبيد الإحسان .

وكانت عادته إذا أحسن إليه المحسن بقدر عَبَّاس واحد يكافئه بعشرة عبابيس بل أزيد منه ، وكان يقول للمريدين : هلاَّ تقسمون ما أهديتم إلينا للفقراء والمساكين ! ! وكان لا يترك عنده ولو قدراً يسيراً من الهدية ، بل يسلم ما جاء به واحدٌ لآخر .

وكان قدس سره ساتراً لأحواله بحيث لا يقدر أحد أن يطّلع على أحواله وأسراره ، وكان أكثر كلامه بالإشارة ، وكان يخبر بالمشافهة مع الإشارة الغريبة ما سيقع بعد سنين ، وقد وقع الكل كما أشار . ذَكَرَ ذلك كثير من الناس إذ رأوا ما قاله عياناً .

تصانيفه وناهيك دليلاً لكماله مُصَنّفاته الحسنات المباركات مثل :

١ « تنبيه السالكين » عرباً وعجماً منظوماً

٢ « تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف »

٣ « خلاصة الآداب » عجماً منظوماً

٤ « البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة »

٥ « السفر الأسنى في الرابطة الحسنى »

٦ « سراج السعادات في سير السادات »

٧ « الدرة البيضاء في رد البدع والأهواء »

٨ « جهد المقل »

٩ « فيض الرحمن في كلام عبد الرحمن »

١٠ « وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد »

فبسبب تلكم المصنفات النفيسات اشتهرت طريقته في البلاد ، وتواترت أخباره بالإرشاد ، ونوّر العالم بيُمْن توجُّهاته العلية وأحواله السنيّة ، وزالت ظلمات الجهل والبدع بظهور تأليفاته المستطابات بعدما غشيت الأقطار والبلاد بالأهواء والمخترعات في الطرق المنيرات المصطفويات ؛ بزخارف المعاندين المنكرين المبتدعين المتشيّخين المارقين ، وببركة علومه وآثار أنوار معارفه قلّت البدعات وانهدمت المبطلات .

من توفيق الله له وأنه رحمه الله تعالى شيّد مصنّفاته بالمآخذ والنقول من الكتب المعتمدة المأثورة من أئمة الفقهاء والصوفية ، لكن لم يشر عليها بالمطالعة على الكتب ، بل بما فتح الله له من العلم اللدني ، وأنه صنَّف كتابه « البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة » مدة ثلاثة عشر يوماً بالتصنيف والتحرير ؛ مع تربية المريدين الواردين كل يوم أزيد من أربعين رجلاً ، وذلك بما فتح الله له وبتوفيقه .

هيبته وسَمته وكان ذا هيبة عظيمة ، كثير البركة في شَيمه ؛ لا يشبع أحد من كلامه وألفاظه ومعارفه القدسيّة ومن الجلوس معه ، كما لا يشبع أحد من مجلس رسول الله ﷺ من أقواله وأفعاله وسنته .

وكان قدس سرّه يحسن الظنّ ويليّن الكلام عند كل أحد ، ولم يصدر منه البتّة كلمة ؛ ولا كلام يسوء به ظنّ أحد ؛ في أيّ حال كان .

وكان يقول : إن أستاذي المرشد الحاج عبد الرحمن العسوي قال لي قبيل إعطاء الإجازة : يا ولدي ؛ لا تقل على أحد بما ينكسر به القلب ؛ وإن وجدت الزاني والزانية بالمواقعة ؛ إلا بالسؤال من الله تعالى بمنعهما من الفاحشة المحرّمة . وأنه رأى امرأة في أيكته تأخذ

وتسرق الخشبة اليابسة ؛ فضرب الفأس على الشجر مرّاتٍ ، وتنحنح ليُسمع المرأة ثم تركها تأخذ الحطب ، ولم يذهب لديها ؛ ولم يتكلّم لئلا تستحيي منه .

وكذا من طبيعته أن يقول ـ للّذي يعيب الناسُ عليه بارتكابه على الذنوب والمنكرات ـ : أحبّك حباً شديداً ، لأجل كوني سمعت الناس يقولون بكونك تمنع وتحفظ من المحرمات كذا وكذا ، وإنّي أردت كون الناس يقولون مثل ذلك في حقّك . ويقول على مريده الصادق عند الذي يعيب عليه الناس : لما لا تفعل كذا وكذا تنبيهاً له وإيقاظاً من الغفلة .

وأخرى : أنَّ جاره سرَق دجاجته وعلم سرقتَه جارُهُ الآخرُ ؛ فقال لابنه : إنه سرق دجاجتكم ، فأخبر الابن لأبيه ، فهدَّد له وخوَّفه ، وقال : لا تعلِّم على السارق علمنا ما فعله ، إيّاك وإيّاك أن تعلِّمه .

وأيضاً : أخبر لرجل سارق من قرية أخرى بأنه سُرِق ثوره كذا في زمن كذا ، وبيّن صفته ! ! فقال ذلك الرجل : إنّ ذلك الثور سرقناه فنغرم لك ، فاصبر إلى أن أرجع إلى القرية ، فقال قدس سره : إنّ الثور الذي سرقتم لعلّه لم يكن ثوري ! ! وقال السارق : إني أعلم يقيناً كونه لكم .

وأخرى : كان الناس يعيبون عليه بإقامة الصلاة خلف الجاهل والفاسق ! ؟ وقال : إني أقيم الصلاة خلفه لئلا يسوءَ ظنه وإن وقع لي التردُّد والإشكال ، فإن شككتُ صحتها وظننت بطلانها ، فهل لا يجوز أداؤها بعد الفراغ من صلاته بحيث لا يعلمه ! ! .

وأخرى : قال له واحدٌ : فإنّ مريديك يفعلون كذا وكذا من المحرمات والمحظورات ، فلِمَ لا تقول لهم بتركها ؟ ! فقال : أنا الداعي

إلى الله تعالى ؛ فإن قلتُ أمثال ذلك يفرُّون منّي ، فحينئذ أكون من الذين يمنعون الناس من الله عز وجل ، وذاك مما لا يجوز ! ! فإني قلتُ على واحدٍ منهم شيئاً يسيراً فلم يرجع إلينا بعده ، فلا يمكن لي إلا السؤال من الله تعالى ، ولم أقل على أحد إلى الآن : لِمَ فعلت كذا وكذا ! !

وكان يقول : لا بُدَّ للمرشد أن يكون له رجل للمدح ، ورجل للذمّ .

وكان يمدح من يعمل عملاً صالحاً للمسيء ، ويذمّ من يفعل عملاً سيّئاً للمحسن تنبيهاً لهما . وإنه كان يقول على أولاده : مَن لطم وضرب على وجوهكم قولوا له : اِضرب ثانياً ؛ إن كنت غاضباً ، ولا تضربوه ، فإن ضربتم لستم أولادي .

ملبسه وكان أكثر لباسه في أكثر الأوقات من منسوجات الصوف أي « صُغُرْ » عجم ، ولم يفعل قطّ شيئاً ما للزينة ، وكان لا ينهَر السائل ؛ وإن سأل منه ما يحتاج إليه بالضرورة في الحال . وكان يُتمُّ أمور المساكين والأيتام ويتفقَّد ويتفحَّص عن حوائجهم بالاستقراء . وكان الناس يقولون بعضهم لبعض : إن كان عندكم شيء لا يشتريه الناس فأعطوه محاباة للأستاذ فإنه يعطى قيمته الزائدة .

وإنه إن كان على قصد شراء شيء ما من السوق أو غيره كان لا يتفحّص عن قيمته من المالك ، بل ممن حوله ، ويسلّم ما قاله خوفاً من إعطاء صاحبه بقيمة رخيصة بالحياء منه ، وإنه كان يقول على أولاده : لا تعيبوا على أحد لفعله شيئاً منكراً ، واحملوه محملاً حسناً ، لعلّ له وجهاً ولو ضعيفاً ! !

وإنه قدس سره كان يبكي بكاء شديداً إذا حلّت البلاء ؛ ويقول :

تلك بسبب معصيتي .

وكان يقول : لا تحقّروا أحداً ممن لقيكم ، وعليكم أن تظنوا أنه من أولياء الله تعالى ، أو هو الخضر عليه السلام ، وبه يحصل لكم منه البركة كما يحصل من الخضر عليه السلام .

وكان لا يحب القيام له إذا حضر إلى مجلس ما ؛ مسجداً أو غيره ، ويقول : إنّي أحبّ أن يلطم أحدُكم وجهي من قيامه ، فاضربوني بلا قيام ، كذا كان ينصح للناس في غالب الأوقات .

وإنه كان يستفيض من مريديه ويوصي بالدعاء على من لقيه ؛ ولو فاسقاً .

وإنه كان يُخفي كشفه ولا يعمل به ، ويقول : إن الكشف لا يكون صادقاً ولو واحداً في المئة ، وينكر على من يقول بأنه يعلم بالكشف كذا وكذا .

وإنه كان يقول : إذا كنا في مجلسه وصحبته : ألا إني أعلم أحوالكم حين كنتم في مجلسي هذا ، بل أعلم أحوالكم وإن كنتم في المغرب وأنا في المشرق ، فإذا لاحظتموني يطرأ عليّ أحوالكم وقتئذ ، وكان يطلع على أحوال الناس سريعاً ، ويجيب لما أشكله المريد بلا سؤال .

معاشرته وكان يعاشر الخلق بالمعروف ، ويداريهم ؛ ولو مع الكفار والفساق بالحسن والكفوف ، وكان بابه كباب السلطان الأعظم والخليفة الأفخم في ازدحام الناس إلى زاويته ، وكان يتكلّم مع الناس بقدر عقولهم ، وموافقاً على ظواهرهم وبطواطنهم ، ويؤانسهم وفق فهومهم .

وكان في الحلم والعفة والنجابة والنقابة بحيث يضرب به المَثَلُ

بين الناس ، وكان ذا كرامات عجيبةٍ وخوارق عديدة ، وإذا خَطَرَ لنا في مجلسه خَطْرة مّا ينبّهنا بالإشارة ويخبر بما في قلوبنا بالمثال الغريب بحيث لا يفهم إلا أهل الذكاء والفطانة . وكان لا يمرّ بين من لقيه في الطريق ولو صبيّاً ، وكان يسبق بالسلام والكلام .

وكان حليماً عاقلاً كاملاً بحيث يرجع إليه ذوو القول في مشاوراتهم وتدبيراتهم ؛ حتى الولاة والكفار خذلهم الله تعالى .

حاله مع شيخه

ومن أعظم كراماته كونُه خليفةً ومأذوناً من السادات المذكورين قبلُ ، وإن القطب المستور السيد الأمير سيف الله النژبكري قدس سره قد أثنى له بالعبادات التي تدهش العقول بسماعها ، وتتحير الأفكار بتفكّرها ، وتنشق القلوب بقراءتها ، وأنه قدس سره كتب إليه مكاتيب عديدة بحيث لا تحصى بالنظم والنثر ؛ ثناءً عليه ، وقال :

يا حبيب القلب بالي في الخطوب	في أمور ليس لي غير الصعوب
يا أنيس الروح مالـــي مؤنـــسٌ	غيرك المرجوّ في خطب الكروب
طيفُكَ الميمون في قلبي سرى	سيرك المحمودُ علام الغيوب
أنت نعم الخلّ يا نجم الهدى	أنت سرّي أنت مفتاح القلوب
كيف لا أنـــت ســـرور الفقراء	يا وصيّ القطب مفتاح الشعوب
عجبا كـــيف أتـــى تاريخكم	جاء فيّاضاً لإحياء القلوب . . .[1]

وكتب قدس سره في مواضع عديدة من « مكتوباته » : أنت وسيلتي إلى الله ، وأنا بكم وأنا دونكم ، ولا تنساني في دعواتكم .

وألبسه الخرقة البيضاء في مجمع من العلماء والخواص التي ألبسه شيخه قطب الوقت زين الله الشريفيّ المعموريّ بيده المباركة ،

(١) الأبيات بتمامها في آخر « مكتوبات خالد سيف الله » قدس سره .

ودعى له بـ« اللهم ألبسه لباس العزّ والتقوى » فحصل له مع الذين كانوا في المجلس بعد لبسها حيرة ودهشة ، وبكى الحاضرون والناظرون عند رؤيتها ، وقال مراتٍ وكراتٍ : أنت خليفتي ، وخليفة الرسول ﷺ ، ويدك يدي وقبولك قبولي ، أنت وارثي ووارث الرسول في حياتي وبعد مماتي ، وكان له الإجازة لـ« دلائل الخيرات » من العالم العارف الشيخ محمد عبده المكي مع سنده الصحيح إلى المؤلف محمد من سليمان الجزولي رحمه الله تعالى ونفعنا به . آمين .

وكان له أيضاً من الشيخ العسلي إذن كذلك .

وإنه رحمه الله تعالى كان يترحَّم على الضعفاء ، ويتم أمور الفقراء ، إذا حضر لديه مريده كان يترك حرفته ويشتغل بمراده ويقوم على خدمته ويشيّعه عند خروجه من عنده ، ويخدم المريدين بنفسه ، وهذا الخلق يشعر كونه يرى نفسه أقلّ وأذلّ من مريده ومن جميع الخلق .

من كراماته ومن كراماته : إقرار العلماء الأعلام . وكان علماء عصره راجعين على عتبة بابه ، داخلين في دائرة تربيته ، طالبين منه الإجازة للتدريس في العلوم الظاهرة كما هو مذكور في مصنّفاته ببيان أسمائهم ، وكان لا يخالف الشريعة الأحمدية .

من ورعه وقال للواحد الذي هو أمينُ سره : إنّي لم أعمل عملاً يخالف الشرع ولو قدر شعرة . ويكفي شاهداً لذلك ما رأى رفقاؤه الذين كانوا معه في السفر حين نزلوا في رِيفٍ من أرياف ناحية « كُيَدَ » لضرورة ملجئة مهلكة بمصادفة ريح عاصف في زمن الشتاء شديد البرْد ؛ بحيث كانوا خائفين واجلين من هلاك أنفسهم ؛ خاصّة على نفسه رحمه الله تعالى بشدة ذلك الريح العاصف البارد الممزوج بالثلج ، بحيث لا يرى

أحد رفيقه ، والحال أنه قد اشتد البرد على أجسادهم وأفراسهم بحيث لا يعلم لون الفرس سواداً أو بياضاً ، ثم دخلوا في بيت هناك ، وكانت أياديهم لا يقدرون إيقاد النار لتسخين أنفسهم وأياديهم ، ثم أوقدوها على قطعات السرجين التي وجدت فيها ، واستووا حول النار إلا الشيخ فإنه لم ينظر إلى النار ولم يقرب إليها ، وكان في زاوية البيت بعيداً منها ، ثم احتاج هو إلى الماء للطهارة ، فأذاب الثلج لإخراج الماء بإيقاد النار على الخرقة الملطّخة بالشمع التي كانت معه أي « صُل حُرت » ولم يُذِبْ الثلج بتلك النار الكبيرة الموقدة بِقَطَعَاتِ سرجين صاحب الريف ، ولم يقرب إليها مع كونه من أضعف الرفقاء وأكبرهم سناً ؛ وبلغ عمره إلى سبعين سنة بل أزيد منه ، ومع كون جسده مريضاً بالأمراض الثقال كالخافقان الذي هو أصعب الأمراض ، وكان عليه مرض في المثانة ، وبه كان يقوم للحاجة[1] ليلاً بحيث لا يعلم عدد الخروج ، وكان لا يلبس إلا لباس الشتاء المصنوعة من أجلاد الأغنام غالباً ، ولو في الأوقات الحارّة الصيفية ، ولذلك كان يقول : « لا يجد من جسده إذا تفحّص موضعاً فيه السخونة إلاّ الإبط » .

ثم إذا قصدوا الخروج من ذلك البيت قد كتب الكتاب هكذا أو ما معناه بالعجم : وأنا الفقير حسن القحي وابنُه محمد عارف والرفقاء : قاضيهم وفرصداتيل قريتهم قد أوينا إلى هذا البيت للضرورة الشديدة ؛ حين كنا راجعين من غُونِب ، فنسأل العفو والاستحلال من صاحب البيت عن الدخول فيها بلا استئذان ، وعمّا أتلفناه لإيقاد النار ، وأوصيكم بالدعاء . هذه الخصلة العجيبة والورع الخالص قلّما يوجد في نوع بني آدم ؛ حتى في الأشياخ والأولياء الكرام إلاّ فيمن منّ الله تعالى عليه بفضله وكرمه ، وكان القاضي المذكور يخبر ذلك

---

(١) أي لحاجة البول .

في المحافل والمجامع : وقد وقعت هذه الواقعة سبباً للانتباه من سنة الغفلة .

وكان رحمه الله تعالى يعيد الوضوء في أيّ حالة كان ، دائمَ الوضوء في كل الأوقات .

وكان ـ قدس سره ـ يطّلع على خاطر من حضر لديه ، فإنّ واحداً قد توضأ عند حضرته في وقت حارٍّ وصبّ الماء البارد على العضو بنية التبريد ؛ فقال قدس سره : إن ما صببت لا يكون سنة إلا ما نوى فأتمم السنة بصبّ الماء رابعة لتحصل لك سنة التثليث ؛ مطلعاً على خاطره ، فالمريدون كانوا يقولون بأنه لا يجوز بحضرته أن تخطر خطرة ؛ ولو قليلاً .

وقال واحد من مريديه : إني كنت في قرية بعيدة قدْر مسيرة ست ساعات للماشي ، فوقت الضحوة كنت أذكر الله على لطيفة السرّ ، فطرأ عليّ حضور تام وحرارة مثل النار بحيث لا أطيق الصبر ، فصرت حيراناً لا أعلم ما أفعل ، فخطر في قلبي أن أنادي إلى المرشد وأتضرّع برفع هذه الحرارة مني ، وناديت بسرّي : يا أستاذي ويا مرشدي ؛ أسأل من حضرتكم العلية رفع هذه الحرارة مني ، فساعتئذ ذهبت الحرارة كما صُبَّ عليها الماءُ البارد ، ورجعت إلى الذكر حامداً لله تعالى .

فبعد أيام لقيته وصافحته ؛ وقال : هل ذهبت الحرارة منك ؟ ! فقلت : لا ؛ لعدم فهم كلامه ، ثم إذا وصلت لدى زوجته قالت : إني كنت معه آكلين ، فإذا به ترك الطعام والكلام وأوَّه بـ « آه » فقلت له : ماذا طرأ عليك ؟ فقال عجبت كيف يحتمل هذه الحرارة ، فإني كدت أن أحرق . وقلت له بعد ذلك : كيف تعلم حال من هو بعيد عنك ؟ قال : أعلم حال من كان في المشرق وأنا في المغرب . فدهشت بموافقة

هذا الزمان على الزمن الذي ناديت ، فسألني : هل تطرأ عليك الحرارة ؟ قلت : تطرأ إن أكثرت الذكر ، ولا أقدر على الذكر الكثير بالحرارة . فقال : اذكر الله تقسيماً إلى الأوقات صباحاً وظهراً ومساءً والخ ؛ فلا تطرأ الحرارة . هذا من ذكاء فراسته قدس سره .

من أسلوب تنبيهه وقال واحد : إنه كان يصلي صلاة العصر مع الجماعة في المسجد فأتمَّ الركعتين الأوليين بلا حضور مسترسلاً قلبه في أودية الخطرات والأفكار الرديئات ، وحين قعد للتشهد الأول سمع صوت تفخيم طاء الطيّبات من الصفّ الثاني ، وعلم كونه من الشيخ ، ثم صعب عليه إقامة الصلاة كذلك بلا خشوع ولا حضور ، وعلم اطلاع الشيخ على حاله ، فتفطَّن وصلى الركعتين الأخيرتين بالحضور التام ؛ كما أن الله ناظر عليه ، وملك الموت مترصدٌ له لقبض الروح ، وكأنه يمرّ على الصراط الممدود فوق جهنم ، وكأنّ الجنة يمينه والجحيم شماله ، ثم بعد زمان سمع الشيخ يقول ويعظ للناس في المسجد : إنَّ واحداً منا صلى ركعتين هكذا هكذا ، فلما سمع تنحنحي من ورائه أتم الركعتين الباقيتين بالحضور التام ؛ قال ذلك إظهاراً بلزوم الحضور في الصلاة وفي غيرها ، وبعدم الفائدة في العبادة بلا حضور ؛ وتنبيهاً إلى أن العبادة بلا حضور كالجسد بلا روح ، فهل تكون الفائدة من الجسد بلا روح ، هكذا كان رحمه الله تعالى ينبّه المريدين إلى عيوبهم بالإشارة .

وقال له أخصُّ أصحابه : هلا كنتَ أيها الأستاذ تقول بالصراحة بدل الإشارة ، فإنا لا نفهم الإشارة غالباً ! ! فأجاب له ؛ ليس الأمر علينا إلا بها .

مكاشفته الخطرات وكان رحمه الله تعالى عجيباً في الاطلاع على الخطرات ؛ فمن ذلك ما قاله لواحد كان يأكل معه في البيت : لا تفعل

شيئاً ما لأجل فلان . فظن في خاطره أنه يفعل لأجله قدس سره ؛ فقال وقتئذ : ولا لأجلي ، بل لله . فذلك علامة إخلاص قلبه من الأغراض لكونه لا يقبل إلا الخالص من الأعمال .

وقال واحد : إني كنت جالساً معه في مكان فمرّ بنا بالسلام واحد مع الكبش الضخْم ، فقال : إنه كشف ذلك الكبش في صورة حيّة عظيمة ، وقال : إنه في الحقيقة حيّة ربّاها ليأكل لحمنا وكان مراده بذلك كثرة الدود والحيّات في القبر بكثرة اللحم على الأبدان . هذه إشارة غريبة منه . انتهى .

علمه بالمهد وقال مرة في مجلس الختم بعد النصيحة للمريدين : إنه كان في حالة صباه يعرف أشياء رآها ويدركها بعلم علَّمني الله تعالى ، ففي يوم من الأيام كانت امرأة عجوزة تربّيني وتحرّك مهدي حين كنت في المهد طفلاً صغيراً مفطّماً ، وكان المهد الذي كنت عليه على السطح عند البرْج ، فبكيتُ ، فخوّفتني حينئذ بضرب يديها على جَنْبَيْ المهد بالكلمات المعتادة بتخويف الصبيان بـ « عَمْ عَمْ » ثم خرجت من عندي وتباعدت قليلاً من المهد ، فنظرت يميناً وشمالاً فبالت وأهالت عليه التراب وكنت أعلم كون ما فعلته عارا .

وكان يقول : يكون من الأولياء من يعلم ما رآه في عالم الأرواح ! وفهم من كلامه كونه كذلك ، هذا إشارة إلى ما علَّمه الله كما علَّم الله عيسى عليه السلام حين كان في مهده أن يقول : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ .

وقال واحد من المريدين : إنه كان يأكل معه ، فتناثر شيء من الطعام الذي بيده إلى أرض فيها نداوة بسبب ما تقطّر من ملعقته ، فثقل عليه وقوعه ، وكان في التردد في الأخذ وأكله لتنجسه بالنداوة ، فاطلع

قدس سره على خاطره ؛ وقال جواباً للخاطر : أليس في الكتاب « إلا إن تنجّس » ؟ ! أي : لا يأكل إن تنجّس ، وإلا يُؤكل . هذا إشارة على اطلاعه بما في الأفئدة . انتهى .

وقال واحد أيضاً من المريدين : إني كنت عنده ثم قصدت الخروج ، فقال لي : هلاّ تحرُث بُرّاً خريفيّاً في الحال ؟ ! ثم خطر في قلبي : ألا تضرُّ الجرادات للبُرّ إن حُرث الآن ! ! فأجاب وقتئذ : هل رأيت ولو واحداً منها ؟ فحرَثت ؛ وكانت العاقبة خيراً . وأيضاً قال لواحد من أحبائه في زمن الشتاء : إني رأيت في المنام أنه نبت في المزارع التي في رِيفك باقلاء طويلاً متمايلاً إلى الأرض ؛ أي كَبِّكَّرَبْ فاتبع إشارته ، وحرَثَ الباقلاء في الربيع زمن الحراثة ؛ فنبت بِقدرة الله تعالى بأحسن ما يكون في تلك السنة في الطول والنماء وكثرة أكمام الحبوب ، وكان كما قاله متمايلاً بعضها إلى بعض ، وحصل ببذر أربعة آصع أربعون كيلا ، فما أحسنها وما أعجب اطلاع الشيخ على ما سيقع ! ! انتهى .

وقال واحد : إني كنت أطرح شيئاً من الصدقة سرّاً في نقب جدار بيته فيعلم ذلك ويشكر لي ، ويشتكي بالحياء مني . وأيضاً قال آخر : إنه ألقى مرة ثلاثة أشياء من الفجل سرّاً ، فشكر لي بذلك بلا كلام ولا خبر قبل ذلك ، فعجبت من علمه ذلك ، وإني لم أكن من المعتادين بتسليم أمثاله له ! ؟ .

وقال واحد أيضاً : إنه كان مع واحد في بيته قدس سره على قصد الذهاب إلى قرية فلانية ، وكانت تلك القرية على موضع مرتفع ، فحين قصدنا الخروج من عنده أخبرَنا رحمه الله : ففي الحال قد ناداني هاتف بهذه الكلمات : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ . انتهى .

وقال واحد من المريدين : إنه كان في بيته مع أضيافه ، فخرج هو من بيننا بأخذ الوَضُوء إلى الخلاء ، ثم ستر واحد منهم جلداً من النطاع المدبوغ في مكان لا يرى ، راجياً على قبوله إذا وجده ، فجاء من الخلاء وسلّم ولم يتكلم وأخرج النطاع من الموضع الذي ستره وقال مشيراً إلى صاحب النطاع : أيها الولد لِمَ توقعني في حياء عظيم بمثل هذا ، وأن تلطِم وجهي أحبّ إليّ من أن تحمّلني مثل هذه المنة العظيمة . وكان الشيخ لا يقبل ذلك ، والضيف يلحّ عليه بتقبّله ، فخرجت خائفاً من سطوته ، ولا أدري ما وقع بعده ؛ أقَبِلَ ذلك أم لا ؟ !

وكان رحمه الله يقول كثيراً : إني لا أنسى إحسان المحسن ، وأنسى إساءة المسيء ، وإن الإحسان يستعبد الإنسان . انتهى .

وقال واحد من الثقات : إنه ذهب يوماً من الأيام لعمل الحِراثة للشيخ في زمن الربيع مع آلاته المحتاجة لها المملوكة له من الأثورة والفَدان وغير ذلك ، وكان الثور الواحد لا يأكل ولا يشرب إلا قليلاً ؛ وكان يضعف يوماً فيوماً ويَهزِل ، وكان متحيّراً في حقه لا يدري ما به ، وكان ذلك الثور يتغوط في أثناء الروث دماً ، فلذا قال : كنت على تردد في الذهاب لحرفة الشيخ ؛ خوفاً على عدم قدرة الثور للحراثة ، وتوكلت على الله وذهبت إلى مزرعته بلا إعلام له ، وكنت أحرُثها فبعد زمان حضر هو رحمه الله وصافحني ولاطفني وأقعدني ، وأظهر لي الاستحياء الأكيد والمنة العظيمة ، ووقع المكالمة بيننا واسترحنا مع الأثورة برهة قليلة ، وكنت أريد الخروج للحِراثة ولا يقبله ، وأنه تكلم مشيراً إلى الأثورة أنّ واحداً منهما سمين قوي والآخر مهزول ضعيف ؛ وقلت له : إنه لا يأكل إلا قليلا ، ولا أعلم ما به من المرض الظاهر ! ثم قام ومسح يده المباركة على ظهره ودعى له سرّا بما شاء الله ، ثم أذن لي للعمل وقمت وحرثتُ ، وسار الثور مع قرينه في ذلك اليوم بلا

فرق من الآخر ، وزال ما به من الثقل وعدم حرث المعقود بالسوية ، ثم بعد تمام حراثة ذلك اليوم خليتهما من القِلادة ، فذهب الثور المهزول راقصاً وصائحاً بصياح الأثورة المستريحة ، فحمدت الله تعالى وشكرت للشيخ ثانياً ، وعلمت بركته ، فبعد ذلك اليوم لم يمرض الثور وقوي يوما فيوما ، وصار مثل الآخر سميناً . انتهى .

وأخرى : إن واحداً من أولاده أخذ فضة قدر ثلاثة قروش من فضة الفادشاه النيكّالوية سرّاً وخفية ، وكان يذهب إلى قرية أخرى متعلماً ، وارتحل فرِحاً مسروراً محدّثاً بحديث النفس بشراء الأقمشة للقميص والإزار والقلنسوة الجديدة وغيرها من الحوائج الضرورية ، فوصل طرف النهر الكبير وجلس للوضوء لصلاة الظهر ، فبعد تمام الوضوء أخرج الفضة للرؤية مع الخريطة التي وُضِعَت الفضة فيها ، فإذا سقطت الخريطة في الماء الكدر بلا اختيار منه فسارع لطلبها وأخذها واجتهد فلم يجدها . . وإنه طلب مدة ساعة فتحيّر ، وعلم أن ذلك من تصرف الوالد ، فندم ندماً أكيداً بحيث لا يطيق الصبر ، وبكى بكاءاً شديداً مثل بكاء الكسعى والثَكْلَى ، ثم بعد ذلك عزم إلى التوبة واستغفر الله مما صدر منه من الأمر القبيح ، وترحل قانطاً عنها ، ثم تحدث في السرّ أن يطلبها ثانياً ؛ فرجع وأدخل اليد في الماء فوجدَ وقتئذ ، فيا شدة فرحه ! ! وسار إلى القرية المقصودة المتوجه إليها ، فبعد ذلك قصد أن يردها إلى أبيه بيد المتوجه نحوه للزيارة ؛ وقال : كنت أجففها فإذاً هبّت الريح وأخذت الأوراق من يدي فأسرعت لأخذها وأخذت قروشاً واحداً وسقط الآخران إلى سطح بيت جار المسجد فوثبت إليهما ؛ ولم يفارقا من ذلك المكان ، وسكنا إلى أن أفوز عليهما وإن اشتدّ هبوب الريح ؛ كأنما وضع عليهما الحجر ! ففي اليوم الثاني حضر لديّ رجل ؛ وقال : إن والدك غضبان عليك في حق الفضة ، فعليك إرسالها لديه

بيد المرتحل نحوه ، وقال : إن فلاناً يذهب إليه غداً . فسلّمت الأقراش إلى يد ذلك الرجل وألزمته إرسالها بيد المرتحل ، فحين كنت في حيرة أكيدة وحياء شديد لما وقع منّي من هذا الأمر الفضيح وصل إليّ كتابه بطلب حضوري لديه ، فذهبت لديه بالاستحياء ؛ وكانت جوارحي تكاد أن يتميّز بعضها عن بعض خوفاً من توبيخه ، فوصلت لديه فلم يوبّخ بشيء ، بل أظهر الفرَح وتكلم ببشاشة الوجه ، وسلّم لي قميصاً حسناً وإزاراً جديداً وقلنسوة بيضاء التي كنت أحبّها ، وقال : خذها ولا تفعل بعد الآن مثل ما فعلت ، وقال : إن تلك الفضة كانت من فضة أولاد فاطمتنا ، فطلبت منه العفو عما صدر منّي ، فعفى ، فيا حسرة ندامتي على ما فرّطت في جنبه ، وقال : كانت هذه الواقعة أوّل ما وقعت لي سبباً للتنبيه والإيقاظ من الغفلة . رزقنا الله التوفيق لما يحبّه ويرضاه . آمين .

وأخرى : قد أخبر بعض الثقات من أتباعه وأمنائه : أن زوجته مرضت في يوم بمرض البطن ؛ بحيث لا صبر ولا قرار لها ، وكانت تضطرب وتشتكي ، فصرت متحيّراً في دوائها ، وظننت أني أذهب لدى الشيخ بأخذ الماء في الكوب ليدعو عليه ، فذهبت لديه قدس سره فدعا على الماء سرّاً وأعطانيه ، وقال : أسق الماء لها ؛ لعل الله أن يشفيها ! ! فأسرعت عَدْواً إليها فإذا شرِبتْ شفتْ ساعتئذ بمَنّ الله تعالى وفضله .

وكذا أخبر واحد ؛ أنه كان مريضاً بمرض الرمد بحيث لا يصبر ولا ينام ، فبات الليلة يقظاناً ، فلما أصبح ذهب لديه قدس سره ، فدعا سراً ونفث في عينيه ، فلحظة ذهب الرمد وشفت عيناه ، وقال : كان ذلك الرمد في عينيّ منذ سنين عديدة ، فبعد ذلك لم تمرَض قط . فالحمد لله على ذلك .

وأخرى : قال واحد من مريديه : إني كنت مريضاً في الرِيف ،

وكان لي صديق طبيب يحضر لديّ كل يوم للعيادة مع الأدوية الكثيرة ، ولم أنتفع بها ولو بأدنى نفع ، ففي يوم حضر المرشد الحلمي رحمه الله تعالى للعيادة ودعا سراً ، ففي الليلة القابلة قد تعرَّق الجسد بحيث يتقطر تحت الفراش ، ونمت في الليلة بالراحة ؛ كأني لم أكن مريضاً ، فحمدت الله تعالى لكوني بحيث يقنَط من رآني بشدة مرضي وبُطء بُرئي ، وعلمت كون ذلك من تصرف المرشد بفضل الله تعالى . فللَّه الحمد .

وأخبر واحد من الثقات : أن الشيخ حميد أفندي قدس سره أخبرني : أن أستاذنا الحلمي رحمه الأبديُّ قال لي يوماً : أتاني واحدٌ من المريدين مربوطاً على لَحييه خرقةٌ بيضاء ، مريضاً أضراسه وأسنانه بحيث لا يقدرُ الأكل والكلام ، وتوجهت إليه ، فإذا جاء المرض على أضراسي وأسناني وشفا هو ساعتئذ ، وقال : يا أستاذي قد ذهب المرض مني بلا بقاء شيء ما ، ومرِضت بذلك برهة قليلة ، وأذهب الله عني ذلك المرَضَ بمنه وفضله ، وقال : يكون للمرشد الحقيقي قوّةٌ لأخذ المرض عن المريد ، وإنه يقدر أن يعزِله عنه حين حلّ فيه . انتهى . وقد وقع كثيراً في المريدين مثل هذه الوقائع . والحمد لله دائماً .

وأخرى : إن واحداً من الذين توطَّنوا طرف النهر الكبير أخبر وقال : إن رجالَ وشُبان قريته كانوا على قصد الذهاب لحمل الحطب من « أياكي » الجبلية من النهر ، وكان هو معهم على ذلك القصد ، وذهب لدى الشيخ ليشاور معه في حق ذلك ، وشاور معه وقال : كان أغنامنا خليطاً في السائمة مع واحد من قريتنا ، وأراد أن يرسل الأغنام إلى السهلية ، وكنت لا أرى المصلحة في ذلك ، فمثّلت له ورددت قوله مرات وكرات ، ولكن لم يرض بقولي فقلت له : فإن شئت فأرسل أغنامك ؛ فإني لا أرسل في هذه السنة . ففرَّق أغنامه من بين أغنامنا ، وأرسلها إليها ولم يرجع منها

ولو فرداً واحداً . وقال : إن كثرت الأمطار وسالت السيول وكبرت الأنهار يمكن أن يفسد الحطب والجزوع ويضيعه . وفهمت إشارته ورجعت من عنده ، وتركنا تلك الحرفة المقصودة ، وكنت مترقباً على إشارته فوقع الأمر كما قال ؛ ففي تلك السنة نزل المطر وسال النهر كبيراً بحيث لا يحصى له من الكِبَر ، ولم ينتفع صاحب الأحطاب من ذلك الحطب وحمله النهر حتى يصل أوّله إلى البحر . انتهى .

وأخرى : إن واحداً من المتشيخين قد روّض نفسه مدة عشرين سنة صائماً وقائماً ، وكان له من المريدين عددٌ كبير ، وكان ورده ما لا يطيق وصفه ، ولم يحصل له أثر مما لقنه شيخه ولو بأدنى شيء ! ! ففي ليلة قد رأى في المنام قائلا : إنّك لو كنتَ على حالك هذا ألف سنة لا يحصل لك نصيب من الواهبة ، ولا تصل إلى خالق البريّة ، فإن كنت تريد سبيل الله فعليك بملازمة عَتَبَة الشيخ الحقيقي حسن أفندي القحيّ وانتسبه ، وتعشَّقْ إليه ، فساعتئذ قصد بإرادة الله تعالى إلى تلك الجهة العليّة ، وشاور مع واحد من معارفه فلم يقبل ، فقال : هل تبدّل المريدية بالمشيخة ؟ ! وبه وبخوف من عيب المريدين وقع التأخير للحضور لديه ! ! لكن بفضل الله تعالى هداه إلى الحق ، واشتد شوقه إلى لقاء الشيخ بحيث لا يطيق الصبر ، فخرج بنية خالصة سرّاً من المريدين ، ووصل إلى قرية قَحِبْ ونزل في زاوية جامعهم ، ولقي هناك مؤذّن قريتهم ، وطلب منه التوصيلَ إليه ، فحالتئذ ذهبا معاً إليه . فقعد الشيخ قبالته وصافح ، وقال : أيها الأخ ؛ لم جئت إلينا ؟ ! وإنه كان لا يعرف كونه مرشداً ، فتفطّن وتدبّر ، وعلم من كلامه كونه مرشداً ، وقال الشيخ : أيها الأخ ؛ ما تريد مني فاطلب ما تريد ، فبعد علمه يقيناً قام وقبّل يده وتعانق ، واستحيى منه حياءً شديداً . ثم وقعت المكالمة بينهما ونصح له الشيخ بالموعظة الحسنة المرضية عنده وارتعش

فرائصه بشدة حيائه منه ، وتضرع له بقبوله مريداً وقَبِلَه ، ووصل إلى مآربه ومطالبه ، وسلك في دائرته ولقَّنه الرابطة الشريفة ، ففي تلك الليلة بات في بيت المؤذن ورابط إلى الشيخ محمود أفندي ، ففي صبيحة تلك الليلة كان هو في المسجد يرابطه ، وذهب المؤذن إلى البيت وقال : إذا تمّ وردك فاحضر إلى البيت ، ففي الرابطة تحرك قلبه بحيث لا يطيق وصفه ، فبعد زمان قليل حضر الشيخ وكان لا يلتفت إليه بشدة ذوق الذكر القلبي ، وتكلم الشيخ وقال : سر معي . فنظر إليه واستحيى حياءً أكيداً وسار معه إلى بيته ، فقال : أيها الأخ ؛ ما حصل لك في البارحة ؟ هل علمت كيفية الرابطة ! ! فقال : علمتها وفعلتها ، وقد حصل لي ما لم يحصل مدة عشرين سنة ، وعلمت حركة القلب وارتعاشه ، ثم لقَّنه الذكر القلبيّ ، وهداه إلى الطريق الحقيقيّ ، وقال : عليك إخفاء وصولك لديّ للمريدين ، وكن دائماً على الذكر حتى تصير في كل لحظة تذكر الله . فبعد برهة قليلة قد حضر مع من شاوره قبلُ فلقَّنه الذكر على لطيفة الروح ، ثم على السر ، ثم . . . وثم . . . ألخ ولقنه المراقبة ، وصار ذا حضور تام بحيث لا يشغله الخلق عن الحق ، والحق عن الخلق ؛ متورعاً مخلصاً ، وترك المشيخة وأمر المريدين بالمراجعة إلى هذا المرشد الكامل الحقيقي ، وصاروا كلهم داخلين سالكين في دائرة الشيخ ، وعلموا بطلان ما كانوا يعملون ، وشكروا الله تعالى لهدايتهم إلى الصراط المستقيم . انتهى .

وأخرى أخبر واحد من علماء قرية « هلوق » أن واحداً معانداً على الشيخ وعلى الطريقة النقشبندية من الوهابية المنكرين حضر إلينا يوماً من الأيام راكباً على البغلة وعليها حقيبة مملوءة بالكتب العربية ، ونزل بنا ضيفاً وبات الليلة فينا ، وكان ذلك الرجل من أكابر المعاندين وأسبق علماء الوهابيين . فتفحَّصت عنه مرادَه

ومذهبه ؛ فقلت له : يا أخي ؛ إلى أين تذهب ؟ وماذا تطلب وتريد ؟ وما هذه الكتب الكثيرة معك ؟ فأجاب بكونه يذهب إلى قَحِب ، وقال : مقصودي منها امتحانُ شيخكم والمناقشة والمجادلة معه في حق الطريقة ، ولإعلامه بطلان ما هو عليه عتيد ، ولإظهار الحق الذي هو منه بعيد ، ولي مشكلات كثيرة وأسئلة عديدة نحو مئة سؤال ، وحمَلت الكتب لأرِيَه الحقَّ والصواب ، فحين أصبح الليل وأضاء النهار قد خرج هو منها وودّع ضيفه ، وقال ضيفه حين يهديه إلى الطريق : يا أخي إني أريد منك وأرجو من حضرتك الحضورَ لديّ وقت إيابك من قَحِب لتبيت عندي ، ولأعلم ما وقع بينك وبين الشيخ من المناقشة والمجادلة ، فأجاب لذلك بنعم ، فذهب وسار نحوه وقصد إلى قريته ، فلمّا وصل إلى طرف قرية قحب ، وجد فيه أي : على طرف القرية شيخاً هرماً قاعداً على شفير الطريق ، ذا هيبة عجيبة فسلّم له حينئذ ، ثم قام ذلك الشيخ الهرم من مكانه وأخذ يده قائلا : مرحباً بك يا ولدي ؛ كيف حالك وما حاجتك ومطلوبك ؟ فقال : إن لي حاجة مع شيخكم حسن أفندي ، فإن أَرَيْتَني مكانه ووطنه فذا مرادي . فقال الشيخ : نعم إني أدلّك عليه وأريك مكانه ، سِرْ معي يا ولدي ؛ فأخذ زمام بغلته وجذبها خلفه بنفسه ، وسار أمامه تأدياً له ، ثم وصل إلى بيته وأقعده على مقعد حسن ، وأراح بغلته وأمر ولده بوضع أحماله منها ، وأن يُعلّق لها مخلاة العلف ، ووضع الحقيبة في موضع نظيف ، ثم قال : أنا مطلوبك يا ولدي ، وأنا ذلك الشيخ الناقص كالقاضي الضروري الذي أردت رؤيته ولقاءه ، فهذا مسكني ووطني فكن على طيب القلب ، واقعد على حسن هيئة ، وأرحْ فؤادك من الظنون والخواطر ، واسأل مني ما شئت ؛ فإني إن شاء الله تعالى أجيب لك بما عندي ، الكوزُ يرشَح بما فيه ، فإنّي أحب الحق ولا أريد

الباطل ، فإن كنتُ على الباطل فعليك الإهداء إلى الحق ، وإن كنتُ على الحق فعليك الاقتداء والطاعة ، فحينئذ أخذ ذلك الرجل كتبه الكائنة معه واطّلع عليها ، فصار يسأله وهو يجيبه إلى أن بلغ إلى خمسين سؤالا ، وأجاب الشيخ لكلها بحيث يعجزه عن السؤال ثانياً ، ففي تلك الحالة ؛ يسأل ويجاب صار النهار ظَلاَماً ، وزال الضوء تماماً ، وحبس لسانه كلاماً ، وارتعدت فرائصه وخفَّت كلامه وتحيّر ، وصار مغشياً عليه ، ثم بعد زمان انتبه ونظر إلى سقف الحجرة فرأى مكتوباً عليه بخط نوراني قوله تعالى ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ فتعجّب من ذلك وخاف على نفسه الهلاك ، وعلم كون الشيخ من الذين فتح الله لهم بالفتح الإلهي ، وندم على الذهاب لديه وأسرع للرجوع من عنده قهقرى ، وخرج وترك السؤال له ، وجمع كتبه الكائنة عنده وأدخلها في الحقيبة الكائنة معه ، وتهيأ للرجوع وقتئذ في تلك الليلة المظلمة ، ثم قال له الشيخ : يا ولدي ؛ إلى أين تذهب في هذه الليلة المظلمة ! ! فلِمَ ترجع بلا إتمام المشكلات والأسئلة ، فاسأل جميعَ المسائل واطلب أجوبتها بالتمام ، فبتْ عندنا في هذه الليلة فنحن إن شاء الله تعالى نهديك غداً إلى الطريق راشداً مهدياً ، فلم يستمع قوله ؛ ولم يطلب منه الجواب ، بل سار من عنده نادما حزينا ، ووصل إلى قرية « هلوق » سحر تلك الليلة ، ونزل على ضيفه بوفاء عهده ، وأخبره ما وقع له مع الشيخ المذكور كما ذكر قبلُ ، وقال : أيها الأخ ؛ فوالله ندمت على الذَهاب لديه والمجادلة معه ، فإنه بحر عميق ومرشد كامل ، والمناقشة معه هو الأمر الباطل ، وإني رأيت منه ما رأيت وعلمت صدقه ! ! فيا له من عجب ، ولله درّه . انتهى . هكذا أخبر ضيفه الهلوقي ؛ وإنه قال : فبعد زمان لقيته فقلت له تجديدا : ماذا وقع بينك وبين الشيخ حسن القحي ؟ ! وقال : جوابا ؛ فاترك التفحص في حقه واقصر الكلام والسؤال ، فوقع ما وقع ، وإنه أمين الله ؛ لا عناد عليه .

محنته بالحبس وغيره ومن علامة أسوته برسول الله ﷺ تبعيده عن الوطن والأقارب والأحباب؛ محبوساً مسجوناً، قال رسول الله ﷺ: « إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشرّ أمسك عنه بذنبه حتى يوافيه يوم القيامة »، وقال: « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، فإن الله عز وجل إذا أحب قوما ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضاء، ومن سخط فله السخط » وقال: « لا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة » حديث صحيح « مصابيح »؛ في « الجنائز ».

وعن سعد قال: سئل النبي ﷺ: أيّ الناس أشد بلاء!! قال: « الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل؛ يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة هون عليه، فما زال كذلك حتى يمشي على الأرض ما له ذنب » حديث صحيح « مصابيح »؛ من الجنائز ».

قال الشعراني: في خاتمة « المنن » حكى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله: أن سيدي الشيخ أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه كان يقول: لا يعمل عالم في مقام العلم؛ حتى يبتلى بأربع: شماتة الأعداء، وملامة الأصدقاء، وطعن الجهال، وحسد العلماء. فإن صبر على ذلك جعله الله تعالى إماما يقتدى به. « نور الأبصار ».

ونقل الجلال السيوطي رحمه الله في كتابه « التحدث بالنعمة » ما صورته: ومما أنعم الله به علي أن قام لي عدو يؤذيني ويمزق في عرضي ليكون أسوة بالأنبياء والأولياء، قال رسول الله ﷺ: « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الصالحون » رواه الحاكم في « مستدركه ». وأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: « لا يفقد نبي حرمته إلا في بلده ». « يواقيت » ص١٣.

وإن النعمة للأولياء في الآخرة ، كما قال تعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ ، وإن أفضل نعمه تعالى لخواص عباده في الآخرة ، و﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ ، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ .

وإن هذا الأمر الواقع إنما هو من محن هذه الفانية الرذيلة ، وإنه رحمة ومسرّة له ولأمثاله ، وفي تحمله رفعةٌ ودرجة عند الله في الآخرة ، وإن أولياء الله تعالى يرون ما يجري في العالم – خيراً كان ؛ أو شراً – بتقدير الله تعالى ، وأنهم راضون على ما أصابهم ؛ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

وأنه رحمه الله تعالى كان يخبر واقعة حبسه قبل شهرين ، وقال لأولاده : أنا راض بما قدر الله تعالى ، فكونوا راضين على ذلك . وإن جميع ما يجري في العالم خيراً كان أو شراً بتقدير الله تعالى ؛ وجرى به ما قضى الله ، وكان يخبر بالمشافهة ويكتب بالقلم كثيراً مما سيقع ، وقد وقع الكل كما قال .

وكان قد أشار لولده بما سيقع من أمور زوجة ولده قبل عشر سنين ، ولم يفهم ذلك إلا بعد الوقوع ، فكم وكم نبَّهَنا لما سيقع ؛ ولم نفهم إلا بعد الوقوع ! !

في أمر الدين والدنيا لا حدَّ لكشوفاته الصحيحة الإلهية ، وفتوحاته العجيبة الربانية ، ووقائعه الإلهامية ، أعلى الله درجته وأفاض علينا من فيوضاته . آمين .

وإنه كان ذا ورع أكيد ، قال : إنه لم يستنج بالحجر الذي أخذه من حائط الغير .

وكان أيضاً أشد ورعاً في نظافة لباسه ، وكان ينهانا عن مسّ

شعرات الفروة التي على الأرض في بيته مع كونها نظيفة ليس فيها أثر الغبار والبلل .

وكان يأمر بملازمة فتوى الورع ؛ لا بفتوى الشرع ؟

وكان ينهانا عن ملاحظة الأغراض والحظوظ في العبادات والأعمال ، مثل التهليل والأذكار والدعوات المعتادة قراءتها ؛ مثل يس وسائر السور خاصة من قراءة القرآن على شفير القبر بالأجرة ، وكان يقول : لا يثاب القارئ إلا برضاء وجهه تعالى ، فارغاً قلبه عن اعتبار الحظوظ النفسانية دنيا وأخرى ، فإذا لم يحصل ثوابه للقارئ ؛ فكيف يثاب للغير حيا وميتا ! ! مع أنه لا يصل للميت إلا مثل ما وصل للقارىء ؟ ! وقال رحمه الله : أنه كان يقرأ القرآن على قبر ؛ فرأى في المنام كأنه تطأ قدماه على القرآن العظيم ويدسه ، ثم انتبه خائفاً وجلاً فازعا ، فتاب بعد ذلك ولم يقرأ بالأجرة ؛ ولو حرفاً واحداً .

وقال : إن واحداً من الأكابر قال : لا فرق بين الصنم المدور وبين الصنم المربع مثل الأصنام ، وكان يقرأ مراراً هذا الحديث : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم بل إلى قلوبكم ونيّاتكم » انتهى .

وقال : كنت أتفكر بما في كتب الأولياء ؛ بأنه لا ثواب بالعبادة لأجل الأغراض الدنيوية والأخروية والحظوظات النفسانية ، وخطر بخاطري : فإذا كان كذلك فكيف سأل النبي ﷺ الجنة بنحو قوله : « اللهم إني أسألك الجنة وما قرَّب إليها . . . إلخ » ؟ ! مع كونه عليه الصلاة والسلام من أكرم وأشرف الخلائق ؟ ! ومع كونه لا يطلب سوى الله تعالى وأبعد من الحظوظات النفسانية ! ! فناداني هاتف هكذا : اللهم إني أسألك الجنة لكونها محلّ رؤية الله ، وأعوذ بك من النار لكونها محل حجاب الله . وبمثل هذا كان يعظ وينبه كل من لقيه في كل الأوقات .

وكان أشدّ حرصاً لهداية الخلق إلى سبيل الحق ، وكان يوصينا دائما بحفظ الحضور خاصة عند الأكل والقِربان ، وفي أوقات السحور والبكور والرواح ، لكونها وقت تقسيم الأرزاق الحسية والمعنوية ، وانصباب الفيوضات الرحمانية ونزول الرحمة الربانية . انتهى .

وقال قدس سره : إنه وصل لدى السيد المرشد مير سيف الله قدس سره ؛ وكنا قاعدين في حجرته الشريفة بالمكالمة والمشاورة ، ثم بعد ذلك ذهب هو وغاب ، فبقيت فريداً وحيداً ، ثم بعد زمان حضر وقال : يا ولدي ؛ قد مضى مني زمان بلا رؤية النبي ﷺ فسألت الله تعالى أن يرينيه عليه الصلاة والسلام لحرمة هذا الضيف ، فأجاب الله تعالى وأرانيه عليه السلام ، وتكلمت معه بما شاء الله ، ولله الحمد والمنة .

وكان رحمه الله تعالى يعتقد فينا هكذا ، ويكثر الثناء علينا ويقول في حقنا أشياء . ولعل ما قاله الحلمي مما قال له الشيخ ؛ إنما قال لما قيل (لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه) وإلا لم يكن عادته أن يظهر أمثال هذه الكلمات التي أثنِي عليه ، بل كانت عادته أن يتكلم بتصغير نفسه ويعدها من أسفل الأسافل . فلحكمة قلة اعتقادات المريدين فيه وفي أشياخه ؛ وعدم مبالاتهم في آداب الطريقة وسادات الصوفية كان يتكلم بأمثال ما ذكر خوفاً على وقوعهم في الانحطاط والسطوة والسقوط بشؤم ذلك . انتهى .

وأخبر شيخنا الحالي العالم محمد بن حسين العوري رحمه الله تعالى المتعالي ما لفظه : ففي يوم فلاني كنا مع رفيقي صديق حجيو نذهب زائرين إلى شيخنا ، فحين خرجنا من قريتنا قال رفيقي المذكور : سمعت أنه لا يرى أنوار الألطاف ، فحين وصلنا لديه توجه إليه ، ثم توجه ثانيا إليّ ؛ فقال لي : إن أنوار ألطافك كلها خارجة ، فحين خرجنا من عنده ؛ قال رفيقي : إن قولي قد ضرب علي .

وأخرى : كنت مع الرفيق المذكور نذهب إليه للزيارة ، وكنا أخفينا خبزا في المصلَّى الذي في الطريق إلى جبل قحب على قصد الأكل حين رجعنا من عنده ، فحين تم مقصودنا خرجنا من عنده ووصلنا إلى باب غرفته ، فجاء هو خلفنا وبيده خبزين فقال : خُذا هذين الخبزين ، فلم نأخذ ، فقال ثانيا وثالثاً ورابعاً ؛ فلم نأخذ ، فقال اذهبا سننظر إن لم تحزُنا . فحين وصلنا إلى ذلك المصلَّى ، لم نجد الخبز المخفيّ هنالك ، وتذكرنا ما قاله وحزنَّا حزْناً أكيداً بعدم أخذنا ما أعطاه .

وأخرى : كنت[1] كتبت لضيفي السهلي الغزانشي في قريتنا العوري : اللهم إني أقدّم إليك بين يدي كل نفس . وكنت كتبت حين وصلت إلى كل شيء : « وكل شيء » بضم اللام – فحين وصلت لديه قال لي : فإن كل شيء معطوف إلى كل نفس ؛ فانتبهت حينئذ إلى ما كتبته وعلمت غلطه .

وأخرى : وأنه قدس سره كان يذهب إلى قلعة « أنجه » باستطلاب الحكومة وبدعوتهم ، وكان معه أولاده ، وقريبه هطحم ، وجاؤوا إلى قرية « غزانش العليا » زمن صلاة العصر ، فقال هو لي : نحن لا نسكن هنا في هذه الليلة ، نحن نذهب إلى « شوره » . فقلت له : سيروا ، فأنت تعلم المصلحة فيها . وذهبت معهم إلى أن نصل إلى زيارة الشيخ سيف الله قدس سره ؛ فقال هو : ارجع أنت . فرجعت ، ففي صبيحة تلك الليلة ذهبت خلفهم إلى « شوره » ، فحين وصلت إلى باب بيت ضيفه فتحت الباب فرآني فقال وقتئذ : ذهب القبض الذي كان عليّ في هذه الليلة البارحة ، فلا بأس لنا في هذه الدعوة ، ففرحت فرحاً شديدا ؛ وقلت : الحمد لله . فوقع كما قال .

وأخرى : كنت راجعاً من قرية « غزانش » إلى قريتنا ؛ وكنت

---

(١) الذي يخبر هذه القصة محمد العوري قدس سره .

هناك مؤذنا لهم ، فحين كنت في البيت سمعت أنهم أي أهالي قريتهم أقاموا مقامي رجلاً للأذان ، فذهبت إليها بعد مضي زمن كثير لأخذ كتبي فوجدت مكاني رجلاً آخر ، ورجعت منها مع الأمتعة ، ثم بعد زمان وصلت لدى الشيخ فقال لي : ألا يكون لك خيراً أن تذهب إلى خدمتك ! ! فقلت : لا أعلم ، ولكن لا أريد ولا زوجتي ذلك . وقال في المرة الثانية ما قاله قبلُ ، وفي الثالثة قال هو مثل الغضبان : هَنْجِكِّ إِنَ هِجُخَ مُنْ فقلت : أيها الأستاذ كنت لا أحب ذلك ؛ ولكن أظن الآن إن لم أذهب يحرمني ويفوت مني فائدة كبيرة ، أو يوقعني إلى ضرر كبير ؛ أذهب الآن إن شاء الله تعالى . فقال هو : فإن أخانا حبيب الله حاج لا يتكلم بكلام لا ينفع ، فذهبت إليها ووجدت مكاني خاليا بلا مؤذن ، ودخلت في تلك الخدمة الحسنة ؛ ففي تلك السنة انتشر القحط والجوع والعري على جميع الأقطار والقرى ، فإني مع أهلي لم يمسّ علينا أثر الجوع ، واكتفينا بما حصل من تلك الخدمة بحيث نقدر الإعانة للأقرباء والأمناء . الحمد لله على كل حال ، فلو لم أذهب إلى هنالك في تلك السنة لوقعت إلى ضرر كبير بحيث لا أقدر دفعه . وأخرى : وقد كنت في زمان قديم سلّمت إليه كتاب « الأنوار القدسية في طريق الشاذلية » فبعد زمان طويل سلم هو ذلك الكتاب إلي قائلا : ستحتاج إليه . قد تم ما أخبره رحمه الله تعالى[1] .

ذكاؤه وفراسته ومن ذكاء فراسته وخلاصة كشفه : أن مريدين صادقين حضرا لديه معاً للزيارة ، فتحسن خلقه معهما ، وثنى لهما بثناء حسن ، وقال لهما : فعليكما الملازمة والاجتهاد لإتمام الأوراد والوظائف في هذه الأيام ، فإني إن شاء الله تعالى أحضركما لديّ بعد مضي عشرين يوما وأدخلكما في الخلوة عندنا مدة أربعين يوما ، فودّعا له فرحين

(١) أي محمد العوري قدس سره .

مسرورين ، وهداهما إلى الطريق ، ونظر قدس سره خلفهما فبكى بكاءً شديداً ، وأنهما رحمهما الله تعالى بلغا إلى الوطن واجتهدا لذكر الله تعالى وإتمام ما ألزمهما الشيخ ، وماتا قبل مضي تلكم الأيام العديدة المذكورة غفر الله لهما ، فيا عجبا من فَطانة فراسته وخلاصة كشفه ؛ حيث حثّهما إلى اجتهاد الخدمة الإلهية الواجبة ، وأنه قدس سره أحسن بالهما بكلام يليق على الحال والمآل ، ويسرّ به البال وينفى البلبال .

وأخبر أن أحدهما الحاج قر محمد الخلقري والآخر رجل كّراطي . وكانا رحمهما الله تعالى ذاكرين لله تعالى بحيث لا يشغلهما الخلق عن الحق والحق عن الخلق ، كائنين بائنين جزاهما الله تعالى أحسن الجزاء .

ومنها أيضاً أن واحداً من طلبة العلم وصل لديه طالباً منه أن يطلب من قاضي قريتهم القحية تسليكه بين طلبة المدرسة ، وأنه قدس سره أمره بذهابه إلى « هؤر » لدى العالم القاضي إبراهيم ، وكتب كتاباً يطلب قبوله وتدريجه بين الطلبة ، فذهب هو لديه وقبله قبولاً حسناً ، ودرّس له وأدّبه وبقي عنده سنين عديدة ، وحصل له منه من العلوم ما يكفيه ، وأنه رباه في بيته بعد تغليق المساجد ومنع التدريس مثل ولده بقراءة الدرس ؛ سراً وخُفْية عن الناس وعن وُلاة الزمان .

هذا ؛ وأخبر من خواص مريديه أنه قدس سره قال : فحين كنت في الجبل - أي : في الريف - أربّي المريدين كنت أعلم أعداد أنفاس المريدين ، ففي الحال لا أعلم ذلك ! !

وقال أيضاً : كنت في السلوك وخرجت إلى الحدث في السطح ، وكنت أتوضأ ، فإذا جماعة من النساء اجتمعت حولي وبأيديهن مائدة من الهريسة - أي من هريسة البرِّ - وعجبت عليهن وعلمت كونهن من الجن ، وناديت إلى محمود أفندي فلم يؤثرهن ولم يفارقن من حولي ،

وناديت إلى الحاج جبرائيل أفندي فلم يؤثر ، ثم ناديت إلى الشيخ الحاج عبد الرحمن العسلي فهربن وانقطع أثرهنّ .

وأخبر ولده : إني كنت على سوء ظن على الوالد في حق تزوّجه الشابة ابنة الحاج حبيب الله لكون أمي العجوزة على سوء حال ، فيوما من الأيام قال لي والدي : ألا تنظر إلى « تنوير الصدر »[1] فهو كتاب نفيس ولم أنظر إليه ، ونسيتُ كلامه . وقال يوما آخر كما قال ؛ فلم أنظر ، ففي يوم جاء لدي ومعه ذلك الكتاب ووضع قبالتي ، وقال : انظر إلى هذا ، هذا نفيس ، وذهب هو ونظرت موضعاً أشاره رحمه الله عليّ بالنظر ، فوجدت فيه ما حاصله : أن القطب إذا رأى الحور والغلمان في الجنان يقوى شهوته ويحتاج إلى الجماع ، فانتبهت وتبت عن سوء الظن ، وعلمت كونه كذلك .

وأخرى : أخبر العالم عمر الهلوقي أنه قال : إنا خرجنا للزيارة لدى الشيخ فخبئنا الجراب الذي فيه حوائج الدخان فزرنا إليه ، فحين رجعنا قال لي : يا أخي عمر ؛ لا تنس الذي خبئتم من آلة الدخان .

وأيضاً أخبر حاج بن حمزة الهلوقي أنه قصد مع زوجته للزيارة إليه ، وكانت زوجته تسعى لديه وله أول سفر إليه ، وقال لزوجته : أنا لا أثق أحداً إلا إذا أراني ما يوثقني من الكشوفات ، فإذا وصلنا إلى قرية « قحب » نزلنا على ضيفنا ، وأنه قرانا من مشروباتهم النبيذ ومعه للأدم لحم الجنب من شق الضأن بالكلية ، فإذا أصبح خرجنا إليه وجلسنا معه ، فحينئذ قال الأستاذ مشيرا : إن من عادة قريتنا أن يقروا الأضياف بالنبيذ وبلحم الضأن من الجنب كله ، فحين قال الشيخ ذلك القول صار هو مغميا عليه بحيث لا يتحرك من الأعضاء شيء ، فبعد برهة انتبه وفهم ما قاله وتيقن كونه من الكمّل ، وصار واثقاً عليه ، وسلك في

---

(١) وفي نسخة : « تصديق المعارف » .

تربيته وأخذ منه العهد ودام على ذلك إلى الممات .

وأيضاً أخبر واحد من المريدين من أهل الثقة في مجلس مذاكرة المشائخ وكشوفاتهم : أن واحداً من مريدي الشيخ حسن أفندي الذي هو من قرية « بَقَاهِـچْ » كان من أسبق المريدين وأكثرهم سعيا لديه ، وأنه حين وصل لديه مرة أراد أن يظهر له كشفه ؛ وقال : يا شيخي ؛ إني منذ أعوام دخلت في عهدكم وأتممت ما ألزمتموني حسب طاقتي ؛ ولم أر منك ما يطمئنّ قلبي من المغيبات والكشوفات ! ! هلا يجوز منكم إراءتنا منها ؟ !

وقال له : يا ولدي ؛ لماذا تسأل هذا ؟ أولم تكن واثقا ! ! وقال : لا بل ليطمئن قلبي . وقال قدس سره : ليس لنا من الكشوفات فائدة ما ، بل وظيفة المريد إتيان ما أمر به الشيخ .

وقال : أيها الولد ؛ فإن أردت إراءته فاذهب أنت راجعاً من عندنا فحين وصلتَ إلى قريتكم تلقاك الجنازة المحمولة إلى المقبرة ، وإذا لقيتها فاذهب مع الجماعة وأدخلها مع الداخلين في قبرها ، فانظر إلى القبر حين توضع الجنازة في القبر ، فإذا ترى ما تطلبه . فرجعت من عنده ووصلت إلى القرية ولقيت كما قال قدس سره جنازة واحد من مريديه مع الجماعة ، وذهبت خلفها فإذا تصدى المتصدون لدفنه شاركت معهم ودخلت في القبر ؛ فإذا الشيخ حسن أفندي واقف أمامه .

هذا ؛ فإني قصرت الكلام في ذكر مآثره ، وإن هذه المذكورات في هذه الكراسة نبذة من شمائله ، وقطرة من بحر خصائصه ومآثره ، ولو أطلنا الكلام بذكر مناقبه وآثاره كلها بالتمام لاحتجنا إلى جمع كتاب ضخم ، وتفصيلها يجرّ إلى التطويل .

تم بحمد الله من كتاب « السفر الأسنى

في الرابطة الحسنى »



العلامة الولي الكبير

حسن بن محمد حلمي القحي النقشبندي الشاذلي

المتوفى سنة: ١٣٥٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور ، وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور ، مخرج أوليائه من الظلمات إلى النور ، ومورد أعدائه ورطات الغرور ، والصلاة والسلام على محمد مخرج الخلائق من الديجور[١] ، وعلى آله وأصحابه الذين لم تغرّهم الحياة الدنيا ولم يغرّهم بالله الغرور ؛ صلاة تتوالى على ممرّ الدهور ، ومكرّ الساعات والشهور .

أما بعد ؛

فيقول الحقير الفقير حسن ابن العالم الحاج محمد القحي الهِدَلِيِّ النقشبنديّ الخالديّ الشاذليّ : لمّا كان أهل هذه الطريقة النقشبندية العلية وقعوا في هذه الديار الداغستانية غربآء بواسطة شيوع البدعة ، فمن ذلك اِختَرَعَ أبعاض أهالي هذه السلسلة بواسطة قصور نظرهم بدعات ، وجذبوا قلوب الناس إلى جوانبهم بعلاقات ارتكاب تلك البدعات ، وظنُّوا هذا العمل منهم تكميلاً لهذه الطريقة ، حاشاه وكلاّ ! بل هؤلاء الجماعة يجتهدون في تخريب هذه الطريقة ، وتضييعها ولم يدركوا حقيقة معاملة أكابر هذه الطريقة وأكثرهم يجرّون مريدي الأغيار الى جَوَانبهم بالأقوال المموّهات ، والحيل الباطلات ، عياذاً بالله من هذه الغرورات ، بل هم يسعون خصوصاً لجرّ الأغنياء لمجرّد غناهم[٢] أو لتكثير سواد مريديهم ، ليشتهر بهم اسمهم بين الناس ، وكثير منهم يزعمون بالمشيخة مع عدم سلوكهم في الطريقة من شيخ كامل ، وليس في أيديهم صك الإجازة ، بل ليس أشياخهم في دعواهم

---

(١) الظلمة .

(٢) قلّب إلى آخر الباب الثالث لتعلم ما يترتّب على من يصحب الأغنياء (منه رحمه الله) .

سالكين ومأذونين من شيخهم بيقين ، لكنهم تصدّروا للإرشاد بأنفسهم ، واشتهروا على طبقات شتّى ، وَادَّعَوا على أمور ليس لها من لَدُنْهُمْ فتوى ، وتفرّقوا في البلاد ليأخذ كُلُّ صنف منهم فِرْقَةً من العباد .

فمنهم من يزعم أنّ شيخه هو النبي عليه السلام وأنه أخذ منه بلا واسطة في المنام .

ومنهم من يزعم أن روحانية الكامل أذِن له في المنام .

ومنهم من يقول إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبٌ على كل أحد وإن ما يفعله من تلقين الأذكار وتعليم أمور الشرع جائز ولا مانعَ منه ، وإن لم يكن بيده إذن من المشائخ .

ومنهم من يقول : إن تلقين الذكر القلبىّ على قاعدة النقشبنديين للعوام حرام ، ولا يجوّز ذلك إلاّ لمن له نفس مطمئنّة ، ويُلَقِّنُ الذكر اللسانيّ للعوام قائلاً إنه من الشريعة وذا من الطريقة[(١)] .

ومنهم من يلقّن الذكر اللسانيّ أيضاً ، وإذا أنكر عليه الطائفة النقشبندية يقول إنّ تلقينه هذا لمجرّد حصول الاستعدادِ ، ولا يزعم[(٢)] على أصل الطريقة وعلى جواز تلقين الذكر القلبيّ .

ومنهم من يزعم بأنّ في يده إذن من السادات القادريّة ، مع أنّ شيخه في زعمه نقشبندىّ يلقّن طريقة نقشبنديّة .

---

(١) ولا أدري قولاً أعجب من هذا أليس الذكر القلبي من أعمال الشريعة فتسمية ذكر القلب طريقة وذكر اللسان شريعة من علامة الجهل المركّب فكيف لا وقد قال الإمام الرباني قدس سره : والذكر الإلهي (والمراد منه ذكر القلب لأنه ليس في هذا الطريق ذكر اللسان كما هو مذكور في مكاتيبه قدس سره . منه) جلّ شأنه الذي هو العمدة في هذا الطريق من المأمورات الشرعية كذا في الدرر في ٨٤ من الجلد الثاني (منه رحمه الله) .

(٢) وفي نسخة : ولا يدّعي .

ومنهم من يُرْسِلُ الأوراد إلى البُعَدَاءِ ويلقّن الأذكار التي ليست في طريقته التي ينتسب إليها .

وسمع واحد منهم خَبَرَ مَوْتِ شيخه فذهب إلى قريته للتعزية ، فتفحّص عن مأذونه فلم يُوجَدْ ، لكن قيل له : إنّا سمعنا أنّ في ناحيتكم من أذن له من طرفه ولم يعيّنوا[١] ، فظنّ هذا المسكين غفر الله له أنّ هذا الذي أذن له شخصُه ونفسه ، ثم شاور مع عالم من علماء ناحيته في حقه[٢] فَمَنَعَه ذلك العالم من ذلك[٣] ، فلم يستمع قوله ، فتصدّر لإرشاد الناس ولقّن من الأذكار ما أراده ، واختاره على خلاف ما كان عليه شيخه النقشبندىّ .

وكان بعض منهم عالما متبحّراً مشهوراً بأنه شيخ نقشبندىّ ، لكن لم يمش على ما مشى عليه شيخه ، وتبدّل الأذكار وغيّر[٤] قواعد الأوراد قائلاً إنه لا يستطيع أن يتوجه إلى كلّ من جاء لديه من المريدين كما هو[٥] شرط في الطريقة النقشبندية ، فلو منعهم رَجَعُوا آئسين ، وإن لقن لهم ذكر اللسان[٦] رَجَعُوا طامعين مسرورين ظانّين أنهم مَقْبُولُونَ وصاروا بذلك مريدين ، فيتركون المعاصي ويلازمون[٧] الأوامر .

---

(١) وفي نسخة : ولم يعَيَّنْ .
(٢) أي في حق تلقين الذكر بنفسه (منه) .
(٣) أي من التصدر للإرشاد .
(٤) وفي نسخة : وتغيّر .
(٥) أي التوجّه (منه) .
(٦) أي على خلاف ما عليه النقشبنديون . فافهم .
(٧) وقد جهل هذا البعض رحمه الله تعالى قول سيد الطائفة خالد البغدادي : (من غيّر أصول طريقتنا فليس منّا) . وقول الامام الرباني : (فإن لتقليد شيخ الطريقة ثمرات ، وفي الخلاف خطرات ، والاّ فلا مجال لاحد أن يغيّر الاصول كما هو معلوم . فتدبّره ! وأخبرني بعض العلماء أن واحداً من العلماء المشهور بالورع والتقوى : قال له إن سبب شيخوخة هذا الشيخ المذكور أن إثنين من محبيه قد ذهبا لدى الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري رحمه الله تعالى فقالا له : أعط الإذن لهذا العالم فقال رضي الله عنه : كيف أعطي الإذن له يا أولادي مع =

وأوصى واحد من المشائخ حين موته لولد شيخه عصاه وعباءه ، ثم قيل إنه أذن له للتلقين والإرشاد ، وتلك الوصيّة أمارة على ذلك ، ولم يكن هذا الولد[1] المذكور وَقْتَئِذٍ داخلاً في الطريقة ولا عارفاً كيفيّة التلقين ، فاهتمّ حينئذ واغتمّ ، ثمّ اعتزل عن الناس وراضَ نفسه وجوّع بطنَه ، وتهيّأ للإرشاد ، ثم بعد زمان جاء واحد لديه ليطلب منه الوردَ فتحيّر وتردّد ، ولم يدر ما يُلقّنه وجهل ما يفعله ، فسأل أخاً له في الدين : أيّ شيء أعلّمه وأي ورد ألاَزِمُهُ ؟ فقال : قل له أذكر لا إله الا الله كذا مرّة ، واستغفر الله كذا ، وصل على النبي عليه السلام كذا . وعوّل هذا المسكين ـ هداه الله تعالى إلى ما يرضاه ـ أمر تلقين التوبة إلى ذلك الأخ المذكور ، ولقن لهذا الجائي شيئاً ممّا دله عليه ، وذهب هو إلى مكانه مسروراً ، وبعد ذلك اِشتهر مُشَيْخَتُه[2] في النواحي ، والتجأ اليه الأبعاض من أطراف النواحي ، واعتقدوا فيه وظنّوا أن ليس على وجه الأرض شيخ مثلهُ .

وهذه الواقعة أخبرني من كان معه حين إعطاء العصا والعبآء إلى يده ، وهو الذي شاوره في حقّ التلقين وعوّل إليه أمر تعليم التوبة . انتهى ، ولقّن آخر أوْرَاداً وأسماءً برَأْيِهِ ، فقال له وَاحِدٌ : لقِّن الأذكار السلوكيّة على قاعدة النقشبنديّين . فقال لا إذن لي في ذلك ولا رخصة ،

= أنه لم يكن لي إذن ؟ ! فانصرفا من عنده وبعد ذلك قال أحدهما للآخر نحن نقول له إنه أعطى الإذن له فقال الآخر : إني لا أقول زوراً ولا أقدر أن أكذب . فقال له : إني أقول كذلك وأما أنت فكن ساكتاً فحين وصلا لديه كذب واحد وسكت آخر فـاشتغل ذلك العالم على وظيفة الإرشاد بمجرد هذا القول وزعم أن الشيخ الثغوري لم يأذن لآحد غيره وكتب كذلك بخطه غفر الله لنا وله آمين . والله اعلم (منه رحمه الله) .

(١) وأقر غفرالله له في مجمع من العلماء وقال إنه لم يكن داخلاً في الطريقة ولم يكن ذلك الشيخ الذي أذن علّمه شيئاً ما من الأوراد والأذكار لكنه وجد قد أذن له حين موته فتعجّبت بذلك وتعجّب الكائنون في المجلس (منه رحمه الله) .

(٢) هكذا في الأصل .

ولا يجوز أن أفعل ما لا رخصة لي ! وهذا أحسنهم قولاً وإن كان في صَنيعِهِ شينا هداه الله إلى الحق . . آمين .

وتصدر آخر بلا إذن من الكُمّل وأظهر من نفسه صورة الكشف والكرامة ليتوجه إليه وجوه الناس بالوقارة ، ويعتقدوا فيه بالخصوصيّة ، مع أنه في الحقيقة لم يشمّ رائحة من الخلوصية ! حتى قال لي بعض من الثقات في هذا الزمان : إن زوجته كانت تخرج من البيت إذا جاء لديه مريد أو غيره فتمنعه من الدخول عليه فجأة قائلة : إنه على ورده فيجب الإمهال إلى فراغه ، ثم تقول له : ما اسمك ؟ ومن أيّ قرية أنت ؟ وهل أنت عالم أو جاهل ؟ ! فلما علمت منه ما هو مقصودها كانت تدخل إلى بيت في جانب حجرته وتخبره مطّلعة من الكوّة كل ما قال لها ذلك الجائي ، وبعد ذلك كان يأذن للدخول ويقول له : مرحباً يا فلان من قرية فلانية ، ويلاقيه بوجه طلق ، فيظنّ أن ذلك علم بكشفه ، لأنه لم يعرف ما فعلت زوجته ! فصار ذلك الرجل يعتقده ويذكره في المحافل والمجامع . وهذا أسوأهم حالا ، وأغرّهم ناساً إنا لله وإنا إليه راجعون ! فما أعظم ما حلّ بهذه الأمة المحمديّة في هذه الديار الداغستانية بانتشار هذه البدعات والاختراعات ! فالعياذ بالله من أمثال هذه التمويهات والتلبيسات ، وهي عين الكذب على الله ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماوات ، قال تعالى ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا** ﴾ الآية ، وقال ﴿ **وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ** ﴾ الآية وفي تفسير سلمى من هذه الآية قال يوسف بن حسين : أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة مَن ادّعى في الله ما لم يكن له ذلك ، أو أظهر من أحواله ما هو خال عنها .

وورد : « من غشّنا فليس منا » فبظهور هذه الدعاوى من هؤلاء المتشبهين في هذه النواحي ـ مع أن أكثرهم في العلوم متبحّرون ، وفي

العبادة مجتهدون ، وعلى الرياضة مطيقون ـ امتنع الصلحاء الأبرار من أخذ الطريق الحقّ من السادات النقشبندية الأخيار ، وانقطعوا عن المنافع الحاصلة لمريديهم من طرد الغفلة من قلوبهم ، ودوام الحضور مع مولاهم ، ظانّين[1] أن ما أخذوه من هؤلاء المتشيّخينَ هو عين الطريقة ، وأن من أخذ من شيخ لا يجوز له الأخذ من آخر ، مع أنه لم تحصل لهم النتيجة مما أخذوه منهم ، ولو كانوا يذكرون الله ليلاً ونهاراً ! وإذا كان الحال هكذا أردت أن أؤلف كتاباً يعين لإزالة هذه البدعات والمنكرات ، ببيان نصوص أئمة الطرقات ، ليكون نصيحة لمحدِثي البدَع في دين رب العالمين ، لكي لا يدوموا على منهاج الشيطان الغرّار ، ولا يخرجوا عن طريق الأئمة الأخيار ، ما لم يكونوا على ذلك الوصف في لوح الملك الجبار شعر :

نظمت لؤلؤة بها الهداة لهـــم	بالاقتباس من النصوص والحجج
إن حافظوا ضوأها قعر الصماخ فهم	فـــي رَحْبَة ليس فيها الشوك والعوَجُ
وداوموا نفعها بها العروج لهـم	إلى المقام العلى من جُمَع النَهج
فالفكر فيها لهم رَغـمٌ لأنُوفهـم	لازمْ على خزنها إن كنت ذا عَلَج

وسمّيته :

(بتنبيه السالكين إلى غرور المتشيّخين)

وقصدت أن أنقل لإبطال أقوال وأفعال ومستندات كلٍّ من أولئك المذكورين ، ولإزالة البدْعات والمنكرات عن أمثالهم المغرورين ، مآخذ صريحة ، وأقوالاً صحيحة ، متفحِّصاً من كتب المعتمدين ، وأقوال المرشدين ، لعل الله تعالى يرفع بها الإنكار عن قلوب المعاصرين ،

(١) حال من فاعل امتنع (منه) .

بحيث لا يقع بعدها الإشكال في ظنون الناظرين .

وقد أكثرت فيه[1] النقول والنسخ لردِّ جميع ما ذكر من البدعات ، نُصْحاً للعباد أهل الريبات ، **لأن كثرة القائلين**[2] **تشعر كون المقول معتمداً** ، وكثرة النسخ[3] تقوم مقام التواتر ، فعلى الناظر أن ينظر إليه بعين الإنصاف ، متجنّباً عن الاعتساف ، ويَعْتَبِرَ المقول لا القائل ، والمرجوّ من الله تعالى أن يحمله إذَنْ أن يقول إنه زبدة نصوص الأئمة الأخيار ، وحاصل محصول أقوال المجتهدين الأبرار ، جعله الله سبحانه نافعاً للعباد ، وهاديا إلى الحق بلا عناد ، إنه هو الموفّق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

فإن قال قائل : إن مطالعة كتابك هذا تكشف عَوْرات الفقرآء[4] من أهل العصر ، فهلاّ أسبلت ذيل الستر على إخوانك فإنه لا يدع أحداً يعتقد فى أحد من مشائخ هذا العصر ؟ ! **فنقول** له كما قال الشعراني في « تنبيه المغترين » : إن جمهور العلمآء والصوفية من السلف قد سبقونا إلى التأليف في مثل ذلك ، وبيَّنوا أخلاق الصالحين من الطالحين ، والصادقين من الكاذبين والمتفعّلين ، ولم يلتفتوا إلى كون ذلك يلزم منه كشف سوأة مَن كان بخلاف الصفة من أخلاق السلف الصالح . قال الله تعالى ﴿ **وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ فهو وإن لزم من بيان صفات الصالحين هَتْكُ أستار الكاذبين ، فلا حرج عليهم

---

(١) بل وقع فيه التكرار في بعض الأشياء المهمة فلا بأس به لأنه لا يخلو عن فائدة زائدة (منه) .

(٢) راجع « مغني المحتاج على قول المنهاج » وقد التزم مصنّفه أن ينص على ما صححه معظم الأصحاب ، اه ، والأنوار وشرح الروض وقليوبي على شرح التحرير وح زكريا على الجوامع من بحث التواتر وابن حجر على قول المنهاج المذكور (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) راجع « الدرر المنتشرة » للسيوطي وكذا في « الفتاوى الحديثية » في ٦٨ (منه) .

(٤) أي المريدين (منه) .

في ذلك لقصدهم بالأصالة الخير للمسلمين ، **ومعلوم أن الإثم تابع للقصد** نظير ما قاله العلمآء في الجُنُب يقرأ القرآن لا بقصد القرآن أنه لا يأثم ، لأنه لايكون قرآناً إلاّ بالقصد .

ويؤيّد ذلك ما ذهب إليه جمهور علمآء الأصول أنّ لازم المذهب ليس بمذهب ، ولعل العاقلَ المنصف المتدبّر يعلم أن مقصودي من ذكر سوأة مشائخ العصر وإظهار ما ارتكبوا عليه إنما هو رفع همّة الإخوان إلى أرفع مما هم عليه من الحقِّ الذي كان عليه السلف الصالح ، وإحياء الطريقة المندرسة ، لا التشفِّي للنفس منهم ! ولا طلب الرياسة وانتشار الصيت عليهم ، حاشا ذلك وكلا ! فالحمد لله رب العالمين .

ويجوز ذكر سوأة الغير لو ناط به فائدة دينيّة بقصد الاحتساب وإرادة النصيحة للمسلمين . كذا في « البريقة » في ٢٨٢ من الجلد الثاني .

وقال الشعراني في « الأنوار القدسية في بيان آداب العبوديّة » : واعلم أنه لا بأس[(١)] بتبيين بعض عيوب أهل الدعاوى[(٢)] لينزجر مَن يريد أن يتبع طريقهم كغالب تلامذة هذا الزمان ، لغلبة الهلاك فيمن ينسب إلى الطريق ، مع أن أهل الطريق كلهم يلعنونه لتصنّعه . انتهى راجعه في ٣٥ .

وأرجو من الله تعالى أن يحشرني في زمرة المحيين لسنّة نبيه والمحبين له عليه الصلاة والسلام فقد قال الشعراني في « لواقح الأنوار » في ٤٩ : إنه ﷺ يحبّ مَن يبلِّغ سنته التي اندرست إلى من

---

(١) ومثله في حاشية عبد الحميد عليٍ ابن حجر فراجعه في ٢١٨ من الجزء التاسع (منه) . وقلّب إلى ما يأتي في الباب الأوّل نقلاً من هداية البداية في الهامش (منه قدس سره العزيز) .

(٢) وقد قال ابن حجر في كتابه « كف الرعاع » المرة بعد المرة في حق واحد : أنه كذاب خبيث لا يعتمد عليه ولا ينظر إليه . فراجعه من هامش « الزواجر » من الجزء الأول . (منه) .

يجهلها من أمته ، ومن أحبه ﷺ حشر معه لقوله صلى الله عليه وسلم « يحشر المرء مع من أحبّ » ومن حشر مع النبي صلى الله عليه وسلم لا يلحقه في مواقف القيامة كُرَبٌ . انتهى . ثم اعلم يا أخي أنه لا يجوز لأحد أن يسكت عن إظهار العلم إذا ظهر له من يخالف أصول الطريقة وأساسها ، ويدُسُّ فيها شيئاً من البدع والاختراع بنبْذ ميزان الشريعة والحقيقة ورآء ظهره ، لأن السكوت عنه مداهنة ! وهي حرام . وقد ورد في الخبر « أن الساكت عن الحقّ شيطان أخرس » .

وورد : « إذا لعن آخرُ هذه الأمة أوَّلَهَا فمَن كان عنده علم فليُظْهره ، فإنَّ كاتمَ العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد » رواه جابر .

قال الخادمي في « البريقة » : إن المداهنة في الشرع عدم تغيير المنكر مع القدرة عليه رعاية لجانب مرتكبه ، أو لجانب غيره ، أو لقلّة المبالاة بالدين انتهى .

وفي « المتممات » ما حاصله : أن العمل على طريقة البدعة مُبعّدَة عن الجذبة ، ولذا قبّحت البدعة وزاد قبحها على فعل المعصية انتهى .

روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : « ما آتى الله عالماً علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيّين ، مَنْ عَلِم علماً فكتمه أُلْجِمَ يوم القيامة بلجام من النار » . وقد قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾ الآية .

وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : إن الله لا يعذِّب العامَّة بعمل الخاصَّة ، ولكن إذا ظهرت المعاصي فلم ينكروا فقد استحقّ

القوم جميعاً العقوبة .

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : « أو قلت يا رسول الله تخسف الأرض وفيها الصالحون ؟ قال : نعم ! بإدهانهم وسكوتهم عن أهل المعاصي » .

وعنه عليه السلام « إن ناساً من أمتي يحشرون من قبورهم على صورة القردة والخنازير بما داهنوا[1] وآكلوهم وشاربوهم وجالسوهم » انتهى من « البريقة » من الجزء الثاني في ٢١٢ .

قال الإمام الربّاني قدس سره : إنّ ترويج البدعة موجب لتخريب الدين ، وتعظيم المبتدع باعث على هدْم الدين . انتهى من « الدرر المكنونات » في ٣٤ من الجزء الثاني .

وفيه في الجزء الأول في ١٦٨ . إنّ فساد صحبة المبتدع أزيد من فساد صحبة الكافر . انتهى .

وروى البيهقيّ في « شعب الإيمان » عن إبراهيم بن ميسرة : مَن وَقَّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام . انتهى .

وأورد ابن حجر في « خاتمة الفتاوى » حديث « مَن أعرض عن صاحب بدعة بغضاً له في الله ملأ الله قلبه أمْناً وإيماناً ، ومَن انتهر صاحب بدعة أمّنه الله يوم الفزع الأكبر ، ومَن أهان صاحب بدعة رفعه الله تعالى في الجنة مائة درجة ، ومَن سَلَّم على صاحب بدعة أوْ لَقِيَهُ بالبِشْرِ أو استقبله بما يسره فقد استخفَّ[2] بما أنزل الله على محمد[3] » انتهى .

---

(١) أي أهل المعاصي انتهى .

(٢) أي فلم يعمل بما يجب عليه من الأحكام « شرح عين العلم » ٣٢ .

(٣) وذكر الغزالي هذا الحديث بعينه في « الإحياء » في صفحة ١٢٧ من الجزء الثاني فراجعه (منه) .

وقال فيه : إن البدعة الشرعية ضلالة . انتهى .

وقال ابن حجر في « الصواعق » : قال ﷺ « إذا ظهرت الفتن ـ أو قال البدَعُ ـ وسبَّ أصحابي فَعَلَيْه لَعْنَةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله صرفاً ولا عدلاً » . انتهى .

وقال الإمام البركوي في « الطريقة المحمدية » : إن البدعة في العبادة وإن كانت دُونَ الاعتقاد لكنها منكرة وضلالة . انتهى مع تصرُّف ، بل هي فوق سائر المعاصي[1] . انتهى « بريقة » .

وقال الإمام الرباني قدس سره : ولا أرى في فرد واحد من أفراد البدعة حسناً ، ولا أحسُّ فيها شيئاً سوى الظلمة والكدورة .

قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام : « كل بدعة ضلالة » وأجد السلامة في هذه الغربة وضُعْفِ الإسلام منوطة بإتيان السنة ، والهلاك مربوطاً بتحصيل البدعة أية بدعة كانت ، وأرى البدعة كمُعوّل[2] يهدّ به[3] مباني الإسلام ، وأجد السُنّة مثل كوكب مشرق يهتدي به في ديجور الضلالة ، انتهى من « الدرر المكنونات » ٣٤ .

وإذا كان الأمر هكذا وجب علينا أن نتوجه بجميع الهمة وتمام النهمة[4] لترويج هذه الطريقة السنية الصديقية ورفع البدع منها بقدر الطاقة وإقامة مراسم أصولها المندرسة في هذه الأوقات ، رجاء أن ندخل في أثناء دائرة حديث « من أحيا سنة ميتة فله ثواب مائة شهيد » ومن المعلوم أن التقرُّبَ إليه[5] سبحانه إنما يكون بما شرع من الدين

---

(١) وسيأتي في الباب الأوّل زيادة على هذا إن شاء الله (منه رحمه الله) .
(٢) هكذا في الأصل .
(٣) أي يهدم به (منه رحمه الله) .
(٤) نهم في الشيء الخ ، بلغ همته فيه ، (مص) .
(٥) كذا في النور الساطع (منه) .

بواسطة الرسول عليه السلام ، وإن اللازم على[1] من انتسب إلى وليٍّ من أولياء الله تعالى أن يتشبه في أصول طريقته وفروعه المهمّة ، وأنّ مَن[2] لم تتصل سلسلتُه إلى الحضرة النبويّة فإنه مقطوع الفيض ، ولا يكون وارثاً لرسول الله عليه السلام ، ولا تؤخذ عنه المبايعة والإجازة ، وأن الإسناد[3] من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء ، وأنّ إسناد[4] الحال كإسناد الأحكام ، فعلى[5] السالك أن يَزِنَ أعمال وأحوال وأقوال وتلقينات شيخه بميزان الشريعة والطريقة ، فإن وافقت بهما فذا ، وإلاّ ! فليفرّ منه فراره من الأسد ، وليطلب مَن يدله على الله متمسّكاً بذلك الميزان . قال الله تعالى ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ الآية وقال تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ الآية ولا حجّة لأحد مع قول رسول الله ﷺ وإن كثروا ، لا في قياس ولا في شيء ، فإنّ الله تعالى لم يَجعَل لأحد معه كلاماً ، وجَعَل قوله يقطع كلّ قول ، وإذا ثبت عنه عليه السلام شيء لم يحلّ لنا تركه . كذا في « لواقح الأنوار » في ١٦٠ راجعه .

فبناء على هذه المذكورات لم يَبْق لأحد وَجْهٌ ليترك الطريقة الصدّيقية المعنعنة السالمة الباقية إلى الآن على أصلها ، من غير زيادة ولا نقصان مَطْروحَةً ورآء ظهره ، ويحدثَ طريقةً جَدِيدَة برأيه واختياره[6] .

قال عليه الصلاتان ما دامت النَيِّران تدُورانِ « مَن استغنى برأيه ضلّ » .

---

(١) كذا في « جامع الأصول » (منه) .

(٢) كذا في خزينة الأسرار (منه) .

(٣) كذا في الفتاوى العمرية (منه) .

(٤) كذا في « الخزينة الأسرار » (منه) .

(٥) كذا في شرح « تائية السلوك » في ٦٠ (منه) .

(٦) فإن الوقوف على حد ما ورد أفضل من الابتداع ولو استحسن على ما في « لواقح الأنوار » في ٨٨ وإن لم يكن في خصوص ما عليه كلامنا فتدبره (منه) .

وروى الإمام مالك بلاغاً أن رسول الله ﷺ قال « تركت فيكم أمرَيْن لن تضلّوا ما تمسَّكتم بهما : كتاب الله وسُنَّة رسوله » .

وروى الترمذيّ مرفوعاً « إِنّي تركْتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا : كتاب الله ، وعِتْرَتي أهل بَيْتي » زاد في رواية « فأنظروا كيف تخلفوني فيهما » .

وفي حديث أبي داود وغيره مرفوعاً « فعليكم بسُنَّتي وسنة الخلفآء الراشدين المهديّين تمسّكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ ، وإيّاكم ومحدثات الأمور ! فإنّ كلّ مُحْدثٍ بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة » .

وروى البخاري عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ أحسن الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرّ الأمور محدثاتها » .

وروى أبو داود مرفوعاً « مَنْ فارق الجماعة شبْراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه » .

وقال الإمام الرباني – قدس سره ورزقنا نصيباً من فيوضاته وحَظّا من معارفه آمين – : إن إحداث[1] شيء في الطريقة ليس هو عند الفقير بأقلّ من إحداث بدعة في الدين ، وبركات الطريقة إنما تفاض وتعود على أهلها ما لم يحدث فيها مُحْدَثٌ ، فإذا حدث[2] فيه مُحْدَثٌ ينسدّ

(١) قال الشافعي رضي الله عنه : ما أحدث وخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو أثراً فهو البدعة الضالة وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئاً من ذلك فهو البدعة المحمودة وإن البدع السيئة وهي ما خالف شيئاً من ذلك صريحاً أو التزاماً قد تنتهي إلى ما يوجب التحريم تارة والكراهة أخرى وإلى ما يظن طاعة وقربة فمن الأول الانتماء إلى جماعة يزعمون التصوف ويخالفون ما كان عليه مشائخ الطريق من الزهد والورع وسائر الكمالات المشهورة عنهم بل كثير من أولئك إباحية لا يحرمون حراما لتلبيس الشيطان عليهم أحوالهم الشنيعة القبيحة فهم باسم الكفر أو الفسق أحق منهم باسم التصوف أو الفقر . « إعانة الطالبين » ٢٧٧ من الجزء الأول .

(٢) والزيادة على الطريقة وكذا النقصان لا تنتجان فائدة أصلاً بل يخيب ويخسر من دخل=

طريق الفيوض والبركات ، فحفظ الطريقة من المحدثات[1] من أهمّ المهمات والاجتناب عن مخالفة الطريقة من الضروريات ، فكل موضع رأيت فيه مخالفة الطريقة ينبغي زجره ، ومنعه بالمبالغة والاجتهاد في ترويج الطريقة وتقويتها والسلام . انتهى من « الدرر المكنونات النفيسة » من صحيفة ٢٨١ من الجزء الأول .

وفيه في آخر المكتوب السادس والثمانين والمأتين في صحيفة ٣١٤ : فكل طريق مخالفة النفس أكثر فهو أقرب الطرق ولا شك أن رعاية مخالفة النفس في طريقة النقشبندية أكثر منها في سائر الطرق ، فإنّ هؤلاء الأكابر اختاروا العمل بالعزيمة ، والاجتناب عن الرخصة ، ومن المعلوم أن كلاًّ من اجتناب المحرّم والفضول موجود في العزيمة ومرعي فيها ، بخلاف الرخصة فإن فيها اجتناب المحرّم فقط .

فإن قيل : يمكن أن يكون المختار عند أرباب سائر الطرق أيضاً العزيمة !

قلت : إن في أكثر الطرق سماعاً ورقصاً ، وقد يبلغ الأمر فيه حدّ الرخصة بعد تمحُّل كثير ، وأين فيه المجال للعزيمة ؟ ! وكذلك ذكر الجهر لا يتصوَّر فيه ما فوق الرخصة ، وقد أحدث مشائخ سائر الطرق أموراً محدثة في طرقهم لبعض نيّات صحيحة ، نهايةُ التصحيح في تلك الأمور الحكمُ بالرخصة ! بخلاف أكابر هذه السلسلة[2] العلية فإنهم لا

= في الطريقة ولم تراع الآداب ويخترع فيها ما ليست منها فافهم وراجع « تحفة الأحباب » تجد المأخذ (منه من خطه قدس سره) .

(١) وفي « الدرر المكنونات » أيضاً في صحيفة ٢٥٣ من الجزء الأول ونور هدايته المذكور يسرى إلى مريديه بلا واسطة أو بواسطة أو بوسائط ما لم تلوّث طريقته المخصوصة بلوث التغييرات والتبديلات ولم تخرب بإلحاق المخترعات والمبتدعات بها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ . انتهى فراجعه (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

(٢) أي النقشبندية (منه) .

يجوّزون مقدار شعرة من مخالفة السنة ، فتكون مخالفة النفس في هذا الطريق أتمّ ، فيكون أقربَ الطرق ، فيكون اختيار هذا الطريق للطالب أولى وأنسب ، لأنّ الطريق في نهاية الأقربيّة والمطلب في كمال الرفعة .

وقد ترك جماعة من متأخري خلفائهم أوضاع هؤلاء الأكابر ، وأحدثوا في هذا الطريق بعض الأمور ، واختاروا السماع والرقص والجهر[1] ، ومنشأ ذلك عدم الوصول إلى حقيقة نيّات أكابر هذه الطريقة العليّة ، فخالوا أنهم يكمّلون ويتمّمون هذه الطريقة بهذه المحدثات والمبتدعات ، ولم يَدْرُوا أنهم يَسْعَوْنَ بها في تخريبها ، ويَجْتَهِدُونَ في إضاعتها ، والله يحقُّ الحقَّ وهو يهدى السبيل . انتهى .

وفيه في صحيفة ٢٧٨ قبيل المكتوب السابع والستين والمئتين : واختيار الطريقة النقشبندية من بين سائر طرق الصوفية أولى وأنسب . لأن هؤلاء الأكابر قد التزموا متابعة السُنَّةِ السَنيَّة ، واجتناب البدعة الشنيعة ، ولهذا تراهم يفرحون ويستبشرون إذا كان فيهم دولة المتابعة ، وإن لم يكن لهم شيء من الأحوال ! ومتى أحسّوا فتوراً في المتابعة مع وجود الأحوال لا يقبلون تلك الأحوال ولا يبغونها ، **ومن هاهنا لم يجوّزوا الرقص والسماع** ، ولم يقبلوا الأحوال المترتبة عليه باتفاق منهم وإجماع ، بل اعتقدوا ذكر الجهر[2] بدعة ومنعوا أصحابهم عنه ، ولم يلتفتوا إلى ثمرات تترتّب عليه .

كُنْتُ يوما في مجلس الطعام مع حضرة شيخنا فقال الشيخ كمال الذي هو من مخلصي حضرة شيخنا ـ بسم الله الرحمن الرحيم جَهْراً حين شرع في الأكل ، فلم يُناسب ذلك حضرة شيخنا ، حتى قال بالزجر البليغ : امنعوه ! لا يحضر مجلس طعامنا .

---

(١) أي في الذكر .

(٢) لأنه لم يرد في هذه الطريقة إلا السرّ فافهم وراجع (منه قدس سره) .

وسمعت حضرة شيخنا : يقول : إن الخواجه النقشبند قدس سره جَمَعَ علماء بُخَارَى وجاء بهم إلى خانقاه شيخه الأمير كلال ليمنعوهم من ذكر الجهر ، فقال العلماء للأمير : إن ذكر الجهر بدعة فلا تفعلوه . فقال في جوابهم : لا أفعل . فإذا صدر من أكابر هذه الطريقة مثل هذه المبالغة في المنع عن ذكر الجهر ، فما تقول في السماع والرقص ، والوجد والتواجد ، والأحوال والمواجيد التي تترتّب على أسباب غير مشروعة ؟ ! فهي من قبيل الاستدراجات عند الفقير ، فإن الأحوال والأذواق قد تحصل لأهل الاستدراج أيضاً . انتهى .

وفيه في صحيفة ٣٨٢ في آخر المكتوب الثالث عشر والثلاث مائة : إن النفي[١] والإثبات في هذا الطريق بالتخيّل لا دخل فيه للسان والحنك أصلاً . انتهى .

وفيه في تلك الصحيفة : إن كلّ ذكر يستعمل باللسان في هذا الطريق يستعمله المبتدؤن في هذا الطريق بالقلب . انتهى .

وفيه في صحيفة ٨٩ في المكتوب الرابع والخمسين من الجزء الثاني في أثناء بيان درجات المتابعة : وهذا الطريق الآخر ـ بزعم الفقير ـ هو التزام السنّة السنيَّة على صاحبها الصلاة والسلام والتحيّة ، والاجتناب عن اسم البدعة ورسمها ، **ومن لم يحترز عن البدعة الحسنة احترازه عن البدعة السيئة لا تصل إلى مَشامِ رُوحه رائحة من هذه الدولة** . وهذا المعنى متعسّر في هذا اليوم ، فإن العالم مستغرق اليوم في لُجَّة بحر البدعة ، ومطمئنٌّ بظلماتها لِمَنْ المجال في التكلّم في رفع البدعة وإحياء السنّة ، أكثر[٢] علماء هذا الوقت يروّجون البدعة

(١) وفيه أيضاً في موضع آخر أن ذكر الجهر ممنوع في هذا الطريق انتهى راجعه (منه) .
(٢) أي والحال أن أكثر (منه) .

ويمْحُون السنة ، ويفتون بجواز بدعات واسعة ، بل باستحسانها بعلّة تعامل الخلق ، ويدلّون الناسَ عليها ، ليت شعري ماذا يقولون لو شاعت الضلالة وصار الباطل متعارفا ؟ تكون تعاملا ! أما يعلمون أن كلّ التعامل ليس هو دليل الاستحسان ، **والتعامل المعتبر إنما هو ما جاء من الصدر الأوّل وحصل بإجماع جميع الناس**[١] ، كما ذكر في « الفتاوى الغياثية » .

قال شيخ الإسلام الشهيد رحمه الله سبحانه : لا نأخذ باستحسان مشائخ بلخ ، وانما نأخذ بقول أصحابنا المتقدمين رحمهم الله سبحانه ، لأن التعامل[٢] في بلدة لا يدل على الجواز ، وإنما يدل على الجواز ما يكون على الاستمرار من الصدر الأول ، ليكون دليلاً على تقرير النبي عليه الصلاة والسلام إيّاهم على ذلك ، فيكون شرعاً له عليه الصلاة والسلام ، وأما إذا لم يكن كذلك ! لا يكون فعلهم حجة إلا إذا كان ذلك من الناس كافة في البلدان كلها ليكون إجماعا ، والإجماع حجة . ألا ترى أنهم لو تعاملوا على بيع الخمر وعلى الربا لا يفتى بالحلّ ؟ ! ولا شكَّ أن العلم بتعامل كافة الأنام والوقوف على عمل جميع القرى والبلدان خارج عن حيطة قوّة البشر ، بقي تعامل الصدر[٣] الاول الذي

---

(١) وفي « الرحمة الهابطة » ما قاله الفضيل رحمه الله تعالى بهذه العبارة : اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإيّاك وطرق الضلال ولا تغترّ بكثرة الهالكين ، نقله عن الفضيل (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) وفي « شيخ زاده » والباطل لا ينقلب حقاً بكثرة فاعليه وكونه دائما قديما ألا ترى أنّ الرسوم العادية المخالفة للشرع قد مضى عليها دهور وأزمان مديدة وتبدل بأخذها وتمسكها قرنٌ بعد قرن فليس ذلك مما يستدلّ عليه بأن ما جرى طول الدهر بين الناس جرى بحق ، فإن ذلك فيما ليس مخالفاً للشرع (منه) .

(٣) وراجع شرح « شرعة الإسلام » من صحيفة ٩ ففيه ما حاصله إن كل ما كان على خلاف مناهج وطريقة مَن عاصر النبي عليه السلام ثم الذين بعدهم من التابعين والأئمة المجتهدين فهو بدعة وضلالة . انتهى (منه) .

هو في الحقيقة تقريره ﷺ وراجع إلى سنّته فَأَيْنَ البدعة وأين حسنها ؟ !

وكانت صحبة خير البشر ـ عليه الصلاة والسلام ـ كافية في حصول جميع الكمالات للأصحاب الكرام عليهم الرضوان ، وكل مَنْ تشرَّف من علماء السلف بدولة الرسوخ بدون اختيار طريق الصوفية وبلا قطع مسافة بالسلوك والجذبة كان ذلك بواسطة التزام متابعة السُنّة السنية ـ على صاحبها الصلاة والسلام والتحية ـ والاجتنابِ عن بدعة غير مرضية . اللهم ثبّتنا على متابعة السنة ، وجنّبنا عن ارتكاب البدعة بحرمة صاحب السنة عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، انتهى .

وفيه أيضاً في صحيفة ٩٥ من الجزء الثاني في المكتوب الخامس والخمسين : **إن المعتبر في إثبات الأحكام الشرعية** هو الكتاب والسنة ، وقياس المجتهدين وإجماع الأمة أيضاً مُثْبِتَانِ للأحكام ، وبعد هذه الأدلة الأربعة الشرعية لا يكون شيء من الدليل مثبتاً للأحكام أصلا ، لا يكون الإلهام مثبتاً للحلّ والحرمة ، ولا كشف[١] أرباب الباطن للفرض والسنة .

وأرباب الولاية الخاصة مساوية لعامة المؤمنين في تقليد المجتهدين ، لا يوجبهم الكشوف والإلهامات مزيّة على غيرهم في ذلك ، ولا يخرجهم عن ربقة التقليد فيما هنالك ، وذوالنون والبسطامي والجنيد والشبلي مساوُون لزيدٍ وعمرٍو وبكر وخالد الذين هم من عوام المؤمنين في تقليد المجتهدين في الأحكام الاجتهادية ، نعم ! إن مزيّة هؤلاء الأكابر في أمورٍ أخرى . انتهى .

فعلم من هذه المذكورات التي قرّرها الإمام الرباني والغوث

---

(١) وقال الإمام الرباني رحمه الله تعالى : وعلامة صحة الكشف والإلهام مطابقتهما بعلوم علماء أهل السنة والجماعة فإن وقعت المخالفة ولو مقدار شعرة فخارج من دائرة الصواب ، انتهى كذا في الدرر المكنونات في ١١٦ من الجزء الأول (منه) .

الصمداني مجدّد الألف الثاني ـ قدس سره ـ في مكاتيبه عدمُ جواز إحداث بدعة مّا في الطريقة ، كما لا يجوز في الدين ، وعدم جواز اتخاذ تعامل الخلق في البدع ولو كان على طول زمانٍ دليلاً ، وإنّما التعامل المعتبر ما جاء من الصدر الأوّل وحصل بإجماع ، وكذا المعتبر في إثبات الأحكام إنما هو الكتاب والسنة والقياس والإجماع وليس بعدها شيء مّا يثبت الأحكام أصلاً لا الكشف ولا الإلهام . فرُدّ بها قولُ من يقول من[1] متشيّخي ديارنا « إن مشائخه غيّروا اصطلاح النقشبندية » ولذا أثبت الأذكار الجهريّة فيها والصياحات .

وقد قال الشيخ العارف بالله سيف الله الحسيني النقشبندي قدس سره من الالتفات إلى ما سواه تعالى : إنّ واحداً منهم قال في محضره : إن السفهاء لعنهم الله يقولون إن الذكر في الطريقة النقشبندية سرّيّ وذلك منهم كذب ! بل الذكر فيها جهريّ . انتهى من خطه . فانظر إلى قوله بلعنه على الناس بهذا الكلام المفترى ! ! ولا يخفى أن قائل هذا الكلام هو المعرض عن هذه الطريقة على التحقيق ، فينبغي أن يعلم أنّ المعرض عنها على خطر من الدين ، لقول إمام الطائفة وسيد الصوفية الشاه النقشبند قدس سره : **المعرض عن طريقتنا على خطر من دينه .**

وقد حدثتْ أمثال هذه الأقوال في ديارنا الداغستانية من الذين يزعمون أنهم مأذونون من طرف الشيخ عبد الرحمن الثغوري قدس سره ورزقنا فيضه وبركته ، مع أنهم على التحقيق ليسوا بمأذونين منه قدس سره ، بل هم انتحلوا وتصدّروا بأنفسهم ، وافتروا عليه وغيّروا طريقة

---

(١) وقد قال لي أخونا المرشد المأذون الحاج حبيب الله قدس سره إن هذا القائل أنكر ذكر القلب وأبعد كونه ولا شيء أعجب من شيخ لا يعرف ذكر القلب فأفٍّ له ثم أفٍّ والعياذ بالله من الدعوى (منه) .

إذا قيل له : لم تستعملون الأذكار الجهرية في هذه الطريقة النقشبندية مع أنه ليس فيها إلاّ الأذكار القلبية واللطائفية (منه) .

مشائخه القائمين على جادة الاستقامة فيها .

ومعلوم انّ الشاه النقشبند بهاء الدين البخاري الأويسي قدس سره ومن بعده من أكابر هذه الطريقة إلى يومنا هذا أعْرَفُ بالله وبالطريق من هؤلاء بيقين ، فما بالهم لا يمتثلونهم ! بل يغيّرون أصولهم وأوضاعهم ! ! فوالله إنهم حقيق على الطرد والإبعاد ! فكيف يَعدّون أنفسهم من جملة مشائخ الطريقة السنيّة ؟ !

وقد قال الغوث الأعظم خالد البغداديّ قدس سره : من غيّر أصول طريقتنا فليس منا .

وقال الإمام الربّاني : إنّ إنكار هذه الطائفة سمّ قاتل ، والاعتراض على أفعال هؤلاء الأكابر وأقوالهم سمّ الأفْعَى يؤدّي إلى الموت الأبدي ، ويفضي إلى الهلاك السرمديّ[1] انتهى . من « الدرر المكنونات » من صحيفة ٣٨٢ من الجزء الاوّل .

وحيث أن أهل هذه السلسلة العلية عَزِيزُوا الوُجُودِ في هذه الديار ، بل صارت تلك الطريقة النقشبندية السالمة من الكدورات الباقية على أصلها بلا زيادة ولا نقصانٍ كأنها لم تكن في أكثر بلاد هذا الداغستان[2] ، وذا لتطاول الأزمنة من فُقْدَانِ مَنْ يُشَيِّدُهَا ، ينبغي

---

(١) وقال أبو عثمان المغربي قدس سره : لعن الله من أنكر هذا الطريق ومن كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليقل لعنه الله ، وقال أيضاً : من اعترض هذا الطريق لا يفلح أبداً . كذا في « تقريب الأصول » في ٨١ ، راجعه (منه) .

(٢) وهـــذا القول منه حق صادق ... وبـــالقـبول فـي المقام لائق
وحـــكـمـــه لحـــالنا مطابق ... وما لنا سوى تقصير عـــائـق

فيا أيها الإخوان الكرام * والخلان العظام * والعلماء الفخام * عليكم بقبول هذه الوصية * وبذل النصيحة * والتزام المجاهدة * وترك المداهنة * وإزالة البدع عن الطريقة المحمدية * وحفظها عن المحدثات الردية * لأن إظهار الحق * وهداية الخلق * فرض لازم على كل قادر * وحتم واجب على كل ماهر * لا سيما في حق هؤلاء الملتزمين المقتدين بعزائم الشريعة * والمتعلقين بأذيال مشائخ الطريقة * الذين هم خيار هذه الأمة المحمدية * وأفضل=

لمريدي هذه السلسلة ومحبّيهم إِمْدَادُ[1] هؤلاء الأكابر وطلبة هذا الطريق وإعانتهم ، فإن الإنسان مدنيّ بالطبع ، مجبول على التمدُّن ، محتاج في تعيّشه إلى بني نوعه . قال الله تبارك وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ فإذا كان في كفاية خير البشر عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات دخلٌ للمؤمنين فما المضايقة على الآخرين . جعلنا الله سبحانه من الممدّين والمعينين لإحيآء هذه الطريقة العليّة ، وخلّصنا والمنكرين من ورطة الدعوى والشكوى ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ولقد أخبرني بعض العلماء العارفين أنه لقي واحداً يتشيّخ باسم الطريقة النقشبندية بدعوى باطل ، فقال : إن ذكر القلب لم يحصل لي مع أني في الرياضات والمجاهدات من منذ سبع سنين في حجرتي ! فكيف يحصل ذلك لأحد غيري ؟ ! انتهى .

وقال بعضٌ آخر من العلماء : إنه قال إن شيخه قال : إن الشيخ

=صلحاء هذه العصور المتأخرة * لأن في وقوعهم في قيود قطاع الطريق * واصطيادهم في شبكة سراق هذا الفريق * وحرمانهم عن مقامات أهل الطريقة * وانحطاطهم عن كمالات أهل الحقيقة * فتنة عظيمة * ومضرة عميمة * فيلزم على كل أحد إزالة شبهتها * وإبانة صفوتها * ويتأكد الاهتمام لشأنهم * والاعتناء لأمرهم * في مثل هذا الوقت الذي كثر فيه المتشيخون * وقلّ من ينبههم على حالهم وهم يعلمون * وبهم مال عن الحق كثير من الورى * وذلك مما عمّت به البلوى * وبث به الشكوى * وأنا أسئل الله تعالى الإعانة على البر والتقوى * هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى * ولا حول ولا قوة إلا بالله * هذا والسلام * وأوصيكم بالدعاء * انتهى « رحمه الله » .

(١) قال صاحب « اتحاف السادات المتقين » بشرح « أسرار إحياء علوم الدين » في أثناء ما نقله من كتاب الذريعة أن العالم أفضل المجاهدين الذابين عن الدين فالجهاد جهادان جهاد باللسان وجهاد بالبنان انتهى فراجعه في ٣١٩ ج ١ . وقال الإمام الرباني قدس سره : إن الجهاد القولي أفضل من جهاد القتل كذا في الدرر في ٧٧ من ج ١ . وقال القاضي البيضاوي في تفسير قوله تعالى ﴿ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾ أن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف ، راجعه من سورة الفرقان (منه) .

الحاج عبد الرحمن العسلي ـ قدس سره ـ لم يصل إلى درجة نفوذ الذكر في قلبه ، فكيف يصل إلى درجة الإرشاد ؟ ! انتهى .

فأقول : لو قام هذا الرجل غفر الله ذنبه قبالة الشيخ المذكور العسلي ـ قدس سره ـ ليتوجه إليه مرّة واحدة وترك الرياضة الشاقة في تلك السنين العديدة لعلم حياة قلبه ، بل يرتعش بالذكر ارتعاشاً عجيباً ، فإنه ـ قدس سره ـ توجه إلى هذا الفقير(٢) مع عدم الاستعداد في أول يوم وصل لديه بتوجه واحدٍ فصار القلب حياً يتحرّك بحركات لا يثق بها غير من ذاقه ورآه .

وله قدس سره مريدون كثيرون وصلوا إلى مرتبة الولاية الذين ربّاهم من الابتداء بتلقين الذكر على جميع اللطائف ، الأمريّة والنفي والإثبات ، والمراقبات .

وقد كان هو أتمّ الطريقة النقشتندية بالسلوك إلى أن يصل إلى الانتهاء ، ولا أدري شيئاً أعْجَبَ من نسبة هذا القائل إليه قدس سره عدمَ نفوذ الذكر في قلبه ! مع كونه قطب الإرشاد على التحقيق في هذا الإقليم ! ومن تصدّره هو للإرشاد والتلقين مع اعترافه أنه لم يصل إلى مرتبة(٣) ذكر القلب ولا يدري ما هي ؟ ! فهذان القولان من هذا البعض هداه الله إلى سواء الصراط ناشئان من عدم إدراك حقيقة معاملة أكابر السادات النقشبندية ، بل هما منبئان من عدم خروجه من دائرة الجهل المركب إلى حيطان العلم المفصِّل .

---

(٢) يعني مؤلف هذا الكتاب .

(٣) مع أن أول قدم يضعونه في الذكر القلبُ كما هو مذكور في كتبهم راجع الحديقة في ٩ ، ولو كان شيخ هذا القائل شيخاً لحصل له حياة قلبه . وعدم حياة قلبه ، دليل على عدم كون قلب شيخه حيّاً . لأنهم قالوا : إنما يحيي القلب بقلب حيّ وطريقتهم انعكاسية وانصباغية وانصبابية من قلب إلى قلب لا تحصل نسبتهم بلقلقة اللسان كما هو متعارف لدى كل من له ذوق ووجدان (منه رحم الله إفلاسه) .

فها أنا أفصّل لك كيفيّة معاملة النقشبندية .

مبحث مهم في طريق النقشبندية

قال الإمام الرباني قدس سره : إن هذا الطريق الذي نحن في صدد[1] قطعه كله سبع أقدام بعدد اللطائف السبع الإنسانية ، قدمان منها في عالم الخلق يتعلّقان بالقالب ـ أعني البدن العنصري والنفس ـ ، وخمسة منها في عالم الأمر مربوطة بالقلب والروح والسرّ والخفيّ والأخفى ، وفي كل قدم من هذه الأقدام السبع ترتفع عشرة آلاف حجاب ، نورانية كانت تلك الحجب أو ظلمانية ! « إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة » ففي القدم الأولى التي توضع في عالم الأمر يظهر التجلّي الأفعالي ، وفي الثانية التجلّي الصفاتي ، ويقع الشروع في التجليات الذاتية في الثالثة ، ثم ، وثم على تفاوت درجاتها كما لا يخفى على أربابها ، وفي كل خطوة من الخطوات السبع يبعد السالك عن نفسه ويقرب من ربِّه سبحانه ، حتى يتمّ القرب بتمام هذه الأقدام ، فحينئذ يتشرَّف بالفناء والبقاء ، **ويبلغ**[2] **درجة الولاية الخاصة.**

واختار مشائخ النقشبندية العلية قدس الله أسرارهم السنية ابتداء هذا السير من عالم الأمر ، وهم يقطعون مسافة عالم الخلق أيضاً في ضمن هذا السير ، بخلاف مشائخ سلاسل أخر قدس الله أسرارهم ، ولهذا كان طريق النقشبندية أقرب الطرق ، فلا جرم صارت نهاية غيرهم

---

(١) وفي نسخة : في صدده .

(٢) ورأيت في « المناقب الأحمدية » أن الوصول إلى مقام الولاية وحصول المقامات العشرة التي هي التوبة والإنابة والزهد والقناعة والورع والصبر والشكر والتوكل والتسليم والرضاء في الطريقة النقشبندية بالإجمال فإن نسبتها إجمالية جذبية وفي السلاسل الأخر بالتفصيل فإن نسبة أهاليها تفصيلية سلوكية فراجعه من ص ١٠٥ (منه أعلى الله درجته ورزقنا نصيباً من فيوضاته) .

مندرجة في بدايتهم ، « يدل على حسن الزمان ربيعه » .

وطريق هؤلاء الأكابر هو بعينه طريق الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ، فإنّ ما حصل للأصحاب في أوّل صحبة خير البشر ـ عليه وعلى آله الصلاة والسلام ـ بطريق اندراج النهاية في البداية قلّما يحصل لكُمّل الأولياء في النهاية ، **ولهذا كان الوحشيّ قاتل حمزة رضي الله عنه أفضل من أويس القرني** الذي هو خير التابعين لنيله صحبة النبيﷺ مرة واحدة .

سئل عبد الله بن المبارك : أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : والله للغبار الذي دخل أنف فرس معاوية مع رسول الله ﷺ خير من عمر بن عبد العزيز كذا مرة .

فينبغي أن يتأمّل في أنه إذا كان بداية جماعة بحيث اندرجت فيها نهاية غيرهم ماذا تكون نهايتهم ؟ وكيف يسعها إدراك الآخرين ؟ ! ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ . انتهى من « الدرر المكنونات » من صحيفة ٧٠ من الجزء الأول في المكتوب الثامن والخمسين .

وفيه أيضاً في ٣٠٤ في المكتوب الحادي والثمانون والمائتان : إنّ الخطوة الواحدة في هذه الطريقة أفضل من سبع خطوات في طرق آخر . انتهى . وفي « الحديقة النديّة » في ١١ من هامش « أصفى الموارد » إن التزكية – يعني تزكية النفس – باستعمال الخدمات والرياضات[1] الشاقات التي تنكسر بها النفس مقدّمة[2] على التصفية – يعني تصفية

---

(١) والرياضات والمجاهدات في هذا الطريق إنما هي بإتيان الأحكام الشرعية والتزام متابعة السنة السنية ورفع أهواء النفس الأمارة مربوط بإتيان الأحكام الشرعية واجتناب البدعة الغير المرضية كذا في « الدرر » في ٩٩ من الجلد الأول (منه رحمه الله) .

(٢) وفي « الحدائق الوردية » في ١٨٤ ما ينبغي مراجعته لمن أراد أن يدرك حقيقة هذا الكلام (منه) .

القلب مما سوى الله – عند أكثر المشائخ ، بخلاف النقشبندية ! فإن طريقهم على العكس[1] قالوا بعدما يتوجه الإنسان إلى التصفية ، والتوجُّه الحقِّ بالصدق يحصل له من التزكية بإمداد جذبة من جذبات الرحمن في ساعة ما لا يحصل لغيره من الرياضات والسياسات في سنين ، بناء على تقديم الجذبة عندهم على السلوك ، **فإن سلوكهم مستدير لا مستطيل** ، وإنّ أوّل قدمهم في الحيرة والفناء .

كما قال بهآء الدين النقشبند – قدس سره – : **بدايتنا نهاية الطرق الأخر** .

وقال أيضاً : معرفة الحق حرام على بهآء الدين لو لم تكن بدايتُه نهايةَ أبي يزيد البسطامي .

وفيه أيضاً : إن صحبة الحق تعالى بالقلب إذا تحقق لا تنافي خلوتك ولا جلوتك ، بل تكون مع الناس في الظاهر ، وقلبك مع مولاك بصحبته ظافر ، وهذا هو مبنى الطريقة النقشبندية رضي الله عنهم في ابتدائهم وانتهائهم ، خلوتهم في جلوتهم ، يتم سلوك السالك منهم وهو مع الناس يعتزلهم بقلبه ويجالسهم بجسمه[2] ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ** ﴾ ﴿ **ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ** ﴾ انتهى ١٠ .

---

(١) فإن تزكية النفس إنما هي بعد تصفية القلب في هذا الطريق ، كذا في « الدرر المكنونات » في ١٧٠ من الجلد الأول (منه) .

(٢) وقد ذكر صاحب « الحدائق الوردية » في ترجمة بهاء الدين النقشبندي قدس سره أنه قال له ملك من الملوك وأنكر : هل في طريقكم ذكر الجهر والخلوة والسماع ؟ قال : لا . قال : فماذا طريقكم ؟ قال : هو كما قال سيّدنا الشيخ عبد الخالق الغجْدُوَاني – قدس الله سره العزيز – : الخلوة في الجلوة . قال : ما معناه ؟ قال : هو أن يكون العبد في الظاهر مع الخلق ، وفي الباطن مع الحق .
وأنشد بالفارسية بيتاً عرَّبه في « المناقب » فقال :
ففي باطن كُنْ صاحباً غير غافل   وفي ظاهر خالط كبَعْض الأجانب
قال الملك : أوَيُمْكِنُ هَذَا ؟ قال : نعم فإن الله تعالى يقول ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ** ﴾ . انتهى فراجعه من صحيفة ١٣٦ (منه رحم الله إفلاسه) .

فهذه هذه مَنْ تمسّك بمضمونها فقد تمسّك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، ومن خالفها وأنكرها فسوف يردى في الهاوية بحيث لا رجاء للخلاص منها ، عياذاً بالله من مخالفة الله ورسوله وأوليائه آمين .

ولأجل وُجدان البدعة في هذه الطريقة النقشبندية في هذه الديار الجبلية - كما بيّنتُ لك أصنافاً من المرتكبين بها - قد صارت كأنها سُنَّة ، وصارت أصولها الموافقةُ بالسُنَّة كأنها بدعة ، لتطاول زمن العمل بالبدع وفُقْدَانِ مَن يظهرها من العلماء ، ولا شكَّ أن هذا زمان قرب القيامة بدليل حديث « لا تقوم الساعة حتى تصير السنة بدعة » فإذا تُرِكَتْ يقول الناس تركت السنة بسبب إحْدَاثِ أبْعَاض أهالي سلسلة هذه الطريقة النقشبندية من عند أنفسهم بوهميّاتهم الفاسدة مخترعاتٍ ، ظانِّين أنهم على النهج القويم والطريق المستقيم ، بسبب تخيُّلهم[1] الهوى والشيطان أنهم الأئمّة العظام ، وأزِمَّة الإسلام ، مع أنَّ أمْرَهُمْ معكوسٌ لَدَى ذوي العلم والعرفان من الأنام ، وقصور نظرهم في نصوص أئمّة الطرق باستنادهم على واهيات الأوهام وسواقط الأعذار ، ولعدم مَنْ يُنَبِّهُهُمْ على نَقْصِهِمْ ولَوْ وَاحِداً من العلماء الأخيار ، ألجَأني[2] الغيرة الإلهيّة إلى تَأْليف هذا الكتاب ، مع علمي عدمَ أهليّتي لذلك رَجَاء أن يكُونَ عَوْناً لجانب أكابر الطريقة ، وسبباً لإحياء السنة السنية .

وقد قال الإمام الربَّاني في بَعْض مكاتبه : لا بدَّ من مُلاحظة جانب الأكابر فإنها ضروريّة ، فإن تتكلَّمُوا في محدثات المدَّعين ومخترعاتهم فله مساغ . انتهى .

وما تكلَّمت في حق مَنْ ذكرتهم في هذا الكتاب طعناً في ولايتهم ،

---

(١) وفي نسخة : تخييلهم .

(٢) وفي نسخة : ألجأتني .

فكيف وقد قال تعالى : « أوليائي تحت قبابي[١] لا يعرفهم غيري » ؟ ! فأعاذنا الله من ذلك ، بل نعتقد في جميعهم أنهم أولياء أبرار ، وصلحآء أخيار ، ولكن الولاية لا تورث العصمة ، وهي من خصائص النبوَّة لا من خصائص الولاية ! وقد يخطأ الوليُّ والصالح ، فالواجبُ على مَنْ اطّلع على خطأ أخيه المسلم أن ينبِّهه على خطئه ، ويقيمه عن عوجه ، كما هو المرجوّ من كلّ أحد في حَقِّنا .

وإنما مُرَادِي من ذكر أصناف المتشيّخين إعلامُ أهل الله أنهم ليسوا من أهْل التربية والإرشاد ، وإن جاز أن يكونوا من المجاذيب الذين يُعْتَقَدُونَ ولا يؤخذ عنهم ! ولم أقل في حقهم قولاً ما سبّاً لهم وعِتاباً ، بل إنما ذكرتهم تنبيهاً وتحذيراً[٢] لهم ولمن تبعهم ، ومن هذه الحيثيّة يجوز ذكر أوصاف الناس فلا يَصْدُق عليه تعريف الغيبة ، بل قد يجب[٣] ذلك على كل أحد إذا تطرَّق الخلل في ظاهر الشرع ، فإذا رأينا في واحد شيئاً يخالف ميزان الشريعة[٤] يجوز لنا أن ننكره ونردَّه ، نصرة للشريعة الغرّآء ، فإن كان صاحبَ حال صحيح وردّدناه فما علينا من رده بحكم

---

(١) وفي نسخة : قبائي .

(٢) راجع شرح « سلك العين » من بيت : تحذيراً لا سباً أروم الخ (منه) .

(٣) وقد قال الشعراني في « الأنوار القدسية » : واعلم أنه لا بأس بتبيين عيوب أهل الدعاوى لينزجر من يريد أن يتبع طريقهم انتهى (منه رحم الله إفلاسه) .

* وليس من شرط وليّ الله أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطئ بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين ، ولذا لا يجب على الناس أن يعمل بجميع ما يقول من هو وليّ لله إلا أن يكون نبيّاً ، بل ولا يجوز لوليّ الله أن يعقد على ما يلقى إليه في قلبه إلا أن يكون موافقاً وعلى ما يقع له مما يراه إلهاماً ومحادثة وخطاباً من الحق ، بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ ، فإن وافقه قبل وإن خالفه لم يقبله ، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف توقف فيه . كذا في « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » للشيخ الإمام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي . فراجعه من صحيفة ٨٢ وفي ٠٣ . (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

(٤) وميزان الطريقة أيضاً (منه) .

الشرع ، كذا في « شرح تائية السلوك[1] » . ويدلّ عليه[2] إنكار موسى على الخضر عليهما السلام فيما فعله خلاف شريعته في الظاهر .

وفي « المنن الكبرى[3] » ما حاصله : يجب الردّ على مَن خالف كلامه صريح السنة المحمدية أو قواعد علمائها . انتهى .

ونقل الشيخ محي الدين العربي في « الفتوحات المكيّة » إجماع المحققين على أن من شرط الكامل أن لا يكون عنده شطح عن ظاهر الشريعة . انتهى (منه) ٢٤٢ ولا أقول[4] قطّ في حق المشائخ الصادقين شيئاً مَّا فيه رائحة ترك أدبهم تعصّباً بشيخي أو تفاخراً به ، بل أنا أُقَبِّلُ التراب من تحت أقدامهم ، ولا أميّز بين أولياء الله ، بَيْدَ أنه لمّا كان لتقديم تفريد الشيخ حَقٌّ على المريد ، بل كان الأمر كله مَبْنياً على اعتقاده فيه ! مَالَ الأمر إلى تصديق مَا يفعله شَيْخِي وتكثير ما يَقُوله ، ولو وَجَدْنا ولو واحداً قام على نهج الاستقامة في تلك الطريقة النقشبندية غيره فَنَحْنُ في إعَانَتِهِ قائمون ، وعلى تصديقه مائلون ، والله يهدي من يشاء ، وهو يتولّى الصالحين . جعلنا الله تعالى وجميع من ذكرناهم من الذين فَنَوْا فَبَقَوْا ، ونظروا فتحقّقوا ، واجتهدوا فغابوا في الوجود ، ونالوا بالشهود . آمين يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين .

وبالنظر إلى شطحات أهل هذا العصر واختراعاتهم سنح لي أن أرَتِّب هذا الكتاب على أبواب ، مبيّناً فيها خرافات أهل القصور ، وخزعبلات أهل الفتور ، مع ردّ ما يفعلونه بمجرَّد الرأي والظنون ،

---

(١) وراجع « الفتوحات المكية » في الباب صحيفة ١٨٥ و« الكبريت الأحمر » في صحيفة ٩٠ من هامش « اليواقيت » (منه) .

(٢) أي على جواز الإنكار إذا . . . الخ .

(٣) في ٥٤٢ من الجزء الأول .

(٤) وفي نسخة : ولم أقل .

بسيوف الدلائل والنصوص ، وقد أوْضَحْتُ فيها كيفية الطريقة النقشبندية ومبناها ، وبسطت فيها كلاما يشعر مطابقتَها على الكتاب والسُنَّة وتلك منتهاها ، وعدمَ كون شيء من أصولها وفروعها يخالف قواعد أهل الإرشاد من الأئمة وما اصْطَلَحُوا عَلَيْهَا ، وأوقعت في أثنآء الأبواب أموراً غامضة ومهماتٍ نفيسةً لا بدَّ لسالكي طريق الله من التطلّع إليها[1] والتَمَسُّكِ بمضمونها ، فصار جميع الأبواب تسعاً وعشرين :

الباب الأول : في بيان عدم جواز التصدّر للإرشاد لمن ليس له إذن صريح من الشيخ الكامل ، ووجوب الاعتراض على حاله .

الباب الثاني : في بيان عدم جواز كون المجذوب شيخاً مرشداً .

الباب الثالث : في بيان إقامة الناقص على مقام الإرشاد لَوْ أذن له الكامل .

الباب الرابع : في بيان أنّ مقام الأخذ عن النبي عليه السلام مقامٌ عزيزٌ قلّ مَن يقع له في هذا الزمان الفاسد .

الباب الخامس : في بيان كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعدم جواز القيام بأمر التلقين بقول إنه آمِرٌ بالمعروف .

الباب السادس : في بيان بطلان دعوى من يدّعي أن تلقين أذكار السلوك للعوام حرام للشيخ النقشبندي . وهو بابٌ جامع للمطالب التي أكثر الخلق عنها غافلون .

الباب السابع : في ردّ دعوى مَن يقول لا يجوز للشيخ النقشبندي تلقين الذكر إلا لمريد له نفس مطمئنة ، فهذا الباب وإن كان مَآله داخلاً في الباب السابق ! لكن جعلته باباً على حِدَةٍ نظراً إلى انفراد من يَزْعَمُ

---

(١) وفي نسخة : عليها .

بخصوص[1] التلقين بمن له نفس مطمئنة .

الباب الثامن : في بيان جواز تلقين الذكر للتبرّك والانتساب لا للسّلوك والتربية ، وهذا وإن كان مفهوماً ممّا ذكر في الباب السادس ! جعلته باباً منفرداً ليتطرّق إليه ردّ من يزعم أن تلقين ذكر التبرّك يجوز لعالم أو صالح أو وليّ وإن كانوا غير مأذونين من المشائخ .

الباب التاسع : في بيان فوائد الانتساب إلى النسبة العلية ولو كان للتبرّك والتشبه .

الباب العاشر : في بيان كيفية تلقين الأذكار على قاعدة القادريين .

الباب الحادي عشر : في بيان جواز انقطاع المريد من شيخ ودخوله في عهد شيخ آخر حين غاب الشيخ الأول أو مات أو كان حيّاً وحاضراً وفيه من المطالب ما ينبغي أن يقف عليها كل من له اهتمام بالدين .

الباب الثاني عشر : في بيان أن الطريقة النقشبندية سالمة من البدع باقية على أصلها وأنها أقرب الطرق وأسهلها وأفضلها وفيه وَصْلٌ في بيان خصائصها ولطائفها ومحاسنها وفيه أمور نفيسة ، لا بدّ للسالك من الاغتراف ممّا فيها والاكتراع من شراب زُلالها .

الباب الثالث عشر : في بيان أفضليّة الذكر الخفي على الذكر الجهري وأفضلية الأعمال الباطنة على الأعمال الظاهرة وفيه من المهمات ما ينحلّ به الإشكال عن قلوب علماء الظاهر فعليهم الاحتظاظ من غنائم ما فيه .

الباب الرابع عشر : في بيان فضيلة لفظة الجلالة وخواصه وبيان الاختلافات في أن الذكر القلبي هل يثاب عليه أم لا ؟ وهو باب طويل

---

(١) أي جوازه .

فيه عِدَّةُ مَنَافِعَ ينبغي التفطّن لها والعِلْمُ بها .

الباب الخامس عشر : في بيان عدم جواز الإرشاد في بلدة مثلاً إلاّ للشيخ السابق فهذا الباب مما غفل عنه أكثر الخلق في هذا العصر فلا بدّ لكلّ ناظر إلى هذا الكتاب أن يطّلع عليه ويوزِنَ أحوال متشيّخة ديارنا بميزان ما فيه .

الباب السادس عشر : في بيان أن أخذ الطريقة والذكر من المتشيّخ الغير المأذون يضرّ للآخذ والمأخوذ منه كليهما .

الباب السابع عشر : في بيان جواز الذكر بلا انتساب إلى شيخ مرشد وبيان أن شرط الذكر النافع أخذه من أهله .

الباب الثامن عشر : في ذكر المواعيد الواردة من السلف لمن جلس في مقام المشيخة بالدعوى وفي بيان من يصلح للإرشاد ومن لا .

الباب التاسع عشر : في بيان سبب اعتقاد الناس في المتشيّخ الناقص وعدم اعتقادهم في الشيخ الكامل وفي بيان أنّ الأمور كلها تابعة للاعتقاد لا للمشائخ ! ولو كانوا من أقرب المقربين .

الباب العشرون : في بيان غرور الشيطان في إظهار التواجد من حيث يظنّ الناس أنهم على شيء .

الباب الحادي والعشرون : في بيان قاعدة التلقين وكيفية أخذ الذكر .

الباب الثاني والعشرون : في بيان أن الكرامة ليست بشرط في كون الإنسان وليّا مرشداً وفي بيان أن ظهورها محلّ الفتنة والانقطاع عياذاً بالله .

الباب الثالث والعشرون : في ردّ دعوى من يقول لا يجوز اتخاذ

الشيخ وأخذ الطريقة منه . ويطعن على المريدين ويستهزئ بهم . وفي هذا الباب أشياء نافعة لا غنى عنها لكل من له اهتمامٌ في الدين .

الباب الرابع والعشرون : في وجوب ملازمة المريد على ما أمر به شيخه من الذكر .

الباب الخامس والعشرون : في بيان من يجوز أن يرابط به ومن لا ؟ !

الباب السادس والعشرون : في بيان عدم جواز كون الجاهل داعياً إلى الله وبيان بعض أوصاف الشيخ المرشد .

الباب السابع والعشرون : في مسائل متفرقة متعلقة بأحوال المتشيّخة من عدم جواز طلب الحظوظات بشيء من أعمال الآخرة ووجوب كون الدعوة[1] خالصة لوجه الله .

الباب الثامن والعشرون : في ذكر الطرائق المجتمعة في هذه الطريقة النقشبندية وفيه من الأمور المهمّة ما لا بدّ للسّالك الحقيقيّ من المراجعة إليها .

الباب التاسع والعشرون : في بيان كون ما يفعله النقشبنديون في طريقتهم من الآداب وغيرها موافقاً بالأدلة من الكتاب والسنّة أو آثار السلف من أهل السنة والجماعة .

فَوَفْقَ ما مرّ في الفهرسة من الترتيب **أقول في التفصيل** ، والله وليّ التوفيق .

---

(١) أي دعوة الخلق إلى الله تعالى (منه قدس سره) .

الباب الأول

في بيان عدم جواز التصدر للإرشاد لمن ليس له إجازة صحيحة وإذن صريح من طرف الشيخ الكامل وفي بيان وجوب الاعتراض على حاله

قد كتب وَاحِدٌ من العلمآء العارفين ـ رزقه الله التوفيق والاستقامة ونفع الله تعالى به العباد إنه وليّ الهداية ـ حين ظهر له في واحدٍ كونَهُ من أهل الدعوى ما حاصله : إني اجتمعت بهذا الرجلِ وسألته عن أشياء فلم يعلمها بل أجاب بأكاذيب مختلفة يناقض بعضها بعضاً وقال : إنه شيطان الدين وإنه خليفة مُسيلمة الكذّاب وكلّ ما يقوله من قبيل الخرافات والخزعبلات . وقد هَمَمْتُ مرة أن أكتم أمره لولا تذكرت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي مضمونه : « أنه ستظهر أهْوآء وبدع فعلى العالم الذي سكت عن إنكارها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » . فأظهرت إنكاره على رؤوس الأشهاد لأخرج عن عهدة السكوت على البدعة والضلالة فالواجب أولاً استتابته فإن أصرّ على ما ادّعاه ولم يتب عن أساطيره المخالفة أكثرُها للشرع فيجب تقديم قتله على الوثنيّ والمجوسيّ ، إِذْ ضرره للدين أعظم من ضررهما . انتهى من خطه اختصاراً .

وكتب أيضاً لرَدِّ قول مَنْ يُصدّقه أنه بَوٌّ[1] لا عقل له وهو والحمار في المعرفة سواء فلا عبرة بقوله ، فلعنة الله على الكاذبين . انتهى .

وقد كان الحقير الفقير ـ مؤلف الكتاب ـ ثقل عليه هذا الكلام أوّلاً من هذا العالم المذكور لكنه وجد كلامه حقاً صادقاً وقبوله واجباً

(١) البوّ ـ جلد ولد الناقة المملو بالتبن وغيره كذا في « سعد الله » .

مطابقاً للنقل لما أن أكثر الفتنة في هذه الديار من جهة أهل الدعوى ومن أقوالهم وهم قطاع طريق الله ، ونوّاب الدجّال أخلى الله البلاد عن أمثالهم . آمين .

وقد نقل ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » (راجعه في ٢٧) عن الغزالي وقال : وقد قال الغزالي رحمه الله تعالى في نحو هؤلاء الفرقة : إن قتل الواحد منهم أفضل من قتل مائة كافر[١] . أي : لأنّ ضررهم بالدين أعظم وأشدّ إذ الكافر تجتنب عنه العامة لعلمهم بقبح حاله ، فلا يقدر على غواية أحد منهم ، وأما هؤلاء فيظهرون للناس بزيّ الفقرآء والصالحين مع انطوائهم على العقائد الفاسدة والبدع القبيحة ، فليس للعامة إلا ظاهرهم الذي بالغوا في تحسينه وأما باطنهم المملوء من تلك القبائح والخبائث ! فلا يحيطون به ولا يطَّلعون عليه[٢] لقصُورهم عن إدراك المخايل الدالّة عليه فيغترون بظواهرهم ويعتقدُونَ بسببها فيهم الخير فيقبلون ما يسمعُونَ منهم من البدع والكفر الخفي ونحوهما ، ويعتقدونه ظانِّين أنه الحقّ فيكون ذلك سبباً لإضلالهم وغوايتهم فلهذه المفسدة العظيمة قال الغزالي ما قال من أنّ قتل الواحد من أمثال هؤلاء أفضل من قتل مائة كافر ، لأن المفاسد والمصالح تتفاوت الأعمال

---

(١) ونقل ابن حجر مثله في التحفة في كتاب الردة فراجعه (منه) .

(٢) وفي « هداية البداية » أن المبتدع الذي يدعوا إلى البدعة ويزعم أن ما يدعوه حق فهو سبب لغواية الخلق فشرّه متعد ، فالاستحباب اظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه . انتهى فراجعه (منه) .

* وقال مصطفى محمد العروس الشافعي في آخر عقائده بعد إيراده كلاما في حق المشائخ الصادقين ، غير أنّي بذلا للنصيحة أحذرك عن متابعة مشائخ هذا الوقت ممّن لا يثمر الاجتماع بهم سوى المقت ، إذ هم قطاع طريق الله على عباده وأعداء الأولياء الداعين إلى سبيل رشاده حيث لا همّة لهم إلا جمع العرض الفاني ولا سعي لهم إلاّ في تجريد القاصي والداني أزاحهم الله من جميع البلاد وأراح عنهم الدواب والعباد ، فانهم قد سوّلت لهم أنفسهم أشياء وهميّة فانتصبوا بذلك مفسدين للطريقة المحمدية . انتهى . (منه رحمه الله تعالى) .

بتفاوتهما وتتزايد الأجور بحسبهما . انتهى .

فتفكَّر الآن فيما يترتب على أهل الدعوى وقد فشى[1] بسببهم البلوى وعمّت بهم الشكوى وخرّبوا طريقة الإمام النقشبنديِّ بالكلية وقالوا : إنّ العامي لا يطيق حملها ، ولا يجوز أخذها إلاّ لمن له حضور تام ، وإنّ الذكر القلبي حرام إلا لمن له نفس مطمئنة كما صرح به بعضهم لدى الفقير مراراً وكتب إليه بعضهم بعَيْنِهِ فبسبب أقوالهم اجتنب الأكثرون من أخذها وفاتت منهم المنافع الحاصلة للدّاخل فيها من الحضور والجمعيّة وَحَيَاة القلب وطرد الغفلة ، فأيّ فتنة أشدّ من هذا وأيّ ضرر أعظم من طرد الناس عن السلوك في طريق الله ! ! فإنا لله وإنا إليه راجعون .

قال بعض العارفين[2] قدس سره في مكتوباته في الفصل السادس قالوا : المشائخ ـ أي ما يطلق عليه اسم الشيخ ـ ثلاثة ؛ منهم من ليس في يده تصرّف في المريد وتأثير فيه ؛ فهم كالعوام بل هم أضلّ من الأنعام ليس فيهم المشيخة إلاّ اسمه ورسمه كما هو حَال أكثر مشائخ الزمَان .

وقال مولانا خالد السليماني مجدّد المائة السابعَة : ويجب الاعتراض على حَالهم والإنكار عليهم لأنهم ضاعوا وأضاعوا الناس لحبس الناس عن ذهاب باب أهل الكمال ومنعهم عنه ، ولكونهم سبَبَ حِرْمانهم عن الكمال ، وفيهم الوعيد خصُوصاً إذا كانوا جاهلين بأمر الدين انتهى . وقال الشيخ سليمان الزهدي قدس سره : إنهم يحسبُونَ أن الطريقة وضع رسم وتصاوير ، وأنّ المشيخة تصنُّعٌ وتدابر ، بكمال

---

(١) وفي نسخة : ظهر .

(٢) وهو محمود أفندي قدس سره (منه) .

جهلهم عن أسرار المشيخة وحكم الإله ، وقلّة عقلهم بما يُعينهم إلى الصلاح ، وهم قُطَّعُ طَرِيق الأوّاب ، وَمُفرِّقوا جَمْع الأحْبَاب ، بل هم أضرُّ على الإخوان من المنكِر المغتاب ، ووقع شباكهم بعض الحدأة والغراب .

عن ابن عمر رضي الله عنه « إنما أهلك مَنْ قبلكم الفِرَقُ » .

عن عرفجة بن شريح : ستكون هنَّات وهنَّات فمن أراد أن يفرّق أمْرَ هذه الأمّة فاضربوه بالسيف كائناً من كان . وهو شاملٌ مِثْلَ هذه الفِتَنِ والتفريق عصمنا الله بالتوفيق . انتهى من مجموعة الرسائل .

وقال خاتمة المرشدين محمد بن عبد الله الخاني في « البهجة السنية » : قال الرازي رحمه الله تعالى : **ولا يخفى أنّ مَنْ تصدَّر للمشيخة من غير إذن فما يفسده أكثرُ مما يصلحه ، وعليه إثم قاطع الطريق** ، فإنه بمعزل عن رتبة المريدين الصادقين ؛ فضلاً عن المشائخ العارفين .

قال : وإيّاك أن تَصْحَبَ أحَداً من المدّعين للطريق بلبس الزيّ[1] ،

---

(١) وقد قال الإمام الرباني أحمد الفاروقي مجدد الألف الثاني قدس سره : إن المرشد من تستفيد منه طريق الوصول إلى جناب قدس الحق جل سلطانه وتجد منه مَدَداً وإعانة في هذا الطريق ومجرّد لبس الكلاء والخرقة وأخذ الشجرة وغيرها مما صار عرفاً ورسماً بين الناس كلها خارجة عن حقيقة المرشدية والمريديّة وداخلة في الرسوم والعادات إلاّ أنّ الخرقة إن حصلت من الشيخ الكامل المكمّل وعاملت بها بالاعتقاد والإخلاص فاحتمال حصول الثمرات والنتائج قويّ في هذه الصورة كذا في « الدرر المكنونات » في ١٦٢ من الجلد الأول فراجعه ومعنى الكلاء والشجر كتاب رسم فيها اسمآء المشائخ وذلك القول جار بين الفقرآء والمشائخ جريان المثل السائر وذلك أن بعض السالكين يسعى خلف الإجازة كما هو غالب زماننا ثم يجتهد في تحصيل صك الإجازة كيف كان من بعض المتشيّخين ويعطون ذلك حين طلبه منهم ويحسب أنه صار بذلك مرشداً وبعضهم يعطى له لباساً من ثيابه فبعد مدّة يسعى خلف المريدين قائلاً أنه مأذون من شيخ كذا ويخبر أن في يده صك الإجازة وأنه مجاز وفي يده الشجرة بأسماء المشائخ فلأجله يقولون في حق أمثالهم ولا يكون الطريقة بالخرقة والشجرة بل بتهذيب وفي بعض النسخ بالكلاء والشجر كذا ذكره بعض العارفين في بعض مكاتبه قدس الله سره (منه قدس سره) .

أو تَدَعَهم يأخذون عليك العهد ، فإنه آذى من الثعبان ، وذلك أنك تشهد الأذى من الثعبان فتأخذ منه حذرك ، ولا هكذا من ظهر مظهر الصلاح وهو في الباطن شيطان في زيّ إنسان . انتهى .

وفي كتاب « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » قبيل الفصل الخامس عشر : قلت : والتصدر للشيخوخة بغير إذن شيخ كامل خطر جداً لأنه يكون سبباً لسوء الخاتمة ، وإنْ لم يتب فاعله فلا يموت إلا كافراً .

وفي « جواهر المعاني » : ذكر أهل الكشف أموراً أنّ مَن فعل واحدة منها ولم يتب منها يموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى ، وهي دعوى الولاية بالكذب وادعآء المشيخة ، وهي التصدر لإعطآء الورد من غير إذن انتهى ، والله تعالى الموفق بمنه للصواب ، وإليه سبحانه المرجع والمآب انتهى . راجعه في صحيفة ١١٠ من هامش « جواهر المعاني » من الجزء الأوّل .

وورد إليّ كتابٌ من طرف أخينا المعنويّ العالم الأوحدي الأمير سيف الله الحسيني النقشبندي القادري الأويسي الغازي الغموقيّ رحمه الله تعالى ؛ ومن جملة ما كان فيه من النصائح هذه العبارات : وأوصيكم أيّها الأخ ، وإن لم أكن أهلاً لذلك فأنت له أهل : أن لا تعاشر مع أكثر مشائخ هذا العصر ومريديهم ، وإيّاك والمجادلة معهم ، ولقد سافرت أقصى البلاد ، وعاشرت أصناف العباد ، فما رأت عيني ، ولا سمعت أذني ، أشرّ ولا أقبح ولا أبعد من جناب الله تعالى من طائفة يَزْعَمُونَ المشيخة مع عدم سلوكهم من شيخ كامل ، زاعمين أنهم أخذوا الإذن من الروحانية ، أو في النوم وليس هذا إلاّ افترآء منهم لعن الله جميعهم ،

فالله الله يا أخي أن لا تسكن[1] في قرية فيها واحدٌ منهم لقوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ وليس لهم همّة واعتناء إلا جمع الحطام لأجل هذه الفانية عياذاً بالله منهم . انتهى من خطه . ومثله في « البهجة » .

وورد إليّ رسالة أخرى من طرفه رحمه الله تعالى وفيها هذه العبارات : وإيّاك إيّاك النظر إلى مشائخ هذا العصر ومريدي الدهر ، والحذرَ من الجلوس معهم ، فذلك والله هو الفتنة الظاهرة ، وَمُلاقاة الشيطَان أسلم من مُلاقاتهم . انتهى من خطه .

وفي « البهجة » : قال الرازي : ويجب على الطالب الصادق في بدايته أن لا يصحب أكثر مُدّعي المُشَيْخَة في هذا العصر إلا بظهور أمارات الصدْق ، بإلهام من الله تعالى ، أو بشهادة الصادقين من أهل الطريق لذلك الشيخ . انتهى .

فمضمون هذه المذكورات مما يوجب الاعتراضَ على كثير من متشيّخي هذا العصر تصريحاً أو تلويحاً . فليتدبّر المنصف فيها .

وأما التصدّر للإرشاد بغير إذن والسُلُوكُ بغير شيخ ! ! فممّا لا يخفى فساده ، وقد قال أحمد ضيآء الدين قدس سره في « جامع الأصول » : إن السالك مُبْتلى بنفسه ، فإذا عمل وَحْدَهُ ربّما ظفر منه الشيْطَان بخيالات وأوهام ، وعقائد فاسدة ، وأفكار كاسدة[2] ، وكسل ومكر وحيل وزندقة واستدراج وغيرها ، ويوهمه أن ذلك من الأحْوَالِ والأصُول ، وهو لا يدري لاسيّما المبتدىء ، فإنه يشوّش عليه هذه الحالة ، **فلا بدّ من شيخ بشروطه السابقة** لِيَنْجُوَ من هذه الورطة وعقباتِ الطريق وَتوَقُّفِهِ .

---

(١) أي أنشدك الله ، ثم أنشدك الله – أي أسألك بالله « تحفة المريد » أن لا تسكن .

(٢) أصل الكساد الفساد (مص) .

وأمّا التلقين وسنده ! ! فلما كانت الصحبة من لوازمه وشروطه ، وكان الانتساب[1] إلى شيخ إنما يحصل بالتلقين والتعليم من شيخ مأذون إجازته صحيحة ـ مستندة إلى شيخ صَاحب طريقٍ ، وهو إلى النبيّ عليه السلام ـ وكان الذكر لا يفيد فائدة تامة إلا بالتلقين والإذن ، بَلْ جَعَله الأكثر شرطاً ، وكان الشيخ في الدين مقدّمَ النسب على الأب في الطين كما قال بعضهم :

نسب أقرب في شرْع الهوى بيننا من نسبٍ من أبَوَيْ

وكان السالك لا بدّ له من مرشدٍ حسّيٍّ كالشيخ ، أو معنويّ كالإلهَام ، وحسن التفقه في الكتاب والسنّة وإجماع الأمة ، مع التيقظ والاعتبار والتفكر بمساعَدة التوفيق واللطف والعناية ، أو يغنيه الله عن ذلك كله بمنح من فضله ، وَجذبة بها يَصل من غيْر مشقّة ، وجب ذكر الأسانيد في كلّ طرق إلى الرسُول عليه السلام .

واعلم أن من لا يعرف أباه وأجداده في الطريق فهو مَطْرُودٌ وكلامه دعوى غير مقبُولة ، وربّما انتسب إلى غير أبيه فَيَدْخل في قوله عليه السلام « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » .

وقد أجمع السلف كلهم على أنّ من لم يصح له نسب القوم ولا أُذِن[2] في أن يجلس للناس لا يجوز له التصدّر إلى إرشاد الناس ولا أن يأخذ عليهم عهداً ، ولا أن يلقنهم ذكراً ولا شيئاً من الطريق ، إذ السرّ في التلقين إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى الرسُول عليه السلام

---

(١) وكان إبراهيم الدسوقي رحمه الله تعالى يقول : لا ينبغي للفقير أن ينتسب إلى أحد من مشائخ الفرق كالقادرية والرفاعية والبسطامية والأدهمية والسهروردية وغيرهم إلا إن مشى على قواعدهم فإن لم يمش على قواعدهم فأوّل من يتبرّأ منه شيخه الذي انتسب إليه اهى . كذا في إظهار الحق نقلاً عن الأجوبة المرضية للشعراني فراجعه (منه قدس سره العزيز) .

(٢) صريحاً راجع « المدارج » (منه) .

إلى حضرة الحقّ جَلّ جَلاله ، فمن لم يَدْخل سلسلة القوم فهو غير مَعْدُودٍ منهم . انتهى ٢١ وهكذا في « المدارج » و« تحفة السالكين » .

وقد أشكل وَاحِدٌ[١] من العلمآء رحمه الله تعالى بما في سلسلة الخواجكان بهذه العبارات ، ومن تخلّق بمجْمُوع هذه الأخلاق . الخ . فصحّ له دعوة الخلق إلى الشريعة وهداية السالكين إلى الحقيقة . انتهى وبما في « سلك العين » من بيت :

والإِذن فَتْحٌ ببسط القلـب يفهم ما   يلـقي عليه من أسـرار الـسنيّات

انتهى

فقال ذلك العالم : لو سلك واحد في سلسلة الشيخ النقشبندي وسعى بما أمره الشيخ وفتح عليه من الرحمن الخ . ولم يأذن له الشيخ أو كان الشيخ على قصد إعطاء الإذن له ففاجأه الموت فمات الشيخ قبل[٢] إعطاء الإذن له مع كاغذ الإجَازة ألا يمكن له إرشاد الخلق واتخاذ المريدين وتعليم الأوراد لهم أمْ لا ؟ وإن لم يمكن فما معنى قول[٣] خواجكان ! ! والخ . هذا حاصل ما كتبه مستجيباً منا .

فأردت أن أجيب عنه وأدْخله في هذا الموضع تتميماً للفائدة وتعليماً للحقيقة ، بإذهاب الإشكال في تلك الدقيقة .

فأقول والله أعلم : لا يجوز إرشاد الخلق وتعليم الأوراد وتلقين الأذكار لمن لم يأذن له الشيخ الكامل ، ولو مشى على جميع مقامات

(١) وهو خلّ أحمدلوْ العراديّ رزقه الله الاستقامة آمين (منه قدس سره من خطه) .
(٢) ولو كان الشيخ مثلاً رأى مريده أهلاً لإعطاء سرّه لكن المريد لم يكن مستعداً لقبوله ولا مطيقاً لحمله ، ففاجأه الموت قبل تمام استعداد ذلك المريد يترك الشيخ سرّه في يد واحد من أهل التصرف ، ليعطيه إلى ذلك بعد ما صار يطيق أن يحمله ويصير كمال المريد على يد هذا الشيخ المتصرف الأخير ، والله أعلم راجع الإبريز (منه قدس سره) .
(٣) أي المذكور انتهى .

الطريق بالتفصيل ، وفتح له فيه بلا ترديد ، وتخلّق بالأخلاق المحمودات بلا تعطيل ، لأنّ الله تعالى أجرى عادته في كشف أسرار أسمائه أن يكون بتلقين عارف يَعْرف أسرارَها ، مَأذون من قبل شيخه ، وهكذا إلى أن يتصل إلى النبي عليه السلام ، والسرّ في ذلك ارتباط القلوب بعضها ببَعْض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مرّ آنفاً . فلوْ جَلس واحد للإرشاد[1] بغير إذن شيخه لا يجاوبه[2] أرواح المشائخ ، **ولا يجذبُونه إلى الله ولا يحفظونه من وساوس الشيطَان، بل يقطعُونَ عنه المدد بالكليّة** ، ولا يفيضون عليه شيئاً من الفيوض ، وَيَطْرُدُونَهُ طرداً بَليغاً ، فكيف يصل الفيض والمدد منه لمن تبعه من مريديه ؟ ! حاشا ذلك وكلاّ ، لأنّ الشيخ واسطة بين الله وبين المريد و« متى طرد الواسطة لم يَبْقَ للمريد سبيل للإتصال بشيء من فيض الموسُوط وإذا ذهب الواسطة ذهب الموسوط » مَثَلٌ مشهُورٌ أي هذا القول .

فحاصل محْصُول كلام أئمة الطرق أن اسم الولاية يطلق على مَنْ تخلّى من الأخلاق المذْمُومَات ، وتحلّى بالمحمودات ، ويطلق في أصْطلاحهم على مَن حصلت له التخليَةُ والتَحْلية إنه فَانٍ وَبَاقٍ ، ولا يَحْصُل الفناء والبقاء إلاّ بالسير الآفاقيّ والسير الأنفسي ، وبحصُولهما يحصل نفس الولاية والكمال والاسترشاد ، ثم إن حصل للسالك بعد ذينك السيْرَيْن سيْرٌ رُجُوعيّ وهو السير عن الله[3] بالله ، وكذا السير الذي يقال له في اصطلاحهم سيْرٌ في الأشياء بالله ! !

فذا لأجل التكميل والإرشاد ، وَيُقال لمن حَصَل له السيران

---

(١) ولا يخفى أن التصدر للإرشاد بغير إذن ، أمارة حب الرياسة ولا يجوز أن يكون الشيخ مرشداً إلا إذا ساوى عنده الشهرة والخمول وحبّ الرياسة وإرسال الستور ، ومن جلس على بساط الملوك قبل أوانه عوقب بحرمانه . قول مشهور ، والله اعلم (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) لا يجيبه

(٣) وفي نسخة : على الله .

الأولان : وَاصِلٌ وَاقِفٌ ، ولمن حصل له السيران الأخيران : واصلٌ رَاجِعٌ ، أي راجع إلى دعوة الخلق إلى الله[١] .

وهكذا الفتح اثنان ظلمانيٌّ ونورانيٌ وفي الظلماني يشترك أهل الحق وأهل الباطل ، وأكثره شيطانيّ ، كما وقع ذلك لكثير من الأوليآء .

ولا يخفى أن الوصول والوُقوف أو الرجُوع وكذا الفتح بالفتح النوراني الرباني الخاص بأهل الحق أو الظلماني الشيطاني المشترك بينهم وبين أهل الباطل لا مجال لمعرفتها إلاّ من شيخ كامل مكمّل قد خبر[٢] الطريق وعرف المهالك والمقاطع ، شيطانية كانت أو نفسانية ، فلا بدّ أن يشهد له بحُصُول الكمال وأنه بلغ مبلغ الرجال أهْلُ[٣] الفضل والعيان ، كشيخه ومرشده الكامل ، ويَأمُرَه بالإرشاد والتلقين ، **وليس له إلاّ بشهادته نصيب**[٤] **من مقام الإرشاد، بإجماع القوم** كما مرّ ؛ فعُلِمَ

---

(١) ولذا قيل النهاية هو الرجوع إلى البداية ، فحال الواقف أصفى وأحلى وحال الثاني أوفى وأعلى « رشحات » ١٤ .

(٢) أي أبصر وعلم . (منه) .

(٣) فاعل يشهد ، راجع « البهجة » (منه) .

(٤) وكذا الحال في العلم الظاهر فإنه لا بد من التكميل ثم الإذن من الأستاذ للتدريس « الفتاوى العمرية » . قال بعض الأكابر : إن الإنسان ينبغي أن يعمل ما يعمله بأمر صاحب الزمان حتى تترتب عليه النتيجة ولو كان أمراً مشروعاً انتهى . قال الإمام الرباني قدس سره أن المراد من النتيجة نتيجة معتد بها لا مطلقاً كذا في « الدرر » في ٢٣٣ من الجلد الأول . وفي « ح » عبد الحميد على ابن حجر : وينكر على من تصدى للتدريس والفتوى والوعظ وليس من أهله لئلا يغترّ به انتهى فراجعه في ٢١٧ من الجلد السادس . وفي « عقد اليواقيت الجوهرية » في ١٣٨ من الجزء الأول وقد جرى جمع من العلماء على منع التصدّى للإفتاء والتدريس في فنون العلوم إلا لمن أذن له إجازة وأذن من الشيوخ المتأهّلين ، فراجعه . لكن المحقق حسن القدري نقل عن كتاب الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي إنّ الإجازة من الشيخ غير شرط في جواز التصدى للإقراء والإفادة فمن علمه من نفسه الأهلية جاز له ذلك وإن لم يجز أحد وعلى ذلك السلف الأوّلون والصدر الصالح وكذلك في كل علم وفي الإقرآء والإفتاء خلافاً لما يتوهّمه الأغبياء من اعتقاد كونها شرطاً الخ . كذا في « جراب الممنون » . فراجعه في ٥٩ ومثله بل عينه في البريقة في ٤٠٣ من الجزء الثانى فراجعه (منه قدس سره العزيز) .

مما ذكر أن الإِطْلاقات التي في نحو سلسلة الخواجكان وغيره محْمُولة إلى هذه المقيّدات ، وإلاّ فيخرق بها الإجماع كما هو مَعْلُومٌ لدى كلّ من مارس كتبهم ، وتقييد البعض[١] مقدّم على إطلاق البعض[٢] إذا فرع عليه أو كان له دليل ، كما هو مفهوم ما في الشهاب من أوّله في ١٢ .

وفي ح ر م : يجب العمل بإطلاقهم حتى يُوجد صارف عنه . انتهى . وفي ابن حجر من الأيمان : العام يجري على عمومه ما لم يخصّص . انتهى .

ولقد وجَدْنا دليلاً يصرف تلك الإطلاقات إلى ذلك المقيّد ، بل ظهر لنا ما يخصص ذلك العام بالإجماع . راجع « المدارج » و« المواهب البريقة » و« المتمّمات » و« درر الغواص » و« البهجة » و« الحدائق الورديّة » . والتقييدُ في هذا الذي كلامنا فيه من المجمع عليه فيما بين القوم ؛ لا من بعضهم .

قال في « الأنوار » و« شرح الروض » : ويرجّح أيضاً بالكثرة ، فلو جزم مُصنّفان بشيء وثالثٌ مُسَاوٍ لأحدهما بخلافه رَجّحناهما عليه . انتهى .

وفي « القليوبي على شرح التحرير » : وكثرة النَقَلة تفيد الترجيح ، فلا يُعَارضه تصحيح الأقلّ لمقابله . انتهى .

وفي « حاشية زكرياّ » على « الجوامع » من بحث التواتر : إنّ ما عليه الأكثر هو الحق . انتهى . وفي ابن حجر من أوائله : الخطأ إلى القليل أقرب منه إلى الكثير . انتهى .

---

(١) وهكذا قال م ر العرادي والحاج الهنوخي رحمهما الله (منه) .

(٢) وصرحوا بأن ما دخل في إطلاقات الأصحاب مُنزّل منزلة تصريحهم به ، كذا في « الفتاوى » لمحمد علي الچوخي قدس سره فراجعه من باب المسح في ١١ (منه) .

فهذا والسلام والوصيّة بالدعاء لهذا الملام ، واللسان يقصر عن البيان لمن لم يسلك الطريق إذ مِن لازمه استشكال الأحكام بعضها بَعْضاً ، ولو أنه سلك الطريق لم يجد حديثاً ولا أثراً ولا قولاً للأئمة يناقض آخر ، كذا قال الإمام الشعراني قدس سره .

وفي « خزينة الأسرار » في ١٦٦ : فمن لم تتصل سلسلته إلى الحضرة النبويّة فإنه مَقْطُوعُ الفيض ، ولم يكن وارثاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تؤخذ منه المبايعة والإجازة ، لما ورد في الحديث : « العلماء ورثة الأنبيآء » بأسانيد صحيحة ، ولما أخرجه الطبراني عن عبد الله بن بسرى رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طوبى لمن رآني وآمن بي ، وطوبى لمن رآى من رآني ، ولمن رآى من رآى من رآني وآمن بي ، وطوبى لهم وحسن مآب » قال الشيخ عبد الله السلمى قدس الله سره : قوله « طوبى لِمَنْ رَآني وَطُوبى لمن رأى مَنْ رآني » ! ! أي طُوبى لِمَنْ أثّر فيه بركات نظري وَمُشاهدتي ، ولمن أثّر فيه مشاهدة أصْحَابي . . وهكذا حالاً بعد حال إلى أن بلغ حكماء الأمّة وأوليآء الله تعالى في أزمنته ، **فكلّ مَنْ أثّر فيه نظر حكيم أو مشاهدة وَليّ فإنما ذلك التأثير من نظر النبيّ** ﷺ إلى أصحابه على اختلاف أحْوَالهم فأثّر كلّ واحد بحسب حَاله ، ولهذا جرت التأثيرات من المشائخ للمُريدين ويجري إلى آخر الدهر ، لأنّ إِسْنَادَ الحال كإسناد الأحكام . انتهى .

وفي « الطبقات » : مَنْ لم يأخذ آدابه عن المتأدّبين أفسد كلّ مَنْ تبعَهُ ، ومَن كان فيه أدْنى بدْعَةٍ فاحْذَرُوا مجالسته لئلا يَعُودَ إليك[١] **شؤمها ولو بعد حين** . انتهى كذا في « سُلّم المريد » .

---

(١) قوله لئلا يعود إليك ، كذا في النسخة التي بيدنا ولعلّ الصواب إليكم فتدبّر (منه قدس سره) .

وقال الإمام الربّاني في بعض مكاتبه : وأقوى أسباب وقوع الفتور على طلب الطالب هو الإنابة إلى الشيخ الناقص ، وهو الذي جلس على مسند المشيخة بدون إتمام أمره بالسلوك والجذبة ، فصحبته سمّ قاتل للطالب ، والإنابة إليه مرضٌ مهلك ، ومثل هذه الصحبة تورث الانحطاط والتنَزل للاستعداد العالي ، بل ترميه من الذروة إلى الحضيض . انتهى . كذا في « الدرر المكنونات النفيسة » في ٧٣ من الجزء الأول . وقد نقل القشيري رحمه الله تعالى في ترجمة أبي علي الثقفي رضي الله تعالى عنه وأرضاه أنه قال : لو أنّ رجلاً جمع العلوم كلها ، وصحب طوائف الناس كلهم ، لا يبلغ مَبْلغ الرجال إلاّ بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدّب ناصح ، ومَن لم يأخذ أدبه من أستاذٍ يريه عُيُوبَ أعماله ورعوناتِ نفسه لا يحلُّ الاقتدآء به في تصحيح المعاملات . انتهى من « المنن » . وفي « المواهب البريقة » ما مَعْناه : أن شيخ هذه الطريقة النقشبندية يجب أن يكون متحققاً بمقامات الطريق ، بمروره عليها بالسلوك على يد شيخ صادق ، حتى ينكشف له حجابه بأن يتشرّف باتّصافه بالولاية الكبرى ، لأنّ من خصائصها اندراج النهاية في البداية ، وذا لا يَحْصُل إلاّ من تصرّف الشيخ للطالب بالتوجه إليه ، ليذيق الشيخ من نهاية حاله شيئاً للمريد المبتدئ حتى يكون على جدّ ، وهو شرط فيها ، وأن مَن ليس على تلك الولاية لا يقدر على ذلك التصرّف وَمَنْ لا يقدر عليه لا يصلح أن يكون شيخاً في هذه الطريقة لكونه ممّا لا بدّ له منه فيها فحينئذ لم يَبْقَ وَجْهٌ للتصدّر فيها لتوجُّه المريدين الذي لا بدَّ منه فيها إلاّ بارتكاب الفساد من المخادعة والطمع والشهْرة والجاه وأخذ الدنيا بالدين وغير ذلك ، لعدم القدرة له على التصرّف به فيهم بعدم تشرّفه بتلك المَرْتبة . فتأمّله وتدنّق وراجعه .

ورأيت في « سلسلة الخواجكان » ما يؤخذ منه أن مَنْ كان على

المراقبة يصحّ له التربية والتلقين ويقدر على إرشاد الناس . راجعه قبيل الفصل الثاني : أي لو أذن له شيخه وإلاّ فلا . والله أعلم .

وفي « الباقيات الصالحات » ما يؤخذ منه أن مَن بَلغ مرتبة لا يكون الخلق حجاباً[1] عن الحق يمكن في هذا الوقت أن يتصرف في الآخَرِ بصفة الجذبة . ويجوز الإجازة للإرشاد ودعوة الخلق إلى الحق لمن بلغ هذه المرتبة . انتهى ٨٠ من فصل في طريق التوجه .

وقال شيخنا قدس سره : **إن من بلغ مرتبة المراقبة المعيّة لو حصل له الفنآء يجوز للشيخ أن يأذن له** . انتهى . أي : لو كان فيه سائر الشروط الواجبة في الشيخ المرشد ، وإلاّ فلا ؛ كما صرّح قدس سره بذلك في وقت آخر ، فبالنظر إلى هذه المنقولات يبطل ما يفعله أبعاض من المشائخ من إعطآء الإذن لمن[2] أرَادُوهُ مع تلقين الذكر[3] فقط كما هو مشهور .

---

(١) فإن قيل : الذهن بسيط لا يتعلق في زمان واحد بأكثر من شيء واحد كما استدِل عليه بقوله تعالى ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ ؟ !
قلنا : قالوا يتيسّر التوجّه التام دُفْعَةً إلى شيئين للمجرِّدين عن العوائق البشرية « ومن هذا الكلام يؤخذ أن الآية المذكورة إنما نزلت في حق غير المجردين عن العوائق فتدبره ، منه » ولذوي النفوس القدسية القوية ، ولهذا كان ﷺ يدبر أمر الجيش وهو في الصلاة مع حضور الصلاة وخشوعها . كذا في « البريقة » في« ٢٠٩ » من الجلد الأول فراجعه . وفيه أيضاً ما حاصله أن عدم المنع عن توجه القلب إلى عالم القدس والنور بشيء من العوائق الجسمية والشواغل البشرية المادية هو الدرجة العليا من الكمال . فراجعه والسلام (منه سامحه الله من فرطاته ، آمين) .

(٢) وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يردّه مبسوطاً في الباب الخامس عشر (منه) .

(٣) وقد سأل واحد بعضَ العارفين : أن واحداً من المكيّين قد أذن لواحد من الداغستانيين وقت تلقين الذكر بلا مهلة ، وقال : أنت خليفتي في الداغستان ؛ فهل وقع مثله في اصطلاح السادات ؛ أم لا ؟ وهل يصير هذا الرجلِ بمجرد هذا الخبر مرشدا ؛ ام لا ؟ فأجاب رضي الله عنه : نعم ، يصير بمثل ذلك مرشداً إلى طريق الشيطان ؛ لا إلى الطريقة والحقيقة ، وطريق الهادي إلى الرحمن ، ولا تنال أيدي هؤلاء المتشيخين بهذه الخزعبلات إلى مقام الإرشاد الذي هو أعلى المقامات وإن من المكيّين لشدّة حرصهم وقلّة أمْنيّتهم يفعلون مع جهلة الداغستانيّين أمثال هذه علماً منهم همّة رجالنا وشدّة حرصهم للوثبة على المشيخة=

نعم يجوز أن يتصرّف الشيخ في المريد المستعدِّ في برهة قليلة ، وأن يبلّغه إلى مرتبة الإذن والإرشاد ، لكن ليس في ديارنا ممّن فيهم كلامنا مَن حصل له نتيجة واحدة من الذكر الأول في هذه الطريقة ، فضلاً عن غيرها من المقامات ، وليس فيهم ولو واحداً يعلم كيفية التوجّه والتصرّف ، بل وَجَدْتُ فيهم مَنْ لا يعلم محال اللطائف ، ولقيت واحداً منهم ينكر على ذكر القلب مع أنهما يزعمان أنهما شيخان في الطريقة النقشبندية .

ويعلم بما ذكرنا بُطلان قول من قال « لا نعطي طريقة التربية بل إنما نعطي طريقة التبرّك ، وهي ليست مختصّة بشيخ ، بل يصح أن تؤخذ من عالم أو وليّ أو شيخ » ، هكذا كتبه واحدٌ منهم بهذه العبارات لتصديق ما يفعله من تلقين الأذكار مع فقد الإجازة بيده ! ولا يخفى على مَنْ له أدنى إدراك بقواعد هذه الطائفة السنيّة وممارسة ما بعلوم هؤلاء الأئمة أن ما قاله هذا البعض قول بالرأي ، وحكم مخالف لاصطلاح أئمة الطرق ، فكيف لا وقد قالوا إن من شرط الذكر النافع أن يكون بتلقين شيخ مقبول[1] مأذون ! .

وأما الذين يزعمون أنهم مجازون للإرشاد والتلقين من الشيخ

=وذلك لحرصهم على الدنيا ؛ ليكون الإجازة سبباً لجمعها وكثير أمثالهم هنالك من معارفنا . انتهى مع بعض اختصارٍ . وأخبرني بعض العلمآء عن بعض الثقات أنّ واحداً من المتشيخين قد أخذ من واحد ستين توماناً ليحترزها ، فحين طلب تسليمها إلى يده لم يسلّمها إلى يده ولو ألحّ وتضرّع ، فحين أيس من الإعطآء قال له : كيف أعيش ؟ وأيّ شيء أفعل ، وأنت لم تسلّم فضّتي ؟ ! فوقتئذ كتب له صكّ الإجازة وقال له : يكفيك هذا . وهذا فضتك فأخذ ذلك المسكين صك الإجازة وترك تلك الفضة في يده وسعى في البلدان باسم المشيخة والحال أنّه يمدح ذلك الشيخ فوق الحدّ ولا يصدّق غيره ، ولو كان على الحقّ فهذا من أعجب ما سمع غفر الله لنا ولهم . آمين . (منه رحمه الله) .

(١) كذا في « النور الساطع » وغيره (منه) .

الكامل النقشبنديّ لكن لا يلقِّنون أذكار السلوك كما كان شيخهم يلقّنها ؛ قائلين إن إعطاء الطريقة لا يجوز في هذا الزمان الفاسد ، بَيْدَ أنّهم يلقِّنون أذكاراً جَهْريّة[1] وأوراداً لِسانيّةً قائلين إنها للتبرّك ، فخطؤهم أظهر ، وفساد دعواهم أشهر ، لأنهم خالفوا أصول طريقة أشياخهم ، وبدّلوا أذكارها وأورادها ، وبذلك صاروا مطرودين من الانتساب إلى السلسة المعنعنة ، لما قال سليمان الزهديّ قدس سره : إن المخالفين لأصول

---

(١) مع أن الذكر الجهريّ ممنوع في طريقتهم ، كما هو مذكور في كتب عديدة ويأتى في هذا الكتاب في مواضع كثيرة ، ولله در الإمام الرباني قدس سره حيث قال قد صارت هذه النسبة الشريفة في هذه الأوان كعنقاء المغرب وتوجهت نحو الاستتار تحت الحجب حتى سلك جماعة من هذه الطبقة من عدم وجدان هذه الدولة العظمى وفقدان تلك النعمة القصوى ، كل مسلك وفرحوا بنيل قطعات خزف بدلاً من الجواهر النفيسة واطمأنت قلوبهم بالجوز والموز مثل الأطفال حتى أنهم من غاية الاضطرار والتحيّر تركوا طريقة أكابرهم وصاروا يطلبون التسلى أحيانا بذكر الجهر وآونة يرومون الاطمئنان بالرقص والسماع والدور ولما لم تتيسر لهم الخلوة في الجلوة اختاروا الأربعينيات ، وأعجب من ذلك زعمهم هذه البدعات الشنيعة متممة ومكملة لهذه النسبة الشريفة وعدّهم هذا التخريب عين التعمير . أعطاهم الله سبحانه الانصاف انتهى . كذا في « الدرر المكنونات » فراجعه في ١٤٨ من الجلد الأول .
وفي « النصائح الدينية والوصايا الايمانية » للشيخ الإمام بركة الأنام عبد الله الباعلوي الحداد قدس سره . واعلم أنه كما تفرق أهل الكتاب واختلفوا في دينهم فقد تفرقت هذه الأمة واختلفت أيضاً على وفق ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة . وقد افترقت هذه الأمة على هذا العدد من زمان قديم وتمّ ما وعد به الصادق الأمين على وحي الله تعالى وتنزيله صلى الله عليه وسلم ولما سئل عليه السلام عن الفرقة الناجية ، من هي ، قال : التى تكون على مثل ما أنا عليه وأصحابي ، وأمر عليه السلام عند الاختلاف بلزوم السواد الأعظم وهم الجمهور والأكثر من المسلمين ، ولم يزل أهل السنة بحمد الله تعالى من الزمان الأول إلى اليوم هم السواد الأعظم ، وصح أنهم الفرقة الناجية بفضل الله انتهى . فراجعه من صحيفة ٧ . وقد يقول أبعاض من الناس إن الطريقة النقشبندية لا يجوز للشيخ تلقينها مع أنها السالمة من البدع الباقية على أصلها والحال أنّهم يعتقدون أن تعليم غيرها ممّا لم يرد به في طريقتهم نصّ ولا أثر بل هو مما اخترعوه بأنفسهم ، هوالذى ينبغى أن يتمسك به وهو اللائق أن يعتبر ويعتنى به واللازم أن يعض عليه النواجذ ويأخذه . فهل هذا إلا افتراق واختلاف وهل هذا إلا ابتداع واختراع . فإنا لله وإنا اليه راجعون فالحكم لله العلي الكبير (منه من خطه قدس سره العزيز) .

الطريقة خارجون منها ، بل هم معدودون من المبعودين . انتهى من مجموعة الرسائل ، ولما قال أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » من أنه ينبغي لمن انتسب إلى وليّ من أولياء الله تعالى أن يتشبّه به في أصول طريقته وفروعه المهمة . انتهى ، ولما قال رئيس الطريقة خالد البغدادي قدس سره : **منْ غيّر أصول طريقتنا فليس منّا** . انتهى ، ولما في « هديّة الذاكرين وحجة الواصلين » : ليس لأحدنا تبديل طريقتهم . انتهى ، فما بال إماتة الطريقة السالمة المسلسلة المباركة واختراع الأوراد الغير الواردة في تلك الطريقة الصدّيقيّة قائلين إنه للتبرّك ! ! كلا وكلا بل البركة فيما ورد عنه عليه السلام ، وهو أعرف بأسرار الأسماء ومنافعها وبركاتها من هؤلاء المدّعين[1] . إنا لله وإنا إليه رأجعون فالحكم لله العلي العظيم .

فائدة

قال صاحب « الحديقة النديّة » : والمرشد بعد تأهله للإرشاد ، وتبحّره في علوم الشريعة والحقيقة ، وأمر أشياخه له بنشر فوائد الطريقة ، ودعوة الخلق إلى الحق على بصيرة باتباع سبيل المبعوث رحمةٌ للخليقة ، **يحرم عليه الإخفاء ، وكتم ما عنده من الفوائد والآلآء** ، إذ قال ﷺ : « إذا ظهرت البدع أو الفتن فليظهر العالم علمه » . الحديث ، وقال : « من كتم علما ألجم بلجام من نار يوم القيامة » فالظهور في حق مثل هذا امتثال المأمور ، والإخفآء عين القصور ، فسبحان من جعل المحاسن مساويء ، والمساويء محاسن في أعين المنكرين أهل الغرور . انتهى ١٠٢ من هامش « أصفى الموارد » .

---

(١) ومرّ ما قاله الإمام الرباني وبركات الطريقة إنما تفاض إذا لم يحدث فيها محدث وإذا أحدث فيها محدث ينسد طريق الفيوض اهى فتذكر هنا (منه) .

وفيه أيضاً في ١٠٣ ما حاصله أن ملخص باب المشيخة هو نصح المسلمين ومحبّة الخير لهم لا غير ، فالتارك لهذه الأمور مع كونه عارفاً بالطريق ومأذوناً من الشيخ الكامل عاص لله تعالى انتهى .

ونقل صاحب « البهجة السنية » راجعه في ٣٨ عن المجدد للألف الثاني قدس الله أسرارهما ما كتبه في بعض مكاتيبه مجيباً لمن كتب إليه من بعض خلفائه : أعلِّم الطريقة امتثالاً لأمركم العالي ، ولم يظهر في الطالبين أحد لم يتأثَّر بالتوجُّه ، بل الأكثرون يتأثَّرون في أول الهمّة والإقبال . إِحْمَدِ اللهَ[١] سبحانه على ذلك ، وجب عليك الشكر لهذه النعمة العظمى والاجتناب والتحرز عن الغرور والخيلاء ، والاعتراف بالقصور ، والإقرار بالفتور ، وعليك أن لا تتساهل في تفقد الطالبين[٢] والتوجّه إليهم ، فإن ذلك من أعظم العبادات ، وإذا فرغتم من هذا التعليم والتبليغ فافزعوا إلى وظائف العبادات من الأذكار والتدريس لله سبحانه وتعالى ، **فإن أحب عباد الله إلى الله من حبب الله إلى عباده.** قال العبد الراجي رحم الله إفلاسه : وهذا من آداب النبي ﷺ التي أدّبه بها ربه جلّ ذكره وعظم شأنه حيث قال ﴿ **فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨** ﴾ انتهى . وقد نبّهتك على هذه الفائدة في آخر الباب لئلا تظن السوء بمن يسعى لإرشاد الناس من أهل الحق والصدق[٣] بالجدّ والجهد ، كأمثال أشياخنا قدس الله أسرارهم العلية .

---

(١) هكذا في الأصل .

(٢) فإن كثرة إخوان الدين سبب لمزيد القرب بتحصيل كثرة الثواب لأن ثواب أعمالهم يصل إلى المرشد . كذا في « المناقب الأحمدية » في ٢٢٨ فراجعه (منه من خطه قدس سره العزيز) .

(٣) فلعلك لا تقيس أحوال الصادقين على أحوال غيرهم فما يكون مذموماً عند غيرهم يكون ممدوحاً لديهم بل يكون ما يعده الناس رياءً محضاً عين الإخلاص في حقّهم فافهم . (منه) .

الباب الثاني

في بيان أنّ المجذوبَ المجرّد لا يجُوزُ له أن يتشيّخ ولا أن يكون مُربّياً للخلق.

قال القطب الأعظم أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » : ومعنى الوليّ على وجهين : **الأوّل** مَن ثبت له تصرّف ولاية على مصلحة دينية . **والثاني** مَنْ لَيْسَ له ولاية التصرُّف بالفعل بل ثبتت له ولاية التصرّف بالقوة .

فإن قيل : كيف يكون وليّاً وليس له ولاية التصرّف ؟ !

الجواب يجوز أن يكون وليّاً على معنى أن الله تعالى قد تولّى وتصرّف بجميع أموره ، وهذا الولي وَليّ بالقوة ، إن سمع فبالحق يسمَعُ ، وإن أبصر فبالحق يبصر ، وإن نطق فبالحق ينطق ، فهو في عالم المحبُوبيّة ، وإلى هذا أشار بقوله تعالى « كنت له سمعاً وبَصَراً » ، وهذا الوليّ لا يَصْلحُ أن يكون مُرَبِّياً للخلق ، لأنه في قبضته تعالى مَسْلُوبُ الاختيار عن نفسه وإذا كان مسلوب الاختيار عن نفسه فلا يَصْلح أن يكون مُربّياً للغير ، لأنّ التصرّف في غيره يستدعي ولاية التصرّف في نفسه ، وهذا الوليُّ مجذوب في نفسه ، مسلوب التصرُّف في نفسه ، فكان مسلوب التصرُّف في غيره ، ألا ترى في عرف الشرع أنّ مَن ثبتت له الولاية على نفسه ثبتت له الولاية على غيره ، ومَنْ لا فلا ؟ ! فالعاقل البالغ لمّا ثبتت له الولاية على نفسه ثبتت له الولاية على غيره ، فالطفل والصبيّ والمجنون لمّا لم يثبت له الولاية على نفسه لم يثبت له الولاية على غيره ، والمجذوب في قبضته تعالى بمنزلة الصبيّ الرضيع تتصرّف فيه يد القدرة كتصرّف الوالدة في وَلَدِهَا ، فهو في حجر تربية المحْبُوبيّة

يرضع بلبن كرم الربُوبيّة وهم أطفال ، ويقول فيهم قد يربُّون في حجر تربية إرادتنا ويرضعون بلبن كرَمنا .

وأما الولي السالك فيصلح أن يكون مُرَبِّياً ، فهو تام التصرّف والتدبير على نفسه وغيره وهذا وليٌّ بالفعل ، لأنه بمنزلة البالغ الذي ثبتت له الولاية على نفسه ، ومَن له الولاية على نفسه جاز له الولاية على غيره ، وإذا جاز ذلك في عرف الشرع جاز في عرف الحقيقة ، فإن الحقيقة على وزن الشريعة والتفرقة بينهما كفرٌ ، فمثال المجذوب في مقام المحبُوبيّة كمثل مَن سلك به طريقاً مَسْدُودَ العين ، فهو لا يرى موضع قدمه ولا يدري أين يذهب ، فإنّ هذا الرجل إذا قطع المسافة ووصل إلى مُراده وسُئِل عن منزلة من المنازل لم يكن عنده علم ولا خَبْرٌ ، وكما أنّ هذا الرجل لا يصلح أن يكون دليلاً في البادية فكذلك المجذُوبُ لا يصلح أن يكون دليلاً في طريق الآخرة . انتهى .

وفي « المواهب البريقة » : إنّ المجذوب لا يصلح أن يكون مسلّكاً للمريدين لجَهْله بتحقيق مَقامات الطريقة ، فحكمُهُ كمَن خطف من مصرَ في الهواء فوَجد نفسه بمكّة ، فإذا سُئِلَ من مَناهل الطريق ومراحلها رُبّما جَهل شيئاً منها ، بخلاف مَنْ سافر مع دَليل الحجّاج ، فافهم انتهى .

وفي مكتوبات محمود الفعال قدس سره : إن المجذوب الغير السالك ليس من أهل الكمال ، ولا يطمع منهم[1] التربية وإن باشروا إلى التربية يفسدون الطالب بسراية أحوالهم وأخلاقهم الغير المتممة بقوة إخلاص الطالب . انتهى .

وقال الإمام الرباني في بعض مكاتبه ما حاصله : لا يجوز لشيخ مقتدى به أن يأذن لمثل هذا المجذوب المتمكِّن بالإجازة العامة ،

---

(١) أي من المجاذيب (منه) .

وأن يجلسه في مقام التكميل والمشيخة ، فإنّ بعض الطالبين يكون استعدادهم عالياً جداً ، وتكون قابليتهم للكمال والتكميل على الوجه الأتمّ ، فإن وقع مثل هذا الطالب في صحبة ذلك المجذوب يحتمل أن يضيّع ذلك الاستعداد فيها ، وأن تزول عنه تلك القابلية ، كما إذا كانت للأرض مثلاً قابليّة تامة لزراعة البرّ فيها فإن زرعوا فيها بذراً جيداً من الحنطة تنبت زرعاً جيّداً على قدر استعدادها ، وإن زرعوا فيها بذر قمح رديء أو بذر حمص تكون مسلوب القابلية ، فضلاً عن الإنبات . انتهى كذا في « الدرر المكنونات » في ٣١٩ في الجلد الأول .

الباب الثالث

في بيان جواز إقامة المأذون الناقص على مقام الإرشاد ولو لم يبلغ درجة الكَمال

قال في « الرسالة المدنيّة » : لا يبلغ المريد درجة الكمال إلى أن يرى في جميع عباداته عيباً ، وأنها لا تليق إهداؤها إلى جَناب الحق جَلّ جلاله ، فحينئذ يجد معنى قوله تعالى « من عرف نفسه فقد عرف ربّه » ، وهذا بعد اطمئنان النفس وتشرّفها بالإسلام الحقيقيّ ، فلا يصل السالك إلى هذه المرتبة إلا بعد الصحبة الصادقة مع الشيخ الكامل ، وبعد هذه المرتبة يستعدّ لتربية الطالبين وللتوجّه ، وأما قبل هذا فمن قبيل خَرَط القتاد ، ومن قبيل جذب الألم إلى نفسه ، كما في أكثر مشائخ الوقت ، وليس هذا إلا إيلام النفس ، **نعم** إذا كان بإذن الشيخ الكامل فإنه حينئذ تربية الشيخ لا تربيته ، إذا كان فانياً في شيخه حيث يدوم له نسبة حضوره .

ثم قال فيها أيضاً : واعلم أنه يعطي الكامل للناقص الإجازة لتعليم الطريقة ، وهذا ليس بمُناف للإفادة والاستفادة ، لأنّ يَدَ الناقص

يَدُ الكامل ، لأنه واسطة في الجملة في ارتباط السالك له ، فمجرّد المحبة له يحصل له تربية النفس ، فلذا يلزم عليه رعاية الأمرَيْن فيه : أحدهما : محبة الشيخ المقتدى ، والآخر : الاستقامة في الشريعة ، والتمسّك بالسنّة السنيّة ، فإذا لم يكن تَقْصِيرُهُ في هذين الأمرين لا يحصل الضرر إليه . انتهى .

لكن الإمام الرباني في مكتوباته شَرَط في إذن الناقص تأثّر المريد في صحبته ، وقسّم الإذن على أقسام ، وبيّن نفع الإذن للناقص أيضاً . انتهى .

وفي « البهجة السنية » : وأما الإذن لهم من جناب حضرة شيخنا[1] قدس سره بالإرشاد مع نقصانهم ! ! فهو جائز من الكامل المكمّل كما صرّح به الغوث الصمْداني قدس سره في بَعْض مكتوباته أيضاً بقوله : وربّما يجيز الكامل ناقصاً بتعليم الطريقة للطالبين ، وغرضه من ذلك أن يبلغ كتابه الأجل باجتماع أهل الذكر عليه ، كما أجاز خواجه بهاء الدين النقشبندي ليعقوب[2] الچرخي قدس سره قبل الوصول لدرجة الكمال ، وقال : يا يعقوب ما وصل مِنِّي إليك فليَصِلْ منك إلى الناس ، ثم تكمّل بعد ذلك على يد حضرة الشيخ علاء الدين . انتهى . وينبغي أن يعلم أن النقص وإن كان ينافي الإجازة – لما فيه من ضرر الطالبين – لكن لَمَّا صدر من كامل مكمّل يكون هذا نائباً منابه ، ويكون يدُه يدَه فلا يتعدّى ضرره . والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهى .

وفي « رسالة المبدأ والمعاد » للإمام الرباني قدس سره : إن بعض الكملاء يُجيزُ بتعليم الطريقة لمريد فيه استعداد درجة واحدة من درجات الولاية بعد حصول تلك الدرجة ، وذلك المريد كامل من وجه

---

(١) أي خالد شاه (منه) .

(٢) بعد تعليم الطريقة وتسليكه بعض المنازل « الدرر » ١١٩ ج ١ فراجعه (منه) .

وناقص من وجه ، وكذلك حال مريد فيه استعداد درجتين أو ثلاث درجات من درجات الولاية في أنه كامل من وجه وناقص من وجه ، فإنه ما لم يوصل إلى نهاية النهايات يكون في كل درجة من الدرجات كمال من وجه ونقص من وجه ، ومع ذلك يجيزه الشيخ الكامل بتعليم الطريقة بعد حصول مرتبة استعداد ، فلم تكن الإجازة موقوفة على الكمال المطلق . انتهى من ٩٣ من هامش « الدرر » من الجزء الثاني .

ومما ينبغي أن يكتب في هذا الموضع ما كتبه الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتبه ليكون نصِيحةً لأمثالنا الضعفاء الناقصين وهو هذا : اعلم أن اللازم لأمثالنا الفقراء اختيار الذلّ والافتقار ، والتضرع والالتجاء إلى الحق والانكسار دائماً ، وأداء وظائف العبودية ، والمحافظة على حدود الشريعة ومتابعة السنة السنيّة – على صاحبها الصلاة والسلام والتحية – وتصحيح النيات في تحصيل الخيرات ، وتخليص البواطن وتسليم الظواهر ورؤية العيوب ، ومشاهدة استيلاء الذنوب والخوف من انتقام علاَّم الغيوب ، واستقلال الحسنات وإن كانت كثيرة ، واستكثار السيئات وإن كانت يسيرة ، وكراهة الشهرة وقبول الخلق ، قال عليه الصلاة والسلام : « بحسب امرىء من الشر أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصمه الله » واتّهام النيّات والأفعال ، وإن كانت صحيحة مثل فلق الصبح ، وعدم الاعتماد عليها .

ولا ينبغي أيضاً استحسان مجرد تأييد الدين وتقوية الملّة ، وترويج الطريقة ودعوة الخلق إلى الحق جلّ وعلا ، فإنّ هذا القسم من التأييد قد يكون أحياناً من الكفار والفجار ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إنّ الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ، وكلّما يجيء مريد لطلب الطريقة وإرادة الإنابة ينبغي أن يرى في النظر مثل النمر والأسد ، وأن يخاف من أن يراد به مكيدة واستدراج ، فإن وجد الفرح والسرور في

النفس عند قدوم المريد ينبغي أن يعتقده شركاً وكفراً ، وأن يتداركه بالندامة والاستغفار ، إلى أن لا يبقى أثر من هذا السرور ، بل إلى أن يجيء محل السرور والفرح الخوف والحزن .

وينبغي أن يجتنب غاية الاجتناب عن ظهور الطمع والتوقّع في مال المريد ومنافعه الدنيوية ، فإنه مانع لرشد المريد ، وباعث على كون الشيخ خراباً ، فإن المطلوب هناك كله الدين الخالص ﴿ **أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ** ﴾ لا مجال للشركة في جناب الحضرة الإلهية بوجه من الوجوه .

واعلم أن كل ظلمة وكدورة تطرأ على القلب فإزالتها تتيسَّر بالتوبة والاستغفار ، والندامة والالتجاء إلى الحق سبحانه وتعالى بأسهل الوجوه ، إلاّ ظلمة طرأت على القلب من طريق محبّة الدنيا الدنيئة ! فإنها تجعل القلب خراباً وإزالتها في غاية التعسُّر ، بل في نهاية التعذُّر ، صدق رسول الله ﷺ حيث قال : « حبّ الدنيا رأس كل خطيئة » . نجانا الله سبحانه وإياكم من محبة الدنيا ومحبة أبنائها ، والاختلاط بهم والمصاحبة معهم ، فإنها سمّ قاتل ومرض مهلك ، وبلاء عظيم وداء عميمٌ انتهى . كذا في « المكتوبات » في ١٥٠ من الجلد الأول .

وأيضاً إن الاختلاط مع الأمراء أهل الثروة والغنى وأكل طعامهم يزيد مرض القلب ، **فإيّاك وصحبتهم** ، **وإيّاك ولقمتهم** ، **وإيّاك ومحبتهم** ، **وإيّاك ورؤيتهم** ، وقد ورد في الخبر الصحيح : « مَن تواضع لغني لغناه ذهب ثلثا دينه » ينبغي لك الملاحظة أن كل ذلك التواضع والملاينة هل هو من جهة غناهم ، أو من جهة شيء آخر ، ولا شك في أنه من جهة غناهم ، **ونتيجَتُهُ ذهاب ثلثي الدين** ، **فأين أنت من الإسلام!!** وأين أنت من النجاة ، ولقمة غير الجنس تحجب القلب عن تذكر المواعظ وتعقل النصائح ! ! فلا يكاد يتأثر من الكلمة والكلام . كذا في « الدرر[1] » مع

---

(١) وراجع « الباقيات الصالحات » في ١٠٦ (منه) .

بسط وزيادة في ١٢٨ .

ومما ينبغي أن يَعْلَمَ المجاز الناقص أنّ هوى نفسه ما زال عنه ، وأنّ الشيخ إنّما أجاز له لأجل مصلحة معلومة عنده ، لا لكونه كاملاً ومكمّلاً ! ! فإذا علم أنّ الطالب قد بلغ نهاية الاستفادة منه وغاية إفادته إياه ، وفي استعداد الطالب قابلية ينبغي أن يظهر له هذا المعنى ، وأن يأذن له ليُتمّ أمره من شيخ آخر ، ولا يظهر له أنّه مِنّته لئلا يكون قاطعاً لطريق الناس بهذه الحيلة . راجع « المكتوبات » في ٣١٩ من الجلد الأول .

ومما يجب على مَنْ أجِيزَ أن يُعَلِّمَ كما عُلِّمَ ، ويُلَقِّنَ كما لُقِّنَ ، من غير تغيير ولا تبديل مما كان في طريقة شيخه الذي أجازَ له ، فإن خالف وبدّل فقد ارتكب كبيراً ، واستحق وعيداً[١] ، ودخل في دائرة هذا الحديث دُخولاً ، « من أحدث في أمرنا » – وفي رواية « في ديننا – هذا ما ليس منه فهو رَدّ » ، أي : مردود على فاعله لبطلانه وعدم الاعتداد به .

وأخرج[٢] أبو داود عن حذيفة : كل عبادة لم تفعلها الصحابة رضي الله تعالى عنهم فلا تَفْعَلُوهَا .

وورد عنه ﷺ أنّه قال : « عمل قليل في سنَّة خير من عمل كثير في بِدعة » .

وروى مسلم : « مَن عمل عملاً ليس عليه أمْرُنا ، « أي : حكمنا وإذننا » فهو ردّ » ، « أي : مردود عليه » وإن لم يكن هو المحدث له . . . الأحاديث من « فتح المبين » .

ومعلوم أنّ مَن خالف شيخه فقد أساء الأدب معه، ومن أساء

---

(١) أي للوعيد .

(٢) أي روى .

الأدب مع شيخه فقد أساء الأدب مع جميع السلسلة إلى حضرة الرسول عليه السلام! ومن أساء الأدب معهم ينقطع ترقِّيه، وربّما رجع إلى حالة هي أنقص ممّا كان عليه قبل صحبته له ، لأنّ الأدب مع الشيخ سُلّم للأدب مع الحق جل وعلا ، فمن لم يتأدّب مع الوسائل لا يشمّ رائحة من الأدب مع المقاصد ، وأقلّ ما يحصل من الهَلاك لمن خالف أستاذه الاشتغال بالدنيا والإدبار عن الآخرة . كذا في « المنن الكبرى » .

وقال الشعراني في كتاب « الجواهر والدرر » ما حاصله : إنّ من أحدث حكماً في دين الله فقدْ أحْدَثَ في نفسه رُبُوبيّة ، ومن أحْدَث في نفسه رُبُوبيّة فقد انتقص من عُبُوديّته بقدر ذلك الحكم الّذي أحْدَثه ، وإذا انتقصَتْ عُبُوديّتُه انتقصَ من تجلّي الحق تعالى له بقدر ما انتقصَ مِنْ عُبُوديّته ، فإنّ أخلاق العبُودية على الضدّ من أخلاق الربُوبيّة ، وإذا انتقص من تجلي ربّه له انتقص من علمه لربّه ، وجهل من معرفته بقدر ما نقص . انتهى . فهذه مهمّات ، فعَلى مَنْ يَزْعَمُ مِنْ مشائخ ديارنا أنهم خلفاء من طرف أشياخهم النقشبنديّين أن يتفطّنوا ويتدبّروا لئلاّ يكُونوا من ﴿الْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ فالعجبُ منهم كيف لا ينظرون إلى « الآداب المرضيّة »[1] لشيخهم جمال الدين الغموقيّ قدس سره ورزقنا فيضه وبركته وكيف لا يستعملون قواعد التلقين كما بيّنها في ذلك الكتاب ! مع أنهم ليسوا أعْلى مَقاماً منه بيقين ، ولا أدري سببَ اجترائهم على مخالفته ، إلاّ أنّ الشيْطَان زيّن لهم مَا كانوا يَصْنعُونَ ، سامحهُمُ الله أنّى يؤفكُونَ .

---

(١) وذلك الكتاب كتاب نفيس وهو خلاصة ما في كتب النقشبنديّة فجزى الله مؤلّفه عنّا خيراً (منه من خطه قدس سره العزيز) .

الباب الرابع

في بَيان أنّ مقام الأخذ عن النبيّ عَليْه السلام مقامٌ عزيز قلّ مَنْ يقع له في هَذا الزمان الفاسد

قال الشعراني في « المنن » في ٢٦ : وكان سيدي ياقوت العرشيّ رحمه الله يقول : من ادَّعى أنه يأخذ عن رسول الله ﷺ الأدب والعلم فاسألوه عن كيفية ما وقع له ، فإن قال : رأيت نوراً مَلأ المشرق والمغرب ، وسمعت قائلاً يقول لي من ذلك النور في ظاهري وباطني لا يختصّ بجهة من الجهات ، اسمع لما يأمرك به نبيّي ورسولي فصدّقوه ، وإلا فهو مفتر كَذَّابٌ ! ! انتهى . فعُلم أنّ مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ بلا واسطة مقام عزيز لا يناله كلّ أحد .

وقد سمعت سيدي علياً المرصفي رحمه الله يقول : بين الفقير وبين مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ بلا واسطة مئتا ألف مَقام وسبعة وأربعون ألف مَقام وتسعمائة وتسعة[1] وتسعون مَقاماً ، وأمّهاتها مائة ألف مقام ، وخاصّتها ألف مقام ، فمن لم يقطع هذه المقامات كلها لا يصحّ له الأخذ المذكور . انتهى .

وقال فيه أيضاً في موضع آخر : فإن غالب فقراء الزمان اليوم صاروا يجلسون[2] بلا إذن من شيخهم ، وبعضهم مات شيخه ولم يأذن له ، فادّعى أنه جاءَه في المنام وقال له : ابْرِزْ للناس . وبعضهم ادّعى أنّ رسول الله ﷺ أذن له ، وهو بعيدٌ ! ! فإنّ بين مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ كذا وكذا ألف مقام ما أظنّ أنّ هذا حصّل له منها مقاماً واحداً ! كما مرّ تقريره في المقدّمة . انتهى .

---

(١) فمن ادّعى ذلك طالبناه بهذه المقامات فإذا رأيناه لا يعرفها كذّبناه فى دعواه ذلك « تنبيه المغترين » ٦٥ .

(٢) اي للإرشاد (منه) .

وقال ابن حجر في « خاتمة الفتاوى » وفي « المدخل » لابن الحاج المالكي رُؤيته ﷺ في اليقظة باب ضيّق وقلّ مَنْ يقع له ذلك : إلاّ من كان على صفةٍ عزيز وُجُودُهَا في هذا الزمان ، بل عدمت غالباً ، مع أننا لا ننكر منْ يقع له من الأكابر الذين حَفظهُمُ الله تعالى في ظواهرهم وَبَواطنهم[1] . انتهى ٢١٨ .

وقد لقيت من يدعي أنّ شيخه هو النبي عليه السلام بالحلف المُشدّدِ ، وصرّح ذلك الحلف بين مَجْمَع من النَاسِ ، ومع ذلك وَجَدْتُه جاهلاً[2] بالطريق جَهْلاً مُرَكَّباً فسألته عن كيفية ما وقع له ؟ فقال : إنه رأى النبي عليه السلام في المنام ، ولذا صار هو شيخَهُ ، فَزَعْمُهُ هَذا باطل مردود ، وإنْ كان وقع له فهو غَيْرُ مقبول ! لما في الرَملي من « الصيام » ولا اعتبار بقول من ادّعى رؤيته ﷺ وأنه أخبره في النوم بأن غدا من رمضان ، ولا يصح الصوم به إجماعاً لا لشك في رؤيته ، وإنما هو لعدم ضبط النائم ! ! انتهى ٢٠٨ . وهكذا في ابن حجر[3] قال الشَبْرامُلسي في ح ر م[4] : زاد ابن حجر : وفيه وجه بالوجوب ككل ما يأمر به ولم يخالف ما استقر في شرعه لكنه شاذ ، فقد حكى عياض وغيره الإجماع على الأول أي **وهو عدم العمل بقوله فلا يعمل به من حيث أنه أخبر** ﷺ **به** ، ثم إن كان له وَجْهٌ مجوّز للعمل به لكونه نفلاً مندرجاً تحت ما أمر به الشارع أو جوزه ؛ جاز العمل ، وإلاّ فلا . انتهى ٢٠٨ .

وفي « البجيرمي على شرح المنهج » : ولا عبرة برؤية نائم له ﷺ قائلا : إنّ غداً من رَمَضَان ونحوه من سائر المرائي ، لان النائم لا يضبط

---

(١) وفي « الأنوار القدسية » في بيان آداب العبوديّة أن من ادّعى الإذن الخاصّ من النبي ﷺ فكأنّه ادّعى أنه القطب الغوث الفرد الجامع . راجعه من صحيفة ٣٩ . (منه رحم الله إفلاسه) .
(٢) بل أنكر ذكر القلب وأبعد كونه وقال هل له لسان (منه من خطه قدس سره) .
(٣) وراجع « ترشيح المستفدين » فى ١٥٩ (منه) .
(٤) « حاشية الرملي على المنهاج » .

وإن كانت الرؤيا حقاً . انتهى زي .

وقال الشعراني في « اليواقيت » في ١٦٩ من الجزء الثاني : فإن قلت : فهل يجب على الرائي العمل بما يَسْمَعُهُ من هذه الصورة يعني من صورة النبي عليه السلام ؟

فالجواب : لا يجبُ على أحدٍ العملُ بمثل ذلك لعدم العصمة ، ولخوف تطرق الخلل إلى الشرع الظاهر ، لا سيّما إن خالف نصاً صريحاً . انتهى .

وفي الشهاب : **ولا يجوز الصوم بإخبار غير المعصوم** في النوم ، لعدم ضبط النائم أفعاله . انتهى .

وفي « مغني المحتاج » للخطيب الشربيني قدس سره « من الآذان » نظير ما مرّ ، فإذا لم يجز العمل بالرؤيا في هذا الأمر اليسير ، فعدم جوازه في حق الخلافة التي خطرها جسيم وأمرها عظيم يُعْلَمُ بالطريق الأولى ، وهكذا لا يقبل من أحدٍ دعوى الإذن بالإلهام أو في الواقعة .

قال ابن حجر في (كتاب الردة) ما حاصله : **إنّ الإلهام ليس بحجّة عند الأئمة** إذ لا ثقة بخواطر من ليس بمعصوم . انتهى .

وفي فتاواه من الخاتمة بسطٌ في ذلك فراجعه ؛ وسيأتي في الباب الثامن ما قاله الإمام معصوم **من أنّ الإجازة لتعليم الطريقة** أمر عظيم لا تثبت بالواقعة .

وقال الإمام الرباني في المكتوب الذي أرسله إلى المرزا حسام الدين أحمد في بيان أنه ينبغي للسالك أن يكون ثابتاً ومستقيماً على طريق شيخه ، غير ملتفت إلى طرق آخر ، وأن لا يعتبر الوقائع التي

تظهر على خلافه ، فانها من الشيطان العدو وما يناسب ذلك :

الحمد لله[1] الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، عليهم من الصلوات أتمها ، ومن التسليمات أكملها ، قد حصل السرور والابتهاج بوصول صحيفة الالتفات المرسلة باسم هذا الفقير على وجه الكرم ، جزاكم الله سبحانه خير الجزاء ، وقد اندرج فيها : إنه لو كانت المبالغة في منع السماع متضمنة للمنع عن سماع المولد الذي هو عبارة عن قراءة القرآنية النعتية والأشعار غير النعتية يعسر ترك استماع المولد على الأخ الأعز المير محمد نعمان وبعض الأصحاب الموجودين هنا ، لأنهم رأوا النبي ﷺ في الواقعة ، وهو ﷺ راضٍ عن مجلس المولد ، ويصعب عليه ترك ذلك جداً .

أيها المخدوم : لو كان للوقائع اعتبار ، وعلى المنامات اعتماد لا يحتاج المريدون إلى الشيوخ ، ويكون اختيار طريق من الطرق عبثاً ، فإنّ كلّ مريد يعمل حينئذ بما يوافق وقائعه ويطابق لمناماته ، سواء كانت تلك الوقائع والمنامات موافقة لطريقة شيخه ؛ أو لا ، وسواء كانت مرضية عنده أو لا ، فعلى هذا التقدير تبطل سلسلة الشيخوخة والمريديّة ، وكل ذي هوس يستقلّ بوصفه ، ويستبدّ[2] بطوره .

والمريد الصادق لا يكون عنده لألف واقعة صادقة مقدار نصف شعرة من الاعتبار مع وجود شيخه ، وتلك المنامات عند الطالب الرشيد مع دولة حضور المرشد معدودة من أضغاث أحلام ، ولا يلتفت إلى شيء منها أصلاً ؛ الشيطانُ عدوٌ لا يأمن المنتهون من كيده ولا يزالون خائفين وجلين[3] من مكره ، فماذا نقول في حق المبتدئين والمتوسطين ! ! غاية

(١) مقول .

(٢) واستبد بالأمر انفرد به من غير مشارك له فيه (مص) .

(٣) ولا يدخل الخلوة لقصد كشف كونيّ وتحصيل كرامات عيانية ، فإنّ من دخل الخلوة على=

ما في الباب أن المنتهين محفوظون ، ومن سلطان الشيطان مصونون ، بخلاف المبتدئين والمتوسطين فلا تكون وقائعهم مستحقة للاعتماد ، ومحفوظة عن مكر عدوّ شديد العناد .

فإنْ قيل : إنّ الواقعة التي يرى فيها النبي ﷺ صادقة ومحفوظة من كيد الشيطان ومكره فإنّ الشيطان لا يتمثل[1] بصورته كما ورد فتكون وقائع ما نحن فيه صادقة محفوظة من مكر الشيطان ! ؟ .

أجيب : إنّ صاحب « الفتوحات المكيّة » جعل عدم تمثل الشيطان مخصوصاً بصورته ﷺ الخاصة به[2] المدفونة في المدينة ، ولا يجوز الحكم بعدم تمثله مطلقاً على أيّ صورة كان ، ولا شك أن تشخيص تلك الصورة ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ خصوصاً في المنام ، مُتعسّر جداً ، فكيف تكون مستحقة للاعتماد ، فإن لم نجعل عدم تمثل الشيطان مخصوصاً بصورته ﷺ الخاصة به ؛ وجوزنا عدم تمثله به على أيّ صورة كان ـ كما ذهب إليه كثير من العلماء ـ ومناسب أيضاً لرفعة

=هذه الأماني ولم يراع شرط الإخلاص الصِرف يتصرّف فيه الشيطان ويلعب ويسخر به ويريه الأشياء الباطلة بصورة الحق . دخل واحد من الأصحاب في خراسان الخلوة بلا إذن وبلا وقت ، فجاء إليه الشيطان على صورة الخضر ، فقال : أتريد أن تحصل لك العلوم اللدنيّة ، فقال : نعم ؛ وكان مائلا إلى أن يتكلّم بالمعارف على جري اللسان ، فقال له : افتح فاك ، ففتح فاه فرمى الشيطان بصاقة في فيه . ثم بعد ذلك صنّف كتاباً مشتملاً على أبواب من المعارف ، فلما وصل إلى الملاقات أعرض على ما صنّف وحكى واقعته ، فقلت : يا مسكين ذلك الشيطان جاء إليك في صورة الخضر لعب بك وشغلك عن طاعة الله تعالى وذكره ؛ اغسل الكتاب وتب إلى الله تعالى من الاختيار . انتهى . كذا في « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » . من هامش « جواهر المعاني » من الجزء الثاني . (منه خطّه قدس سره) .

(١) رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه (منه) .

(٢) وفي « تحفة البارى » إنما تعتبر رؤيته صلى الله عليه وسلم إذا رآه الرائى على صورته التى كان عليها في حياته . قضيّته أنه إذا رآه على غير صورته ، لم يكن رؤيا حقيقة . والمشهور أنه حقيقة لكن إن رآه على حقيقته كان إدراكه لذاته أو على غيرها كان إدراكه لمثاله . راجعه (منه رحم الله إفلاسه) .

شأنهﷺ ، نقول : إنّ أخذ الأحكام عن تلك الصورة وإدراك المرضيّ وغير المرضيّ له من المشكلات ، فإنّه يمكن أن يكون العدوّ اللعين متوسطاً في البين[1] ، ومُرِيئاً لخلاف الواقع واقعيّاً ، وموقعاً للرائي في الاشتباه والالتباس بتلبيس عبارته وإشارته بعبارة رسول الله ﷺ ، وإشارته كما روي : إن سيد البشر عليه وعلى آله الصلاة والسلام كان يوماً جالساً وكان عنده صناديد قريش ورؤساء أهل الكفر ، وكثير من الأصحاب أيضاً ، فقرأ النبي ﷺ سورة « والنجم » ؛ ولما بلغ ذكر آلهتهم الباطلة ضمّ الشيطان اللعين كلمات في مدح آلهتهم الباطلة إلى قراءتهﷺ ، على نهج ظنها الحاضرون أنه من قراءته عليه الصلاة والسلام ، ولم يجدوا إلى تمييزه سبيلاً أصلاً ، ففرح الكافرون وقالوا : إنّ محمداً صالَحَنا ومدح آلهتنا ؛ وتحيّر منه الحاضرون من أهل الإسلام أيضاً ، ولم يطلع النبيﷺ على كلام الشيطان اللعين هذا ، فقال النبيﷺ : ما الواقعة فعرض الأصحاب الكرام عليه ﷺ إنّ هذه الفقرات قد ظهرت في أثنآء كلامك ، فحزن النبيﷺ على ذلك ، فجاء جبريل عليه السلام بالوحي لبيان أنّ ذلك الكلام كان إلقاءً شيطانياً ، وذلك قوله تعالى ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ** ﴾[2] الآيات الأربع ، فإذا ألقى الشيطان كلامه الباطل في أثناء قراءته ﷺ ، فمن أين يدري أن تلك الواقعة محفوظة من تصرّف الشيطان ومصونة من تلبيسه مع كونها بعد وفاته ﷺ وفي حالة المنام التي هي حالة تعطيل الحواس ، ومحل الاشتباه والالتباس ، ووجود انفراد الرأي عن سائر الناس ، أو نقول : إنّ كونه ﷺ راضياً بهذا العمل

---

(١) وفي « البريقة » في ١٢٥ من الجزء الأوّل : إن الشيطان قادر على أن يقول : أنا رسول الله ، وإن لم يتشكّل بشكله الشريف ، فراجعه (منه) .

(٢) وفي « الإبريز » ما ينبغي ملاحظته في تفسير الآية الشريفة . فراجعه (منه) .

كما يرضى الممدوح عن المادحين ، لما كان متمكناً في أذهان قارىء القصائد وسامعها ومنتقشاً في متخيّلاتهم ؛ جاز أن تكون تلك الصورة المرئيّة في الواقعة هي الصورة المنتقشة في متخيّلاتهم من غير أن تكون لتلك الواقعة حقيقةٌ وتمثّلٌ شيطانيّ ، وأيضاً إن الواقعات والرؤيا قد تكون محمولة على ظاهرها وحقيقتها ، وهي التي يراها الرائي بعينها ، كما[١] إذا رأى صورة زيد مثلاً في المنام وكان المراد بها هو عين حقيقة زيد ، وقد تصرف عن الظاهر وتُحمل على التأويل والتعبير ، كما إذا رأى صورة زيد مثلاً في المنام وأريد بها عمرو مثلاً بعلاقة المناسبة بينهما ، فمن أين يعلم أن واقعة الأصحاب محمولة على الظاهر غير مصروفة عنه ؛ ولِمَ لا يجوز أن يكون المراد بها الوقائع المحتاجة إلى التعبير ؟ ! وأن يكون كناية عن أمور أخرى من غير أن تكون لتمثل الشيطان فيها مجال .

وبالجملة : ينبغي أن لا يكون مدار الاعتبار على الواقعة ، فإنّ الأشياء موجودة في الخارج ، فينبغي السعي حتى ترى الأشياء في الخارج ، فإن ذلك هو اللائق بالاعتماد وليس فيه مجال التعبير ، وما يرى في الخيال فهو منام وخيال ، وأصحابنا هناك يعاملون بوضعهم ورأيهم من مدّة مديدة ، وزمام الاختيار بأيديهم .

وأما المير محمد نعمان فما المخلص له غير الانقياد ، فإن توقفوا عن الامتناع فَرضاً لمحة بعد المنع عياذاً بالله سبحانه ، فننظر إلى من يفرّون وَبِمَنْ يلوذون ؟ ! ومبالغة الفقير ، إنما هي بسبب مخالفة طريقته ، سواء كانت المخالفة بالسماع والرقص أو بقراءة الموالد[٢] ، وإنشاء القصائد .

---

(١) الوقائع والرؤيا قد تكون محمولة على الظاهر وقد تصرف عن الظاهر .

(٢) قال الإمام الرباني في جواب من استفسر منه عن قراءة المولد : ما المضايقة في نفس قراءة القرآن وقراءة القصائد النعتيّة والمناقب بصوت حسن ، والمنهي عنه هو تحريف حروف القرآن وتغييرها والتزام رعاية أوزان النغمة وترديد الصوت بها بطريق الألحان مع تصفيق مناسب لها=

ولكل طريق وصول إلى مطلب خاصّ به ، والوصول إلى المطلب الخاصّ بهذا الطريق المتوسط منوط بترك هذه الأمور ، فكلّ مَنْ فيه طلب مطلب هذا الطريق ينبغي أن يجتنب عن مخالفة هذا الطريق ، وأن لا تكون مطالب طرق آخر منظورة في نظره . قال الخواجه بهاء الدين النقشبندي قدس سره :

مـانه أيـــن كـار ميكينــم   ونــه انــكـار منكينـــم

يعني : نحن ما نفعل هذا الأمر لكونه مخالفاً للطّريق الخاص بنا ، ولا ننكره أيضاً لكونه معمولاً عند مشائخ آخر ، ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ فإذا حدث أمر مخالف لهذه الطريقة العلية في فَيْرُوزْ آبَادْ ، الذي هو ملجأ وملاذ لأمثالنا الفقراء ، ومقرّ قدوة أرباب المتابعة الضعفاء ، لاجرم يكون موجباً لاضطراب أمثالنا الفقراء البتة ، كذا في « الدرر المكنونات » في ٢٩٣ من الجزء الأول .

وفي الأنوار القدسية للشعراني : ومن شأنه إذا جلس لإرشاد الخلق بإذن خاصّ من النبي ﷺ أن لا يرى له بذلك مزيّة وتخصيصاً على من لم يحصل له ذلك من أقرانه وغيرهم ؛ فهو مساوٍ لمن لم يحصل له ذلك ، بل ربّما كان ذلك يجرّه إلى المكر والاستدراج ، وجميع الخلق مأمورون بنصح الخلق في اليقظة بنصّ القرآن والسنّة ، وما ثبت في

=غير مباح في الشعر أيضاً ، فإن قرؤوا على نهج لا يقع تحريف في كلمات القرآن ولا تتحقق الشرائط المذكورة في قراءة القصائد ؛ وكانت قراءتها بغرض صحيح ، فما المانع حينئذ أيها المخدوم ؟ ! قد يقع في خاطر الفقير أنّه مالم ينسد هذا الباب مطلقاً لا يمتنع عنه المهوسون ، فلو جوّزنا في القليل لينجرّ إلى الكثير ، قليلهُ يفضي إلى كثيره . قول مشهور والسلام ، كذا في الجلد الثاني « وفي نسخة : الثالث » من المكتوبات في « ٨٩ » وقال المرجّم محمد مراد قدّس سرّه في هامشه : إعلم أنّه قد مرّ المنع عن قراءة المولد مطلقاً في مكاتيب عديدة ومراده يعني مراد الإمام الرباني قدس سره هو هذا الذي ذكره هنا ، وإنما أطلق هناك للعلة المذكورة هنا ، فلا سند في منعه عنه للوهابيّين ، خذلهم الله ومن يحذو حذوهم . اهى (منه ؛ رحم الله إفلاسه آمين) .

اليقظة أصحُّ مما ثبت في النوم ، لعدم ضبط النائم ، على أنّ العارفين من المحققين اتفقوا على أنّ الإذن الخاص من النبيّ ﷺ لا يكون إلا للقطب الحاوي الوراثة المحمديّة ، وأما غيره فإنّه راجع إلى أرباب النوبة وغيرهم من أصحاب التصريف[1] . انتهى في ٢٩ .

الباب الخامس

في بيان كيفيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم جواز القيام بأمر التلقين لأحد بقول[2]: إنه آمر بالمعروف

الأمر بالمعروف واجب على كل أحدٍ ، لكن يحتاج مَنْ قام به إلى معرفة طرق السياسة ليدخل منها إلى حضرة إنقياد الناس له ، فإن كثيراً من الناس يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر من غير سياسة ، فيزداد المنكر بقيام نفس ذلك العاصي أو الظالم مثلاً ، ويحتاج أيضاً قبل ذلك إلى اتخاذ الشيخ الذي يعرف كيفية تلك الطرق . كذا قاله الشعراني في « لواقح الأنوار » في ٦١ .

وقال فيه أيضاً : وقد جعل الشارع لتغيير المنكر ثلاثة طرق : اليد واللسان والقلب . وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول : تغيير المنكر باليد للولاة الذين إن ضربوا العاصي لا يقدر ضربهم ، وتغييره باللسان للعلماء العاملين ، فيأمرون الناس وينهَوْنهم فيمتثلون قولهم ، وتغييره بالقلب لكمّل العارفين ، فيتوجّه العارف إلى الله في كسر جرّة

---

(١) وفي نسخة : التصرّف .

(٢) إلا مع الإذن والإجازة من المشائخ (منه) .

الخمر ؛ فتنفلق نصفين بنفسها ، وإلى الظالم فتيبس يده التي يضرب بها ذلك المظلوم . انتهى . فراجعه من ٦٢ .

وفي ابن حجر في كتاب « السير » تنبيه : ظاهر كلامهم أن الأمر والنهي بالقلب من فروض الكفاية ، وفيه نظر ظاهر ، بل الوجه أنه فرض عينٍ ، لأن المراد منهما به[١] الكراهة والإنكار به ، وهذا لا يتصوّر فيه أن يكون إلا فرض عين ، فتأمله فإنه مهم نفيس . انتهى .

وكتب عليه ابن قاسم هذه العبارات أقول : الوجه المتعيّن أن مرادهم بقولهم السابق : فالقلب إنّه إذا تعذر المرتبتان[٢] الأوليان اكتفى بالقلب ، وهذا لا ينافي تعين الإنكار به بالمعنى المذكور مطلقا ، ولو حال الإنكار بغيره ، فتأمله ، فانه بهذا يزول إشكال كلامهم ، وأما ما ذكره ! فليس دافعاً لإشكاله .

والحاصل : أنّ الإنكار بالقلب بالمعنى المذكور فرض عين مطلقا ، ثم إن أمكنت الزيادة عليه بنحو اليد وجبت على الكفاية وإلا فلا ، فتأمله سم . انتهى .

وقال الشيخ عبد الحميد الشرواني قدس سره بعد نقله الكلام المذكور : وعبارة السيد عمر قوله : بل الوجه . .الخ محل تأمّل ، إذ مستندهم في الترتيب المذكور الحديث ، وهو « من رأى منكراً فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه » فمعنى فبقلبه : على ما يعطيه السياق ، فليغيره بقلبه ، بأن يتوجّه بهمَّته إلى الله تعالى في إزالته ، وهذا لا يلزم تحققه في عموم الناس ، فحَسُن عدّ رتبة الأمر بالقلب المراد ليطابق الحديث النبوي ، فتأمله إن كنت من أهله ، وبفرض تحققه في عموم الناس ، وأنّ الفرضَ التوجُّه سواء صدر عمن

---

(١) قوله به ، أي : القلب ، والجار متعلّق بضمير المثنى الراجع للأمر والنهي (حميدية) .
(٢) أي التغيير باليد واللسان . (منه) .

جرت عادة الله تعالى في أن لا يخيّب توجّهه ، أم من غيره ، فظاهر أنّه يكتفى بتوجه البعض ، ولا يشترط توجه الجميع ، بخلاف الكراهية ، لأن انتفائها في فرد ينافي الإيمان ، والعياذ بالله تعالى . انتهى .

أقول : توجيهه الأخير بعده ظاهر ، وتوجيهه الأول الجاري على مشرب الصوفيّ ، وجيه في ذاته ، لكن يبعده عموم « من رأى منكراً » فليتأمل . انتهى في ٢٢٠ من الجلد التاسع .

وقال شيخنا جامع فرقان المحامد والمكارم الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره : إني كنت في مجلس الشيخ جبرائيل أفندي قدس سره ، وكان في ذلك المجلس جماعة من المريدين فكُوشِفْتُ أنّ جميعهم صاروا خنازير ، ثم قُلْتُ له يا أستاذي : أيّ سرٍ في صَيْرُورَتِهِمْ على تلك الصورة ؟ فقال رحمه الله : إنهم كانوا قبل ذلك قد تركوا الصلاة ، ثم قال لي : يا ولدي ، لا تُفْشِ لأحدٍ ما كُشِفَ لك من حاله ، ولو رأيته يزني وهو يَعْلُو امرأةً ، بل قل له : إنك على أحسن حال ، ولا تقل له قولاً ما ينكسر به قلبه ، بل توجّه بالهمة إلى الله ، واطلب منه إخراجه من تلك الذلّة ، واسْتَمْدِدْ على ذلك من روحانية الشيخ محمود أفندي قدس سره ، انتهى .

وقد قدم رحمه الله تعالى هذه الحكاية : ثمّ أذن لي للتلقين والإرشاد ، وأوصاني بتليين الكلام ، وحَمْلِ أخلاق الناس بلا ملام ، وكان قدس سره يقرأ أحياناً قوله تعالى ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ الآية وكان قدس سره لا يقول لأحد : اترك الشيء الفلاني ، وهو شيء منكر ، بل كان يلاطفه ويداريه[1] ، ثم بعد زمان يصير يتركه ، ويكرهه بطبعه ببركة صحبته

---

(١) وذلك لأن الرفق واللطف ومجانبة الغلظة والعنف أصل كبير في قبول الحق والانقياد له كما هو مذكورفي « النصائح الدينية » فراجعه في ٧ (منه قدس سره)

وأثر توجهه ، فالحمد لله رب العالمين ، هكذا قاعدة ذوي الإرشاد وهم أهل التصرف والإشارات لا أهل العتاب على المنكرات ، كما هو عكس ما عليه متشيّخو هذه الديار الداغستانية . **ثم اعلم** أن تعليم الطريقة وتلقين أذكارها أمر مختصّ[١] بأهله ، لا يجوز لأحد أن يباشره بقول إنه آمر بالمعروف لسرّ في التلقين إلاّ إن كان مأذوناً ، وقد علم في الباب الأول أنّ مَنْ لم يؤذن له لإرشاد الناس لا يجوز له أن يأخذ عهداً ولا أن يلقن ذكراً ولا شيئاً من الطريق ، فينبغي لك أيها الأخ أن تتجنّب من ذلك ، لكن يجوز لك أن تقوم على مقام الحسبة بغير ذلك وتخبر الناس بما في الآيات والأحاديث ، وآثار السلف من فضائل الأذكار ومحاسن الطاعات ، من النوافل والمسنونات ، وغيرها من مكارم الأخلاق ومحامد السجيات ، وعليك أن تحث الناس على فعل المبرات ، وتدلهم على المشائخ الذين يرشدون الناس إلى الإخلاص في العبادات ، ولا تقيّدهم في دائرة ما دلّلتهم إليه[٢] من أنواع الأذكار الغير الواردات ، قائلا : إن أوراد الطريقة مما لا يطيق عليها إلا أَهْلُ النُفُوسِ المطمئنّاتِ ، كما قال كذلك أبعاض من أهل الجدال ، بمجرد حب الرياسات لتخرج من دائرة قُطَّاع طريق سيد الكائنات ، وإيّاك ثم إيّاك ومكايد الشيطان ، فإنه قد يغرّ الحمقى من أمثالنا بأمور : ظاهرها مقبول وباطنها مكر وغرور .

قال في « خزانة العلوم » : ومن مكائد الشيْطان أن يعرض الشر في مَعْرِض الخير ، كما يقول للعالم بطريق الوعظ : أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل ، هلكى من الغفلة ، مَالَكَ رَحْمَةٌ على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك ! ! وقد أنعم الله عليك بقلب بهير

(١) وفي نسخة : خاص .
(٢) وفي نسخة : عليه .

ولسان ذلق ، فكيف تكفر نعمته ! ! وتسكت عن إشاعة العلم ، ودعوة خلق الله إلى الصراط المستقيم ؟ ! فكذلك لا يزال يستجرّه بلطائف الحيل ، إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه إلى أن يتزيّن ويتصنع ، وهو في أثناء ذلك يؤكد فيه شوائب الرياء ، وقبول الخلق ، ولذّة الجاه ، والتعزز بكبر العلم ، واحتقار الخلق ، فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك ، وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول ، ويظن أنه عند الله بمكان وهو عنده مما قال فيهم رسول الله ﷺ : « إن الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر » . انتهى .

فالأولى للضعيف أن لا يباشر منصب الوعظ والتذكير ، لأنّه لا يهتدي إلى دسائس النفس الأمَّارة ، ومكائد الشيطان ذي الغواية ، فيأمر لحظّ نفسه ، وينهى لا لأجل خالقه .

الوعظ قبل الأوان معصية

وفي الرشحات : جاء شخص عند واحد من الأكابر وقال : إنّي أريد أن أشتغل بالوعظ فبأي نية أشتغل به ؟ فقال له ذلك الشيخ جواباً عجيبا : إنّ النيّة ليست بنافعة في المعصية . وهذا الجواب صحيحٌ ، فإنّ الوعظ والنصيحة قبل أوانهما معصية ، انتهى . وقال بعضهم : يجوز[1] الكلام والتكلم في وقت بلغ المتكلم فيه درجة كأنّ لسانه نائبٌ عن قلبه . وقلبه عن الحق سبحانه . انتهى . وفي حاشية عبد الحميد على ابن حجر في ٢١٨ من الجلد التاسع : وينكر على من تصدى للتدريس والفتوى والوعظ وليس ٣هو من أهله ويشهر أمره لئلا يغترّبه . انتهى .

فإن قلت : فبما ذكر ينسد باب الأمر والنهي ، مع أنّه ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة ؟ ! حتى قال رسول الله ﷺ : « لأن يهدي

---

(١) إذا سئل متى يكون وقت الكلام (منه) .

الله بك رجلاً خير لك من الدنيا وما فيها » ، وقال ﷺ : « أيّما داع إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من تبعه[1] » إلى غير ذلك من فضائل العلم ، فينبغي أن يقال للعالم : اشتغل بالعلم وانتشاره ، والوعظ وإتيانه ، واترك مراآت الخلق . كما يقال لمن عاجله الرياء في الصلاة : لاتترك العمل : ولكن أتمم العمل وجاهد نفسك .

فاعلم أنّ فضل العلم كبير ، وخطره عظيم ، كفضل الخلافة والإمارة ، ولا نقول لأحد من عباد الله : اترك العلم وإظهاره ، والوعظ للناس وإخباره ؛ ما دام يجد في نفسه باعثاً دينيّاً ممزوجاً بباعث الرياء ، وإنما نقول : إن في ذلك غرورَ الشيطان ومكائده ، فينبغي لمن باشره أن يجتهد في إدراكه ، ويتفحّص عن باطنه ، هل فيه شيء من حظوظاته وأغراضه ؟ أو هو قائم على الحسبة خالصاً لوجه خالقه ، فإذا لم يحركه إلاّ الرياء فترك ذلك أسلم له وأنفع ، ومعلوم أنّ جميع الواعظين لا يمتنعون عن الوعظ ، ولا يتركون لذة الرياسة والجاه ، فإن لم يكن في البلد إلا واحدٌ ؛ وكان وعظه نافعاً للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر ، وتخييله إلى العوام أنّه إنّما يريد الله بوعظه ، وأنّه تاركٌ للدنيا ومُعْرِضٌ عنها فلا نَمْنَعُهُ مِنْهُ ، ونقول له : اشتغل وجاهِدْ نفسك فإن قال لَسْتُ أقدر على نفسي فنقول اشتغل وجَاهِدْ ، لأنّا نعلم أنه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم ، إذ لا قائم به غيره ، ولو واظب ـ وغرضه الجاه ـ فهو الهالك وحده ، وسلامة دين الجميع أحبُّ عندنا من سلامة دينه وحده ، فنجعله فدآء للقوم ، ونقول : لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم » وكلامنا هذا في واعظ حسن الوعظ ، جميل الظاهر ،

(١) وفي « الزواجر » أمثال هذا الحديث ، فراجعه في ٧٩ من الجزء الاول (منه قدس سره) .

يبطن في نفسه حب القبول ، ولا يقصد غيره الذي يرغب في الآخرة ، ويزهد في الدنيا ، بكلامه وبظاهر سيرته ، وأما ما أحدثه الوعاظ في هذه الأعصار من الكلمات المزخرفة ، والألفاظ المسجّعة المقرونة بالأشعار ، مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتخويف المسلمين ، بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصي بطيارات النكت ، وبعبارات يفهم منها عدم جواز اتخاذ شيخ ؛ وأخذ الذكر منه بقول : إنّ ذلك ممّا لا يطاق ، لأنّ الطريقة تكليف أهل النفوس المطمئنات ، وبإشارات تمنع الناس من صحبة أهل الله (الذين لا يشقى بهم جليسهم) و(إذا رُؤُوا ذكر الله) ! ! فيجب إخلاء البلاد منهم فإنهم نوّاب[1] الدجّال وخلفاء الشيطان .

وفي المنن : ورد في بعض الآثار : لا تقوم الساعة حتى تجلس الشياطين على الكراسي ويعظوا الناس ، والناس لا يشعرون أن ذلك الواعظ شيطان . انتهى .

ولقد أخبرنا ثقات : إنّ واحداً من المتصدرين للإرشاد بنفسه قال في أثناء وعظه على المنبر : إنّ أخذ الطريقة مما لا يجوز ، مع أنّ الإجماع منعقد على وجوب ذلك على كلّ من ليس له قلب سليم ، ثم علّم ذلك الرجل غفر الله له على الناس يومئذٍ أوراداً وأذكاراً قائلا : إنها من الشريعة ، وإنّه يعطي للناس من أورادها ، فتدبر يا أخي في غرضه الفاسد ، هل يَعِظ هكذا إلا مَنْ أراد إقبال النَاس إليه ، وصرفهم عن أبواب أرباب الكمال ؟ ! فما بال خروجه على المنابر ، ودورانه في أطراف العوالم ؟ ! بلبس الزيّ من زيّ المشائخ مع أنّه في قرانا قضاة أقِيمُوا في المساجد ليعلّموا الناس أمور الشرع الشريف ، فأي فرق بينهم وبين من يتشيّخ بالوعظ والتذكير ، ولا نعلم في حقه سرّ الخصوصيّة ، إلا أنّ اللعين قد حمله على حبّ الشهرة والرياسة ؛ في معرض الإصلاح

---

(١) كذا قال الغزالي في « الاحياء » (منه) .

والنصيحة ؛ وذا آخرما يخرج من قلوب العارفين ، وأنّى يتخلّص منه من سداه ولحمته أنانيّة ، من أمثالنا المغرورين بحبّ هذه الفانية ! !

قال الشعراني في « البحر المورود » : أخذ علينا العهود أن لا نمكّن أحداً من إخواننا الذين هم تحت التربية ، أن يتصدّر لوعظ الناس في المحافل ، ولا أن يكون خطيباً إلا لضرورة ، لأنّ ذلك يقطعه عن الترقي ، فإن الوعظ لا يليق إلا بالكمّل الذين فرغوا من تهذيب نفوسهم ، حتى ماتت تحتهم ؛ فلم يصر لها رأس يقام ، فمن مكث مريداً له من قبل ذلك فقد غشّه ، وفي الحديث : « من غشّنا فليس منّا » وإن كان الشيخ صادقاً ! فمن شأنه أن لا يَغُشَّ ، فليعلم المريد أنّه ما أذن له في ذلك إلا لكونه لم ير فيه أهليّة لطريق الله عز وجل ، والله أعلم . انتهى من عينه . ٢٩٨ من هامش « لواقح الانوار » .

ولقد يجد[١] الواعظ في وعظه ، وتأثر قلوب الناس به ، وتلاحق بكائهم وزعقاتهم وإقبالهم عليه لذة لا توازيها لذّة ، فإذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف يروج عند العوام ؛ وإن كان باطلاً ، ويفرُّ عن كلّ كلامٍ يستثقله العوام ؛ وإن كان حقاً ، ويصير مصروف الهمّة بالكليّة إلىٰ ما يحرّك قلوب العوام ، ويُعظم منزلته في قلوبهم ، ولا يسمع حديثاً ولا حكمة إلا ويكون فرحه به من حيث أنه يصلح أن يذكر على رأس المنبر ؛ وكان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث أنه عرف طريق السعادة ، وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولاً ، ثم يقول : أنعم الله عليّ بهذه النعمة ، ونفعني بهذه الحكمة ، فأقصُّها على المنبر ليشاركني في نفعها إخواني المسلمون ، فمن لا باعث له إلا طلب الجاه والمنزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي أن يتركه[٢]

---

(١) وراجع « الإحياء » (منه) .

(٢) لأن الطاعة قد تنقلب معصية بفساد النية ، وإذا تعارض الواجب مع الحرمة يرجح جانب الحرمة . كذا في « الخادمي » في ١٣٠ (منه قدس سره العزيز) .

ويخالف الهوى فيه ، إلى أن ترتاض نفسه وتقوى في الدين همته ويأمن على نفسه الفتنة ، فعند ذلك يعود إليه ، وله على ذلك أجْر عظيم ، وفي الحديث[1] : « ما جميع أعمال البرّ والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجيّ » .

علامات الواعظ المخلص

ولمن أراد أن يعرف أنه صادق مخلصٌ في وعظه غير مريد رئاء الناس علامات ؛

إحداها : لو ظهر من هو أحسن منه وعْظاً وأغزر منه علماً ؛ أو الناس له أشد قبولاً فرح به ؛ ولم يحسده ، نعم لا بأس بالغبطة ، وهي : أن يتمنى لنفسه مثل علمه . **والأخرى** : أنّ الأكابر إذا حضروا مجلسه لم يتغيّر كلامه بل بقي كما كان عليه ، فينظر إلى الخلق بعين واحدة ، **والأخرى** : أن لا يحبّ اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الأسواق ، ولذلِك علامات يطول[2] إحصاؤها .

الباب السادس

في بيان بطلان دعوى من يدّعي أنّ تلقين أذكار السلوك للعوام حرام للشيخ النقشبنديّ

قال العالم العلامة الحبر الفهّامة يوسف أفندي شوقي الطرابزوني الأوفى الحنفي النقشبندي في كتابه « هدية الذاكرين وحجة السالكين » :

(١) ونقلت هذا الحديث من « البريقة المحمودة » من الجزء الثاني فراجعه (منه قدس سره) .
(٢) هكذا في « الإحياء » (منه) .

وأما تعليم الذكر للعوام! فلعموم قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ . انتهى .

وقال الغوث الأعظم والقطب الأفخم أحمد ضيآء الدين في « المتممات » : **واعلم** أن تلقين الذكر لبعض أهل الدنيا من ذوي المناصب والأشراف والمكاسب ثابتٌ ، من السلف ومجتهدي الطرق على طريق التبرّك والمحسوبيّة ، لا بإرادة السلوك والتربية قبل ترك الدنيا والمناصب وتبسّطهم في الملابس والمفارش ، وتلبّسهم بالمخالفات ، فنقول : تلقين الذكر لبعض أهل المناصب والأشراف والمكاسب والصنائع والملاح والتجار والراعي والقروي ؛ على طريق التبرك ، وطرد الغفلة عن القلب القاسي ، وتكفير الذنوب ، وتخليص البلايا ، والنجاة من أنواع المكاره والسوء والنقمة ، حتى يتصقل فيخشع وينيب إلى دار الخلود ، ويتجافى عن دار الغرور ، فيترقى بالتدريج إلى التوبة فما فوقها ، وليسارق الشيخ نفسه الأمارة الآبية بالتدريب والتوطين ـ لئلا تنفر وتملّ وتيأس من الإصلاح ، وتقطع الرجاء ؛ فتصرّ على المعاصي ـ أمْرٌ حَسَنٌ ، وهو من سياسات الإرشاد ، ولو قال له من أوّل الأمر : اترك الدنيا واخرج من كل المظالم وصحّح التوبة ، وإلاّ فلا ألقّنك الذكر ولا يكون لك قَبُولٌ ينتج الهداية لنفر لاستصعابه كل ذلك ، ويحرم تلك الفائدة وربما يصل إلى حد اليأس ، وهذه السياسة موروثة من فعل الرسول ﷺ مع الأشراف والرؤسآء والكبار ، فإن بعضهم قال : أدخل الإسلام بشرط سقوط الصبح عنيّ ، وبعضهم بشرط غير ذلك ، فقبل منهم سرّا ليدرجهم على تمام الهداية تدريجا ، فتدرّجوا عليها كما هو مستفيض[1] وأوحى الله إلى داود عليه السلام لمَاَّ أنِف من مجالسة

---

(١) وقد جاء عن آنس رضي الله عنه قال : كان الرجل يأتى النبي صلى الله عليه وسلم فيسلم لشيء يُعْطَاهُ من الدنيا فلا يمسي حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما فيها ، هذا كلام ابن الجوزي انتهى . كذا في « انسان العيون » في ١٣٥ » من الجزء الثالث يعني أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل منه إسلامه وإن كانت نيته فاسدة ليدرجه إلى الإسلام الخالص تدريجاً=

بعض الفُسّاق ونهاهم عن مجلس وعظه : يا داود ، إن المستقيم لا يحتاج إليك ؛ والمعوّج إن لم تقمه فلِمَ أرْسِلْتَ ! ! . فأدخلهم في سلك جلسائه وجماعة إفادته[1] ، فليت شعري هل من قائل بكفر الظلمة والفساق حتى يطردوا باليأس من علاج أمراضهم القلبية ؟ ! وهل وضع الإرشاد والسياسة إلا للمعوّج الضال ؟ ! وهل يلزم أن يكون جميع المُلَقَّنِينَ الذكر أهلاً للتبرك والتجريد والاستقامة ؟ ! أم منهم الواصل والسائر المخلص المتوسّل ، ومنهم المتبرك المتخلف الساقط ؟ ! وهذه السياسة الحسنة مشى عليها المشائخ والسلف والمرشدون ، وأطبق عليها المتأخرون لغلبة رأفتهم وتموّج رحمتهم على عامة المسلمين ، وإن كنت في شك مما بيّناه ! ! فارجع في « الإحيآء » و« المنن الكبرى » في ١٥٤ ، و« طبقات الصوفية » للشعراني .

وقد كان أبو الحسن الشاذلي قدس سره يقول : **ينبغي للشيخ أن لا يأمر المريد برمي الدنيا** إلا بعد[2] أن يمهّد له بساطاً قبل ذلك يذكر له فيه ما يحصل له من أنواع القربات الإلهية ، واللطائف الربانية ،

=والله أعلم (منه رحمه الله من خطه الشريف قدس سره) .

(١) وصار يجالس عصاة بني إسرائيل ويحسن إليهم ويتخولهم بالموعظة الحسنة بشفقة ورحمة ، فانقادوا له كلهم إلا من حقت عليهم كلمة العذاب . وعلم مما قرّرنا أن محل قولهم « يحرم إيناس العصاة » إذا لم يكن لغرض شرعي . فافهم . « المنن الكبرى » .

ومن شرط الفقير أن يتواضع لإخوانه المسلمين ، ويرى نفسه دون كل فاسق على وجه الأرض . انتهى (منه) .

وفي شرح « شعب الايمان » للقصرى لا يكمل العارف حتى يرى مرتبته تحت مرتبة الأرضين السفليات اهى (منه) وفيه : فحال العارفين كحال العصاة اهى راجعه (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) وكان لا يأمر أحداً بترك حرفته وتجارته بل يعرّفه الطريق وهو باق على حاله وكان لا يحب المريد الذي لا سبب له وكان أبو العباس يحث على الحرفة ويقول عليكم بالسبب انتهى . كذا في « المتممات » في ١١١ من هامش « جامع الأصول » في النسخة القديمة وفي لواقح الأنوار القدسية أن سيدي إبراهيم المتبولي كان لا يحب للفقير عدم التكسب . فراجعه من ٨٧ من هامش « المنن » في الجزء الثاني وسيأتي الجميع (منه) .

والعلوم اللدنية ، وهناك يتنبّه المريد لطلب ما يدعو الشيخ إليه ويبادر لامتثال أمره ، وتهبّ عليه ريح التوفيق فلا يصير يقف مع شيء يَحْجُبُهُ عن حضرة ربه عز وجل .

قلنا : والبساط المذكور يختلف باختلاف استعداد المريدين طولاً وقصْراً ؛ فمنهم من يمهّد له بمدّة قليلة ، ومنهم من لا يتمّ تمهيده له إلا بمدة طويلة بحسب تفرّس الشيخ فيهم وتفاوت معالجتهم ، وقالوا : لا بأس بتناول بعض الشهوات[1] المباحة للنفس ، إذا ضَعُفت عن القيام بالعبادة ، كما أنه لا بأس بلبس الثياب الفاخرة إظهاراً لنعمة الله تعالى ، وكما أنه لا بأس بأكل الطعام اللذيذ وشرب الماء البارد لأجل استجابة الأعضآء للشكر بعزم وقوّة ، كما عليه السادات الشاذلية[2] فقد كان العارف الشاذلي يقول لأصحابه : كلوا من أطيب الطعام واشربوا من ألذّ الشراب وناموا على أوطأ الفراش والبسوا ألين الثياب وأكثروا من ذكر ربّكم ، فإذا فعل أحدكم ذلك وقال : الحمد لله يستجيب كلّ عضو فيه للشكر ، بخلاف ما إذا لم يفعل ذلك فإنه يقول : الحمد لله ، وعنده اشمئزاز وبعض سخط على مقدور الله .

(١) وقال ابن عطاء الله في « التنوير في إسقاط التدبير » ما حاصله : أن الحق تعالى لم يطالب العبد بعدم تناول الملذوذات وإنما طالبهم بالشكر عليها إذا تناولوها فقال تعالى ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ وقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ وقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ ولم يقل لا تأكلوا وإنّما قال كُلوُا وَاعْمَلوُا انتهى . قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله قال لى شيخي : يا بنيّ برّد الماء فان العبد إذا شرب الماء السخن قال الحمد لله بكزازة وإذا شرب الماء البارد فقال الحمد لله استجاب كلّ عضو منه بالحمد لله . اه . اختصاراً فراجعه في ٣٥ » ففيه كلام في حق هذا المطلب (منه من خطه أعلا الله درجته)

(٢) وفي « الإبريز » في ١٧٨ » ما يصرح أَوْلَوِيَّة وأحسنيّة هذا الطريق المبنيّ على الشكر على الطريق المبنيّ على الرياضات والمجاهدات وسيأتي في هذا الكتاب إنْ شاء الله (منه من خطه قدس سره العزيز)

وقال علي القاري : ليذكرن الله أقوام في الدنيا على الفرش الممهّدَة يُدخلهم الله الجنات العلى ، وفيه دليل على أن الملوك والأمرآء ومن يجري مجراهم لا تمنعهم حشمتهم ورفاهتهم عن ذكر الله تعالى ، وهم في ذلك مأجورون مثابون يدخلهم الله برحمته الدرجات ، وفيه إيمآء إلى طريقة بعض السادات الصوفية كالنقشبندية والشاذلية والكبروية . انتهى .

وفي « الرشحات » : قال بهآء الدين النقشبند : **كل الطعام جيدا، واشتغل جيداً** وهذا القدر يكفي للعارف . انتهى كلام المتممات ١٨٤ وقال جامع القطبتين الشيخ الفاني محمد ذاكر في « تبصرة المرشدين » ثم يلقن[١] الذكر باسم الذات من غير فرق بين مريد ومريد على ما اختاره الإمام الرباني[٢] في الأخير على ما قرّر في مكتوب العروة الوثقى الإمام محمد معصوم الفاروقي . وقال الشيخ محمد مراد في « الدرر المكنونات » مُترجما من كلام الإمام الرباني قدس سراهما : إن تعليم الطريقة بعد الاستخارات والتوجهات أياّ مَنْ كان مُناسِبٌ بل لازم . انتهى ١٤٧ من الجزء الثالث .

وفي رسالة العالم سيف الله الحسيني الغازي الغموقي قدس سره : قال الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتيبه ؛ مجيباً لمن شكى إليه من عدم استقامة الطالبين وتبرّدهم في هذا الطريق ، وأكثر الطالبين كذلك : وأنى يوجد الصادقون ! ! ينبغي إذا طلبوا تعليمهم الطريقَ بعد الاستخارة من أرواح السادات الأعيان ، وحصول الاطمئنان ، فإن استقاموا فازوا ، وإلا ! ! فالضرر راجع إليهم ؛ لا إليكم انتهى من خطه . وهكذا ، بل عينه ، في البهجة السنية في ٣٨ فراجعه .

---

(١) أي الشيخ .

(٢) راجع « الدرر المكنونات » في ٣٥ » من الجزء الثاني (منه) .

ولا يترك الخير لأجل كثرة الذنوب

وفي الفتاوى العمرية قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ ولم يقل يا أيها الصالحون[١] ، وكذا الخطاب في ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ ولا يترك أفعال الخير لأجل كثرة الذنوب ، فربما يحصل له أجر جزيل ، وفي الحديث : « إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله ؛ وإن عليهم من الآثام مثل الجبال ، وإنهم ليقومون وما عليهم منها شيء » . رواه أحمد ابن حنبل في « الزهد » ، انتهى .

يقول الفقير ذو العجز والتقصير : إذا أطلق الذكر يَعُمّ القلبيَّ واللسانيَّ ، بل إطلاق الذكر على ذكر اللسان مجازي فإن حقيقة الذكر طرد الغفلة ، **فافهمه**[٢]، وراجع « تفسير سلمى » و« تصديق المعارف » ، و« الفتاوى العمرية » و« مكتوبات الإمام الرباني » .

وفي « الروض الفائق » في ٢٥٨ : وعن أبي الأسود الدؤلي : إن أبا ذرّ رضي الله عنه حدثه أنه قال : « أتيت النبي ﷺ وهو نائم وعليه ثوب أبيض ، ثم أتيته ثانيا فإذا هو نائم ، ثم أتيته ثالثا ، وقد استيقظ ، فجلست إليه فقال : « ما من عبد قال (لا إله إلا الله) ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ ! قال : « وإن زنى وإن سرق » قلت : وإن زنى وإن سرق ! ؟ قال : « وإن زنى وإن سرق » ثلاثا ، ثم قال في الرابعة : « على رغم أنف أبي ذر » . فخرج أبو ذر وهو يقول : على رغم أنف أبي ذر » ! ! انتهى .

---

(١) وفي « إتحاف السادات المتقين » بشرح « أسرار إحياء علوم الدين » في ١٧٨ من الجلد الثالث إنّ المؤمن ليس بفاسق أصلاً ، إذ لا يقاوم الإيمان شيء مع وجوده في محلّ العاصي انتهى . ويوافقه ما في « مناهج السعادات » : من أنّ الصالح يطلق على الفاسق بمجرّد إيمانه . فراجعه من صحيفة ٣٢ ومن ٤٥ (منه) .

(٢) أي فلا فرق في جواز الذكر القلبي أو اللساني لكل صالح وطالح وحصول النفع ومغفرة الذنوب ، فافهم (منه) .

وفيه أيضاً في ٢٥٧ : وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ـ في قوله تعالى « غافر الذنب » ـ : لمن يقول : لا إله إلا الله ، « وقابل التوب » لمن يقول : لا إله إلا الله ، « شديد العقاب » لمن لم يقل لا إله إلا الله انتهى .

وفي حديث آخر عن الديلمي : « الحسنة تدخل صاحبها الجنة ، والخلق الحسن يدخل صاحبه الجنة ، والجوار الحسن يدخل صاحبه الجنة » . فقال رجل : يا رسول الله ؛ وإن كان رجل سوء ؟ قال : « نعم على رغم أنفك » . انتهى من « بريقة » من الجزء الأول ٥٢٥ ، وفي هذه الأحاديث إيمآء إلى أن الذكر ينفع العاصي ، فتدبّر .

وفي « السير والسلوك » : وأعظم أسباب الندم المداومة على ذكر الله بكلمة (لا إله إلا الله) ، لأنه إذا داوم عليها يوقد في قلبه مِصْباحاً ملكوتيا ، فتزول به ظلمة الباطن ، فيَظْهَرُ ما فيه من النجاسات والآفات القاطعة عن نيل السعادات ، وهو ؛ وإن كان يعلمها من قبل لكن ذلك العلم ليس معه نور فلا يفيد ، وأما مع تلاوة الاسم فيحصل الندم الذي هو التوبة ، وقد روي عن سلطان الأوليآء وقدوة الأصفيآء القطب الرباني والغوث الصمداني سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره أنه كان يأتيه الرجل فيشكو ترك الصلاة والتهاون في أدائها فيقول له : أكثر من ذكر (لا إله إلا الله) . ويأتي آخر فيشكو له الزنى أو شرب الخمر أو غيرهما من القبائح ، فيأمر بالذكر المذكور ، فما جاءه أحد يشتكي من ترك مأمور أو فعل منهي عنه إلاّ أمره بالذكر . انتهى .

قال الشعراني في « البحر المورود » : أخذ علينا العهود أن نليّن القولَ ، ونخفض الجناح لجميع أصحاب الكتب ، كالظلمة ، والخمارين ، والحشاشين ، والمقامرين وأصحاب المكوس ، وجباة الظلم فإن ذلك أسرع لانقيادهم لنا ، وأقرب طريق إلى حصول التوبة منهم ، وإلى تقويم عوجهم ، وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام

حين أَنَفَتْ نفسه من مجالسة العصاة : « يا داود ، المستقيم لا يحتاج إليك ، والأعوج أعرضت عن تقويم عوجه ، فلماذا أرْسِلْتَ ! ! » . ثم إنه تعالى أعقب ذلك بما وقع له من إثم الخطيئة ، فتنبّه داود عليه السلام واستغفر وصار يقول : اللهم اغفر للخطائين حتى تغفر داود معهم ، وكان قبل ذلك يقول : « اللهم عاجل بالعذاب من عصاك » .

ومن كلام ابن عطآء الله رضي الله عنه : معصية أورثت ذلاًّ وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً . فارحم يا أخي أهل المعاصي بقلبك ، وعظهم باللين من قولك ؛ تكن حكيم الزمان ، وخالطهم إن وجدت من قلبك ثباتاً على الدين مع خلطتهم ، وإن نفروا منك فاتبعهم ، ثم لا تزال تسارق أحدهم وتصرعه عن محبة كتبته من حيث لا يشعر ، حتى يقوم عوجه إن شاء الله ، وأما إذا هجرت أهل المعاصي ونفرت منهم ، أو لم تتبعهم فمن يقوم عوجهم ومن يبغضهم في كتبهم ؛ وقد قالوا : أحوج ما يكون أخوك إليك إذا عثرت دابته . فعلم أن أصحاب الكتب ضالة كل داع إلى الله عز وجل ، ولو أن الداعي ترك سياستهم وتركهم يتمادون في غيّهم ، لربما أخذه الله بهم يوم القيامة ، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك . انتهى .

فهذه السياسة الحسنة هي التي مشى عليها المشائخ قديما وحديثا ، وهي المعالجة الكبرى من أصحاب الطب الروحاني رضي الله تعالى عنهم . وقال شيخ زاده في شرحه على « البردة » في ٣٩ : فإن تزكية النفوس كمعالجة الأبدان ، فكما لا يجوز استعمال الأدوية إلا بنظر طبيب حاذق ذي تجربة في المعالجة كذلك تزكية النفس لا تتيسّر إلاّ بنظر نبيّ أو وليّ ذي تجربة في هذا الشأن انتهى .

وقال الخربوتي في « عصيدة الشهدة شرح قصيدة البردة » في

٣٩ : إن للمرشد إرشاد كل من استغرق في الهوى ، ولم يعلم ذلك إلا النبي أو الولي ، وبه يكون أكثر الفاسقين صالحاً وأوفر العاصين زاهدا ، **بل كل رجل يلزم له أن ينيب إلى مرشد كامل** . انتهى . ولا شكّ أنّ ما يستعمله مشايخ الطريقة لشفاء العِلَلِ المعنويّة ؛ أو الحسيّة هو الذكر الكثير ، ولذا قال الشعراني في « الجواهر » : وسُئِلْتُ عن الدوآء الذي إذا استعمله العبد زال عنه الرياء والإعجاب بنفسه ؟ ! فقلت : الإكثار من ذكر الله حتى يتجلّى في قلبه التوحيد الحقيقي ويرى أعماله خلقاً لله وحده جملة ؛ ليس لعبد فيها غير النسبة ، فهناك لا يصير عنده رياء ولا إعجاب ولا تكبّر على أحد من العصاة ، لأن العبد لا يرائي قط بعمل غيره ولا يعجب فيه بنفسه ، ولا يحصل عنده دعوى .

فإن قيل : فهل له دوآء غير التوحيد من الأعمال ؟ **قلت لا** أعلم له دوآء أسرع من التوحيد ، وهو الذي وضعه جميع أهل الطريقة للمريدين فَطَوَوْا به الطريق ، وقد أخطأ ذلك طائفة من العباد الذين أشغلوا نفوسهم بتلاوة القرآن والصلاة والصوم ، وماتوا على ريائهم ورؤية أعمالهم ، ولم يخلصوا في شيء منها ، كما يشهد لذلك حديث العابد الذي يقول له الحق تعالى « ادخل جنتي برحمتي » ، فيقول : يا ربّ بل بعملي ! وذلك لعدم فهمهم أن القرآن يتوقّف على جلاء القلب ، **فحكم الذكر كالحصى للنحاس المصدّى** وحكم غيره كالصابون . انتهى وهكذا في « المتممات » .

وفي « المواهب البريقة » : وقد ورد أن عابداً عبد الله في جزيرة سبعين سنة ، وفي رواية خمسمائة سنة ، وأن الحق تعالى يقول له يوم القيامة : ادخل الجنة برحمتي . فيقول : يا رب بل بعملي ، فلو أن هذا العابد كان سلك الطريق على يد عارف لعرف من أوّل ما دخل في الطريق أن العبد لا يدخل الجنة إلا برحمته تعالى دون عمله وإن كان

لزم الأدب مع الله تعالى في جميع أحواله . انتهى .

وقال الشعراني في « لواقح الأنوار » في ٣١٢ : وسمعتُ سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : مراد الشارع ﷺ ومشائخ الطريق من مريديهم ، إذا أكثر من الذكر باللسان والقلب ، أن يحصل له الأنس ويصيرَ قلبه لا يغفل ولا يتكلف للذكر ، بل يكون الحق مشهودَه على الدوام ، تارة يشهد بقلبه وتارة يشهد هو أنه في حضرة الله ، وأن الله يراه ، وكلا الحالين إذا دام يمنع العبد من وقوعه في المعاصي وسوء الأدب مع الله تعالى ، **وما لم يكثر العبد من ذكر الله عز وجل لا يحصل له هذا الأنس** ، بل يقع في كل معصية كالبهائم السارحة .

مطلب

خاصية تمكن الذكر في القلب

وسمعته مرة أخرى يقول : من خاصيّة تمكن الذكر من القلب أن يهذب أخلاق صاحبه فمن لم يتهذب فكأنه لم يذكر فهذا مقصود الشارع والأشياخ بأمرهم المريد بإكثاره من الذكر . والله عليم حكيم . انتهى .

وفي « تصديق المعارف » في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من سورة العنكبوت : أي : أكبر في نفي الكبر والخيلاء ومحو الأوْصاف الذميمة الفاحشة كلها ، وذلك مجرب عند المشائخ ، ولاسيّما ذكر الله بكلمة لا إله إلا الله ، فإني جرّبتها شيئاً عظيماً ، ورأيت الأوصاف الذميمة عند ذكرها ينقلب من البدن كانقلاب[1] الطير من قبضة الصيّاد على صفة السباع والدواب والهوام والطيور عند صولة هذه الكلمة فافهم . انتهى .

---

(١) وفي نسخة : تنفلت من البدن كانفلات الطير .

وفي « مزكي النفوس » : الذكر أفضل من صلاة النافلة لأن الصلاة تنهى عن الفحشآء الظاهرة ، والذكر تنهى عن الفحشآء الباطنة ، وما يطهّر الباطن الذي هو منظر الله ومُدْرك أمر الدنيا والآخرة يكون أفضل من غيره . انتهى ملخصاً وبالمعنى راجعه .

وفي « السير والسلوك » : فالسالك إذا كان في المقام الأوّل ـ يعني النفس الأمارة ـ وتلقن الاسم[1] الأوّل ، وداوم على تلاوته مع الإكثار آناء الليل والنهار ، جَهْراً وسرّاً ، قياماً وقعوداً ، أوقد الله تعالى في باطنه ببركة هذا الاسم مصباحاً ملكوتيّاً ، فيرى بعين قلبه القبائح التي هو مُنْطَوٍ عليها كارهاً متنكراً إتّصافها ، مُتحسّراً على ما فاته من الأوقات بعد ما كان في غفلة ، لا يعرف القبيحَ من الحسن إلا باللسان ، فيتشمّر حينئذ ويَسْعى على الخلاص مما فيه من القبائح الظاهرة ؛ كشرب الخمر والزنا ولبس الحرير وغير ذلك ، وعلى إخراج ما فيه من القبائح الباطنة ؛ كالكبر والحقد والشحناء وأمثال ذلك ، وكلما زاد من الذكر وداوم عليه زادت كراهته[2] الأفعال القبيحةَ ، وزاد سعيه في الخلاص منها ، وهذا أمرٌ متحقّق لا ينكره إلاّ مَنْ لا يُجَرِّبُهُ ، وهذا أوّل كرامة يكرم بها الله تعالى هذا السالك ، يستعينُ على قطع الطريق وله في كلّ مقام كرامة بل كرامات لِيثبت ، والمصباح المذكور هو أوّل الجذبة الرحمانيّة ، وكلما داوم السالك على الذكر مع المجاهدة قوي الجذب ، حتى يصل إلى أعلى درجات الكمال فيقوى على حمل الأمانة وعلى المتجلّيات . انتهى .

وفيه في ٣ أيضاً ما حاصله : أنه لا بدّ للسالك من سلاح ، وهو

(١) من الشيخ .

(٢) والذكر يهذب أخلاق الذاكر وطبائعه المذمومة ويؤدّب بآداب السادات كذا في « منية الفقير المتجرد » في ٣٩ فراجعه (منه) .

الأسْماءُ[1] ليُهْرِبَ عَدُوّيْه وهما الشيطان والنفس . انتهى .

وقال الإمام اليافعيّ في « نشر المحاسن » : وقال بعضهم : ذكر الله بالقلب سيف المريدين ، به يقاتلون أعداءهم ، وبه يدفعون الأفات التي تقصدُهم .

وقيل : إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان ، صَرَع كما يَصْرَعُ الإنسان إذا دنا[2] منه الشيطان ، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون : مالهذا ؟ فيقال : قد مسَّهُ الإِنْسُ . انتهى .

قال الغزالي : مهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالاً فوسوس ، ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله . وقال الحكيم : قد أُعطي الشيطان وجنده السبيل إلى فتنة الآدمي ، وتزيين ما في الأرض له ؛ طمعاً في غرابته ، فهو يزعجه عن مقرّه ، ولا يعتصم بشيء أوثق من الذكر ، لأنه إذا هاج الذكر من القلب هاجت الأنوار ؛ فاشتعل الصدر بنار الأنوار وهيّج العدو نار الشهوات ، وإذا رأى العدوّ هيجان الذكر من القلب ولّى هاربا ، وخمدت نار الشهوات ، وامتلأ نوراً ، فبطل كيده . انتهى . كذا في « البريقة المحمودة » في ٥٦ .

وفي « العوارف » : وللذكر نور يتقيه الشيطان كاتقآء أحدنا النار . فراجعه في ١٠٤ من هامش « الإحياء » من الجلد الرابع .

---

(١) الإلهية (منه) .

(٢) فالحاصل إن المريد إذا أكثر ذكر الله بالقلب ينفى عنه حديث النفس بالتدريج ويرى الإصغاء إليه ذنباً فيتقيه ويتقد القلب عند هذا الاتقاء بالذكر اتقاد الكواكب في كبد السماء ويصير القلب محفوظاً بزينة كواكب الذكر ، فإذا صار كذلك بعد الشيطان ويندر في حق هذا العبد الخواطر الشيطانية ولمّاته ، فراجع « العوارف » . وأما قطع حديث النفس والخواطر المشغلة عن خطاب الحق جل وعلا بغير سلوك على يد شيخ ناصح مما لا يصح أبداً كما هو مذكور في « لواقح الأنوار » فراجعه في ٥١ من هامش المنن الكبرى من الجزء الأول (منه من خطه قدس سره) .

وبالجملة : فالذكر أشرف العبادات وأفضلها وأعظمها وأكملها ، من حيث تصفية القلوب وتحليتها ، وتزكية النفوس وتكميلها ، لأن العابدين لو اشتغلوا بجميع العبادات في جميع أوقات الليل والنهار قلّما يَحْصُل لهم تصفية قلوبهم وتذكية نفوسهم ، وتهذيب أخلاقهم وأما الذاكرون ! فلما اشتغلوا بذكر الله على الدوام ، لا يشذّ منهم أحدٌ إلاّ قد حصل ذلك مع كثير من الأسرار وأنواع الوُصلة ، لأن الذكر عَمَلٌ جامع لأحوال القلوب وأسرار القرب ؛ من مقامات اليقين ومشاهد الشهود ومراتب كشف الغيوب ، وهو حِصْنُ الله الأعظم ومن دخله كان آمنا من الآفات الظاهرة والباطنة كما قال الله تعالى : « لا إله إلا الله حصني ، ومن دخله كان آمنا » ، وكما جآء في الحديث : « يقول الله تعالى لملائكته : قرِّبُوا منيّ أهلَ لا إله إلا الله ، فإنيّ أحبّهم » ، وقال عليه السلام : « لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه » ، وقال تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ : كذا في « المتممات » في ١١٤ فيقول الفقير أخذاً من هذه المذكورات آنفاً ومما يأتي في الباب السادس عشر : إذا كانت الأسمآء الإلهيّة للسّالك كالسلاح ، فإن أخذها من شيخ عارف مأذون يكون معها نورها ، فتكون حُجُباً يمنع بها الشيطان ، ومؤثّرة تنكسر بها النفس الأمارة الآبيةُ ، فيقوى السالك على الشيطان ؛ وعلى النفس ، ويَضْعَفانِ ، كما يقوى المقاتل الذي معه سلاحٌ جيّدٌ وسيف قاطعٌ حادٌّ على العدوّ المحارب ، وإن أخذها من غير عارف مأذون[1] ؟ ! تكون الأسماء خالية عن الأنوار ، فلا يقوى بها على الشيطان الغرّار ، ولا تَصيرُ حُجُباً بينه وبينه[2] ولا تكون مؤثرة لانكسار النفس وهواها ، بل يتسبّب الشيطان في إهلاكه ، ويُوقعُه في العُجْبِ والريآء ؛ ولو بعد حين من الأحيان . والله أعلم .

---

(١) صفة عارف (منه) .

(٢) لعله أي بين الشيطان انتهى .

قال في « المواهب البريقة » ؛ نقلاً عن الشعراني : فربما كان الذي لا شيخ له على عبادة الثقلين ، ثم وقع في العجب في آخر عمره فحبط عمله كله ، فكان حكمه كحكم النحل إذا أشرف على ختام الخلية ، فسرح على شجر الحنظل سرحة ثم مَجَّ ذلك على الخلية ؛ فأفسد كل ما فعله تلك السنة . انتهى .

ولقد سألني بعض العلمآء منكراً على شيخنا قطب الأولياء بركة الزمان قدس سره : هل يجوز تعليم الذكر للعريف ؟ .

فقلتُ له : إذا أراد الكافر أنْ يسلم فأيّ شيء يجب عليه أولاً ؟ فقال أن يقول (لا إله إلا الله) ! فقلت له : فهل يكفي له أن يذكره باللسان بلا تصديق بالقلب ولا إذعان أم لا ؟ فقال : يجب عليه أن يذكره باللسان مع موافقة القلب ، فقلتُ : إذاً ، يُعلَم بالطريق الأولى جواز الذكر بكلا نَوْعَيْهِ لمسلم نشأ في الإسلام ! فتحيّر ذلك العالم وتدبّر ، ولكن قال : هل يجوز أن يذكر الله بتلقين شيخ مع رابطة ؟ فقلت : نعم ، إنما وضع الإرشاد لأجل المعوجّ ، والأذكار الملقّنة أشدّ تأثيراً وأكثر نَفْعاً ، وبها يصير المعوجّ مستقيماً . فسكت مَلِيّاً ، ثم أورد عليه ما في « الإحيآء » قبيل بيان الدوآء النافع في حضور القلب في ١٣ من الجلد الأوّل .

وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : « قل لعُصاة أمّتك لا يذكروني ، فإنّي آلَيْتُ على نفسي أنّ مَن ذَكرني ذكَرْتُهُ فإذا ذكروني ، ذكرْتُهُم باللعنة » . انتهى ، فقال : ما تقولون في هذا ؟ ! فقلت له : لعلّ ذلك في حقّ قوم[1] مخصوصين[2] قد ذكروا الله تعالى

---

(١) في زمن موس عليه السلام مع أن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا على الأصح كذا في « فتح المبين » ومثله في « الخادمي » وفي « فتاوى الرمالي » : ليس شرع من قبلنا شرعاً لنا وإن ورد في شرعنا ما يقرره ، لأن شريعة نبينا ﷺ ناسخة بجميع الشرائع انتهى فراجعه في ٣١٨ من هامش « فتاوى ابن حجر » من الجلد الرابع (منه من خطه رحمه الله) .

(٢) ويؤخذ كون المراد ممن ذكر ، قوما مخصوصين ، مما في رواية أخرى ، أن الله أوحى إلى موسى عليه الصلاة والسلام أنْ مُرْ ظلمة بنى إسرائيل أن يقلّوا من ذكري فإني أذكر من ذكرني منهم باللعنة حتى يسكت ، فإن ضمير منهم يرجع إلى الظلمة الكائنين في زمنه عليه=

استهزاءً وسخريّاً مع إصرارهم على المعاصي ، وعدم مبالاتهم بارتكاب المناهي . ولقد كان الله تعالى شدَّدَ لأمم بعض الأنبياء بأشياء لا طاقة لهم بها ، وقد رفع ذلك التشديد بفضله عن هذه الأمة المحمديّة المرحومة ، كما هو مفهوم قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ الآية ، وإلاّ ! فيُعَارض كلام الإحياء على كثير من الأحاديث وآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ ﴾[1] وقد قال السفيري في شرح البخاري : إنّ موسى عليه السلام قال في بعض مُناجاته : يا ربّ ، قال له تعالى : لبّيك يا موسى . فقال له موسى : يا ربّ أنت أنت ، ومن أنا حتى أُجَاوَبَ بالتلبية ؟ ! فقال : يا موسى ، إنّي آليت على نفسي أن لا يدعوني عبد من عبادي بالربوبيّة إلاّ أَجَبْتُهُ بالتلبية ، فقال موسى : يا رب هذا لكل عبد طائع . قال : ولكل عبد مذنب . قال : يا رب الطائع بطاعته ، فما بال المذنب ! فقال الله تعالى : يا موسى إذا جَازيت المحسن بإحسانه وضيَّعْتُ المُسِيءَ بإساءته فأين جُودي وكرمي » ! ! . انتهى . هكذا في « تنوير الصدر » شرح حزب البر في ٢٧٤ من هامش « مجموعة الأحزاب » .

وعن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه أنه قال : قلت يا رسول الله ، علّمني عملاً يُقرّبني إلى الجنة ويُبَاعدني من النار ! . قال : « إذا عملت سيّئة فأتبعْها حسنة » ، قال قلت : أمِنَ الحسنات قول « لا إله إلا الله » ؟ قال : « نعَمْ هي من أحسن الحسنات » . انتهى . من أربعين حديثاً .

وقد أمر الله تعالى بإقامة الصلاة على كل مؤمن عاصياً كان أو

=السلام فتدبره (منه رحمه الله إفلاسه) .

(١) اي إن في المؤمنين عاص وصالح ومع ذلك أمرهم بهذه الآية بذكرهم إياه ، وما مر يخالف عموم هذه الآية الكريمة ويعارضها لو كان على العموم ، فتدبره (منه) .

مطيعاً ، والصلاة ذكر بدليل قوله تعالى ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ فلو كان الله تعالى يَلْعَنُ الذاكر العاصي وأمَرَهُ بعدم ذكره إيّاه ، لَمَا جَازَ للعُصاة والفساق من المؤمنين أن يقيموا الصلاة ، ولم يقل به أحد من الأئمة ! ! مع أنّ المشائخ قدس الله أسرارهم لا يلقنون الذكر إلاّ بعد تلقين التوبة ، وتعليم الإنابة احتياطاً ، فإن استقام المريدون فازوا ونالوا وإلاّ فالضرر راجع إليهم ، لا إلى المشائخ ، فأيّ رجل خرج من العِصْيان مع أنّ العصمة من خصائص النبوّة[1] . انتهى . وبعد ذلك لم يرِدْ إليّ[2] من طرفه سُؤال مّا ، فلا أدري أرَضِيَ بالجواب أم لا ! ! فالحمد لله رب العالمين .

قال الشعراني في « لواقح الأنوار » : أخذ علينا العهد العام عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن نحفظ لساننا في كل مجلس نجلسه عن كلام اللغو ما أمكن ، وإن وقعنا في ذلك فلا ننصرف حتى نذكر الله تعالى ، بما ورد أنه يُكَفّر ما وقع في ذلك المجلس ، وذلك أنّ الملك لا يكتب ما عمله العبد من السيئات إلاّ بعد ساعة[3] أو ثَلاَثِ ساعات كما ورد ، فإن استغفر لم يكتبها . وإن لم يستغفر يكتبها وهذا من جملة رحمة الله تعالى بعباده ، من حيث كون[4] رحمته وحلمه سبق غضبَه

(١) ولقد قال المحشى الحفنى في ٢٤٠ إن أصل الولاية تحصل بالشهادتين ولذا قال بعض العارفين إياك ومعاداة أهل لا إله إلا الله فإن لهم من الله تعالى الولاية العامة وهم أولياء الله وإن أخطؤا وجاؤا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئاً ، فإن الله تعالى يتلقاهم بمثلها مغفرة انتهى ٢٤٠ من هامش « المنح المكية » ، فليتدبره القائلون بعدم جواز إعطاء الطريقة لأهالى داغستان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) أي العالم المذكور .

(٣) وفي « الإحياء » وقال بعض السلف إذا أذنب العبد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات ، فإن تاب واستغفر لم يكتبها عليه وإن لم يستغفر كتبها انتهى . فراجعه في ٤١ من الجلد الرابع (منه) .

(٤) وقال بعض السلف ما من عبد يعصي إلاّ استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به واستأذن=

وانتقامَه ، فإذا وقع العبد في معصية تسابق إليه الرحمة والانتقام ، ومعلوم أن أسماء الرحمة أسبق ، فتأتي أسماء الانتقام فتجد أسماء الرحمة قد سبقتها إلى محل الانتقام ، فرجعت أسماء الانتقام بلا تأثير . والحمد لله رب العالمين . وقد كان الشيخ محي الدين العربي يقول : إذا عَصَيْتَ الله تعالى في أرض فلا تفارقها حتى تعمل فيها خيراً ، كقولك (لا إله إلا الله) ، أو (سبحان الله) ، أو (الحمد لله) . فكما صارت البقعة تشهد عليك ، كذلك تشهد لك يوم القيامة ، والله يحفظ من يشاء كيف يشاء .

وروى أبو داود والترمذي - واللفظ له - والنسائي وابن حبان في « صحيحه » والحاكم ، وقال الترمذي : حديث حسن مَرْفوعا : « من جَلَسَ مَجْلِساً كثر فيه لَغْطُهُ ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه : (سُبْحَانَكَ اللَهُمَّ وبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ أنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ) ، إلاّ غفر له ما كان في مجلسه ذلك » . انتهى ٣١٦ .

ولقد أمر الله تعالى في مواضع عديدة من القرآن بالاستغفار والتوبة ، ومَدَح المستغفرين والتوابين ، والاستغفار ذِكْرٌ ، وأمثال هذه كثيرة وكلّها يُعَارض كلامَ « الإحياءِ » المذكُورَ . فتدبره . فالحاصل أن العبد مأمور بتقوى الله في سرّه وعلانيته ، لكن لا بدّ أن يقع منه أحياناً تفريطٌ في التقوى ، إمّا بترك بعض المأمورات أو فعل بعض المنهيات ، ومع ذلك لا ينافي وصفه بالتقوى ، كما[1] دَلّ عليه نظم سياق

=سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفا ، فيقول الله تعالى للأرض والسماء كفّا عن عبدي وامهلاه فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه ولعلّه يتوب إليّ فاغفر له ولعله يستبدل صالحاً فأبدله له حسنات فذلك معنى قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ ﴾ في « الإحياء » في ٤١ من الجلد الرابع (منه) .

(١) وكذا لا ينافي وصفه بالصلاح لأن الصالح يطلق على المؤمن ولو فاسقاً بمجرد إيمانه ، كذا في « مناهج السعادات » شرح « دلائل الخيرات » في ٤٩ وفي ٣٢ راجعه (منه) .

آيات ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ إلى أن قال في وصفهم : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآية . فلذا أمَرَ صلى الله عليه وسلّم بأن يفعل العبد ما يَمْحو به ما فرط منه بقوله : « وأتبع السيئة الحسنة تَمْحُها » . كما قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي فلا تعجزن أيها الإنسان إذا فرطت منك سيّئة أن تتبعَها بحسنة ، من نحو صلاة أو صيام أو ذكر ، وفي الحديث : « كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم » فجاءه رجل فقال : يا رسول الله ، إني أصَبْتُ حَدّاً فَأقِمْهُ عليَّ ، فأعرض عنه ، ثم كرّر ذلك مراراً ، وهو يعرض عنه ، فقال : يا رسول الله إنه أتتني امرأة أجنبيّة تشتري منّي تَمْراً ، فأدْخَلْتُهَا البيتَ فأصَبْتُ منها ما يصيب الرجل من امرأته ، غيرَ أني لم أجَامِعْها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « تَوَضَّأْ وُضُوءاً حَسَناً » فتوضَّأ وصلّى مع النبي صلى الله عليه وسلّم فنزل قوله تعالى ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ أي : عظة لمن اتّعظ ، فقال مُعاذ : يا رسول الله هذا له خاصّة أم للناس عامة ؟ ! فقال : « بل للناس عامة » . انتهى من « فتح المبين » ملخصاً . وبالمعنى من الحديث الثامن عشر فراجعه في ١٤٦ إن أردت البسط الزائد .

واعلم : أنّ ما يَدُلّ على جواز الذكر لكلّ واحدٍ من المؤمنين صالحاً وطالحاً كثيرٌ في الكتب[1] ، والمشائخ هم الأطباء يُعالجون المرضى بالأمراض المعنويّة ، بأدوية الأذكار الواردة من سيّد البشر عليه السلام ، كما قال صلى الله عليه وسلّم : « ذكر الله شفاء القلوب » ، أخرجه الديلمي في الفردوس عن آنس رضي الله عنه .

(١) وقد قال الإمام الرازي قدس سره ما حاصله : إن العبد يأتي بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله وما اتصل به انتهى (منه رحمه الله) .

والقول بعدم جواز إنزال الدواء على موضع الداء ممّا لا يقبله عقل ، ولا نقل ، ولا يشترط في مقام الاتباع له عليه السلام عدم الوقوع في المعصية ، وإنّما الشرط عدم الإصرار . كذا في كتاب « الجواهر والدرر » للشعراني ، راجعه في ١٤٩ من هامش الإبريز .

ولا يخفى أنّ مُرْتَكِبَ المعاصي أحْوَجُ من غيره إلى تكثير الخيرات وزيادة المكفِّراتِ من الأذكار والأوراد وغيرها من أنواع[1] الطاعات ، فلعلّ ميزان حسناته يرجح فيفلح فلاحاً لا شقاوة ولا خسران بعده ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ** ﴾ الآية . ولقد سمعت شيخنا ذا الجناحَيْن قدس سره يَقُولُ - مُقْتَبِساً من قوله تعالى ﴿ **مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا** ﴾ الآية - : إنّ مَنْ ذَكر الله تعالى خمسة آلاف مَرّة - وهو أقلّ وِرْدِ مَنْ له شيْخٌ - فله خمسون ألف حسنة ، فمن ذكر الله تعالى بذلك العدد في كل يوم ، فسَيفرح يوم القيامة إذا وجد تلك الحسنات في صحيفته ، ومن ليس له شيخ لا يطيق على ذلك . انتهى .

قلت - والله أعلم - : إن ذكر القلب يُضاعف على ذكر اللسان بسبعين ضعفاً كما ورد بذلك الحديث ، فاحْسِبْهُ إلى أين يُرْتقى ثوابه ، واشكر مَوْلاَكَ واسْألْ مِنْهُ القبول بِلا حِرْمَانٍ ، إنه هُوَ الجواد الوهَّاب . فها أنا يا أخي طَوَيْتُ لك في هذا الباب عدّة منافع فعليك الاستغفار لهذا المذنب الخاطىء .

---

(١) وقد نقل الشيخ الشعراني في« اليواقيت » عن « الفتوحات » للشيخ الأكبر أنه قال في باب الوصايا إيّاكم ومعادات أهل لا إله إلا الله ، فإن لهم الولاية العامة فهم أولياء الله ولو أخطؤا وجاؤا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئاً فإن الله يتلقى جميعه بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته وإنما جاز لنا هجر أحد من الذاكرين الله لظاهر الشرع من غير أن نؤذيه أو نزدريه وأطال في ذلك ، ثم قال وإذا عمل أحدكم عملاً توعده الله عليه بالنار فليمحه بالتوحيد فإن التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيمة لا بد من ذلك . انتهى فراجعه في ٤٦ قبيل المبحث الثاني من الجزء الأوّل (منه من خطّه قدّس سرّه) .

وَصْلٌ[1]: في بيان رفق المشائخ وملاطفتهم لضُعَفاء المُريدين ومُسامحتهم لمن لا يقدر منهم على عمل العزيمة .

قال في « الحدائق الوردية » في ٢٠٣ : العمل بالعزيمة في هذا الزمان صعْبٌ لفساد المُعامَلات وعدم إمكان تطبيقها على قواعد الشريعة ، فالأخذ بظاهر الفتوى مع اجتناب البدعة غنيمة عظيمة . انتهى . ومثله في « النفائس السانحات » فراجعه في ٦٦ من هامش الرشحات .

وفي « المتممات » في ١٧٩ للقطب أحمد ضياء الدين قدس سره : وإن لم يمكن العمل بالعزيمة بأن يكون[2] من أهل التجارة أو الحرفة أو الخدمة أو الزراعة أو صاحب عيال ، فليعمل بالرخصة . انتهى . وهكذا في الخادمي و« الآداب المرضية » للشيخ جمال الدين الغازى الغموقي قدس سره .

وقال الخاني في « البهجة السنية » في ٣٠ : ينبغي للشيخ أن يرفق بضعفاء الطريق ، فإذا رأى الشيخ في باطن المريد ضعفاً لا يقدر على عمل العزيمة ومخالفة النفس وترك المألوفات فيُسامحه ، ولا يَرُدّه عن الطريق ولا يثبت رقم الشقاوة على جبينه ، لأنه مَنْ جلس معه بالصدق والصفاء لا يكون شقيّاً ، إن لم يتصل بمقام الكمَّل فهُمْ قوم لا يشقى بهم جليسهم ، فينبغي أن يأمرهم بالرخصة فيمنعه من الرياضة الشاقة حتى لا ينفر من صحبة السعداء ، فيجلسه باللطف والكرم ، فبصحبتهم وكثرة المخالطة مَعَهُمْ يتأثَّرُ وتقوى همته . وبحكم المناسبة والمجالسة تحصل له المحبة وداعي تحمّل المشقّة والرياضة والمجاهدة ، فيَرْتقي من حضيض الرخصة إلى ذِرْوَةِ العزيمة ، ويحمل جميع المشاق .

---

(١) قوله وصل ، هو بالواو ، لا بالفاء ، تدبر (منه) .

(٢) مريد .

جاء رجل من أبناء الملوك إلى شيخ وخرج من جميع المال والأسباب كلها مرّة واحدة ، فتفرّس الشيخ بفراسته حالَهُ ، فبحسب الأوقات يحضر له الطعام اللذيذ ويقول الشيخ : تربيته كانت بالنعمة ، وتأنس بها ، فلا بدّ من الرفق به ، ولا ينبغي المنع من حظوظات النفس من الحلال حتى تحصل له الرغبة إلى المجاهدات ومخالفة النفس . انتهى .

وفي « قلائد الجواهر » في ١٤ ، و« ترصيع الجواهر » في ٢١ نظيرُ ما مرّ فراجعْهُمَا .

وفي« المتممات » في ١٩٦ : وقيل : متى رأيت المريد يشتغل بالرخص أو بالكسب فاعلم أنه لا يجيء منه شيء ، وأما عند النقشبندية بعد الحضور لا يضرّ . انتهى .

وفي « ترصيع الجواهر » أيضاً ما حاصله : إن المشائخ مأمُورُونَ باستمالة قلوب الناسِ ، ولو قلب كافر ، وأما الأمر بإهانة الكافر والعاصي المجاهر ! ! فهو في حق غير المرشد ، ولذا قال سيّدنا عبد القادر : لا يضحَك في وجه الفاسق غير العارف يضحك في وجهه ليتألَّفه ويخلِّصه من فسقه ، وليستنقذه من يد الشيطان ، لأنه طبيبٌ والطبيب يَصْبِرُ على صحبة المرضى . انتهى في ٣٤ .

وفي « المنن » : لا ينبغي أن يتواضع للعصاة إلاّ الدعاة . انتهى .

وفي « البهجة » في ٣٧ : ويقدم الشيخ بعد الاستخارة تعليم التوبة ويكتفي فيها بالإجمال من غير تفصيل الذنوب والمعاصي ، فإنّ الهمم في هذا الزمان قاصرة والتكليف بالتفصيل يقتضي مُدّة ، فالأولى إهمال ذلك إلى مرور الأيام ، قال العبد الراجي رحم الله إفلاسَه : إن للشيوخ الكرام قُدِّسَتْ أسرارهم في هذا الأمر اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلّم حيث ثبت أنّ المبايعين أرادوا المبايعة له صلى الله عليه

وسلّم على أربع صلوات أو على أقلّ من ذلك فبايعه على ذلك وقال : « الصلاة لا تُتْرَكُ » ، فكذلك الشيُوخ يقنعُون في بداية الأمر بالإجمال من التوبة اعتماداً منهم على أنّ النور الإلهيّ إذا تمكّن من قلبه يأبى أن يكون كلّ حَرَكة وسكنة منه إلاّ بالله سبحانه وتعالى ، ثم يُلقّنه ذكراً مناسباً لحاله ويُمدُّه في ذلك بتوجُّهه وهمّته ، ويُبيّنُ له آداب الطريق وشرائطه ، ويرغِّبُه في متابعة الكتاب والسنة ، ويقطع عنه الكلمة بأنّ الوصول إلى المطلوب لا يمكن إلاّ بهذه المتابعة ، وينبّهه على أن الوقائع والكشوف المخالفةَ أدنى مخالفة للكتاب والسنة لا يلتفت إليها أولوا الأبصار ، ولا توزن بميزان الاعتبار . انتهى من عينه ٣٧ .

وقال الإمام الرباني رضي الله عنه في بعض مكاتيبه ، مجيباً لمن سَأله : إنّ بعض الرجال والنساء يلتمسون الطريقة مع أن أكلهم ولبسهم من مال لا يخلو عن رِبا ، ويظهرون أن هذا الأخذ منهم ليس إلاّ بالحيلة الشرعيّة ، هل يتأهلون لتعليم الطريقة ؟ : **لقِّنوهم الذكر وعلِّموهم ورَغِّبُوهم في الاجتناب عن المحرم، ولعلّهم يتخلّصونَ من ذلك الاشتباه ببركة الطريقة** . انتهى . كذا في « الدرر المكنونات » في ١٣١ من الجزء الثاني و« البهجة السنية » في ٣٧ المعنى في هذا ما قد سبق عن النبي صلى الله عليه وسلّم ، ومن هنا قالوا : إنّ الطالب إذا وجد في طاعته وعبادته اختلاج الباطن بشيء من السمْعَة والرياء لا يترك العبادة ، بل يستغفر الله تبارك وتعالى . انتهى . « بهجة » ، ملخصاً في ٣٧ .

مطلب

وقد قيل : الرياء قنطرة الإخلاص ، ولهذا قال شيخنا ذو الجناحين العسوي قدس سره : قد تحمل المشائخ المريدَ إلى الرياء في العبادة

ليجرُّوه تدريجاً إلى الإخلاص . انتهى .

وفي « المنن » : ولمّا ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالرسالة لم يأمر أحداً بترك الحرفة التي بيَدِهِ ، بل أقرّهم على حِرَفهم وأمرَهم بالنُصح فيها . وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول : الكامل مَنْ يسلك الناس وهم في حِرَفهم . انتهى .

فالواجب على الشيخ أنْ يَرْفق ويلطف بِمَنْ كثرت معاصيه وقسَى قلبه ، وغلب وقوعه في المخالفات ، ولم ينشرح صَدْره للتوبة ، فإنّه كالمريض الذي يَشْكُو أمْرَاضه للطّبيب فلا ينبغي أن يزجره وينفر منه بل يَصْبِرُ حَتّى يفرغ من أن يَشْكُوَ ضرورته ومَرَضه ثم يصف له الدواء ، وهذا الخُلق قلّ مَنْ يعمل به ، لاسيّما أهل الحِدَّة والغيرة على الشريعة ، ولو أنّهم نظروا في أخلاقه صلى الله عليه وسلّم لتلطّفوا[١] بجميع العصاة ، فإياك يا أخي ونَهْرَ أحَدٍ من العُصاة إذا سَألك عَنْ دَوائه . ولا يمتحنهم الشيخ في الصدق ، لأنّ الامتحان إنما يكون إذا تمكّنوا في الطريق وعلّقت بهم صنارتها وأمّا قبل ذلك فربّما امتحنهم الشيخ فرجعوا عما كانوا قصَدوه وقالوا : ما لَنا ولهذا الطريق ؟ ! وفترت همّتهم . انتهى .

وفي « الفتاوى الحديثيّة » لابن حجر : إنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يُلَيِّنُ القول لمن يَرْجُو إسلامَه لأنّه أرجى للهداية . انتهى .

وفي « تنبيه المغترّين » : مَن لم ينظر للعُصاة بعين الرحمة فقد خرج عن الطريق . انتهى . وفيه أيضاً : الفاسق ضالّة كلّ داع إلى الله[٢] . انتهى . يعني أيْنَمَا وجدَها يلتقطها . والله أعلم . انتهى . فعامل يا أخي إخوانك في هذا الزمان كما تعامل الأطفال الذين ليس لهم عُقولٌ ، ولا

---

(١) وفي نسخة : لتفطنوا .

(٢) فهو يطلبهم ليصحبهم ويسارقهم بتقويم عوجهم ويتخوّلهم بالموعظة الحسنة « لطائف المنن » من في٢٦١ من الجزء الثاني راجعه (منه) .

تُقِمْ عليهم ميزان الصدق فينفروا كلهم من صُحْبَتك انتهى « المنن » .

وفيه : لا لوم على الدعاة إلى الله تعالى من العلماء العاملين في تليينهم الكلام للفسقة بقصد صحيح كَأنْ يقصِدُوا بذلك تمييلَ قلوبهم إلى محبتهم حتى يَصْغَوْا لنُصْحهم ، فإنّ التكبّر على الفسقة وإظهار احتقارهم مما ينفرُ قلوبهم ، وتأمّل يا أخي الصيّادَ إذا اصْطادَ سمكة كبيرة وخاف على خيْطه أن ينقطع كيف يخدعها ويرخي لها الخيط على تَبَعُّدٍ ثم يَسْحَبُها مُسارقة شيأ فشيأ حتى تَدْخل تحت يَدِه ويقبض عليها ، وكذلك العُصاة . انتهى .

فائدة : ومن السياسة الحسنة أن لا يعاهد الشيخ المريد بأن لا يَعُود إلى عصيان الله تعالى ، وأنْ يُوفِّي ما لقَّنه له من الأوراد ، بل يأمُرهُ بفعل الأوامر واجتناب النواهي من غير مُعاهدة ، لأنه لا يأمن صَاحِبُ المُعَاهدة من الوقوع في الخيانة وعدم الوفاء ، فيصير عليه إثم المعصية وإثم خيانة العهد ، ولو أنه لم يقع في مُعَاهدة لكان عليه إثمٌ واحدٌ . ومثله في « درر الغواص » وكتاب « الجواهر والدرر » فراجعهما ، ومشى شيخنا العسليّ قدس سره على هذه السياسة ، وكانت عادته رضي الله عنه أن يلقن الذكر لكلّ مَنْ جاء لديه من أرباب الحشيش وأهل السعُوط وشَرَبة النبيذ وغيرهم من أهل الفسق والمعاصي ، ولا ينهاهم عن تلك القبائح ، بل كان يُلاطفهم ويداريهم ويمزحهم كأنّه مثلهم ، ثم بعد زمان كانوا يتركون الشرور والمناهي ولا يرتكبون الفسق والمعاصي ، فيتدَرّجون إلى الخيرات ويتسارعون إلى الحسنات ويتيقَّنون بركة الأذكار ، ولا يزالون يذكرون الله بالقلب واللسان ، فلو كان قدس سره منعهم من أوّل الأمْر من ارتكاب على تلك القبائح لنفروا منه ولفاتت عنهم تلك المنافع واستمرّوا على العصْيان ، وبعضُ الخير يجرّ إلى الخير ، كما أنّ بعض الشرّ يجرّ إلى

الكلّ ، فافهم ، ولهذا قال المحققون : من شرط الداعي إلى طريق الله تعالى مَعْرفته السياسةَ قبل الدعاء ليدعوا كل إنسان من الطريق التي يسهل عليه انقياده له منها . انتهى .

واعلم : أنّه قد يكون الذنْبُ للعبد خيْراً من الطاعة ، وقد يدخل الرجل الجنة بسبب المعصية ، ولا علم لنا في أيّ الأمرين صَلاحُ الإنسان ، وقد قال ابن عطاء الله في « تاج العروس » في ٢ : فالمعصية مع الذلّ والافتقار خير من الطاعة مع العزّ والاستكبار[١] . انتهى .

وقال في « حِكَمِهِ » : ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول ، وربما قضي عليك بالذنب فكان سبباً في الوصول . انتهى .

قال الشرقاوي في شرحه في ٦٩ : وذلك أنّ الطاعة قد تقارنها آفاتٌ قادحة في الإخلاص فيها ، كالإعجاب بها والاعتماد عليها واحتقار من لم يفعلها وذلك مانع من قبُولها ، والذنب قد يقارنها الالتجاء إلى الله والاعتذار إليه واحتقار نفسه وتعظيم من لم يفعله ، فيكون الذنب سبباً في مغفرة الله له ووصوله إليه . انتهى .

وفي « شرح الحِكم » في ٢٩ : ينبغي أن لا ينظر العبد إلى صور الأشيآء ولينظر إلى حَقائقها ، فصور الطاعات لا تقتضي وُجودَ القبول لها ، لِمَا قد تضمّنَتْهُ من الآفات القادحة في الإخلاص فيها ، وذلك مَانِعٌ من وُجُود القبول لها ، ووجود صور الذنب لا يقتضي الإبعاد والطرد ، بل ربّما يكون ذلك سبباً في وصوله إلى ربّه وحصوله في حضرة قربه ، كما قيل : رُبَّ ذنب أدخل صاحبه الجنةَ ! وقد جاء في

---

(١) والاستكبار هنا هو : ما يخطر الطائع من كونه أحسن من فلان الفاسق ، فهناك يكون الفاسق أحسن حالا منه . فافهم كذا في كتاب « الجواهر » للشعراني . فراجعه ٢٣٤ من هامش « الإبريز » (منه) .

الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « والذي نفسي بيده ، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجآء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم » . انتهى .

وفيه : وقال أبو حازم رضي الله عنه : إنّ العبد ليعمل الحسنة تسرّه حين يعملها وما خلق الله له من سيّئة أضرَّ منها ، وإنّ العَبْدَ ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها وما خلق الله له من حسنة أنفعَ له منها ، وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة تسرّه فيتمنّى بها ويرى أنّ له فضلاً على غيره ، ولعل الله أن يحبطها ويحبط معها عملاً كثيراً ، وإنّ العبد ليعمل السيّئة تسوءه حين يعملها ، ولعلّ الله أن يحدث له بها وَجلاً حتى يلقى الله تعالى ، وإنّ خوفها في جَوْفِهِ بَاقٍ .

ثم بيّن المؤلّفُ رحمه الله هذا المعنى بقوله : معصية أورثت ذلاً وافتقاراً خيرٌ من طاعة أورثت عزّاً واستكباراً . الذلّ والافتقار من صفات العُبُوديّة ، والعزّ والاستكبار مُناقضان لها لأنّهُما من صفات الربوبيّة ، ولا خَيْرَ في الطاعات إذا لزم عنها شيء ممّا يناقض صفات العُبُوديّة ، لأنها تُحْبِطُها وتبطلها ، كما لا مُبالاة بالمعصية إذا لزمتها صفات العُبُوديّة ، لأنّها أيضاً تَمْحُوهَا وتُزِيلُها . قال سيّدي أبو مَدْين رضي الله عنه : انكسار العاصي خيْرٌ[1] من صولة المطيع . وكان سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه كثيرَ الرجاء لعباد الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة ، وكان[2] يكرم الناس على قدر رُتْبَتِهم عند الله

---

(١) وفي « الطبقات » : روعة عند انتباه من غفلة وانقطاع عن حظ نفس وارتعاد من خوف قطيعة أفضل من عبادة الثقلين . انتهى راجعه في ٩٤ من الجزء الأول (منه) .

(٢) وقال القطب الرباني أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري المالكي قدس سرره في كتاب « التنوير في إسقاط التدبير » في ٤٩ واعلم أنه لا بد في مملكته من عباد نصيب الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وافهم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله=

تعالى ، حتى أنه رُبّما دَخل عليه مُطيع فلا يَعْبَأ به ، وربّما دَخل عليه عاص فأكرمه ، لأنّ ذلك الطائع أتى وهو متكبّرٌ بعمله ناظرٌ لفعْله ، وذلك العاصي دخل عليه بكثرة مَعاصيه وذلّة مخالفته . انتهى ٧٠ .

وفيه في ٧٠ : إنّ رَجُلاً من بني إسرائيل أتى عابداً من بني إسرائيل فوطىء على رقبته وهو ساجدٌ ، فقال له العابدُ : ارْفَعْ ، فوالله ، لا يغفر الله لك ، فأوحى الله عزّ وجلّ : أيّها المتألّي عليّ ، بل أنت لا يغفر الله لك . قال[١] الحرث المحاسبي رضي الله عنه : لأنه إنّما تألّى على الله عزّ وجلّ أنْ لا يغفر الله له لعظم قدر نفسه عنده ، وأنّ الإساءة إليه عند الله عز وجَلّ عظيمة لا يغفرها الله تعالى لموضع عبادته وسجوده ، لأنه عدّ نفسه عظيم القدر[٢] عند الله عز وجلّ فجمع بَيْنَ عجب وكبر واغترار بالله عز وجلّ . انتهى .

=فيغفر لهم » وقوله عليه السلام « شفاعتي لاهل الكبائر من امّتي » ، وجاء رجل إلى الشيخ أبي الحسن رحمه الله ، فقال ياسيدي كان البارحة بجوارنا من المنكرات كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل استغراب أن يكون هذا فقال : يا هذا كأنك تريد أن لا يعصى الله في مملكته ، من أحبّ أن لا يعصى الله في مملكته فقد أحب أن لا تظهر مغفرته وأن لا تكون شفاعة رسول الله عليه السلام . انتهى كلام الشيخ . وكم من مذنب كثرت إساءته وزلة مخالفته أوجبت له الرحمة من ربّه فكن له راحماً وبقدر إيمانه وإن عصى عالما انتهى . وفيه قبيل هذا فإذا نظرت أهل التخليط والإساءة فاعلم أنه محكوم عليهم بسابق العلم ونافذ المشيئة وإن لم تفعل خيف عليك أن تبتلى بمثل محنتهم وأن تقطع كقطيعتهم واسمع ما قال الشيخ أبوالحسن رحمه الله أكرم المؤمنين وإن كانوا عصاة فاسقين وأمرهم بالمعروف وانههم عن المنكر واهجرهم رحمة بهم لا تعززاً عليهم وقال رحمة الله عليه لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض فما ظنّك بنور المؤمن المطيع انتهى . فراجعه من صحيفة ٤٨ (منه من خطه قدس سره ورزقني الله نصيباً من علومه وفيوضاته وعمله وورعه) .

(١) في ٢٠٥ وقال فيه بعد ذكر هذه الحكاية : وهذا يعرفك أن الله تعالى إنما يريد من العباد قلوبهم .انتهى . (منه رحمه الله) .

(٢) وفي « الطبقات » في ٨٩ تكبر المطيعين على العصاة بطاعتهم شرّ من معاصيهم وأضرّ عليهم منها ، كما أنّ غفلة العبد عن توبة ذنب ارتكبه شرّ من ارتكابه . انتهى فراجعه (منه) .

وفيه في ٧١ أيضاً : إنّ عيسى عليه الصلاة والسلام خرج ومعه صالح من صالحي بني إسرائيل ، فتبعهما رجل خاطىء مشهورٌ بالفسق فيهم ، فقعد مُنْتَبِذاً[١] عنهما منكسراً ، فدعا الله سبحانه وتعالى وقال : اللهم اغفر لي ، ودعا هذا الصالح وقال : اللهمّ لا تجمع بيني وبين هذا العاصي ، فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام : إني قد استجبت دُعَاءَهُمَا جميعاً ، رَدَدْتُ ذلك الصالح ، وغفرت لذلك المجرم .

مطلب

خليع بني إسرائيل

وروي عن الشعبي أيضاً ، عن الخليل بن أيّوب أنّ رَجُلاً كان في بني إسرائيل يُقال له : خليع بني إسرائيل لكثرة فَسَاده ، مرّ برَجُلٍ آخر من بني إسرائيل يقال له : عابد بني إسرائيل وعلى رأس العابد غمامة تظلّه ، فقال الخليع في نفسه : أنا خليعُ بني إسرائيل ، وهذا عابد بني إسرائيل ! فلو جَلَسْتُ إليه لعلَ الله عز وجل أن يرحمني به ، فجلس إليه فقال العابد في نفسه : أنا عابد بني إسرائيل وهذا خليع بني إسرائيل يجلس إليّ ! ! فأنف منه ، وقال : قُمْ عَنّي ، فأوحى الله عز وجلّ إلى نبيّ ذلك الزمان : مُرْهُمَا فليستأنفا العمل ، فقد غفرت للخليع وأحْبَطْتُ عمل العابد . وفي حديث آخر : فتحوّلت الغمامة على رأس الخليع . قال الحرث المحاسبي : وإنما أراد الله عزّ وجلّ من عباده قلوبهم لتكون جوارحهم تبعاً لقلوبهم ، فإذا تكبّر العالم أو العَابِدُ وأنف ، وتواضع الجاهل أو العاصي وذلّ هيبةً لله عزّ وجلّ وفَرَقاً منه ، فهو أَطوَعُ لله عز وجلّ من العابد أو العالم بقلبه . انتهى ٧١ .

---

(١) وانتبذت مكاناً : اتخذته بمعزل يكون بعيداً عن القوم « مصباح » .

الباب[1] السابع

في ردّ دَعْوَى مَنْ يَقولُ : لا يجوز للشيخ النقشبندي تلقين الذكر إلا لمن له نفس مطمئنّة وهذا القول من هذا البعض عكس النقل وخلاف العقل

اعلم : أنّ المقصود من السير والسلوك كما في « الرشحات » تصفية وجه القلب وتصقيله عن كُدُورات الصُوَر الكونيّة وظلمات المقتضيات الطبيعيّة لكي يقبل التجلّيات والمشاهدات ، فكل من حصل له تلك التصفية بالفطرة الأصلية ، أو الجذبة الربانية لا يحتاج في قبول التجلّيات الذاتيّة والصفات والشؤونات الإلهيّة إلى السير والسلوك ، لأنهما عبارتان عن تلك التصفية ، وليس وراءها للسالك شيءٌ يُسارُ ولا مَقامٌ يُسْلَكُ ، كما لا تحتاج[2] المرآة الصقيلة في انطباع صورة الناظر فيها إلى أن تتحرّك وتذهب إلى جانب الصورة .

فإنّ قبُولَهَا للصّورة لأجْل نورانيّة وَجْهِهَا وصَفائها ، فكلّ شيء يُقابلها تنطبع صورته فيها وتظهر من غير حركتها إلى جانب الصورة .

وفي مكتوبات الإمام الرباني : إنّ المقصود من السلوك والجذبة تطهيرُ النفس من الأخلاق الردية والأوصاف الرذيلة ، ورأس جميع تلك الذمائم التعلقُ بالنفس وتحصيل مراداتها وهواها ، فحينئذ لا يكون بدّ من السير الأنفسي ، ولا مندوحة من الانتقال من الصفات الذميمة إلى الأخلاق الحميدة . انتهى ٦٧ من الجزء الثاني ، فتدبّر ! فإنه كلام نفيس مهمّ لمن أهمّه ، ولا يخفى أنّ صاحبَ النفس المطمئنّة هو الرشيد

---

(١) وقد كان في الباب السادس كفاية في حق هذا المطلب لكن جعلت هذا باباً منفرداً نظراً إلى انفراد من يدعى ويزعم بأن تلقين الأذكار لا يجوز إلا . . . الخ فافهم (منه) .

(٢) وراجع « جواهر القرآن » في القسم الثاني (منه) .

المهتدي ليس له افتقارٌ إلى المرشد الهادي ، وإنما يفتقر إليه مَنْ له نَفْسٌ أمّارة لتزكية رُعونتها بِتَرْبِيَتِهِ ، فإنّ الأشياخ هم الأطبّاء ولا يحتاج إلى الأطبّاء إلاّ أصحاب الأمراض ، ولهذا قال الشعراني في « لواقح الأنوار » في ١١ : **واعلم** أنّ كلّ مَنْ رزقه الله تعالى السلامة من الأمراض الباطنة كالسلف الصالح والأئمة المجتهدين فلا يحتاج إلى شيخ . انتهى .

وفي « اليواقيت » في ١٠٤ : وقد كان سيدي إبراهيم[1] الدسُوقي رحمه الله يقول : لو أن الفقيهَ أتى العبادات والمأمورات[2] الشرعية بغيْرِ علّة كما أمَرَه الله تعالى لاستغنى عن الشيخ ، ولكنه أتى العبادات بِعِلَلٍ وأمراض ، فلذلك احتاج إلى طبيب يُداويه حتى يحصل له الشفاء[3] . انتهى[4] .

وفي « الدرر المكنونات في تعريب المكتوبات » في ٨٠ في الجزء الأول[5] ما **حاصله** : إنّ الذكر عبارة عن طرد الغفلة بأيّ وَجْهٍ تيسَّر ، لا أنّ الذكر مقصور على تكرار كلمة النفي والإثبات ، أو على تكرار اسم

---

(١) ومثله في « الطبقات الكبرى » في ١٤٨ من الجزء الأول فراجعه (منه) .

(٢) وفي « تنوير الصدر » ما خلاصته إن السير في الشريعة على الاستقامة والإخلاص لا يتم إلا بصحبة شيخ عارف أو الخ . راجعه من هامش مجموعة الأحزاب في ١٨٥ (منه) .

(٣) ولهذا قال الإمام الرباني وأما الطريقة والحقيقة فهما خادمان للشريعة وتحصيلهما لتكميل الشريعة اه . وقال أيضاً لا تحصل حقيقة الإيمان إلا بعد تزكية النفس والاطمئنان انتهى . كذا في البهجة في ٧٦ وفي ٧٧ ، ولا بد للطالب من المراجعة إليه في هذه الصحيفة ، ولا تحصل تصفية النفس إلا بعد تزكية اللطائف « هكذا في الأصل وفي نسخة : ولا تحصل تزكية النفس إلا بعد تصفية اللطائف » بالأذكار السلوكية المأخوذة من الشيخ المرشد فتدبره وراجع « مسيرة الحكم » و« مكتوبات » الإمام الرباني من الجلد الأول (منه) .

(٤) وفي « لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية » فاسلك يا أخي على يد شيخ لتكمل عبادتك ويزيل عنك النقص الواقع فيها فإن مقصود أهل الطريق كلهم بالمريدين إنما هو ليلحقوهم بالسلف الصالح في إتمام عباداتهم على الوجه المشروع لا غير ، والله عليم حكيم . انتهى من عينه من صحيفة ٣١١ . راجعه (منه) .

(٥) وفي نسخة : الثاني .

الذات ، فكلّما هو من امتثال الأمر والانتهاء عن النواهي كلّه داخل في الذكر ، ولكنّ الذكر الذي يقع باسم المذكور « الله » ، وصفته سريع التأثير ومُورِثٌ لمحبّة المذكور وقريب الإيصال ، ووسيلة للذكر الذي يحصل بمراعاة الحدود الشرعية ، فإنّ مُراعاتِ الأحكام الشرعية في جميع الأمور غيرُ ميسّرة بدُون محبة تامّة لناصب الشرع ، وهذه المحبّة التامّة مَرْبُوطة بذكر اسمه وصفته تعالى ، فلا بدّ أوّلاً من ذلك الذكر حتّى يَحْصُلَ بسببه هذا الذكر الّذي هو امتثال الأوامر والانتهاء عن النواهي . انتهى .

وفيه أيضاً في ٣٨ في الجزء الثالث : إنّه لا بدّ لمبتدئي طلبة هذا الطريق من الذكر ، فإنّ ترقِّيه مَرْبُوطٌ بتكرار الذكر **بشرط أن يأخذَهُ من الشيخ الكامل المكمّل،** فإن لم يكن بهذا الشرط ! فكثيراً ما يكون من قبيل أوراد الأبرار التي نتيجتها الثواب لا دَرَجَة القرب التي تتعلَّق بالمقرّبين ، فإذا تمّت المعاملة التي كانت مَرْبُوطة بالذكر بفضل الله سبحانه وتيسّر الخلاص من التعلق بآلهة الهوى وصارت الأمارة مُطْمئنّةً فحينئذ لا يحصل الترقي من الذكر ويكون حكم الذكر حكم أوراد الأبرار ، وقطعُ مراتبِ القرب في ذلك الموطن مَرْبُوطٌ بتلاوة القرآن وأداء الصلاة بطول القنوت ، ولكلِّ مقام موسم ، فإن أدّى في موسمه يكون له حُسن وملاحة ، وإلاّ فكثيراً ما يكون خطأ ، وإن كانت حسنة في ذاته ، ألا ترى أن قراءة الفاتحة في التشهّد خطأ ، وإن كانت أمّ القرآن ، فكان الشيخ في هذا الطريق من الضروريّات وتعليمُهُ من أهمّ المهمات ، وبدُونه خَرَط القتّاد ، قال واحد من الأعزة شعرا :

مـن أجل كونك في البداية أحولا   لا بـد مـن شيـخ يَقُـودُك أوّلا

انتهى ملخصاً واختصاراً .

وفيه أيضاً من الجزء الثالث في ٢٦ : إنّ المقصود الأصليّ من الذكر زوال التعلّق بما دون الحق سبحانه الذي المرض القلبي عبارة عنه ، ومالم يحصل هذا الزوال لا يكون نصيبٌ من حقيقة الإيمان ، ولا يتيسّر اليسر والسهولة في أداء الأحكام الشرعية . انتهى .

وفيه أيضاً في ٢٩٧ من الجزء الأول ما **حاصله** : إن الذكر القلبيّ مؤيد لإتيان الأحكام الشرعية ، ودافع لعناد النفس ، فينبغي إجراء هذا الطريق . انتهى . وفي « تنوير الصدر » شرح حزب البرّ للقطب الحقيقي أبي الحسن الشاذليّ أنّ من حارب النفس باسم الذات أعني « الله » نجى منها ، فتتصف بالملهمة ، يعني : النفس الملهمة انتهى . فراجعه من ١١٠ في هامش « مجموعة الأحزاب » .

وفي رسالة الأمير سيف الله الحسيني الغازي الغمُوقي قدس سره : إنّ معنى الإرشاد من أهل الإرشاد إرشاد الضالّ إلى السداد لا إرشاد المرشدين ولا المرادين ولا القائمين على حدّ الرشاد ، ولا معنى للإرشاد لمن كان في الرشاد ، فهو تحصيل الحاصل المردود عند كل ناقص وكامل ، والنفس من كلّ أحد أمّارة إلاّ مَن خصّه الله تعالى من الولادة بالفيض الإلهيّ بالحظ الوهبيّ ، كيف لا وقد قال تعالى ﴿ **إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ** ﴾ وذلك خطاب نبيّه عليه السلام الذي لا يبلغ الوليّ رتبة عُشْرِ معْشارِهِ ، فحينئذ يكون مُراد الإرشاد إخراجَ طالب السلوك عن رعونة الأمّارة وحضيضِها إلى سبيل الهداية بواسطة تَرْبِيَتِهِ بتزكية اللطائف حتى تصير الأمّارة لوّامة ، ثم وثم إلى أن ترتقي[1] إلى المطمئنّة ، ويصير المريد مُراداً ، ويذهب عن النفسانية حتى يبقى العبد في الفناء المحض بلا نفس غيْبَةً عن الوجود . انتهى . من خطه ، وهو كلام نفيس في غاية التحقيق .

---

(١) وفي نسخة : تترقى .

مطلب مهم

ومعلوم أنّ السالك إذا صارت نفسه مُطْمئنّة يستعدّ لتربية الطالبين وللتوجّه ، ويجوز للشيخ أن يأذن له ، لكن لا يصل السالك إلى هذه المرتبة إلاّ بعد الصحبة الصادقة مع الشيخ الكامل ، كذا في « الرسالة المدنية » ، وراجع « السير والسلوك » و« ترصيع الجواهر » .

ولقد لقيت أشخاصاً من ديارنا الداغستانية الذين لقن لهم الذكرَ القلبيَّ القطب الربّانيّ والغوث الصمدانيّ أحمد ضياء الدين ذي التأليفات النفيسات ، كـ« جامع أصول الأولياء » ، و« المتممات » ، و« نجاة الغافلين » ، و« روح العارفين » ، و« رموز الأحاديث » ، وهم أحْياء في هذا الوقت ، حَتّى قال لي العالم العارف بالله الحاج نور محمد العروخي رحمه الله تعالى : إنّ القطب أحمد ضياء الدين لقّن الذكر القلبيّ لجَمْع كثير من رجال داغستان ، وكان فيهم العلماء والجهَلاء ، وقال : إنّهً قدس سره لقّنني الذكر القلبيّ ، وكنت ألازمُ على ذلك مُدَّةً من الزمان ، ثم طَلَبْتُ من الشيخ العسوي قدس سره نظره إلى أحْوالاتي ، وتسليكه إيّاي في سلك مُريديه ، فلم يقبل ، ثمّ بعْدَ مدة مات ذلك القطب رحمه الله تعالى ، وعُدْتُ ثانياً إلى العتبة العلِيّة صاحب المعارف السنية ، الحاج العسوي المذكور[1] فطَلَبْتُ منه ما كنت أطلبه أوّلاً ، فَسَلَكَنِي في سلك مُريدِيه ، وتوجّه إليّ وربّاني بتلقين الذكر على جميع اللطائف والنفي والإثبات إلى أَنْ يُلقّنني المراقبة المعيّة . انتهى .

ولقيت أيضاً امرأة لقن لها الذكر القلبيّ الشيخ ممّ دِبِر الروچي قدس سره ، ولقن لها شيخنا رحمه الله الذكر إلى ما بَعْدَه ، وهي الآن في دائرته

(١) وسمعته - أي العصوي - رضي الله عنه يقول : إن شيخه الحاج جبرائل قدس سره كان يقول له : لا يجوز لي ولك أن تنظر إلى مريد الشيخ أحمد ضياء الدين ما دام حياً ، فانه قطب عظيم ولعله رضي الله عنه رد هذا العالم أولا وقبله آخرا لهذه العلة المذكورة ، فافهم . (منه) .

يُرَبِّيها ، وما كان الشيخ جمال الدين الغموقي قدس سره يفعله يُعْلَمُ من مُطالعة كتابه « الآداب المرضيّة » ، وقال الشيخ إلياس الزدقاري في « سلّم المريد » : إن الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري قدس سره كان يأمر أوّلاً بالذكر اللساني لا بالجهر لبعض المريدين ، ثم إذا حصلت له بركة وجذبة يُلَقِّنُهُ بالذكر القلبيّ ، ثم باللطائف المذكورة ، ولبعضهم يلقن الذكر القلبيّ أوّلاً ، وكان يأذن لمريديه بالذكر الجهري[١] في المساجد والمجامع والمواليد ، ولا ينهاهم عنه . انتهى . فما[٢] بال مَنْ يزعم أنّهُمْ خلفاؤه لا يمتثلُونَ بما كان شيخهم يَفْعَلُهُ ! ! وليت شعري ؛ هل كان الناس مُدَّةَ حَياةِ

(١) بَيْدَ إن الذكر الجهري في هذه الطريقة ممنوع ، ولعله رضي الله عنه لم يمنعهم من ذلك لشيء بدا له في ذلك ، والله اعلم (منه) .

(٢) وقد قال العالم العارف الشيخ المحقق المستور أخونا الصالح الأمير سيف الله الحسيني الغازي الغموقي في بعض مكاتيبه : ثم اعلم أيها الموفَّق أني أشكر الله تعالى على بقاء المحبّة الإلهية في هذه الطريقة بين أبناء مولانا محمود أفندي الفعال وبين أولاد مولانا الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس الله أسرارهم ؛ مع ازديادها بينهم يوماً فيوماً ، وذلك يعلن كمالة المرشدَيْن المذكورَيْن ، وكونهما في مقام التكميل ؛ خلاف أولاد باقي أكثر المشائخ . فانظر إلى آداب مدعي المشيخة من أولاد العارف المحقق المحدّث الحافظ الحاج عبد الرحمن الثغوري لأجل تركهم أدبه بفعله أموراً لم يصدر من شيخهم . ومن أعظم الأمور ادّعاء على الإذن والمشيخة كل أحد ، ووقع بينهم التعصّب البليغ بحيث يكذب أحدهم الآخر ، وليس من بينهم من يصدّق الآخر سوى الزعم بكونهم أعلى من الجميع مقاماً ، وبعدم أحد مثله . وقد كتبوا خوارق منهم كأنها أخبار الجنّ نسمع ولا نرى . وليست فتنة وثلمة في الدين إلا بهم وبأتباعهم . اللهمّ وفّقهم لفهم ما خلقوا لما خلقوا ونبّههم على اتّباع السنة وترك الفتنة . انتهى من خطّه . وليس في واحد من هؤلاء مكتوب الإجازة من شيخهم المذكور . ولو كانوا مأذونين من طرفه لكان في أيديهم صكّ الإجازة المكتوبة بخطّه ، المختوم بختمه قدس سره . وقد قال الإمام الرباني : كتاب الإجازة للخلفاء من عادة المشائخ . كذا في « الدرر » في ١٤٩ من الجلد الثالث . وأخبرني بعض العلماء أنه سأل ابنته قدس سره : هل لأحد من أبيك إذن ؟ فقالت له : لا أدري إلا أن واحداً جاء لديّ يطلب مني عباءه – قدس سره – فبعث له عباءه بكذا قروشاً ، ثم قال لي : ألا تقولين أنه قدس سره أذن لي ؟ فقلت له : إني لا أكذب . انتهى . ومرّ هامش ديباج هذا الكتاب ما وقع لواحد منهم ، فاطلبه ثمّة . (منه خطّه قدس سره العزيز) .

هؤلاء الأشياخ المذكورين مسلمين خالصين ، وبعد انتقالهم من الدنيا صاروا كافرين مشركين ، ليمنع مَشائخ هذا الزمان تلقين الذكر القلبي ، ولو لواحد قائلين : إنه حرام كما صرّح به[1] أبْعاضُهم ، لا والله ، بل إنّهم ليسوا من فُرْسان هذا الميْدَانِ ولم يَذُوقُوا طُعْماً مَّا ممّا ذاقه أهل العِرفان ، ولم يشمّوا رائحة مِنْ عَنْبَرِ هذه الطريقة ، فَمِنْ أيْنَ يَعْرِفُونَ كيفيّة ما لم يكُونوا يَسْتعمِلُونَهُ ! ! فلمّا عجزوا عن إدراك قواعدها وعن الإنكار بما في الكتب لم يَبْقَ لهم سوى أن يقولُوا ذلك القوْل العجيب ، ولقد تفحّصْتُ من واحد يزعم أنه من مشائخ هذه الطريقة فلم أجدْه يَعْرف محالّ اللطائف ، وقال لي : إنّي لا أعْرِفُ شيْئاً مما تقول ، فهذه هذه ، وسيأتي إن شاء الله تعالى في الباب الثامن والعشرين أنّ الإنسان إنما احتاج إلى الشيخ وأخذ الذكر منه لتطهير تلك اللطائف بتَرْبيته باستعمال الأذكار السلوكيّة عليها عن دنس الحظوظات الجسمانيّة والشهوات النفسانيّة وكُدُورات إرتكاب الهوى ، فالقول بعدم جَواز استعمال الأذكار على تلك اللطائف لمن له نَفْسٌ أمّارة قولٌ مخالف وحكم بالرأي ، مع أن تلك الأذكار إنّما وُضِعَتْ لمجرّد تهذيبها من أمّارتها ، فلو لم يَجُزْ أخْذُ الطريقة إلاّ لمن استقام في الشريعة الغرّاء ولم يَصْدُرْ منه ما يخالف إتباع النبيّ المختار ، فلا مَعْنَى للتربية ولا للشيخ المربي[2] ولا

---

(١) فأي فرق بين القلب واللسان لعدم الجواز الذكر بأحدهما وجوازه بالآخر بل هما جارحتان من جوارح الإنسان فكما يجوز باللسان يجوز بالقلب .

وأما قول من يقول من أهل الدعوى أن تلقين الذكر القلبي لا يجوز إلا لمن حصل له الحضور التام ففساده ظاهر ، فكيف لا وقد قال الإمام الرباني إن دوام الحضور لا يكون إلا لمنتهي ، كما هو مذكور في « الدرر » من الجلد الأول في ٣٣٧ فراجعه . اللهم اخرجنا من هذه الظلمات آمين (منه رحم الله إفلاسه) .

* اللباس إذا انقلب لا يبقى له شيئ من الباطن إلا انعكس إلى الظاهر فكذلك الشيخ إذا خالف الشريعة والطريقة لا يبقى له شيء إلاّ مخالف للشريعة قاله صهيب الشالى رحمه البارى .

اخفوا أعمالكم كما يخفى السرقة السراق الحاذقون (منه) . ظنوا نفوسكم أشرّ من الخلق وإنْ ظننتم أشر من كل الخلق فإن الناس « أي المشائخ » يعرفكم ويكفى لكم معرفتهم (منه) .

(٢) وينبغي أن يعلم أن من صحب الأولياء لا يخلو عن فائدة ، ولو لم يأخذ منهم الذكر=

للإرْشادِ والمرشد فتدبّر فإنّ مَعْنَى التَرْبِيَّة يَشْبَهُ فعل الفلاح – أي : الحرَّاث – الذي يقلع الشوك الذي يَضرّ بقاؤه نبات الزرعِ ، ويخرج النباتاتِ الأجْنبيّة ليحسن نباته ويكمل ريعه ، لأنّ الله تعالى أرْسَلَ إلى العباد رَسُولاً للإرشاد إلى سبيله ، فإذا ارتحل عليه السلام من الدنيا قد خلف الخلفآء في مكانه ، حتى إنهم يرشدون الخلائق إلى الله تعالى لأجْلِ هذا المعنى ، فلا بدّ للسالك من شيخ يربّيه ويرشده ، هكذا بل عينه في « النصائح الولديّة » للإمام الغزاليّ فراجعه مع شرحه للخادمي في ٩٠ ، وبسط هذا الكلام في « الذهب الإبريز » في الباب الخامس أيضاً فراجعه في ١٧٥ .

الباب الثامن

في بيان جواز تلقين الذكر للتبرّك والانتساب لا للسلوك والتربية

قال صاحب الإبريز ؛ نقلاً عن شيخه **ما حاصله** : إنّ أهل العرفان من أوليآء الله تعالى إذا نظروا إلى ذوات المحجوبين فرأوا ذاتاً طاهرة قابلة لحمل سرّهم مطيقة له ؛ فإنّهم لا يزالون معه بالتربية بتلقين الذكر وغيره ، ويكون هذا المطيق للسّرّ هو مقصود الشيخ لا غير ، فإذا جاء

=والطريقة ، وأن توجّههم ، ولو كان إلى كافر محروم كافٍ في حصول الأثر ووصول النفع فقد ذكر صاحب « الفيوضات الخالدية » أن الشيخ صاحب كان ذات يوم في ربوة خارج السليمانية مع جمع من أصحابه ، فبينما هو فيها إذ بيهودي مقبل من ربوة ، ومعه حمل حطب ، فقال جناب الشيخ : إنّي أريد أن أتوجه لذلك اليهودي وأجذبه إلى حضائر النزل الشهودي ، فاربطوا قلوبكم بحضرة الصديق الأكبر ذي السر الأبهج الأنور ، وتوجه إليه فجاءه اليهودي ، وهو يصيح بكلمة الشهادة وقد لاحت عليه لوائح السعادة ، ثم أمر به إلى الخانقاه ، وعين الله ترعاه ، وحفظه ووقاه ، حتى صار من أهل القلوب وشعشع عليه نور الحبيب المحبوب . اهى . فراجعه في ٧٦ من هامش « نور الهداية » (منه من خطه) .

إلى الشيخ غيره ممّن ليس بمطيق وطلب منه التلقين فإنّه لا يمتنع لأنّه لا يقطع على أحد ، فلذا تجد الشيوخ يلقنون كلّ أحد مطيقاً كان أم لا[1] ، مع فائدة أخرى تظهر في الآخرة وذلك أنّه ﷺ يكون بيده يوم القيامة لوآء الحمد ، وهو نور الإيمان ، وجميع الخلائق خلفه من أمّته ومن غير أمّته مع سائر الأنبياء ، وتكون كلّ أمّة تحت لوآء نبيّها ، ولوآء نبيّها يستمدّ من لوآء النبيّ ﷺ ، وهم مع أممهم على أحد كَتْفَيْهِ ، وأمّته الطاهرة على الكتف الآخر ، وفيها الأولياء بعدد الأنبياء ، ولهم أَلْوِيَةٌ مثل ما للأنبياء ، ولهم من الأتباع مثل ما للأنبياء ويستمدّون من النبي ﷺ ، ويستمدّ أتباعهم منهم كحال الأنبياء عليهم الصلاة والسلّم ، فالمريد إذا لم يكن مطيقاً فإنه ينتفع في الآخرة بشيخه الذي لقّنه ، قال[2] رضي الله عنه : ولا ينتفع منه بمجرّد التلقين فقط ، ومطلق تلفّظه بالذكر ، بل حتى يتعلّم منه كيفيّة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وينتفع منه بعض النفع في الباطن . انتهى ٢١٧ .

وقال صاحب « ترصيع الجواهر » في ١٢ : وأمّا غالب مشائخ الزمان إنّما يلقنون الذكر بقصد التبرّك حتى يدخل المريد في سلسلة القوم ومحبّتهم والتسليم أو الاعتقاد لمقالاتهم ، ولا يجوز لهم التلقين على غير هذا الوجه . انتهى . وقال في هامشه : وفائدتها محبّة القوم وارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله صلي الله عليه وسلّم ، وبذلك يجري المدد للمريد من الحضرة المحمّدية . انتهى . وقال فيه أيضاً : بل يجب عليهم إعلام من أراد الأخذ عنهم بأنّهم متشبّهون بأهل الطريق ؛ لا متحقّقون بهم . انتهى .

---

(١) وقد قيل : من صحب الأخيار جعله الله من الأخيار وإن كان من الأشرار . كذا في « عقد اليواقيت الجوهريّة » في ٧٥ من الجزء الأوّل . (منه) .

(٢) أي شيخ صاحب « الإبريز » (منه) .

وفي « الطبقات » : إنّ الشيخ محمّد الشناوي أذن بتلقين الذكر لجماعة قبل وفاته وقال : قد صار معكم الإذن إذا فتح الله عليكم ، وأمّا الآن ، فتلقنوا كلمة لا إله إلا الله تشبّهاً وتبرّكاً بطريق القوم فراجعه من صحيفة ١١٦ في الجزء الثاني .

مطلب

طرق الانتساب والأخذ

وفي « جامع الأصول » في ١٥ : فاعلم أنّ الأخذ والانتساب إلى الطرق وغيرها على أربعة أقسام : **أحدها** : أخذ المصافحة ، والتلقين للذكر ، ولبس الخرقة ، والعذبة للتبرّك أو للنسبة فقط ، **وثانيها** : أخذ رواية وهى قراءة كتبهم من غير حلّ لمعانيها وهو قد يكون أيضاً للتبرك أو للنسبة فقط ، **والثالثها** : أخذ دراية ، وهو حلّ كتبهم لإدراك معانيها ، كذلك فقط ، **ورابعها** : أخذ تدريب وتهذيب وترقٍّ في الخدمة بالمجاهدة للمشاهدة والفناء في التوحيد والبقاء ، وهو المراد العزيز وجوده ، وعلى هذا معوّل أكثر الطرق ، خصوصاً النقشبندية والشاذلية ، ويصحّ الانتساب أيضاً بالاتباع والمشاركة ؛ ولو في شيء يسير[1] مع المحبّة

(١) قال سيدنا القطب الأشهر العيدروس الأكبر في كتابه « الكبريت الأحمر » سلوك الطريق على الحقيقة بالعبادات أو بالمقامات أو بالأحوال أو بالأنفاس أو بالمعارف أو بضرب الأمثال أو بالأمثال وحفظ القلوب أو بالمقابلات أو بالقابليات أو بالمناظرات أو بالمجالسات « فقد علمت من قوله رضي الله عنه أو بالمجالسات أو بالمحبات أو بالمخالطات والمودات مع حسن الظن وهو مؤمن بالأخلاق المحمديات أن ذلك يرفع الوضيع إلى أعالى الدرجات والمحال الساميات « عقد اليواقيت الجوهرية » ٥٧ أو بالمحبات أو بالمخالطات والمودات مع حسن الظنّ وهو مؤمن بالأخلاق المحمديات أو بالمذكورات أو بالتصديق والاعتقادات أو بالانقطاع والخدمة أو بالتربية بالعلوم اللدنيات وهذا لا يمكن إلا بقصد شيخ عالم عارف سالك مجذوب واصل محبوب واصل موصول عارف بالنقل والعقل عارف بالله وبنفسه حاضر غائب في الخلوات والجلوات بقلبه في عوالم الشهادة والغيوب انتهى ، كذا في « عقد اليواقيت الجوهرية » في صحيفة ٥٧ من الجزء الأول منه فراجعه (منه من خطه قدس سره) .

لهم ، كتلاوة حزب من أحزابهم ، ولذا قال الشاذليّ : من قرأ حزبنا فله ما لنا وعليه ما علينا ، يعني : فله ما لنا من الحرمة ، وعليه ما علينا من الرحمة ، أو أعمّ منهما ، وهذا جارٍ في الكلِّ .انتهى .

وفي « تبصرة المرشدين » : إنّ الانتساب إلى النسبة العليّة يكفيه فقط إن حفظه راجعه .

فعلى الشيخ أن يسلك المريدين في سلك طريقته بالحكمة والموعظة ، وأن يدارِيَهم وينصحَهم بحسب طاقته ، فلعلّهم يتخلَّصون من ارتكاب المنهيّات ببركة الطريقة ، والله وليّ الهداية .

قال صاحب « تصديق المعارف » ؛ في قوله تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ الآية ، ما حاصله :

اعلم أنّ سبيل الربّ ما يصل إلى الربّ تعالى ، لا ما يصل إلى الدنيا والآخرة ، وذلك هي الطريقة المعروفة عند الصوفيّة ، **والحكمة** المذكورة هنا هي : فطنة الشيخ المربىّ وفهمُه لكلِّ ما يصلح لكلّ أحد من المريدين ، فإنّ طباعهم مختلفة متبائنة بوناً عظيماً ، فمنهم مَن يصلح له كثرة الصوم وقلّة الصلاة ، ومنهم من يصلح له كثرة الصلاة وقلّة الصوم ، ومنهم من يصلح له القيام والصيام معاً ، ومنهم من لا يصلح له كثرة ذلك ؛ إنما يصلح له الزهد عن الدنيا ، ومنهم من يصلح له الكسب ، ومنهم من يصلح له الخدمة ، ومنهم من يصلح له العُنْفُ والشدّة في المجاهدة على النفس ، ومنهم من يصلح له التَرْفيه والتسهيل والخ .

وأما **الموعظة الحسنة** ، هي : استعمالهم في أعمال الطريقة بالمداراة بالرفق والشفقة الكاملة عليهم ، مع إعلامهم بأنّه لا يريد إلاّ علوّ مقاماتهم وارتفاع درجاتهم وإيصالهم إلى نعيم « لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » . انتهى . فبما ذكر بان لك جواز تلقين الذكر لمجرّد الانتساب ، وظهر لك أيضاً جواز استعمال المريدين في أعمال الطريقة بالمداراة والرفق والشفقة .

ثمّ **اعلم** أيّها الأخ المنصف الغير المتعصّب أنّ التلقين ـ ولو كان للتبرّك والانتساب ـ لا يجوز إلاّ لمن في يده إذن وإجازة ، لأنّ مَن لم تتّصل سلسلته إلى الحضرة النبويّة فإنّه مقطوع الفيض ، ولا يكون وارثاً لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ولا تؤخذ منه المبايعة والإجازة كما مرّ ، ولا يجري بذلك[1] المدد منه عليه السلام ، ولا يتبرّك به ، لأنّه منقطع السلسلة ، ولا يكون معه نور النسبة الحاجب من الشيطان ، **فافهمه** .

الباب التاسع

في بيان فوائد الانتساب[2] إلى النسبة العلية، ولو كان للتبرّك والتشبّه

قال ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » **ما حاصله** : إن المتشبّه بهم ، ـ وإن كان على قصوره عن القيام بما هم عليه ـ يكون معهم لموضع إرادته ومحبّته ، وقد ورد عنه ﷺ أنه قال : « المرء مع من أحب » ، فقال له أبو ذرّ : يا رسول الله ، الرجل يحب القوم ؛ ولا يستطيع أن يعمل كعملهم ! ! . قال : « يا أبا ذرّ ، أنت مع من أحببت » ، قال : فإني أحبّ الله ورسوله . قال : « فإنك مع من أحببت » .

قال الشهاب السهرورديّ : جاء فتى إلى الشيخ أحمد الغزالي « ابن أخ حجة الإسلام » يريد منه أن يلبسه الخرقة ، فأرسله إلى شيخنا أي : والظاهر أنه عمّه أبو النجيب ليذكر له معنى الخرقة ، فجآء إليه ،

---

(١) أي التلقين .

(٢) وقد تكون الصحبة للتبرك بمجرد الدعاء ولانتظار الشفاعة في الآخرة فقد قال بعض السلف استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة أخيك ويقال إذا غفر الله للعبد شفع في إخوانه . كذا في « الإحيآء » في صحيفة ١١٩ من الجزء الثانى فراجعه (منه) .

فذكر للمبتدىء له شروطها وآدابها وحقوقها ، فَجَبُنَ الرجل عن ذلك ، ورجع إلى الغزالي فاستحضره وقال له : ما ذكرته صحيح ، ولكن إذا ألزمنا المبتدىء بذلك نفر وعجز عن القيام به ، فنحن نلبسه الخرقة حتى يتشبّه بالقوم ويتزيّا بزيّهم ، فيقرِّبَه ذلك من مجالسهم ومحافلهم ، فببركة مخالطته بهم ونظره إلى أحوال القوم وسيرهم ، يحبّ أن يسلك مسلكهم ، ويصل بذلك إلى شيء من أحوالهم .

قال الشهاب السهرورديّ : فالمتشبّه الحقيقي له إيمان بطريق القوم وعملٌ بمقتضاه وسلوكٌ واجتهاد ، لأنه صاحب مجاهدة ومحاسبة كما مرّ ، ثم يصير متصوّفاً صاحب مراقبة ، ثم يصير صوفيّاً صاحب مشاهدة ، فأما من لم يقصد أوائل مقاصدهم بل هو على مجرّد تشبّه ظاهر من ظاهر التشبّه والمشاركة في الزيّ والصورة دون السيرة ! ! فليس متشبهاً بالصوفية ، لأنّه غير محاكٍ لهم في الدخول في بدايتهم ، فاذاً هو متشبه بالمتشبه يعزى[1] ، إلى القوم بمجرد لبسه ، ومع ذلك « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » وقد ورد : « من تشبه بقوم فهو منهم » . انتهى كلام ابن حجر .

وفي « شرح الجامع الصغير » للمناوي ؛ في قوله صلى الله عليه وسلم : « من أحبّ قوماً حشره الله في زُمرتهم ، ومن أحبّ أوليآء الرحمن فهو معهم في الجنان ، ومن أحب حزب الشيطان فهو معهم في النيران » : وفيه بشارة عظيمة لمن أحب الصوفية ، ومن تشبّه بهم إنما فعل ذلك لمحبته إياهم ، ومحبته لهم لا تكون إلا لتنبّه روحه كما تنبّهت له أرواحهم ، لأنّ محبة الله تعالى محبة أمره ، وما يقرّب إليه ، ومن تقرب منهم يكون بجاذب الروح ، لكنّ المتشبّه تعوق بظلمة النفس ،

---

(١) أي ينسب .

والصوفيّ خلص من ذلك . انتهى كذا في « الحديقة الندية » في ١٠١ من هامش « أصفى الموارد » . ونقل صاحب « نزهة المجالس » عن « زهر الرياض » للنسفي رضي الله عنهما أن رجلاً من قوم قارون كان يحاكي عمامة موسى عليه الصلاة والسلام ويلف الصوف على إصبعه فلما خسف الله تعالى بهم الأرض أخّر ذلك الرجل عن الخسف لمشابهته بموسى في العمامة . انتهى . فراجعه في ١٣٥ من الجزء الثاني .

وفي « منية الفقير المتجرد » : المقصد الأوّل فيما يوجب الاغتباط بهذا العلم ؛ وأنه أحق ما يوجّه إليه الفكر والعزم : يكفي في ذلك أمران : **أحدهما** : أن التضلّع من هذا العلم يقي صاحبه من سوء الخاتمة ويحمله على التوبة والإنابة وسلوك ما يوجب الفوز بالسعادة ، فلقد نقل الشيخ أبو طالب المكي في كتابه « قوت القلوب » : والإمام أبو حامد الغزالي في كتابه « الإحياء » عن بعض العارفين أنه قال : **من لم يكن له من هذا العلم ـ أي: علم الباطن ـ نصيب أخاف عليه من سوء الخاتمة** ، وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله ، وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه : من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصراً على الكبائر ؛ وهو لا يشعُرُ .

الثاني[١] : أنه سبب كل خير وفوز وفتح ونور ، وبه يكثر الحسنات

---

(١) قال بعضهم : كنت إذا كسلت في العبادة نظرت إلى محمد بن واسع نظرة ، فاعمل بها إلى الأسبوع . وقال بعضهم : دخلت على ذي النون فانتفعت برؤيته قبل أن أتشرّف بمخاطبته . ولذا قال بعضهم : يبلغ المريد بنظر الشيخ إلى ما لم يبلغ بعبادته واجتهاده ألف سنة ، كذا في « عقد اليواقيت الجوهرية » في ٥٩ من الجزء الأول . ومن فوائد الانتساب إلى الشيخ : أنّه إذا مات قبل تحصيله مقاماً خاصاً يشرع الشيخ في العمل الموصل إلى ذلك المقام نيابة عن المريد الذي مات ويطلبه له من الله بهمّته . انتهى ملخّصاً . وفيه أيضاً ما ملخّصه : أن الشيخ لا ينسى من سلّم عليه مرة واحدة وعرف وجهه ، بل لا ينسى من يعرف الشيخ ولا يعرفه الشيخ ، فيسأل الله أن يغفر ويعفو عمّن سمع يذكر الشيخ ، فأثنى عليه أو سبّه ووقع فيه ممّن لم يعرفه الشيخ ولا سمع باسمه ، كذا في كتاب « الشريعة » للشيخ الأكبر قدس سره . ونقله صاحب « الإتحاف » في كتاب الصوم فراجعه في ٢٢٩ من الجلد الرابع ، ففيه الزيادة مع البسط التام في حق هذا المطلب والله أعلم . (منه قدس سره) .

ويرتقي بفضل الله إلى أعلى الدرجات ، لأنّ الاشتغال بطريق القوم سبب التصديق بهم ، وهو سبب محبّتهم ، ومحبتّهم تؤدّي إلى الشوق إلى مجالستهم ، ومجالستهم تؤدّي إلى النظر في وجوههم ، وفي هذا من الفضل ما لا يخفى .

أمّا التصديق بطريقتهم فقد تضمّن ولاية الله لعبده ، لقول إمام الطريقة أبى القاسم جنيد رضي الله تعالى عنه : **التصديق بطريق الولاية ولاية** .

وأما محبتهم فقد تضمّنت الحشر معهم ، لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « من أحبّ قوماً حشر معهم » . وقوله : « المرء مع من أحبّ » .

وأما الشوق الى مجالستهم فقد تضمّن الاتصاف بسيرتهم ، لقوله ﷺ : « المرء على دين خليله » لأنّ الطباع ، تسرق الطباع **وأما النظر إلى وجوههم** على وجه المحبة فقد تضمّن خير عبادة العابدين ، لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « نظرة في وجه أخ في الله على شوق إليه خير من أجر من اعتكف في مسجدي هذا أربعين سنة » . انتهى .

وعن بعضهم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ؛ قال فقلت له : أنا المتطفّلُ في هذا العلم يا رسول الله ، قال : إقرأ كلام القوم ، فإن المتطفل في هذا العلم هو الوليّ ، وأما العامل به فهو النجم الذي لا يُدْرَك .

وقال الجنيد رضي الله تعالى عنه : التصديق بعلمنا هذا ولاية ، وإذا فاتتك المنة في نفسك فلا يفتك أن تصدق بها غيرك ،﴿ **فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ** ﴾ ، وقال أبو يزيد : من يؤمن بكلام أهل الطريق فقُلْ له يدعولك ، فإنه مجاب الدعوة . انتهى .

ونقل الشعراني رضي الله عنه في « المنن » ؛ عن الشيخ ياقوت العرشيّ رحمه الله تعالى أنّه كان يقول : النظر في وجه الوليّ على جهة التعظيم ساعةً واحدةً خيرٌ للمريد من عبادته وحده خمسين سنة . انتهى . ١٣٩ .

كلمتان تحت العرش

وفي « مرشد السالكين » ؛ عن كعب الأحبار رضي الله عنه أنه قال : إنّ الله تعالى كتب كلمتين ووضعهما تحت العرش قبل أن يخلق الأرض[١] ؛ لم تعلم[٢] الملائكة من علمهما وأنا أعلم بهما . قيل له : يا أبا إسحاق ، وما هما ؟ قال : **أحدهما:** أيّما رجل يعمل عمل العالمين[٣] بعد أن يكون صحبته مع الفجار ؛ وهو يحبّهم فإني أجعل عمله إثماً وأحشره مع الفجار . والآخر : لو أن رجلاً عمل عمل الأشرار بعد أن يكون صحبته مع الصالحين والأبرار وهو يحبّهم ، فإني أجعل سيّئاته حسنات وأحشره يوم القيام مع الأبرار . انتهى .

مطلب مهم
في محبة القوم

وقال الإمام الرباني قدس سره ما حاصله إن محبة هذه الطائفة رأس كل سعادة دنيوية وأخروية ، والتوفيق لإتيان الأحكام الشرعية نتيجةُ هذه المحبة ، وتحصيل جمعية الباطن ثمرة هذه المودة ، ولو صبّت جميع ظلمات العالم وكدوراته في الباطن وهذه المحبة قائمة ينبغى أن لا يغتم أصلاً بل ينبغى أن يكون راجياً ولو أفيضت أمثال

(١) وفي نسخة : الخلق .
(٢) وفي نسخة : لم يعلم .
(٣) وفي نسخة : عمل جميع الصالحين .

الجبال من الأنوار والأحوال على الباطن وقد زالت مقدار شعرة من هذه المحبة ينبغى أن لا يعتقد ذلك غير الخذلان وينبغى أن يعدّه إستدراجا . انتهى كذا في « الدرر » في ٢١٧ من الجلد الأول .

قال النبي ﷺ : « مَن مشى خلف عالم خطوتين وجلس عنده ساعتين وسمع منه كلمتين ؛ وجبت له جنتان » كذا في كتاب الأذكار . وفي « تقريب الأصول » في بيان أقوال بعض العارفين رضي الله عنه أنه قال رضي الله عنه في حديث « من اغبرّت قدماه في سبيل الله بعّد الله وجهه عن النار سبعين عاماً » يدخل فيه من مشى مع وليّ لوجه الله تعالى وابتغاءَ مرضاته ، فإنّ الله تعالى يبعد وجهه عن النار حقاً . انتهى في ٧٣ .

مهمة في فضل الزيارة

قال في « درّة الناصحين » في ٢٣٤ : وروى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله تعالى عباداً يوضع لهم يوم القيامة المنابر يقعُدون عليها ، هم قوم لباسهم نورٌ ، ووجوههم نورٌ ، ليسوا بأنبيآء ولا شهدآء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء » ، فقالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : « المتحابّون في الله والمتزاورون في الله والمتجالسون في الله » انتهى .

وفيه في ١٣٥ أيضاً : وروي عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنهما قالا : قال النبي ﷺ : « من زار أخاه المسلم فله بكلّ خطوة عتق رقبة حتى يرجع ، ويحطّ عنه بها ألف سيئة ، ويكتب له ألف حسنة ، ويرفع له نور كنور العرش عند ربه » رواه الحارث بن أبي أسامة ، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة ! قلنا : بلى يا رسول الله ، قال

النبي عليه السلام : « النبي في الجنة ، والصديق في الجنة ، والشهدآء في الجنة ، ورجل يزور أخاه المسلم في ناحية المصر لا يزوره إلاّ لله » رواه أبو نعيم .

وروي عن بريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وبالعكس ، أعدّها الله للمتحابّين والمتزاورين لله والمتباذلين » رواه الطبراني .

وروي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال عليه السلام : « المتحابّون والمتزاورون في الله على عمود من ياقوتة حمراء ، في رأس العمود فيه سبعون ألف غرفة ، تضيء على أهل الجنة كما تضيء الشمس على أهل الدنيا ، فيقول أهل الجنة : انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابّين في الله ، فإذا أشرفوا عليهم أضاءت وجوههم كما تضيء الشمس على أهل الدنيا ، عليهم ثياب خُضْرٌ من سندس ، مكتوب على جباههم : هؤلاء المتحابُّون في الله ، والمتزاورون في الله » . انتهى .

وروي أن أخوين في الله التقيا ؛ فقال أحدهما للآخر : من أين أقبلت ؟ قال : حججت بيت الله الحرام ، وزرت قبر النبيّ ﷺ ، فأنت من أين أقبلت ؟ قال : من زيارة[1] أخ أحبه في الله ، فقال : فهل تهب لي فضل زيارتك حتى أهب لك فضل حجّي ؟ فأطرق الآخر رأسه مليّاً ، فاذا بهاتف يقول : زيارة أخ في الله أفضل عند الله من مئة حجة نافلة . انتهى من ٢٣٦ .

وفي « كشف الغمة عن جميع الأمة » : قال أبو هريرة رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ يقول : زار رجل أخاً له في قرية فأرسل الله تعالى على مَدْرَجَتِهِ ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد

(١) واعلم أنه ينبغي للمزور أن يتلقَّى الزائر بالبشاشة وأن يكرمه بقدر الطاقة وأن يقدّمه مما عنده من الأطعمة كما بيّنته في رسالتي « خلاصة الآداب » فراجعه (منه من خطه قدس سره) .

أخاً لي في هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تربّها[1] ؟ قال : لا ، غير أني أحببته في الله عزّ وجلّ . قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبّك كما أحببته فيه . وكان ﷺ يقول : « من عاد مريضاً أو زار أخاً له في قريةٍ ناداه مناد أن طِبْتَ وطاب مَمْشاك وطابت لك الجنة ، وإلا قال الله في ملكوت عرشه عبد زار فيّ وعليّ قِرَاه ، فلم يَرْضَ له بثواب دون الجنة » . انتهى . وفيه : وكان ﷺ يقول : « من زار أخاه المسلم شيّعه سبعون ألف ملك يصلّون عليه ؛ يقولون : اللهم كما وصله فيك فصِلْهُ » . انتهى .

وقال ﷺ : « من مشى إلى فقير ليزوره سبعين خطوة كتب الله بكل خطوة سبعين حجة مقبولة » . انتهى . كذا في كتاب « الأذكار » فهذه المذكورات تصرّح بأنّ زيارة الأخ للأخ من فضائل الأعمال ، **وأما** إذا كانت الزيارة لدى الأستاذ ! فهي أفضل وأنفع ، وقد قال صاحب « تنوير الصدر » : **إنّ المجيء لخلفائه كالمجيء له ﷺ** . فراجعه في ١٣ من هامش « مجموعة الأحزاب » .

الباب العاشر
في بيان كيفية تلقين الأذكار على قاعدة القادريّين

ولقد زعم بعض مشائخ ديارنا بأن في يده إذن من طرفيْ النقشبندية والقادرية ، وقال : إنّ تلقين الذكر الجهري لحصول الاستعداد لتلقين الذكر القلبي . لكن لم نجد مِنْ مريديه مَنْ لقن له الذكر القلبي ؛ ولو للمجتهدين منهم آناء الليل وأطراف النهار ، بل ولو لمن أذن له

(١) وفي نسخة : ترجوها .

للإرشاد ! ! وقال مرة أخرى : إنّ تلقينه هذا بناء على قاعدة[1] القادرية ، لكن ليس ما يفعله موافقاً بها على ما في « الأنهار الأربعة » للشيخ أحمد سعيد المجددي نسباً وطريقة بهذه العبارات :

اعلم أن مشائخ هذه الطريقة ـ يعني القادرية ؛ قدس الله أرواحهم يأمرون الطالب أولاً بالذكر جهراً متوسطاً ، وهو على قسمين : اسم الذات ، والنفي والإثبات .

الأول متنوع إلى أربعة أنواع :

النوع الأول : ما كان بضربة واحدة ؛ **وصفته** : أن يقول (الله) بالشدّ والمدّ والجهر بقوة القلب والحلق ثم يتوقّف حتى يستقرّ النفس ثم يقول أيضاً على الطريق المذكور ولا يزال[2] هكذا متخذاً ورداً .

النوع الثاني : ما كان بضربتين ؛ وطريقه : أن يجلس جلسة[3] الصلاة على ركبتيه ويضرب باللفظ المبارك مرّة على الركبة اليمنى وأخرى على القلب ، ويكرّر ذلك بلا فصل . وينبغي أن يكون كل من الضربتين بكمال القوّة والشدّة ، وخصوصاً الضربة التي تكون على القلب لتأثر القلب وتحصّل الجمعيّة .

النوع الثالث : ما كان بضربات ثلاث ؛ **وكيفيته** : أن يجلس متربعاً ويضرب باسم الذات مرة على الركبة اليمنى ، ومرة على الركبة اليسرى ، ومرة[4] على القلب ، ولتكن الضربة الثالثة أشدَّ وأجهر .

---

(١) أي على قاعدة الطريقة القادرية (منه) .

(٢) وفي نسخة : ولم يزل .

(٣) ليس في « المناقب الأحمدية » ١٠٤ .

(٤) وفي نسخة : والثالثة .

والنوع الرابع : ما كان بضربات أربع ؛ وفي هذا كذلك أن يجلس متربعاً ويضرب باسم الذات مرّة على الركبة اليمنى ومرة[1] على الركبة اليسرى ومرّة في القلب ومرة[2] أمامه وليكن[3] الرابع أشدّ وأجهر من الأوليات .



القسم الثاني ؛ وهو النفي والإثبات ، وهو قولنا (لا إله إلا الله) وصفته : أن يجلس على ركبتيه متوجهاً إلى القبلة ويغمض عينيه ويقول (لا) كأنّه يخرجها من سرّته ، ثم يمدّها حتى يبلغ إلى المنكب الأيمن فيقول (إله) كأنه يخرجها من أمّ[4] الدماغ ثم يضرب[5] (إلا الله) بالشدّة[6] والقوّة على القلب ، ويلاحظ[7] نفي المحبوبية والمقصودية والموجود[8] عن غير الله تعالى وإثباتها[9] له تبارك وتعالى انتهى[10] ٦٤ .

وفيه[11] أن الحكمة في اشتراط الضربات الشديدات ومراعات مواضعها في الذكر أنّ الإنسان لمّا كان مجبولاً على رؤية الجهات الست

---

(١) وفي نسخة : وأخرى .
(٢) والرابعة مقابل وجهه « المناقب الأحمدية » ١٠٧ .
(٣) ولتكن الضربة الرابعة .
(٤) وفي نسخة : أصل .
(٥) وفي نسخة : يقول .
(٦) وفي نسخة : يضربها .
(٧) وفي نسخة : وعند النفي ينبغي .
(٨) وفي نسخة : أو الوجود .
(٩) وحين الإثبات يلاحظ إثبات الحق سبحانه وتعالى « مناقب » ١٠٧ .
(١٠) وهكذا مع زيادة بسط في الأنهار الخمسة للشيخ علي نائلي مغنيساوي فراجعه (منه) .
(١١) وفي نسخة : واعلم .

واستماع الأصوات والنغمات ومبتلى بخطور الخواطر على قلبه وحديث النفس قرّر مشائخ الطريقة قدس الله أرواحهم تلك الشروط والأوضاع سدّاً للتوجه إلى غير نفسه حتى يخلو بذلك من الخطرات الخارجيّة ويتوجّه إلى الذات الإلهيّة ، وينبغي لأهل السلوك أن يجتمعوا ويقعدوا حلقة بعد صلاة الصبح والعصر يذكرون الله تعالى على وجه الجمعيّة ، **لأن في الاجتماع فوائد كثيرة لا توجد في الانفراد** ، فإذا ظهر للسالك أثر الذكر الجهري وشوهد فيه نور الذكر ـ يعني متى كان نقد وقته الذوق والشوق وارتفاع الخواطر وانتفاء حديث النفس واطمئنان القلب باسم الله تعالى وإيثار الحق على كلّ ما عداه ؛ فحينئذ يأمر الشيخ بالذكر الخفي وهو[1] على قسمين .

اسم الذات[2] مع أمّهات الصفات .

وصفته : أن يغمض عينيه ويضم شفتيه ويقول بلسان القلب (الله سميع ، الله بصير ، الله عليم) كأنه يخرجها من سرّته إلى صدره ، ومن صدره إلى دماغه ، ومنه إلى العرش ثم يقول (الله عليم ، الله بصير ، الله سميع) هابطاً على تلك المنازل المذكورة كما صعد عليها فهذه دورة واحدة ثم ، يفعل هكذا هكذا . ومن أهل[3] هذا الشأن من يزيد[4] (الله قدير) . و[5] النفي والإثبات ، **وصفته** إمّا كما ذكرنا[6] في الجهر ، وإما

---

(١) أي الذكر الخفي عند القادرية على قسمين .
(٢) وفي نسخة : القسم الأول .
(٣) وبعض من أهل هذه الطائفة العلية ١٠٨ .
(٤) على تلك الكلمات المسطورة . « مناقب أحمدية » ١٠٨ .
(٥) وفي نسخة : القسم الثاني .
(٦) إما على الطريق الذي بيناه في الذكر الجلي ، وإما على طريق آخر ، وهو أن يكون متيقظاً مطلعاً على أنفاسه في خروجها ودخولها ، فيقول بلسان القلب عند خروج النفس من غير قصده وإرادته (لا إله) بلسان القلب وعند دخوله (إلا الله) وهذا يسميه الأكابر : پاس أنفاس . « مناقب الأحمدية » ١٠٨ .

بأن يكون متيقظاً مطّلعاً على أنفاسه فإذا خرج النَفَس بطبيعته من غير قصده وإرادته قال مع خروجه (لا إله) بلسان القلب ، وإذا دخل قال مع دخوله (إلا الله) قال الأكابر : هذا (پاس أنفاس) وله أثر عظيم في نَفْيِ الخواطر وزوال حديث النفس ، فإذا ظهر أثر الذكر الخفي وشوهد في الطالب نوره يأمر الشيخ بالمراقبة ، والمراد من هذا الأثر الشوق وغلبة المحبة وانصراف عنان عزيمته إلى الفكر وإيثار الله عز وجل ، واجتماع الهمة على طلبه وَوُجْدَانُ الحلاوة في السكوت والنفرة عن الكلام والاشتغال عن الدنيا . انتهى كلام « الأنهار الأربعة »(١) .

وفي الفيوضات الربانية في المآثر القادرية للسيد الحاج إسماعيل الجيلاني البغدادي أنّ كيفيتها عند القادرية : أن يأخذ كلمة (لا) أولاً من طرف الأيمن مادّاً بها إلى جبهته في كلمة (إله) ثم يفرغ (إلا الله) في طرفه الأيسر ، وهو محل الروح مغمضاً عينيه . انتهى ٣٢ . وفيه أسماء أخر تستعمل في الطريقة القادرية : الأول : (لا إله إلا الله) . الثاني : (الله) . الثالث : (هو) . الرابع : (حق) الخامس : (حي) . السادس : (قيوم) . السابع : (قهّار) . وتستعمل في النفوس السبعة : الأمارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية والكاملة ، فراجعه من صحيفة ٣٨ ومن ٣٤ تجد البيان التام فبطل بهذه المذكورات قول من يزعم أن تلقينه موافق لما عليه القادرية ، وتيقّن عدم كون ما يستعمل أذكار تلك الطريقة هكذا في هذه الديار الداغستانية ، وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين .

وأخبرني شيخنا قدس سره أن خليفة الغنكار الأعظم نصره الله تعالى قال له : إن صاحب هذه الدعاوي جاء لديه ، وأنّ طريقته ليست

---

(١) وهكذا في « الأنهار الخمسة » للشيخ علي نائلي مغنيساوي مع زيادة بسط فراجعه (منه) .

بطريقتنا النقشبندية ولا هي طريقة نعلمها بعينها . انتهى . لكن قد أذن في رسالته لأخذ مريديه من غيره حين غاب هو ، وقال : إذا وجدت من يدلّك على الله فعلّق على ذيله ولا تفارقه فإنه شيخك وأستاذك لا فرق بيني وبينه انتهى . باختصار فلعل الله يغفر له ما جناه ويعفو عما أبداه من الاختراع في هذه الطريقة ، فإنه لم يمنع أصحابه[١] من الخيرات ، بل حث عليها بتلك العبارات ، وهكذا يجب أن يقول كلّ شيخ وداع إلى الله ، ولا يتحجّر على المريد إلا من غلب على قلبه حبّ الشهرة والرياسة ، ولا يخلو عنه إلا العارفون ، ولا يبالي المخلص اهتدى الناس بهداه أم بهدى غيره ، بل يفرح ويشكر على الهادي والمهتدي ، كيف لا وقد شبَّه الغزالي في « الإحياء » المريد بالميت المطروح والشيخ كمن وجب عليه حمله فاللازم على الشيخ أن يفرح ويشكر إذا وجد مَن يحمل ميتاً وجب عليه حمله .

مطلب مهم

وعلامة الصدق في دعوة الخلق إلى الله تعالى والإخلاص في تلقين الأذكار هذا[٢] : لو ظهر غيره ممّن هو في زمنه أعرف طريقاً وأرشد خلقاً ، ووقع ذلك الغير موقع القبول في قلوب الناس ، وظهر به أثر الصلاح ، فينبغي أن يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته ، هذا المهمّ كمن وجب عليه أن يعالج مريضاً ضائعاً فقام بمعالجته غيره فإنه يعظم به فرحه ، فإن كان يصادف في قلبه ترجيحاً لدعوته وإرشاده على دعوة غيره وإرشاده فهو مغرور ودعوته معلول **فليتفطن لهذا المطلب العزيز وليتدبره المنصف** فإنه ميزان صادق يتميّز به المخلص من غيره .

---

(١) كما منع غيره من أمثاله (منه) .

(٢) أي هذا الذي أذكره بقولي : لو ظهر . . الخ .

وفي « المنن » : إن المزاحمة على المشيخة لا تقع قط من عارف بالله تعالى وإنما تقع من قاصرين ، ومن قاصر وعارف . انتهى .

وفي « الأنوار القدسية » : قال بعض الأكابر اصحبوني ولا أمنعكم أن تصحبوا غيري فإن وجدتم منهلاً أعذب من هذا المنهل فردوا انتهى . وهذا عين ما يقوله شيخنا العسوي قدس سره وأمثال هذه كثيرة في كتب الشعراني فليرجع إليها .

الباب الحادي عشر

في بيان جواز انقطاع المريد من شيخ ودخوله في عهد شيخ آخر حين غاب الشيخ الأول أو مات أو كان حيّاً وحاضراً

قال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه ؛ مجيباً لمن سأله بعين المسألة : إنّ المكتوب قد وصل وسألت أنه مع وجود حياة الشيخ إذا حضر الطالب عند شيخ آخر لطلب الحق جل وعلا هل يجوز له ذلك أم لا .

اعلم ؛ أنّ المقصود هو الحق سبحانه والشيخ وسيلة الوصول إلى جناب الحق تعالى ، فإن رأى الطالب رشده عند شيخ آخر ووجد قلبه في صحبته حاضراً مع الحق يجوز أن يحضر عنده في حياة شيخه الأول بلا إذنه ويطلب منه رشده ، ولكن ينبغي أن لا ينكر شيخه الأول ولا يذكره إلا بخير خصوصاً في هذا الوقت فإنه لَمْ يَبْقَ فيه المريديّة والشيخوخة غير الرسم والعادة ، فإذا لم يكن لشيوخ هذا الوقت خبر[1]

(١) أي علم أحوال أنفسهم .

عن أنفسهم ولا يقدرون أن يفرقوا بين الإيمان والكفر فكيف يكون لهم خبر عن الله عز وجل وعلى أي الطريق يدلّون المريد . شعر :

مـن لم يكن ذا خبرة عن نفسه   لا يقـدر الإخبـار عن هـذا وذا

يا ويح مريد يقعد عند مثل هذا الشيخ معتقداً له ولا يرجع إلى غيره ولا يعرف طريق الحق جل وعلا . وهذا من الخطرات الشيطانية الواردة من جهة الشيخ الناقص لمنع الطالب عن طلب الحق سبحانه كل موضع رأى الطالب رشده وجمعيّة قلبه فيه ينبغي الرجوع فيه بلا توقف وأن يستعيذ من الوساوس الشيطانية . انتهى كذا في « الدرر المكنونات » في ١٠٧ من الجزء الثاني .

ورأيت في « المناقب الأحمدية » في ١٤٦ ما نصّه : الداخل في طريقة أخرى إن أراد الدخول في الطريقة النقشبندية جاز له بشرط عدم الإنكار للمرشد الأوّل إذ المقصود هو الله سبحانه ، وهذا الطريق أقرب الطرق في الوصول إلى الله تعالى سيما في هذا الزمان الذي لم يبق من السلاسل الأُخر إلا الاسم والرسم فليلتزم هذه الطريقة الشريفة انتهى ، وقال بعض الصوفية : ينبغي لمن يخدم كبيراً كاملاً ثم فقده أن لا يصحب إلاّ من هو أكمل منه وإلا جعل صحبته مع الله كما قيل : كن مع الله وإن لم تقدر كن مع من كان مع الله كما في قوله تعالى ﴿ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ لعل ذلك مقيّد بعدم إذن الشيخ كذا في « البريقة المحمودة » في ٢٢ من الجزء الثاني . وفيه أيضاً : وفي « الفيض » : إذا ظهر للمريد أن الشيخ الآخر كامل ممّن يُقتدى به فله ذلك انتهى ٢٢ .

وفي « الرشحات » : إذا وَجَدَ المريد الصادق شيخاً أكمل من شيخه يجوز له أن ينقطع عن الشيخ الكامل ويتصل بالشيخ الأكمل . انتهى ١٩٤ .

وقد كتب الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتيبه : إنّ الطالب إذا لم يجد رشده عند شيخ ورآه عند شيخ آخر يسوغ له أن يذهب إلى خدمته من غير إنكار على شيخه الأول ، وأيّد ذلك بنقل من خواجه بهاء الدين قدس سره وقال : إنّه أخذ في ذلك فتوى من علماء بخارى . انتهى . كذا في « النفائس السانحات » وهكذا في « البهجة » .

وفي « المتممات » في ١١٢ : وقال الشيخ الأكبر قدس سره : يجبُ على الشيخ إذا رأى شيخاً آخر فوقه أن ينصح نفسه ويلزم خدمة ذلك الشيخ الآخر هو وتلامذته فإنه صلاح وسعادة في حقه وحق أصحابه ، ومتى لم يفعل هذا فليس بمنصف وناصح نفسه ولا صاحب همّة بل هو ساقط الهمّة وضعيفها ، بل ربّما يكون محبّاً للريّاسة والتقدّم وهذا في طريق الله نقص ألا ترى قوله عليه السلام : « لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتّباعي » وإلياس وعيسى ـ بل كل الأنبياء ـ تحت حكم شريعة رسول الله ﷺ في الدنيا وفي الآخرة تحت لوائه ، وهكذا ينبغي أن تكون شيوخ الطريقة .

وقال الشعراني قدس سره : ثم إذا رأيتُ أحدهم أعرفَ منّي بالطريق تتلمذت له ولو كُنْتُ مأذوناً لي قبل ذلك من شيخ آخر ، لأن المقامات ليس لها حدٌّ يقف عليه العبد . قلت : فإذا وجب على الشيخ لزوم خدمة الشيخ الأكمل منه وكان حال الشيوخ التَتلْمذ لمن هو أعرف منهم بالطريق ؛ ولو كانوا مأذونين من شيخ آخر كحال موسى مع الخضر عليهما السلام ، فما تقول فيمن لم يشمّ رائحة من أسرار الطريقة ! أو شمّ وهو ناقص عن ذروة التحقيق ! ؟ فتبصّر وأنصف . انتهى .

وفي « البهجة » : وتقدم عن سيدي يوسف العجميّ أنّه كان عندهم في بلاد العجم شيخ فبرع له تلميذ وفاق شيخه فرجع شيخه وأخذ عنه وترقّى على يديه وصار يخدمه كآحاد المريدين . أفاده

العارف الشعراني قدس سره في « النفحات القدسية » . انتهى . وراجع « المنن » . و« شرح تائية السلوك » .

مطلب

وسمعت شيخنا ومولانا ذا الجناحين العسوي قدس سره يقول: العلم علمان علم الظاهر وعلم الباطن ، فكما يجوز تعلّم العلم الظاهر من أستاذ آخر ؛ فكذلك يجوز أخذ الطريقة وعلم الباطن من شيخ آخر ولا مانع منه . انتهى .

وفي « الحدائق الوردية » ما **حاصله** هذا : أن الشيخ عبد الله الدهلوي قدس سره أخذ الطريقة القادرية من الشيخ حبيب الله ثم بعد زمان أخذ منه الطريقة النقشبندية . قال : وقد تردّدت أوّل الأمر في أنه هل يرضى الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه أن أَشْتَغِل في الطريقة النقشبندية أو لا ! فرأيته في الواقعة جالساً في مكان وحضرة الشاه تلقاءه فخطر لي أن أحضر عند شاه نقشبند ، فقال الغوث الجيلاني في الحال : المقصود هو الله تعالى فلا مضايقة . انتهى ٢١٠ بتصرف واختصار .

وقال سليمان الزهدي خليفة قطب الأقطاب خالد شاه قدس الله أسرارهما :

اعلم : أن الطريقة الموصلة المشهورة المعنعنة من السلف إلى الخلف كالمذاهب الأربعة المقبولة يجوز الانتقال من مذهب إلى مذهب آخر مطلقاً من غير تلفيق للعاميّ ، وكذلك الانتقال من طريقة إلى طريقة أخرى بشرط الوفاء فيما دخل فيه والاستقامة بآدابه ، ولكن يجب على الإنسان دخول طريقة سالمة عن البدع[1] المنكرة . انتهى من

---

(١) ألا وهي الطريقة النقشبندية كما قال ابن حجر في آخر « فتاويه الحديثية » (منه) .

« مجموعة الرسائل » .

فنقول[1] ـ والله أعلم ـ أخذا ممّا في « المنن » في الجزء الأوّل : إنّ الممنوع أن يتردّد المريد لدى هذا ويأخذ منه ، ولدى هذا فيأخذ منه ويتّخذ له شيخين كليْهما معاً ، فمثل هذا لا يجوز ؛ بل لا يصل إليه الفيض والمدد من الجانبين ، ويسقط من قلبي الإثنين ، لأنّ الأمر في وصول الفيض تابع لاعتقاد المريد لا للمشائخ ، فالتردّد إلى الشيخين معاً من علامة تردّد الاعتقاد في الطرفين وعدم توفّره في أحد من الجانبين ، وتفريد الاعتقاد في الشيخ واجب **فافهم وراجع** . وفي « المواهب البريقة » ؛ قالوا : ولا بدّ للمريد من توحيد القصد والإذعان والعمل بكل ما يقول له الشيخ ، ومن لم يوحّد القصد وأشرك مع الشيخ غيره فهو مشرك في القصد ؛ لا يجيء منه شيء في الطريق ؛ ولو كان شيخه من أكبر الأولياء . انتهى .

مطلب مهم

المقيم في محل مقيم

ولا بد من أن يراعي المريد توحيد قبلة التوجه فإن جعل قبلة التوجه متعدّدة ألقى السالك نفسه إلى التفرقة ، ومن الأمثال المشهورة « أن المقيم في محلّ في كل محلّ ، والمتردّد بين المحال ليس في محلٍّ أصلاً » كذا في « الدرر المكنونات » في ٨٧ من المجلد[2] الأول ، فلأجل

(١) هذا جواب لسؤال : إنا نحن نجد في بعض الكتب خلاف هذه المنقولات فهل للجمع بينهما سبيل ؟ (منه) .

(٢) وفيه في ٢٨ من الجلد الثالث ينبغي أن يعلم أن الدولة من أي محل يحصل في الصورة ينبغي إرجاعها في الحقيقة إلى شيخه لئلا تتفرق قبلة توجهه ولا يتطرق الخلل إلى المعاملة ومن أي محل يحصل الفيض ينبغي أن يراه من شيخه فإنه جامع ، فبأي صورة تظهر تربيته فهي في الحقيقة منه . وهذا المقام من مزالق أقدام الطلاب ينبغي أن يكون واقفاً متيقظاً حتى لا يجد العدو اللعين سبيلاً ولعلكم سمعتم أن من كان في محل واحد فهو في كل محل ومن=

هذه المنقولات ولِفَقْد الشيخوخة في هذه الديار الجبلية غير الرسم والعادة ولاختلاط الأبعاض في هذه الطريقات شَيْئاً من البدعات مما لم يجدوا لها نصوصات قَبِل شيخنا العسلي قدس سره مريدي الأغيار ولم يقل لهم : قيّدُوا في دائرة شيخكم بل لقّن لهم الذكر السلوكي فارتقى أكثرهم إلى مقامات الولاية الصغرى ، فلعلّ الله يرزقهم الكبرى والعليا وهو خير وأبقى ! ! فأقرّ جميعهم وتحقّقوا ورأوا تأثيرات تصرفه وتيقّنُوا وعلموا حال كلا[1] التلقينين وميّزوا ، بل قالوا : ضيّعنا عمرنا في البطالة وشهدوا ، ولا شك أن حال الشيء لا يعرف إلا بالنسبة إلى ضدّه ، وإذا قابلوا أدركوا ؛ وظهر عندهم حقيقة الأمرين ، وعاينوا هذا بعد ما كانوا منكرين قبل ما دخلوا وكانوا يقولون : هل ثمّ طريق غير ما بأيدينا ، وهل ثمّ شيخ غير شيخنا ! ! فالحمد لله رب العالمين .

وقال لي واحد من العلماء الذي كان في اعتقاد الناس كالقطب

=كان في كل محل فليس هو في محل أصلاً انتهى (منه) . وفيه في ٣٤٨ من الجزء الأول : وكل فيض وفتوح يرد عليه فليعتقده : أنه بواسطة شيخه ، فإن رأى في الواقعة أن الفيض يرد عليه من مشائخ آخر فليره أيضاً من شيخه ، وليعلم أن الشيخ لما كان جامعاً للكمالات والفيوضات وصل إليه منه فيض خاص مناسب لاستعداده الخاص الملائم لكمال شيخ من الشيوخ ؛ أعني الذي ظهرت منه صورة الإفاضة ، وإن لطيفة من لطائف شيخه لها مناسبة بذلك الفيض ظهرت في صورة ذلك الشيخ ، فتخيل المريد تلك اللطيفة بواسطة الابتلاء شيخاً ، وظن أن الفيض منه ؛ وهذه مغلطة عظيمة . انتهى فراجعه .

وفي « الرشحات » في ١٩٤ : وقع واحد من مريدي قطب الدين حيدر في رباط الشيخ شهاب الدين السهروردي وكان جائعاً ، فقلّب وجهه نحو قرية شيخه وقال : شيئاً لله يا قطب الدين حيدر ، فاطّلع الشيخ شهاب الدين على حاله وأمر خادمه أن يحمل الطعام إليه ، ولما فرغ الدرويش من الطعام جعل وجهه أيضاً إلى جانب قرية شيخه وقال : شيئاً لله يا قطب الدين حيدر ، لا تحرمنا من بركاتك أصلاً ولا تنسانا حيثما كنّا . ولما جاء الخادم عند الشيخ سأل الشيخ : كيف وجدت هذا الدرويش ؟ قال : أبله ، يأكل طعامك ويشكر قطب الدين حيدر ، فقال : ينبغي أن تتعلّم المريدية منه ؛ حيث يعتقد كل فائدة حصلت أنها من شيخه ظاهراً وباطناً من أيّ مكان جاءت تلك الفائدة . انتهى من « رشحات » ١٩٤ .

(١) وفي نسخة : كِلَي .

وكان قد أخذ الطريقة من الشيخ عمر العندي وبعده من الشيخ الحاج محمد الكِكُني هداهما الله إلى الحق : إني اجتمعتُ مع واحد[1] من المشائخ النقشبنديين فوقع بيني وبينه كلام كثير في الطريقة ، وقال لي : ألا تنظرون في الكتب لتعلموا هل أنتم سالكون في الطريقة أم لا ؟ وهل مشائخكم لقنوا لكم أذكار الطريقة أم لا ؛ وأنتم علماء عقلاء ؟ ! فبعد ذلك طلبت كتب النقشبندية والقادرية وكتب أهل التصوّف ونظرت فيها فلم أجد ما لقن لي ولغيري من مشائخي موافقاً بما في تلك الكتب كلّها ، فدُرْتُ في القرى الداغستانيّة ، وذهبت لدى كل من سمعت أنّه يتشيّخ ، وتفحصت عنهم كيفية أورادهم وعن شيوخهم وعن طريقتهم ؛ فلم أجد كلّ ما يفعلونه ويلقنونه موافقاً على ما في كتب النقشبندية وغيرها ، فإذا سألتهم عن كيفية عدم الموافقة أقرّوا وتحيّروا ، وعلى ما في الكتب لم ينكروا ، وأيّ شيءٍ يقولون لم يَعْلَمُوا ، ثم بعد ذلك رجعت لدى ذلك الشيخ المذكور فتفحّصْتُ منه كما تفحّصْتُ من غيره ؛ فأَخْبَرَ جميع ما سُئل وأجاب الكل وما خجل ، ولم أجد كلّ ما يفعله ويقوله يخالف بما في الكتب ؛ ولو ذرة واحدة ، فعلمتُ حينئذ كونه شيخاً حقيقياً ، وأخذت منه الطريقة النقشبندية ، فتوجه إليّ ذلك الشيخ فحصل لي من الأحوال بذلك التوجُّه ما لم يحصل لي ولو بالدخول في الخلوة بإشارة[2] شيخي القبليّ في ثمانية أشهر كاملة مع الرياضة الشاقة والمجاهدة التامة . انتهى . وكيفية[3] مجاهدته ورياضته حين كان مقيّداً في دائرة شيخه القبليّ أنه كان يأكل شيئاً قليلاً من السويق الذي اختلط فيه صمغ الصنوبر ، وكان يعلّق الحبل في سقف خلوته

---

(١) وهو ذو الجناحين الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره (منه) .

(٢) ولا عجب فإن التوجه الواحد من شيخ نقشبندي يعمل في المريد المستعد عمل مائة من الأربعين راجع « الدرر المكنونات » وسيأتي في الكتاب إن شاء الله تعالى (منه) .

(٣) هكذا أخبرني صاحب الواقعة (منه) .

ويربط به نفسه من وسطه لئلا يقع على الأرض عند غلبة النوم ، وكان يجتهد في الأذكار والقراآت والدعوات لا يفتر عنها في الليل والنهار ، ومع هذا لم يحصل له من أحوال القوم ؛ ولو ذرّة ، ولم يذق مما ذاقه النقشبنديون ؛ ولو طُعْمَةً ، إلى أن يتوجه إليه شيخه الآخر . انتهى . وهو الآن يستغفر الله تعالى عن الحالة التي كان عليها قبل هذا كما يستغفر من كبائر ذنوبه مع كونه قبل ذلك معدوداً من أولياء الله في اعتقاد الناس ، وصار بعد ذلك يقول : هذا هو الحق المبين وليس غيره إلا إضاعة العمر العزيز انتهى .

واقعة عجيبة

ومن غريب ما وقع للعالم الرباني أدرة العرادي رحمه الله تعالى أنه قال : إني رأيت في المنام كأن الغوث محمود أفندي والشيخ الحاج جبرائيل أفندي قُدّس سرّاهما قد أتيا إلى محلّتي وتوّجه إليّ واحدٌ منهما ولقّنني الذكر القلبيّ ، فانتبهت خائفاً ؛ فوجدت قلبي يتحرك ويضطرب إضطراباً عجيباً يذكر لفظة الجلالة مع أنه لم يكن قبل ذلك يذكره كذلك ! مع كوني مأذوناً من طرف شيخ آخر ! ! . انتهى . ثم تعلّق ذلك العالم رحمه الله تعالى بذيل شيخنا قدس سره وأخذ منه الطريقة وحَسُن حاله وارتقى إلى مقام المراقبة رزقه الله وإيّانا الزيادة ، آمين .

وأغرب منه ما وقع لمريد آخر في عهد واحد من مشائخ العصر ، سألني عن أحوال شيخنا العسوي قدس سره وعن طريقته وعن ورده الذي يضع على مريديه فقلت له : إنه يلقن الذكر على القلب وما بعده من اللطائف ، وثم وثم . . . إلخ . وأَرَيْتُهُ مواضع اللطائف بوضع إصبعي وقلت له : إنّ جميعها ترتعش وتتحرك وتذكر الله باسم الجلالة ، فتعجّب وتحيّر وظنّ أن ذلك مما لا يكون أبداً ، ثم اجتمعت معه بعد

يوم ولقيته وهو مسرور[1] فرح فقال لي : إنّي توجهت ونظرت إلى قلبي متفكراً فصار يذكر الله تعالى ويتحرّك ، ثم نظرت إلى جميع اللطائف فوجدتها كذلك سوى لطيفة الأخفى ، وشكر لي وقال : إن ذلك من بركتك ، وأثنى عليّ ، فقلت له : لا بل لعلّ ذلك بتوجه روحانية شيخنا العسلي قدس سره ، فلو ذهبْتَ لديه كان خيراً لك ، فوقتئذٍ ذهب ذلك المريد لديه ولقن له شيخنا الأذكار على جميع اللطائف بتوجّهٍ واحدٍ ، فصار حال صاحب الواقعة بعد ذلك بحيث تضطرب جميع أجزاء جسده بالذكر ، حتى كان يجد نفسه إذا انتبه من النوم تهتزّ بجريان الذكر في جزئيات أعضاء بدنه كالطير المذبوح المطروح قبل خروج الروح . انتهى .

ولو كان غيرهم من متشيّخي ديارنا يتدبّرون وينظرون في كتب أهل التصوّف ولا يكسلون ويفعلون كما فعل هؤلاء ويتتلمذون للكامل المكمل كما تلمّذوا لكان خيراً لهم ، ولكن إنهمكوا فيما هم فيه ألفوا ، وما زالوا عما هم به آنسوا وزين لهم الشيطان ما ابتدعوا أصلح الله تعالى أحوالهم وألهمهم رشدهم وغفر لنا وإيّاهم ؛ إنه هو الغفور الرحيم . فرضي الله تعالى عن سيدي ابن الفارض حيث قال :

تعرض قوم للغرام وأعرضوا ... بجانبهم عن صحتي فيه واعتلوا

رضوا بالأماني وابتلوا بحظوظهم ... وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلّوا

فهم في السُرى لم يبرحوا من مكانهم ... وما ظعنوا في السير عنه وقد كلّوا

وعن مذهبي لمّا استحبوا العمى ... على الهدى حسداً من عند أنفسهم ضلّوا

اهى من « ديوانه » ١٠٩ .

(١) أي : والحال أنه مسرور (منه) .

الباب الثاني عشر

في بيان أن الطريقة النقشبنديّة سالمة من البدع باقية على أصلها وأنها أقرب الطرق وأسهلها وأفضلها

قال الإمام الرباني قدس سره : **اِعلم** ؛ أنّ الطريق الذي هو أقرب وأسبق وأوفق وأوثق وأسلم وأحكم وأصدق وأدلّ وأعلى وأجلّ وأرفع وأكمل هو الطريقة النقشبندية العلية قدس الله أرواح أهاليها وأسرار مواليها ، وكل عظمة هذا الطريق وعلوّ شأن هؤلاء الأكابر بواسطة التزام متابعة السنّة السنيّة على صاحبها الصلاة والسلام والتحيّة واجتناب البدعة الغير المرضية ، وهم الذين اندرجت نهاية الأمر في بدايتهم كالأصحاب الكرام عليهم الرضوان من الملك المنان وكان شعورهم وحضورهم على سبيل الدوام وصار فوق شعور الآخرين بعد الوصول إلى درجة الكمال . كذا في « المكتوبات » في ٣٣٣ من الجلد الأول .

قال الخاني في « البهجة السنيّة » والقطب أحمد ضياء الدين قدس سره في « المتممات » : وأما كيفية الطريقة النقشبندية ! ! فإنه قد اشتهر وتحقق بالتجربة والعيان لدى أساطين العلم والكشف ، والشهود أنّ الطريقة النقشبنديّة أقرب الطرق وأسهلها على المريد للوصول إلى درجات التوحيد ، لأنّ مبناها على التصرّف وإلقاء الجذبة المقدّمة على السلوك من المرشد الداخل تحت وراثته ﷺ في قوله : « ما صبّ الله في صدري شيئاً إلاّ وصببته في صدر أبي بكر رضي الله تعالى عنه » ، وهو واسطة[1] هذا العقد ومؤسِّس هذا المجد على اتباع السنة واجتناب البدعة والأخذ بالعزائم والتخلّي عن الرزائل والتحلّي بمحاسن الأخلاق

---

(١) وبهذا الاعتبار قال أكابر هذا الطريق إن نسبتنا فوق جميع النسب إذ نسبتهم عبارة عن الحضور الخاص ونسبتهم وحضورهم نسبة الصديق وحضوره الذي هو فوق جميع النسب والحضورات كذا في « الحدائق الوردية » نقلاً عن الإمام الرباني فراجعه في ١٨٨ (منه قدس سره) .

والفضائل ، **فتلخص** من هذا كلّه أنّ الجذب في هذه الطريقة مقدّم على السلوك ومن تلبّس بهذا الحال فلا شك يكون أقرب وصولاً من المتلبس بالعكس كما أنه شتّان ما بين المجذوب السالك والسالك المجذوب ، ومبنى بقيّة الطرق على تقديم السلوك على الجذب في الأغلب ولذا قالوا : **بداية الطريقة النقشبندية نهاية سائر الطرق** إلا من كان له قدم المحبوبية والمرادية كبعض الأولياء الذين تقدّم فتحهم على السلوك .

تنبيه : لا يظن من هذا البحث تفضيل أولياء النقشبندية عموماً على أولياء بقية الطرق عموماً ، إذ البحث في بيان أقربية الطريق للوصول من حيث هي هي ، ولا يلزم من ذلك تفضيل سالكيها على سالكي غيرها مطلقاً ، بل العموم والخصوص من وجه كما إذا قلنا (الرجل خير من المرأة) مراداً بها الحقيقة تدبّر .

مطلب

فأوّل قدم يضعونه في الذكر القلب ؛ وهو المرتبة الثانية من مراتب الذكر في سائر الطرق ، وليس فيها كثرة الجوع وكثرة السهر بل الاعتدال يصحبها وخلوتهم في جلوتهم وكل المجامع لهم زاوية[1] ، يحضرون في المجالس ؛ وقلوبهم حاضرة مع مولاهم ومن السوى خالية فيعتزلونهم بقلوبهم ويجالسونهم بأجسامهم ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ .

مطلب

طريقة الصحابة

واعلم : أنّ طريقة النقشبندي قدس سره هي طريقة الصحابة

(١) أي خلوة .

على أصلها لم تزد ولم تنقص ، وهي عبارة عن دوام العبودية[1] ظاهراً وباطناً مع كمال الالتزام للسنة والعزيمة ، وتمام الاجتناب عن البدعة والرخصة ؛ في جميع الحركات والسكنات في العادات والعبادات والمعاملات مع دوام الحضور بالله تعالى على طريق الذهول والاستهلاك ، فهي طريق الانصباغ والانعكاس لكمال ارتباطهم بها[2] مع هذه المجاهدة الزكية المستورة يستوي في استفاضتها الشيوخ والصبيان وفي إفاضتها الأحياء والأموات ، ويندرج انتهاؤها في الابتداء وابتداؤها انتهاء غيرها ؛ لما فيها من انجذاب المحبّة الذاتية مما فضل به[3] واسطتها الصديق الأكبر رضي الله عنه فهذه أمّ الطرق ومعدن الأسرار الصديقيّة والحقائق ، ولا جرم أمرها كبير وشأنها خطير ترى منكري الأولياء مذعنين لها لاستقامتها واعتدالها ؛ فضلاً عن الموقنين المعتقدين لتحرُّزها عن الشطح والرقص وسفاسف السماع ، وسلامتها عن كدورات جهلة المتصوّفة وزخارف الرقاع والابتداع ، وتحليها من السنّة السنية بالاتباع وغلبة العلم والاستماع له من الاتباع وهي مما جرى على قبوله الوفاق ، وأقرَّ بفضله علماء الآفاق .

وبالجملة فهي الطريق الأقرب الأفضل الأقوى الأتمّ الأكمل الأحكم الأوضح والمشرب الأعذب المصون عن كل قادح ، بيت :

لا يدرك الـواصف المُطْرِي خصائصه وإن يـكون سابقاً في كل ما وصفا

سقانا الله تعالى من رحيقها المختوم بطابع أنوار أسرار العلوم ،

---

(١) ألتي هي دوام الحضور (منه) .

(٢) حبّا (خ) راجع « البهجة » في ٨ (منه) .

(٣) وفي « الحدائق الوردية » وقال الإمام الرباني قدس سره : أيها الأخ رأس هذه الطريقة العلية ورئيس هذه السلسلة السنية الصديق الأكبر الذي هو بعد النبيين أفضل البشر رضي الله عنه وبهذا الاعتبار قال أكابر هذا الطريق إن نسبتنا فوق جميع النسب إذ نسبتهم عبارة عن الحضور الخاص ونسبتهم وحضورهم نسبة الصديق وحضوره الذي هو فوق جميع النسب والحضورات انتهى . فراجعه في ١٨٨ (منه رحمه الله تعالى) .

فمِنَ السالكين فيها مَن وصل في لحظة ، ومنهم من وصل في يوم ، ومنهم من وصل في أسبوع ، ومنهم من وصل في شهر ، ومنهم من وصل في سنة ، ومنهم من وصل في سنين كما في « منهاج العابدين » .

وأما شرعيتها وتطبيقها على المذهب ! ! فجميع أركانها وشروطها وآدابها عين الشرع ولبّ القرآن[١] وحقيقة العرفان ، وفي حقها أدلّة[٢] جملة وتفصيلاً كما سيأتي البيان .

قال الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله : إنّ هذا الطريق ليس في طوله وقصره مثل المساحات التي تسلكها الأنفس فتقطعها بالأقدام على حسب قوّة النفس وضُعفها ، بل هو طريق روحاني تسلكها القلوب فتقطعه بالأفكار على حسب العقائد والبصائر وأصله نور سماويّ ونظر إلهيّ يقع في قلب العبد فينظر به نظرة فيرى بها أمر الدارين بالحقيقة ، ثم هذا النور ربّما يطلبه الشخص مائة سنة ويصرخ فيها ويبكي فلا يجده ولا أثر منه . انتهى كلام « المتممات » ٩٧ .

وكان الإمام الرباني قدس سره مأذوناً للإرشاد في الطرق الثلاث القادريّة والسهرورديّة والچشتية ، ومع ذلك اجتهد لتحصيل نسبة الطريقة النقشبندية لعلمه بفضلها على سائر الطرق حتى قال : إنّ **الإمام المهدي**[٣] **يكون على هذه النسبة الشريفة** . وكان يقول : طريق أكابر النقشبندية كبريت أحمر مبني على متابعة السنة . انتهى . وقال شاه نقشبند قدس سره : المعرض عن طريقتنا على خطر من دينه . انتهى . من « البهجة » و« النفائس السانحات » ، وقال الشاذلي : لقد جئت في

(١) فراجع إلى هذه الصفحة تجد البيان في آخر الصحيفة ٥٢ .
(٢) وفي « المناقب الأحمدية » في ٢ إن الطريقة النقشبندية خلاصة الطرق وأوفق بالكتاب والسنة وإنها سالمة من كدورات جهلة الصوفية وفيها ما في جميع الطرق وزائداً (هكذا في الأصل وفي نسخة : وزائدٌ) فراجعه مع ما في الهامش (منه رحم الله إفلاسه) .
(٣) ومثله في « المناقب الأحمدية » في ٢١ فراجعه (منه) .

هذه الطريقة بما لم يأت به أحد لأنه عين الطريقة النقشبندية وهي **سلطان الطرق** . انتهى « متممات » ، وقال شاه نقشبند قدس سره : قيل لي في بداية الجذبة : كيف تدخل في هذا الطريق ! فقلت : على أن يكون كل ما أقوله وأريده . فقيل لي : كل ما نحن نقوله يجب أن يفعل . فقلت : لا أطيق ذلك ، بل إن كان كل ما أقوله يصير أضع قدمي في هذا الطريق وإلا فلا . وتكرّر ذلك مرّتين ثم تركوني ونفسي خمسة عشر يوماً فحصل لي يأسٌ عظيم ثم بعد ذلك قيل لي : إن الذي تريده يكون . فقلت : أريد طريقةً كلُّ من دخلها تشرّف بمقام الوصول . انتهى من « الحدائق الوردية » في ١٣٦ . وفي « البهجة » أنّه قدس سره قال : طلبت من الله تعالى طريقاً تكون موصلة إلى الله ألبتّة . وقد أجيبت دعوته ؛ كما في « الرشحات » انتهى .

فائدة مهمة

إن علاء الدين العطاري قدس سره قد زار ضريح سيّدنا شاه نقشبند رضي الله عنه قبل وفاته بسبع سنين ومعه زمرة من أصحابه ؛ فرأى أحدهم في المنام خيمة كبيرة قد ضربت قال وعلمت أنّ هذه الخيمة لرسول الله ﷺ فجاء سيدنا النقشبند ومعه الشيخ علاء الدين إلى هذه الخيمة لزيارته ﷺ وخرجا بعد ساعة فرِحَين شاكرَين وسيدنا شاه نقشبند يقول : أكرمني الله بأن أشفع إلى مائة فرسخ من جهات قبري الأربع[1] ، والشيخ علاء الدين إلى أربعين فرسخا ، وأحبّائي وأتباعي إلى فرسخ ، نقل من « الحدائق الوردية » فراجعه في ١٤٨ .

فائدة جليلة لنا معشر النقشينديين[2]

(١) ومنح أصغر محبينا وأحقر متابعين شفاعة مسافة فرسخ من أطراف قبره « طبقات الخواجكان النقشبندية » .

(٢) فائدة جليلة لنا معشر النقشبيديين إن وإن . . إلخ . ولا حول . . إلخ . (شعيب الباكني=

وفيه في ١٤١ : قال قطب أهل العزلة بركة أهل الزمان الشيخ عبد الوهاب قدس الله سره : لما دفن حضرة الشيخ نقشبند رضي الله عنه فتح من جهة وجهه المبارك له طاقة إلى الجنة كما ورد « القبر روضة من رياض الجنة » فدخلت عليه حوريّتان وسلّمتا عليه وقالتا له : نحن منذ خَلَقنا أكرم الكرماء لك ننظر خدمتك . فقال قدس الله سره : عاهدت الله تعالى أن لا ألتفت إلى شيء مّا من الأشياء ما لم أتشرّف برؤيته التي بلا كيف ولا مثال ؛ وأشفع بجميع من اتصل بي وسمع مني القول وعمل به . انتهى .

وقال الإمام الرباني قدس سرّه : كنت مرّة في حلقة أصحابي فخطر لي أنّي في قصور ونقص ، فبينما أنا كذلك إذ ألقي في سرّي أني قد غفرت لك ولمن توسل بك إلي بواسطة أو بغيرها إلى يوم القيامة ؛ كذا في « البهجة » و« رسالة المبدأ والمعاد » فراجعهما ففي هذه المذكورات بشارة أيُّ بشارة لمن تمسّك بذيل هذه الطريقة النقشبندية العلية حشرنا الله تعالى تحت ألوية ساداتها الظاهرة ونفعنا بمدد أرواحهم الطاهرة في الدنيا والآخرة . آمين .

وَصْلٌ[1] في بَيَانِ خَصَائِص ولَطَائِفِ وَمحاسن الطريقة النقشبَنْدية :

قال الغوث الصمداني مجدد الألف الثاني قدس سره في بعض مكاتيبه : ومن خواص هذه الطريقة أيضاً تقدُّم الجذبة فيها على السلوك[2]

=قدس سره من خطه) .

(١) بالواو لا بالفاء . تدبر .

(٢) وقال الإمام الرباني قدس سره في « المكتوبات » ما نصه :
إن أكابر النقشبندية قدس الله أسرارهم اختاروا الطريق الغير المسلوك وصار هذا الطريق عندهم طريقاً مسلوكاً معهوداً وهم يوصلون خلق العالم من هذا الطريق إلى المطلب بالتوجه والتصرّف ، والوصول لازم لهذا الطريق إذا رعي فيه آداب الشيخ المقتدى به ، والشيخ والشاب متساويان في هذا الطريق في الوصول ، والنسوان والصبيان متساويان فيه بل الموتى=

وإنّ ابتداء سيرها من عالم الأمر ؛ لا من عالم الخلق ، بخلاف أكثر[1] الطرق وكون قطع منازل السلوك فيها مندرجاً في ضمن طيّ معارج الجذبة وتيسّر سير عالم الخلق في سير عالم الأمر ، فلهذا لو قيل : إنّ قطع منازل السلوك في هذا الطريق مندرج البداية في النهاية لساغ ذلك أيضاً ، فعلم أنّ سير الابتداء في هذا الطريق مندرج في سير الانتهاء ؛ لا أنه يتنزّل في سير الابتداء إلى سير الانتهاء وبعد تمام سير النهاية يكون سير البداية .

وقال الإمام الرباني أيضاً في بعض مكاتيبه : وحصول هذه الدولة يعني الإقبال على الله تعالى بالكلية والإعراض عما سواه عز وجلّ موقوف في هذا الوقت على الإخلاص للطّائفة النقشبندية والتوجه إليهم ، فإن الذي يحصل في صحبتهم الواحدة لا يتيسّر بالرياضات الشديدة والمجاهدات الشاقة في مدّة مديدة[2] وذلك لأنّ في طريق هؤلاء الأكابر اندراج النهاية في البداية بحيث يعطى في أول صحبتهم ما يقع في يد المنتهين في نهايتهم ، وطريق هؤلاء الأكابر هو طريق

=راجون من هذه الدولة انتهى فراجعه في ١٧١ من الجزء الأول .

قلت : إن المراد من الطريق المسلوك الطريق الذي هو عبارة عن طريق الجذبة والمحبة وطريق الاجتباء وهو غير مشروط بالإنابة وتقدم فيه التصفية ـ أي : تصفية القلب عن الأغيار ـ على التزكية ـ أي : تزكية النفس ـ عن الأخلاق الرذيلة ، وأما الطريق المسلوك هو الطريق الذي بطيّ المقامات العشرة المشهورة بالترتيب والتفصيل وتزكية النفس مقدمة في هذا الطريق على تصفية القلب ، والإنابة فيه شرط الولاية والهداية ؛ كما بينه الإمام قبيل هذا فافهم وراجعه (منه) قدس سره العزيز .

(١) يعني أن مشائخ سائر الطرق يبتدئون من عالم الخلق ثم بعد طي عالم الخلق يضعون القدم في عالم الأمر ويصلون إلى الجذبة . كذا في « الحدائق الوردية » في ١٨٤ راجعه (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) وفي هذه الطريقة بالعمل القليل تفتح فتوحات عظيمة كذا في « المناقب الأحمدية » في ١١ (منه) .

الأصحاب الكرام فإنه كان يحصل لهم في أول صحبة خير البشر عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات ما يندرج حصوله لأولياء الأمة في النهاية وهذا طريق اندراج النهاية في البداية فعليكم بمحبّة هؤلاء الأكابر فإنها ملاَكُ الأمْرِ . انتهى كذا في « الدرر المكنونات » في ٩٨ من المجلد الأول .

وفيه أيضاً في المكتوب الثامن والعشرين : فينبغي أن يتأمل في أنه إذا كانت بداية جماعة بحيث اندرجت فيها نهاية غيرهم ، ماذا تكون نهايتهم ! وكيف يسعها إدراك الآخرين ؟ ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ انتهى ٧٠ .

ومن خواصّها :

أنّ الحجب المذكورة في حديث : « إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة » ترتفع بالتمام بتمام اللطائف السبع : القلب والروح والسرّ والخفي والأخفى والنفس والبدن العنصري ، ففي كل قدم من هذه الأقدام السبع ترتفع عشرة آلاف حجاب ؛ نورانية كانت ، أو ظلمانية ، وفي كل منها يبعد السالك من نفسه ويقرب من ربه حتى يتمّ القرب بتمام هذه الأقدام ، فحينئذ يتشرّف بالفناء والبقاء ويبلغ[1] درجة الولاية الخاصة . كما مر بسطه قبيل الباب الأول .

ومن خواصّ هذه الطريقة : أنها أيضاً أقرب الطرق وأنها موصلة البتة ؛ قال الشاه النقشبند قدس سره : طريقتنا أقرب الطرق . وقال أيضاً : طلبت من الله تعالى طريقاً تكون موصلة ألبتّة . وقد أجيبت[2] دعوته ،

---

(١) قال الشيخ محمد مظهر في هامش « المناقب الأحمدية » وما لهم لا يحصلون ذكر اللطائف الذي هو بذر المحبة الالهية وموجب لبقاء الايمان من واحد من المشائخ النقشبندية فإنه في طريقتهم تيسر في مدة قليلة بلا تعب فراجعه من صحيفة ٤٥ (منه) .

(٢) يعني أنه قدس سره سأل الله تعالى طريقة سهلة على الطالبين تكون موصلة البتة وسجد وبقى ساجداً كذلك اثني عشر يوما فاستجاب الله دعاءه وألهمه طريقة جديدة ليس=

كما في « الرشحات » .

عن عبيد الله أحرار قدس سره : وكيف لا تكون أقرب وموصلة وانتهاؤها مندرج[١] في ابتدائها ، فالمحروم من يدخل هذا الطريق ولا يستقيم ويروح لا نصيب له ، وما ذنب الشمس إذا لم تكن هناك عين تُبْصِرُ ! ! ، نعم إذا وقع طالب في يد ناقص فأيّ ذنب للطريق ؟ ! وأيّ تقصير للطالب ؛ إذ الموصل في الحقيقة في هذا الطريق هو المرشد[٢] ؛ لا نفس الطريق .

وفي « المكتوبات » للإمام الرباني في ٦٥ من الجلد الثاني **ما حاصله** :

إنّ هذا الطريق موصل البتة ، وعدم الوصول مفقود فيه ، فإنّ أول قدم هذا الطريق الجذبة التي هي دهليز الوصول . ومواقع التوقفات إما منازل السلوك أو مواطن الجذبات التي لا تكون متضمّنة للسلوك وكلا المانعين مرتفعان في هذا الطريق ، فإنّ السلوك طفيلي يحصل في ضمن الجذبة فههنا ليس سلوك خالص ولا جذبة أبتر حتى يكون الطريق[٣] مسدوداً . انتهى .

=فيها حرمان لأحد ولا مجاهدة ، يكفي فيها اتباع السنة والعمل بالعزيمة كذا في « المناقب الأحمدية » في ١١ (منه قدس سره العزيز) .

(١) فيجد أهل هذه الطريقة في أول قدم ما يجد غيرهم في النهاية . فإن كان بينهما فرق فإنما هو بالإجمال والتفصيل والشمول وعدم الشمول . كذا في « الدرر » في ١٨٢ من الجزء الأول . (منه) .

(٢) ومما ينبغي أن يعلم أنّ عدم حصول التأثر يكون كثيراً من عدم امتثال المريد بما أمره شيخه فإن الشيخ حكيم المريد فإذا لم يعمل المريض بقول الحكيم لا يحصل له شفاء فافهم (منه) .

(٣) وقد يتمهّل ويتأخر التأثر لأبعاض من السالكين لكون عالم الخلق فيهم قويّا وعالم الأمر ضعيفاً ولذا قال الإمام الرباني قدس سره : المانع من سرعة تأثر بعض سالكي هذه الطريقة العلية ووجدانهم اللذة والحلاوة التي هي مقدمة الجذبة مع أنّ ابتداء سيرهم من عالم الأمر ! ! هو أنّ عالم اللأمر فيهم ضعيف بالنسبة إلى عالم الخلق الذي فيهم ، ولا يزال هذا الضعف فيهم حتى يقوي عالم الأمر فيهم على عالم الخلق ، والذي يناسب لعلاج هذا الضعف في هذه الطريقة العلية التصرّف التام من المرشد الكامل* وفي سائر الطرق تقديم تزكية النفس والمجاهدات والرياضات الشاقة الموافقة للشريعة المحمّدية على صاحبها الصلاة والتحية كذا في « الحدائق الوردية » في ١٨٤ فراجعه (منه رحم الله إفلاسه) .

مطلب مهم

ومن خواص هذا الطريق أيضاً : أنه يكون في ابتدائها الحلاوة[1] والوجدان وفي انتهائها عدم اللذة والفقدان الذي هو من لوازم اليأس ، بعكس سائر الطرق إذ في ابتدائها عدم اللذة والفقدان وفي انتهائها الحلاوة والوجدان ، وكذا يكون في هذه الطريقة في ابتدائها القرب والشهود وفي انتهائها البعد والحرمان ، ومن هنا يعلم تفاوت الطرق وعلوّ شأن هذه الطريقة ؛ إذ القرب والشهود والحلاوة والوجدان يخبر عن الهجر والبعد والحرمان ، وعدم اللذة والفقدان يخبر عن نهاية القرب ، فهم من فهم . ويكفي في شرح هذا السر أنه لا أقرب إلى الإنسان من نفسه ، فالقرب والشهود والحلاوة والوجدان بالنسبة إليه مفقود وبالنسبة إلى غيره موجود ، والعارف تكفيه الإشارة ؛ وإنّ أكابر هذه الطريقة جعلوا الأحوال والمواجيد تابعة للأحكام الشرعيّة ، والأذواق والمعارف خادمة للعلوم الدينيّة ، لا يستبدلون الجواهر النفيسة الشرعية مثل الأطفال بجوز الوجد وزبيب الحال ، ولا يغترون بترَّهات الصوفية ولا يفتنون بها ، ولا يريدون الأحوال التي تحصل من ارتكاب المحظورات الشرعية ومن مخالفات السنة السنيّة ولا يقبلونها ، ومن هنا لا يجوّزون السماع والرقص ولا يقبلون على الذكر الجهري[2] ، حالهم على الدوام ، ووقتهم على الاستمرار ؛ التجلي الذاتي الذي لغيرهم كالبرق . . . لهم دائم ، والحضور الذي يعقبه غيْبة ساقطٌ عن

---

* والمداومة على الوقوف القلبي مما جرّ به لهذا الفقير لتحصيل التأثر ، ولأجل ذلك قد يأمر به بعض المشائخ كما هو مذكور في الكتب .

(١) وقال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه : إن مقدمة هذا الطريق الالتذاذ والسكون الذي هو سبب الغيبة عن الحسّ ، وباعث على الذهول عن الشعور . انتهى فراجع « الدرر المكنونات » في ٦٩ من الجزء الأول (منه) .

(٢) فإن الجهر ممنوع في هذا الطريق « الدرر المكنونات » ١٤ من الجزء الثاني .

حيّز الاعتبار عند هذه السادات الأخيار ، بل كانت حالتهم أعلى من الحضور كما أشار إليه عبيد الله أحرار وقال : إنّ سادة هذه السلسلة العلية ما لهم نسبة إلى كل زراق ورقاص وكانت حالتهم أعلى ، انتهى كذا في « البهجة » في ٧ .

ومن خواصها أنّ الولاية الكبرى إنما تعطى فيها ، وفي غيرها إنما تعطى الولاية الصغرى فقط لما فيه من المخالفة في آداب السنة . كذا في سلسلة الخواجكان .

ومن خواصها أنّه لا بد فيها من تصرّف الشيخ الكامل للطالب بالتوجه ، لأنّ الطالب فيها لا يحصل له شيء بدون تصرّفه ، لأنّ اندراج النهاية في البداية ـ الذي من خصائصها أيضاً ـ أثر توجه الشيخ وهو شرط فيها ، ومعنى الاندراج أن يذيق الشيخ من نهاية حاله شيئاً للمريد المبتدئ حتى يكون على جدّ ، ولهذا يجب أن يكون شيخ تلك الطريقة متشرفاً بالولاية الكبرى ، لأنّ من لم يتشرف بها لا يقدر على التصرّف . كذا في « المواهب البريقة » .

فائدة : قال في « البهجة » ما **حاصله:** لا ينبغي للشيخ أن يتوجَّه[١] لورود الحال لئلا يحمل استعداده[٢] ذلك الحال ويزول عقله . انتهى . وفيه أيضاً : فإن كان استعداده قوياً وسلك السلوك سريعاً فيمنعه من سلوكه ، يعني يضع على استعداده ظلمة حتى يسكن عن الترقي ويتأخر سلوكه إلى أربعين يوماً ، فإن تأخر أكثر منها فأحسن وأولى ، انتهى فراجعه في ٣٠ .

---

(١) إلى المريد السالك (منه) .
ومنح أصغر محبينا وأحقر متابعين شفاعة مسافة فرسخ من أطراف قبره « طبقات الخواجكان النقشبندية » .
(٢) أي مريد .

ومن محاسنها التي ليست لغيرها من الطرق : حصول الاشتغال بتحصيل تلك النسبة[1] في كل مكان ومع كل شخص وفي كل حال ؛ كذا في « الرشحات » في ١٢٩ .

وفيه **وينبغي** أن يجعل تحصيل هذه النسبة أصلاً أصيلاً ، وأن يقتصر الاشتغال بغيرها على قدر الضرورة ، وهذه النسبة الشريفة لطيفة غاية اللطافة ، وليس لها حدّ يضبطها ووقتٌ يختصّ بها ، وربّما تزول وتستر بأمر جزئيّ وتظهر أحياناً من غير ترقب . . . إلخ فراجعه من ١٢٥ .

وبهذا يعلم فساد قول من قال (لا يجوز لمن له أشغال دنيويّة وصنائع كثيرة أن يأخذ هذه الطريقة ولا يقدر أن يوقع الذكر إلى قلبه) ، وهو كلام من لا يعرف كيفيّة إيقاع الذكر إلى القلب ، وقد علم مما مرّ أن نسبة هذه الطريقة التي هي الحضور إنما تحصل من أثر التوجه من الشيخ المرشد وأن **الموصل إلى الله هو نفس المرشد** ؛ لا نفس[2] الطريق ، وأنها طريق الانعكاس والانصباب من صدر إلى صدر ، وأنها تجوز في كل مكان وفي كل حال ، **ولا يخفى حينئذ أنّ كثرة الأشغال والصنائع لا تكون مانعة في حصول تلك النسبة التي هي أثر التوجه فافهم** ، اللهم نعم لا يكون المشتغل بالحرف كالمتجرّد عنها في القابليّة وعدمها ، فمن له استعداد وقابلية فيظهر له أثر التوجه سريعاً ، ومن لا ! فيتمهّل ، ولذا قيل : إن هذا المهم ـ يعني نسبة الأكابر ـ لا تحصل باشتغال بها ولا بغير اشتغال بها ، معناها لا تحصل باشتغال[3] إن كانت له قابلية ولا تحصل

(١) أي التي هي الحضور القلبي (منه) .

(٢) رشحة : قال : ما رأيت في طريقة خواجكان قدس الله أرواحهم من ليس له ذوق وقبول إلا قليلاً ، فإن بداية هؤلاء الأكابر نهاية الآخرين ، فقلما يقبلون شخصاً ثم يتركونه ويطردونه ، فإن وقع في الساحل بغلبة أحكام النفس والهوى يجذبونه ويجرونه إلى الوسط . « رشحات » ١٢٢ .

(٣) ولعل معناه أنه لا يحتاج إلى الاشتغال بها إن كان له قابلية ، بل تحصل بمجرد التوجه كما يحصل النار في الخرقة المستعدة الجافية بمجرد ضرب الزناد على الحجر . فافهم والله أعلم . (منه من خطه قدس سره ورزقني بركة علومه وعمله) .

بغير اشتغال إن لم تكن له قابلية . كذا في « الرشحات » في ١٤١ .

وقد مرّ في « الديباج » نقلاً من « الحديقة النديّة » : أن مبنى الطريقة النقشبندية على الخلوة في الجلوة يتمّ سلوك السالك منهم وهو مع الناس يعتزلهم بقلبه ويجالسهم بجسمه ، ﴿**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ**﴾ . ومرّ أيضاً في الباب السادس أنّ تلقين الذكر لبعض أهل المناصب والأشراف والمكاسب والصنائع والملاحي والتجار والراعي والقروي أمْرٌ حَسَنٌ ، مع زيادة بسط وإكثار نقول ، وفي « المتممات » : إنّ بعض العارفين[1] كان لا يأمر أحداً بترك حرفته ، وتجارته بل يعرّفه الطريق ؛ وهو باق على حرفته ، **وكان لا يحب المريد الذي لا سبب له** ، وكان أبو الحسن يحث على الحرفة ويقول : عليكم بالسبب ، ولا يجعل أحدكم مأكوله سبحته أو تحريك أصابعه . انتهى .

ولا يجب أن يكون جميع الملقنين[2] بالذكر أهلَ ترك للدنيا وتجريد كذا في « المتممات » وقد مر بسطه في الباب السادس أيضاً .

مطلب مهم
في تكسب الحلال

وفي « الرشحات » في ٢٠٨ : ينبغي لأصحابنا اختيار أحد الأمرين ؛

إما قبول شيء من الوجه الحلال والاشتغال بالزراعة بحفظ أنفسهم في جميع أوقات الاشتغال ؛ كما هو طريقة فقراء أكابر خواجكان قدس الله أسرارهم .

وإما تفويض أنفسهم إلى القضاء والقدر بالكلية من غير صرف

---

(١) وهو أبو الحسن الشاذلي قدس سره ، وعينه في الأنوار القدسية (منه) .

(٢) وراجع في « التنوير في إسقاط التدبير » في ٣٥ (منه) .

القوة الفكرية فيما يحصل وفيما لا يحصل . انتهى .

وقد قال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » : فاسلك ؛ يا أخي على يد شيخ يفطمك عن محبة الدنيا يعني عن الميل إليها ، إذ الدنيا لا تبغض لذاتها ، وإنما المطلوب الزهد في الميل إليها ؛ لا في ذاتها ، إذ لو كان الزهد مطلوباً في ذاتها لما جاز لأحد إمساكها ولا قائل بذلك ، فإنّ المحذور إنما هو في إمساكها ، محبة لذاتها ، إذ هو الذي يتفرع منه الحجاب[1] والشحّ والبخل ، فيمنع العبد من إخراج زكاته ، وقد غلط في هذا الأمر قوم فتركوا جمع الدنيا أصلاً ورأساً ، فاحتاجوا إلى سؤال الناس[2] تعريضاً وتصريحاً ، ولو أنهم سلكوا على

---

(١) وكثرة الأموال في الدنيا لا تحجب العارفين عن ربهم . كذا في كتاب « الجواهر والدرر » في ٢٤٠ فراجعه من هامش « الإبريز » . وقد قيل : في الإنسان جزء لا يزال يضرب – لعله يضطرب . منه . والله أعلم – في الدنيا ، فإذا وجدت عنده سكن ، ولهذا كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين يدخرون ويبقون عندهم شيئاً من الدنيا .
ومن دعاء بعض السلف : اللهم اجعلها في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا . وعنه ﷺ « إن الفاقة لأصحابي سعادة وإن الغنى في آخر الزمان سعادة » . وسبب ذلك أن جلّ الناس الآن ناظرون إلى الدنيا وأهل الصدر الأول كان نظرهم إلى الآخرة وقد شحت أهل الدنيا بها في هذا الزمن حتى بالقدر الواجب ، فاحتاج أهل العلم والصلاح إلى الدنيا ليستغنوا بها عن أهلها ، فإن من احتاج إليهم هان عليهم قدره لديهم . كذا في « تيسير الأصول » فراجعه في صحيفة ٢٧ (منه قدس سره) .

(٢) وقد سئل الحسن البصري رحمه الله تعالى عن شخص يريد أن يجلس في بيت كان تاركاً للحرفة ولا يخرج ويقول أنا متوكل على الله تعالى فقال إن كان له يقين كيقين سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام فليفعل وإلا فليخرج إلى الحرفة لئلا يصير يأكل بدينه وزهده ويصطاد بهما الدنيا كذا في « تنوير الصدر » فراجعه من صحيفة ٢٣٨ من هامش « مجموعة الأحزاب » .
وفي « لواقح الأنوار » وسمعت سيدي عليا الخواص يقول اسع على عيالك ليلاً ونهاراً ولو سمَّوْك دنياوياً ، فإنه خير من أن يُسَمُّوكَ صالحاً وأنت تأكل صدقاتهم وأوساخهم وناظر لما في أيديهم وكل من لم يعطك شيئاً تصير تكرهه مع أن تلك الكراهة من غير حق . اهى ٣٥ من هامش الجلد الثاني من « المنن » (منه من خطه قدس سره) .

يد الأشياخ حتى فطموهم عن الميل إليها ؛ لجمعوا القناطير من الذهب وأنفقوها على المساكين وحصل لهم خير الدنيا والآخرة .

وقد حكي أن فقيراً دخل في زاوية سيّدي إبراهيم المتبولي[1] فجلس للعبادة ليلاً ونهاراً ، وترك الكسب ؛ وكان الشيخ لا يحبّ للفقير عدم التكسّب ، فقال له يا ولدي : لِمَ لا تحترف وتقوم بنفسك وتستغني عن حمل الناس لك الطعام ؟ ! فقال : يا سيدي لمّا دخلت زاويتكم رأيت في تلك الطاقة بُومَةً عمياء لا تطيق أن تسعى مثل ما يسعى الطيور ، ورأيت صقراً يأتيها كل يوم بقطعة لحم يَرْمِيهَا لها في طاقتها ، فقلت : أنا أولى بالتوكل على الله من هذه البومة ، فقال سيدي إبراهيم : ولِمَ تَجْعَلُ نفسك بومة عمياء ؟ ! هلاّ جعلتها صقراً تأكل وتطعم البومة ؟ ! فقال الفقير : التوبة ! وخرج للكسب . انتهى . ٨٧ من هامش « المنن » في الجلد الثاني .

وفيه أيضاً في ١٥ : إن التكسّب الشرعيّ أولى على كل حال . وقد ورد أنّ الله تعالى علّم آدم عليه السلام ألف حرفة وقال له : « يا آدم قل لبنيك يكتسبون بهذه الحرف ولا يأكلون بدينهم » . انتهى .

وفيه في ١٧ : وروى ابن ماجه مرفوعاً : « ما كَسَبَ الرجل كسباً أطيب من عمل يده ، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة » .

وروى الإمام أحمد والبزاز والطبراني : أن رسول الله ﷺ سُئل عن أفضل الكسب فقال : « بيعٌ مبرور وعمل الرجل بيده » . وروى الطبراني ورجاله رجال الصحيح والبيهقي مرفوعاً : « إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف » . وفي رواية أيضاً عن كعب بن عجرة قال : مرّ على النبي ﷺ

(١) وفي « الطبقات كبرى » في ٧٧ من الجلد الثاني أن إبراهيم المتبولي رضي الله عنه كان يقول لا أحب الفقير إلا إن كان له حرفة تكفه عن سؤال الناس انتهى . فراجعه .

رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جَلَدِهِ ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله ؛ لو كان هذا في سبيل الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه : « إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان » . وروى الطبراني **مرفوعاً** : « من أمسى كالاًّ من عمل يده أمسى مغفوراً له » انتهى .

وفيه أيضاً في ١٧ : أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نبكّر في طلب الرزق مبادرة لقطع خاطر الاهتمام بأمر الرزق ، لا حبّاً للدنيا من حيث هي دنيا ، فإنّ في الآدمي ـ ما عدا الأكابر ـ جزءٌ يهتم بأمر المعيشة ، ويضطرب ولا يسكن حتى يحصل العبد كفايته ذلك اليوم . انتهى .

وفيه في ١١٨ ما حاصله : إنّ الزهد الذي يطلب من العبد هو الزهد عن تعلّق القلب بالدنيا ؛ لا الزهد فيها باليد ، فليس ذلك[١] هو الزهد المشروع ، وإنّ حقيقة الزهد فيها إنما هو زوال محبة المال والطعام والمنام والكلام ، ولأجل خروج المريد من الميل إليها بالقلب وجب على السالك أن يتخذ له شيخاً يخرجه من محبتها شيئاً فشيئاً ، انتهى مع بعض تصرف واختصار .

وفيه في ١٢١ : إنّ من طلب من المشائخ أن يكون جميع أصحابه مستقيمين متجرّدين عن الدنيا واه واه ، فهو أعمى البصيرة ، وإنما وظيفة جميع الدعاة إلى الله تعالى أن يبلّغوا الآداب الشرعية إلى قومهم لا غير ، فهم مأجورون على كل حال سواء امتثل الخلق أمرهم ؛ أم لم

---

(١) ومثله في كتاب « الجواهر » و« الدرر » .

يمتثلوا ، وقد أرسل النبي ﷺ إلى الناس كافة ، فَأَقَرَّ كلَّ مَن كانت له حرفة على حرفته ، ولم يأمر أحداً منهم[1] بالخروج عما أقامه الله فيه من الحرف ، بل سلكهم وأرشدهم ؛ وهم في حرفهم . انتهى .

وفيه بعيد هذا : فإنّ شيئاً لم يصح لرسول الله ﷺ من أصحابه كيف يصح لأحد بعدهم . انتهى .

ومن محاسنها : أن بناءها على الشكر والإخلاص من غير ملاحظة الحظوظ ، كما أن بناء الطريقة الشاذلية كذلك ، ولهذا مرّ عن الشاذلي قدس سره أن طريقته عين الطريقة النقشبندية وهي **سلطان الطرق** ، فإن مبناهما على سير القلوب الذي هو التوجه القلبي إلى جناب الحق تعالى ؛ لا على سير الأبدان الذي هو الرياضات والمجاهدات[2] ، والرياضة فيهما تعليق القلب بالله تعالى والدوام على ذلك[3] ، وإن كان الظاهر غير متلبس بكثير من العبادة ، ولذا يكون صاحبهما يصوم ويفطر ، ويقوم وينام ، ويقارب النساء ، ويأتي بسائر وظائف الشرع التي تضاد رياضة الأبدان ، وأيضاً إنّ النية فيهما خالصة لا مطلوب ولا مقصود لمن تلبَّس بهما سوى الله ، وفي الطرق اللواتي فيها التعب والمشقة والسهر والجوع مَشُوبَةٌ ، يعني : لمّا علم الله من سالكي تينك الطريقتين الصدق والإخلاص أثابهم بما يقتضيه كرمه من الفتح في معرفته ونيل أسرار الإيمان به ، فلما سمع أهل الرياضة بما حصل لهؤلاء من الفتح ؛ جعلوا ذلك مطلوبهم ومرغوبهم ، فجعلوا يطلبونه بالصيام والقيام

---

(١) ونظيره في « التنوير » لابن عطاء الله . فراجعه في ١٦٥ (منه من خطه قدس سره) .

(٢) ومن هنا قال بعض الشاذلية : بداية طريقتنا نهاية الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه فإنه حصل منه مجاهدات كثيرة في بداية أمره ثم لما حصل له كمال المعرفة قال ما نفعني الله إلا برؤية الفضل والمنة لله تعالى والتبري من الحول والقوة لا بتلك المجاهدات كذا في « تقريب الأصول » في ٨ فراجعه (منه) .

(٣) ورؤية الفضل والمنة لله تعالى والتبري من الحول والقوة (منه) .

والسهر ودوام الخلوة ، فصارت نياتهم مشوبة غير خالصة ، والفتح فيها[1] هجُومِيٌّ لم يحصل من العبد تشوّف إليه ، فبينما العبد في مقام طلب التوبة والاستغفار من الذنوب إذ جاءه الفتح المبين من غير طلب وقصد منه . كذا أفاده صاحب الإبريز ، مع زيادة بسطه في ١٧٨ ، وإن كان كلامه في خصوص الطريقة الشاذلية ؛ بيد أنها والطريقة النقشبندية عين الآخر[2] كما مرّ آنفاً ، فافهم ولا تعجل .

وذكر العلاّمة السيد محمود بن أشرف الحسينيّ النقشبنديّ في « نجعة السالكين في ذكر تاج العارفين » ما ملخصه هذا : إنّ الشيخ تاج الدين العثماني الهندي النقشبنديّ كان لا يلقن أحداً إلاّ بعد إدخاله في الخدمات والرياضات الشاقة التي تنكسر بها النفس وتحصل بها التزكية ، فإنّ التزكية مقدمة على التصفية عند أكثر المشائخ بخلاف النقشبندية ، فإن طريقهم على العكس[3] ، ونقله الشيخ الكامل محمد بن سليمان الحنفي البغدادي في « الحديقة النديّة » وقال : ولعلّ الشيخ تاج الدين قدس سره كان في تقديم إدخال المريد في الخدمات والرياضات الشاقة والتزكية على التلقين بمشرب مشائخه الأول[4] في الطريقة العشقيّة والكبرويّة ، ثم لما دخل الطريقة النقشبندية وسلكها على يد الشيخ محمد الباقي النقشبندي قدس سره وأذن له في الإرشاد فيها ؛ أبدل معاملته الأولى وحصر إرشاده وتأديبه فيها . انتهى .

وأيضاً ليس في الطريقة النقشبندية كثرة جوع[5] ولا كثرة سهر ،

---

(١) وفي نسخة : فيهما .

(٢) راجع « المنن » ، ومبناهما واحد راجع « المتممات » في ١٥١ (منه من خطه قدس سره)

(٣) يعني أن تصفية القلب عما سوى الله مقدمة فيها من تزكية النفس مما يكرهه الله من الأوصاف المذمومة والأخلاق الغير المرضية . فافهم (منه) .

(٤) لعله : الأولين .

(٥) والسر في تركهم كثرة الجوع ، أن كثرة الجوع مورثة للصفاء البتة ، تورث طائفة صفاء=

بل الاعتدال يصحبها ، وخلوتهم[1] في جلوتهم ، فكل المجامع لهم زاوية ، يحضرون المجالس وقلوبهم حاضرة مع مولاهم ، ومن السوى خالية . كذا في « الحديقة » في ١٠ من هامش « أصفى الموارد » . فقد تحقق وتيقّن من هذه المذكورات عدم جواز الرد على مشائخ الطريقة لتلقينهم الذكر للعوام الذين لم يتجرّدوا عن العلائق بالكلية ، ولم يقدّمُوا الرياضات والمجاهدات بما في « رسالة الإمام[2] القشيري » رضي الله عنه بهذه العبارات : ثم بعد هذا يعمل في حذف العلائق . . إلخ . وإذا أراد الخروج عن العلائق ، فأولها : الخروج عن المال . . إلخ . وما لم يتجرّد المريد عن كل علاقة لا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئاً من الأذكار ، بل يجب عليه أن يقدّم التجربة له . . إلخ . لأنّ مبني[3] هذه الطريقة

=القلب ، وجماعة صفاء النفس . وصفاء القلب يزيد الهداية ويورث النور ، وصفاء النفس يستتبع الضلالة ، ويزيد الظلمة . ومن المقرر عند العقلاء أنه يترك المنافع الكثيرة لاحتمال المضرّة اليسيرة فافهم . فإن أردت أن تدرك حقيقة هذا العلم فعليك بالرجوع إلى « الدرر » في ٢٨٠ من الجلد الأول (منه) .

(١) أي خلوة السالكين فيها (منه) .

(٢) في ٣١٤ وفي ٣١٥ (منه) .

(٣) فقد قال جامع القطبتين محمد ذاكر الجسطاوي قدس سره إن أصول الطريقة العلوية تخالف أصول النقشبندية التي هي الطريق الصديقي وإن ابتداء سير الطريق النقشبندي من عالم الأمر ومن السير النفسي والسير الآفاقي يتم في ضمنه على ما قالوا بخلاف سائر الطرق فإن ابتداءهم من عالم الخلق ومن السير الأفاقي مقصوداً انتهى .

وقال الإمام الرباني قدس سره ولما وصل جماعة من سلاك هذا الطريق بالرياضة الشاقة والمجاهدة الشديدة إلى ظل من الظلال ظنوا أن الوصول إلى المطلب منوط بالرياضات الشاقة والمجاهدة الشديدة ولم يعلموا أن له طريقاً آخر أقرب من هذا الطريق وموصل إلى نهاية النهاية وهو طريق الاجتباء (وهذا الطريق هو الطريق الذي إختاره أكابر النقشبندية كما هو مبين في المكتوبات في ١٧١ فراجعه من الجزء الأول منه من خطه قدس سره) الذي هو منوط بمجرد الفضل والكرم والطريق الذي إختاره هؤلاء الجماعة هو طريق الإنابة مربوط بالمجاهدة والواصلون من هذا الطريق أقل قليل والواصلون من طريق الاجتباء جم غفير منهم الأنبياء عليهم السلام كلهم ساروا على طريق الاجتباء وأصحابهم رضوان الله عليهم أجمعين أيضاً وصلوا من طريق الاجتباء بالتبعية والوراثة ورياضات أرباب الاجتباء إنما هي لأدآء=

ومبني غيرها[1] مختلفان كما علم ممّا مرّ ، مع أنّه يحتمل أن يكون مراد الإمام القشيريّ ـ رحمه الله تعالى ـ من كلامه هكذا : ومالم يتجرّد قصد المريد من دخول الطريقة ، وطلب تلقين الذكر عن كل علاقة[2] ، كطلب الدنيا ومتاعها وإرادة الصيت والجاه وحبّ الرياسة والمكانة في قلوب الناس وحصول الشهرة والخ والخ ، لا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئاً

=شكر نعمة الوصول ، قال عليه الصلاة والسلام في جواب السائل عن وجه رياضته الشديدة مع كون ذنوبه المتقدمة والمتأخرة مغفورة : أفلا أكون عبداً شكورا ، ومجاهدات أهل الانابة لأجل حصول وصول شتان ما بينهما . وطريق الاجتباء الحمل والجذب على الطريق وطريق الإنابة السير على الطريق وبين الجذب والسير فرق عظيم يجذب سريعاً ويوصل به بعيداً والسائر يسير بطيئاً ربما يبقى في الطريق . قال حضرة الخواجه بهاء الدين النقشبند قدس سره : نحن المفضلون ، نعم . لو لا الفضل كيف يمكن أن تكون نهاية غيرهم مندرجة في بدايتهم . ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ . انتهى . كذا في « الدرر المكنونات » في ٣٦٥ من الجزء الأوّل فراجعه . وهذا الكلام يوافق ما مرّ آنفاً منقولاً من « الإبريز » فتدبّره ، فإنه نفيس يندفع به إشكال من يعترض على مشائخ الطريقة النقشبنديّة متمسّكاً بما في « الرسالة القشيريّة » والله أعلم (منه قدس سره) .

(١) مما سوى الطريقة الشاذلية (منه قدس سره) .

(٢) والعلاقة ما يتعلق بها قلب العابد من طلب الدنيا وحب الرياسة والخ . والخ . . بعمل الآخرة والتجرد منها لا يعطاه العبد إلا بعد دخوله طريق القوم وقد قال الشعراني في « لطائف المنن » .

وقد قال العارفون رضي الله عنهم من أراد الآخرة فعليه بالزهد في الدنيا ومن أراد الله فعليه بالزهد في نعيم الآخرة فيترك الدنيا للآخرة والآخرة لربه عز وجل ويشتغل بالله وحده خالصاً مخلصاً لا يطلب على عبادته وخدمته عوضاً في الدارين وسيأتي في هذه « المنن » إن هذه النعمة يعني عدم طلب شيء من مناصب الدنيا والخ . لا يعطاها العبد إلا بعد دخوله طريق القوم فليس لغير من دخلها غالباً قدم في ذوقها إنما هو يطلب العوض على عبادته في الدنيا أو الآخرة ولذلك كان اسمه عند القوم عبد الدنيا أوعبد الآخرة لا عبد الله جل وعلا . انتهى . قلّب ٨٥ انتهى من الجزء الأول .

وفي « تنبيه المغترين » في ٥٢ : إنما أكثر القوم من ذكر الله تعالى لتبعّد عنهم الدنيا ، فإنهم إذا ذكروا الله بعدت ، وإذا تفرقوا أخذت بأعناقهم . وفي « لواقح الأنوار » في ٢٥٣ من هامش « المنن » من الجلد الأول : يجب عليك أن تتخذ لك شيخاً ليسلك بك الطريق حتى يخرجك من محبة الدنيا . اهى . فليتدبره . (منه خطه قدس سره) .

من الأذكار . انتهى . بل ينبغي أن يكون مراده رضي الله عنه هكذا[1] ليوافق قوله أقوال سائر الأئمة الصوفية قدس الله أسرارهم وكذا ينبغي أن تحمل سائر عباراته قدس سره إلى نحو ما ذُكِرَ ، يعني : إنّ المراد يعمل السالك في حذف العلائق والشواغل كطلب شيء من الدنيا وإلخ وإلخ ، أي لا يكون قصده ونيّتُهُ من السلوك ذلك ، فإنّ بناء هذا الطريق على فراغ القلب من طلب شيء من الأغراض والأعواض دنيوية كانت أو أخرويّة ، أي : لا يجوز أن يطلب السالك شيئاً مّا من سلوكه إلا الذات البُحْت جلّ جلاله وتعالى شأنه ، فإذا أراد الخروج فأولها الخروج من المال ، أي : بالقصد والنيّة أيضاً ، وإلا فيخالف ما في « المتممات » و« الطبقات » و« المنن » و« البهجة » و« الحديقة الندية »[2] وغيرها[3] .

ويجوز أن يكون كلامه رحمه الله تعالى في حق أهل العزلة والخلوة وأرباب السلوك في الأربعينيّات لا مطلقاً ، فإنّ في أهل الإرادة متبركين مترخصين لكونهم متأهلين[4] وفيهم المتجردون[5] المعتزلون

---

(١) أي كما ذكرته (منه) .

(٢) ومر بعض ما فيها في الباب السادس (منه) .

(٣) فالحاصل من كلام الأكابر : أن قطع العلائق الدنياوية ليس شرطاً لجواز تلقين الذكر ، بل الذكر وتكثيره سبب لقطعها ووسيلة للزهد في الدنيا وما فيها . فقد قال الشعراني في « اليواقيت » في المبحث الثامن والأربعين : ثم مما اختص به الصوفية عن غيرهم علمهم بالطريق الموصلة إلى العمل بالكتاب والسنة ، فإذا قلتَ لهم : إن مقصودي أن أَزْهَدَ في الدنيا بحيث لا يبقى عندي ميل عاديّ لها ، يقولون لك : أكثر من ذكر الله تعالى ليلاً ونهاراً حتى يرق حجابك ، فتدرك الآخرة بعين بصيرتك وتنظر ما لِمَنْ يزهد في الدنيا من الدرجات والنعيم ، كما وقع لإبراهيم بن أدهم رضي الله عنه ، فإذا رأيت ذلك زهدت لا محالة في الدنيا ، ولو قال لك جمهور الناس : ارغب في الدنيا ، لا تصغى لهم ولو أنك يا أخي قلت ذلك لعالم لقال لك : إن الله تعالى أمرك أن تزهد لا غير ، ولا يهتدى للطريق إلى ذلك ، فحكمه حكم طبيب يحفظ كتاباً في الطب ولا يعرف علاج المرض . اهى ١٠٢ ج٢ فإنه نفيس . (منه خطه رحمه الله) .

(٤) أي لكونهم أرباب أهل وعيال (منه) .

(٥) من الأهل والخ .

السالكون ، فافهم[1] .

ثم إني قد وجدت بعض العارفين فسر كلام القشيري بعين ما فسّرتُهُ ؛ وقال : إنّ حمل كلام القشيري إلى هذا المحمل[2] صادق وحسن ؛ وإلا فإن كان المريد متجرّداً بالكلية يصير في مقام البقاء بعد الفناء ، وهو مقام الكُمَّل فما الحاجة حينئذ إلى التلقين وإلى المرشد ؛ وقد قال الإمام القشيري في موضع : لا بد للمريد من مرشد ليخرجه من الأوصاف الرديّة إلى الأخلاق . . . إلخ . وأمثاله كثيرة منه . فإن كان المراد منه مثل ما فهم من ظاهره فكيف يخرجه وهو خارج بنفسه . . . إلخ . انتهى ما قاله العارف المذكور في بعض رسائله .

وقال فيه أيضاً بُعَيْدَ هذا : المريد هو الذي صحّت إرادته بتصحيح قصده ومقصده . انتهى . ونقله ذلك عن العارف ابن بنت ميلق فراجعه .

ولا يخفى أنه ليس المراد[3] المنع من التجارة والكسب والحرفة بالكليّة ، فكيف ؛ وقد قال الخادمي في شرحه على « النصائح الولديّة » في ٧٨ للإمام الغزالي رضي الله عنه : طلب[4] المعاش أحبّ من زوايا المساجد وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أيّما رجل طلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه لسعر يوم كان عند الله عز وجلّ بمنزلة الشهداء ، ثم قرأ : ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ؛ وقال ﷺ : « من طلب الدنيا حلالاً تعفّفاً عن المسألة وسعياً على عياله وتعطّفاً على جاره ؛ لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر » . وقال عليه السلام : « التاجر

---

(١) وراجع « الأنوار القدسية في تنزيه القوم العلية » في ٩٣ (منه) .

(٢) أي إلى ما ذكر آنفاً (منه) .

(٣) أي من كلام القشيري فافهم .

(٤) وفي « الإحياء » في ١٨٥ من الجزء الرابع والمقتصر على قدر الضرورة والمهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة المشروط انتهى فراجعه (منه) .

الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصِدِّيقين » . كما في بعض التفاسير . وفي خطبة « الأربعين » : « من وقف موقف مذلّة في طلب الحلال وجبت له الجنة » . « من بات تعباً في كسب الحلال وجبت له الجنة والله عنه راضٍ » . انتهى .

وفي « طبقات » الشعراني قدس سره في ٢٢ من الجلد الأول : أنّ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، صاحب سرّ رسول الله ﷺ ، كان يقول : ليس خيركم الذين يتركون الدنيا للآخرة ، ولكن خيركم الذين يتناولون من كل منهما ، انتهى . وفيه أيضاً في ٢٦ : أنّ سعيد بن المسيب رضي الله عنه كان يقول : لا خير فيمن لا يجمع الدنيا يصون بها دينه وجسمه ويصل بها رحمه . انتهى . وفي الحديث : « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة والآخرة للدّنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه لهذه » . رواه ابن عساكر والديلمي بلفظ : « ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً ، فإنّ الدنيا بلاغٌ للآخرة ؛ ولا تكونوا كلاًّ على الناس » . وأخرجه الخطيب في « تاريخه »[1] ، والديلمي من وجه آخر ، وأبو نعيم في « الحلية » ، كذا ذكره ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » ، فراجعه في ١٢٥ . ومر ما قاله الشيخ أحمد ضياء الدين ؛ من أنّ الاشتغال بالرخص وبالكسب عند النقشبندية بعد الحضور لا يضرّ . انتهى . فتدبّر في هذه المنقولات واجتهد في أن تدرك الحق ؛ ولا تتبع الهوى فتضلك عن الهدى ، ولا تطعن أيضاً على مشائخ الطريقة لتلقينهم الأذكار لكل خاص وعام[2] قائلاً : إنّي رأيت

---

(١) وفي « هداية البداية » قال صلى الله عليه وسلم أن الله ليطلع كل ليلة على الزرع ، يقول باركت عليك وعلى صاحبك ثم يوكل الله تعالى على كل ورقة الزرع ملائكة يسبحون الله ويستغفرون لصاحبه حتى يؤكل انتهى (منه رحم الله افلاسه) .

(٢) وفي نسخة : عاميّ .

منهم الإسراف على أنفسهم سابقاً ببعض الذنوب أو قد أرآه لاحقاً في بعضهم ؛ وصدور بعض الذنوب يناقض خشوع القلب ؛ فقد قال الشيخ الكامل في « الحديقة الندية » : إن الإسراف السابق لا ينافي الجذب اللاحق ، لأنّ كثيراً من الأولياء الأكابر جذبتهم الوَارِدَةُ الإلهيّة وهم في الإسراف والمعصية ، وأما الإسراف اللاحق إذا لم يغلب على الخير بل كان الأمر على العكس ! فلا يحكم على هلاك صاحبه جزماً . انتهى .

وقال بعيد هذا : وربّما طعن بعضهم في الفقراء بأنهم مسرفون على أنفسهم ، فتراهم يطلبون فقراء في طريق الله تعالى معصومين من الزلل والمعصية ، وهذا لا يكون أبداً ، بل من **غلب خيره على شرّه فهو الكامل** ، بل في الحديث الشريف النبويّ ما هو أبلغ من هذا ، وهو الاكتفاء بالعشر من الخير فضلاً عن غلبته على الشرّ أو كونه نصفاً أو رُبُعاً ، قال ﷺ : « إنكم في زمان من ترك منكم عُشْر ما أمر به هلك ، ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا » . رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وذكره الأسيوطي[1] في « الجامع[2] الصغير » ، وقد حكم ﷺ بالنجاة لمن عمل العشر ، وهي بشارة عظيمة لكل من سلم من الكفر والشرك إلى آخر الزمان ، وقلّ من يسلم من ذلك في زماننا هذا . انتهى . فراجعه من صحيفة ١٠٥ من هامش « أصفى الموارد » .

مطلب مهم
في عدم الكفر بارتكاب الذنوب

وقال الإمام الرباني قدّس سرّه : ولا يخرج المؤمن بارتكاب

(١) قوله الأسيوطي هكذا في النسخة التي بيدنا ولعله السيوطي فتدبر (منه) .
(٢) ومثله في « الدرر » في ١٦٥ من الجزء الأول (منه) .

المعاصي من الإيمان ؛ ولو كبيرة ، ولا يدخل في دائرة الكفر .

نقل أن الإمام الأعظم كان يوماً جالساً مع جمع من العلماء ، فجاء شخص فقال : ما تقولون في حق مؤمن فاسق قتل أباه وقطع رأسه ، وشرب الخمر في كأس رأسه ، ثم زنى بأمه ، هل هو مؤمن أو كافر ؟

فتكلّم كلّ واحد من العلماء في حقه بما ليس بصواب ووقعوا في غلط ، فقال الإمام الأعظم في ذلك الأثناء : إنه مؤمن لم يخرج بارتكاب هذه الكبائر من الإيمان ، فثقل قول الإمام على العلماء . فأطالوا لسان الطعن فيه والتشنيع عليه ، ولكن لما كان قول الإمام حقاً قَبِلَهُ كلّهم[1] أخيراً . انتهى . كذا في « الدرر » في ١١٤ من الجزء الثاني .

وفيه أيضاً في ١٦٤ من الجزء الأول : فإن وقع ـ عياذاً بالله سبحانه خلل على مسألة من المسائل الاعتقادية الضرورية فقد تحقق الحرمان من النجاة الأخروية ، بخلاف العمليات ، فإنها إذا وقعت المساهلة فيها يرجى العفو والتجاوز عنها ؛ ولو بلا توبة ، ولئن أخِذَ بها ، ولكنّ النجاة متحققة في آخر الأمر . انتهى .

وكتب واحدٌ من المنكرين علينا : إنّ الطريقة تكليف أهل الراضية وهي المقام الخامس ، ومن لم يصل إلى ذلك المقام لا يجوز له الدخول فيها نقله عن الشيخ العبودي ، وذلك قول عجيب . فيردّه ما قاله الإمام الرباني في رسالة « المبدأ والمعاد » ، من أنّ

(١) وفي « البجيرمي على الإقناع » في كتاب الحدود ما نصّه : إن ارتكاب الكبائر لا يسلب الإيمان ولا يحبط الطاعات ، إذ لو كانت محبطة لذلك للزم أن لا يبقي لبعض العصاة طاعة . والقائل بالإحباط يحيل دخوله الجنة . قال السبكي : والأحاديث الدالة على دخول من مات غير مشرك الجنة بلغت مبلغ التواتر ، وهي قاصمة لظهور المعتزلة القائلين بخلود أهل الكبائر في النار . ذكره المناوي . انتهى . فراجعه في ١٣٢ من الجزء الرابع (منه خطه قدس سره) .

الوصول إلى النفس الراضية لا يكون إلا بتجلي الذات ، وحصول مقامات التجلّيات بالتفصيل والترتيب مخصوصٌ بالسالك المجذوب . انتهى . يعني السالك في الطريقة الذي حصل له الجذبة . فراجعه في ٣١ من هامش « الدرر » . وقد مر في الكتاب ما يردّ هذا القول في مواضع عديدة .

ويعلم من أمثال هذه الكلمات عدم كون هؤلاء من أهل الذوق والوجدان ، ولو كانوا من أهل الذوق والوجدان لعلموا أنّ تجلّي الذات هو المقام الذي ينتهى إليه مقامات أهل الطريقة ، وأن جميع منازل الطريقة وسيلة إليه ولا أدري معنى طلب الوسيلة لمن بلغ إلى المقصود بالكليّة ، فافهمه . وقد أطلت الكلام في هذا الموضع رغماً لأنوف المنكرين ، نجَّاهم الله سبحانه من ورطة اللوم على الأولياء ، آمين .

ومن محاسنها أنّ أربابها يتخيّلون من جميع الأصوات ؛ سواء كانت أصوات المياه والرياح وأصوات المزامير[1] والطبول أو غيرها من

---

(١) راجع « الرشحات » في ١٧١ تجد البيان . وفيه في ٢٠٧ : إن سرّ اختيار الصوفية استماع أصوات المزامير ، هو أن نظر هؤلاء الأكابر كان إلى أصل المقصود ووجدوا بصفاء الفطرة أن المقصود الأصلي تخلص الحقيقة الإنسانية عن قيود البشرية ، وحصل لهم هذا المعنى في استماع أصوات المزامير ، فاختاروه لذلك . وحكمة عدم تجويز بعض الأئمة ذلك يحتمل أن تكون لاختيار أرباب الهوى وأصحاب البدع ذلك وجعلهم إياه شعارهم ودثارهم . فامتنع هؤلاء الأئمة عن استماعه ومنعوا عنه العامة لدفع عار المشاركة بهم عنهم ، وقطعوا نظرهم عن المقصود وتمسكوا في تحصيل نسبة الجمعية بأسباب أخرى . اهى . فالأولى لمن ليس من أهل الذوق الإعراض عن الاستماع مطلقاً ، لأن غاية ما فيه حصول لذة نفسانية ، وهي ليست من المطالب الشرعية ، وأما أهل الذوق فحالهم مسلّم إليهم ، وعلى حسب ما يجدونه في أنفسهم ؛ من أنهم لا يفهمون أصوات المزامير وغيرها إلا الذكر ، كما هو معلوم مجرّب لدى أصحاب شيخنا المرحوم العسلي قدس سره . وفي « الزواجر » لابن حجر المكي ما يؤيد ما ذكرناه ، والله أعلم . ومثله في « كف الرعاع » في ١١٣ فراجعه من هامش « الزواجر » ج١ . (منه قدس سره) .

أصوات المخلوقات وكلامهم[1] الذكرَ المُلَقَّنَ لهم ، حتى قال بَعْضٌ من مريدي شيخنا ـ قدس سره ؛ إنه لا يفهم ولو من صوت الكلب النائح إلا الذكر بلفظة الجلالة . انتهى . بل يصل السالك إلى هذه المرتبة إذا سعى وجدّ ولازم الذكر في مدّة خمسة أو ستة أيّام ، كذا في « الرشحات » ، وفيه في موضع آخر : إن الاشتغال بالطريقة النقشبندية يبلغ مرتبة في مدة يسيرة يتخيل جميع الأصوات للمشتغل بها ذكراً فراجعه في ٣٣ .

ومن محاسنها أنّ أربابها إذا نظروا إلى ما يتحرّك من الأغصان والأوراق والحشيش والنبات يتخيّلون معها الذكر بغير اختيار ، ولا يرون تلك الأشياء المتحرّكة إلا ذاكرة لله تعالى ، فهذه مما يحصل للسالك إذا رسخ الذكر في قلبه وتمكن وصار الحضور ملكة له بحيث لا يقدر أن يخطر في قلبه[2] سواه تعالى ؛ ولو تكلّف ، وصيرورةُ القلب هكذا شرطٌ لتبديل الذكر إلى لطيفة الروح ، ثم إذا حصلت النتيجة له يتبدّل الذكر إلى السرّ ، ثمّ وثمّ وثمّ إلى أن يصل إلى لطيفة الجسد ، فحينئذ يتحرّك الجسد من أسفله إلى أعلاه بالذكر بسبب جريان الذكر في جميع أجزاء البدن ومنابت الشعر وذرات البشر حتّى يعم الذكر إلى جميع ذرات الآفاق ، فلا يرى حجراً ولا مدراً ولا شجراً ولا غيرها ؛ إلا ويراها ذاكرة لله تعالى .

فإن قيل : كيف تذكر الله تعالى تلك الأشياء ؟ ! وهل لها ألْسن أم

---

(١) بل يخيل له كلام نفسه « رشحات » .

(٢) وينبغي أن يكون معناه أنه لا يخطر شيئاً ما يضر الحضور ويزاحمه كما أن الحشيش على وجه النهر لا يكون مانعاً لجريانه راجع « الرشحات » في ٣٣ . وقد يكون القلب أحياناً بحيث لا يخطر شيئاً سواه تعالى لكنه لا يدوم بل يزول والحضور الدائمي لا يكون إلا للمنتهي الواصل كما في « الدرر » وقد كان شيخنا قدس سره يقول لي توجه إلى قلب المريد فإن لم ينعكس إليك من قلبه الخطرة سوى الله ولم يخطر بقلبه سواه تعالى بقدر ربع ساعة فيجوز حينئذ تبديل الذكر إلى لطيفة الروح ، (منه من خطه قدس سره) .

كيف تسمع أصواتها ؟ .

قلنا : هذا مما لا يعرف كنهه إلا من ذاق ، ولا مجال للتعبير عن ماهيتها[1] باللسان أو بالكتبة .

قال صاحب « الإبريز » نقلاً عن شيخه : إنّ للجمادات لغات وألسن تليق بذواتها وجماداتها ، وسماعُنا لها بالذات كلّها لا بالأذن التي في الرأس فقط . ثم قال رضي الله عنه : وهذا المشهد إنما يكون للوليّ في حال بدايته ، وأمّا بعد ذلك ! فإنّما يشاهد الفعل من الخالق سبحانه ، فيشاهد الحق سبحانه يخلق فيه كلاماً وتسبيحاً وغير ذلك مما يكون فيها ، ويشاهدها ظروفاً خاوية وصوراً فارغة ، انتهى . في ١٠٢ .

وفيه أيضاً : وكنت ذات يوم خارج باب الفتوح بناحية ضريح أحمد اليمني رحمه الله تعالى جالساً تحت زيتونة ، فبينما أنا كذلك إذا بجميع الحجر صغيره وكبيره والأشجار والأغصان تسبح الله تبارك وتعالى بلغاتها ، فَكِدْتُ أهْرُبُ ممّا سمعتُ ، قال : وجعلت أصغي إلى بعض الحجر فأسمع منه أصواتاً عديدة ، فقلت : حجرٌ واحد وله أصْوَاتٌ عَدِيدَةٌ ، فتأملته فإذا هو حجر معجونٌ اجتمعتْ فيه عدّة أحجار فلذلك تعدّدت الأصوات . انتهى .

وفيه أيضاً : وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول : كم أذهب لأقضي حاجتي في بيت الوضوء ، فأرجع من غير قضائها لما أسمع من ذكر الماء لاسم الجلالة . انتهى من ١٠٣ .

وفي « التلويح » ما حاصله : إنّ التسبيح ألفاظ وحروف لا يمنع صدورها عن الجمادات بإيجاد القدرة الإلهيّة كما روي عن الحصى والجذع ، وكذا شهادة الأعضاء والجوارح . انتهى .

---

(١) كذا في « خزينة الأسرار » (منه) .

وفي « خزينة الأسرار » في ١٢٠ : فإن رأيت هؤلاء العوالِم مشتغلين بالذكر الذي أنت فيه فكشفك خياليّ لا حقيقيّ ؛ أقيم لك في الموجودات ، وإذا شهدت في هؤلاء تنوّعات أذكارهم فهو كشف صحيح . انتهى .

قف على ما وقع بين السيلكوتي وبين الإمام الرباني

وفي كتاب « تفريج الفلق » في تفسير سورة الفلق في ٣٦ أن الفاضل السيلكوتي قد ذكر عنده إن واحداً من خواجكان النقشبندية ؛ وهو الإمام الرباني يعطي إنابةً للمريدين ، فمن أناب إليه فيذكر قلبه ويقول الله الله أو لا إله إلا الله حتى يسمع صاحب ذلك القلب ذِكْرَهُ بأذنه الظاهر ، فأنكره السيلكوتي وقال : هذا لا يجوز لأنّ القلب إنما هو عبارة عن قطعة لحم فكيف يذكر حتى يسمع ذكره ! فكتب مكتوباً إلى الإمام الرباني قدس سره في طلب الحلّ لهذا الإشكال ، وختم عليه وأرسله إليه مع واحد من طلبته ، فلما رأى الإمام ذلك المبلّغ من بعيد فدعى ابنه الإمام المعصوم لديه وقال : يا ابني هذا الرجل الذي تراه من بعيد يأتي إلينا من طرف السيلكوتي ومعه مكتوب مختوم ، فانْزِل إلى الباب واكتب جواب ذلك المكتوب فأرجعْه إلى جانب السيلكوتي . فنزل الإمام المعصوم إلى باب دار أبيه فأتى إليه المبلّغ وسلّم إلى الإمام فردّ الإمام سلامه ، ثم قال له : من أين تجيء يا أخي ، فقال : من جانب الإمام السيلكوتي أتيت بمكتوب منه إلى الإمام الرباني ، فأخذ الإمام المعصوم المكتوب من يده فكتب ظهرَه بلا فتح الختم بأن قال : يا أيها السيلكوتي ، إن الذي أعطى القدرة للسان على النطق بأنواع الكلام ، وعلى ذكر اسم الملك العلام ـ وهو أيضاً قطعة لحم ـ قادر على أن يعطي تلك القدرة للقلب الذي هو عبارة عن قطعة لحمٍ ، فلما وصل ذلك المكتوب إلى الفاضل السيلكوتي مكتوباً عليه جواب سؤاله ولم

يفتح ختمه سارع إلى دخول مجلس الإمام والإنابة إليه حتى صار من أهل الكشف واليقين . انتهى .

قلت : ولله الحمد والمنّة ، قد تحقّقْتُ وتيقّنْتُ ذكر الأعضاء ، وسمعتُ ذكر الجمادات حتى كنتُ أجدُ نفسي وقت الانتباه من النوم تتحرّك وترتعش كالطير المذبوح المطروح إلى الأرض قبل خروج روحه ، وكنت أحياناً أسمع ذكر الجمادات وأصواتها كأصواتِ النهر الجاري[1] بحيث يحصل لي بسببها السآمة . هذا في حال حصول سلطان الذكر ، وأمّا الآن فهو مستورٌ وقد يظهر في أوقات فَأَعُدُّهُ تنزّلاً وأطلُبُ ستره ، ولا أراه الآن شيئاً عظيماً ، بل المقصود أعلى منه والاشتغال به يشغل عن المقصود ، **فافهم** .

وقال شيخنا العسلي قدس سره : إن السالك إذا لُقِّنَ له النفي والإثبات ينقطع[2] عنه أثر سلطان الذكر ويستره . انتهى . ولا شكّ أنه بالنسبة إلى نتائج النفي والإثبات تَنَزُّلٌ ، وهي أَنْزَلُ وأدنى بالنسبة إلى ثمرات المراقبات ، ولا يعرف كنهها إلا من ذاق ، فإنّ العبارة عنها لا تزيد إلا غموضاً وانفلاقاً ، لأنّ الأمور الذوقيّة يستحيل إدراك حقائقها بالعبارات النطقيّة ، فيؤدّي ذلك إلى الإنكار والقدح في علوم السادات الأخيار ، وقد قال بعض إخواننا رحمه الله : إني لَأَرْحَمُ من مات ،

---

(١) أي في الضج والجهر ، حتى في الخلاء وموضع النجاسات (منه) .

(٢) يعني تسكن اللطائف عن حركتها وقت ظهور نتيجة النفي والإثبات ويؤيده ما في « الخالدية القصيرة » من أنه يدوم على الذكر حتى يحصل له المحوية وفي وقت المحوية يكون ساكناً عن أذكار اللطائف ولا تتحرك لأن أذكار اللطائف في هذه الحالة غير مقصودة ، ومن شروط المحوية سكون اللطائف عند ظهورها . انتهى فراجعه . وقد كان قدس سره يمنعنا عن ترك الساعة في الخلوة بعد ما علّمنا النفي والإثبات والمراقبة قائلاً أن صوتها يحرك اللطائف بالذكر انتهى (منه من خطه قدس سره العزيز ورزقني نصيباً من علومه وعمله) .

ولم يذق[1] لذة من نتيجة المراقبة المعيّة . انتهى . رزقنا الله تعالى تلك اللذات ، وجعلنا من أهل الشهود بإذاقة هذه الحلاوات . آمين .

ورأيت في « مسيرة الحكم » أن الدنيا وما فيها والسماوات السبع والكرسي والعرش والجنة والنار في نظرة من كان على المراقبة المعيّة[2] كالذرّة في شعاع الشمس . انتهى . بتصرّف ، فالواجب على من لم يشمَّ من روائح هذه المذكورات شيئاً التسليم لمن شمّها والإعراض عن التكلم خلف من يطلبها ، وقد قيل : إنّ من انكر شيئاً من أحوال القوم حرم من ذوقها عقوبة عليه ، فإنّ من أعمى الله بصيرته فهو محروم عن درك هذه الأسرار ، ولا يذوقها إلا من صحب الرجال وقبّل التراب من تحت أقدامهم ، ومن لم يقدر على هذه فليسلم للرجال فيما رمزوا به وأشاروا إليه ، شعر :

وإذا لـــم تـــر الهـــلال فسلـــم لأنـــاس رأوه بـــالأبصـــــار

ولله درُّ الشيخ عبد الرحمن الجامي حيث قال بالفارسيّة في مدح هذه الطريقة ما معرّبه هذا :

للنقشبندية العـــلـــم العجيب بمـــا يحل ركب الهدى بالسرّ في الحرم

تَمْحُو بصُحْبَتها عن قلب سَالِكِهَا هَمّ الرياضات والخَلْوَاتُ بالهِمَمِ

(١) ومن العجائب أن واحداً من المريدين يخبرنا مراراً أنه إذا استغرق في المراقبة يخرج منه المنيّ ويتلذذ كما يتلذذ وقت الجماع . ورأيت في « شرح البردة » ما يصدق قول هذا القائل ويؤيده . فراجعه (منه من خطه قدس سره) .

(٢) ولا تظننّ أنها مقام أعلى بل هي الثانية من مقامات المراقبات وسيأتي بيان الجميع في موضعه إن شاء الله تعالى ، لكن في هذا المقام يخاف عليه بأن ينكر على شيخه ويرى نفسه أفضل وأكمل منه كأنه هو مالك الملك والتصرفات كلها تحت يده والحال أن النفس مزينة بجميع كمالات الأفعال والأسماء الظاهرة وقائمة بالرياسة ودائمة بالأنانية ولا بد من مرشد كامل يخلصه عن هذه البلية العظيمة انتهى . كذا في « مسيرة الحكم » (منه من خطه قدس سره العزيز) .

يحتـال ثعلبــة في حَلّ نـظمهم لها سلاسل من نظم الأسُود فَهَلْ
إنْ يُنْسب القَاصِرُ الفَهْمِ القصور لها فحاشى لله أن يُجْري بذاك فمي[1]

ومن محاسنها أنه يستوي في استفاضتها الشيوخ الذين بلغوا إلى حدّ الشيب والصبيان الذين لم يبلغوا إلى حدّ البلوغ ، لأنّ هذه الطريقة طريقة الجذبة الروحانية من غير توقف على العبادات الجسمانيّة ، يستوي في استفاضتها المكلّف وغير المكلف لإمكان استفاضتها بالروحانية ، فهذه من جملة الدلائل التي تردّ بها قول من يقول : إنّ هذه الطريقة لا يجوز أخذها لأصحاب الحرف والصنائع من العوام ، فليتدبّره ؛ ولاحظْه مع ما مرّ ويأتي آنفا .

ومن محاسنها أيضاً أنه يستوي في إفاضتها الأحياء والأموات ، لأنه قد تفيض الأموات هذه الطريقة العليّة إلى المستعدين من حيث الروحانيّة ، كما تفيض الأحياء إليهم من حيث[2] الجسمانية ولهذا يُرَابِطُ بَعْضُ المريدين إلى روحانية الميّتِ ويستفيض منها كما هو مشهور عند أصحاب شيخنا العسوي قدس سره .

ومن محاسنها أنها طريق الانعكاس والانصباغ ، لأنّ نسبتها المعهودة فيها لا تحصل إلا بالصب والتوجّه كما هو شرط فيها ، وبه تنعكس صور المعارف الإلهيّة من مرايا قلوب الواصلين إلى قلوب السالكين كما تنعكس الصور[3] المحسوسة إلى الذوات الصقيلة ، وتنصبغ صدور المريدين بصبغ أنوار معارف صدور المشائخ العارفين ، وروي عنه عليه السلام : « ما صب الله تعالى شيئاً في صدري إلا وصببته

---

(١) فميّ (بيان) .
(٢) راجع « تحفة الأحباب » (منه) .
(٣) راجع « تحفة الأحباب » (منه) .

في صدر أبي بكر » وهو رضي الله عنه مؤسّس هذه الطريقة ، ولذلك كانت هذه النسبة فوق سائر النسب ، و**يصدّقه** ما في « الرشحات » من أنّه لما حضرت الوفاة لمولانا حميد الدين دخل عليه ولده حسام الدين ووجده في غاية التشويش ونهاية الاضطراب ، فقال : يا أبَتِ ، ما هذا التشويش ؟ فقال : يَابُنَيَّ ، يطلبون منّي ما لا أملكه ولا أعلم طريق تحصيله ، يطلبون مني قلباً سليماً ، فقال مولانا حسام الدين : كن حاضراً معي لحظة ، يعني : كن متوجّهاً إليّ يكون الحال مَعْلُوماً لك ، ثم توجَّه إلى والده فوجد مولانا حميد الدين بعد ساعة اطمئناناً في نفسه وسكونة في قلبه ، ففتح عَيْنَيْهِ وقال : يَا بُنَيَّ جزاك الله عني خيراً ، ولقد كان اللازم عليّ أن أصْرِف جميعَ عمري لتحصيل هذه الطريقة . فيا أسَفِي على عمر قد ضيّعته ! فارتحل عن الدنيا بجمعيّة تامّة ببركة الولد الصالح . انتهى .

وبالجملة إنّ نظر همم أهل هذه الطريقة عَالٍ جِدّاً لا نسبة لكل زرّاق[1] ورقاص إليهم ، ولهذا صارت نهاية الآخرين مندرجة في بدايتهم ، ونال مبتدئوا طريقتهم منتهى طرق أخرى ، وتقرّر سفرهم في الوطن من ابتداء الأمر ، وحصلت لهم الخلوة في الجلوة ، وكان دوام الحضور نَقْدَ وقتهم ورأس بضاعتهم ، وهم الذين صارت تربية الطالبين مَرْبُوطَةً بصحبتهم العلية ، وكان تكميل الناقصين منوطاً بتوجّهاتهم الشريفة ، نظرهم شفاء للأمراض القلبيّة ، والتفاتهم دَافِعٌ لِلْعِلَلِ المعنويّة ، ويعمل توجّههم الواحد عمل مائة من الأربعين ، والتفاتهم الواحد يساوي رياضة السنين ، شعر :

ما أحسن النقشبنديين سيرتهم   يمشون بالركب مخفيّين بالحرم

كذا في « المكتوبات » في ٣٦ من الجلد الثاني .

---

(١) أي خداع .

وفيه أيضاً في موضع آخر في ٦٦ : ورأيت بنظرهم الواحد ما لا يراه الناس في الأربعين ، ووجدت بكلامهم الواحد ما لا يجده الآخرون في السنين . انتهى .

فالحاصل أنّ الموصل إلى الله في هذا الطريق هو المرشد؛ لا نفس الطريق كما مرّ ، وإنما الطريق ممدّ ومعاونٌ له فافهم وراجع « البهجة » و« نور الهداية » ، وفي « الدرر » عين ما مرّ في ١٩٨ من الجلد الأول .

قلت : ولله الحمد ، قد رأيت أثر التوجّه في أول يوم توجّه إليّ شَيْخُنَا العسوي قدس سره مع عدم كوني من أهل الاستعداد والقابليّة ، فصار قلبي بَعْدَ ذلك التوجّه يَتحرّك تحرّكاً عجيباً وترتعش ارتعاشاً بديعاً بحيث لَا يَثِقُ عليه من لم يره ولم يذقه ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، آمين .

ومن محاسنها أنّ الوجد والاضطراب لا يكونان قطّ في أربابها؛ شيوخاً كانوا أو مريدين ، ولا يتحرّك منهم وقت الذكر ولو شعرة إلا الإصبع الذي يجرّ السبحة ، لأنّ الجذبة فيها مسلوبة عن الظاهر مصروفة إلى الباطن بالصبّ من صدر إلى صدر ، والتوجّه من قلب إلى قلب ، ولذا لا يظهر أثرها على الظواهر سواء بالاضطراب والحركات ، أو بالصيحة والنغمات ، فإنّها من علامات الغفلات ، وأهلُ هذه الطريقة أهل الحضور واليقظات ، ولا يدري ذلك إلا أصحاب الإدراك والفراسات ، والحركة الاختياريّة تنقص من حال كلّ متحرك منهم شيخاً أو مريداً ، وهي عندهم حرام . راجع « المتممات » و« المجالس الإرشاديّة » ، وسيأتي إن شاء الله في بيان قراءة الختم : أنّ كلّ ذلك[1] مدخل للشيطان

---

(١) أي الحركة والتواجد والخ .

وحظوظ للنفس ، وكثيرٌ من الناس يحسبون أنها جذبة وليس كذلك ، ويَهْتَمّ المرشد منع ذلك . انتهى .

وفي « كشف الوجوه الغرّ لمعاني نظم الدر » ؛ شرح تائية ابن الفارض في ٤٢ من هامش الجزء الأوّل من شرح ديوانه : إنّ الوَجْد لا يكون إلا لأهل البدايات لأنه يرد عقب الفقد ، فمن لا فقد له فلا وجد له ، والواجد صاحب التلوين ، يجد تارة بغيبة صفات النفس ، ويفقد أخرى بوجودها . انتهى . وراجع « المناقب الأحمدية » في ١٨ .

فالحاصل : لا وَجْدَ مع الوُجْدَانِ ، ولا خبر مع العيان ، فالوَجْدُ بعَرْضية الزوال والوجود ثابت بثبوت الجبال ، **فافهم** ، وفي ذلك قيل :

قد كان يطربني وجدي فأَقْعَدَنِي عن رؤية الوجد مَنْ في الوَجْدِ مَوْجُودُ

والـوجد يطرب مَنْ في الوجد راحته والوجد عند حضور الـحق مفقود

البيت من « عوارف المعارف » .

فمن هذه المذكورات يعلم أنّ الوَجْدَ لا يكون إلا للناقصين ، وأن الصياح لا يظهر إلا من الغافلين ، لأنّ الصياح يحصل عند الحضور بالمعنى ، فإن كان السالك حاضراً دائماً لا تظهر صيحة منه أصلاً ، فإنّ الحضور والشهود موجبان للفناء والذهول ، ولا صياح في مقام الفناء ، وحكم صاحب صيحة كحكم حطب رطب ، فإنه إذا ألقي في النار يظهر منه صوت ما دام رطباً ؛ كذا في « الرشحات » في ١٤٢ .

ومن أعظم محاسنها أنّ توجّه أربابها الكبراء إلى الأحديّة تعالت وتقدست ، لا يريدون من الاسم والصفة غير الذات تعالت وتقدست ، ولا ينزلون من الذات إلى الصفات كغيرهم . كذا في « المكتوبات » في ٣٦ من الجزء الثاني .

ومن محاسنها أنّه يحصل في هذه الطريقة الحضور والجمعيّة في وقت يسير لكثير من المستعدّين ما لا يحصل في غيرها في أوقات كثيرة ؛ كما في « الرشحات » في ١٢٢ .

وفيه : ما رأيت في طريقة خواجكان قدس الله أرواحهم من ليس له ذوق وقبول إلا قليلا ، فإنّ بداية هؤلاء الأكابر نهاية[١] الآخرين . انتهى . بل **أقول** : إنّ هذا الطريق مُوصِلٌ البَتَّةَ ، واحتمال عدم الوصول مفقودٌ فيه . كذا في « الدرر » في ٦٥ من الجزء الثاني . ومر في هذا الكتاب البيان التامّ .

ومن خواصها أنّ خلوتهم في الجلوة ، لأنّ خلوتهم من حيث الباطن عند جمعيّة الناس كما قال الخواجه بهاء الدين النقشبند قدس الله سره العزيز : طريقتنا الصحبة والخيرُ في الجمعيّة ، وإنما اختاروا هذه الخلوة اتباعاً للسنة ، لأنّ النبيّ ﷺ اختار الجمعيّة على الخلوة ، وقال : « المؤمن الذي يخالط الناس ويَصْبِرُ أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس » .

وقال الشيخ أبو سعيد الخراز قدس سره : ليس الكامل من صدر منه أنواع الكرامات ، وإنما الكامل الذي يقعد بين الخلق يبيع ويشتري معهم ويتزوّج ويختلط بالناس ، ولا يغفل عن الله لحظة واحدة ؛ وهذه هي الخلوة الحقيقية المشار إليها في قوله تعالى ﴿**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ**﴾ هكذا في « البهجة[٢] السنية » .

قيل للشيخ أبي سعيد قدس سره : إنّ فلاناً يمشي على الماء ، قال : إنّ السمك والضفدع كذلك ، وقيل : إنّ فلاناً يطير في الهواء ،

---

(١) فإن حصل قليل فهو كثير فإن السالك له خبر في البداية من النهاية كذا في « الدرر » في ٢٥ في الجزء الثالث (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) ومثله في « تقريب الأصول » في ١٠ فراجعه (منه) .

فقال : إنّ الطيور كذلك ، وقيل : إنّ فلانا يصل إلى الشرق والغرب في آنٍ واحد فقال إن إبليس كذلك . فقيل : فما الكمال عندك ؟ قال : أن تكون في الظاهر مع الخلق ؛ وفي الباطن مع الحق . كذا في « خزينة الأسرار » في ٢٤ .

وقد كنت مرّة في الخلوة بأمر أستاذي الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره ، بَيْدَ أنِّي لم أطق أن أصْبِرَ فيها لصُعُوبة أمرها على النفس الأمارة ، فأرسلت الرسالة لديه بطلب الإذن للخروج منها ، فورد إليّ رسالته الشريفة المكتوبة بخطّه المبارك بهذه العبارات : وعليكم السلام أزيد ممّا أرسلت إليّ ألف مرّة ، **وبعد** ؛ فإذا كان الحال كما أنْبَأْتَ وَأخْبَرْتَ ، لا خير لك في تلك الخلوة والعزلة ، وافعل الخلوة بالقلب ؛ أي : كُنْ مع الحضور في كلّ حال ، وأخلط الناس ليكون ظاهرك مع الخلق وباطنك مع الله ، كما قال الوليّ كائن[١] بائن[٢] وكما قال : خلّ قلبك من الأغيار . فلا حاجة لطلب المحبوب[٣] ، القلب بيت الله ، القلب عرش الله . وقال عبد الخالق الغجدواني : حرست قلبي عشرين ليلة فحرسني قلبي عشرين سنة ، احفظ قلبك من الخواطر ليكون جهادك جهاداً أكبر ، هذا ، والسلام ، وأنا داعيكم بالخير ؛ عبد الرحمن . انتهى . من خطه قدس سره .

فقد تحقّق وتيقّن بهذه المنقولات المذكورات أفضلية هذه الطريقة النقشبنديّة العليّة من سائر الطرق الباقية[٤] ، ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، ولو اجتمع جميع العالَم في تغيير وتبديل شيء

(١) مع الله .
(٢) أي : فارق من الخلق .
(٣) الله .
(٤) فكيف لا وقد قال الشيخ محمد مظهر : إن فيها ما في جميع الطرق وزائداً راجع « المناقب الأحمدية » (منه) .

من أوضاعها وأصولها لم يجدُوا إليها سبيلاً ، ولكل شيء يفعلونه فيها من الآداب والأركان والشروط أدلّة موافقة بالمذاهب الأربعة[1] ، وإنها لبّ القرآن وحقيقة العرفان ، فلا جرم لإنكار المنكر عليها وعلى من استقام على أصولها وفروعها ، رحم الله امرأً عرف الحق فأنصف ، ووقف على الحدود وما تعسّف ، فإن الحق أحق أن يتبع ، والباطل عن هؤلاء الطائفة قد اندفع ، وَوَصْفها يكلّ عنه اللسان ، فمن أراد الزيادة فعليه بكتب أهلها فلعله يجني من ثمارها رُطَباً جَنِياًّ ! .

الباب الثالث عشر

في بيان أفضليّة الذكر الخفي على الذكر الجهري وأفضليةُ الأعمال الباطنة على الأعمال الظاهرة مشهورةٌ معلومةٌ بالآيات القرآنيّة والآحاديث النبوية

ونحن إن شاء الله تعالى نذكر هنا بعضاً منها ليكون للمنصف المحق نافعاً ، وللمحبّ العاشق داوياً ، وللمنكر الحاسد قاطعاً وراغماً ، قال الله تعالى ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ ﴾ قال في تفسير سلمى في تفسير هذه الآية : لا تظهر ذكرك فتطلب به عوضاً ، وأشرف الذكر ما لايشرف عليه إلا الحق تعالى ، وما خفي من الأذكار أشرف ممّا ظهر ، انتهى .

وقال صاحب « تصديق المعارف » ؛ في تفسير تلك الآية : اذكر الله تعالى بقلبك لا بلسانك ، وفسّر أيضاً لقوله تعالى ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ أي : عن ذكر الله في الباطن[2] انتهى .

---

(١) وسيأتي إن شاء الله تعالى (منه) .

(٢) وقال رسول الله ﷺ : ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين كذا في مكاشفة في ١٧٣=

وقال البيضاوي ؛ في تفسير قوله تعالى ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ أي : ذَوُوا تضرّع وخفية ، فإنّ الإخفآء دليل الإخلاص . انتهى . وفي شيخ زاده : والمراد بذكر الله في نفسه أن يذكر عارفاً بمعاني الأذكار التي يقوله بلسانه ، مستحضراً لصفات الجلال والعزة والعظمة والكبريآء ، وذلك لأنّ الذكر باللسان إذا كان عارياً عن الذكر بالقلب كان عديم الفائدة ، ألا يرى أنّ الفقهآء أجمعوا على أنّ الرجل إذا قال : بعت واشتريت ، مع أنه لا يعرف معاني هذه الأقوال ؛ ولا يفهم منها شيئاً ، فإنه لا ينعقد البيع والشراء ! ! فكذا ههنا . انتهى . فراجعه من آخر سورة « آلمص » .

مطلب

من الأعمال ما لا اطلاع عليه للحفظة

وقال ابن حجر في « التحفة » : العمل القلبي لعدم تصوّر الرياء فيه أفضلُ من غيره . انتهى ؛ من صلاة النافلة . ظاهره : وإن قلّ كتفكر ساعة من صلاة ألف ركعة ، « ابن قاسم »[1] .

وقال أبو سعيد الخادمي في « البريقة المحمودة » : عبادة السرّ تفضل على عبادة الجهر بدرجات . انتهى . وفي « الحدائق الوردية » في ٢٩٠ : وهو ، أي : ذكر القلب أفضل من الجهري بمراحل . انتهى . وفيه : أنّ الجنيد قدس سره قال : من الأعمال ما لا يطّلع عليه الحفظة ، وهو ذكر الله بالقلب . انتهى ٢٩٠ . وفي « مختصر التذكرة » للشعراني :

=(منه من خطه قدس سره وأفاضنا فيضه) . وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل : من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين . « مكاشفة القلوب » ١٧٣ (منه من خطه قدس سره) .

(١) ونظيره في « البجيرمي » فراجعه في ٣٣٥ من الجزء الأول منه قدس سره ورزقني بركة علومه وعمله وحلمه .

والمدار على القلب ، وعمل القلب هو الذي ينظر فيه وتكون به النجاة ، وأما حركة اللسان فإنما هي ترجمة عما في القلب ، وإلا فلا[1] فائدة فيه . انتهى من ١٠ .

وفي الخبر العام : « يفضل عمل السرّ على عمل العلانية سبعين[2] ضعفاً » . وعن جمادى المكي أنه قال : ذكر القلب يضاعف سبعين ضعفاً على ذكر اللسان ، وقال عليه السلام : « الذكر الذي[3] لا تَسْمَعُهُ الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً » . أخرجه البيهقي عن عائشة .

وقال عليه السلام : « خير الذكر الخفي » . وقال أحمد ضياء الدين في تفسير هذا الحديث : والمعنى فيه أنه أخلصُ لله وأبعد عن الرياء وأكثر فائدة وأفيد ثَمْرَة بالتجربة ، وأعظم وأقوم وأسعد أجراً وذخراً ، وأتمّ درجة وأكمل مقاماً وأزكى طهارة وأسرع نجاة ، وأسبغ

---

(١) وفي « البريقة » في ٥٥٥ ؛ من الجزء الأول ما حاصله : إن مجرد ذكر اللسان لا نفع له أصلاً . انتهى . وفيه أيضاً : قال أحمد الغزالي في رسالته « التجريد على كلمة التوحيد » : والله ؛ إن ذلك لا ينفع ذرّة ولا يعدل جناح بعوضة ، وإنّ الأصحّ الموافق لما في الفتاوى ما ذكر محمد الغزالي أنه أولى من السكوت والاشتغال بشيء آخر ، سيّما عند كون نيته التقرب إلى الله تعالى ، وأما بالقلب فقط فهو مختار بعض السادة الصوفية ، وأن الأكثر ترجيح اجتماعهما لتكثير العمل ولجمع العزيمتين ، لكنّ هذا عسير ووجوده صعبٌ ، إذ عند شغل اللسان قلّما يخلو القلب عن الغير ويتجرّد للذكر ، وأما عند تمحُّضه بالذكر يسهل تجرّده له كما يشهد به التجرّب والوجدان ، فافهم . انتهى فراجعه في ٥٥٥ ، من ذلك الجزء (منه ؛ من خطه قدس سره العزيز) . وقال ﷺ قال الله عز وجل « من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » « مكاشفة القلوب » ١٧٣ (من خطه قدس سره) .

(٢) كذا في « الإحياء » في ٦١٦ من الجزء الأول . (منه) .

(٣) قال السيد ونقله ملا علي القاري الذكر نوعان قلبي ولساني والأول أعلاهما وهو المراد في الحديث كذا قال صاحب « المناقب الأحمدية » فراجعه من الهامش في ١٩٤ . والمتبادر « أي من الحديث منه قدس سره » إرادة الذكر القلبي انتهى مناوي ونقله العزيزي في « السراج المنير » فراجعه في ١٧٦ من الجزء الثانى (منه) .

رضىً وأجزل معرفة وأبلغ وُصلاً . نقل من « المتممات » فراجعه . وقال عليه السلام : « أيّها الناس اِرْبَعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصَمَّ ولا غائباً » .

قال أبو تراب : ليس من العبادات شيء أنفعَ من إخلاص القلب عن الخواطر وقال ذو النون : صلاح القلوب ساعة أفضل من عبادة الثقلين . وقال الحصري : جَلْسَةٌ[1] خيرٌ من ألف حجّة .

وفي « تصديق المعارف » ؛ في تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ ﴾ يعني أن الملائكة الحفظة ، يكتبون ما تكلّم به العبد وسمع أذنه وحرك به شفتيه وعمل العمل فإذا ذكر الله تعالى سرّاً[2] لم تكتبه الملائكة . فادخل[3] الجنة قال : عبدي ، إنّ لك عندي كَنْزاً وأنا أجزيك ، قال : يا ربّ ، وأيّ خير لم تعطنيه ، قال : فيقول : عبدي ، إنك ذكرتني في نفسك سرّاً ؛ فلم تكتبه الملائكة الحفظة لك . قال : فيعطيه من الثواب ما يحتقر به ما كان أعطاه قبل ذلك بذكر الله تعالى في نفسه سرّاً . هكذا روى جرير عن الضحّاك عن ابن عبّاس رضي الله عنهم[4] . انتهى .

---

(١) أي بجمع الهمة بوصف الشهود كما هو معلوم لدى النقشبنديين (منه) .

(٢) وفي « مفاتح الجنان شرح شرعة الإسلام » ما حاصله : إن الذكر القلبي لا يعرف إلا بالريح الطيّبة التي جعلها الله خاصّة له ، فإن المريد الطالب إذا وصل إلى الذكر الخفي يكون أنفاسه في آوان توحيده تفوح كالمسك الأذفر ، يدل عليه ما يحكى عن كثير من الأكابر إنه إذا ذهب عن مكان يشمّ من مواضع قعوده رائحة المسك الخالص ، مع القطع بأنه ليس معه شيء من المسك ونحوه ، بل ربما يرى تلك الأنفاس الخارجة من فيه في تلك الأوان على هيئة النور اللامع . اهى فراجعه في ١٥٥ (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) لعله فإذا دخل انتهى فتدبره والله اعلم .

(٤) ومما يستدل به على أفضلية العمل السري ما رواه الغزالي رحمه الله في « الإحياء » إنه ﷺ قال : صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره من المساجد والصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من ذلك كله رجل يصلى في زاوية بيته=

وقال صاحب « تفسير سلمى » في قوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ قال الجنيد : الذكر الكثير هو دوام المراقبة في جميع الأحوال وطرد الغفلة عن القلب ، قال أبو يزيد : الذكر الكثير ليس بالعدد لكنه بالحضور انتهى .

وفي « الحدائق الورديّة » : إنّ القلب إذا تأثر بالذكر صارت

=ركعتين لا يعلمهما إلا الله عز وجل انتهى راجعه في ١٤٥ من الجزء الأول . وراجع شرح « عين العلم » لعلي القاري منه قدس سره . وفي « الإتحاف » قال العراقي أخرجه أبوا شيخ الأصبهاني في كتاب الثواب من حديث أنس : « صلاة في مسجدي تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلوات بأرض الرباط تعدل بألفي صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما إلا ما عند الله عز وجل » واسناده ضعيف . انتهى . راجعه في ٤١٩ من الجزء الرابع .

ومما يستدل به على ذلك ما ذكره الغزالي أيضاً في فضيلة السجود من أنه قال ﷺ : « ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي » انتهى ١١٠ من الجزء الأول . قال صاحب « الإتحاف » أي من صلاة نفل في بيته حيث لا يراه الناس انتهى ١٨ من الجزء الثالث . وقال أيضاً قال المناوي : وهذا يفيد أن عمل السر أفضل من عمل العلانية ومن ثم فضل قوم طريق الملامتية على غيرها من طرق التصوف وهي تعمير الباطن فيما بين العبد وبين الله تعالى . قال صاحب « العوارف » : الملامتية قوم صالحون يعمرون الباطن ولا يظهرون في الظاهر خيراً ولا شراً ، ويقال فيهم النقشبندية . ومن أصلح سريرته أصلح علانيته . قال الفاكري ومن تعمير الباطن إشتغاله بالذكر سراً سيما في المجامع وبه يرقي إلى مقام الجمع وفي لزوم كلمة الشهادة تأثير في نفي الأغيار وتذكية الأذكار وفي كلمة الجلالة عروج إلى مراتب الجلالة ومن لازم ذلك صار من أهل الغيب والشهادة وآل أمره إلى أن يصير كل جارحة منه يذكر الله يقظة ونياماً .

قال العارف أبو العباس المرسي : من أراد الظهور فهو عبد الظهور ومن أراد الخفاء فهو عبد الخفاء ، وعبد الله سوآء عليه أظهره أم أخفاه انتهى . وهو سياق حسن إلا أن جعل النقشبندية من الملامتية غير صحيح فإن بينهما بوناً بعيداً . ولقد كان المصنف ممن أخذ على أبي بكر الروذباري وهو أحد مشائخ النقشبندية ومن أصول سلسلتهم ومبناهم على إسرار الذكر وإخفائه في المجامع وغيرها وهذا الاسم حدث لهم فيما بعد . ومن طالع كتب القوم ظهر له الفرق التام والله أعلم . انتهى كلام « الإتحاف » راجعه في ١٨ من الجزء الثالث (منه قدس سره) وفي « الإتحاف » ما يفهم منه كون مؤلفه من نقشبنديين فراجعه في صحيفة ٢٧ من الجزء الثالث والسلام (منه رحمه الله) .

جميع أجزائه ذاكرة ، فحينئذ يتحقق الذكر الكثير فتكون أعمال يوم واحد منه بمقدار عمل سنة من غيره . انتهى ١٢٠ وهكذا في « الباقيات الصالحات » في ٣٧ ، وفيه أيضاً :

رشحة : قال قدس سره : إن معنى قولهم « إن الله ينظر في اليوم والليلة إلى قلب المؤمن بنظر الرحمة ثلاثمائة وستين نظرة » ، هو أنّ للقلب ثلاثمائة وستين روزنة إلى جميع الأعضاء ، وهو عبارة عن ثلاثمائة وستين عروقاً في البدن من الأوردة والشرايين متصلة بالقلب ، فإذا تأثر القلب من الذكر وبلغ مرتبة يكون منظوراً إليه بنظر خاص من الحق سبحانه ، تنشعب حينئذ آثار ذلك النظر من القلب إلى جميع الأَعْضآء حتى يشتغل كلّ عضو من الأعضآء بطاعة لائقة بحاله ، فيصل الفيض الحاصل من تلك الطاعة إلى القلب ، وذلك الفيض هو المراد بنظر الرحمة . انتهى من ٣٧ .

وفي كتاب « بغية أولي النهى شرح غاية القصوى » ـ عند قول الماتن : صلاة التطوّع أفضل تطوّع بدن لا قلب ـ : وقوله : لا قلب إشارة إلى أنّ عمل القلب أفضل . انتهى . وهكذا في « البهجة »

مطلب

سلطان الأسماء والاسم الأعظم

فالاسم المفرد (الله) وهو سلطان الأسمآء وهو اسم الله الأعظم ، فلا يزال المريد يذكره بلسانه ويَهْتَزُّ به حتى يمتزج بلحمه ودمه ويسري أنواره في كليّاته وجزئياته ، فيتحد الذاكر والمذكور ، فينتقل الذكر إلى القلب ثم إلى الروح ثم إلى السرّ ، فحينئذ يخرس اللسان ويحصل على محلّ الشهود والعيان ، فيصير ذكر اللسان ذنباً من الذنوب عند مشاهدة علام الغيوب « حسنات الأبرار سيئات المقربّين » ؛ انتهى كذا في « منية الفقير المتجرد » .

قلت قوله : فلا يزال المريد يذكره بلسانه ويهتزّ به إلى آخره : وأمّا عند النقشبنديّين[1] فأول شيء يلقنونه ذكر القلب[2] ولا يجوز الاهتزاز عندهم وقت الذكر كما مرّ والله أعلم .

وفي « تنوير الصدر شرح الحزب البرّ » في ١٦٧ : قال بعض العارفين : وإذا قوي الذكر القلبي ربّما تضرّر صاحبه من الذكر اللساني لغلبة تجلي الحق على قلبه ، فلا يذكر به إلا في نحو الصلاة[3] . انتهى .

وفي سلسلة الخواجكان : فقلّ ما وقع المرء بالذكر إلا وقد وصل ، لاسيّما بالذكر القلبيّ الذي هو شهود وزلفى ، وحضور وقربى . وهو ذكر حقيقي يبدّل الغيبة بالحضور ، ويفني الذاكر في المذكور ، لكن مع هذا لابد أن يكون الذكر بتلقين الشيخ الكامل الذي عرف أسرار الأذكار وخواصها بتلقين شيخ آخر ، وهو كذلك إلى رسول الله ﷺ . . . إلخ . انتهى .

مطلب مهم

وفي بعض مكاتب قطب الأقطاب وغوث الأنام خالد البغدادي قدس سره :

اعلموا أنّه ثبت **بالكشف** الصحيح والوجدان الصريح عند جهابذة الكشف والشهود وبَذَلَةِ الروح ونقاد الوجود ، أنّ أجلّ السعادة وأفضل العبادات **بعد تصحيح العقائد** عن تُرَّهات أهل الفساد والقيام بالفرائض

---

(١) أي لعل القائل ممن مبدأ طريقتهم ذكر اللسان (منه) .

(٢) فإن طريقهم يخالف طريق العلويّين ؛ كما قال به الجسطاوي في « مكتوباته » (منه قدس سره) .

(٣) وبعد تمكن الذكر من القلب يصير ذكر اللسان رخصة ؛ وعلامة تمكنه من القلب أن يجري على لسانه حال غفلته من غير قصد . كذا في « تنوير الصدر » فراجعه في ١٦٧ من هامش « مجموعة الأحزاب » من الجلد « الأول منه قدس سره العزيز » .

على مذهب أحد الأمجاد ، **المواظبة على الذكر الخفي** مع دوام العلم بأنه سبحانه وتعالى بأنه يراك ؛ وإن لم تكن تراه إلى آخر ما قال . . . انتهى من مجموعة الرسائل[1] .

وفي « فتح الأسنى » : حظُّ العبد من هذا الوصف أن يكون قلبه حيّاً بذكر الله على الدوام ، فإن الذاكر لله بين الغافلين كالحيّ بين الأموات ، وليس ذكر الله بلقلقة[2] اللسان . . . إلخ ما قال . وفيه أيضاً : إنّ موت القلب هو الغفلة عن الله فراجعه .

وفي « الرشحات » : كما أن الاجتناب عن المعاصي واجب على العامّة كذلك الاحتراز عن الغفلة لازم على الخواصِّ ، كما أنّ العامة يؤاخذون على المعصية كذلك الخواصّ يعاتبون على الغفلة . انتهى .

واعلم أنّ من المشائخ الصوفية مَنْ يختار الجهر لدفع[3] الوساوس الرديّة والكيفيات[4] الجسمانية[5] وإيقاظ القلوب الغافلة وإظهار الأعمال الكاملة ، ومنهم من يختار الإسرار بمجاهدة النفس وتعليمها

---

(١) لسليمان الزهدي

(٢) وفي « تقريب الاصول » في ١١٥ » إقبال القلب على لا إله إلا الله خير من ملء الارض عملاً مع الإعراض عن الله تعالى . ورؤية الغافل سم قاتل . ومن أعظم أبواب الفتح يقظة القلب من غفلته فهي في الذكر أولى . ومثال من يذكر الله تعالى بلسانه وقلبه غافل كَمَلِكٍ طَلبك فتبْعَث إليه غلامك لتكون ممتثلاً أمره ؟ بل أنت مخالف انتهى . فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) وقلب إلى الباب الثامن والعشرين من هذا الكتاب (منه) ولاحظ ما فيه بعيد قوله الطريقة الثالثة الالتزام بما لقنه الشيخ من الأذكار (منه) .

(٤) وأما المشائخ النقشبنديون ، اعتقدوا ذكر الجهر بدعة ومنعوا أصحابهم عنه ولم يلتفتوا إلى ثمرات تترتب عليه كما في « الدرر المكنونات » في « ٢٧٩ » من الجزء الأول بل أنهم اختاروا العمل بالعزيمة والاجتناب عن الرخصة وقد قال الإمام الرباني : إن ذكر الجهر لا يتصور فيه ما فوق الرخصة كما هو مذكور في « الدرر » في ٣١٤ من الجزء الأول أيضاً . منه رحمه الله ورفع الله درجاته واحشرنا معه وارزقنا شفاعته يوم الميعاد « من خطه قدس سره » .

(٥) وفي نسخة : النفسانية .

طرق الإخلاص وإيثارها الخمول . وقد ورد أنّ عمر رضي الله عنه كان يجهر ، وأبو بكر رضي الله عنه كان يسرّ فسألهما النبي ﷺ ، فأجاب كلٌّ منهما بنحو ما ذكر ، فأقرّهُما ؛ هكذا في « الفتاوى الحديثيّة » لابن حجر في ٥٧ فراجعه . وفي « وفق المراد » : إن الإخفآء والإسرار في الذكر أولى لأنه بعيدٌ عن الرياء والنفاق . انتهى بالمعنى .

مطلب مهم

الإسرار في الذكر عزيمة

ومبنى الطريقة النقشبندية على الأخذ بالعزيمة والأحْوَطِ مهما أمكن ، ومَعْلُومٌ أنّ الإسرار[١] عزيمة وهو في حقّنا أهلِ الديار الداغستانية أحوط وأليق ، لما في الجهر من خوف الرياء وغيره ، **ودَرْءُ المفاسد مقدّم على جلب المصالح .**

فينبغي لمن مَالَ قَلْبُهُ إلى إظهار أعماله أن يراقب قلبه ، فإنّه ربما يكون فيه حُبّ الريآء الخفي فيدعوه إلى الإظهار بعُذْرِ الاِقْتِدَآء ، وإنما شهوته التجمّل بالعمل وبكونه مقتدى به ، وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين . وقليل مّا هم ، فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر ، فإنّ الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة[٢] ضعيفة فنظر إلى جماعة من الغرقى فرحمهم فأقبل عليهم حتى يَتَشَبَّثُوا[٣] به ؛ فهلكوا وهلك ، والغرق بالمآء أَلَمُهُ ساعة ، وليت كان الهالك بالرياء مثله ! ! لا بل عذابه دائم مدّة مديدة ، وهذه مزلة أقدام العباد والعلمآء والتفطّن لذلك غامضٌ ، ومحك ذلك أن

---

(١) راجع « الرشحات » في ٥٠ (منه) .
(٢) وفي نسخة : سياحة .
(٣) وتشبث به أي علق (مص) .

يعرض على نفسه أنه لو قيل له : أخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من أقرانك ويكون لك في السرّ أجر الإعلان ، فإنْ مال قلبه إلى أن يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الريآء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير ، فإنّهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره ، وأجرهُ قد توفَّر عليه مع إسراره ، فما بال قلبه يميل إلى الإظهار لولا ملاحظته لِأعْيُن الخلق ومراآتهم ؟ ! فليحذر العبد خِدَع النفس ، لأن النفس خَدُوع ؛ والشَيْطَانَ[1] مُتَرَصِّدٌ ، وحبّ الجاه على القلب غَالِبٌ ؛ قلّما تسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات ، فلا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيئاً والسلامة في الإخفاء ، وفي الإظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثالنا فالحذر من الإظهار أولى بنا وبأمثالنا الضعفآء . هذا ملخص ما قاله الغزالى في « الإحيآء » وإن لم يكن في خصوص ما عليه كلامنا .

فإذا قال الغزالي هكذا ، فالحذر منه لنا أولى فأولى ، بل الإخفاء في زماننا هذا أوْجَبُ وأحرى[2] ، وأنفع وأسلم وأهدى ، والله أعلم .

---

(١) وله ثلثمائة وستون صكاً فيها غروره ومكائده ببني آدم ففي كل يوم يعرضها على قلوبهم واحداً بعد واحد فالعياذ بالله من غروره ومكائده . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم من الكاتب الفقير الحاج حبيب الله نقلاً من « تنبيه المغترين » للشعراني قدس سره .

(٢) وقد ذكر ابن حجر قدس سره في « الزواجر » ؛ أن في كتم العمل فائدة الإخلاص والنجاة من الرياء وفي إظهاره فائدة الاقتدأء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه أفة الرياء وقد أثنى الله على القسمين فقال عز قائلاً ﴿ **إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ ، لكنه مدح الأسرار لسلامته من تلك الآفة العظيمة التي قل من يسلم منها وقد يمدح الإظهار فيما يتعزر الإسرار فيه كالغزو والحج والجمعة والجماعة فالإظهار المبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط أن لا يكون فيه شائبة رياء .

والحاصل أنه متى خلص العمل من تلك الشوائب ولم يكن في إظهاره إيذاء لأحد ، فإن كان فيه حمل للناس على الاقتدآء والتأسى به في فعلِ ذلك الخير والمبادرة إليه لكونه من العلماء والصلحاء الذين تبادر الكافة إلى الاقتداء بهم فالإظهار أفضل لأنه مقام الأنبياء ووراثهم ولا يخصون إلا بالأكمل ولأن نفعه متعد ولقوله ﷺ من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من يعمل بها إلى يوم القيامة . وإن اختل شرط من ذلك فالإسرار أفضل . وعلى هذا التفصيل يحمل=

قال ابن حجر[1] في « الفتاوى » : **إن ما كانت مصلحته فيه أرجح كان أفضل** ، وقال أيضاً فيه : « وما سبقكم أبو بكر بصوم وصلاة ولكن بشيء وقر في قلبه » وذلك الشيء هو الذكر الخفي كما في « جامع الأصول » في ٢٢ . ولا يخفى أن أفضلية الرجل بأفضلية أعماله ، وأن المصلحة في الذكر السري أرجح في حق أمثالنا ، فكان ذلك أي الذكر الخفي أفضل ، فتأمله فإنه نفيس .

وفي « تفسير سلمى » ؛ في قوله تعالى ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾ : حقيقة الذكر الإعراض عن الذكر ونسيانه والقيام بالمذكور ، وفيه أيضاً : حقيقة الذكر أن ينسى كل شيء سوى مذكوره لاستغراقه . انتهى .

مطلب

أنواع الذكر ثلاثة

وفي « المتممات » : إنّ الذكر على ثلاثة أنواع :

ذكر اللسان مع غفلة القلب : ويسمّى ذكر العادة ؛ وهو ذكر العوام ، وثمرته العقاب ، لأنّه ذنب .

وذكر باللسان مع حضور القلب : ويسمّى ذكر العبادة ؛ وهو ذكر الخواص ، وثمرته الثواب .

وذكر بجميع الجوارح والأعضاء : ويسمّى ذكر المحبّة والمعرفة وهو ذكر خواصِّ الخواصِّ وثمرته لا يمكن التعبير عنها ولا يعلم قدر ذلك الذكر إلا الله . انتهى .

=إطلاق من أطلق أفضلية الإسرار . نعم مرتبة الإظهار الفاضل مزلة قدم للعباد والعلماء فإنهم يتشبهون بالأقوياء في الإظهار ولا تقوى قلوبهم على الإخلاص فتحبط أجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامضٌ انتهى . فراجعه في ٣٩ من الجزء الأول (منه رحمه الله سبحانه ورزقنا فيضه) .

(١) ومثله في « الإحياء » في ٢٢٣ من الجلد الرابع . (منه) .

قوله وثمرته العقاب لإنه ذنبٌ لعله بالنسبة[1] إلى حسنات المقربين ، لأن الغفلة[2] عن الله عندهم من أعظم الذنوب ، والله أعلم . وفي « منية الفقير المتجرّد وسيرة المريد المتفرّد » ما يدل على أفضليّة الأعمال القلبيّة ، وملخص ما فيه هذا : إن رجلاً سمع آخر يقول :

إذ العشـرون من شعبان وَلَّتْ فـواصـل شُرْبَ ليلك بالنهار

ولا تشـــرب بـــأقداح صغار فقد ضاق الزمانُ على الصغار

فهام على وجهه وذهب إلى مكّة فبقي بها مجاوراً حتى مات رضي الله عنه ، فهمّ أنّ العمر إذا ذهب جلّه فقد قرب الأجل وضاق الزمان على العبادة الصغرى ، فطلب الموضع الذي تكون فيه العبادة الكبرى ، فيضاعف فيه الأعمال ، وهذا الرجل كان من العلمآء المجتهدين ، ولو كان من العارفين لما احتاج إلى ذهاب مكة ، بل عبادة القلوب مضاعفة بأضعاف كثيرة في أيّ موضع كانت . ولذا قال بعضهم : الذرة[3] من أعمال القلوب أفضل[4] من أمثال[5] الجبال من أعمال الجوارح . وقال عليه الصلاة والسلام : « ركعة من عالم بالله

(١) لا مطلقاً (منه) .
(٢) أخذ من « لواقح الأنوار » (منه) .
(٣) وإن الأعمال القلبية أفضل من البدنية « فتح المبين » لابن حجر ١٠٧ قبيل الحديث السابع .
(٤) قال بذلك كثير من العارفين ، وكتبهم طافحة بذكر تفضيل أعمال القلب على أعمال البدن ، وأعمالُهم كلهم كان أكثرها قلبيّة .
قال شيخ الشيوخ القطب سيّدنا عبد الرحمن السقاف رضي الله عنه لأصحابه : اجتهدوا في الأعمال القلبيّة ، فإن الأوقية من أعمال الباطن تعدل بهاراً (والبهار : أربع مئة رطل راجعه منه) من أعمال الظاهر . كذا في تقريب الأصول ٢٠ فراجعه (منه) .
(٥) ونظيره في « الإحياء » في ٢٢٣ من الجزء الرابع (منه) .

أفضل من ألف ركعة من جاهل بالله » . انتهى . وفي « أسباب الفلاح » في ١١١ : إنّ القلب أشرف من الجوارح ، ولا شكّ أن عمل الأشرف أشرف ، وراجع « الإحياء » في ٢٢٣ في بيان ترك التداوى قد يحمد . . الخ من الجزء الرابع ، و« فتح المبين » في ١٠٧ قبيل الحديث السابع[1] .

الباب الرابع عشر
في بيان فضيلة لفظة الجلالة وخواصِّه
وبيان الاختلافات في أنّ الذكر القلبي هل يثاب عليه أم لا ؟

قال الشعراني في كتاب « الجواهر والدرر » في ٢٨٠ من هامش الإبريز : وسمعته رضي الله عنه يقول في حديث : « لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض مَنْ يَقول الله ، الله » : المراد به الإنسان الكامل وحده في كل زمان ، وهو الذي لو قدّر أنّ جميع العالم غفل عن الله عزّ وجلّ قام ذكر هذا الكامل مَقام ذكر الكلّ ، فقلت له : فَلِمَ كَرّر ﷺ الاسم العظيم بقوله « الله الله » ولم يكتف بذكره مرّة واحدة ؟ ! فقال رضي الله عنه : إنما كرّر ﷺ الاسم مرّتين لِيُثْبِتَ لنا أنّه ذكرٌ على الانفراد ، فإنه لم ينعته بِشَيْءٍ وسكن الهاء منه فكان ذلك كالتفسير لقوله تعالى ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ أي كرّروا هذا الاسم كثيراً ، ونظير ذلك قوله تعالى ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ أي ذكركم الاسم « الله » أكبر من ذكركم سائر الأسماء الفروع الطالبة لوُجُود الأغيارِ ، كالرحمن والغفور والرزاق

---

(١) وراجع شرح « عين » في ٨٣ من الجزء الأول و« إتحاف السادات المتقين » في ١٦٩ من الجزء التاسع (منه رحمه الله رحمة واسعة ورزقنا فيضه) .

ونحوها ، فما في الأذكار كلها أعظم فائدة من ذكر الاسم الله[1] ، لأنّه جامع لجميع الحقائق ، ولا يطلب أحداً من الأغيار المشهودة في هذا العالم ، ولولا أنّ قول « الله ، الله » له حفظ العالم لم يقرن صلى الله عليه وسلم زوال الكون بزوال مَنْ يَذْكر به ، ولذلك أيضاً اتخذه الكمّل[2] من العارفين ورداً لهم ، لا يخفُّ على لسانهم اسم مثله ، لأنهم لا يشهَدون شيئاً من الأسماء لا يفرق قلوبهم[3] غيره . انتهى . ونظيره في الفتوحات المكية لمحي الدين العربي في الباب ٣٦١ راجعه .

فلا شكّ أنّ كل ما يؤدّي إلى خلوّ القلب[4] عن الأغيار خيْرٌ مما لم يؤدّ إلى ذلك ، إذ روح العبادة هو الحضور ، وبذلك يدرك مَعْرفة الله ، ومَعْرفته هي المقصودة من جميع العبادات ، فليتدبّر .

---

(١) ورأيت في « رماح حزب الرحيم » ما حاصله إن الأذكار نوعان نوع ؛ منها تقطع وتزيل كل حجاب عن الروح من أيّ أمر كان . ومنها أذكار لا تقطع ولا تزيل إلا حجاباً واحداً من نوع واحد . فأمّا التى تقطع وتزيل كل حجاب فهى لا إله إلا الله أو الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سبحان الله أو الحمد لله أو الله أكبر أو بسم الله الرحمن الرحيم أو الله لا إله إلا هو الحي القيوم . وأمّا الّتى تقطع وتزيل حجاباً واحداً فهي سائر الأسماء الحسنى . وكل اسم يذهب بجزءٍ من الحجاب ولا يتعدى للجزء الآخر . اهى . ١٦ راجعه من هامش « جواهر المعانى » من الجزء الثانى وهو عين ما قاله أحمد بن محمد التجاني قدس سره ورزقنا فيضه وبركته آمين (منه قدس سره وأفاضنا فيضه آمين) . وراجعه في ١٦٧ ج ٢ ففيه نظيره (منه قدس سره) .

(٢) كالنقشبندية .

(٣) ونقل الشعراني عن « الفتوحات المكية » في « الكبريت الأحمر » ما نصه : لم نعرف من الأسماء الإلهية اسماً يدل على الذات في جميع ما ورد علينا في الكتاب والسنة إلا الاسم (الله) على خلاف في ذلك ، لأنه اسم علم لا يفهم منه إلا ذات المسمى ، اهى . وأطال في ذلك فراجعه من ٨٦ من هامش « اليواقيت » وذكر الشعراني مثله في « اليواقيت » في ٩٨ من الجزء الثانى فراجعه لكن الشيخ الأكبر تناقض كلامه في « الفتوحات المكية » في قوله أن الاسم (الله) علم أو غير علم . راجع « اليواقيت » في ٩٩ من الجزء الثانى أيضاً (منه) .

(٤) فإن لفظة (الله) تصقل قذى الأغيار عن وجوه الأسرار ، كذا في « لطائف المنن » في ٢٧٣ ج ١ (منه) .

وفي « الحدائق الوردية » في ٢٩٣ وذكر اسم الذات ، أي : الله ، هو مذهب الإمام أبي حامد الغزالي ، وعلى ذلك شيوخ « الرسالة » كالجنيد البغدادي ، وشيخه سَرِي السَقطي ، ومعروف الكرْخي ، وداود الطائي ، وإبراهيم بن أدْهَم ، وعبد الله بن حنيف ، وفُضيل بن عياض ، والمحاسبي ، والحافي ، وغيرهم قدس الله أسرارهم . انتهى .

وقال الشيخ الأكبر في « الفتوحات المكية » في الباب ٣٦٢ : ثم إنّ الله تعالى جعل العالم الجسميّ والجسماني في مَنْزِلَيْنِ ، مَنْزِلٌ يسمّى الدنيا ، ومنزل يسمّى الآخرة ، وجعل سكانهما الإنس والجان ، والمعتبر فيهما الإنس ، والمعتبر من الإنس الكمّل لا غير ، وهم الذين ذِكْرُهُمْ الله[1] لا يزيدون عليه في نفوسهم هذا ذكرهم في نفوسهم . انتهى .

وفيه أيضاً في الباب ٣٦١ فَاتَّخَذَهُ ، أي : ذكر لفظة (الله) أهل الله) ذكراً وحده ، فأنتج لهم في قلوبهم أمراً عظيماً لم ينتجه غيره من الأسمآء . انتهى .

وفي « الحدائق الوردية » : وقال في كتابه « كيميآء السعادة » : ولا تظنّ أنّ هذه الطاقة تنفتح من عين القلب بالنوم والموت فقط ، بل تنفتح باليقظة أيضاً لمن أخلص الجهاد والرياضة ، وخرج عن أسْرِ الشهوة ، فإذا جَلس في مكان خال مع تعطيل الحواس وفتح العين والسمع الباطنين وقال دائماً : الله ، الله[2] ، بالقلب دون اللسان إلى أن يصير لا خَبَر له من نفسه ولا من العالم ، وبقي لا يرى إلاّ الله ، انفتحت طاقة في القلب يرى

(١) أي لفظه (منه) .

(٢) وقول بعضهم الذكر لا بد من أن يكون باللسان أو بجملة اسمية أو فعلية حتى يثاب عليه وإلا فلا ممنوع كذا في « الحدائق الوردية » في ٢٩٥ راجعه وراجع « الرحمة الهابطة » في الباب الثاني من ١٩٩ من هامش الجزء الأول من « الدرر المكنونات » و« الفيوضات الخالدية » من صحيفة ١٧ من هامش « نور الهداية » و« المناقب الأحمدية » في ١٩٤ (منه) .

فيها يقظة ما يرى في النوم من أرواح الملائكة والأنبياء والأولياء والصور الحَسْناء وما لا يمكن شرحه ، وهو أيضاً مذهب جماعة ، ولقيتهم على ذلك الذكر (الله ، الله) وأمَرُوني به . انتهى ٣٩٢ .

وفي « شمس المعارف » للإمام البُوني رحمه الله تعالى في ٢٤ من الجزء الرابع : أن هذا الاسم - يعني (الله) - هو اسم الله الأعظم باتفاق جمهور العلماء المتقدمين والمتأخرين . انتهى . وهكذا في الجزء الثاني منه في صفحة ١٩ . وفيه أيضاً في ٢٣ من الجزء الأول : قال بعض الأولياء لبعض العلماء : أريد أن أعلّمك فائدة ، لعلّك تقدر عليها ، فقال : نعَمْ ، فقال له : تداوم على ذكر الله تعالى وهو قولك : (الله ، الله ، الله)لا تذكر سواه ، وتصوم نهارك بشرط الرياضة ، وتَقُومَ ليلك ما استطعْتَ ، ولازم على الذكر لا تفارقه ليلاً ولا نهاراً ، ولا تكلّم أحداً ، واخْتَلِ عن الناس سبعة أيام يظهر لك عجائب الأرض ، ثم لازم سبعة أيام أخرى تظهر لك عجائب السموات ، ثم لازم عليه سبعة أخرى تظهر لك عجائب الملكوت الأعلى ، وإن بلغت أربعين يوماً أظهر الله الكرامات وأعطاك التصريف في المَوْجُودات . انتهى . وفي « شموس الأنوار » : اعلم أيّها الطالب والأخ في الله تعالى أنّ اسم الله العظيم الأعظم على الأصح هو اسم الجلالة[1] ، وهو سلطان الأسماء ، ومعاني الأسماء كلها راجعة إليه ، وهو اسم الذات ، ولو قصَدْنا تفسيره على الحقيقة لم تحمله الدواوين . انتهى ، من الباب الثاني . وفيه أيضاً : إنّ هذا الذكر - يعني : لفظة (الله) - هو ذكر القطب من أهل الدائرة الربانية . انتهى .

وفي « إعانة الطالبين شرح فتح المعين » في ٦ من الجلد الأول :

---

(١) ومثله في منية الفقير المتجرد في صفحة ٣٩ فراجعه .

إنّ مَنْ ذكره[1] سبعين ألف مرّة في مَوْضع خال عن الأصْوات لا يَسْأَلُ الله شيئاً إلاّ أعطاه . انتهى . وفي « المتممات » في ١١٨ : والأصح أنه أي : لفظة (الله) اسم الذات ، وجميع الأسماء والصفات والكمال مندرجة تحته ، **وهو الاسم الأعظم عند أبي حنيفة وعند العارفين من أهل الطريقة** ، وإنّ لكلّ نبيّ من الأنبياء اسماً مخصوصاً تجلّى الله عليه ، ولنبيّنا ﷺ هذا الاسم الشريف ، وبه تجلّى الله عليه ، فلهذا كانت مرتبة نبيّنا عليه السلام أعْلى من جميع رُتب الأنبياء عليهم السلام كما كانت رتبة هذا الاسم الشريف أعلى من رُتَبِ سائر الأسماء الإلهيّة . انتهى .

ونقل الشعراني في « اليواقيت » عن سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه أنّه كان يذهب إلى التفاضل في الأسمآء ويقول ، في قوله تعالى ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ : هو الاسم (الله) فإنّه أعلى مَرْتبة من سائر الأسمآء ، ولذلك تقدّم في التسمية ، وفي نحوه قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ على ما ذكر مما يعطف عليه من الأسمآء ، وأجمع المحققون على أنه الاسم الجامع لحقائق الأسماء كلها ، قال : ونظير ذلك أيضاً ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ، أي : ولذكر الاسم (الله) أكبر من ذكر سائر الأسماء . انتهى . فراجعه في ١٠٠ ففيه أزيد من هذا .

وقال المحقق ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » في ٤٥ : وذكر لا إله إلاّ الله أفضل من ذكر الجلالة مطلقاً ، هذا بلسان أئمة الظاهر ، وأما عند أهل الباطن ! ! فالحال يختلف باختلاف أحوال السالك ، فمن هو في ابتداء أمره ومقاساته لشهود الأغيار وعدم انفكاكه عن التعلّق بها وعن إرادته وشهوته وبقائه مع نفسه يحتاج إلى إدمان الإثبات بعد النفي حتى يستوليَ عليه سلطان الذكر وجواذب الحق المرتبة على ذلك ، فإذا استولت عليه تلك الجواذبُ حَتى أخرَجتهُ عن شَهَوَاتِهِ

---

(١) الله .

وإرادته وحُظُوظِه وجميع أغراض نفسه صارَ بعيداً عن شهُود الأغيار واستولى عليه مُراقبة الحق أو شهُوده ، فحينئذ يكون مستغرقاً في حَقائق الجمع الأحدي والشهُود السرْمَديّ الفرديّ ، فالأنسَبُ بحاله الإعراض عمّا يذكره بالأغيار ، والاستغراق فيما يناسب حاله من ذكر الجلالة[1] فقط ، لأنّ ذلك فيه تمام لذّته ودوام مسرّته ونعمته ومنتهى إربه[2] ومحبّته ، بل إذا وَصَل السالك لهذا المقام وأراد قهْرَ نفسه إلى الرجوع إلى شهود غيره حتى يُنْفيه أو يتعلّق به خاطره لا تطاوعه نفسه المطمئنة لما شاهدت من الحقائق الوهبيّة والمعارف الذوقية والعوارف اللدنية ، وقد فتحنا لك باباً تستدلّ بما ذكرناه في فتحه على ما وراءه **فافهم مَقاصد القوم** السالكين من كل محذور ولوم ، وسلّم لهم تسلم ، ولا تَنْتَقِدْ حقيقة من حقائقهم تندم ، بل قل فيما لم يظهَرْ لك : والله أعلم .

وكذلك يقال في الذكر باللسان وبالقلب ، أو بالقلب فقط ، فبلسان أهل الظاهر ذكر اللسان والقلب أفضل مُطْلقاً ، وعند أهل الطريق في ذلك تفصيل تفهَمُهُ ممّا قبله إن وَعَيْتَهُ وتأمَّلْتَهُ ، فإنّ المستغرق قد يعرض له من الأحوال ما يلتجمُ به لسانه ويصير في غاية من مقام الحيرة والدهش ، فلا يستطيعُ نطقاً أو يتفرق بسبب نطقه ما هو مُتمثّل له من مَعالي تلك الأحْوال وما هو مستغرق فيه من بحار العرفان والكمال .

---

(١) وقال الإمام الرباني قدس سره ما حاصله : إن ذكر النفي والإثبات يكون في طرق الآخرين مناسباً لحال المبتدئين وذكر (الله) الذى هو كلمة الإثبات المحض يكون مناسباً بعد ذلك ليحصل بتكرار كلمة الإثبات استقرار واستمرار للمثبت المكشوف بخلاف طريق هؤلاء الأكابر يعنى النقشبندية فإنه على عكس ذلك لأن فيه إثباتاً أوّلاً ونفي ذلك الإثبات ثانياً . فيكون ذكر اسم الله في هذا الطريق مناسباً في الابتدآء ثم يستعمل بعده النفي والإثبات . انتهى كذا في « الدرر المكنونات » في ٣٦ من الجزء الثانى فراجعه ، لا بد لك أيها الأخ الناظر إلى هذا من المراجعة إليه لتدرك حقيقة الكلام ، ولصعوبة كتابته لكثرته اختصرت حاصله فافهم . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) الإرب . . الخ . الحاجة (مص) .

والحاصل : أنّ الأولى بالسالك قبل الوصول إلى هذه المعارف أن يكون مُديماً لما يأمره به أستاذه الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة ، فإنه هو **الطبيبُ الأعظم** ، فبمقتضى مَعارفه الذوقية وحِكَمه الربانية يعطي كلّ بَدَنٍ ونفس ما يراه هو اللاّئق بشفائها والمصلح لغذائها ، فإن لم يكن له أستاذ كذلك ؟ ! فلا يَعْدِلُ عن ذكر (لا إله إلاّ الله) بلسانه وقلبه ، بل يديم ذلك إلى أن يفتح الله له ما يَعْلَمُ به خير الأمرين في الترقي إلى شهود العين ، حَقّق الله لنا ذلك بمنه وكرمه ، آمين .

والذكر الخفي قد يطلق ويُرادُ به ما هو بالقلب فقط ، وما هو بالقلب واللسان ، بحيث يسمع نفسه ولا يسمعه غيره ، ومنه : « خير الذكر الخفي » ، أي : لأنه لا يتطرق إليه الرياء ، وأمّا حيث لم يسمع نفسه ! ! فلا يعتدّ بحركة لسانه ، وإنما العبرة بما في قلبه ، على أنّ جماعة من أئمتنا وغيرهم يَقولون : لا ثواب في ذكر القلب وَحْدَه ، ولا مع اللسان حيث لم يسمع نفسه ، وينبغي حمله على أنه لا ثواب عليه من حيث الذكر المخصوص .

أما اشتغال القلب بذلك وتأمُّل مَعانيه واستغراقه في شهودها ! ! فلا شك أنّه بمقتضى الأدلّة يُثاب عليه من هذه الحيثيّة الثواب الجزيل ، ويؤيّده خبر البيهقيّ : « الذكر الذي لا تسمَعُهُ الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين[1] ضعفاً » هذا . انتهى كلام ابن حجر .

أقول : إنّ هذه الزيادة من جهة الفضيلة والتأثير[2] ، لأنّ الحضور التام للذاكر إنما يحصل بالذكر القلبي غالباً ، وإن كان بالذكر اللساني

---

(١) قال شارحه العلامة المناوي المتبادر إرادة الذكر القلبي كذا قال صاحب « المناقب الأحمدية » في هامشه في ١٩٤ فراجعه (منه) .

(٢) وقال الغزالي في « الإحياء » : إن حركة اللسان بمجردها ضعيفة الأثر فراجعه في ١٤٠ من الجزء الرابع (منه) .

نفع عظيم إِلاَّ أنّ الحضور قَلَّ ما يحصل به كما هو معلوم لدى الذاكرين المستغرقين ، كذا في تفسير الفاتحة المسمى بـ « مرآة الحامدين » .

وفي « الفتاوى العمريّة » في تفسير هذا الحديث : يعني أن الذكر القلبي الذي لا تسمعه الكرام الكاتبون مِنَ الملائكة يزيد ثوابه على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً ، وذلك لبعده عن الرياء والسمعة ، وخلوصه عن كثير من الخواطر الدنيويّة ، بسبب الجمعيّة القلبيّة ، وقصر الهمّة على الذات الأقدس بالملاحظة التامّة ، انتهى .

ومن المشائخ من يقول : إنّ كل ذكر يشعر به قلبك فتسمعه الحفظة ، فإنّ شعورهم يقارن شعورك ، وفيه سرّ ، حتى إذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك في المذكور بالكليّة فيغيب ذكرك عن شعور الحفظة ، وما دام القلب يشعر بالذكر ويلتفت إليه ، فهو معرض عن الله ، وغير منفكّ عن شرك خفيّ ، حتى يصير مستغرقاً بالواحد الحق ، فذلك هو التوحيد ، ذكره الغزالي في « جواهر القرآن » .

وللطائفة النقشبنديّة من هذا الذي ذكره نصيب ، فإنّ أوّل قدمهم في الحيرة والفنآء ونسيان السوى بالاستغراق في المذكور[1] جل وعلا ، ولذا قالوا : بدايتنا نهاية الطرق الأخرى ، وكثير من المشائخ قالوا : إنّ الحفظة لا يسمعون الذكر القلبي ، مستدلّين بهذا الحديث المذكور ، وبما روى جرير عن الضحّاك ، عن ابن عبّاس رضي الله عنهم ، ومرّ آنفاً ، منهم سيد الطائفة جنيد وخالد شاه والكمشخانوي والخاني وابن حجر وغيرهم .

وقال الغزالي في « الإحياء » : فقد قال بعض المكاشفين : ظهر

---

(١) ومما ينبغى أن يعلم أن الذكر بالنسبة إلى المذكور يعده أهل هذا الذوق من السوى ، فإن المراد من الذكر هو المذكور فقط ، فإذا توغل القلب في ملاحظة الذات المقدس واستغرق لا يجوز له حينئذ الرجوع إلى الذكر ، كذا في « الخالدية » فراجعه (منه) .

لي الملك فسألني أن أمْلِيَ عليه شيئاً من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد ، وقال : ما نكتب لك عملاً ونحن نحبّ أن نصعد لك بعمل تتقرب به إلى الله عز وجل ؟ فقلت : ألستما تكتبان الفرائض ؟ قال : بلى ، قلت : فيكفيكما ذلك .

وهذه إشارة إلى أنّ الكرام الكاتبين لا يطّلعون على أسرار القلب ، وإنما يطلعون على الأعمال الظاهرة . انتهى . فراجعه في ٢١ من ربع المهلكات .

وقد كُنْتُ كَتَبْتُ في الرسالة العجميّة المنظومة أنهم لا يطلعون على الذكر الخفي القلبي متمسّكاً بأقوال المشائخ المذكورين وغيرهم ، فطعن عليّ بذلك بعض العلماء المنكرين ، هداه الله إلى الطريق المستقيم ، وكتب إليّ بخطّه أنك مجنون لا تَعْرِفُ المرادَ من الحديث المذكور ، ولعلّه رأى[١] ما نُقِلَ عن الغزالي ، فالطعْنُ عليّ غير سديد ، لأني لم أقله برأيي ، بل بنقلٍ وَثيقٍ من كتب الأئمة العارفين كما ترى ، ولي بهم أسوة ، والله أعلم . وفي الحديث : « فكر ساعةٍ خير من عبادة ستّين سنة » .

ويدلّ على أفضليّة الذكر القلبيّ - بِنَاءً على ما ذُكِرَ في الفتاوى العُمَريّة - : إنّ ذكر القلب بتفكر اللفظ مع ملاحظة معناه ، كما قيل : الفكر ذكر القلب . انتهى .

وهكذا في « مرآة الحامدين » ، وقد عمّم ابن حجر رحمه الله تعالى في « الفتاوى الحديثيّة » التفكّر في الحديث المذكور إلى الذكر القلبيّ[٢] ، فراجعه .

---

(١) وهو الذي مرّ آنفاً نقلاً من « الجواهر » مع معارضته ما في « الإحياء » ، فتدبّر (منه) .

(٢) ويؤيده ما في « تنويرالصدر » شرح « حزب البر » في تفسير قول الشاذلي قدس سره : اللهم إنا نسألك لساناً رطباً بذكرك ، انتهى بهذه العبارة . وهو - يعنى الذكر - ترديد اسم=

وقال الشبليّ : والذي نفسي بيده ؛ لَحُضُورُ قلبي في استغراق نور رَبّي خيْرٌ من علوم الأولين والآخرين ، كذا في « الفتاوى العمريّة » والخادمي .

وفي « الرسالة القشيريّة » قال الأستاذ : الذكر ركنٌ قويّ في طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو العمدة في هذا الطريق ، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلاّ بدوام الذكر .

والذكر على نوعين : ذكر اللسان ، وذكر القلب .

فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب ، والتأثير لذكر القلب ، فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه ! فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه . انتهى .

قوله ذكر القلب ؛ فإن اقتصر على أحدهما فالثاني أفضل ، كذا في « شرحه » لزكريا الأنصاري ، وفيه : **إنّ الذكر الكامل هو الاستغراق في المذكور . انتهى .**

وفي[1] « الفتاوى الحديثيّة » ؛ في ٣٦ لابن حجر : **وسئل** رضي الله عنه عن قول النووي - لطف الله به - في آخر باب مجالس الذكر ؛ من « شرح مسلم » : ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من ذكر القلب .

=المذكور باللسان أو القلب وسوآء في ذلك ذكر الله أو صفة من صفاته أو حكم من أحكامه أو استدلال على فعل من أفعاله فالداعى والقارئ والمستمع والمتفقه والمدرس والمتفكر في عظمة الله تعالى ذاكر اهى من ١٦٩ من هامش « مجموعة الأحزاب » فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

(١) وبهذا يجاب عما في « إعانة الطالبين » في باب الجهاد من الجزء الرابع في ١٩٤ ، وفي آداب داخل الخلاء من الجزء الأوّل في ١٠٩ . من قوله : وليس لنا ذكر قلبي* يثاب عليه من غير لفظ إلا هذا . فتدبره . وبعض الكلام يفسّر بعضاً ، فلله الحمد والمنة وله الشكر على هذه النعمة . (منه رحمه الله) .

* أي من حيث لفظه لا مطلقاً (منه) .

انتهى ، فهل يؤخذ من كلامه أنه إذا ذكر الله بقلبه دون لسانه أنه ينال الفضيلة إذا كان مَعْذُوراً أم لا ؟ وهل إذا قرأ بقلبه دون لسانه من غير عذر ينال الفضيلة أم لا ؟ .

أجاب بقوله : الذكر بالقلب لا فضيلة فيه ؛ من حيث كونه ذكراً متعبّداً بلفظه ، وإنما فيه فضيلة من حيث إستحضاره لمعناه من تنزيه الله وإجلاله ، وبهذا يجمع بين قول النووي المذكور وقولهم ذكر القلب لا ثواب فيه ، فمن نفى عنه الثواب أراد من حيث لفظه ، ومن أثبت فيه ثواباً أراد من حَيْثُ حُضوره بقلبه كما ذكرناه ، **فتأمّل ذلك فإنه مهمّ** ، ولا فرق في جميع ذلك بين المعذور وغيره ، والله أعلم . انتهى .

وفي « إظهار الحقّ » نقلاً من « شرح المشكاة » لابن حجر : ونفي الثواب فيه - أي في الذكر القلبي المحض من حَيْثُ الذكر ؛ أي : من حيث الذكر الذي ورد الشرع بذكره باللسان - لا ينافي حصوله من حيث المراقبة وحضور القلب فيه ثواب أيُّ ثواب[1] . انتهى .

مطلب

الذكر القلبي واللساني

وقال الإمام اليافعيّ في « نشر المحاسن » : والذكر في الأصل على خلاف الغفلة ، والمقصود منه ذكر القلب ، فإن أضاف إليه ذكر اللسان فهو أفضل وأكمل ، وأما ذكر اللسان وَحْدَه فقليل الجدوى ، لكنّ الاستدامة على ذلك يكون سبباً لذكر القلب . انتهى .

وفي « البريقة » : الذكر باللسان لا نفع له أصلاً ، لكنه أولى من

---

(١) فإذا حصل الثواب من حيث حضور القلب في الذكر الذي ورد الشرع بذكره باللسان خاصة ، فحصوله بالذكر القلبي الذى ورد بواسطة الصديق الأكبر ، الذى هو أفضل الأمة ، بعد النبيّين يعلم بطريق الأولى فليتدبره (منه رحم الله إفلاسه) .

السكوت والاشتغال إلخ . انتهى .

وقال الغزالي : حركة اللسان بالذكر مع الغفلة عنه يحصل الثواب ، لأنه خيرٌ من حركة اللسان بالغيبة ، بل هو خير من السكوت مطلقاً . أي : المجرّد عن التفكّر . قال : وإنما هو ناقصٌ بالنسبة إلى عمل القلب . انتهى .

وفي « الأذكار النوويّة » : فضل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان ، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً ، فإن اقتصر على أحدهما ! فالقلب أفضل .

قال المصنف في « شرح مسلم » نقلاً عن القاضي عياض : ذكر ابن جرير الطبريّ وغيره أنه اختلف السلف في ذكر اللسان والقلب أيّهما أفضل ، قال القاضي عياض : وإنما يتصوّر[1] الخلاف عندي في مجرّد الذكر بالقلب تسبيحاً وتهليلاً وشبههما ، ويدلّ عليه كلامهم ، لا أنهم اختلفوا في الذكر الخفيّ الذي ذكرناه ، فذلك لا يقاربه ذكر اللسان ، فكيف يفاضله[2] ! ؟ والمراد بذكر اللسان مع حضور القلب ، وإن كان لاهياً فلا ، واحتج مَن رجَّح ذكر القلب بأنّ عمل القلب أفضل ، ومن رَجّح عمل اللسان[3] قال : لأنّ العمل فيه أكثر ، لأنه زاد باستعمال اللسان ، فاقتضى[4] زيادة أجر[5] .

---

(١) وراجع شرح « المشارق » لأكمل الدين (منه) .
(٢) فإن الذكر باللسان إنما هو وسيلة لحضور القلب « لطائف المنن » ٢٧٢ ج ٢ . ومثله في « الفتاوى العمرية » (منه) .
(٣) وراجع شرح « المصابيح » و« الأذكار » للنووي في ٥ مع شرحه (منه) .
(٤) لكن تفضيل العمل الكثير على القليل إنما هو أمر أغلبيّ فقط ، فيجوز أن يكون بعض الأعمال القليلة أفضل من بعضها الكثير ، ألا ترى أن من قرأ سورة الإخلاص ثلاثاً مع قلّة حروفها وكلماتها كتب له ثواب القرآن كله ، كلّ حرف بعشرة ، كما هو مذكور في « الفتاوى الحديثية » في ١٨ فتدبره . ولا يستبعد مؤمن حصول الأجر العظيم على العمل . فإن مقادير الثواب لا تدرك بالقياس ، فللحق أن يجعل الثواب الجزيل على العمل القليل . كذا قال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » فراجعه من هامش « المنن » من الجزء الأول (منه) .
(٥) ولأنّ فائدته تتعدى إلى السامعين فاقتضى زيادة أجر والصحيح الأول ، لبعده وخلاصه=

قال القاضي عياض : واختلفوا هل تكتب الملائكة ذكر القلب ؟ ! فقيل : تكتبه ، ويجعل الله لهم علامة[1] يعرفونه بها ، وقيل : لا تكتبونه[2] ، لأنه لا يطّلع عليه إلاّ الله تعالى .

قال المصنف في « شرح مسلم » : الأصحّ أنهم يكتبونه ، وإنّ ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل[3] والله أعلم ، وقول القاضي عيّاض : (وإن كان لاهياً ، فلا) ! مرادُهُ : فلا خلاف في فضل الذكر بالقلب حينئذ ، وليس مرادُهُ : فلا فضل فيه ، لأنه قال قبله : وأما ذكر اللسان مجرّداً فهو أضعف الأذكار ، وفيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث . انتهى . ونقله المصنف في شرح مسلم . انتهى كلام ابن علان .

وفي البجيرمي قوله : حمد الله بقلبه ، أي : ويثاب عليه : كما مرّ ، وقولهم : (الذكر القلبيّ لا ثواب فيه) ! محمول على ما لم يطلب بخصوصه ، وهذا مطلوب فيه بخصوصه ، « ع ش م ر » .

قال بعضهم : يؤخذ من هذا صحّة ما ذهب إليه السادة الصوفية

=عن الرياء . أقول وهذا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال كما تقدم ذكره . أما الأذكار التى وردت فيها الأخبار والآثار كالتسبيح والتحميد والتكبير عقب المفروضات فلا بد من تلفظها باللسان انتهى نووي . أقول وكذا قراءة القرآن والتسابيح والتكبيرات في الصلاة وكذا تشميت العاطس وإجابة المؤذن والسلام مع عدم العذر وإلاّ فبالقلب فقط . كما في الخلاء ومحل النجاسات ، كما في « الباجوري » في أداب الخلاء وأما غير المأثورات ، فجائز مطلقاً انتهى من « الفتاوى العمرية » فراجعه . (منه رحم الله افلاسه) .

(١) وهي الريح الطيبة كما في « شرعة الإسلام » وراجع شرحه في ١٥٥ (منه) .

(٢) ويحتمل أن يجمع بين كلاميهم بأن مراد القائلين بعدم كتبته : إن الملائكة لا يعرفون عين الذكر القلبي ولا يكتبون عينه وإن كتبوه حسنة ، لمعرفتهم بطيب الريح أن القلب عمل حسنة . ومراد القائلين بكتبته واطلاعهم عليه : أنهم يعرفون بتلك الريح الطيبة أن القلب عمل عملاً حسناً فيكتبونه حسنة مطلقة لا معينة . هذا والله أعلم (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) لعله عند أهل الظاهر وإلا فذكر القلب وحده ففيه تفصيل ومرّ آنفاً نقلاً عن ابن حجر فليتذكره (منه) .

من جواز الذكر بالقلب والثواب عليه ، بل هو أفضل من ذكر اللسان لخلوصه من الريآء ، ولو لم يكن فيه ثواب لما أمر السادة الفقهآء بالحمد به في المواضع المكروه فيها ذكر اللسان ، وهو الحق الذي ينبغي اعتقاده .

وفيه : إنّ ما قاله الفقهآء إنما هو في الموضع الذي يكره ذكر اللسان ، وأجاب الشهاب ابن حجر في « الفتاوى الحديثيّة » بقوله : الذكر بالقلب لا فضيلة فيه مِنْ حَيْثُ كونه ذِكْراً مُتعبّداً بلفظه ، وإنما فيه فضيلة من حيث استحضاره لمعناه . . . إلخ . ولا فرق في جميع ذلك بين المعذور وغيره انتهى . ومرّ آنفاً نقلاً من عين الفتاوى مع تمام عبارته .

وفي حسب[1] حال السالك الذكر قسمان :

الأول : التذكر وهو التكلّف ؛ أي : تكلّف السالك على لسانه ذكر الله .

والثاني : الذكر الحقيقي ، وهو جريان القلب بالذكر دون اللسان ، فتسمية الأول بالذِكر مجازٌ من قبيل تسمية السبب باسم المسبّب ، وأكثر الناس عنه غافلون . انتهى كذا في « الفتاوى العمريّة » .

وفيه : وفي « روح البيان » : الذكر على مراتب ، والذكر اللسانيّ بالنسبة إلى الذكر القلبيّ تنزّلٌ . روي أنّ عيسى عليه السلام حين ترقى إلى مراتب الذكر جاءه إبليس عليه اللعنة فقال : يا عيسى ، اذكر الله تعالى ، فتعجّب عيسى عليه السلام من أمره بالذكر مع أن جبليّته وطبيعته المنع من الذكر ، ثم ظهر له أنه أراد أن ينزله من مرتبة الذكر القلبيّ إلى مرتبة الذكر اللساني ، وذلك كان تنزّلاً بالنسبة إلى مقامه ، لأنّ الأنبيآء

---

(١) قوله (حسبحال السالك) هو اسم كتاب نفيس في بيان قواعد الطريقة النقشبندية ، لكنه بلغة الترك . (منه) .

وكمّل الأولياء ذكرهم الحضور والمراقبة والمشاهدة بالقلوب والأرواح بلا إتعاب الألسنة والأشباح . انتهى .

وفي « المتممات » في ٢١٦ : **واعلم أنّ الذكر الخفي والتفكر هما الغاية القصوى** . انتهى . وفيه أيضاً في ٢١٧ : **والحاصل** أنّ الذكر الخفي أفضل من كل ذكر وعبادة عند كل العلماء والسلف[1] . انتهى . ومثله في « تفريج الفلق » في ٣٦ .

مطلب

قشور الذكر ولبُّه

واعلم أنّ الذكر أفضل الأعمال ، وله قشور ثلاثة ، بعضها أقرب إلى اللب من بعض ، وله لبّ ورآء القشور الثلاثة ، وإنما فضل القشور لكونها طريقاً إليه ، فالقشر الأعلى منه ذكر اللسان فقط . **والثاني** : ذكر القلب إذا كان القلب يحتاج إلى مراقبته حتى يحضر مع الذكر ، ولو تركه وطبعَه لاسْتَرْسَلَ في أودية الأفكار . **والثالث** : أن يستمكن الذكر من القلب ويستولي عليه بحيث يحتاج إلى صرفه عنه إلى غيره كما احتيج إلى تكلّف في الثاني : في قراره معه ودوامه عليه . **والرابع** : وهو اللباب ، أن يستمكن المذكور من القلب وينمحي الذكر ويخفى ، وهو اللباب المطلوب ، وذلك بأن لا يلتفت القلب إلى الذكر ولا إلى القلب ، بل يستغرق المذكور جملته ، ومهما ظهر له في أثناء ذلك الالتفاتُ إلى الذكر ، فذلك حجاب شاغل ، وهذه الحالة هي التي عبّر عنها العارفون بـ(الفناء) كذا قاله الغزالي في « جواهر القرآن » ، وهذا المقام الأخير قد تملكه النقشبنديون في ابتدائهم ، فإنّ أول قدمهم على الحيرة والفناء

---

(١) وعليه إجماع العارفين ، كما ذكره السيد عيدروسي في « الكبريت الأحمر » ، فراجعه . (منه) .

وبدايتهم نهاية غيرهم[١] كما مرّ . فالحمد لله رب العالمين . يا رب كَمْ مِنْ نعمة أنعمت بها علينا قلّ لك بها شكرنا **فحاصل مَحْصُولِ عِبَارات العُلماء** : أنّ الكلام في أفضليّة الأذكار اللسانيّة إنما هو عند أهل الظاهر الّذين لا يَعْلَمُونَ حقيقة الأذكار القلبيّة ، وأمّا عند أهل الباطن ! فالأذكار اللسانيّة بالنسبة إلى الأذكار القلبيّة ممّا يعدّونها نزولاً عن المقام الأسنى[٢] والدرجة العليا ، ولا مجال لوقوع الاختلاف بين مَنْ ذاقوا حقيقة ذكر القلب ، فإنّه ذكر محقّق يسمعه الذاكر من باطنه بلا شكّ ولا ارتياب ، فإنّ القلب كلّه[٣] لسانٌ ينطق به وكلّه سمْعٌ يسمعُ به ، وكلّه بَصَرٌ يُبْصِرُ به ، ولقد طرأ عليّ في أيّام سلوكي حالٌ قويّ ؛ وكنت حينئذ لا أطيق أن أسكن القلب عن الذكر بلفظة الجلالة ولو تكلّفْتُ ، وصار طَبْعُهُ جَرْيانَ الذكر بلا اختيار ، فكلّما توجَّهْتُ إليه كنت أجِدُهُ ناطقاً بها متحركاً بحركات عجيبة سريعة بحيث لا تطيق الحاسَّةُ الخياليّة أن تدرك سُرْعَتَهُ كما لا تطيق حاسّة البصر أن تدرك سُرْعَةَ جَنَاحَيِ النحل حين قام في باب الكوارة رافِعاً دُبُره إلى السمآء ، وقد كنتُ في ذلك الوقت أسْمَعُ صَوْته[٤] ، ولا يخفى عليّ شيءٌ منه ، ولو كان الناس يقرؤون القرآن في المسجد جَهْراً ، فهذا ما رأيته في نفسي وذُقْتُهُ في حال سلوكي ، لكن لا مجال لتعليمه وتفهيمه لمن لم يذقه ؛ بالنطق والعِبارة أو بالرقم في السطور والكتابة ، وأحْوَالُ سائر

---

(١) وقد مر أن التوجه هو الذى يوقع الذكر إلى القلب عندهم وهو يقوم مقام ذكر اللسان في سائر الطرق بل التوجه الواحد منهم يعمل في القلب عمل الرياضات والمجاهدات في سنين متعددة ، ولأجل هذا المعنى يحصل لهم في الابتدآء ما لا يحصل لغيرهم إلا في الانتهآء فافهم (منه) .

(٢) ولذا قال صاحب « طهارة القلوب » : ذكر اللسان حسنات وذكر القلب قربات ودرجات . راجعه من صحيفة ٥٠ من هامش نزهة المجالس (منه غفر الله له آمين) .

(٣) كذا في « تحفة الأحباب » (منه) .

(٤) ذكر .

اللطائف كأحْوال القلب على حدٍّ سواء ، فلله الحمْدُ والمنّة ، وله الشكر على هذه النعمَة . فهذا مِنْ مَذاقِ الطائفة النقشبندية لا خبر عنه لغيرهم من الطوائف السِوَائِيَّةِ .

واعلم أنّ طائفة من[١] الطرق الأخر إذا تنزّلوا عن ذلك المقام قَدْ يتوسّلون إليه بالأذكار اللسانية[٢] لأنها عندهم[٣] وسيلة لتحصيل ذكر القلب كما هو[٤] مذكور في « مرآة الحامدين » ، و« لطائف المنن » ؛ وأحياناً يستعملون الذكر باللسان جَهْراً ليقتدي بهم غيرهم ، وينتفع به سواهم ، وأما إذا تجلّى الله لهم بالمعيّة والوصلة ، وحصلت لهم أعلام المشاهدة ، سقط الذكر بكلا نَوْعَيْهِ ، فيَبْقَوْنَ حينئذ حَيارى مستغرقين في المذكور سبحانه وتعالى ويعدّون الذكر في تلك الحالة ذنباً من الذنوب ، وحِجَاباً واقعاً[٥] بينهم وبين المذكور ، وفي ذلك أنشدُوا :

بـذكر الله[٦] تـزداد الذنـوب ... وتـنكشف الـرذائل والعُيُوبُ

وترك الذكر أفضـل كلّ شيء ... وشمس الذات لـيس لها مغيب

وأنشدُوا أيضاً :

لا يتـركُ الذِكرَ إلاَّ مَـنْ يُشاهدُهُ ... وليـس يَشْهَدُهُ مَـنْ لَيْسَ يَذْكُرُهُ

والذِكر سَتْرٌ عـلى مذكوره أبداً ... فحين أذكره فـي الحال يستره

(١) وفي نسخة : من منتسبي .
(٢) وكما في طهارة القلوب والذكر المطلوب ذكر القلب وإنما اللسان طريق إليه اهى من ٤٤ من هامش نزهة المجالس من الجزء الأول وكما في « جواهر القرآن » للغزالي ومبدؤه ذكر اللسان . اهى . (منه رحم الله إفلاسه آمين) .
(٣) أي عند غير النقشبنديين .
(٤) أي كونها وسيلة إليه (منه) .
(٥) راجع « جواهر القرآن » (منه) .
(٦) وفي نسخة : اللسان .

فلا أزال مع الأحوال أشهَدُه   ولا أزال مع الأنفاس أذكره

الأبيات من « كشف الحجاب » للشعراني .

وفيه : أنّ الذكر دليل ، فإذا جَمَعَك المَدْلُولُ سقط شهود[١] الدليل من قلبك . انتهى .

وفي « الميزان الكبرى » للشعراني : ويؤيّد ذلك قول الشبلي حين **قالوا له** : **متى تستريح ؟ فقال** : **إذا لم أرَ لله تعالى ذاكراً** ، أي لأنّ الذكر لا يكون إلاّ في حال الحجاب عن شهود المذكور[٢] ، فما تمنّى الشبليّ إلاّ حضرة الشهود ، لأنها هي الّتي لا يرى لله تعالى فيها ذاكراً بلسانه إكتفاء بمشاهدته تعالى ومُناجاته بالقلب ، وحضرة الحق[٣] هي حضرة بُهْتٍ وخرسٍ قال الله تعالى ﴿ **وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا** ﴾ انتهى .

وأنشدوا أيضاً :

فتـرك الذكر أولـى بالشـهود   وذكـر الله أولـى بالـوجود

فكـن إن شئت وُجْدان الوجود   وكن إن شئت في فضل الشهود

انتهى .

وفيه أيضاً في ١٢٩ : وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : ذكر الله تعالى على نوعين : ذكر لسان ، وذكر حضور ، كما أن ترك الذكر على نوعين : ترك من حيث الغفلة ، وترك من حيث الحضور والدهشة .

---

(١) وراجع « الطبقات » للشعراني في ٩٠ من الجزء الأول ، ففيه مثله (منه) .

(٢) فإذا حصل الشهود استغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور . فلو ذكر العبد ربه في تلك الحضرة كان غير لائق بالأدب كما أن من اطلع السلطان وتمثل بين يديه لا يناسبه تكرار اسمه على التوالى بل ربما نسبوه إلى الجنون واخرجوه من حضرة السلطان ، كذا في « كشف الحجاب » فراجعه (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) أي حضرة مشاهدة الحق . راجع « المنن » في ١١٨ من الجزء الأول (منه) .

فالأول من الذِكرين مفضول ؛ والثاني فاضل ، والأول من التركين مَذْمُومٌ ؛ والثاني مَحْمُودٌ وهو الذي حَمَلْنا عليه قول الشِبْليّ آنفاً انتهى .

وفي « الإحياء » في ٢٤١ من الجزء الرابع : قال بعضهم : إني أقول : يا ربّ يا ربّ ، فأجد ذلك على قلبي أثقل من الجبال ، لأنّ النداء يكون من وراء حجاب ، وهل رأيت جليساً ينادي جليسه ؟ ! انتهى . وهكذا في « عوارف المعارف » ، فراجعه في ٢٠٠ من هامش الجزء الرابع من « الإحياء » .

وفي « الإحياء » أيضاً في ١٤١ من الجزء الرابع : **إذا بلغ الرجل في هذا العلم**(١) **الغاية ، رَمَاهُ الخلق بالحجارة** ؛ أي : يخرج كلامه عن حَدِّ عقولهم ، فيَرَوْنَ ما يقوله جُنوناً وكُفْراً ، فمقصَدُ العارفين كلهم وصْلُهُ(٢) ولقاؤه فقط ، فهي قرّة العين التي لا تعلم نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهم منها ، وإذا حصلت انمحقت الهُمُوم والشهوات كلّها ، وصار القلب مستغرَقاً بنعيمها .

مهم

فلو ألقي في النار لم يُحسّ بها لاستغراقه ، ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه وبُلُوغه الغاية التي ليسَ فوقها غاية . انتهى . ولذلك قال بعضهم :

وهجره أعظم من ناره ووُصْلُهُ أطيب من جنَّته

انتهى .

وهذه أحوال أرباب المشاهدة من العارفين الذين يؤثرون التبتّل والتفرُّد والفكر والذكر حتى ينغمسوا في بحار المشاهدة ، ويَدْخلوا في

---

(١) أي علم المعرفة والمشاهدة (منه) .

(٢) أي الله .

جنّة المعرفة التي ثمارها غيرُ مقطوعة ولا ممنوعة ، بل هي أبدية لا يقطعها الموت ، إذ الموت لا يَهْدم محلَّ مَعرفة الله . قال تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ الآية . قال الغزالي في « الإحياء »[1] : **ولا تظنّ أن هذا مخصوص بالمقتول في المعركة ، فإن للعارف بكل نَفَسٍ دَرَجَةُ ألف شهيد** . انتهى .

وفيه أيضاً : أن جميع أقطار ملكوت السماوات والأرض مَيْدانُ العارف ، يتبوَّأ منها حيث شآء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بجسمه وشخصه . انتهى . رزقنا الله تمام المعرفة ، وجعلنا من جملة أرباب الوصول والمشاهدة إنه ولي التوفيق والاستقامة ، آمين .

فائدة : قال أبو الدرداء : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبِّئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الوَرِق والذهب ، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم ؟ ! قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : ذكر الله عز وجلّ دائماً »[2] . الحديث ، ذكره الغزالي في « الإحياء » في ٢٢٩ من ج ١ .

وفيه في ٢٣٢ من ذلك الجزء : فإن قلتَ : فما بال ذكر الله سبحانه – مع خِفَّته على اللسان وقلّة التعب فيه – صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها ؟ ! !

فاعلم أنّ تحقيق هذا لا يليق إلاّ بعلم المكاشفة ، والقدر الذي يَسْمَحُ بذكره في علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب ، **فأمّا الذكر باللسان والقلبُ لاهٍ فهو قليل الجدوى** .

---

(١) في ٢٤٠ من الجزء الرابع (منه) .

(٢) قوله دائماً ليس فيما رواه الشعراني في « كشف الغمة » فراجعه في ٢٧٤ من الجزء الأول (منه) .

وفي الأخبار ما يدلّ عليه أيضاً ، وحضور القلب في لحظة بالذكر ، والذهول عن الله عز وجلّ مع الاشتغال بالدنيا أيضاً قليل الجدوى ،

الحضور ثمرة العبادات العملية

بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام، أو في أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات ، بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العمليّة ، وللذكر أول وآخر ، فأوّله يُوجبُ الأنسَ والحبَّ ، وآخره يوجبه الأنْسُ والحبُّ ، ويصدر عنه ، والمطلوب ذلك الأنس والحبّ ، فإن المريد في بِدايَةِ أمْرِهِ قد يكون متكلِّفاً بصَرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى الله عزّ وجل ، فإن وُفِّقَ للمداومة أنس وانغرس في قلبه حبّ المذكور . ولا ينبغي أن يتعجَّب من هذا ؛ فإن من المشاهد في العادات أن تذكر غائباً غير مشاهد بين يَدَيْ شخص وتكرّر ذكر خصاله عنده فيحبّه ، وقد يَعْشِقُ بالوصف وكثرة الذكر ، ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلّف أوّلاً صار مُضْطَرّاً إلى كثرة الذكر آخِراً بحيث لا يصبر عنه .

فإنّ من أحبَّ شيئاً أكثر ذكره ، ومن أكثر ذكر شيء ، وإن كان تكلُّفاً أحبّه ، فكذلك أول الذكر متكلَّف إلى أن يثمر الأنسَ بالمذكور والحبَّ له ، ثم يمتنع الصبر عنه آخِراً فيصير الموجب به مُوجَباً ، والثمر مثمراً ، وهذا معنى قول بعضهم : كَابَدْتُ القرآن عشرين سنة ثم تنعَّمت به عشرين سنة . ولا يَصْدُرُ التنعُّم إلاّ من الأنس والحبّ ، ولا يصدر الأنس إلاّ من المداومة على المكابَدة والتكلُّف مُدّة طويلة ، حتى يصير التكلُّف طبعاً ، فكيف يستبعد هذا ؟ ! وقد يتكلّف الإنسان تناول طعام يَسْتَبْشِعُهُ[1] أوّلاً ، ويكابد أكله ويواظب عليه فيصيرُ مُوافقاً لطبعه حتى لا يصبر عنه ، فالنفس مُعْتادة متحمّلة لِما تتكلّف :

---

(١) وطعام ، بشع فيه كراهة ومرارة (مص) .

هــي النـفس ما عَوَّدْتَها تتكلف

أي : ما كلّفتها أوّلاً يصيرُ لها طبعاً آخِراً .

ثم إذا حصل الأنس ، انقطع عن غير ذكر الله ؛ وما سوى الله عز وجلّ هو الذي يُفارقه عند الموت ، **فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ، ولا ولد ولا ولاية ، ولا يبقى إلاّ ذكر الله عز وجلّ** ، فإن كان قد أنس به تمتّع به وتلذَّذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه ، إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصدُّ عن ذكر الله عز وجل ، ولا يبقى بعد الموت عائقٌ ، فكأنّه خلى بينه وبين مَحْبوبه ، فعظمت غبطته ، وتخلَّص من السجن الذي كان مَمنوعاً فيه عمّا به أنسه ، ولذلك قال ﷺ : « إنّ روح القُدس نفث في روعي : أحْبِبْ ما أحْبَبْتَ فإنك مُفارقه » ، أراد به كلّ ما يَتعلّق بالدنيا ، فإنّ ذلك يفنى في حَقّه بالموت فـ : ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾** ﴾ وإنما تفنى الدنيا بالموت في حقه إلى أن تفنى نفسه عند بلوغ الكتاب أجله ، وهذا الأنس يتلذّذ به العبد بَعْدَ مَوْته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ، ويترقى من الذكر إلى اللقآء ، وذلك بعد أن يُبَعْثِرَ ما في القبور ، ويحصَّل ما في الصدور ، ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول : إنه أعدم ، فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل ؟ ! **فإنه لم يَعْدِمْ عدماً يمنع الذكر ، بل عدماً من الدنيا وعالم الملك والشهادة ، لا مِن عالَم**[1] **الملكوت** ، وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله ﷺ : « القبر حفرة من حُفَرِ النار ، أوْ رَوْضة من رِياض الجنّة » وبقوله ﷺ : « أرْواحُ الشهَدَآء في حواصل طيور خضر » وبقوله ﷺ لقتلى بدر من المشركين : يا فلان ، يا فلان ، وقد سمَّاهم

(١) وأرواح الموتى في عالم البرزخ أحياء بالحياة الأمريّة . كذا في « أفضل الصلوات » فراجعه في ٣٢ (منه) .

النبيﷺ : هل وَجَدْتم ما وعد ربكم حقّاً ؟ فإني وَجَدْتُ ما وَعَدَني ربي حَقاً ، فسمع عمر رضي الله عنه قوله ﷺ فقال : يا رسول الله ، كيف يسمَعُون وأنّى يجيبون ؛ وقد جِيفُوا ؟ فقال ﷺ : « والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا » ، والحديث في الصحيح ، هذا قوله عليه السلام في المشركين ، فأمّا المؤمنون والشهداء ! فقد قال ﷺ : « أرواحهم في حواصل طيور خُضرٍ مُعلّقة تحت العرش » وهذه الحالة وما أشِيرَ بهذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل ، وقال تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ الآية ، ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عَظُمَتْ رُتْبَةُ الشهادة ، لأنّ المطلوب الخاتمة ، ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله ، والقلب مستغرق بالله عز وجل ، منقطع العلائق عن غيره ، فإن قدر عَبْدٌ على أن يجعل همَّه مستغرقاً بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلاّ في صَفِّ القتال ، فإنه قطعَ الطمع عن مُهْجَتِهِ وأهله ومالِهِ ووَلده بل من الدنيا كلّها ، فإنه يريدها لحياته ، وقد هوَّن على قلبه حياته في حُبِّ الله عز وجل ، وطلبِ مَرْضاته ، فلا تجَرُّدَ لله أعظم من ذلك ، ولذلك عظُم أمر الشهادة ، وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى . انتهى .

وفي « بيان الأسرار » للسُّهْرَوَرْدِيِّ رحمه الله تعالى في الفصل الرابع عشر : والقلب[1] لا ينام ولا يموت ، وهو مشغول في النوم واليقظة بحياة القلب بلا صوتٍ ولا قيام ولا قعود ، فهو يخاطب الله تعالى بقوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ مُتابعاً للنبيّ ﷺ : قال في

(١) أي القلب الحي (منه) .

تفسير القاضي : في هذه الآية إشارة إلى حال العارف وانتقاله من حالة الغيب إلى الحضرة .

مهم

واستحق بمثل هذا الخطاب كما قال النبي ﷺ : « الأنبياء والأولياء يصلُّونَ في قبورهم كما يصلُّون في بيوتهم » أي مشغولون بالله ومُناجاته بحياة قلوبهم . انتهى من عينه اختصاراً .

ولقد أخبرنا ثقات من الناس أنّ امرأة مَنْسُوبَةً إلى طريقة شيخنا الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره ماتَتْ ، فوضع أخُوها يَدَهُ على صدرها فوجد قلبها يَرْتَعِشُ ارْتِعاشاً لَطيفاً ، فقال وقتئذ لأختها الكائنة عنده : انظري إلى حال قلبها ولا تبك على موتها ، وَضَعِي يَدَكِ على قلبها . فوضعت يدها على قلبها ، فوَجَدَتْهُ كذلك ، ثمّ وَضَعَتْ امرأة أخرى يَدَها على قلبها فوجَدَتْ كذلك ، فبعد ما سمعت هذا الخبر تفحَّصْتُ مِنْ أخِيها المذكور ؛ ومن النساء اللواتي وَضعْنَ أيديهنّ على قلبها فأخبَرُوني كذلك ، وصَدَّقوا الخبر المذكور[1] ، غفر الله لنا ولها آمين . فإذا وقعت المكالمة في حَقّ هذه المرأة وعدَّدنا ما وقع لها من الأعاجيب ، استكتَبَ منّي شيخنا - قدس سره - من كتاب « مزكي النفوس » ما مُعَرَّبهُ هذا :

(١) وهكذا أخبرنى العالم العارف القاضى حميد الهندخى رحمه الله قال : إنه كان يغسل واحداً من مريدى الشيخ العسلي قدس سره إذا مات وكان معه اثنان فوضع أصبعه على قلبه فوجداه ترتعش كعِرْقِ الدَم ثم أمر رجلين آخرين بوضع يدهما على قلب ذلك الميت فوجداه كذلك ، وقال : أنه وضع أصبعه في مواضع من بدنه ظنا منه إحتمال كون ذلك الارتعاش في أجزآء سائر الجسد فلم يجد إلا فيه . وقالت زوجتى فاطمة غفر الله لها أنها وجدت قلب إمرأة (وكانت من الذاكرات لله كثيرا) يرتعش حين تغسلها وأرته من معها من النساء فصدّقن ذلك (منه) .

مهمات عجيبات

مات في زمان رسول الله ﷺ رَجُلٌ من أهل الذكر ، فأراد أصحابه أن يغْسِلُوهُ ، فقال عمر رضي الله عنه : أنا أغسله . وقال أنس رضي الله عنه : أنا أغسله . وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : أنا أغسله . ثم قال - عليه السلام - : إنه كان من أهل الذكر فأينَ سلمان الفارسي ؟ فقالوا : إنه مَشْغُولٌ بالذكر في بَيْتِهِ ، فأرْسل - عليه السلام - واحداً لِيَدْعُوَهُ إليه فقال - عليه السلام - : يا سلمان ، إنّ هذا الرجل من أهل الذكر ، وأنت من أهل الذكر فَاغْسِلْهُ بِحَمْلِهِ إلى الخلوة ، أنت من أهل التجريد ، وهو من أهل التجريد ، ويظهر لأهل الذكر من خوارق العادات وأنت تطلع عليه ، فاغسله في الخلوة ، لئلا يطلع عليه غيرك ، فحمله سلمان رضي الله عنه إلى الخلوة ، وخلع منه لباسه ، وألقى على عورته منديله ، ثم مَدَّ يَدَهُ تحت المنديل إلى العورة ليغسلها ، فطرّد الميت المذكور يد سلمان من عورته ، فوقع سلمان مكبّاً على صَدْرِه ، باكِياً متعجّباً ، فوجد قلب الميت يذكر الله تعالى وإذا سمع بكاءً شديداً ، وتعجَّب عليه ، وقال : كيف يتحرك الميت ؟ وكيف يذكر قلبُ الميتِ اللهَ تعالى ؟ فحينئذٍ فتح الميت عَيْنَهُ ، وقال : يا سلمان ، هل يموت الكائنون مع الله ؟ فالذين حَيِيَتْ قلوبهم بذكر الله ، تموت أجسامهم ، ولا تموت قلوبهم ، وأنا لَسْتُ بميت ، وحصل لقلبي حياة ، فتفرَّقْ منّي بعد تجهيزك إيّاي ، ثمّ إذا أخبر تلك الواقعة للنبي ﷺ قال : المؤمنون لا يموتون ، بل ينقلون من دار الفناء إلى دار البقآء » . انتهى .

وممّا يَشْبَهُ هذا ، ما قاله الإمام اليافعيّ رحمه الله تعالى ، في « نشر المحاسن » ؛ من أن السيّد الجليل العارف ، نجم الدين الأصبهاني رضي الله عنه ، طلع مع جماعة جَنازة بعض الصالحين ، فلما جلس بعض الناس من أهل العلم يُلَقِّنُ الميت ، ضحك الشيخ نجم الدين ، ولم

يكن الضحك عادته ، فسُئِلَ عن ذلك ، فقال : سَمِعْتُ صاحبَ القبر ، يقول : ألا تعجَبون من ميت يُلقِّن حَيّاً ؟ انتهى .

وفي « **بيان الأسرار** » : فكما لا ينام القلب الحيّ ، فكذلك لا يموت ، كما قال عليه السلام : « **تنام عيني ولا ينام قلبي** » انتهى .

وأيضاً ذكر في « الرسالة القشيرية » في ٢٠١ : أن أبا يعقوب السوسي قال : غسلت مريداً ، فأمسك إبهامي وهو على المغتسل ، فقلت : يا بني ، خلِّ يدي ، أنا أدري أنك لست بميت ، وإنما هي نقلة من دار إلى دار . فخلّى يدي .

وفيها أيضاً : أن إبراهيم بن شيبان ، قال : صحبني شاب حسن الإرادة ، فمات ، فاشتغل قلبي به جداً ، وتوليت غسله ، فلما أردت غسل يديه ، بدأت بشماله من الدهشة ، فأخذها مني ، وناولني يمينه ، فقلت : صَدَقتَ يابني ، أنا غلطتُ .

وفيها أيضاً : أن أبا يعقوب السوسي قال : جاءني مريد بمكة ، فقال : يا أستاذ ، أنا غداً أموتُ وقت الظهر ، فخذ هذا الدينار ، فاحفر لي بنصفه ، وكفِّنِّي بنصفه الآخر ، ثم لمّا كان الغد ، جاء وطاف بالبيت ، ثم تباعد ومات ، فغسَّلتُه ، وكفَّنتُه ووضعته في اللَحد ، ففتح عينيه ، فقلتُ : أحياة بعد موت ؟ ! فقال : أنا حيٌّ ، وكل محب لله فهو حيٌّ . انتهى . مع بعض اختصار .

فهذه أخبار من حصلت لهم حياة قلوبهم ، **فالواجب على العاقل طلب الحياة القلبية الأخروية ؛ من أهل التلقين في الدنيا ، قبل فوت الوقت** ، فإنّ الدنيا مزرعة الآخرة ، فإذا لم يزرع في هذه لم يحصُدْ في الآخرة ، والمراد من المزرعة أرض الوجود ، لا الآفاقي . كما قال بمثله الإمام السُهروردي في « بيان الأسرار » في الفصل الثامن .

واعلم يا أخي ، أن الداعي إلى إكثار الكلام وجمع النقول في حق هذا المهمّ ، كثرة القيل والقال بين علماء الظاهر ، ووُجْداني إياهم يتكلّمون بمجرّد ما رأوه في الكتب ، ظانّينَ أنْ ليس فيها سواه ، مع أنّهم لا يفهمون مآل ما رَأَوْهُ ، ولا يُدْركون مضمُونَ ما علمُوه .

فها أنا أطنبت الكلام ، وأكثرت النقول والمقالات ، فعليهم أن يأخذوا من هذه الجَرَّةِ الصَافِية الدُهْنَ الخالص بلا شائبة . فالحمد لله رب العالمين .

ولا يخفى أنه لم يَصِلْ أَحَدٌ إلى هذه المعارف الإلهيّة ، والأسرار الربانيّة ، إلاّ بالأعمال القلبيّة ، والعمل الذي يُتَوَسَّل به إلى النَفائس فهو نفيسٌ بلا ريب .

فلعلّ هذه المنقولات ، من كتب الثقات ، تكون عَوْناً لتحقيق ما يفعله السادة النقشبنديون ، من اختيارهم الأذكار القلبية ، واجتنابهم من الأعمال الجهريّة ، والحال أن إخفاء الذكر من أصُول طريقتهم ، كما هو مذكور في « جامع الأصول »[1] في ١٤ .

فاللازم على مَنْ يعترض عليهم أنْ يتوبوا ويرجعوا والله غفور رحيم .

وإيّاك ثم إيّاك يا أخي أن تغيّر أصُولَهُمْ . بأنْ تقولَ : اللاّئق لأهل الطريقة النقشبنديّة ترك تلقين الذكر الخفيِّ لأهل داغستان ، فإنّ مَنْ ضيَّع الأصُول[2] ، حُرم الوُصُول . ومَن غيَّر الأوضاع ، لا ينال منازل الأبرار .

قال الإمام الربَّاني قدس سره : إن الجهر ممنوع في هذا الطريق

---

(١) وكذا في « الآداب المرضية » (منه) .
(٢) ومن غير الأصول فليس منهم كما مرّ وسيأتى (منه) .

وقد علمتم بَقيّة طرز الطريقة وأوضاعها ، وإيّاكم والعُدُولَ عن طريق التقليد ما استطعتم ، فإنّ لتقليد شيخ الطريقة ثمرات ، وفي الخلاف خطرات ، كذا في « الدرر المكنونات » في ١٤ من الجزء الثاني .

ولا تقل يا أخي إذا رأيتَ مُريداً نقشبنديّاً مطرقاً رأسَهُ ، مُتوجِّهاً إلى قلبه ، إنِّي أحِبّ أنْ أقطع رَأْسَهُ ، كما قال كذلك واحدٌ من المنكرين ، فإنّ إِطْراقَ رأسه ، وتوجّهَهُ إلى قلبه ، حاضراً بالله لا يَضرُّك أبَداً ، وقد يَعْرِضُ للسالك النقشبنديّ في حالة إِدامَتِهِ على ذكر القلب حالة ، لو تكلّف بإخطار غير الله سبحانه في قلبه لا يخطر ، فكيف يكون حال مَنْ ترقى إلى ما فوق القلب ؟ ! وهذا أمْرٌ مُتحقق لا يُنكره إلاّ مَنْ لا يجرّبه **فوالله لو يعلم المنكرون ما عليه هؤلاء النقشبنديون ، لضاربوهم في طلبه السيُوف** ، كيف لا وقد يرد عليهم من لذّة أحوالهم ، ما لو قيل لهم : اخرجوا من هذا الشغل لِتَدْخُلُوا الجنة ، لا يخرجُون ؟ ! ولله درّ من قال **لو بِعْتُ لحظة من لَذَّةِ سَحَرٍ ، بملك قارون ، في عمر نوح ، لكنتُ مَغْبُوناً** . انتهى من « الخادمي » .

ولهم فوق هذا مَقامٌ ، يعُدُّون هذه اللذة المرغوبة من الشرك ، ولا يعرف ذلك إلاّ أهْلُهُ .

ولقد قال لي واحدٌ من مريدي شيخنا قدس سره : إنِّي كنت لدَيْهِ فطرأ عليَّ لذّة من غلبة الحال ، بحيث أنسى جميع اللذات بالنسبة إليها ، فقلتُ للشيخ : هل يكون في الجنة لذة مثل هذه يا أستاذ ؟ فقال لي : **لو فُتِحَتْ أبواب الجنان الثمانية ، ورأى جميع ما فيها من النِعَم ، لا تعدل لذّة ذلك هذه اللذة** . انتهى . وهذه هي التي يسمّونها « **بالجنة المعجَّلة** » رزقنا الله تعالى منها نصيباً ، آمين . ولا يُدرك كنهها إلاّ مَنْ ذاقَ ، وهل يعلم حلاوة العسل إلاّ من ذاق ، وكيف يظهرُ ما على

السطوح غير مَنْ راق ، ولا يعرف ذا الفضل إلاّ مَنْ فاق ، وما بعد ظهور الشمس ضياء باق ، وقد ينكر الأعمى أنوار يوم بَرَّاقٍ ، ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ ﴾ لا يجد له واقٍ ،

ولا شكّ أنّ مَنْ أنكر الحقّ إذا ظهر ، واعترض أهْلَهُ بَعْدَ ما تبيّن ، ومنع الناسَ عنه إذا حَسَدَ ، وعبس وجهه حين حَقَدَ ، فهو شَيْطَانٌ في زيٍّ إنسان ، وذئبٌ من الذئاب ، لُبِسَ عليه شيء من الثِياب ، وإن كان عالماً وعليه عبآء ، وهذا هو الذي حذَّر منه رسول الله ﷺ في قوله : « أخوف ما أخاف على أمّتي ، كلّ مُنافق ، عليم اللسان ، جاهل القلب » ، وهَرْوِلْ يا أخي ولا تقرب منه ، لئلاّ يخطفك بحلاوة لسانه ، ويحرقك بنار مَعَاصيه ، التي ظنَّ أنها حسنات ، ويقتلك بنتن باطنه ، الذي مُلِيءَ بحب الرياسات .

وقد لقيت واحداً يَقول : بأنّ الدخول في الطريقة النقشبندية ممَّا لا يجوز ، بل ممَّا يحرم ، وأخبرني واحدٌ من المعتقدين به أنه طلب منه الرخصة للدّخول في عهد الشيخ النقشبندي ، والأخذ منه ، فقال له : أنْتَ إذاً على قَصْدِ شِراء الكَرْبِيتِ[1] الأخَسِّ بَدَلَ الذهب الإبريز الأنفس .

وسمعتُ هذا البعض المذكور يقول : إنّ شيْخَهُ - في زعمه - كان يقول : إنِّي أريد أنْ أقتل مُريدي ، الّذي ذهب لدى شيخ آخر ، قبل أن أقتل سَلْداةً كافِراً . انتهى .

وقد قال هذا الكلام مِراراً في مجمع من العلماء ، فتعجّبُوا به ، ولعلّه افترآء محض على شيخه ، أو كان ذلك الشيخ على حدّ الاستقامة ، وكان غيره على نهج الابتداع والضلالة ، بمجرَّد التعصُّب والدعوى والمجادلة ، ولذلك قال ذلك تهديداً وترويعاً ، وتنفيراً وتحذيراً ، وإلاّ

---

(١) وفي نسخة : الكبريت .

فلا مجال للشيخ أن يقول مثل ذلك ، ولا أن يحجر على المريد ، **بل يجب على الشيخ المرشد أن يرى نفسه أقلَّ من كلّ أحد** ، حَتّى من مريديه ، وأعصى وأفسق منهم ، بَيْدَ أنه ينصحهم إمتثالاً بالأمر الإلهي ، مع شهُود أنهم أحْسَنُ منه حالاً ، وأكثر متشيّخة هذا الزمان يهجرون مريدَهم إذا انتقل إلى شيخ آخر ، ويحطُّون فيه ، ويقولون : إنّه صار مُرْتَدّاً ، مع أن ذلك الآخر أحَقُّ مِنْهُ وأرْشَدُ ، وأعْرَفُ منه وأصدق . ومَنْ هذا حاله ! ما مشى على قواعد أهل الطريق ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله .
وما ألذَّ ما قاله الشعراني في « المنن الكبرى » في ١٧٤ في الجزء الثاني ، وما أصْدَقه ، وما أحسنه ! ومما أنعم الله تعالى به عليّ ، شهُودي كثرة غِشِّي لأصحابي كلّما كثروا ، لأني لو نصحتهم لفَرُّوا منّي ، ولم يَبْقَ معي إلاّ القليل ، وهذا الخُلُق قلّ مَنْ يتنبّه له من الفقراء ، بل ربّما يرى مَقامه يَعْظم بكثرة المريدين والمعتقدين ، فليتفقّد الفقير نفسه ، ولا يغترّ ، لأنّه لولا مُسامحته التلامذة بالإخلال بآداب الطريق ، ما كثروا حَوْلَهُ .

بل سمعتُ سَيِّدي عليّاً الخواص رحمه الله تعالى يَقول : مَنْ خطر في باله أنّ إخوانه وتلامذته أدنى مَرْتبة منه عند الله ، وأنه أعرف منهم بالطريق ، فقَدْ خرج عن الطريق ، وهُمْ أحسَنُ حالاً منه[1] لأنه لم يخطر لهم أبداً أنه تلميذهم .

المتكبِّر عند الله لا يصلح أن يكون داعياً له

وسمعتُ سيِّدي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يَقول : متى رأى الفقير أنّ له تلميذاً دُونَهُ في الدرَجة ؛ فقد ادَّعى الكِبْرَ ، والمُتكبِّر عند الله لا يصلح أن يكون داعياً له ، فقلتُ له : فما يُخلِّصه من ذلك ؟ فقال : أن ينصح أخاه ؛ مع شهُود أنّ أخاه أحسن حالاً منه ، وأكثر طاعة منه . انتهى .

---

(١) أي من الشيخ .

وسمعتُه مِراراً يقول : من شرط الصادق ؛ أن يرى غيْرَ جماعته بالعين التي يرى بها تلامذته على حدٍّ سواء ، ومتى رَجَّح نسبة تلامذته إليه على نسبة تلامذة غيره إليه ؛ فقد خرج من مراسم أهل الطريق . انتهى . وهذا الأمر لا يتنبّه له إلاّ القليل من الناس انتهى .

وقد وقع الكلام بيننا وبين واحد ممّن يزعم أن شيخه هو النبي عليه السلام بلا واسطة ، ويقول : إنه لم يتخذ له شيخاً مّا إلاّ أنه رأى النبي ﷺ في المنام بَيْدَ أنه أخبر رؤياه هذه لشيخ[1] فصَدَّقها وقبّله واعتنقه ، ولذا اتّصلت سلسلتُه إليه ، وحلف بالحلف المشدَّد لدى مجمع من الناس ، بتأييد مشيخته بتلك الرؤيا ، فردّدْتُ كَلامَهُ بما في « مغني المحتاج » وغيره ، من أنّ الحكم لا يثبت بالرؤيا ، وبما في « البريقة[2] » : لا مانع[3] من أن يقول الشيْطانُ : أنا رسول الله . وبما مرَّ قُبيل الباب الخامس ، وقلتُ له : فما المقام الأوّل من المقامات التي شَرَطَها العارفون للأخذ عنه عليه السلام بلا واسطة ؟ فقال : الجذبة والمحبّة . ثمّ ردَدْتُ كلامه بالدلائل ؛ وبعد ذلك لم يجد له بُدّاً إلاّ أن يقول : لا يعمل بالكتب إلا العوام ، وأما أهل الكشف فإنما عملهم بما كشف لهم ، ويتركون المذاهب الأربعة ، فردّدْتُ مَقالته هذه بنقول معتمدة تصرح بعدم جواز العمل بالكشف ؛ ثم قال : لا يكون الوليّ وليّاً إلاّ إن رأى الله سبحانه في المنام في كلّ ليلة وكلَّمه ، ورأى اللوح المحفوظ ، فمن هذا حاله لا يحتاج إلى الكتب[4] ، ولا إلى العمل بما

---

(١) وهو العارف العُبُودي رحمه الله (منه) .

(٢) راجعه في ٢٦٨ من الجزء الثاني ، وفي ١٤٥ من الجزء الأول . (منه) .

(٣) وقال خواجه زاده في حاشيته على « الطريقة المحمّدية » إن الشيطان قادر على أن يقول : أنا رسول الله ، ولكن لا يتشكل بشكله الشريف . انتهى فراجعه في ١١ من هامش « الطريقة » . (منه) .

(٤) ويردّه ما في« الكبريت الأحمر » نقلاً من « الفتوحات المكية » اعلم أن ميزان الشرع=

فيها ، فإنها مما يجوز أن يكتبها السارق والزاني ، ولم يقبل كلامي ، بل أيَّد بعد ذلك مُشَيْخته بكثرة الأتباع ، وأحصى أعْدَادَ مُريديه ، فقلت له : لو كان الأمر في كثرة الأتباع ، لما سبق أَحَدٌ في المشيخة من الشيطان ، فإنه ليس لغيره تابع إلاّ واحِداً مِنْ ألْفٍ ، ثم قال : ليس على وجه الأرض أحدٌ أحقُّ مني في الشيخوخة ، وأقدم مني رُتْبَةً في الولاية ، إلاّ أني لا أتكلّم قُرَيْشِياً ولو كان صَبيّاً ، وكلّ مَنْ سواه فهو دُوني ، وتكلَّم بكلمات عجيبات ظاهرها يكفر الإنسان والعياذ بالله ، وأخبر مجاهدَته من زَمَنِ صباه ، ومَدَح نفسه بكثرة الرياضات ، وشدّة الملازمة على الطاعات ، والزهْد في الدنيا ، **فَلاطَفْتُهُ بالكلام** ، وألَنْتُ له الأقوال ، ولم يرجع بَعْدُ مِنْ دَعْواهُ[1] فَكِدْتُ أنْ أبْكِيَ نَدَماً على ما حَلّ به من هذه البلية العظمى ، بإيقاع الشيطان له في هذه الورطة الكبرى ، فكلّ مَن كان في ذلك المجمع من العلماء تيقّنُوا حقيقته ، وتبيَّنوا أنّه مُدَّع كذّاب ، وأبْعاضٌ آخرون من جُهَلاء مُريديه انتفخوا واستكبَرُوا ، وفرحوا وافتخروا ، وبَعْضٌ آخر من مُريديه تدارك به اللطف الإلهي وتحقّق بفطانته حقيقة حاله ، وقصد الانقطاع من دائرته ، وزاد شوقه للاتّصال بذيل الشيخ جامع القطبتين ، ذي الجناحين العسلي قدس سره ثمّ بعد المفارقة من المجلس تكلَّم هذا المدّعي بكلمات يحطُّ بها سواه من مَشائخ الديار ، ونسبهم إلى النقائص ، وعدَّ ما كُنَّا نَرْتَكِبُهُ في حالة الشباب من المنكرات

=الموضوعة في الأرض ، هى ما بأيدى العلماء من الشريعة فمهما خرج وليّ عن مزان الشرع المذكورة أنكرنا عليه ذلك . انتهى . راجعه في ٩٠ من هامش « اليواقيت » ولا بد من المراجعة إلى « ابن حجر » مع « الحميدية » في ٨٨ من الجزء التاسع (منه رحم الله إفلاسه) .

(١) وفوق هذه قال : لا يجوز إعطاء أوراد الطريقة النقشبنديّة لأحد ، وكذَّب ذكر القلب والألطاف بالكلية ، وقال : هل لها ألسن تذكر الله ؟ ! وإلخ . وصنّفنا في حقِّ هذا الرجل برد جميع مقالاته رسالة لطيفة وسميناها « جهد المقلّ في رد شطحات المنكر المضل » ، فمن أراد إدراك الحق ، وتمييزه من الباطل ، فليقف عليها ، ووقع هذا الرجل باعثاً أولاً لجمع هذا التأليف « تنبيه السالكين » رزقنا الله الإنصاف آمين (منه قدس سره العزيز) .

البَهْلَوَانيّةِ[1] . فلعلّه هَداهُ الله إلى الحق ، أنه ظنّ أن الفضل الإلهيّ خاصٌّ بأمْثالِهِ المجتهدين ، لا نصيب له لأحد من أمثالنا العاصين المقصِّرين ، وتكبَّر علينا وعلى جميع مَشائخ الطريقة بكثرة زهده وقلة أكله ، ومُلازمة عبادته ، وصرّح ذلك في المجامع والمحافل رزقه الله الإنابة من هذه الجناية ، وأرشدنا وإيّاه إلى أحسن طريق ، بلُطْفِهِ ومَنِّه ، إنه هو الجواد الكريم ، فإن لم أكُنْ أهْلاً للسّلُوك في دائرة المشائخ ، فلي عَزْمٌ على محبّتهم فلله الحمد ، وقد قيل : إن المقصّر[2] في سلك المحبّين[3] و« لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الخاسرون » . قال الإمام البوصيري رحمه الله تعالى :

صَاحِ[4] لاَ تَأْسَ إِنْ ضَعِفْتَ عَنِ الطَا ... عَـةِ واستـأثرتْ بهـا الأقوياء

إنّ لِلَّـهِ رحـمةً وأحَـقُّ ... الناسِ منه بـالرحمة الضعفاء

فابق في الْعَـرْجِ عن[5] مُنْقَلَبِ الذوْ ... دِ ففـي الْعَوْدِ تَـسْبِقُ العَـرْجَاء

انتهى « همزية » ؛

(١) اللهم وإن كانت في وظيفة البهلوان صُوَر محرَّمة لكن ذات أنواع اللعب الخطرة من الذين تغلب سلامتهم عنها حلال ، كما هو مذكور في « ابن حجر » و« الرملي » في كتاب المسابقة . ومن تلك الأنواع ما يفعله البهلوان ، كما صرح بذلك ابن قاسم وأعقبه الشبراملسي في حاشيته على الرملي بهذه العبارات : ومنه البهلوان ، وإذا مات يموت شهيداً ، وذكر عبد الحميد الشرواني عين ما مرَّ حرفاً بحرف وفي حاشية « أسنى المطالب » : ومشيُ البهلوان كركوب البحر ، إن غلب السلامة جاز ، وإلا حرم . انتهى . فلله الحمد والمنة .
بيد أني وجدت بسبب تلك الوظيفة أشياء محرمة ، فينبغي مجانبتها ، وأستغفر الله منها كثيراً ، وهو الغفور الرحيم (منه رحمه الله تعالى ونفعنا بفيوضاته) .

(٢) والحال أن رحمة الله ونظره إلى المرموق في أعين الناس بعين الاحتقار أكثر من رحمته ونظره إلى المرموق في أعين الناس بعين الجلال ، فلهذا كان أهل الاحتقار أحقَّ بالأسرار ، كما هو مذكور في « الإبريز » فراجعه في ٢٦٥ . (منه) .

(٣) وفي نسخة : مقبول .

(٤) اي يا صاحبى .

(٥) وفي نسخة : عند .

فكذلك تأخرك عن كثير من الطاعات ربّما أوْجَبَ لك سبق المكثر منها ؛ لأنه قد يَصْحَبُهُ من الذلّ والافتقار[١] والإخلاص ما يخلف تأخُّرَك ، بخلاف المكثر ! قد يَصْحَبُهُ من العجب والافتخار ما يوجب تأخُّرَهُ . انتهى « المنح المكية » لابن حجر في ٦٧٥ .

مهم

وفي « الحفني » في ٦٧٥ ، ومن مقام العارفين ما حُكي عن الإمام أبي محمّد النيسَابُورِي أنه دخل المسجد مرّة يعتكف في رَمَضان ؛ فرأى المتعبِّدين يجتهدون ، والقرَّاء يقرؤون ، فقطع الاعتكاف وخرج ، فقيل له في ذلك ! فقال : **لمّا رأيْتُ تعظيمهم بعباداتهم ، واعتمادهم عليها دُونَ الله ، لم يَسَعْني إلاّ الخروج ؛ خوفاً من نزول البلاء عليهم**[٢] . انتهى .

وفي « المنح » أيضاً في ٢٧٦ فقد يُنتج القليل ما لا يُنْتِجُهُ الكثير ، بواسطة مزيد إخلاص وانكسار . انتهى .

وقال الإمام الرباني : ومعرفة الله سبحانه حرام على من يرى نفسه خيراً من كفار الأفرنج ، فكيف من أكابر الدين ؟ كذا في « الدرر المكنونات » في ٢٥٦ من الجزء الأول ،

---

(١) ولهذا قال سيدى أحمد الرفاعي رضي الله عنه : الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق وأقربها الذل والانكسار . وقال سيدى عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه قال : ما وصلت إلى الله تعالى بقيام ليل ولا بصيام نهار ولكن وصلت إلى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدر والندآء بلسان الذل والافتقار ورؤية الفضل والمنة من الله تعالى والتبرى من الحول والقوة كذا في « تقريب الأصول » في ٩ فراجعه (منه) .

(٢) والمعصية المستعقبة ندماً خير من الطاعة المستعقبة عجباً ، لاضمحلالها مع حصول الندم « عين العلم » راجع شرحه في ٤٩ ج ٢ .

مهم

وفي « المنن الكبرى » في ١٧٧ من الجزء الثاني : **وقد أجمع العارفون بالله تعالى، على أنّ العبد ما دام يشهد نفسه فوق أحد من المسلمين ، فلا يصحّ له دُخُول حضرة الله تعالى أبداً ؛ لأنها محرّمة على مَنْ فيه شيء من الكِبْرِ بإجماع** . انتهى .

شرط العمل الصالح

وفي « لواقح الأنوار القدسية » في ١٧٧ : من شرط العمل الصالح ، أن لا يرى نفسه على أحد من خلق الله تعالى ، فمتى رأى له به فضلاً على أحد ؛ خرج عن كونه صالحاً . انتهى .

وفيه أيضاً : الظهور يقطع الظهور ، ورُبّما استوفى مَنْ أظهرَ صلاحه في هذه الدار جزاء أعماله كلّها ، من كثرة الاعتقاد فيه وقضاء حَوائجه ، وإرسال الهدايا له ونحو ذلك ، فيذهب إلى الآخرة صُفْرَ الْيَدَيْنِ من الأعمال الصالحة . انتهى .

وبما ذكر يُعْلَم أنّ الذنب قد يكون للعَبْدِ خيْراً من طاعته التي توقعه في العجب[1] ولو كان هذا العابد الزاهد المدّعي المذكور قد وقع في المعاصي لما ادّعى هذه الخلافة العظيمة بهذه الأكاذيب الباطلة ، ولَمَا جرَّ الناس إلى جانبه بذكر السواقط والأعاجيب .

مهم

فإنه سامحه الله لم يعرف أن صورة الطاعة قد تكون مَعْصِيَةً بفساد النيات والبواعِثِ ، فأيّ معصية أكبر ممّا طرد به إبليس عليه

---

(١) وبقاء العجب بالطاعة من غير الملامة أكبر من كل سيئة كما هو مذكور في « شرح عين العلم » لعلي القاري فراجعه في ٤٩ ج ١ (منه) .

اللعنة عن باب الله تعالى ورحمته بسببه ؟ ! وهو قول : ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ كما هو مذكور في كلام الله تعالى عز وجل .

قال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » في ٦٦ : أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نُرَغِّبَ جميع أهل المعاصي في التوبة ، ونخبرهم بسعة رحمة الله لهم إذا تابُوا ، وأنه لا يتعاظم عليه تعالى ذَنْبٌ أن يغفره ما عَدا الشرك ، ونلين لهم الكلام ، ونحسن إليهم كل الإحسان ، حَتّى يحكوا ذلك لِرفقَتِهِمْ في المعاصي ، فلعلّ قلوبهم تلين للتوبة ، وكذلك لا نؤيِّسُ أيضاً أن نخاطب التائبين بالألفاظ الحسنة المميلة لخاطرهم كلفظ السيادة[١] . ونراهم أطهرَ منّا قلباً ؛ لأنهم قَرِيبُوا عَهْدٍ بالتوبة ، وهي تجبّ ما قبلها من الذنوب بنصِّ الحديث بخلافِنا ! فَرُبَّما كان أحدُنا بعيدَ عَهْدٍ بالتوبة ، أو كثيرَ الطاعات المتوالية ، فيَقول بَعِيدٌ أن الله تعالى يُعذِّب مثلي ، وغاب عنه أنّه في تلك الحالة من أبْعَدِ الأبْعَدِين عن حضرة الله عزّ وجلّ ؛ لعدم انكسار قلبه ، وأنّ الله يقول : « أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي » أي من مخالفتهم لأمْرِي ، ودُخُول النقص في طاعاتهم ، فهم لا يَرَوْنَ لهم وَجْهاً عندي .

وسمعت سيدي علياً الخواص يقول : إنّما بَدَأ[٢] الإمام القشيريّ في رسالته ؛ لمَّا ذكر رجال الطريق بابن أدهم والفضيل بن عياض ! تقويةً لقلب المريدين ، لكَوْن ابن أدهم والفضيل سبق لهما زَمَنُ قطيعَةٍ ، فكأنَّ الشيخ بذلك يقول : **إنّ مَنْ سبقت له العناية لا تضرّه الجناية** ، حتى لا يستبعد المريد الذي سبق له زمن قطيعة ، بكثرة الفتح عليه من الله ، ومحو تلك الذنوب كلّها انتهى .

---

(١) أي سيدي (منه) .

(٢) ومثله في « تقريب الأصول » في ٣٠ ، راجع « لطائف المنن » لابن عطاء الله (منه) .

مطلب مهم

كمال المرشد وُقوعه في البداية ولو في نيَّة المخالفات

وسمعته مرّة أخرى يَقُولُ : كلّ مَنْ لَمْ يَذُقْ من الفقراء مَرارة القطيعة ؛ لا يَعْرف مقدار حلاوة الوِصال ، فكان من كمال حال الفقير الذي أراد الله أنْ يُؤهِّله لِتَرْبِيَةِ المريدين وإرشادهم وقوعه في بداية أمْرِه ؛ ولو في نيَّة المخالفات ، وذلك ليَصِيرَ عنده حِلْمٌ على العُصاة ، وصَبْرٌ على تقويم عوجهم ، **وأيضاً فإنّه بوقوعه في المَعْصِيَة يَزُولُ عنه الإعجاب بعمله ، ويَعْرف سَعَة حلم الله عليه ، ويقوم بين يَدَيْه بالذلّ والإطْراق والأدب، الذي هو مَهْرُ دُخُول الحضرة الإلهية** ، ولو أنّه لم يسبق له معصية لم يَعْرف ذلك وكان يسبق له مثل ما وقع في الإدلال على الله بعمله ، كما هو مُشاهد فيمن تربَّى على التورُّع ، وعَدَمِ ابتلائه بشيء من القاذُورات ، فتراه يرى الخلق كلّهم هالكين إلاّ هو ، وهذا عَيْنُ الكبر الذي أدْخل الله به المتكبّرين النار .

ويؤيّد ذلك حديث العابد ؛ الذي عبد الله تعالى في جزيرة في البحر خمسمائة سنة ، وأنّ الله تعالى يَقُول له يوم القيامة : ادْخل الجنّة برحمتي ؛ فيقول : يا ربّ ، بل بعملي . فيقول الله تعالى للملائكة : قايسُوا بين عبادته الخمسمائة سنة ، وبين نِعْمَةِ البصر . ففعَلُوا ، فرجحت نعمة البصر ، فأمر به إلى النار ، فقال : يا رَبّ ، أدْخِلْني برَحْمَتِكَ ، فأدخله .

مطلب : حكم المعاصي حكم الزبل

وسمعت أخي أفضل الدين يَقُول : **حكم المعاصي حكم الزبل الّذي يوضع في أرض شجر الفواكه ، فيحلّيها ويُطيب طُعْمَها** ، أو كحكم الأنفحة للَّبن ، فإنه مع حلاوته وطيب طُعْمِه ؛ يحتاج إلى الأنفحة المنتنة الخبيثة الطُعمِ لِتُثْبِتَهُ ، وتصُونَه عن الفسادِ ، فعَلى العاقل

أن يتفكَّر في حكم مَصْنُوعاتِ الله عز وجل ، ويعطي كلّ فعْل حَقَّهُ على الميزان الشرعيّ .

حكاية مهمة

وقد مكث شَخْصٌ من أهل الجدال في سُوق أمير الجيوش في حانوتٍ ، فصار يُنْكِرُ على أهل السوق من تُجَّار ودَلاَّلين[1] ، ويحكم ببُطلان بَيْعهم وشرائهم ؛ بأشياء لم ترد صريحة في الشريعة ، ممّا يخفى على كثير من الناس ، فشَكَوْا ذلك لي بحَضْرَةِ أخي أفضل الدين ، فقلت لهم : إن شآء الله أكَلِّمُهُ لكم ، فقال أخي أفضل الدين : الكلام لا يُؤَثِّرُ في مثل هذا ، إنما يؤثر فيه صَدمَةٌ إلهيّة ! ففي تلك الليلة وجَدُوهُ مع جارية جاره ، فقبضوا عليه بالوالي ، وأرادُوا يَجْرِسُونَهُ[2] بها وهي راكبة على ظهرِه ، فاجتمعَ عليه التجَّار والدلاّلُونَ ؛ وشَفَعُوا وخلَّصُوه بعد علقة[3] شديدة ، وغرامة فلوس ، فمن ذلك اليوم سكت عن الإنكار ، وصار هو يطلب منهم السكوت عنه ، فقال سيدي أفضل الدين : وعزَّة ربّي ؛ هذه الذلّة أنْفَعُ له من عبادته الّتي كان يتكبّرُ بها على الناس ، فإيّاك يا أخي وتَنْفيرَ مَنْ تاب من العُصاة بكلامك الجافي ، وعدم إحسانك إليهم ؛ فإنّ إبليس رُبّما قال لهم : أيّ فائدة لكم في صُحْبَة هؤلاء الفقهاء ؟ ! وتركتم أصْحَابَكُمْ الذين يحبُّونكم ويسترون عليكم زلاَّتكم ، وجئتم إلى مَنْ يحتقركم ويزدريكم ويكشف عَوْراتكم ، ويجيء لكم بحيلة الوالي ، فإذا صَغَوْا إلى كلام إبليس طلبُوا الرجوعَ إلى حالتهم الأولى ضرورة ، فَرَغِّبْ يا أخي مَنْ تاب من إخْوانِكَ في التوبة كل الترغيب ، وأحْسِنْ إليه كلّ الإحْسانِ ، واذكُرْ له ما وَرَدَ في قبول التوبة من الآيات

(١) دَرَمْ زِخُلِلْ چ (عجم) .
(٢) أي يفتضحونَه .
(٣) أي عقاب .

والأخبار ، تَكُنْ حَكِيمَ الزمان . والله يتولى هُداك . انتهى .

وقد طَوى هذا العارف الشعْراني قدس سره في هذه العبارات عِدَّةَ مَنافِعَ ، فعلى المتفطِّن البَصِيرِ أنْ يَتدبَّر بما فيها كلَّ التدبُّر ، ولا يَأْمَنَ مكر الله ولو كان على عبادة الثقلين ، ولا ييأس عباده من رحمته ؛ ولو بلغت الذنوبُ عنان السمآء ، فالحمد لله رب العالمين .

وسمعت شيْخَنا قطب الإرشاد ، العالم الربَّاني والعارف الصمْداني ، ذا الجناحين الحاج عبد الرحمن العسليّ قدس سره ، يُوصِي مُريديه بالدعاء له ، بل رَأَيْتُهُ يقبل على يَدِ بَعْضِ المريدينَ . وكان قدس سره يقوم دائماً إذا جاء لديه مُريدُهُ بتَرْكِ حِرْفته التي كان يَفْعَلُها ، وكانت عادَتُهُ أن يُشَيِّعَهُ قليلاً حينَ يَرْجِعُ مِنْ لَدُنْهُ ، وكان يخدم المريد بنفسه ، فهذه الأخلاق المرضيّة تشعر بأنّ صاحبَها يرى نفسه في نظره أقلّ مِنْ مُريديهِ . فجزاه الله عنا وعن أهلنا خَيْرَ الجزآء ، ورَزَقَهُ العافية إلى يوم اللقآء آمين .

وسمعته رضي الله عنه يُصرِّح بأنه يكون خائفاً من أن يكون من الذين يأمرون الناس بالبرّ ويَنْسَوْنَ أنفسهم ، وكان يقرأ قوله تعالى ﴿**لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾**﴾ . وقوله تعالى ﴿ **أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ** ﴾ . وقوله تعالى لداود عليه السلام : « عظ نفسك فإن اتّعظت فعظ الناس ؛ وإلاّ ! فاستحي منّي » . وهذه رَشحَةُ ما رسخ في قلبه من رؤية حَقارة نفسه عنده ، وعظمة خوفه من مَوْلاه ، وكلّ إنآء ينضحُ بما فيه .

وسمعته رضي الله عنه يقول : لو أكبّ جميع الناس على عُتْبَتِي ، أوْ رَجعَ عني جميعُ مَنْ في دائرتي إلى شيخ آخر ؛ لا أبالي ولا أتأثر . فالعياذ بالله من التفرقة بَيْنهما . انتهى .

وسمعته رضي الله عنه يقول : **الأنانِيَّةُ هي التي تمنع الرجل من الترقي إلى المقامات ، ويسقط من الأحْوالات** . انتهى .

وأخبرني واحد من أخصِّ أصحابه أنه قال له : إني أريد لو كنت مريداً ، والمريدون يريدون أن يكونوا شيوخاً .

وكان رضي الله عنه يُهَدِّدُنا بالإشارة من طلب المريدين ، وطلب الشُهرة ، ولم أسمعْ منه قطّ ؛ ولو كلمة واحدة فيها رائحة كبر أو إعجاب ، بل كان سُداهُ ولَحْمَتُهُ تواضع وخشوع . وله مريدون علومهم كالجبال الشامخات ، ومعارفهم كالأمْطار الجاريات ، وأنا لم أسْمَعْهُ يذكرهم ولو مرّة ؛ بل إنّما عَرِفْتهم من جهة أنفسهم . رزقه الله التوفيق للتخلّق بأمثال هذه المحامد يَوْماً فيوماً آمين . ولا هكذا أحوال أهل الدعوى من رجال هذا الورى في عَصْرِنا هذا .

وقد لَقِيتُ واحداً منهم فسمِعْتُهُ يقول : إنّ مِنْ مُريديه مَن يجتمع بالخضر عليه السلام ، ومنهم مَنْ يرى النبي عليه السلام ، ومنهم مَنْ يذكر الله تعالى ستّين ألف مرّة في المَلوين .

وسمعته أيضاً يقول : إنّه شيخ ديار كذا وإقليم كذا ، أي قال ذلك على قَصْد المَدْحِ والثناء ؛ ظانّاً أنّ الناس بذلك القول يعتقدُونه .

وسمعته يقول : إنّ له إذناً من طرف أربعة مَشائخ ، ومع ذلك قد وَجَدْته عند التجربة لم يضع قدماً واحداً في مَوضع الإرادة ؛ فضلاً عن مقام المشيخة ، حتى أنّي وَجَدْته لا يَعْرف مواضع اللطائف وما هي ! وما كيفية جريان الذكر بها ! مع أنه يزعم أنه شيخ نقشبندي ، وقد أقْبَلَ إِلَيَّ إقبالاً أكيداً ، وطلبَ منّي أن أكونَ مُريداً له ، فلاطفته بالأقوال ؛ وأَلَنْتُ له الكلام ، لِكَيْ أسارقه تَدْرِيجاً ، فأقَرَّني آخِراً أنه لا يعلم قواعد النقشبنديين وأصولهم ، وآلَ أمرُهُ إلى أن يَرْجع إلى العتبة العليّة ،

صاحب المعارف السنية ، سيّدي الشيخ الحاج عبد الرحمن العسلي ، قدس سره ووَعَدَني بذلك ، والله يَعْلَمُ حقيقة ما سيقع في حَقّه ، غفر الله له ولنا ، وسامحنا وإيّاه ، بجاه نبيّه عليه أفضل الصلوات ، وأزكى التحيّات ، آمين . فكم وكم مَرّاتٍ طَرَّدُوا الناس عن أبواب الصادقين ! وكم وكم بليّة أفشَوْا في هذا الورى في حق هذا الدين السليم ! خوْفاً من سقوط منزلتهم عند الناس ، فوالله إنّهم ألْفَوْا أمثالهم المتقدمين المتشيّخين مُكبّين على هذه المفاسد ، ظانّين أنهم هادُونَ مهتدون ، وهم الآن على آثارهم مُقْتدُون ، يعتقدون أنهم إلى ربّهم يرشدون . كلاّ وكلاّ ! بل إنهم ليَصُدّونهم عن السبيل ، ويحسبون أنهم مهتدون ، عافاهم الله أنّى يؤفكون . وزعم بعضهم أنهم من السادات القادريّة ، لمّا عجزوا عن فهم اصْطلاحات السادات النقشبنديّة ، ويفعلون أمُوراً لم يرد بها نصٌّ ولا حديث ، حاشا عن صدورها من السادات ، وما ذلك إلاّ لمجرّد جَلْبِ ما عند الناس من هذه الفانية ، ولا يَدْرُونَ أنّ ذلك أشدّ من قبضة النار ، وخرَط القتاد دونه ، ويُكثِّرون بهذه التمويهاتِ سَوادَهم ، ويزعمون أنهم على شيء ، وأنهم إلى الله راشدون . وزعم بَعْضهم أنهم أويسيّون ؛ لمّا عجزوا عن الجواب إذا سُئلوا ؛ من أين أخذوا الطريقة ، وإلى أيّ شيخ انتسبُوا ؟ مع أنهم لا يدرون معنى الأويسيّة ، وكيف التلقّي مع الروحانيّة ، وبأيّ شيء صَدَّرُوا طريقتَهم من الروحانيّة ! فما مَبْدَأ طريقتهم وما منتهاها ؟ ! ومتى يستحق للإذن والتصرُّف ؟ وما اصطلاح الروحانيّين في تلقينهم الطريقة ، ولازَمَ أن يكون التلقين مُرْتَبِطاً بالنبيّ ﷺ ؟ فإن كنت في شكٍّ ممّا قلناه ، فاسألْهم عن هذه الأشيآء ، وجَرِّبْهم ليطمئنّ قلبك بمَعْرفة ما عندهم ، فلعلّهم لا يدرون عن أيّ شيء يجيبون ، بل إنهم لا يكادون يفقهون قولاً ، وهم عن أمر ربّهم مُعْرضون ، وإنهم في رَيْبهم يتردّدون ، وبالمَجْهُول يعملون ،

وفي غفلتهم يَعْمهون ، وعن دخول الناس في طريق الله يطردون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وورد إليَّ من طرف أخينا[١] في الله العالم الربانيّ ، الأمير سيف الله الحسينيّ الغازي الغموقي النقشبندي رحمه الله مكتوبٌ ، ومن جملته هذه العبارات : **ثم اعلم** يا أخي في الدين ، ومُوَاخِي في طلب اليقين ، أوصيكم عن المخالطة مع هذه الطائفة - يعني المتشيّخين بنفوسهم بالدعوى - وأحَذّركم منهم ، لما أنّ أكثر الفتنة في هذا الزمان في الدين والدنيا منهم ، وثَلْمَةُ الإسلام بهم ، والجهلاء يتمايلون معهم تمايل الغصن ، والنفس أمَّارة لا تتبع إلاّ المنكر المخالف للدين ، وإيّاك والمجادلة معهم ، والاستماع لخزَعْبلاتهم ، والوثوق لأحد في حقهم ، والقرب معهم ، والنصيحة لهم ؛ فإنهم لا يُطيعُون لأحد ولو أوحي إليهم من ربّهم ، إلى آخر ما قاله قدس سره ، وقوله هذا حقٌّ صادق وجرَّبناه مراراً فوجدنا الأمر[٢] كما قال ، جزاه الله عنا خَيْراً آمين .

فقد نصَحَ واحدٌ لِواحدٍ منهم[٣] ، فكاد أن يَمُوتَ غَيْظاً ، وأخبرني أبْعاضٌ من الناس أنّه قال : إنّ خِنْزِيراً خَيْرٌ من ذلك الناصح . وبعد ذلك أرسل إليه مكتوباً مَشْحُوناً بالقذف والبهتان عليه وعلى شيخه ، وأوّل ما كان فيه هذه العبارات : إلى الحبشيَّيْنِ الأسْوَدَيْنِ ، والجَسوسَين الأسْحَرَيْنِ فلان وفلان إلخ وقال فيه مخاطباً له : الحمار الأسْوَد .

---

(١) (أخينا في الله) إنما قال المؤلف ذلك لأنّ الكتاب كان مؤلفاً قبل دخوله في تربيته ، ولذا لم يقل من طرف شيخنا ، فافهم . (منه قدس سره العزيز ونفعنا بتربيته ، آمين) .

(٢) أي : وجدناهم لا يطيعون لأحد ، ولا يقبلون النصيحة . . إلخ ، والحكمة في ذلك : أن النزول عما يتلقاه الفتى من آبائه وشيوخه صعب جداً ؛ حقاً كان أو باطلاً ، كما قال به أبو طالب القزويني في « سراج العقول » ونقله الشعراني في « اليواقيت » راجع « تنوير الصدر » في ٣٧ من هامش « مجموعة الأحزاب » (منه) .

(٣) أي من أهل الدعوى .

وبعد ذلك كتب مريده إليه مكتوباً آخر ، قائلاً في حقه بقطب أقطاب الشياطين ، والكلبة الحَبَشيّة واه واه .

وأخبرني بعض العلماء ؛ ممّن أثِقُ به ، أنّ واحداً من مريديه حَلَفَ بطلاق زَوْجَته طلاقاً بائناً ، بأن ما يَفْعَلُهُ شيْخُ ذلك الناصح ، من تلقين أذكار الطريقة النقشبندية مما لا يجوز .

وهكذا كان واحدٌ مُريداً لمتشيخ ، وكان من العلماء العارفين ، وكان مأذوناً لتلقين الذكر منه ، ثم أدركه اللطف الإلهي ، وعرف حقيقة ما يفعله[1] ، بل تيقَّن أنّ الحق ليس إلاّ بيد شيخنا العسلي ، فدخل في عهده وأخذ منه ، وترك منصب شَيْخُوخَتِه ، وبَعْدَ ما عرف حقيقته مُريدٌ آخر الذي كان في دائرة ذلك المتشيخ مثله قَصَدَ لِقتال ذلك العالم ، وحسده حسداً بَليغاً ، وهجر منه ، وهكذا كان واحدٌ من أهل الدعوى قال لذلك العالم المذكور : افعل كذا وكذا وِرْداً ، واقرأ سورة الإخلاص كذا وكذا مرة ، من غير أن يطلب منه ، لكنْ لم يكن يفعل ما أمره به ، لعلمه بعدم كونه شيخاً ، بَيْدَ أنّ ذلك المتشيخ ظنّ أنه في عهده ، وأنه ممتثل أمره .

ثم إذا علم دخوله في عهد شيخنا تكلّم ذلك المتشيّخ خلف ذلك العالم بكلام جافٍّ توبيخاً له وعتاباً في مجمع من الناس ، وبعد ذلك أرسل إليه مكتوباً بأنّ ذلك العالم صار من المجرمين ، يعني لأجل دُخُوله في الطريقة النقشبنديّة .

وقد رأيْتُ ذلك المكتوب بعَيْنَيْ رأسي ، وسلّمته إلى أيدي العلماء الربانيين ، فتعجَّبُوا به وبكاتبه ، وحكموا بالنظر إلى جميع ما فيه من الكلمات التي كالأعاجيب ، بأنْ ليس ذلك الكاتب من أهل الذوق والوُجْدانِ ، غفرالله لنا وله آمين .

---

(١) من أنه ليس بطريقة مّا من الطرق انتهى .

وأيضاً إني رأيت مكتوباً كتبه واحد منهم بخطه ، ليدور في القرى بما حاصله : أن الذكر الخفي لا يثاب عليه فاحذروا من الاغترار بأهله ، وكان الكاتب يزعم أن له من طرف القادرية إذناً ، فلعله أراد أن يتوجه إليه الناس مدبرين إلى أرباب الذكر القلبي ، ولا يخفى أنْ ليس هذه من أحوال أهل الطريق ، وأخلاق أرباب التحقيق ، عصمنا الله تعالى من أمثالها بمنّه وكرمه .

وأمّا أحْوالُ مريدي تلكم المتشيّخين ! فهم غَضْبانٌ على مَنْ سِواهُمْ من مريدي شيخ آخر ولو كان حقاً ، ويتكلَّمونَ خلفهم بالغيبة ، ويحطُّون فيهم بالنقص والقصور ، ويَجْعَلُونَ بينهم الغَوْغاء والشحناء ، فجميع هذه المفاسد مُتَرشّحَةٌ من عدم كيْنُونة تلكم المشائخ على الحق والاستقامة ، ومن تضييعهم أصُول مشائخ الطريقة ، ولو كانوا مشائخ لما دَخَلُوا في ناحية فيها شَيْخٌ سابِقٌ ! ولما جَعَلُوا فيها ولو واحداً من المريدين ! فإن تعدُّد التلقين في بلدة خلاف الأصول في كل الطرق ، كما يعلم ذلك مما يأتي آنفاً .

الباب الخامس عشر

في بيان عدم جواز الإرشاد في بلدة مثلاً إلا للشيخ السابق

قال الشيخ سليمان الزهدي : ومن وصية مولانا خالد قدس سره للخلفآء المأمورين بالإرشاد على شروطه : أن لا يستقلّ المأموران على التلقين والإرشاد في بلدة واحدة ؛ إلا أن تكون البلدة في حكم بَلْدَتَيْنِ ! مثل إسلامبول ، أو يكون اللاحق يتبع السابق ! فلا بأس به ، فلما أجاز لي الشيخ إسماعيل أفندي في ثمان وستين ، في البروسة ، أراد الحقير[1] الحرمين الشريفين ، فاستأذنت منه ، قال لي : كيف مرادك ؟ قلت : إنما

---

(١) أي أن يذهب إلى . انتهى .

مرادي التردُّد والزيارة بين الحرمين حتى أموت ، فقال لي : لو غير الحرمين[1] ما رضيت لك الخروج من بروسة ، ثم قال للحقير : فاستقم بأمر الإرشاد في المدينة المنورة ، عسى الله أن يفتح لك في ذلك الخير والثبات ، بجاه الرسول ﷺ ، فإنا ما سمعنا ثبات خليفة فيها إلى الآن ، وأمّا في مكة المكرمة ، مَا يَصْلُحُ لك غير اتباع قَائِم مقام الشيخ عبد الله أفندي ، ثم أذن لي السلوك عند سيدي الشيخ سليمان أفندي ، والصُحْبَةَ معه ، ما دُمْتُ فيها ، ويسَّر الله لنا السلوك في يده .

وفي أواخر السلوك قال للحقير : رأيت البارحة شاه نقشبند ، ومولانا خالد قدس سرهما ، جالسان في هذا المحلّ ؛ كأنيّ أدخل عليهما من باب الصُفّة ، قال لي مولانا خالد : أرسل سليمان ، أرسل سليمان ، فإذاً رأيت بلدة فيها مسجد كبير جداً ، وفي جهة قبلته حمام ، وقال : فانتبهت ولكن اشتبه البلدة التي رأيتها ، وقال الحقير : خير إن شآء الله تعالى .

وفي سنة تسع وستين بعد الحج ؛ أراد الحقير المدينة المنورة ، فاستأذنت منه إليها ، وقال لي : فاشتغل بأمر الطريقة فيها ، ولم يكن من خلفاء الخالدية أحَدٌ فيها ، والذي اشتبه عليّ في الرؤيا هي المدينة المنورة ، في أمْر حضرة مولانا ، واعتذرت عن حالي ، وعدم لِيَاقَتِي عند سيد الكونين ﷺ ، ودعا لي ، وأوصى ببعض الأشيآء إليَّ ؛ وعبد الحميد أفندي الداغستاني معنا في السفر ، وهو مأذون منه ، فلما دخلنا المدينة اشتغلت بالختم والتوجّهات ، قَدْرَ ما يسّر الله عزّ وجلّ ، وكذلك عبد الحميد أفندي ، اشتغل بهما ، وكتب لسيدي الشيخ تشكراً عن حاله ، فكتب له الجواب : إني قد أمرت ذلك لسليمان أفندي فيها ، وتعدُّد التلقين ، والحلقة في بلدة واحدة خلاف أصول الخالديّة ؛ ما

---

(١) أي لو كنت تقصد غير الحرمين . فافهم (منه) والله اعلم .

دمتَ فيها فاتبع لسليمان أفندي ! وبعد ما وصل له الجواب ، جاء عند الحقير وأخبرني القصة ، واعتذر مني ، وداوم هو ومن معه في الحلقة عندي .

وفي حج سنة أربع وسبعين ، أمرني سيدي الشيخ في مكة المكرمة بأن يكون الحقير عنده فيها ، وقال لي : اكتب لعبد الحميد أفندي أن يشتغل في مقامك في المدينة المنورة ، وكتب الحقير له بذلك ، حماه الله تعالى وإيانا والمسلمين آمين .

وفي سنة أربع وسبعين جاء سيدي الشيخ سليمان لزيارة سيد الكائنات ، عليه أفضل التحيَّات ، وعلى آله الطيبات ، فَسُئِلَ عن الحقير عن جمعيّتنا وجماعتنا ، فَأَخْبَرْتُهُ ، وقلت : إذا وجد الماء بطل التيمّم ؛ أنا والجماعة لكم ، وعلى نظركم ، فقال : سمعت الشيخ عبد الله ، عن مولانا خالد قدس سره قال : لو أرسلت خليفة إلى بلدة ، وأمَرْتُهُ بالإرشاد فيها ، ولو دخلت فيها لحاجة ، لا[1] استقلّ بإرشاد فيها لأجل خليفتي ، الذي أرسلته أولاً ثم قال : فاستقم كالأول بالختم والتوجهات في الأوقات التي اخترتَها ، والإخوان الذين معنا كلهم يحضرون الختم والتوجُّهات في المحلِّ الذي عينتَه ، وأنا عاجز عن مجيء ذلك المحل ، وبعد صلاة العصر كلكم تعالوا عندنا في البيت ، يكون الختم الخواجكان كما في مكة المكرمة ، وعادتنا في المدينة المنورة بين العشائين ، عند باب المجيدي ، في مكتب الصبيان ، على شروطه ، وسمع الحقير من الشيخ محمد بن الشيخ محمد خاني قائم مقام حضرة مولانا قدس سره ، في موسم الحج ، قال[2] في حياة الوالد رحمه الله تعالى جاء واحد من خلفاء الأكراد إلى الشام ، وباشر أمر الطريقة بالختم والتوجّهات ،

(١) وفي نسخة : لما .
(٢) وفي نسخة : جاء .

والوالد ساكت عنه وهو يطيل لسانه على الوالد قال الوالد يوما : فجّعنى أمر الرجل ، فصلّيْتُ البارحة لله عزّ وجلّ ، واسْتَمْدَدْتُ من روحانية الحضرة[1] ، وقلت : عدم التعدد من أصول طريقتك ، عليك محافظة الأصول ، وعلى الله أمر الرجل الذي يخالف أصولنا ، فإذاً ما بقي عشرة أيام ؛ إلا توفّي الرجل ، وتفرَّق أمره ، ونظير ذلك كثير في مكة المكرمة ، من مشائخ الحجاج ، ومن المتشيّخين المجاورين ، الذين لا يعرفون أصول طريقتهم[2] ، وهم خارجون من الطريقة بتلك المخالفة ، بل معدودون من المبعودين ، ولكن الحقير ما يقول فيهم إلا مثل قول سيدنا إبراهيم عليه السلام : فمن تبعنا فإنه منا ، ومن يخالف أصولنا فإنك غفور رحيم ، وبإصلاحهم قدير وجدير ، ربنا هب لنا من لدنك رحمةً ، وهيّىء لنا من أمرنا رشداً ، وهذا الأصل من مولانا خالد قدس سره ، بل هو أصل في كل الطرق مُشارٌ بقوله ﷺ ، عن أبي هريرة : « ما بعث الله من نبيّ ، ولا استخلفه خليفة ، إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضُّه عليه » ، والمعصوم من عصمه الله .

الخليفة : تشمل الأمرآء بالشرع الشريف ، في كل بلدة ، ولا يصلح تعددهم إلا بالتبع ،

وتشمل الأمنآء بأسرار الحقيقة ، من كل الطرق ، وكذلك لا يصلح تعددهم في بلدة ، إلا بما كان منصوصا ، كما ذكر . انتهى كلام الزهدي من هامش « نهجة السالكين » ٣ .

وفي « مجموعة الرسائل » في ١٠٧ لسليمان الزهدي ، رحمه

---

(١) أي خالد شاه .

(٢) وفي « إظهار الحق » وكان إبراهيم الدسوقي رحمه الله يقول : لا ينبغى للفقير أن ينتسب إلى واحد من مشائخ الفرق كالقادرية والرفاعية والبسطامية والادهمية والسهروردية وغيرهم إلا إن مشى على قواعدهم ، فإن لم يمش على قواعدهم فأوّل من يتبرأ منه شيخه الذى انتسب إليه .اهى . (منه رحم الله إفلاسه) .

الله تعالى أيضاً . بسم الله الرحمن الرحيم : وسئل هكذا : ما قولكم دام علاكم يا سادتنا مشائخ النقشبندية الخالدية ؛ فيما إذا اجتمع الخلفآء المأذونون من المشائخ الخالدية في مكان واحد ، كما في بلدة واحدة ، كل واحد منهم في محلّ قريب بعضهم لبعض ، واتّفقوا وتراضوا على أن يلقِّنوا الطالبين بالذكر المعهود عندهم ويسلكوهم ، وحصل منهم اجتماع الرأي من غير عداوة كلٍّ[1] على حِدَّته ، فهل ذلك مَرْضِيٌّ عند ساداتنا الخالدية أو لا ؟ كما هو مذكور في رسائلهم أنهم لا يجيزون تلقين المريد إلاَّ للسابق ، ويكون اللاحق تابعاً له ؟ أفيدونا أثابكم الله ، ثم إنهم بعد ما كثروا نحو المأتين أو أكثر ، اتّفق رأيهم على أن يشتغلوا ختم خَوَاجَكَان في مكان واحد ، في وقت واحد ، وجعلوا حلقتين أو أكثر ، في كل حلقة واحدٌ من الخلفآء يُرَتبهم بذلك الختم ، فصار كلّ حلقة يختم ؛ لأنهم لو اجتمعوا في حلقة واحدة فلا يكفيهم الأحجار المعهودة ، فلا يقرأ الختم أكثرهم ، فهل يجوز ذلك أم لا ؟ أفيدونا ، وبيِّنوا لنا بالنصّ من الأصول ، أثابكم الله ثواباً جزيلاً .

أجاب بقوله : بعد الحمد لوليّه ، الجواب كما هو المذكور بعدم الجواز ، فإن في عصر مولان خالد قدس سره ، اجتمع خلفاءه في السليمانية في بلدته ، وقدم عليهم الشيخ عثمان الطويل ، وكذا في البغداد ، قدم عليهم الشيخ عُبَيْدُ الله الحيدري ، **وكلهم تابعون للمقدم عليهم في التلقين والتقديم ، على حسب العادة** .

وبعد انتقال مولانا خالد قدس سره جرى الأمر كما في السابق ، بوصيّة لهم ، وبأمره بذلك لخلفآئه وخلفآء خلفائه المأمورين بالإرشاد . وأما المتشيّخون فقائمون بنقض الأصول ـ أصلحهم الله ـ وما دلّ على هذه الأصول أيضاً .

---

(١) وفي نسخة : من غير عداوة ، كلٌّ على حدته .

حكاية سيدى الشيخ سليمان في امتحان السيد الشيخ عبد الله ، واختباره لخصوص بعض خلفائه ، وذلك أنه جمع الشيخ سالم والشيخ إسماعيل في حضوره ، وقال لهما : إني جعلت سليمان هذا قائم مقامي بعد وفاتي في أمر الإرشاد ، كل مَنْ يريد الانتساب للطريقة من جماعتكم تأتي به إلى سليمان ، وإن أبى أحد منكم ، لكونه التركي ، أجزت لكما بالتلقين للذي أبى ، كيلا يكون محروماً ، وقالا في جوابه : أنت شيخنا لا نخالفك[1] في ذرّة من أمر الطريقة ، وإذا أتى عليك أمر الله ، والقائم مقامك ، هو شيخنا مثلك لا نخالف أمرَه وأمرَ طريقتنا أبداً . فتشكّر الشيخ بما قالوهُ ودعا لهم بالثبات في رضاء الله تعالى .

وجرى عين القضيّة من سيدي الشيخ سليمان لمحمد أفندي قريمي خليفته ووكيله في حياته .

وكتب الشيخ أسرى لسيدي الشيخ سليمان إلى الطائف : طائفة من الحجاج يريدون الانتساب ويَرْجون أن تأمر لوكيلكم أن يلقِّن الذكر لهم . وأجاب : إن تيسّر لهم الطلوع إلى الطائف فنعم ، فإن لم يتيسَّر فيأخذونها من خلفآء بلادهم ، فكلّنا واحد ، فلا يمكن بالوكيل[2] .

والشيخ إسماعيل أرسل الواحد من جماعته للانتساب ، والواحد لتقرير إجازته السابقة إلى الطائف ، وهذا الذي جرى من سَلَفِنَا ، فمن أراد الاتباع فنعم الغنيمة . وظهر مما ذكر أن الاتفاق والتراضي مخالفة

---

(١) أي : لا نخالفك بترك أمره فإن مخالفته مخالفتك ، والله أعلم .

(٢) وقد طلب واحد من الإمام الرباني قدس سره الإجازة من جانبه قائلاً إنّ لنا إجازات من مشائخ السلاسل الآخر ونريد من جانب النقشبندية أيضاً إجازة ، فكتب في جوابه هذه العبارات : أيها المخدوم المكرم إنّ المشيخة والمريدية في الطريقة النقشبندية العلية بتعليم الطريقة وتعلّمها لا بالكلاّء والشجرة كما هو متعارف في سلاسل أُخر . وطريق هؤلآء الأكابر صحبة وتربيتهم انعكاسية إلى آخره ، والمرجو مسامحتكم ؛ والعذر عند كرام الناس مقبول والسلام انتهى .كذا في « الدرر المكنونات » في ٢٨ من الجزء الثاني (منه) .

للأصول والسلف ، وأمّا تعدد الحلقة لتعدد الختم خواجكان ! فلم يكن في زمان مولانا قدس سره ولا بعده ، مع كثرة الجماعة ، فأصل المقصود حضورهم في الحلقة ، إن جآء من تقسيم الحجر يقرأ بقدره ، وإلا فيجلس بالوقوف ! ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، وأتمم لنا نورنا ، وثبتنا في رضاك أمين ، وأنا المسكين المستهام ، سليمان الخالدي النقشبندي ، المجاور ببلد الله الأمين ، قد حرّر بسال خذ انتهى في ١٠٦ .

وفيه أيضاً في ١٠٦ في أثناء مكتوب : ومن جملة آداب طريقتنا ، أن الإخوان الذين أنابوا من المأمور بالإرشاد بيد صحيحة ، ويلازمون بالعهود والشروط كلهم كجسم واحد ، وحلقتهم واحدة ، ولا يمنع أحد عن الحلقة على شروطها وآدابها إلا جماعة المتشيّخين برأيهم ، أو المطرودين بسبب ترك أصول الطريقة العليّة ؛ فإنّهم ناقضون العهود ، ومغيّرون الشروط ، والصيانة عنهم لازم لأهل الاستقامة . انتهى .

وفيه أيضاً فى ١٠٠ بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي أوجب التحابب لعقود الأخوّة ولو بِمُرَاسَلَةِ الكتاب ، والصلاة والسلام على النبي الكريم الذي أوعد على من كتم جواب سائل بلجام العتاب ، وعلى آله المقدّسين عن زيغ المتشابهات بتمسُّك محكم الكتاب ، وباتباع فصل الخطاب .

أسئلة مهمات وأجوبة مرضيات

أما بعد : فهذه أسئلة وردت من بعض خلفاء الخالدية هكذا ؛ ما قولكم دام علاكم في شخص باشر الاشتغال بإجرآء الطريقة الخالدية ، وانتسبَ منه جماعة وأدخلهم ربع السلوك الأربعينيّة ، وبعد فراغهم أجاز لبعض منهم ، وأدخل الناس على يده في السلوك ، فهل يكون

المجاز له بمجرّد ما ذكر مرشداً كاملاً ؟ و[1] تصح خلافته ؟ و[2] مضى مثله ما بين معاشر السادات النقشبندية ؟ وكذا ، هل يكون المريد من غير سلوك الأربعينية أو نصفها أو رُبُعِها مريداً كاملاً لائقاً للخلافة وإعطائه الخلافة ؟ و[3] جرى مثله في إجرآء أصول الطريقة المزبورة ؟ وكذا الفتى إذا لم يبلغ عمره الحلم ، هل يجوز تلقينه الطريقة والإذن له للخلافة ؟ وكذا ، هل يجوز للخلفآء الخالديّة إظهار أورادهم المعهودة ،

---

(١) أي هل .
(٢) أي هل .
(٣) أي هل .

* فإن قيل نحن نجد في قول بعض العارفين رحم الله تعالى ؛ من لم يدر بنظرة من المريد ابتداءه وانتهاءه فليس له سبيل للمشيخة . . . الخ . ومن المعلوم أن الناقص المأذون لا يكون له تلك النظرة فما ذا يجب عليه ، فاعلم أن الناقص يستخير من أرواح السادات الأعيان فإذا ظهر له علامة القبول وانشرح الصدر يلقن المريد وإلا فلا . ويؤيّده ما قال الإمام الرباني مجيباً لمن شكى إليه من عدم استقامة الطالبين . . .الخ . ينبغى تعليمهم الطريق بعد الاستخارة من أرواح السادات الأعيان وحصول الاطمئنان ، فإن استقاموا فازوا وإلا فالضرر راجع إليهم لا إليكم . وقال أيضاً في موضع آخر إن تعليم الطريقة بعد الاستخارة والتوجهات أيّا من كان مناسب بل لازم انتهى . راجع الدرر في ١٤٧ من ٣ والبهجة من ٣٨ .
وقد قال بعض العارفين في رسالته : أن هذا القول وأمثاله وإن كان حقاً لكن على سبيل الفراسة الظنية الأغلبية وإلا فلا يطلع على حقيقة العاقبة إلا الله سبحانه ومن شاء من عباده . كيف لا وقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد القبول التام لبعض الوافدين لديه مؤمنين ثم بعد ذلك ارتدوا على أدبارهم . انتهى . وقال في بعض رسائله أيضاً : ولكل وقت أهل يليق له هؤلاء الساداة القادات أرباب القلوب والمشاهدات وهم جواسيس القلوب ومن فتحت بصائرهم من الغيوب كان لهم ملكة لتمييز الصلحاء من الطلحاء وتفريق الأصفياء من الأخبثأء ، ومن أين لنا ذلك التصرف في هذا الزمان الذى اختفى الأولياء الكمل عن الأبصار وغابت الأخيار بشؤم الأشرار . فإنما نحن على سبيل التطفل أو الوكالة نلقن الحاضرين امتثالاً لأمر مشائخنا فقط ، ونرجوا الله تعالى أن يوفقنا للسداد ويجعلنا أهلاً للإرشاد إنه ولي التقوى ومولى القوي . ولقد ارتدّ ممن آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قبلهم ، وكذا من أتباع السادات من رجع إلى العصيان قهقرى . فليس عليك أيها الأخ أن يكون جميع المريدين صلحاء أتقياء ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ فعليك الاجتهاد في إصلاح أحوالكم وأحوال المريدين ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ انتهى .

كالتوجُّهات والختم خواجَكان ، بَيْنَ أعْيُنِ الناس ومواضع اجتماعهم ؛ كالأسواق وما أشبهها ، أم يكونون بفعلهم ذلك تاركين أصول الخالدية وآدابها ؟ أفيدونا بالجواب في هذه الأسئلة ؛ لأن تكون للغافل تذكرة ولكم الثواب .

الحمد لله رب العالمين ، رب زدني يقيناً وألحقني بالصالحين ، وبعد : فإن هذه الأسئلة لا تقتضي الجواب لمن كان له في أصول الخالديّة ممارسة واطلاع في كتبهم ورسائلهم ، ولكنّ الحقير يجيب بحَوْل الله لمن لا اطلاع له بذلك ، وليكون نصيحة للمبتلى به .

اعلم أن جواب هذه الأسئلة يوجب معرفة الخلفآء المأمورين بالإرشاد ومقامهم ، وآداب مسلكهم ، فالخليفة إما أن يكون قائماً مقامَ شيخه ، بأمره له وبوصيّته إليه ، وهو كشيخه في مقامه وحالاته كلها ، فلا يجوز تخلُّف الخلفآء والمريدين[1] عنه أبداً ؛ بل يتبعون القائم مقام الشيخ هلُمّ جرّاً ، أو باتفاق آراء الخلفآء والمريدين على واحد منهم ، فيقيمونه مقام الشيخ كذلك بشرط الصلاح بتكميل المقامات المعروفة عندهم ، وإما أن يكون مأموراً بالإرشاد من شيخه لبلدة مخصوصة ، أو ما تيسّر له الإرشاد من البُلدان أو الناحية ، بشرط أن لا يوجد غيره مأموراً بالإرشاد قبله في ذلك ، فإذا وجد غيره ! يتبع له ويلازم في حلقته ؛ فإن المقصود الاستقامة لله فهى حاصلة بالاتباع فانهم كجسد واحد ، فإذا استعمله السابق في الحلقة فهو بنظره ، كما بيناه في هامش « نهجة السالكين وبهجة المسلكين » ، رواية عن مشائخنا ؛ فإنّ تعدّد المأمور في بلدة واحدة ممنوع إلا ما استثناه مولانا خالد قدس سره وهو إسلامبول ، فهو ثلث قطعة حاجزها البحر . وإما مأذوناً لنفسه ؛ فهو لا يصلح للخلافة ، بل المأمول منه الاستقامة بالاتباع على كلّ حال ، فلو

---

(١) وفي نسخة : والمأمورين .

استعمله مرشده في الحلقة فهو لمصلحة الاستقامة له ، فأصل الأربعين في الطريقة من آدابها ، ولكن لا يستكمل النفس ، ولا تتم التربية في زماننا إلا بالأربعينيّات بشروطها وآدابها ، وأما استحقاق الخلافة بأربعين واحد للمبتدىء ! ما سمعناه من مشائخنا ، ولا رأيناه ، فلا يحصل في هذا الزمان أصلاً ، فلا يغرّ قصة العزيزان ! فإن ذلك خارق للعادة ، فلا يجوز طلبها . وروي أن العزيز ما طاق بما استحمله من الأحوال ، فتوفي في ظرف أربعين يوماً ، وكذلك استكمال حضرة مولانا خالد قدس سره فإنه من جهة علومه العقلية والنقلية ! إمام زمانه ، وفريد عصره ، وفائق أقرانه ، ومن جهة طريقته ! كان قادرياً مأموراً بالإرشاد ، ولكن ما نال أحوال النقشبندية ، ثم دخل فيها وحاز الإكمال بعد التكميل والقطبية ، وتمهيد الأصول بالتجديد ، ببيان مشايخه له قدس سرهما ، وذلك في سنة واحدة وأربعين مُتَعَدِّدٍ ، فلا يقاس عليه غيره . وقال قدس سره : ملكتُ نصفَ مريد في عمري . أراد به الشيخ إسماعيل ، القائم مقامه .

والحقير أمْعَنَ أحوال المريدين في المدينة المنورة ومكة المكرمة أربعاً وعشرين سنة ، فلم يجد أحداً من الصلحآء يستحق الخلافة في عشرة أربعينيّات ، إلا نادراً .

والحال أن أربعيناً واحداً في مكة المكرمة ، يعدل مائة ألف أربعينيّات في غيرها ، كما ورد في مضاعفات الحسنات فيها ، بل بعض الخلفاء يجيء عندنا ويدخل الأربعين فلم يتحقّق له أحوال حقيقة القلب فيه ، فكيف الاستحقاق للخلافة ؟ قال سيدي الشيخ سليمان قدس سره : إن السيد الشيخ عبد الله قدس سره أجاز لبعض من لم يستكمل المقامات بقاعدة : خير الناس من ينفع الناس[1] . وكذا جرى

---

(١) ومن هاهنا يعلم بطلان ما يفعله البعض من إعطاء الإجازة للمريد وقت تلقين الذكر من غير مهلة وتراخ ، مع عدم استكماله المقامات وعدم وصوله الى درجة « مع أن الشيخية=

مني لبعض المريدين ، ولكن ما رأيت منهم خيراً ، بل جرى منهم الضرر على الطريقة وعلى أهلها ، ثم قال للحقير : لا تعط الإجازة لمن لا يستحقّها .

نعم أمر مولانا خالد قدس سره بختم خواجكان فقط لخمسة نفر اجتمعوا من المريدين يباشر أحدهم ، وما دونهم مخيّرون في الفعل والترك ، ونهى قدس سره عن تلقين الطريقة للأمرد الصبيح ، وإذا لم يكن الأمرد صبيحاً رخص تلقين الذكر له ، وأما الإرشاد منه إذا استكمل العلوم العقلية والنقلية ، وحاز المقامات والخلافة بشرائطه ، فلا بأس بالإرشاد ، ولكن لم يسبق مثله في السلسلة النقشبندية فافهم ، ولا تك كحمّاق الزمان .

وكذا منع قدس سره الجهال عن الإرشاد ، ولو استكمل المقامات ، فهي لنفسه .

وأما إظهار الأحوال للأجانب لا يجوز عند الخالدية ، فكان اشتغالهم في محلهم مسدوداً بالباب ، ومستوراً عن نظر الناس ، كما هو المشهور عندهم ، ومن خالف أصول ساداتنا الخالدية ؛ وتخلَّف عن المأمور بالإرشاد منهم ، وترك آدابهم ، فهو ناقض عهده عنهم ، وخارج عن بيعتهم ، ومطرودٌ عن طريقتهم ، وبذلك كان مقطوعاً عن فيوضاتهم ، ومحروماً من بركاتهم ، وإذا عمل المشيخة مع هذه الحالة المهلكة والتخلُّف فهو متشيّخ ؛ زيِّن له الرسم والصورة كسراب بقيعَة ، أو كشجرة اجتثت في الأرض ما لها من قرار ، وهو قطاع الطريق على

=والمريدية بتعليم وتعلم في هذا الطريق » من دراجات الولاية ويردّه أيضاً ما ذكره الإمام الرباني في « رسالة المبدأوالمعاد » من أن بعض الكملاء يجيز بتعليم الطريقة لمريد فيه استعداد درجة واحدة من دراجات الولاية بعد حصول تلك الدرجة ، إلى آخر ما قاله فيها وراجعه في ٩٣ من هامش « الدرر المكنونات » من الجزء الثاني (منه رحم الله إفلاسه) .

طالب الحق ، وضل سعيه ، وأضلّ تابعيه ، فيجب للخلفآء المأمورين بالإرشاد صيانة مريد الحق عنهم ، وحماية الحلقة عن جماعتهم ، كي لا يسري شناعة الطرد للمخلصين ، وشيْنهم للمريدين ، فإن المتشيّخين المتشبهين كثر في زماننا ؛ حتى في مكة المكرمة ، فإن سيدي الشيخ سليمان قدس سره منع المخلصين عمّن أسآء الأدب ، وكان من المطرودين عن طريقتنا بتخلّف قائم مقام شيخه ، ومخالفتِهِ الأصول ، وكذا مَنَعهم الحقير عن صحبة من اتبع بإساءةٍ ، وهم المتشيّخون في مكة المكرمة ، والمطرودون عن طريقتنا بسبب التخلُّف ، والمضلّون على طالب الحق ، ولكن المعصوم من عصمه الله تعالى . عصمنا الله عزّ وجلّ والمخلصين عن كيد المتشبّهين المشتبهين ، ومكر المتشيّخين المرتسمين ، بفضله العميم ، آمين . وعلم الجواب ممّا ذكر ، أن المذكورين في السؤال والحال ما ذكر فيه ؛ إن هم إلاّ من المتشيّخين ، ومن أصحاب المرتسمين الخارجين عن طريقة الخالديّة المجدديّة الضيائيّة ، بهذه الحالة المهلكة ، والرسوم الملجئة إلى تهاون الأصول ، بسدِّ المسالك عن أهل الوصول ، الناجي المحفوف تحت قباب الله عزّ وجلّ ، فيجب عليهم التوبة ، والرجوع عن إجرآء الرسوم المذكورة ، بتحديد الانتساب من المأمور بالإرشاد بيدٍ صحيحة في زمانهم ؛ لصلاحهم وفلاحهم ، بتكميل المراتب والمقامات ، والاستقامة على الأصول المعهودة ، هذا والحمد لله رب العالمين ، وسلام على المرسلين والتابعين الفالحين ، آمين .

قد بيّض في ذي الحجة رضوع[1] وأنا المسكين المستهام ، سليمان الزهدي الخالدي المجددي النقشبندي ، ابن حسن عفاً الله عنهما وعن المؤمنين المجاور ببلد الله الحرام . انتهى .

---

(١) أي معناها ١٠٧٦ وفي نسخة : رصوغ .

وفيه في ٩٥ أيضاً : هذه حادثة الحال لبعض الخلفآء ، من ترك أمر الإرشاد في بلدة بلا عذر ، واستقام غيره فيها به سنِينَ ، حين ترك الأول ، أفيدُونا كيف الحال ؟

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لوليّه ، والسلام على نبيّه ، وعلى آله ، وبعد : ربّ زدْني علماً ، وهيّىء لنا من أمرنا رشداً .

نعم ، والحال ما ذكر ، فإن ترك المأموريّة من غير عذر ، مع وجود الطالب نقض العهد ، وتخلّف البيعة ، وهو مسقط السابقيّة ، بل مسقط المأموريّة بالإرشاد ، فليتدارك المبتلى إلى تحصيل مَنْزلته الأولى بالملازمة إلى المرشد المأمور به ، وإذا حصّل منزلته الأولى ، لم تحصل السابقية له ، فيتّبع لمن سبق عليه في حال فترته ، وذلك غنيمة له . . الخ . انتهى .

فبهذه المذكورات يُعْلم عدم جواز ما يفعله متشيِّخوا ديارنا الداغستانية من دورانهم في البلدان اللواتي فيها شيخ مأذون سابق ، وأخذهم فيها المريدين والمريدات ، فكلهم سببٌ لإيقاع الفتنة بين الناس ، ونقض نظامهم فيما بينهم ، وطردهم عن أبواب أهل الكمال والتكميل[1] ، ولو لم يكن فيما فعلوا إلا منع الناس عن أخذ الطريق الحق

---

(١) ومما يجب على الشيخ إذا طرأ على ناحية فيها شيخ مثله ، أن لا يَبُشّ وجهه لأحد فيها ولا يفعل شيئاً ماّ يميل إليه قلوب الناس ويصرف به اعتقادهم من شيخ تلك الناحية ، بل يحثهم إليه ويمدحه في وجوههم لكي يزيد اعتقادهم فيه ، وإنْ طلبوا منه الدعاء فلا يدعولهم أو التمسوا قضاء حاجة فلا يقضى لهم بل يدلهم على ذلك الشيخ ويوهمهم أنّ مقامه أعلى من مقامه وأنه أعرف طريق منه وأنّه كتلميذه ، هذا . ولا يجوز لشيخ أن يفسد مريداً على شيخه ولو بإقبال أو بشاشة أو ترحب إلا إن كان يعلم أنه أعرف من شيخ ذلك المريد بالطريق . فمن الأدب أن يقطب وجهه له وذلك حتى لا يقع له ميل إليه فيقع في الخيانة بين الفقراء ، فإنْ بشّ ذلك الشيخ وجهه لذلك المريد مقتا والعياذ بالله . راجع « المنن » في ٢٠٥ و« بحر المورود » في ٢٩٥ تجد المأخذ وراجع أيضاً تقريرات الشيخ الحاج تَشَوْ قدس سره (منه رحمه الله تعالى) .

عن الكاملين المكمّلين لكان الأمر عليهم سهلاً ، ولكن تلقينهم الذكر المختار في رأيهم خلاف ما ورد عن رسول الله ﷺ ووصل عنه إلى المشائخ ، معنعناً مسلسلاً ، لمجرّد جلب الناس إلى جوانبهم طمْعاً بما في أيديهم ، أو حبّاً لاشتهارهم بينهم ، فذا أشدّ وأبغض . وبذلك الذكر يهلك المنتسبون إليهم من حيث لا يشعرون ، ولا تحصل لهم النتيجة ، ولا يصلون ؛ بل يتعدّى إليهم جميع ما في بواطنهم من المذمومات ؛ لأن للصحبة تأثيراً عظيماً ، والأحوال سارية ، والطبيعة سارقة ، ولا يتدبّرون فيما يترتّب على ما فعلوا ، بل يظنّون أنهم على إحيآء الطريقة قائمون ، وعلى انتشار الدين مجتهدون ، حاشا ذلك وكلا ، فَسَيَعْلَمُونَ أيّ منقلب ينقلبون .

الباب السادس عشر

في بيان أنّ أخذ الطريقة والذكر من المتشيّخ الغير المأذون يضرّ للآخذ والمأخوذ منه كليهما

قال في « تصديق المعارف » ، في سورة يوسف : ولو كان الشيخ والعياذ بالله غير مأذون يكتسب من المريد أوصافاً ذميمةً ، من غير أن ينتقص من المريد شيء من أوصافه الذميمة ، ويسلب أوصافه الشريفة ؛ ويقدمها إلى الضياع والتلاشي ، وهذا مجرّب . انتهى .

ونقل عن القشيري رضي الله عنه أنّه قال : إنّ الشيخ إذا لم يكن عارفاً بالسلوك وما يطرأ على المريد ، وأخذ الطريق من الكتب ، وقد يربِّي المريدين طلباً للمرتبة والرياسة ؛ فإنّه مهلك لمن تبعه ، فلابدّ أن

يكون عند الشيخ دين الأنبياء وتدبير الأطباء ، وسياسة الملوك . انتهى . كذا في « رماح حزب الرحيم » راجعه في ١١١ج ١ .

وقال الشعراني في كتاب « الجواهر والدرر » : وقد وقع أنّ الشيطان قال لعيسى عليه السلام مرّة : قل لا إله إلا الله ، فقال عيسى عليه السلام : أقولها لا لقولك لا إله إلاّ الله . فرجع الشيطان خائباً .

وإنّما قال : لا لقولك ، لعلمه عليه السلام أنّ الشيطان ليس غرضه إلاّ أن يجهِّل الخلق الخواطر الربانيّة ، ويأخذوا منه . انتهى ومثله في « خزانة العلوم » فافهم منه وتدبّره .

وقال نجم العرفان الحافظ سيدي أحمد بن المبارك ، عن قطب الواصلين سيدي عبد العزيز الدبّاغ رزقنا الله تعالى من معارفهما نصيباً في « الإبريز » :

مهم

وسمعته رضي الله عنه يتكلم على أسمائه تعالى ، وعلى الذين يذكرونها في أورادهم ، فقال رضي الله عنه : إن أخذوها عن شيخ عارف لم تضرّهم ، وإن أخذوها عن غير عارف ضَرَّتْهُمْ ، فقلت : فما السبب في ذلك ؟ فقال رضي الله عنه : الأسماء الحسنى لها أنوار من أنوار الحقّ سبحانه وتعالى ، فإذا أردت أن تذكر الاسم ؛ فإن كان مع الاسم نوره وأنت تذكره لم يضرّه وإن لم يكن مع الاسم نوره الذي يحجب العبد من الشيطان ، حضر الشيطان وتسبّب في ضرر العبد ، والشيخ إذا كان عارفاً ، وهو في حضرة الحق دائماً ، وإذا أراد أن يعطي إسماً من أسماء الله الحسنى لمريده ، أعطاه ذلك النور الذي يحجبه ، فيذكره المريد ولا يضرّه ، ثمّ إنّ النفع به على النية التي أعطاه الشيخ ذلك الاسم بها ؛ فإن أعطاه بنية إدراك الدنيا أدركها ، أو بنية إدراك

الآخرة ، أو بنية معرفة الله تعالى أدركها .

وأمّا إذا كان الشيخ الذي يُلقِّن الاسم محجوباً فإنّه يعطي مُرِيدَهُ مجرَّد الاسم من غير نور حاجب فيهلك المريد ، نسأل الله السلامة ، فقلت : فالقرآن العزيز فيه الأسماء الحسنى ، وحَمَلتُهُ يَتْلُونَهُ ويتلون الأسمآء الحسنى التي فيه دائماً ولا تضرُّهم ، فما السبب في ذلك مع أنّهم لا يأخذونها عن شيخ عارف ؟ فقال رضي الله عنه : سيّدنا ونبينا ومولانا محمّد ﷺ أرْسَلَهُ اللهُ بالقرآن لكلّ من بلغه القرآن من زمانه ﷺ إلى يوم القيامة ، فكلّ تال للقرآن فَشَيْخُهُ فيه هو النبيّ ﷺ ، فهذا سبب حجب حملة القرآن ـ نفعنا الله بهم آمين ـ ثم هو ﷺ لم يعط لأمّته الشريفة القرآن إلاّ بقدر ما يطيقونه وَيَعْرفونه من الأمور الظاهرة التي يفهمونها ، ولم يعطهم القرآن بجميع أسراره وأنواره وأنوار الأسماء التي فيه ، ولو كان أعطاهم ذلك بأنواره لما عصى أحد من أمّته الشريفة ، ولكانوا كلّهم أقطاباً ، ولَمَا تضرَّر أحد بالأسماء قط . انتهى .

وفي « ترصيع الجواهر » : إنّ السلوك في الطريق لا يكون إلاّ بواسطة الذكر ، وهو لا يفيد إفادة تامة إلاّ إذا أخذه من تلقين مرشد كامل لسرٍّ في التلقين يعرفه أهله ، ولعله هو الذي أشار إليه في « الذهب الإبريز » من أنّه يعطى الاسم بنوره فيعمل في تنوير القلب عمله ، وإذا كان الاسم خالياً عن النور لا يكون له ذلك التأثير ، حتّى أنّه إذا وقع قرطاس عليه اسم الله تعالى على الأرض سارعت الملائكة لأخذ النور الذي فيه ، ولو لا ذلك لهلك من وطأ عليه في الحال .انتهى من ١١ .

وفي « الأنهار الخمسة » للشيخ علي النائلي المغنيساوي قدّس سره : وأخْذُ الطريق من الشيخ الناقص مُضرّ للطالب . كما قال الإمام الرباني مجدِّد الألف الثاني قدّس سره في مكاتيبه الشريفة . انتهى .

ورأيت في « رماح حزب الرحيم » ما حاصله أنّ المتعرِّض لهداية غيره الهداية المشار إليها بغير علم قبل أن تحصل له حقيقة الوراثة فهو لما عنده من الشره والجهل هالك ضالٌّ مُضلٌّ انتهى فراجعه ١١٠ من الجزء الأول من هامش « جواهر المعاني » ،

وفيه بُعَيْدَ هذا : ومَنْ تعرَّض لهداية غيره بغير معرفة فهو خائن ، ومَنْ طبَّ غيره بغير علم فهو ضامن ، إذ بما عنده من الجهل ربما أخرج الأدوية عن موضوعاتها وعدل عن مقاديرها ، فساق المريض إلى الهلكة وعاجله بالمنية . انتهى .

وفيه أيضاً : حذَّر الأشياخ من الاغترار بكل مدّع ناهق ، واتِّباع كل متحيِّل بما ليس له ناعق . وقالوا : الاغترار أصل كل غواية ، والحذر أصل كل هداية ، والمراد بالاغترار التسليم لكل مدّع . وإنّما يسلم لمن ظهرت عليه آثار الخصوصية ، لا لكل مدّع ! بل أجمعوا على أنّ مَنْ ادَّعى رتبة من الرتب كُلِّفَ بإقامة الدليل على صدق دعواه ، وبنصب ميزان الشرع هل يصدق فيما ادَّعاه ؟ ! ولا يُسلِّم للمدعين ! إذ لو سلّم لهم لفسد الدين من أصله ، ولتولّى الأمرَ غيرُ أهله ، ولهذه الطريقة حفّاظ يحفظونها ، وحرّاس يحرسونها ، هم أهل الله تعالى وأنصار دينه ؛ أيَّدهم الله بالعلم الباطن والظاهر ، وأمدَّهم باسمه الحفيظ والناصر ، وما أوتي على كثير من الناس إلاّ من الغلط في التسليم ، فسلَّموا لكلّ مدّع دعواه ، مُحِقّاً كان أو مبطلاً ، ورأوه التسليم المأمور به ، والحق أنّه إنّما يسلِّم إن لاحت له آثار الخصوصية وتأدب بآداب الطريقة . انتهى .

وفيه أيضاً بُعَيْدَ هذا بعد نقل كلام الشيخ عبد العزيز الدبّاغ قدّس سرّه وإذا فهمت هذا علمت أنّ المغترَّ بكلّ مدَّع خائبٌ خاسرٌ ، وأنّ ظهور

مَنْ لم يكن صالحاً للظهور ضرر عظيم ، وعطب جسيم ، وعذاب أليم ، عاجلاً وآجلاً لمتَّبعيه إلاّ إذا مَنَّ الله تعالى عليهم بمرشد صادق ينقذهم ويخلِّصهم بصحبته ، ويردُّهم إلى طريق الفلاح . انتهى راجعه ١١١ ج ١ .

البَابُ السابع عشرَ
في بيان جواز الذكر بلا انتساب إلى شيخ مرشد
وبيانِ أنّ شرط الذكر النافع أخذه من أهله

قال في « المجالس الإرشادية » في المجلس السادس والخمسين : فإن قيل : هل يجوز الذكر بلا إذن ولا انتساب إلى الشيخ ؟ قلنا : الأفضل الإذن والانتساب إلى شيخ مرشد إن وجد ، وإذا لم يُوجَدْ

فجائز . انتهى .

المعنى في هذا ما مرّ آنفاً من أنّ كلّ تال للقرآن فشيخه فيه هو النبي صلى الله عليه وسلّم فافهم .

وفي « شرح تائية السلوك » أنّ شرط الذكر النافع المفيد أن يأخذه المريدون من أهل الذكر كما أخذته الصحابة رضي الله عنهم من رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ولقّن الصحابة التابعين ، ولقَّن التابعون المشائخ شيخاً بعد شيخ إلى عصرنا هذا وإلى أن تقوم الساعة . انتهى . وهكذا في « المتممات » و« النور الساطع » .

وفي « جامع أصول الأولياء » أنّ الذكر لا يفيد فائدة تامّة إلاّ بالتلقين والإذن ، بل جعله الأكثر شرطاً ! انتهى . ولا تحصل تصفية القلب بالأذكار السلوكية إلا إذا تلقَّنها من شيخ عارف . انتهى . وراجع « المتممات » .

وفي « الفتاوى العمرية » : إن قلت : هل يمكن الذكر والفكر بلا اتخاذ شيخ وأستاذ ؟ قلت : نعم ! يمكن ذلك إن تعلّمت آدابه وأركانه وأصوله ، ولكن لا تقطع المسافة الروحانية كمثل مُرْكَب[1] الرحى يظنّ أنه قطع بسيره ومروره مسافة كثيرة مع أنّه يدور دائماً دائرة الرحى وعيناه مستورتان ، فبركة اليد الصحيحة كثيرة ، ونفع صاحب النسبة وفيرة . انتهى .

وفي « تعريف الأحْيآء فضيلةَ الإحيآء » : وكما أنّ الله تعالى جعل لعباده الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون رُتْبَةً فوق غيرهم ، كذلك جعل لِمَا يبرز منهم ويؤخذ عنهم بركة زائدة على غيره ، لأنّ ألسنتهم كريمة ، وأنوار قلوبهم عظيمة ، وهممهم عليّة ، وإشاراتهم سَنيّة ، حتى يكون للقرآن أثَرٌ عظيم عند سماعه منهم ، وللأحاديث بهجة وحَلاوة ، وللمواعيظ منهم تأثير في القلوب ظاهر ، ولعلومهم وفقههم أنوارٌ ونفع متظاهر . انتهى .١١

إذا لم يأخذ الإنسان الذكر من شيخ مرشد لا يستحضره عند الموت .

وقال العلامة الشيخ محمد بن يحيى التادني الحنبليّ رحمه الله في « قلائد الجواهر » : قال سيدنا الشيخ عبد القادر ـ رضي الله ـ : إنّ الإنسان إذا لم يكن تلقّن الذكر الشريف الذي هو التوحيد من شيخ مرشد له نسبةٌ متّصلة بالنبي صلى الله عليه وسلّم فإلاّ فَبَعِيدٌ أن يستحضرها عند الحاجة إليها في وقت مصيبة الموت . ولهذا كان الشيخ رضي الله عنه كثيراً ما ينشد :

مليحــة التكـــرار والتَثنّــي لا تغفليـــن فـــي الـوداع عنّـي

---

(١) راكب ، عله (منه) .

وقال علي رضي الله عنه هذه الابيات :

إِذِ المَـرْءُ ربّـى نفسـه بمُرَاده	لقد شـاد بُنْيَـانـاً على غيـر أسِّه
ومـن لـم تربّه الرجال وتُسْقِهِ	لبـاناً لهـم قدْ ردّ من ثدي قدسه
فـذاك لقيـط ما له نسبة الورى	ولـن يتعـدّى غير أبنـاء جنسه
إذ المرءُ لم يرتد ردآء مـن التُقى	على يـد أستـاذ خـــبير بنفسه
يُـريـه رعونات النفوس وكيـــدها	ويشهـده المحجـوب عنـه بحسِّه
ولـم يـك مجذوباً علـى يد قدرة	وتحفظـه الألطـاف من غير لُبْسه
ويَبْـدُو له المكنـون من سرِّ كـونه	وتجلّى له الكأسات في حـال أنسه
ويحسن مـنه الخَلق والخُلْق والحجى	ويثمـر معنــاه بـإينـاع غـــرسه
فذاك لعمري ناقص الحـظِّ عـاجز	يـريـد سبيلاً وهـو يأتي بعكـسه
أقـلُّ مبـادي القوم أن يك هـــكذا	ومَنْ جآء بـالبهتـان راح بجنسه

انتهى ١٤

وقال الإمام السهروردي في « بيان الأسرار » في ٩ : اعلم أنّ المراتب المذكورة لا تحصل إلاّ بالتوبة النصوح ، وبالتلقين من أهله ، كما قال الله تعالى ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي كلمة لا إله إلا الله بشرط أخذه من قلب تقيّ نقيّ مما سوى الله ، لا كلّ كلمة تَسْمَعُ من أفواه العامّة ، وإن كان اللفظ واحداً لكن في المعنى تفاوت ، لأنّ القلب إنما يحيى إذا أخذ بذر التوحيد من قَلْبٍ حَيٍّ فيكون بَذراً كاملاً ، وبذر غير البالغ لا ينبت انتهى .

وفي « الرسالة القشيرية » : وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تُورِق لكن لا

تثمر ! كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نَفَساً فنَفَساً فهوعابد هواه لا يجد نفاذاً انتهى رسالة قشيرية عينه من صحيفة ٢١٤

مطلب مهم

الذكر المأخوذ من الشيخ أفضل من الصلاة على النبي ﷺ ومن سائر النوافل

والذكر الذي أخذه الطالب عن شيخ كامل مكمّل وداوم عليه بشرائط الطريقة أفضل من الصلاة على النبي عليه السلام ، ومن الاشتغال بسائر النوافل .

والفيوض التي تصل إليه عليه السلام من طريق الذكر المذكور الذي يكون حقيقاً بالقبول زائدة بأضعاف على البركات التي تصل إليه عليه السلام من طريق الصلوات ، وأمّا الذكر الذي ليس كذلك فللصلاة مزيّة عليه ، ووصول البركات منها حينئذ أكثر . كذا في « الدرر المكنونات » في ٩٨ من الجزء الثاني .

وقال الشيخ جمال الدين الغموقي في كتابه « الآداب المرضيّة » : ولو أنّ ذاكراً يذكر الله تعالى بجميع الأذكار في جميع الليل والنهار بنفسه من غير تلقين الشيخ فلا يبلغ مبلغ الرجال ، ولا يصل إلى مرتبة الكمال . انتهى .

الباب الثامن عشر

في ذكر المواعيد الواردة من السلف لمن جلس في مقام المشيخة بالدعوى وفي بيان من يصلح للإرشاد ومَنْ لا يصلح له

ولقد علم أنهم أجمعوا على وجوب اتخاذ الإنسان شيخاً يرشده ، لكن يجب أن يكون ذلك الشيخ المرشد مأذوناً بالإذن الصريح من الشيخ المعتبر ، في اليقظة لا في النوم ولا في الواقعة ، على شروط ما كان عليه السلف رضي الله عنهم ، ولا يجوز أن يتصدَّر لذلك لمن لا استناد له إلى السلسلة العليّة لما قيل : الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال مَنْ شاء ماشآء ، والإسناد سلاح المؤمن ، والإسناد سنة من السلف . قاله أحمد بن حنبل ، وقال صاحب « شرح تائية السلوك » على بيت :

ويـدعـى لقيطـاً أين حلَّ معطلاً   وإن كـان ذا علم كـزوج عقيمة

قوله معطلاً أي : من التحلية بالاندراج في سلك القوم ، وإن كان ذا علم ! لأنّه حينئذ يكون هو كزوج امرأة عقيمة ، لأنّ علمه لا ينتج له شيئاً كالمرأة العقيمة التي لا تلد لزوجها ، ولذا قال الغزالي : إذا وَجَدْتم الرجل قد طبق الأرض علماً ولم يكن له شيخ يُوصله إلى سلسلة القوم فهو عقيم لم يكن يُلقي الحكمة . انتهى . وحينئذ يدعى دَعِيّاً مع السادات ، أي غير منسوب لهم في كل موطن ، فهو كابن الزنا عند القوم . انتهى .

وفي « روح البيان » إنّ من لم تتصل نسبته المعنوي بواحد من أهل النفس الرحمني وادَّعى لنفسه الكمال والتكميل فهو زَانٍ في الحقيقة ، ومَنْ هو في تربيته هالكٌ لأنه ولد الزنا[1] .

---

(١) ومثله في « مزكي النفوس » (منه) .
ـ يعني أن الاتصال والانتساب وأخذ العهد والمبايعة عند أهل الحقيقة كالنكاح عند أهل الشريعة على حد سواء ، فكما يكون من ولد بغير نكاح ولد الزنا في عرف الشرع ، فكذلك ما نحن فيه في عرف الحقيقة بلا فرق ، فافهم راجع « المتممات » (منه) .

وربما يكره بعض أهل الطلب على التردُّد لباب أهل الدَعوى ، ويَصْرفه عن أهل الحق عناداً ، وغرضاً ومرضاً ، واتباعاً لهواهُ ، فهو إنّما يُكرِهه على الزنا ، لأنه بملازمة باب أهل الباطل يصير المرء هالكاً كولد الزنا ، إذ يفسد استعداده فساد البيضة نسأل الله تعالى أن يحفظنا من مكر الماكرين . انتهى .

مهم

المشايخ المدّعون هم الأصنام المعنوية والدجالة المتصنعون

وفيه أيضاً في سورة الفرقان ، وفي الآية إشارة إلى الأصنام المعنويّة ؛ وهم المشائخ المدّعون ، والدَجَّالة المتصنِّعون ، فإنهم ليسوا بقادرين على إحيآء القلوب وإماتة النفوس ، فالتابعون لهم في حكم عابد الأوثان ، **فليحذر العاقل من اتخاذ أهل الأهواء مَتْبُوعاً** ، فأنّ الموت الأكبر الذي هو الجَهْلُ إنّما يزول بالحياة الأشرف الذي هو العلم ، فإن كان للعبد مدخل في إفادة الخلق بالعلم النافع ودعائهم إلى الله تعالى على بصيرة فهو الذي يُرْقِى غَيْرَهُ من الجهل إلى المعرفة ، وأنشأه نشأةً أخرى ، وأحْيَاهُ حياة طيّبة بإذن الله تعالى ، وهم رتبة الأنبيآء ومَنْ يَرِثُهُمْ من العلماء العاملين . انتهى .

وفيه أيضاً ، في سورة آل عمران قال الشيخ الصفيُّ قدّس سره : إنّ الذين يدّعون المعرفة وتمكينهم في مقام الإرشاد ويراؤون جلباً لحطام الدنيا عذابهم أشدُّ من عذاب النساء الزانيات ولدْنَ أولاداً من الزنا مع وجود أزواجهن وأولادهنَّ(١) سبعين مرّة ، فلو نظرت إلى شيوخ الزمان وَجَدْتَ أكثرهم مدَّعين ما لم يتحققوا به ، يضلُّون الناس بأكاذيب ، ويَرَوْنَ أساليب ليس فيها أثر المعانى والحقيقة ، فعلى العاقل أن لا يغترَّ

---

(١) ومثله في « مزكي النفوس » (منه) .

بظاهرهم ، ولا يخرج عن المنهاج مقتفياً بآثارهم ، بل يجتهد إلى أن يُمَيِّز بين الحق والباطل ، والعارف والجاهل ، عصمنا الله تعالى وإياكم من الزيغ وسيئات الأعمال . انتهى .

ونقل الشيخ جامع القطبتين محمّد ذاكر قدّس سره هذه العبارات من « عوارف المعارف »[1] : إنّ الصالحين ، والسالكين ينقسم على أربعة اقسام :

سالك مجرد ومجذوب مجرَّد ، وسالك متدارك بالجذبة ، ومجذوب متدارك بالسلوك **فالسالك المجرّد لا يؤهَّل للمشيخة،** ولا يبلغها ، لبقآء صفة نفسه عليه ، فيقف عند حظِّه من رحمة الله تعالى عليه في مقام المعاملة والرياضة[2] ، **والمجذوب المجرّد من غير سلوك**[3] **أيضاً لا يؤهَّل للمشيخة** ، فيقف عند حظه[4] من رحمة الله تعالى **والسالك الذي هو متدارك**[5] **بالجذبة يؤهل للمشيخة** لأنّه أخذ في طريق المحبِّين في حال من أحوال المقرَّبين بعد ما دخل من طريق أعمال الأبرار والصالحين ، ويمكن للأتباع أن ينقل منه إليهم علوم ،

(١) راجعه في ١٨١ من هامش « الإحياء » من الجزء الأول ففيه البسط وأما ما هنا فهو مختصر منه .
(٢) ولا يرتقي إلى حال يروح بها عن وهج المكابدة « عوارف » ١٧٩ .
(٣) يبادئه الحق بآيات اليقين ، ويرفع عن قلبه شيئاً من الحجاب ، ولا يؤخذ في طريق المعاملة الخ (منه) ١٧٩
(٤) مروّجاً « وفي نسخة : مروحاً » بحاله غير مأخوذ في طريق أعماله ما عدا الفريضة (منه) ١٧٠ .
(٥) والسالك الذي تدارك بالجذبة هو الذي كانت بدايته بالمجاهدة والمكابدة ، والمعاملة بالإخلاص والوفاء بالشروط ، ثم اخرج من وهج المكابدة إلى روح الحال ، فوجد العسل بعد العلقم ، وتروح بنسمات الفضل ، وبرز من مضيق المكابدة إلى متسع المساهلة ، وأونس بنفحات القرب ، وفتح له باب من المشاهدة ، فوجد دوآء وفاض وعاؤه ، وصدرت منه كلمات الحاكمة ، ومالت إليه القلوب ، وتوالى عليه فتوح الغيب ، وصار ظاهره مسدوداً ، وباطنه مشاهداً ، وصلح للجلوة وصار له في جلوته خلوة ، فيغلب ولا يغلب ، ويَفترس ولا يُفترس ، يؤهل مثل هذا للمشيخة انتهى . « عوارف » ١٨٠ (منه) .

ويظهر بطريقته بركة ، ولكن قد يكون محبوساً في حاله ، محكماً حاله فيه ، لا يطلق من وثاق الحال ، ولا يبلغ كمال النوال ، يقف عند حظِّه ، وهو حظٌّ وافرٌ ، وأمر سنيٌّ ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ .

ولكنّ المقام الأكمل في المشيخة القسم الرابع : وهو المجذوب المتدارك بالسلوك ، يبادئُهُ الحق بالكشوف وأنوار اليقين ، ويرفع عن قلبه الحجب ، ويستنير بأنوار المشاهدة ، وينشرح صدره ، وينفسح قلبه ، ويتجافى عن دار الغرور ، ويَرْتوي من بحر الحال ، ويتخلَّص من الأغلال والأعلال ، ويقول مُعْلناً : لا أعبد رباً لم أره ، ثم يفيض من باطنه على ظاهره ، وتجري عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعنآء ، بل بلذاذة وهنآء ، ويصير قالبه بصفة قلبه ، لامتلاء قلبه بحبِّ ربِّه ، ويلين جلده كما لان قلبه ، وعلامة لين جلده إجابة قالبه للعمل كإجابة قلبه ، فيريده الله تعالى إرادةً خاصّةً ، ويرزقه محبّةً خاصّةً من محبة المحبوبين المرادين ، ينقطع فيواصَل ، ويعرض عنه فيراسل ، يذهب عنه جمود النفس ، ويصطلي بحرارة الروح ، وتنكمش عن قلبه عروق النفس ، قال الله تعالى ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أخبر أنّ الجلود تلين كما أنّ القلوب تلين ، ولا يكون هذا إلا حال المحبوب المراد . انتهى .

ثم قال قدس سره بعد نقله كلام « العوارف » : لكنّ الكلام والحكمة مملو فيها لأنّ شيخنا وسيدنا ممّن وافق اسمه مسمّاه ، وهو أعلم في هذا الباب جوّز جلوس السالك الغير المجذوب في مقام المشيخة وتربية المريد بإذن شيخه المعتبر إذناً صحيحاً في اليقظة ، بأنّ يده يد شيخه . انتهى . وقال الإمام المعصوم في مكتوباته ماحاصله : حُرِّر أنّ من أذن شيخه له في واقعة لتلقين الذكر وتربية المريدين وأرواح

السادات الماضية ظاهرون حاضرون هل يجوز لهذا الشخص ، اعتماداً على هذا ، تلقين الذكر وتربية المريدين ؟ فالجواب : **إن الإجازة لتعليم الطريقة أمر عظيم لا تثبت بالواقعة ، ولا يجوز الاعتماد عليه**[1] **إلا أن يكون الإذن في اليقظة من شيخ مُعْتبر مأذون إذناً صحيحاً** . **انتهى** .

فإن قيل : هل يجوز لأحدٍ أن يأخذ أمُور تَرْبِيَتِهِ من الشيخ الميّت في اليقظة أو في المنام ! قلنا ـ والله أعلم ـ : قال الشعراني في « المنن » : ومما منَّ الله تبارك وتعالى به علي كثرة إرشادي لفقرآء الأحمدية والبرهانية ، وغيرهم من أصحاب الخِرَقِ أن يتتلمذوا لشيخ يربِّيهم من الأحيآء ولا يتقيَّدوا على مَنْ مات ، فإنّ الأموات صارت وجهتهم في البرزخ إلى الآخرة وظهرهم إلى الدنيا ، فلا عليهم إن خربت الدنيا أو عمرت ، اللهم إلا أن يكون ذلك الشيخ ممّن يقتدى به في أقواله ، كالأئمة المجتهدين وأصحاب الرسل ، فمثل هذا لنا الاقتدآء بأقواله ، لكنه اقتدآء ناقص ، من حيث أنّ لكلّ واحد منَّا أمراضاً لا تعرف إلا بالمشافهة من شيخ حيٍّ يَدُلّنا على كيفيّة الدوآء ، ويخاطبنا ونخاطبه . وممّن بلغنا أنه يُرَبِّي مريده وهو في البرزخ سيدي أحمد البَدَويّ رضي الله عنه ، لكنّ ذلك خاص بمريده الصادق الذي يسمع كلامه من القبر كسيّدي وشيخي محمد الشناوي رحمه الله تعالى ، فإنّي زُرْتُ معه سيدي أحمد البدوي رضي الله تعالى عنه فشاوره الشيخ محمد على سفره إلى مصر في حاجة ، فقال له سيدي أحمد البدوي من القبر : سَافِرْ وتوكَّل على الله تعالى : هذا كلامه سمعته أنا بأذني الظاهرة ، وكذلك بلغني عن الشيخ عزِّ الدين الأصفهاني قال : كنت أجتمع بسيّدي أحمد الرفاعي في المنام كثيراً فيأمرني وينهاني ويربيني ، فقال لي يوماً :

---

(١) وفي « المكتوبات » في ١٢٤ من الجزء الأول : لا اعتبار للوقائع المنامية في الطريقة النقشبندية فراجعه (منه) .

لَسْتُ أنَا بشيخك الذي يفتح عليك ، وإنما شيخك عبد الرحيم القناوي . فسافرت إليه ، فأوّل ما اجتمعْتُ به حكى لي جميع ما وقع لي في المنام مع سيدي أحمد الرفاعي ، ثم قال لي : لا أصْحَبُكَ حتى تصير ترى رسول الله ﷺ يملأ الوجود كلّه ، فقلت له : وما السبيل إلى ذلك ؟ فقال سافر إلى بيت المقدس ، فإنّك ستراه كذلك ، ثم تعال . ففعل ثم جآء فقال له : ما وَصَل أحد لشيء من المقامات إلا بعد شهود ذلك انتهى .

فمن صحّ له هذا القدم قلنا الكفُّ عن أمره بأن لا يتلمَّذ لأحدٍ من الأحيآء ، لاكتفائه بذلك الشيخ وقيامه مَقام الحيِّ في الخطاب والمراجعة في الأمور ، وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا يجوز العمل بقول الأشياخ الذين ماتوا إذا تصوّر أنهم خاطبوا مريدَهم بأمْرٍ أو نهي إلا بعد عرض ذلك على علمآء الشريعة ، فربّما كان الناطق من قبر شيطاناً ، لعدم عصمة الولي عن مثل ذلك ، وكان رحمه الله تعالى يقول كثيراً : لا يشترط في صحّة الاقتدآء بأقوال العلمآء معْرفة صورتهم الظاهرة ! فإننا قد اقتدينا برسول الله ﷺ وبأصحابه وبالأئمة بعدهم وما أحدٌ منا اجتمع بأحدٍ منهم ، ولم يمنع جمهور العلمآء من مثل ذلك ، **فعلم أنّ الاحتياط للفقير أن لا يأخذ عن شيخ ميت أمُورُ تربيته وأدوية أمراضه** . فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين انتهى في ٢٨٩ من ج ١ .

ومن الأويسيّين الإمام النقشبند فإنّه أخذ الذكر الخفيَّ عن روحانية عبد الخالق الغجدُواني ، وكذلك الشيخ أبو الحسن الخرقاني أخذ الطريقة عن روحانية الإمام أبي يزيد البسطامي ، وذلك في ظهوره له في عالم السير إلى الله تعالى ، فإن الروحانيات تجتمع في ذلك كاجتماعهم في المنام وبعد الممات ، وهو عالم اللاهوت الخارج عن عالم الأجسام ، وأرواح الخلق كلهم الأحيآء والأموات في ذلك العالم ،

منهم من يدبّر الله له جسماً في عالم الأجسام وهم الأحيآء ، ومنهم من لا يدبّر الله له شيئاً من الأجسام وهم الأموات ، ومن لم ينفخ فيه الروح مما لم يسوّ جسمه ، وكل من أخذ من الروحانية كهؤلاء الأئمة يسمى أويسيا كذا في « البهجة » في ١٣ .

فإن قيل : فهل يقبل قول مَنْ يقول : إنّي أخذت الطريقة أو الإجازة من روحانيّة الشيخ في المنام أو بالإلهام أم لا ؟ قلنا : لا يقبل . لأنّ الإلهام ليس بحجّة ، لعدم ثقة مَنْ ليس معصوماً بخواطره ، لأنّه لا يأمن دسيسة الشيطان فيها ، كذا في « شرح جمع الجوامع » .

ويقرب من الإلهام رؤيا المنام[١] ، فمن رأى النبي ﷺ في نَوْمِهِ يأمره بشيء أو ينهاه عنه لا يجوز اعتماده[٢] ، مع أنّ مَنْ رآه حقاً ! لعدم ضبط النائم حينئذ ، ومرّ البسط في حقِّ ذلك في الباب الرابع فليلاحظه هنا .

وذكر في « الحديقة النديّة » أنّ العلامة محمد أمين السويدي قال في « السهم الصائب » : ولقد جرى لي مع حضرة مولانا خالد قدّس سرّه بَحْثٌ في الإلْهَام فقال : الإلهام عندنا معاشر النقشبنديّة غير معتبر في الأحكام الدينيّة لعدم جواز العمل به . فقلت له : إنّ علمآء الكلام والأصُول يقولون باعتباره إذا كانَ مُوَافقاً للكتاب والسنة . فقال قدّس سرّه : إذا كان الإلْهَام مُوَافِقاً للكتاب والسنة فالعمل حينئذ ليس بمقتضى الإلهام نفسه ، بل بما دلّ عليه الكتاب والسنة الموافق لهما . انتهى . راجعه في ٦٥ من هامش « أصفى الموارد » وقد مرّ في « الديباح » ما قاله الإمام الربَّاني قدّس سره من أنّه لا يكون بعد الكتاب والسنة وقياس المجتهدين والإجماع شَيْءٌ من الدليل

---

(١) وفي « الأنوار القدسية » واعلم أن الكشف المحسوس إذا كان لا يجوز الوقوف معه فكيف برؤية المنامات انتهى فراجعه (منه) .

(٢) والشيطان قادر على أن يقول : أنا رسول الله . وإن لم يتشكل بشكله الشريف . « بريقة » ١٤٥ من الجزء الأول ، راجعه (منه) .

مثبتاً للأحكام أصلاً ، سوآء كَانَ إِلْهَاماً أو كشفاً ! فَلاحِظْهُ هُنَا .

وفي « الأنوار القدسية » للشعراني في ١٤ : أنّ الأحكام الشرعية لا تثبت بالكشف . انتهى . فإن قيل : فلو ادَّعى واحدُ أنَّ له إذناً من رجال الغيب أو من الخضر عليه السلام فماذا يُقال له ؟ قلنا ـ والله أعلم ـ : إن ظهرت عليه أمارات الفتح وعلامات الخير ، وأعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة ، ووقع للمريدين الفتح على يَدَيْه ، ومَشى على قواعد أصُول الطريقة المنتسب إليها بلا مخالفة فهو شيخ مقبُولٌ ، كما هو مذكُورٌ في « الإبريز » .

وأمّا المشائخ المنتحلون في عصْرنا وفي ديارنا ليسوا من أهل فرسان هذا الميدان ، وليس فيهم شَيْء مّا من العلامات المذكورة ، بل ليس منهم ولو واحداً تحقَّق له المقام الأوّل من الطريقة فضلاً عن غيره ، ولم يوجد في مريديهم مَنْ حصل له نتيجة الذكر الأول من الطريقة فضلاً عمّا فوقه ، بل لم يستعملوا ولو ذرَّة مما يستعمله أهل الطرق في طرقهم أصلاً ، إلا أنهم ابتدعوا واخترعُوا ، وعلّموا الناس مما لم يرد به نَصٌّ ولا أثَرٌ من السادات .

ومعلوم مشهور أنّ الخضر عليه السلام ورجال الغيب لا يأذنون للإرشاد والتلقين إلا بما ورد به النصّ من سيّد المرسلين عليه الصلاة والسلام ، إن كانت طريقة مَنْ كمل على أيديهم نقشبندية ! فنقشبنديّة ، أو قادرية ! فقادريّة ، أو . . الخ .

مهم

من شرط من يجتمع بالخضر أن لا يدخر قوت غد

وأيضاً **إنّ من شرط من يجتمع بالخضر عليه السلام من الأوليآء** أن لا يدَّخر قوت غدٍ ، فمن خبَّأ قوت غدٍ لم يجتمع به ، ولو كان على عبادة الثقلين ! كذا في « تنبيه المغترِّين » في ٥٤ فليتدبَّره .

وفي « الطبقات » في ١٠٩ من الجزء الثاني : أنّ الخضر لا يجتمع إلا بمَنْ حقَّت له قدم الولاية المحمديّة . انتهى .

وفيه أيضاً لا يجتمع الخضر عليه السلام بشخص إلا إن اجتمعت فيه ثلاث خصال ، فإن لم تجتمع فيه فلا يجتمع به قط ولو كان على عبادة الثقلين : الخصلة الأولى : أن يكون العبد على سننه في سائر أحْوَاله ، والثانية : أن لا يكون له حرص على الدنيا ، والثالثة : أن يكون سليم الصدر لأهل الإسلام لا غل ولا غش ولا حسد(١) . انتهى فراجعه .

الباب التاسع عشر
في بيان سبب اعتقاد الناس في المتشيِّخ الناقص
وعدم اعتقادهم في الشيخ الكامل

وفي بيان كون الأمور كلّها تابعة لاعتقاد المريدين لا للمشائخ ولو كانوا من أقرب المقرّبين ، فلقد وَجَدْنا هذا الخلق لا يفرِّقون بين المحقِّ والمبطل ، وبين مَنْ يصلح للإرشاد ومن لا يصلح له ؛ بل وجدنا أكثرهم يميلون إلى جوانب أهل الدعوى ويأخذون منهم مالاً أصل له في طريقة ما

---

(١) ورأيت في « فتاوى الرملي » أن السيد الخضر ، فالصحيح كما قاله جمهور العلماء نبيّ لقوله تعالى ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ ولقوله تعالى ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي : الوحي والنبوة الأولى وإن خالف بعضهم ، فقال : لم يكن الخضر نبياً عند أكثر أهل العلم ، والصحيح أيضاً أنه حي . فقد قال ابن الصلاح : جمهور العلماء والصالحين على أنه حيّ ، والعامة معهم في ذلك . وقال النووي : والأكثرون من العلماء على أنه حيّ موجود بين أظهرنا ، وذلك متّفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح . وحكايتهم في رؤيته والاجتماع به ووجوده في المواضع الشريفة أكثر من أن تحصى . انتهى . والصحيح أيضاً أنه من البشر لا من الملائكة . انتهى فراجعه في ٢٢٢ من هامش « فتاوى ابن حجر » من الجزء الرابع ففيه البسط . (منه رحمه الله تعالى من خطّه النفيس) .

من الطرق المأثورة ، ولا يقربون إلى أبواب أرباب الكمال والتكميل زاعمين أنهم ليسوا بمقام مريد من مريدي أشياخهم في زعمهم .

وأظنّ ـ والله أعلم ـ أنّ سبب ذلك كون الكامل كصورة العوام لا يتميَّز منهم ، ولو بشيء من الأعمال والأقوال ، وهذا[1] حاله في الظاهر ، ففي « المنن » في ٢٣ من الجزء الأول : إنّ نهاية كل عارف ترجع إلى صورة بدايته . انتهى وفيه أيضاً في ٦٨ من الجزء الثاني : الفقير كلّما ترقَّى في مَقام العرفان صار غريباً في الأكوان لا يكاد أحد أن يعرف له مقاماً ، ولا يعرف صفات الوليِّ إلا الأولياء . كذا في الطبقات في ٦ من الجزء الأول .

وفيه أيضاً في ٧ من الجزء الأول : وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول : لكلّ وليٍّ ستر أو أستار نظير السبعين[2] حجاباً التي وردت في حقِّ الحقِّ تعالى ، حيث أنّه تعالى لم يُعرف إلا من ورائها ، فكذلك الوليّ ! راجعه انتهى . فكيف وقد يتلوَّن بحسب الجالسين معه ، ويكون موافقاً بحال كلّ مَنْ صحبه واجتمعه ، ويلاطف الحاضرين معه ويداريهم كأنّه مثلهم ، ويعطي الظاهر لأهل الظاهر ، والباطن لأهل[3] الباطن ، كما حكي أنّ الشيخ عبد القادر الجيلاني قدّس سره كان إذا جاء لديه فقير زائر يخرج ويفتح جانب الباب ، ويصافح الفقير ويسلّم عليه ولا يجلس معه ويرجع إلى خلوته وأما إذا جاء لديه أحد ممّن ليس من الفقراء يخرج إليه ويجلس[4] معه . كذا في « العوارف » في ٢٨١ من هامش « الإحياء » ، ولا يضرُّ لكامل أهل الدنيا أو البحث[5] عنها فإنّه في مرتبة الذين لا يشغلهم الخلق عن الحقِّ[6] ، ولا الحقُّ عن الخَلْقِ ، وكذا

(١) أي كونه في صورة العوام .
(٢) راجع « تلخيص المعارف » في ١٣٧ .
(٣) فإنهم يقطعون الظاهر عمن يحبونه « خالدية » .
(٤) أي فمتى لم يوف حقه من الظاهر استوحش كذا في « عوارف المعارف » في ٢٨٢ (منه) .
(٥) راجع « الخالدية » في ٨ من الأداب الثالث (منه) .
(٦) كذا في « الرسالة الخالديّة » في ١١ من الآداب الثالث (منه) .

قد يراه الناس في أوقات على شاكلتهم بحسب صفاء بواطنهم أو خُبْثِهَا .

مهم

قال في « الإبريز » في ١٩٥ : إنّ الوليَّ الكامل يتلوَّن على قلوب القاصدين ، فمَنْ صَفَتْ نيَّته رآه في عين الكمال وظهر له منه الخوارق ، ومَنْ خبُثَتْ نيَّته كان على الضدّ من ذلك ، وفي الحقيقة ما ظهر لكلّ واحد إلا ما في باطنه من حسن وقبح ، والوليُّ بمنزلة المرأة التي تتجلَّى فيها الصور الحسنة والصور القبيحة ، فمن ظهر له من وليّ كمالٌ ودلالة على الله فليحمد الله تبارك وتعالى ، ومن ظهر له غير ذلك فليراجع على نفسه .

قال رضي الله عنه :

مطلب مهم

« وإذا أراد الله شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بالوليِّ سخَّرهم الحقُّ فيما هم فيه من قبح ومخالفة ، فيظنُّون أنّه على شاكلتهم ، وليس كذلك ! حتى أنه يتصوَّر في طور الولاية أن يقعد مع قوم يشربون فيظنون أنه شارب الخمر ، وإنما تصوَّرت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما ظهرت ، وفي الحقيقة لا شيء ، وإنما هو ظل ذاته . تتحرَّك فيما تحرَّكوا فيه مثل الصورة التي تظهر في المرآة ، فإنك إذا أخذت في الكلام تكلَّمت ، وإذا أخذت في الأكل أكَلَتْ ، وإذا أخذت في الشرب شربت ، وإذا أخذت في الضحك ضحكت ، وإذا أخذت في الحركة تحرَّكت ، وتحاكيك في كلّ ما يصدر منك ، وفي الحقيقة لم يَصْدر منها أكْلٌ ولا غيره ، لأنهّا ظلٌّ ذاتك ، وليست بذاتك الحقيقية ، فإذا أراد الله شقاوة قوم ظهر الوليُّ معهم بظلِّ ذاته ويجعل يرتكب ما يرتكبون . والله الموفق . انتهى . فتدبَّره فإنّه كلام نفيس قلّ مَنْ يتفطَّن له في هذا الزمان .

وفي « الفيوضات الإحسانية »[1] روي أنّ محمود الغازي دخل على الشيخ أبي الحسن ـ رضي الله عنه ـ لزيارته ، وجلس ساعة ثم قال : يا شيخ ، ما تقول في حق أبي يزيد البسطامي ؟ فقال : هو رَجل مَنْ اتَّبعه اهتدى واتصل[2] بالسعادة الأبديّة . قال محمود : وكيف ذلك ؟ وأبو جهل رأى رسول الله ﷺ ولم يخلص من الشقاوة ! فقال الشيخ في جوابه : إنّ أبا جهل ما رأى رسول الله ﷺ ، وإنما رأى محمداً ﷺ ابن عبد الله يتيم أبي طالب ، ولو كان رأى رسول الله ﷺ لخرج من الشقاوة ودخل في السعادة ، ثم قال ومِصْدَاق ذلك قوله تعالى ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ فالنظر بعين الرأس لا يوجب السعادة ، بل النظر بعين السرّ والقلب والمتابعة التامة تورث ذلك . الخ . فمن نظر شيخه بعين الإجلال والتعظيم مُعْتقداً رسوخ قدمه في مقام الولاية وأنه صاحب مدد ودعاء مستجاب انتفع ووصل إلى مقام الولاية ورتبة الصلاح ، ومَنْ نظره بأنّه فلان ابن فلان يأكل ويشرب مثله فلا تحصل له منه فائدة ، ولا ينتفع به كما في الحديث : « لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه » . انتهى . ولهذا قال عبد العزيز الدباغ ـ قدس سره ـ : لا ينبغي أن ينظر إلى ظاهر الوليِّ ويوزن عليه فيخسر الوازن دنياً وأخرى ، فإنّ في باطن الوليِّ العجائب والغرائب ، وما مثاله إلا كخيشة[3] صوف في وسطها خيشة حرير لا تظهر إلا في الآخرة ، وغير الوليِّ بالعكس خنشة حرير في وسطها خنشة صُوف والعياذ بالله . انتهى من « الإبريز » ١٩٥ .

قال الشعراني في « لواقح الأنوار » : وقد مشى الصادقون من المريدين على هذه القاعدة ـ أي على حسن الظن مع أشياخهم ـ فإن ظنُّوا بشيخهم أنّه يحميهم من إبليس بنظره حماهم ، وإن ظنُّوا أنّه لايقدر

---

(١) ومثله في « الحدائق الوردية » فراجعه في ١٠٦ منه .

(٢) ومن رآه اتصل انتهى . نسخة ، راجع الحدائق الوردية ص ١٠٦ (منه) .

(٣) وفي نسخة : كخنشة .

على حمايتهم فلا يصح لهم حماية ، ولذلك أمروا مريدهم أن لا يغفل عن شهود كونه معه لأنه مادام يشهد شيخه ملاحظاً له فهو محفوظ من كل آفة ، ومتى غفل جاءته الآفات من كلّ جانب . ومما جرَّبناه نحن أنّ مَنْ كان اعتقاده فينا مُتَوَفِّراً مهما طلب من الحوائج قضي له ، ومَنْ لم يكن اعتقاده فينا متوفِّراً لم تقض له ولو كنّا أقطاباً ، فالمدار على حسن ظنِّ المتوجِّه لا على الشيخ ! وربّما تقضى حاجة المعتقد ولم يكن يعلمها الشيخ إلاّ إنْ أعْلَمَهُ بها المتوجِّه إليه . انتهى ١٣١ من هامش « المنن » من الجزء الثاني . فهو كلام نفيس مهمّ أيَّ مهمّ .

ومن هنا قيل : كل من رأيته فاعتقده خضراً . وقيل أيضاً : الأمر تابع لاعتقاد المريدين[١] لا للمشائخ . والله الموفق للاستقامة ، وإليه يرجع الأمر كله وهو ولي الهداية .

قصة مهمة

وممّا يدلّ على هذا ما وقع لامرأة مع قطب الأقطاب سيدي عبد القادر الكيلاني قدس سره قال في « منتخب جواهر القلائد »[٢] : جاءت امرأة ذات يوم إلى حضرة الغوث والتمست من حضرته الدعاء ليعطيها الله ولداً ، فراقب وشاهد اللوح المحفوظ فلم يَرَ لَها ولداً مكتوباً فيه ، فسأل الله أن يعطيها ولدين ، فجاءه النداء من الله ليس لها ولد مكتوب في اللوح وأنت تطلب لها ولديْن ! فسأل أن يعطيها ثلاثة أولاد ، فجاءه النداء مثل الأول ، فسأل أن يعطيها أربعة أولاد ، فجاءه النداء أيضاً مثله ، فسأل أن يعطيها خمسة أولاد ، فجاءه النداء مثله فسأل أن يعطيها ستة أولاد ، فجاءه النداء كالسابق ، فسأل أن يعطيها سبعة أولاد ، فجاءه

---

(١) وإذا توصل واحد بوليّ وناداه يخبر الملك بأن فلانا قد توصل بك في قضاء حاجة كذا ثم يمده الوليّ لقضاء تلك الحاجة .
(٢) هكذا في النسخة التي بيدنا ولعله « قلائد الجواهر » والله أعلم (منه) .

النداء : يكفي يا غوث لا تطلب الزيادة . فبهذه الإشارة جاءت البشارة إليها بإعطاء الله لها سبعة أولاد ذكور ، فأعطاها الغوث مقداراً من التراب وكانت تلك المرأة حينئذ كاملة الصدق والاعتقاد في حضرة الغوث ـ فوضعت تلك التراب في فضة وعلَّقتها في عنقها كالتعويذة ، فأكرمها الله بسبعة أولاد ذكور ، وبعد مدّة فسد اعتقادها في حق الغوث وقالت : التراب الذي أعطانيه الغوث أيّ فائدة تحصل منه ، فبمجرَّد تفوُّهها بهذا الكلام مات أولادها ، فجاءت إلى الغوث باكية وتضرَّعت فقالت : يا غوث أغثني . فقال الغوث : كان ذلك الزمان زمانه ، ففي هذا الزمان ليست فيه فائدة .

وفي رواية : قال لها الغوث : ارجعي إلى بيتك ، فبأي نيَّة جِئْتِ بها إلينا تجديهم . فراحت إلى بيتها فوجدتهم أحياء ، فشكرت الله تعالى . اللهم انفعنا ببركاته آمين رضي الله تعالى عنه انتهى . كذا في « تفريج الخاطر في مناقب الشيخ عبد القادر » في ٣٨ من المنقبة السادسة والأربعين .

وقال الشعراني في « المنن الكبرى » : فمن جملة اعتقاد المسلمين فيّ إنني أعطي أحدهم القَشَّة من الأرض إذا طلب مني الدعاء لمريضه أو كتابة ورقة ، وأقول له : بخِّر المريض بها . فيفعل فيحصل له الشفاء بإذن الله تبارك وتعالى ، فأعْرِفُ أنه لولا شدّة اعتقاد أحدهم ما شفى الله مريضهم بدُخان تلك القشَّة ، فإنّ الأمور تجري بها المقادير الإلهية سرعةً وبُطْأً بحسب قوة الاعتقاد وضعفه ، حتى أنّ بعض مَنْ لا اعتقاد عنده من المجادلين يأخذ القَشَّة وعنده شكٌّ في أن تلك القَشَّة تنفعه فلا تنفعه ، وقد جاءني مرّة فقيه يأخذني سياقاً لصهره لمّا غضبت زوجته ، وكان قد جعل لها خمسين ديناراً فلم يَرْضوا أن يَرُدُّوهَا له ، فقلت له : خذ هذه القَشَّة وأعطها لصهرك فإنّه يردُّها لك بلا فلوس . فقال لي : لا تمزح معي فإنّي مكروب . فلا زال الفقراء به حتى حصل عنده بعض

الاعتقاد ، فأخذ القَشَّة ، فبمجرد ما أعطاها لصهره قال له : اذهب فخذ امرأتك . فتعجَّب الفقيه من ذلك وقال : **أحوال الفقراء لا تدخل تحت حكم العقل**[1] . انتهى ١٧٠ من الجزء الأول .

فائدة : قال الإمام الربَّاني في رسالة « المبدأ والمعاد » : ينبغي أنّ اعتقاد المريد أفضلية شيخه وأكمليته من ثمرات المحبة ونتائج المناسبة التي هي سبب الإفادة والاستفادة ، ولكن ينبغي أن لا يُفضِّل شيخه على قوم قد تقرَّر أفضليتهم في الشرع ، فإنّه إفراطٌ في المحبة وهو مذموم ، وقد كانت خرابيَّة الشيعة وضلالتهم من جهة إفراطٍ في محبة أهل البيت ، واعتقد النصارى عيسى عليه السلام إلهاً من إفراط محبَّتهم إياه ووقعوا في الخسارة الأبدية ، وأمّا إذا فضّل شيخه على مَنْ سواهم فهو جائز ، بل هذا واجب في الطريقة ! وهذا التفضيل ليس باختيار المريد ، بل ولو كان المريد مستعدّاً يظهر فيه هذا الاعتقاد بلا اختيار منه ، فيكتسب كمالات الشيخ بواسطته ، فلو كان هذا التفضيل باختيار المريد وبالتكلُّف فهو غير جائز ، ولا ينتج شيئاً . انتهى ١٣٨ . راجعه من هامش « الدرر » .

فإذا كان حال الشيخ الكامل المكمَّل رجوعه إلى صورة بدايته ، وكان غالب عاداته تلوُّنه بلون جلسائه ! ينظر الخلق إلى الكامل فيرونه

---

(١) ومن أغرب ما وقع بسبب الاعتقاد ما رَوَوْهُ عن بعض الأولياء الكبار : أنه طلب منه بعض الناس أن يدعو له إلى الله عز وجل أن يرزقه ولداً ، فقال له : إن أحببت ذلك فسلّم للفقراء مائة دينار ، فسلّم إليه ذلك ، فجاءه بعد ذلك بمدة وقال له : يا سيّدي وعدتني بولد ذكر وما وضعت إلا أنثى ، فقال له الشيخ : الدنانير التي سلمتها ناقصة ، قال : يا سيدي ما هي ناقصة إلا شيئاً يسيراً ، فقال له الشيخ : ونحن أيضاً ما نقصناك إلا شيئاً يسيراً ، فإن أحببت أن يوفى لك فأوْف لنا ، فقال : نعم يا سيدي ، ثم ذهب وعاد إليه بتوفيته ذلك النقصان ، فقال له الشيخ : اذهب فقد أوفيناك كما أوفيْتَ ، فرجع إلى منزله فوجد الولد غلاماً بقدرة الله وإكرامه لأوليائه سبحانه وتعالى . كذا في « نشر المحاسن » للإمام اليافعي قدس سره (منه رحمه الله تعالى) .

يتكلم ويتبسّم وينبسط[1] ، ولا ينقبض كالعوام ، ولا يعلمون ما في باطنه من دوام الحضور والمراقبة ، وسياحته في بحار المشاهدة ، وكونه مع الحق في الباطن مع كونه مع الخلق في الظاهر كما هو شأن الكامل ، وكونه في مقام لايشغله الحق عن الخلق والخلق عن الحق وقد قيل لأبي يزيد : ما أعظم آيات العارف ؟ قال : أن تراه يؤاكلك ويشاربك ، ويمازحك ويبايعك ويشاربك ، وقلبه معلق بالله ليس له هَمٌّ سواه[2] . وينظرون إلى الناقص المدَّعي الغرَّار الطمَّاع الجرّار فيَرَوْنَهُ على صورة شيخ كأنّه حزينٌ عاشق إلى مولاه ، متفكِّر في أمر أخراه ، مدبر عن أمر دنياه ، خالص من أسر شهواه ، مُنْفَلِتٌ عن سجن هواه ، ويراقب ذلك الغرَّار ، على ترك ما ينقصه لدى الحاضرين معه ، ويطأطىء رأسه كأنّه مهموم مغموم ، متدبِّر في جلال الله وجماله ، والله خبيرٌ بما في قلبه ، مطلع على ما في سريرته ، ويجهر صوته بالأذكار ، ويصيح بصيحات ، ويتحرّك بحركات ويدعو لهم بدعوات ، بحيث يسمعهم بالأصوات ، فيظنون حينئذٍ أنه هو الكامل الفريد ، مع أنه عند الكامل في الحقيقة ليس بمقام مريده ، ولا عجب ! فإنّ الناس لا يعلمون إلاّ ما ظهر لهم ، ولا يكاد أحدٌ منهم أن يرى من الكامل عملاً إلاّ بقدر ما يقتدي الناس به فيه لا غير ، **وما عدا ذلك فهو عمل قلبيّ لا يطلع عليه إلا الله تعالى، وربّما تكون الذرة من هذا العمل أرجح من القناطير** . كذا في « البهجة » في ٢١ .

وفيه أيضاً : إنّ عمل المريد يسير وإن كان كأمثال الجبال ، وعمل

---

(١) وفي « الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » في ٢٣ : أنه ليس للأولياء شيء يتميّزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات ، فلا يتميّزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحاً ، ولا بحلق شعر وتقصيره أو ظفره إذا كان مباحاً ، كما قيل : كم من صديق في قباء وكم من زنديق في عباء فراجعه . (منه) .

(٢) نقل من « الحدائق الوردية » من صفحة ١٠٤ (منه) .

العارف كثير وإن كان كمثقال ذرّة . انتهى .

وقال شيخنا العارف بالله ودليلنا إلى الله الحافظ العالم الحاج شعيب بن العالم العَلَم إدريس أفندي الباكني ـ أدخله الله سبحانه في دائرة الاستقامة وروّج بين يديه الشريعة والطريقة آمين ـ في تخميسه لسلك العين :

ولو حقيقتهم للخلق عنها أروا[1]

لأشركوا عُبِدُوا[2] عن الإنسان عَرَوْا

وهم لمنكرهم مقامهم صروا[3]

انتهى ٤٧ .

وفي « روح البيان » من سورة التغابن : قال بعض العارفين : معرفة مقام الأولياء أصعب من الممكن من معرفة الله تعالى ، لأنّ الله تعالى معروف بكماله وجماله ، وجلاله وقهره ، بخلاف الولي الكامل ! فإنّه ملآنٌ من شهود الضعف ، يأكل ويشرب ويبول مثل غيره من الخلق ، ولا كرامة له تظهر إلا بأن يناجي ربه ، وانّى للخلق معرفة مقامه ! ووالله لو كشف للخلق عن حقيقة الوليِّ لَعُبِدَ كما عُبِدَ عيسى عليه السلام ، ولو كشف عن مشرقات نوره لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات نور قلبه ، ولكن في ستر الله تعالى لمقام الوليِّ حِكَمٌ وأسرار ، وأدنى ما في الستر : أن لا يتعرَّض أحد لمحاربة الله تعالى إذا آذاهم بعد أن عرفهم أنهم أولياء الله تعالى ، فكان ستر مقامهم عن الخلق رحمة بالخلق ، وفتحاً لباب اغترار مَنْ آذاهم من غالب الخلق ، فإنّ الأذى لم

(١) أي بإزالة الحجاب عنها (منه) .

(٢) راجع « جواهر المعاني » و« رماح حزب الرحيم » (منه) .

(٣) صراه . .إلخ قطعه و منعه ودفعه « قاموس » .

يزل من الخلق لهم في كل عصر لجهلهم بمقامهم . انتهى .

وقال الإمام الربَّاني ـ قدّس سره ـ في رسالته « المبدأ والمعاد » : إنّ قباب أولياء[1] الله تعالى هي أوصافهم البشرية ، حيث أن كلَّما يحتاج إليه سائر أفراد البشر يحتاج إليه هؤلاء الأكابر أيضاً ، والولاية لا تخرجهم من الاحتياج ؛ وغضبهم أيضاً مثل غضب سائر أفراد الناس ، وإذا قال سيد الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام « أغْضِبُ كما يغضب البشر » كيف لا يصدر الغضب من الأولياء ؟ ! وكذلك هؤلاء الأكابر شركاء لسائر الناس في الأكل والشرب ومعاشرة الأهل والعيال ومؤانستهم ، فإنّ التعلُّقات الشتى التي هي من لوازم البشرية لا تزول عن العوام والخواص . قال الله سبحانه في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾ وقال الكفار الذين اقتصر نظرهم على الظاهر ﴿ مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ فمن اقتصر نظره على ظواهر أهل الله صار محروماً ، وكان مصداق مَنْ خسر الدنيا والآخرة ، واقتصار النظر على الظاهر هذا هو الذي جعل أبا جهل وأبا لهب محرومين دولة الإسلام ، ورقاهما[2] في الخسران الأبدي ؛ والسعيد هو الذي كفَّ نظره عن ظواهر أهل الله ، ونفذت حدَّة نظره إلى أوصافهم الباطنة واقتصر عليها ، فَهُمْ كنيل مصر ! بلاء للمحجوبين ، وماء[3] للمحبوبين ، والعجب أن الصفات البشرية تظهر من أهل الله على حدٍّ لايظهر مثلها من سائر الناس ! ووجهه أنّ الظلمة

---

(١) أي التي هي في الحديث القدسي : « أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري . . الخ » . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) وفي نسخة : ورماهما .

(٣) وفي « الإبريز » في ١٩٩ : الوليّ مع القاصدين كحجر بن إسرائيل فإذا كان بين يدي أولياء الله تعالى انفجرت منه إثناتا عشر عيناً . وإذا كان بين أعدائه تعالى لا تخرج منه ولا قطرة واحدة انتهى (منه رحمه الله) .

والكدورة يكون ظهورهما في محل طيب مصفًّي أشدّ وأزيد وإن كانتا قليلتين ، بخلاف المحلِّ الغير المصفَّى ! فإنهما لا يظهران بتلك المثابة وإن كان أزيد ، ولكنّ ظلمة الصفات البشرية تسري في كلية العوام وتحيط بقوالبهم وقلوبهم وأرواحهم ، وأمّا في الخواص ! فهي مقصورة على القالب والنفس ، وفي أخصِّ الخواص مقصور على القالب فقط ، والنفس مبرَّأة عنه ؛ وأيضاً إنّ هذه الظلمة في العوام موجبة للخسارة ، وفي الخواص موجبة للنضارة والرجحان ، وظلمة الخواص هي التي تزيل ظلمة العوام ، وتورث التصفية لقلوبهم والتزكية لنفوسهم ، فلولا هذه الظلمة لما كانت في الخواص مناسبة للعوام ، فيكون طريق الإفادة والاستفادة مسدوداً ، وهذه الظلمة لا تمكث في الخواص كثيراً حتى تجعلهم مكدَّرين ، بل يظهر من وراها[1] ندامة . واستغفار يغسل ظلمات وكدورات أخر كثيرة ، ويورث الترقي ، وهذه الظلمة مفقودة في الملائكة ،

طريق الترقي مسدودة في الملائكة ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾

ولهذا كان طريق الترقّي مسدوداً فيهم ، وإطلاق اسم الظلمة عليها من قبيل المدح بما يشبه الذم ، والعوام كالأنعام يعدُّون الصفات البشرية الصادرة من أهل الله كصفاتهم البشرية ، فيحرمون بهذا الاعتقاد بركاتهم ، وقياس الغائب على الشاهد فاسد ! ولكل مقام خصوصية على حدة ، ولكل محلٍّ لوازم مستقلة ، والسلام على مَنْ اتبع الهدى واتبع متابعة المصطفى عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات . انتهى ٨٢ من هامش « المكتوبات » من الجزء الثاني راجعه .

وقد سألني بعض إخواننا المعنويين رحمه الله تعالى : ما السرُّ في

(١) هكذا في النسخة التي نقلناه منها ولعله من ورائها والله أعلم (منه) .

ميل الناس إلى الأخذ عن شيخ يجهر بالأذكار ، ويبتدع في الأوراد ، مع أنه لم يكن شيخاً أذن له شيخ ؟ وعدم ميلهم إلى الأخذ ممّن لا يجهر مع أنّه أفضل وأحقُّ وأقدم رُتْبَةً في مقام المشيخة ؟ فقلت له : السرُّ فيه وجود الحظوظات النفسانية في الأذكار اللسانية والدعوات الجهريّة ، وتخليط البدعات في تلك الطريقات ، وإذا ابتدع عمل في العبادة حلاّه الشيطان كما ورد : « من عمل ببدعة حلاّه الشيطان في العبادة ، وألقى عليه الخشوع والبكاء » ، فقال : صدقتَ واللهِ ! ولقد صدّق مَنْ قال من أهل التحقيق : **النفس أمارة لا تتبع إلا المنكر المخالف للدين** . انتهى .

الباب العشرون

في بيان غرور الشيطان في إظهار التواجد من حيث يظن الناس أنهم على شيء

قال الغوث الأعظم أحمد ضيآء الدين في « المتممات » : وللشيطان وساوس كثيرة ، فإنّه يحسن لبعض الناس إظهار التواجد عند الذكر أو سماع القرآن ، ويدخل عليه بصورة نصيحة ، وهو أنك إذا تشبَّهت بالواجدين تكون منهم ، ويتلو له البيت الذي قاله بعضهم :

وتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبّه بالرجال فلاح

ثم إذا تواجد وتبع ما أمر به الشيطان تجلّى له من المِصْرَاعِ السفلي ، فينفخ فيه ، فيحصل له حرارة فيسوّل له أنّ هذا من تجلّي الحق فيصْرخ ، فيحصل الانقباض[1] لمن سمعه من أهل الباطن ، وعلامة

(١) ففي يوم ذهبنا إلى زيارة مرقد الشيخ الأعظم والقطب الأفخم محمود الفعال قدس=

ذلك ! لو كان وجده صحيحاً لأثَّر في جميع من كان حاضراً ، نعوذ بالله من اتباع الشيطان . انتهى .

وفي « الإبريز » ما ينبغي إيراده هنا لنفاسته لعل الإخوان ينتفعون به وهو هذه العبارات : وكنت معه يعني مع عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه ذات يوم بموضع فجلس معنا رجل ، وبينما الشيخ رضي الله عنه يتكلَّم إذ جعل[1] الرجل يصيح صياحاً منكراً . وطال ذلك من أمره ، فقال لي الشيخ رضي الله عنه بعد ذلك : هو شيء كبير لولا أن الشياطين تلعب به ويفسدون عليه صلاته . فقلت : يا سيدي وكيف ؟

مطلب مهم

فقال رضي الله عنه أنّ وجهة القلوب إلى الله تعالى هي صلاتها

كما أنّ ركوع الذات وسجودها هو صلاتها ، وإنما شرعت الصلاة

=سره مع أخينا العالم العارف العامل بعمل أهل الله سيف الله الحسيني الغازي الغموقي رحمه الله تعالى ، فدخلنا إلى مرقده مع إتمام ما يجب من الآداب فوقفنا قريباً من قبره متوجّهين مشتغلين على الوقوف القلبي ، مستمدّين من حضرته العالية متضرّعين بقدر طاقتنا ومتوسّلين به إلى حصول الجمعية واجتناب التفرقة ، فحصل لنا بحمد الله تعالى حالاً وحضوراً وظهر فينا أثر الفيض بمحض فضل الله سبحانه وذهب من قلوبنا التفرقة بالكلية .

ثم دخلنا إلى مرقد الشيخ زبّان قدس سره الذي عند مرقد الشيخ محمود أفندي قدس سره فوجدنا فيه واحداً من المتصدرين للإرشاد يذكر الله تعالى وبيده السبحة فقبّلنا يده وصافحناه فجلسنا متأدّبين مستمدّين من حضرة الشيخ زبّان ومتوسلين به ، فأقبل وقتئذ ذلك الرجل للدعوات الجهريات والأذكار اللسانيات واشتغل بالتباكي والصياحات فزالت الجمعية القبلية « بتقديم الباء على اللام أي الجمعية الكائنة قبل الدخول عليه » وتضاعفت التفرقة القلبية ولم أطق أن أحضر بعد ذلك مع الله ولو اجتهدتُ متضرعاً إلى الله فسرنا منه مع الإنقباض بلا بقاء شيء من الإنبساط ظناً مني أن ذلك حصل بسبب ذلك الرجل ، فأقبل إلينا أخونا سيف الله المذكور قدس سره وصرّح ما حصل له من قبض الأحوال وقال أن ذلك بصنيع ذلك الرجل وهكذا قد جربناه مراراً ووجدناه صادقاً ، والله الموفق . (منه رحم الله إفلاسه) .

(١) وفي نسخة : صار .

وسائر الطاعات لتحصّل هذه الوجهة فهي نتيجة العبادات وفائدتها التي هي سبب ربح العبد ورحمته ، فإذا رأت الشياطين شخصاً أراد أن تحصل له هذه الوجهة من ذكر أو سماع كلام رقيق أو نحو ذلك نفذوا على قلبه فأفسدوا عليه وجهته حَسَداً لبني آدم وبُغْضاً فيهم ، فتحصل لهذا الصائح مفاسد منها فساد الوجهة التي هي سبب ربحه ، ومنها أنه يظنّ أنّه على شيء ، ومنها ما يخشى عليه من الانقطاع لأنّه بذلك الصياح يظن أنّه على شيء وكذلك الناس يظنّون أنه على شيء فيشيرون إليه ، **وويل لمن أشارت إليه الأصابع**.

قلت ومما يؤيِّد هذه ! الحكاية التي ذكرها الشيخ زرُّوق رضي الله عنه ، وملخصها أنّ قوماً من الفقرآء كانت عندهم بفاس مبيتة فكلّموا[1] شخصاً صادقاً في الذهاب معهم وكان أعمى ، فذهب معهم إلى الموضع ، فبينما هم يذكرون إذ قال الشيخ الأعمى رضي الله عنه : يا قوم قد دخل عليكم الشيطان في صورة عنز بقرونها ، ثم قال : فمن هو صاحب الغفارة الحمارة منكم ؟ فإنيّ رأيت الشيطان يَشُمُّهُ شَمّاً عنيفاً ، ثم صاح الأعمى وقال : إنّه نطحه بقرونه حتى غاصت فيه ، فلم يفرغ كلامه حتى صاح صاحب الغفارة وخرج عن حسِّه ، ثم قال الأعمى : ومن هو صاحب اللباس الفلاني فيكم فإنّي رأيت الشيطان قد انتقل إليه يشمّه ، ثم صاح[2] لقد نطحه والله بقرونه نطحة منكرة ، فصاح المشموم وغاب عن حسِّه . انظر تمام الحكاية ، فافتضحوا بحضور ذلك الصادق معهم ، وكانوا قبله يحسبون أنهم على شيء ، فكانوا على جهل مركَّب .

وقد اتّفق أنه صاح بعض الناس بحضرة شيخ عارف فقال له

---

(١) وفي نسخة : فتكلموا .

(٢) أي قال .

الشيخ : إني تبعتُ صَيْحَتَكَ حتى دَخَلَتْ إلى قبر بمقبرة كذا . فقال الصائح ولم يكن من أصحاب ذلك الشيخ : صدقت يا سيدي لمّا مررت بكم فوجدتكم تذكرون محبوبكم ذكرتُ أنا محبوبتي ، وكانت ابنة عمّ لي ماتت ، وذلك هو قبرها ، فلما تذكّرْتها صحت من أَلَمِ فراقها ، والله أعلم . انتهى من ١٧١ .

ولعلّ أحوال هذا الخلق في هذه الديار الجبلية وتواجدهم حاصلة من مكائد الشيطان ، والحال أنهم يظنّون أن ما حصل لهم من الحزن والبكآء والتأوُّه والصياح والحركة والاضطراب وقْتَ الذكر في المجامع والمحافل هو من الله ، مع أن أكثرها في الحقيقة من تلبيس إبليس ، أو من تسويلات النفس ، وأكثر شغل مشايخهم في زعمهم الوعظ والنصيحة في المساجد والمجالس ، والإقبال على الأذكار الجهريات والدعوات الظاهرات لكي يحصل بها للناس الصيحات والحركات ، وهذا شيء مخوّف ينبغي للمشتغل بها أن يتفطَّن لئلا يكون سعيه تابعاً لمكائد الشيطان وتزييناته من حيث لا يشعر .

فائدة مهمة : سُئِلَ الشَيْخُ سليمان الزهدي قدس سره بهذه العبارات : هل يجوز الرقص والسماع في الطريقة الخالدية النقشبندية أو في الطرق المشهورة ؟ ! أفيدونا بالنقل الصريح عن السلف الصالحين والفقهآء العاملين .

فأجاب بقوله : **أما الرقص في الطريقة الخالدية النقشبندية !** لا يجوّزونه أصلاً إلا تحريك إصبع بالسبحة في حالة الذكر لتعيين عدد الذكر المشروط لهم ، كما هو المشهور في كتبهم ورسائلهم ، **وأمّا غير النقشبندية** من الطرق المشهورة اختار بعض سلفهم الرقص والسماع لتهييج قلوب الغافلين إلى محبة الله تعالى ، ووجدوا فائدته فكان الارتكاب للمنافع بقيودات وشروط ، ولما روي من تمايله ﷺ

حين سماع ، ولكن قال : « لي مع الله وقت لا يسعه ملك مقرّب ولا نبي مرسل » فافهم .

وسئل الجنيد سيد الطائفة ـ قدس سره ـ عن تركه السماع فأجاب : بفقدان أهل السماع وفقد شروطه وقيوده وآدابه ، وقال : إنّ المريد الطالب للسماع فيه بقية بَطالة ، ولذا قيل لا يصح إلاّ لعارف مكين ، ولا يباح لمريد مبتدىء . كذا في « عوارف معارف » ومعاشر النقشبندية لا ينكرون ذلك على سلفهم ، ولا يقرّونه لخَلَفهم ، بل أصولهم اتّباع السنة النبويّة ، والعمل بأقوال الأئمة المرضيّة ، والفرار عن البدع الرديّة . قيل من كان وجدُه صحيحاً فلم يحتج إلى قول المغن :

له في ذاته طرب قديم وسكر دائم من غير دَنٍّ

وأمّا أقوال الأئمة كما في كتاب « الطريقة المحمدية » للبركوي ونكتفي بذكر بعض نصوصه بعبارته :

الصنف التاسع في آفات بدن غير مختصّة بعضو معيّن مما ذكر ، وهذه كثيرة جدّاً ومنها : الرقص وهو الحركة الموزونة ، والاضطراب وهو غير الموزونة ، فكلّ[1] من لعبٍ غيرِ مستثنى[2] ، ويدخل فيهما ما يفعله[3] بعض الصوفية في زماننا ، بل هو أشدّ من كل ما عداه منهما ، لأنهم يفعلونه على اعتقاد العبادة فيخاف عليهم أمْرٌ عظيم . قال الإمام أبو الوفاء ابن عقيل : قد نصّ القرآن على النهي عن الرقص فقال ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ وذمّ المختال ؛ والرقص أشدُّ المرح والبطر .

وقال الطرطوشي حين سئل عن مذهب الصوفية : أمّا الرقص

---

(١) أي كل واحد من الرقص والاضطراب ، « بريقة » ٥٧١ ج ٢ .

(٢) من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : كل لعب حرام غير الرمي والمسابقة والملاعبة لأهله ، « بريقة » ٤ .

(٣) بلا وجد حقيقي ، « بريقة » .

والتواجد[1] فأول من أحدثه أصحاب السامري ! لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون عليه ويتوجدون ، فهو دين الكفار وعبّاد العجل .

وقال في « التتارخانية » : الرقص في السماع لا يجوز .

وفي « الذخيرة » إنه كبيرة ،

وقال الإمام البزازي رحمه الله في فتاواه : قال القرطبي رحمه الله : إن هذا الغنا وضرب القضيب والرقص حرام بالإجماع عند مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد رحمه الله في مواضع من كتابه ، وسيد الطائفة أحمد النسوي[2] رحمه الله صرّح بحرمته .

ورأيت فتوى شيخ الإسلام جلال الملة والدين الكيلاني ـ رحمه الله ـ أن مستحلّ هذا الرقص فاسق[3] . إلى آخر ما في الكتاب . ونظيره في كتاب « تبيين المحارم » وفي غيره كثير . قيل يرقصون رقص الفجار ، وينعقون مثل الحمار ، ويظنون أنهم على طريق الأبرار ، بل هم أضلّ من الكفار .

أقول والسلامة في اتّباع السلف ، وحقيقة العلم عند الله . قال تعالى ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ ولذلك كتب الحقير جواباً للسؤال ، لا لأهل الجدال ! فإنّ زماننا زمان ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ والعاقبة للمتقين . قد بُيّض في محرم ستة وتسعين بعد الألف والمائتين وأنا المسكين المستهام سليمان الزهدي الخالدي

---

(١) وقال ابن حجر في « كف الرعاع » نقلاً عن السهروردي : التواجد من الذنوب . فليتق الله ربه ولا يتحرّك إلا إذا صارت حركته كحركة المرتعش الذي لا يجد سبيلاً إلى الإمساك . فراجعه من هامش « الزواجر » من الجزء الأوّل (منه رحمه الله) .

(٢) وفي نسخة : النسوي .

(٣) وفي نسخة كافر راجع البريقة في ٥٧٣ ج ٢ (منه) .

المجدّدي ابن حسن بن سليمان بن محمود عفا عنهم وعن جميع الأنام؛ المجاور ببلد الله الحرام . انتهى . من مجموعة الرسائل ١٠٤ .

ووجدت في هامشه من منهوّاته هذه العبارات : وأجمل جواب السؤال ، وجمّله في بيان حال كلّ فرقة وهم ثلاث ، منهم من يجوّزون الرقص[1] والسماع مطلقاً لتحصيل المنافع المعيّنة عندهم ، وأيّده بتمايله ﷺ ، ومنهم من يجوّزونهما لعارف مكين لا للمبتدىء ، وأيّده بقوله لي مع الله وقت ، ومنهم من لا يجوزونهما كالنقشبندية[2] ـ والسائل منهم ـ وأيَّده بقول الفقهآء : فإن درْء المفسدة مقدم على جلب المصلحة . فكان الجواب كفصل الخطاب . انتهى . من مجموعة الرسائل .

ولقد كان في هذه المذكورات كفاية ، لكن لما كان هذا البحث مما كثر فيه القيل والقال بين الناس أردت أن أورِدَ هنا أقوال الفقهاء والصوفية لينظر إليها من أراد التحقيق .

وقال الخادمي في « البريقة المحمودة »[3] وعن منيرة ابن الكمال عن « جواهر الفتاوى » : السماع والرقص الذي يفعله الصوفية في زماننا حرام ، ولا يجوز الجلوس معهم في مجلسهم ، والرقص والغناء والمزامير في الحرمة سوآء . انتهى .

وفيه في ٥٧٤ : وفي النصاب هل يجوز الرقص في السماع ؟

---

(١) راجع إحياء علوم الدين من ٢٢٨ من الجزء الثاني . ففيه ما حاصله : أن الرقص والتباكي مباح إذا لم يقصد به المراآت لأن التباكي استجلاب للحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط ، فكل سرور مباح فيجوز تحريكه . اهي (منه) .

(٢) قال الإمام الرباني قدس سره أن في أكثر الطرق سماعاً ورقصاً ويبلغ الأمر فيه حد الرخصة بعد تمحل كثير وأين فيه المجال للعزيمة بعد وكذلك ذكر الجهر لا يتصور فيه ما فوق الرخصة اهي كذا في الدرر المكنونات في ٣١٤ من الجزء الأول راجعه (منه) .

(٣) في ٥٧٤ ج ٢ .

الجواب : أنه لا يجوز . وعن « الذخيرة » ومن أباحه من المشائخ[1] فذلك الذي حركاته كحركات المرتعش ، أي ما يكون بلا اختيار . ونقل عن « حاوي المنية » **الرقص وضرب الرجل على الأرض والمشي في الذكر والدوران كفر** . انتهى . لعلّ مراده استحلاله ، واعتقاد كونه عبادة .

وعن السهروردي وهو عن أبي العباس السقا يقول : تطوف الشياطين عراة بأطراف قوم يشتغلون بالسماع والرقص ، ويلعبون بينهم ، وينفخون في فيهم فيتواجدون . انتهى .

وفيه أيضاً : وقد ذكر أن بعض الناس عمل فتوى ومشى بها على المذاهب الأربعة ، ولفظه : ما تقول السادة الفقهآء أئمة الدين وعلمآء المسلمين في جماعة من المسلمين وردوا على بلد ، فقصدوا إلى المسجد وشرعوا يصفقون ويرقصون ، فهل يجوز في المساجد شرعاً ؟ أفتونا مأجورين يرحمكم الله . فقال :

قالت الشافعية : الغنآء لهو باطل ـ أي يشبه الباطل ـ من قال به تردُّ شهادته .

وقالت المالكية : يجب على ولاة الأمور زجرهم ورَدْعهم وإخراجهم من المساجد وحبسهم حتى يتوبوا ويرجعوا .

وقالت الحنابلة : لا يصلَّى خلفه ، ولا تقبل شهادته ولا حكمه .

وقالت الحنفية : الحصير التي يرقص عليها لا يصلى عليها حتى تغسل ، والأرض التي يرقص عليها لا يصلى[2] عليها حتى يحفر ترابها ويرمى . والله أعلم انتهى ٥٧٥ .

---

(١) وما قيل عن بعض الصوفية بجوازه مع التكسر فهو كذب محض وخيال باطل ، أو محمول على ما ليس بالاختيار « شهاب » ٣٠١ من الجزء الرابع . (منه) .

(٢) ولكن في الفتاوى العمرية ما حاصله أن هذا « أي قول هذا القائل » باطل لا أصل له فراجعه (منه) .

وفي « بغية المسترشدين » مسألة (ك) التصفيق باليد وضربُ للدُّف والرقص وضرب الصنج في حال الذكر ليس بمطلوب ، لا سيما حال القراءة ، إلا إن غلبه الحال وخرج عن الاختيار ! فلا لوم عليه .

ونقل ابن حجر عن الطرطوسي[1] ما حاصله : أن مذهب السادة الصوفية أنّ الرقص وضرب الدُف والشباب بطالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وأمّا الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري حين اتخذ لهم العجل فقاموا يرقصون ويتواجدون[2] ، وإنما كان مجلس رسول الله ﷺ مع أصحابه كأنّ على رؤسهم الطير من الوقار ، فينبغي للسلطان ونوَّابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يحلُّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ، أو يعينهم على باطلهم . هذا مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة وغيرهم من أئمة[3] المسلمين انتهى .

---

(١) قوله عن الطرطوسي هكذا في النسخة التي نقلناه ولعله القرطبي لأن ابن حجر قال في « كف الرعاع » تتمة نقل القرطبي عن الإمام السيوطي الخ ، ثم ذكر عين ما يأتي حرفاً بحرف ولهذا ترجيت ، والله أعلم (منه قدس سره العزيز) .
وذكر ابن حجر أيضاً في « الزواجر » ما حاصله هذا : إن نحو الرقص والدف فيه خلاف ، وإنه لم تأت شريعة قط بأنه قربة ، وإن من قال بحلّه إنما جعله مباحاً ، وإن من اصطفاه لدينه متعبداً بحضوره فقد باء بحسرة وخسارة ، وإن العارف المشتاق إذا هزّه وجد فهام في سكراته لا يلحقه لوم بل يحمد حال لطيب ما يلقاه من اللذات . انتهى . نقله عن بعض ثم قال : قال غيره : أما سماع أهل الوقت فحرام بلا شك ، ففيه من المنكرات كاختلاط الرجال بالنساء وافتتان العامة باللهو ؛ ما لا يحصي . فالواجب على الإمام قصرهم عنه . انتهى . فراجعه في ١٧٣ من الجزء الثاني . وأما ما ذكره الغزالى في « الإحياء » فحاصله : أن السماع والغناء الذيْن يحركان مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوقين فغير جائز ، وأما ما يحرّك الشوق إليه أو السرور بالعيد أو حدوث الولد وقدوم الغائب ، فجائز والله أعلم . فراجعه في بيان حجج القائلين بتحريم السماع ، والجواب عنها في صحيفة ١٩٤ من الجزء الأوّل (منه رحمه الله) .
(٢) وهو – أي : الرقص دين الكفار وعباد العجل ، « كف الرعاع » لابن حجر .
(٣) قال ابن حجر في « كف الرعاع » بعد نقله هذا الكلام إلى هنا : فتأمّله واحفظه فإنه حقّ ، وغيره باطل الذي غايته القطيعة والآثام ، فراجعه في ٥١ من هامش « الزواجر » من الجزء الأوّل . (منه من خطه) .

وما ذكره من التصفيق وما بعده فقد اخْتُلفَ في تحريمه . أمّا التصفيق باليد خارج الصلاة من الرجل فقال م ر بحرمته حيث كان للّهو أو قصد به التشبُّه بالنساء ، ومال ابن حجر إلى كراهته ولو بقصد اللعب ، وأمّا الضرب بالدُف فصرّح ابن حجر بأنّ المعتمد حلُّه بلا كراهة في عرس وختان وغيرهما ، وتركه أفضل ، وأمّا الرقص بلا تكسُّر وتثنٍ فالذي اعتمده ابن حجر أنه مكروه ونقل عن بعض أصحابنا حرمته إن أكثر منه أما هو بتكسر وتثن فحرام مطلقاً حتى على النساء ! كما صرح[١] به في « كف الرعاع » .[٢]

وأما ضرب الخشب بعضه على بعض فقد نقل (سم) حرمته كالضرب بالصفاقتين ـ وهما قطعتا صفر تضرب إحداهما على الأخرى

---

(١) وعبارته في « كف الرعاع » هذا : وقال بعض أصحابنا : إنْ أكثر منه حرم وإلا فلا . انتهى من ٤٥ من هامش الجزء الأول من « الزواجر » . وفيه : وأشار القاضي حسين في « تعليقه » والغزالي في « الإحياء » إلى أن محلّ الخلاف ؛ فيمن فعله باختياره ، بخلاف من كان من أهل الأحوال ، فحصل له وجد اضطرّه إليه . فإن هذا لاحرمة ولا كراهة عليه اتفاقاً . وعلى هذه الحالة يحمل ما حكي عن العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى ورضي به : أنه كان يرقص في السماع . وممّا يعين هذا الاحتمال المذكور ويردّ على من توهّم من فعله أنه يفعله عن اختياره فجعله حجة لدعواه الفاسدة وبضاعته الكاسدة : قوله نفسه في « قواعده » التي لم يصنّف مثلها : أما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشابهة لرعونة الإناث لا يفعلها إلا أرْعَنُ أو متصنّع جاهل . ويدل على جهالة فاعلهما : أن الشريعة لم ترد بها لا في كتاب ولا سنة ، ولا فعل ذلك أحد من الأنبياء ، وإنما يفعله الجهلة السفهاء الذين التبست عليهم الحقائق بالأهواء . وقد حرّم بعض الفقهاء التصفيق على الرجال لقوله ﷺ « التصفيق للنساء » . انتهى كلامه . فبعد صدور هذه العبارة منه وهو أخشى لله وانقاه من أن يتكلّم في كتابه الذي هو نتيجة علومه ومعارفه بما يفعل خلافه على رؤس الأشهاد هي لعلة ، وكيف يتوهم فيه صدور ذلك منه . وبفرض صحّته عنه يتعيّن حمله على أنه إنما فعله اضطراراً لعروض حال أزعجه وأخرجه عن اختياره : وقد عرفت أن هذه الحالة ليست من محلّ الخلاف ، فاحفظ ذلك . وردّ به من زلّ في هذه المسألة قدمه ، وطغا في حكمها فهمه وقلمه . انتهى كلام ابن حجر في « كف الرعاع » فراجع في ٥٦ من هامش « الزواجر » من الجزء الأوّل . (منه قدس سره) .

(٢) عن محرمات اللهو والسماع هو كتاب ألفه ابن حجر راجع « فتاويه » في ٣٦١ ج ٤ .

ويسمى الصنج ـ وأفتى ابن حجر بحرمة ضرب الأقلام على الصينيّ وضرب قطعة منه على الأخرى ، وبالجملة فكل ذلك إما حرام ، أو مكروه ، أو خلاف الأولى . انتهى فراجعه في ٣٠٢ .

وقال ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » مجيباً لمن سأله : هل لرقص الصوفية أصل أم لا ؟ نعم له أصل ! فقد روي في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي النبي ﷺ لمّا قال له اشبهت خَلقي وخُلقي . وذلك من لذة هذا الخطاب . ولم ينكر عليه السلام ، وقد صحَّ القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من كبار الأئمة ، منهم : عز الدين[١] ـ شيخ الإسلام ـ ابن عبد السلام . انتهى فراجعه من صحيفة ٢١٧ .

وقال النووي في « المنهاج » : ويحرم ضرب الكوبة الخ لا الرقص ! إلا أن يكون فيه تكسُّر كفعل المخنَّث . انتهى .

وقال المحلي في شرحه : فيحرم . قال الشهاب : قوله : فيحرم أي على الرجال والنسآء ، وما ورد من أنه ﷺ وقف لعائشة يسترها حتى تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون ويزفنون ـ والزفن بالزاء المعجمة والفاء الرقص محمول على أنه كان بغير تكسُّر ، وما قيل عن بعض الصوفية بجوازه مع التكسُّر فهو كذب محض ، وخيال باطل ، أو محمول على ما ليس بالاختيار . انتهى فراجعه في ٣٠١ من الجزء الرابع .

وقال ابن حجر أيضاً في « الفتاوى الكبرى الفقهية » : **وأما الرقص فلا يحرم ، لفعل الحبشة له في حضرته ﷺ مع تقريره عليه . وقال جماعة يكره لخَرْمِ المروءة** . وفصّل الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ بين

---

(١) وهذا محمول على أنه قدس سره إنما فعله اضطراراً لعروض حال أزعجه وأخرجه عن اختياره ، كما بينه ابن حجر في « كف الرعاع » فراجعه في ٥٦ من هامش « الزواجر » من الجلد الأول (منه قدس سره) .

أرباب الأحوال الذين يقومون بوجدٍ فيجوز لهم ، ويكره لغيرهم .

ونقل عن القاضي ـ رحمه الله تعالى ـ ردَّ الشهادة به لغير أرباب الأحوال ، وهو متَّجه حيث كان لهم منصب أو فخامة تقتضي أن ذلك خارم لمروءته غير لائق به تعاطيه ، وإلا فلا وجه لردِّ الشهادة به لأنه غير خارم للمرؤة حينئذ .

قال البلقيني رحمه الله تعالى : ولا حاجة لاستثناء أرباب الأحوال لأنّه ليس[1] بالاختيار ، ومحلُّ ذلك كله حيث لم يكن فيه حرمة كفعل المخنثين ، وإلاّ حرُم !

وأما التصفيق باليد للرجال ! فنقل ابن عبد السلام ـ رحمه الله تعالى ـ عن بعضهم أنّه حرام . وجزم به المراعي ـ رحمه الله تعالى ـ وفيه نظر ! ونيّة التقرُّب بذلك لا يخفى على أحد أنّه حرام . . الخ فراجعه في ٣٥٦ من الجزء الرابع .

وقال ابن حجر أيضاً في « التحفة » في شرح قول « المنهاج » : (لا الرقص) فلا يحرم ولا يكره لأنه مجرَّد حركات على استقامة أو اعوجاج ، ولأنه ﷺ أقرّ الحبشة عليه في مسجده[2] يوم عيد . رواه الشيخان .

---

(١) فلا يوصف بإباحة ولا غيرها وهذا ظاهر إذا كانوا موصوفين بهذه الصفة وإلا فتجد أكثر من يفعل ذلك ليس موصوفاً بها . ولذا قال ابن عبد السلام : الرقص لا يتعاطاه إلا ناقص العقل ولا يصلح إلا للنساء انتهى . « حميدية » ٢٢١ فراجه (منه) .

(٢) ولكن المحقق ابن حجر ذكر في كتابه « كف الرعاع » كلاماً شافياً يؤخذ منه منع الرقص في المساجد ، فقال : قال الأذرعي في « توسطه » واعلم أن طوائف من المغرورين بالرقص من المتفقرة ؛ أي : المتصوفة ومنحذا حذوهم من المتفققهة ، توهموا أن حديث الزفن حبشة بالمسجد ؛ وهو بالزاي والفاء والنون : الرقص دليل على جواز الرقص في المساجد مع ضمية الفناء والطارات إليه ، وذلك خطأ صريح وجهل قبيح ، يعرف ببيان الحديث والجواب عنه . كما هو مذكور في كلام القرطبي . أما الحديث ؛ فالذي رواه البخاري ومسلم فيه : أن ذلك كان يوم عيدٍ يلعب السودان بالدَرَقِ والحراب في المسجد . فقال رسول الله ﷺ لعائشة : « تشتهين تنظرين ؟ » فقالت : نعم . فأقامني رسول الله ﷺ وراءه ، خدي على خده وهو=

واستثنى بعضهم أرباب الأحوال فلا يكره لهم ، وإن قلنا بكراهته التي جرى عليها جمع . وردَّه البلقيني بأنه إن كان باختيارهم فهم كغيرهم ، وإلاّ فليسوا مكلَّفين ! ثم اعتمد القول بتحريمه إذا كثر بحيث اسقط المروءة ، وما ذكره آخراً[1] فيه نظر ! وأوّلاً[2] واضح جليٌّ يجب طرده في سائر ما يحكى عن الصوفية مما يخالف ظواهر الشرع فلا يحتجُّ به لأنّه إن صدر عنهم في حال تكليفهم فهم كغيرهم[3] ، أو مع

=يقول : « دونكم يا بني أرفدة » ووجه تمسكهم أنهم رقصوا في المسجد وأمرهم النبي ﷺ بل أغراهم بقوله : دونكم يا بني أرفدة هم أباح لعائشة النظر إليهم فكان دليلاً على إباحة الرقص وجوازه . والجواب : إن هذا الحديث لا يتناول محال النزاع ، فإن ذلك لم يكن من الحبشة رقصاً على غناء ولا ضرباً لأقدام ولا إشارة بالأكمام ، بل كان لعباً بالصلاح وتأهباً للكفار تدريباً على استعمال سلاح في الحرب وتمريناً على الكر والفر وطعن والضرب . وإذا كان هذا هو الشأن ، فليس أفعال المخانث والمختنثين من أفعال الأبطال والشجعان . وأما إباحة النظر إليهم ، فلأنه لم يكن بحضرتهم منكر يغير ولا عورة تظهر . وتمسكوا أيضاً بأنه ﷺ قال لعلي : « أنت مني وأنا منك » فحجل وقال لزيد : « أنت أخونا ومولانا » فحجل ، وكذلك حجل جعفر لما وصى له بابنة حمزة حين خاصمه فيها علي وزيد والحجل مشي المقيد . وهو وثب واهتزاز وهو الرقص . والجواب إن هذه كلها أحاديث منكرة وألفاظ موضوعة مزورة ، ولو سلمت صحتها لم تتحقق حجتها ، أي : لأن المحرم هو الاحتجاج على إباحة الرقص بحديث رقص الحبشة في المسجد ، وبأن علياً وجعفر وزيداً حجلوا لما بشرهم النبي ﷺ . ووجه خطأه ما تقرر ؛ من أن رقص الحبشة لم يكن من الرقص المختلف فيه ، وأن ما ذكر هؤلاء الثلاثة رضوان الله عليهم كذب مختلف ، لا تحل روايته ولا الاحتجاج به . إذا تقرر أن فعل الحبشة ليس من المختلف فيه وأن ما روي عن أولائك الأئمة كذب ، بطل قول صاحب الكتاب إن القياس على ذلك حجة على إباحة الرقص . انتهى كلام ابن حجر في « كف الرعاع » فراجعه في ٤٩ من هامش « الزواجر » من الجزء الأول . وفي « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » : إنه لم يجتمع النبي ﷺ وأصحابه على استماع غناء قط ، لا بكف ولا بدف ولا تواجد ، ولا سقطت بردته بل كان ذلك كذباً باتفاق أهل العلم بحديثه . وكان أصحاب النبي ﷺ إذا إجتمعوا عمروا واحداً منهم أن يقرأ والباقون يستمعون . انتهى فراجعه في ٧٧ (منه خطه قدس سره العزيز) .

(١) أي اعتماد القول بتحريمه إذا كثر ، « حميدية » ٢٢٢ ج ١٠ .

(٢) أي ردّ بأنّه إن كان باختياره الخ . « حميدية » .

(٣) أي : في الإباحة على الراجح والكراهة على خلافه « حاشية عبد الحميد » ٢٢٢ ج١٠ .

غيبتهم لم يكونوا مكلّفين به . وقد مرّ في الردة في ردّ كلام اليافعي[1] ما يجب استحضاره هنا .

ونقلُ الاسنوي عن العز بن عبد السلام أنه كان يرقص في السماع ، يحمل على مجرّد القيام والتحرُّك لغلبة وَجْد وشهود وارد ، أو تجلٍّ لا يعرفه إلاّ أهله ، نفعنا الله بهم . آمين .

ثم قال الإمام إسماعيل الحضرمي في « موقف الشمس » لما سئل عن قوم يتحرّكون في السماع : هؤلاء قوم يروِّحون قلوبهم بالأصوات الحسنة حتى يصيروا روحانيين ، فهم بالقلوب مع الحق ؛ وبالأجساد مع الخلق ، ومع هذا لا يؤمن عليهم العدوّ ، فلا يرى عليهم فيما فعلوا ، ولا يقتدى بما قالوا . انتهى .

---

(١) تنبيه ثالث : قال الغزالي : من زعم أن له مع الله حالاً أسقط عنه نحو الصلاة أو تحريم نحو شرب الخمر وجب قتله ، وإن كان الحكم بخلوده في النار نظر ! وقتل مثله أفضل من قتل مائة كافر ، لأن ضرره أكثر . انتهى . ولا نظر في خلوده لأنه مرتد لاستحلاله ما عُلمت حرمته ، أو نفيه وجوب ما علم وجوبه ضرورة فيهما . ومن ثم جزم في « الأنوار » بخلوده ، ووقع لليافعي مع جلالته في « روضه » لو أذن الله تعالى لبعض عباده أن يلبس ثوب حرير مثلاً وعلم الإذن يقيناً فلبسه لم يكن منتهكاً للشرع ، وحصول اليقين له من حيث حصوله للخضر بقتله الغلام إذ هو ولي لا نبي على الصحيح . انتهى . وقوله مثلاً ربما يدخل فيه ما زعمه بعض المتصوِّفة الذي ذكره الغزالي . وبفرض أن اليافعي لم يُرد بـ(مثلاً) إلا ما هو مثل الحرير في أن استحلاله غير مكفر لعدم علمه ضرورة فإن أراد بعدم انتهاكه للشرع أن له نوع عذر وإن كنا نقضي عليه بالإثم بل والفسق إن أدام ذلك فله نوع اتجاه ، أو أنه لا حرمة عليه في لبسه . كما هو الظاهر من سياق كلامه ، فهو زلَّة منه . لأن ذلك اليقين إنما يكون بالإلهام ، وهو ليس بحجة عند الأئمة ، إذ لا ثقة بخواطر من ليس بمعصوم . وبفرض أنه حجة فشرطه عند من يأذن بالقول به أن لا يعارضه بنصّ شرعي كالنص بمنع لبس الحرير المجمع عليه ، إلا من شذ ممن لا يعتدُّ بخلافه فيه ، وبتسليم أن الخضر وليّ ، وإلا فالأصح أنه نبي فمن أين لنا أن الإلهام لم يكن حجة في ذلك الزمن ؟ وبفرض أنه غير حجَّة فالأنبياء في زمنه موجودون ! فلعل الإذن في قتل الغلام جاء إليه على يد أحدهم . ابن حجر ٨٨٠ . ومن هامش ج عبد الحميد الشرواني من المجلد التاسع ، فراجعه ، ولأجل أن تراه نقلته هنا والسلام (منه) .

وعن بعضهم : تقبل شهادة الصوفية الذين يرقصون على الدُف ، لاعتقادهم أنَّ ذلك قربة ، كما تقبل شهادة حنفيٍّ شرب النبيذ لاعتقاده إباحته . انتهى . ورُدّ بأنه خطأ قبيح ، لأن اعتقاد الحنفي نشأ عن تقليد صحيح ؛ ولا كذلك غيره ، وإنما منشؤُه الجهل والتقصير ، فكان خيالاً باطلاً لا يلتفت إليه انتهى . فراجعه من كتاب الشهادة .

وأما[1] نفس السماع ! فقد ذكر فيه القشيري في « رسالته » في ١٧٨ كلاماً شافياً ، فقال :

واعلم أن سماع الأشعار بالألحان الطيبة والنغم المستلذة إذا لم يعتقد المستمع محظوراً ، ولم يسمع على مذموم في الشرع ، ولم ينجرَّ في زمام هواه ، ولم ينخرط في سلك لهوه مباحٌ في الجملة ، ولا خلاف أنّ الأشعار أنشدت بين يدي رسول الله ﷺ وأنه سمعها ولم ينكر عليهم في إنشادها ، فإذا جاز استماعها بغير الألحان الطيبة ، فلا يتغيَّر الحكم بأن يسمع بالألحان ، هذا ظاهر من الأمر ، ثم ما يوجب للمستمع توفُّر الرغبة على الطاعات ، وتذكُّر ما أعدَّ الله تعالى لعباده المتقين من الدرجات ، ويحمله على التحرز من الزلات ، ويؤدي إلى قلبه في الحال صفاء الواردت ، مستحبٌّ في الدين ، ومختار في الشرع[2] ، انتهى .

---

(١) راجع « جواهر المعاني » في ١١١ من الجزء الأول . (منه) .

(٢) قال بعض الأئمة من أهل اليمن : وأما سماع أهل الوقت فمحرم بلا شك ، ففيه من المنكرات وافتتان الرجال بالنساء وافتتان العامة باللهو ما لا يحصى . فالواجب على الإمام قصرهم عنه . كذا في « كف الرعاع » فراجعه في ٦٠ من هامش « الزواجر » من الجزء الأول . وفي « الفرقان بين الأولياء الرحمن وأولياء الشيطان » في صحيفة ٧٨ : وأما السماع محدث سماع الكف والدف والقصب ، فلم تكن الصحابة والتابعون لهم بإحصان ، وسائر الأكابر من أئمة الدين يجعلون هذا طريقاً إلى الله تبارك وتعالى ولا يعدونه من القرب والطاعات بل يعدونه من البدع المذمومة . حتى قال الشافعي : خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التفيير يصدون به الناس عن القرآن . وأولياء الله العارفون يعرفون ذلك ويعلمون أن للشيطان فيه نصيباً وافراً . ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم . ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال ولاية الله كان نصيب الشيطان فيه أكثر ، وهو بمنزلة يؤثر في النفوس أعظم من تأثير=

وقال الإمام الرباني ـ قدس سره ـ : والسماع والوجد مضرٌّ للمبتديء ، ومناف لعروجه ؛ وإن وقع بالشرائط ! وسيحرِّر نبذة من شرائط السماع في آخر هذه الرسالة إن شآء الله تعالى . **ووجد المبتدئ معلول ، وحاله وبالٌ ، وحركته طبيعيّة ، وتحركه مشوب بالهوى النفساني**؛ وأعني بالمبتدىء[1] من ليس من أرباب القلوب ؛ وأرباب القلوب متوسِّطون بين المبتدىء ، والمنتهي هو الفاني في الله والباقي بالله ، وهو الواصل الكامل ؛ وللانتهآء درجات بعضها فوق بعض ، وللوصول مراتب لا يمكن قطعها أبد الآبدين .

وبالجملة : إن السماع نافع للمتوسطين وطائفة للمنتهين أيضاً[2] كما مر آنفاً ، ولكن ينبغي أن يعلم أن السماع لا يحتاج إليه أرباب القلوب أيضاً مطلقاً ، بل جماعة منهم لم يشرفوا بعد بِدَوْلة الجذبة ، ويريدون قطع المسافة بالرياضات والمجاهدات الشاقة ، فالسماع

=الخمر ، ولهذا إذا قويت سكر أهل نزلت عليهم الشياطين وتكلمت على ألسنة بعضهم ، وعملت بعضهم في الهواء . وقد تحصل عداوة فيهم كما تحصل بين شراب الخمر ، فتكون شياطين أحدهم أقوى من شياطين الآخر ، فيقتدونه ويظن الجهال أن هذا من كرامة الأولياء الله المتقين ، وإنما هذا بعد لصاحبه عن الله ، وهو من أحوال الشياطين . فإن قتل المسلم لا يحل إلا بما أحله الله ، فكيف يكون قتل المعصوم مما يكرم الله به أوليائه ، وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة . انتهى (منه رحمه الله) .

(١) وفي « الإحياء » في ٢٢٧ من الجزء الثاني ، قال أبو القاسم النصراباذي لأبي عمرو بن عبيد أنا أقول إذا اجتمع القوم فيكون معهم قوّال يقول خير لهم من أن يغتابوا فقال أبو عمرو الرياء في السماع وهو أن ترى من نفسك حالاً ليست فيك شرّ من أن يغتاب ثلاثين سنة أو نحو ذلك انتهى ، « وذلك أن زلة السماع إشارة إلى الله تعالى وترويج للحال بصريح المحال وفي ذلك ذنوب متعدد ، منها أنه يكذب على الله تعالى أنه وهب له شيئاً وما وهب له والكذب على الله أقبح الزلات ، ومنها اه ، كذا في « عوارف المعارف » في ١٣ من هامش « الإحياء » ج ٢ منه » .

(٢) ومن وصايا الغوث عبد الخالق الغجدواني ولا تسمع الأنغام إلا قليلاً فإن كثرة السماع تولد النفاق وتميت القلب اه ، كذا في « الحدائق الوردية » في ١١١ راجعه (منه) . وفي « عوارف المعارف » فليس من الصدق إظهار الوجد من غير وجد نازل أو ادعاء الحال من غير حال حاصل وذلك عين النفاق انتهى ، فراجعه في صحيفة ١٢٩ من هامش « الإحياء » من الجزء الثاني (منه) .

والوجد مُمِدٌّ ومعاون لهؤلاء الجماعة في هذه الصورة ، وأما إذا كان أرباب القلوب من المجذوبين ! فقطع مسالك سيرهم بمدد الجذبة ، وليسوا محتاجين إلى السماع .

مطلب

شروط السماع مفقودة في سماع أبناء الزمان

وينبغي أيضاً أن يعلم أنّ نفع السماع لأرباب القلوب الغير المجذوبين ليس على إطلاقه ، بل الانتفاع به مشروط بالشرائط ، وبدونها خرط القتاد ، فمن جملة الشرائط عدم الاعتقاد لكمال نفسه ، فلو كان معتقداً لتمامية نفسه فهو محبوس .

نعم ! قد يورثه السماع أيضاً من العروج ، ولكنّه يهبط من مقام عرج إليه وقت السماع بعد التسكين .

والشرائط المبينة في كتب الأكابر مستقيمي الأحوال كـ « عوارف المعارف » أكثرها مفقودة في سماع أبنآء هذا الزمان ، بل مثل هذا السماع[1] الذي شاع في هذا الزمان ، وهذا الاجتماع الذي صار متعارفاً في هذا الأوان لا شك في أنّه مضرٌّ محضٌ ، ومنافٍ صِرْفٌ ، لا طمع للعروج فيه ، ولا يتصور الصعود والترقي به ، وإمداد السماع مفقود في هذا المحل ، والمضرة موجودة في ذلك المحفل . انتهى . كذا في « الدرر المكنونات » في ٣٠٦ من الجزء الأول فراجعه .

مطلب

أرباب التجليات الذاتية لا يحتاجون إلى الوجد والسماع

---

(١) وفي « الشهاب » في ٣٠٠ من الجزء الرابع وما قيل عن بعض الصوفية من جواز استماع الآلات المطربة لما فيها من النشاط على الذكر أو غير ذلك فهو من تهورهم وضلالهم فلا يعول عليه ، انتهى فراجعه (منه) .

وفيه أيضاً قبيل هذا في ٣٠٦ : إنّ السماع والوجد[١] نافع لجماعة متّصفون بتقلُّب الأحوال ، ومتَّسمون بتبدُّل الأوقات ، ففي وقت حاضرون ، وفي وقت غائبون ، وأحياناً واجدون ، وأحياناً فاقدون ، وهم أرباب القلوب ينتقلون في مقام التجليات الصفاتية عن صفة إلى صفة ، ويتحوَّلون من اسم إلى اسم ، تلوُّن الأحوال نَقْدُ وقتهم ، وتشتّت الآمال حاصل مقامهم ، ودوام الحال محال في حقهم ، واستمرار الوقت ممتنع في شأنهم ، فزماناً في القبض وزماناً في البسط ، فهم أبناء الوقت ومَغْلُوبُوهُ ، فمرَّةً يعرجون ، ومرّة يهبطون .

وأمّا أرباب التجليات الذاتية الذين تخلّصوا من مقام القلب بالتمام ، واتصلوا بمقلّب القلوب[٢] ، ورجعوا بكليتهم من رقيّة الأحوال إلى محوّل الأحوال ، فهم ليسوا محتاجين إلى الوجد والسماع ، فإن وقتهم دائمي ، وحالهم سرمدي ، بل لا وقت لهم ولا حال فهم آباء الوقت واأرباب التمكين وهم الواصلون الذين لا رجوع لهم أصلاً ، ولا فقد لهم قطعاً ، فمن لا فقد له لا وَجْد[٣] له ، نعم إنّ طائفة من المنتهين

---

(١) وقال الشيخ الشعراني في « الكبريت الأحمر » نقلاً عن « الفتوحات المكية » للشيخ الأكبر قدس سره : إنه قال في الباب السادس والخمسين وأربعمائة : لا ينبغي للأشياخ أن يتسلّموا للمريد حركة الوجد الذي يبقى معه الإحساس بمن في المجلس ، ولا تسلم له حركته إلا إن غاب ، ومهما أحسّ بمن في المجلس تعيّن عليه أن يجلس إلا أن يعرّف الحاضرين أنه متواجد لا صاحب وجد ، فيسلّم له ذلك على أن هذه الحالة غير محمودة بالنظر إلى ما فوقها . انتهى راجعه في ١٩٠ من هامش « اليواقيت » في الجزء الأول وفي « مكاشفة القلوب » في الباب الثامن والتسعون في بيان السماع كلام طويل في حقّ السماع والغناء فراجعه في ٢٩٤ . ولا حول ولا قوة إلا بالله (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) وفي نسخة القلب . .

(٣) فإن قلت : هل الأفضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره أو الذي يظهر عليه ؟ فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان ، وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال ، وتارة يكون لكون حال الوجد ملازماً ومصاحباً في الأحوال كلّها فلا يتبيّن للسماع مزيد تأثير وهو غاية الكمال . فإن صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد=

ينفعهم السماع أيضاً مع وجود استمرار الوقت ، انتهى . فراجعه[1] ففيه البسط النافع[2] .

ولنرجع إلى الكلام في الرقص ، قال الخادمي في « البريقة المحمودة » شرح (الطريقة المحمدية)[3] :

وحين استفتي من شيخ الإسلام چوي زاده أفتى : أنّ الرقص والدوران حرام في المذاهب الأربعة ، وحرمته بالكتاب والسنة

=دائم فهو المرابط للحقّ والملازم لعين الشهود ، فهذا لا تغيّره طوارق الأحوال . ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصدّيق رضي الله عنه : كنّا كما كنتم ثم قست قلوبنا ؛ معناه : قويت قلوبنا واشتدّت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الأحوال ، فنحن في سماع القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديداً في حقنا طارئاً علينا حتى نتأثر به فإذا قوة الوجد تحرك وقوة العقل والتماسك تضبط الظاهر وقد يغلب أحدهما للآخر إما لشدة قوته وإما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك ، فلا تظننّ أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أتم وجداً من الساكن باضطرابه ، بل ربّ ساكن أتمّ وجداً من المضطرب كذا في « الإحياء » في ٢٠٨ من الجزء الثاني . وفيه بعيد هذا : إن سهلاً بن عبد الله سمع مرّة قوله تعالى ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ فاضطرب ، فسأله ابن سالم وكان من أصحابه ، فقال : ضعفت ، فقيل له : فإن كان هذا من الضعف فما قوة الحال ؟ فقال : أن لا يرد عليه حال إلا وهو يلتقيه بقوة حاله فلا تغيّره الواردات وإن كانت قويّة . وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بملازمة الشهود . فراجعه (منه قدس سره) .

وفي « الإحياء » في ٢٢٧ من الجزء الثاني وفيه بعيد هذا أن سهلاً بن عبد الله سمع مرة قوله تعالى ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من أصحابه فقال قد ضعفتُ فقيل له فإن كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال أن لا يرد عليه وارد إلا وهو يلتقيه بقوة حاله فلا تغيّره الواردات وإن كانت قوية وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بملازمة الشهود . انتهى فراجعه (منه قدس سره) .

(١) في المكتوب الخامس والثمانين والمأتين ، ومثله في « الحدائق الوردية » في ١٨٨ (منه)

(٢) وفي نسخة : الزائد . وقد ذكر ابن حجر رحمه الله في « الزواجر » كلاماً طويلاً في السماع ، وقال بعد نقله كلام العلماء في حقّ السماع والرقص : وبما ذكره يتبين تحريم السماع والرقص على أكثر متصوّفة الزمان لفقد شروط القيام بآدابه . انتهى فراجعه في ١٧٤ من الجزء الثاني . وآدابه مذكورة في « الإحياء » فراجعه في ٣٠٧ من الجزء الثاني (منه قدس سره) .

(٣) في ٥٧٦ من الجزء الثاني (منه) .

والإجماع ، فيكفر مستحلّه بالاتفاق .

ثم **اعلم** أن الشارح الطالح استدلّ على إباحة الرقص بوجوه اعتراضاً على المصنف بقوله تعالى ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ** ﴾ فإن معناه على ما قال المفسرون ـ على كلّ حال ، والرقص من جملة تلك الأحوال .

أقول أوّلاً : لسْنا مأمورين باتِّباع المفسرين ، بل كنّا مأمورين باتباع الفقهآء ، وقد عرفت أقوالهم .

وثانياً : إنّ كل الحال لو أريد على إطلاقه يشمل على حال اللهو واللعب والهَزَيَانات ، وقد صرّحوا بكفره .

وبقوله تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ ﴾ الآية . فإنّ دوران الصوفية ورقصهم شبيه بالملائكة الحافّين من حول العرش ، والحجّاج الطائفين بالبيت الحرام .

أقول : إنّه قياس شاهد على غائب ، ورأيٌ في مقابلة نص قطعيّ كما عرفت ، وأن الاحتجاج بالنصوص سيّما في مثل هذا الأمر الخفيِّ والمجتهد[1] فيه إنما هو للمجتهدين ، وإنّ مدار القياس على العلة المتعدِّية ، وليس هنا شيء يصلح لذلك ، بل تعبُّدي محض . وإنَّ دوران الملائكة ـ لو سُلِّم انفهامه من تلك الآية ، ودوران الحُجّاج ـ خارج عن سُنن القياس فلا يقاس عليه غيره .

وأجيب بأنّ فعل الحجَّاج عبادة مخصوصة بمكان مخصوص فلا يتصوَّر عبادة في غيره . ألا يرى أنّ من طاف حول المسجد ينوي به الكعبة يخشى عليه الكفر ! ! انتهى .

وأنا أقول : لو لا خشية تفصيل الباطل بلا ضرورة لحكيت باقي

---

(١) عله والاجتهاد فيه (منه) .

أباطيله ، مع بيان وجه بطلانه ، انتهى .

نعم! الذكر قياما وقعوداً وعلى جنوبهم جائز إذا كان بأدب وسكونِ أعضآء بلا لحنٍ[1] ولا تغنٍّ ، وأما تحريك الرأس فقط يُمْنَةً ويُسْرَةً تحقيقاً لمعنى النفي والإثبات في (لا إله إلا الله) !! فالظن الغالب جوازه ، بل استحبابه إذا كان مع النية الخالصة الصالحة فيخرج عن حدِّ العبث واللعب . انتهى « الطريقة المحمدية » من صحيفة ١٧٥ . لأنّ العبث ما لا فائدة فيه والتحقيق المذكور من أعظم الفوائد انتهى « بريقة » ٥٧٧ .

وفي « الفتاوى العمرية » : **والحاصل** أنّ الرقص المجرّد مباح عند الشافعي مطلقا ، إلا إذا كان في محل فسق وفجور ، أو كان بتكسر أو تثني كفعل المخنّثين .

ثم الرقص على ثلاثة أقسام : إن كان سببه حراماً فحرام ، وإن كان مباحاً فمباح ، وإن كان محموداً فمحمود ، وكذا السماع . انتهى فراجعه .

والكلام في جواز الحركة والاضطراب والرقص والدوران وعدم جوازهما كثير في المصنفات ، ففي هذه المذكورات كفاية لمن أراد الوقاية عن الوقوع في المشكلات والمتشابهات .

---

(١) وفي « حاشية الرملي » : ومن الصوفية قوم مبتدعة يغيّرون ما فعل البني ﷺ وأصحابه ، خصوصاً في شهادة أن لا إله إلا الله لتجهير أصواتهم وأنواع ألحانهم ، و تحريكهم واهتزازهم وحلقتهم ، وربما يجاوز لحنهم إلى أن عدل ، فما يقبح هذا اللحن في شهادة يبدأ الإسلام . وربما يجاوز التحريك إلى القيام والدور كالرحى إلى أن وقع مغشياً عليه ويزيل عقله بارادته كما يزيل الفاسق بشرب الخمر ؛ ما أشد حكاقة من يتعب نفسه بهذه البدعة كالجاهل الذي قصد بلهو الدنيا . انتهى فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

الباب الحادي والعشرون

في بيان قاعدة التلقين، وكيفية أخذ الذكر

وفي شرح رسالة الخادمي : وكيفية التلقين بعد ثبوت صِدق المريد أن يأمره الشيخ بالاستخارة ، وأن يستخير هو أيضاً ، فإن وافقت استخارتهما ! يأمر الشيخ المريد أن يغتسل غسل التوبة ، ثم يصلّي المريد صلاة التوبة ركعتين ، ثم يتصدّق بصَدَقةٍ ، ثم يجيء عند الشيخ فيجلسه الشيخ بين يديه ، ويلصق ركبتيه بركبتيه[١] ، ثم يأخذ الشيخ بيده اليمنى يد المريد كالمصافح له ثم يستتيبه عن جميع المعاصي والمخالفات التي أضاع عمره بها ، ويأخذ عليه العهد على الاستحلال مع أرباب الحقوق ، وردِّ المظالم ، واسترضاء الخصوم ، ويأخذ العهد على التقيُّد بمتابعة السنة والعمل بالعزيمة ، والاجتناب عن كل رخصة ، والتباعد عن كل بدعة ، والإعراض عن جميع القبائح من المنكرات والصفات المذمومات ، ثم يستغفر هو والمريد بهذا الاستغفار وهو : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ، بديع السماوات والأرض وما بينهما ، من جميع جرمي وظلمي وما جنيت على نفسي وأتوب إليه . ثم يقرأ الشيخ هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ الآية ، ثم يضع الشيخ والمريد أيديَهما على ركبتيهما ويغمضان عَيْنَيهما ،ثم يذكر الشيخ بقلبه اسم الذات[٢] على نية التعليم والتلقين لقلب المريد ثلاث مرّات ، ثم يرفعان معاً أيديَهما للدعآء ، فيدعو الشيخ له ويؤمّن المريد ، ثم يمسحان[٣] بأيديهما وجوههما ، وبعده يقبِّل المريد ركبة الشيخ ، ويقوم

---

(١) كما فعل جبرائيل عليه السلام مع النبي عليه السلام « متممات » .

(٢) بالمد والحضور كأنّه يشاهد الملك الغفور « متممات » .

(٣) ثم يأمر بالاستغفار والفاتحة والإخلاص إلى السلسة والرابطة لشيخه بشرط أن يعتقد=

من محلِّه ويستأذن الشيخ ويذهب ، ويشتغل بما أمره به الشيخ ، ويحفظ نسبة الشيخ في كل حال ووقت ، ويوفي العهد والميثاق ولا ينقضه إلى أن يموت[1] . انتهى . كذا في « المتممات » ١١٧ .

وكذلك الحال في تلقين النفي والإثبات إلاّ أن المريد في تلقن النفى والإثبات يحبس نفَسه ويأخذ كلمة (لا) من فوق السرة ويمدُّ طرفيها إلى الدماغ ، ثم يأخذ منه كلمة (إله) إلى الكتف الأيمن ، ثم يأخذ منه كلمة (إلا الله) ويضربها إلى القلب الصنوبري حتّى يتاثَّر منها جميع البدن ، ويكرِّرها على هذه الكيفية ثلاث مرّات كذلك ، ثم يرفع الشيخ يديه ويدعو للمريد ويقول : اللهمّ خُذْ منه وتقبَّل منه ، وافتح عليه أبواب كلّ خير التي فتحتها على أنبيائك وأوليائك وأهل طاعتك ، واهده إلى صراطك المستقيم ، وكُنْ له عَوْناً ومُعِيناً يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . انتهى . من « تحفة الأحباب » .

وفي « حسبحال السالك »[2] إن احتاج الشيخ إلى التوجه إلى

=أنّه خليفة النبي عليه السلام في الفيض والإمداد وأنّه نائب عنه في تربية الخلق والإرشاد ، « متممات » من موضع آخر .

(١) لما في نقض العهد من الوعيد . ففي « روح البيان » قال أوحد المشائخ في وقته أبو عبد الله الشيرازي : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول : من طرق طريقاً إلى الله تعالى فسلكه ثم رجع عنه عذّبه بعذاب لم يعذب به أحداً من العالمين . وقد قالوا إن مرتدّ الطريق أعظم ذنباً من مرتد الشريعة . وقال الجنيد قدس سره لو أقبل صديق على الله تعالى ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فإن ما فاته أكثر مما ناله . انتهى . راجعه من سورة الفتح . ولذا قال شيخنا الرشد الكامل الحافظ شعيب الباكني قدس سره في « الفريدة المخمسة » :
وقرّروا أن مرتدّ الطريق بلا ا   أشدّ من ردّة الشرع القوى وشدا   واشتدّت فرحة الملعون منه عدا . انتهى .

وسمعت شيخنا العسوي قدس سره يقول فكم من بلية أصابت على من ترك ما أمرته عليه في دار الدنيا ، فكيف في الآخرة ؟ اهى . فينبغى التفطن في هذا الأمر . وفي « البحر المورود » في ٣٤٧ من هامش « لواقع الانوار » وقد فتشوا فلم يجدوا قط مريداً خرج من تحت التربية وأفلح أبداً . اهى فالعياذ بالله سبحانه (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) وهو اسم كتاب (منه) .

المريد ! يصلي أولاً على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقرأ الإخلاص ثلاث مرات والفاتحة مرة ، فبعد إعطاء ثوابها لروح النبي صلى الله عليه وسلم ، ولأرواح أصحابه ، ولأرواح مشائخ الطريقة الصديقية وسائر مشائخ الطرق ، يقول : يا ربّ ! الفيض ونور الذكرِ الواصل من جانبك الشريف ، وجانب حبيبك الشريف إلى قلبي بواسطة قلوب المشائخ الكرام ، أوصله إلى قلب هذا المريد وَأَعِنْهُ ، فيَرْمي بتلك النيّة إلى قلب المريد اسم الذات المستجمع للأسماء والصفات بالتوجه مقدار عشرة دقائق ، فبهذا الأسلوب يتأثّر قلب الطالب في توجُّه واحد بعناية الله تعالى ، ويفيد محبَّة الله تعالى ، وهكذا ينظر الشيخ إلى سائر اللطائف بتقابل روحه بروح المريد ، ويتوجّه كما سبق .

ثم إذا جرى الذكر على القلب وعلى سائر اللطائف يُلقِّن الذكر بالنفي والإثبات ، ويتوجّه إليه بالجمعية والحضور ، فيحصل له الجمعية والحضور . انتهى .

وفيه أيضاً في موضع آخر : ثم إنّ الشيخ يُلَقِّن الذكر على قلب الطالب ، ويتوجّه إليه به قدر ربع ساعة أو ثُمُن ساعة ، فحينئذ يحصل له أثر الذكر ، وإنّ المريد يخلص قلبه عن الأشغال بإمالة قلبه إلى قلب الشيخ ، فبعد ذلك يديم على الذكر بلا تغافل ولا تكاسل ، وبلا انقطاع التوجه إلى الشيخ[1] . انتهى .

---

(١) **مطالب مهمة للمرشد**

وكيفية ما يفعله هذا الفقير الحقير : أنه يقرأ ـ بعد الاستغفار ـ أوّلاً الفاتحة مرة ، وسورة الإخلاص ثلاثاً ، ثم يهدي ثوابها إلى روح النبي عليه السلام ، وإلى أرواح أصحابه الأربعة ، وإلى أرواح أصحاب النوبة ، وإلى أرواح مشائخ الطريقة النقشبندية ثم يقول : دستور يا رسول الله ، دستور يا أصحاب النوبة ، دستور يا مشائخ الوقت ، دستور يا أستاذي والآذن لي ، أطلب منكم الإذن لألقِّن الذكر لقلب هذا الطالب نيابة ، فمدّوني لأمدّه ، واجعلوني تحت نظركم . انتهى .

وقد استكتب هنا شيخنا العسوي ـ قدس سره ـ كيفية التلقين حين وصل إليه الرسالة من=

فائدة مهمة : قال صاحب « الأنهار[١] الأربعة » : **اعلم** أنّ للمشائخ النقشبندية ـ قدس الله تعالى أرواحهم ـ تصرّفاتٍ عجيبةً ، وحالات غريبة ، كجمع الهمّة على المراد فيحصل ذلك المراد على وفق همّتهم ، والتأثير في الطالب ، ودفع المرض عن المريض ، وإفاضة التوبة على العاصي ، والتصرُّف في قلوب الناس حتى يحبّونه ويعظمونه ، وفي مداركهم حتى يتمثل فيها واقعات عظيمة ، والاطلاع على نسبة أهل الله من الأحيآء والأموات ، والإشراف على خواطر الناس وما يختلج في الصدور ، وكشف الوقائع المستقبلة ، ورفع البلية النازلة ، وغيرها ، وكل ذلك من خصائص هذه السلسلة العلية النقشبندية . شعر :

تسامت شؤون النقشبندية الملأ　　فليس لهم بين الأعاظم أكفاء

=الشيخ المرشد الحاج مصطفى ـ قدس سره ـ يعني أنه طلب من شيخنا بيان كيفيته فطلب مني كتبة الجواب لسؤاله فافهم . (منه) . فكتبت نظير ما ذكر ، فلم ينكر عليه وأقره . فبعض الألفاظ مأخوذ مما في « لطائف المنن » ، وبعض منها مأخوذ من « ترصيع الجواهر » فراجعهما .

ومما كتب إلينا شيخنا ـ قدس سره ـ بخطه هذه العبارات : إن جاء لديك المريدون طالبين منك التوجه ! توجّه إلى محمود أفندي بكلّيتك ، واعدم نفسك ، ولاحظ أنك في نوره البسيط ، ثم توجّه بقلبك إلى قلب المريد ينعكس إليك بما فيه من القبض والبسط والاختلاج والحرارة ، انتهى .

وكتب إلينا أيضاً : لا تلقّن إلا بعد انعكاس حياة القلب ؛ أي الأثر . انتهى من خطه .

وحين سألته : هل نفعل المبايعة أم لا ؟ كتب في جوابه لي : لم أر المبايعة من جبرائيل أفندي إلا التلقين كما فعلت لكم . انتهى من خطه .

وسألته رضي الله عنه : هل أفعل الاستخارة قبل التلقين أم لا ؟ فكتب في جوابه ببيان ما يفعله : إذا جاء المريد لديّ لطلب الورد مني فلا أفعل الاستخارة في حقه وألقِّنه الذكر والرابطة ، لكون التلقين للتبرّك ، لا لأجل السلوك ! وبعد وصول البركة وهيَّجوا وصاروا أهل الجذب ألقِّن الذكر على أرواحهم ؛ ـ أي لطيفة أرواحهم ـ ، وقت تمكّن الذكر القلبيّ . اهى من خطه قدس سره .

وكان يأمرني بفعل الرابطة قبل التلقين والتوجّه ، وكتب إلينا مرة : إن أمرتَ عليهم ـ أي : على المريدين ـ بغسل أبدانهم ، وصلاة التوبة ، قبل التلقين يكون حسناً . اهى من خطه قدس سره (منه ؛ رحم الله إفلاسه) .

(١) قبيل الخاتمة (منه) .

يسيرون بالركبان في مهيع الخفاء إلى حرم القدس النزيه كما شاؤوا
بصحبتهم تمحى وساوس خلوة وللجذب فيـــها للبواطن إهدآء
وإن قَاصِـــرٌ يــومـاً تكلَّم فيهم فـمالي بما قد فاه نطق وإصغاء
أللثعلب المحتال قطـع بالحـيلة لـسلسلة فيـها من الأسد إملاء

مطالب مهمات

لا بد للمرشد من أن يقف عليها

وأما طريق التأثير[1] في الطالب ! فأن يتوجّه الشيخ إلى نفسه في النسبة التي قصد إلقاؤها على الطالب ، ثم يستعمل همّة تامة قويّة لإلقائها من جانبه إلى الطالب ، فتنقل تلك النسبة إلى الطالب على وفق استعداده .

وأمّا إذا كان الطالب غائباً يتصوّر صورته ، ثم يتوجَّه إليه ، ويبلغ أمره إلى النهاية .

وأمّا جمع الهمة[2]: فهو عبارة عن اجتماع الخواطر وتأكُّد العزيمة بصورة التمنّي والطلب ؛ بحيث لا يحصل في القلب خاطر سوى هذا المراد ، ويسأل الله تعالى حصوله، فيتمُّ على حسب متمنَّاه .

وأمّا طريق الكشف عن نسبة أهل الله : فأن يجلس مقابله إن كان حياً ، أو قريباً من قبره إن كان ميتاً ، ثم يخلِّي نفسه عن كل نسبة ، ويجعل روحه متّصلاً بروحه زماناً ، حتى يتَّصل بها ويختلط ثم يرجع إلى نفسه ، فكلّما وجد في نفسه من الكيفية هي نسبة ذلك الإنسان .

---

(١) أما طريق التوجّه إلى طالب الحق جل وعلا « المناقب الأحمدية » .

(٢) وكذلك كل أمر صعب يعرض فإنهم يجمعون الهمة ، ويسألون الله تعالى حلّه فيظهر على حسب متمنّاهم . « المناقب الأحمدية » ص ١٠٦ .

وأمّا طريق الإشراف على خاطر الإنسان : فإنه يخلِّي نفسه من كلّ خاطر ، ثم يجعل نفسه متصلاً بنفس ذلك الإنسان ، فإن اختلج في نفسه حديث فهو خاطر ظهر بطريق الانعكاس .

وأمّا طريق الكشف عن الواقعات المستقبلة : فكذلك يخلِّي نفسه عن كل شيء سوى الانتظار بمعرفة الواقعة[١] المطلوبة ، فإذا انقطع عن حديث النفس وصار انتظاره كطلب المآء للعطشان يلحق إلى الملائكة الكرام ، فتنكشف له الواقعة إن شاء الله تعالى ؛ إمّا بأن يسمعها من الهاتف ، أو بأن يراها في اليقظة أو في المنام .

وأمّا طريق رفع البليّة النازلة : فبأنْ يلاحظ تلك البليّة بصورتها المثالية ، ويتوجّه لرفعها بالهمة القويّة ، فيندفع بإذن الله تعالى . انتهى كلام « الانهار الأربعة » .

فهذه المذكورات مما لا خبر عنها إلاّ للأوليآء الذين صفت سرائرهم وقلوبهم عن كدورات[٢] السوى ، ومن أراد الزيادة وكان أهلاً للتصرُّف فعليه الرجوع إلى « البهجة السنية » في فصل ؛ في ٥٩ في طريق التصرّف ففيه البسط الشافي .

---

(١) وسألت شيخنا قطب الأولياء العارف الحافظ شعيب الباكني عن كيفية الاطِّلاع إلى حال المريد ؟ فكتب في الجواب هذه العبارات : فإذا أدخل المريد ـ أي الشيخ ـ في وسط القلب ـ أي قلب الشيخ ـ بعد تلوُّن الشيخ بلون محمود أفندي ـ قدس سره ـ يعلم أخلاق المريد بطريق الانعكاس ، ويتصوّر أخلاقه في صدره ، ويتصوَّر صوراً حسنة أو سيئة ، ويتغيَّر حال الشيخ بحسب حاله ، أو يرى بينهما غباراً أو دخاناً إن كان في قلبه أثر الإنكار ، ولكن لا ينحصر أمر الانكشاف في أفراد ، ويكون ذلك بحسب حال المريد ، ويتنوَّع بتنوُّع الرجال والنساء وأفرادهم . انتهى « من خطه »

(٢) راجع « الرشحات » من صحيفة ١٩٦ (منه) .

الباب الثاني والعشرون

في بيان أن الكرامة ليست بشرط في كون الإنسان وليّاً مرشداً وبيان أنّ ظهورها محلّ الفتنة والانقطاع والعياذ بالله تعالى.

اعلم أن ظهور الكرامات والكشوفات على أيدي أبعاض من متشيِّخي عصرنا فيخبره المنتسبون إليهم ، ولكن لا نجد من رآه منهم بعينه ، ولو سُلّم ظهورها على أيديهم فلا نُسلّم أهليّتهم بذلك للإرشاد ، لأنه لا يصير الشخص شيخاً بالكشف وخرق العادة ، فإن للشيطان كشوفاتٍ وخوارق ! وليس هو بمكان عند الله ، بل هو أَبْغَضُ خلق الله إليه تعالى وأبعدهم من جنابه ، وليست الكرامة شرطاً في الولاية ، وقد يكون من لم ينكشف أفضل ممن انكشف[1] كما في « الرسالة الخالدية » و« أعلام الهدى » للسهروردي .

وقال ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » في ٢٢٥ : ليس ذووا الكرامات أفضل من غيرهم على الإطلاق ، بل قد تنبيء الكرامة عن ضعف يقين[2] أو همّة فتعجل لمن أريد به عناية حتى يزول عنه كلٌّ من

---

(١) فالكامل لا كشف له ، أي لأنه مشغول بأداء أوامر ربه عزّ وجلّ التي عليه في كل نَفَس فلا تدعه الأوامر المتوجّهة إليه يتفرّغ لغيرها كذا في « لطائف المنن » للشعراني راجعه من ٩٣ من الجزء الثاني (منه) .

(٢) وفي « عوارف المعارف » ومن مُنح صرف اليقين لا حاجة له إلى شيء من هذا ، فكل هذه الكرامات دون ما ذكرناه من تجَوْهُرِ الذكر في القلب ووجود ذكر الذات انتهى . فراجعه من صحيفة ١٦٧ من هامش « الإحياء » من الجزء الثاني (منه) ، وراجع « المناقب الأحمدية » من هامشه في ١٩٥ (منه) .

ورأيت في « رماح حزب الرحيم » ما معناه : أن من لم ير الكرامات ولا يرى أفضل ممن يراها ، لسلامته من مفسدة الدعوى التي يموت صاحبها ـ إن لم يتب ـ كافراً ، ومن الوقوف عنده القاطع به في تحصيل المقصود بالذات . اهى . فراجعه ١٤٤ ، من هامش « جواهر المعاني » من الجزء الأول .

وفيه بعيد هذا ما لفظه : وليس من لم ير شيئاً ولا يرى في واقعة بأقل مرتبة ممن رأى أو يرى=

ذينك أو أحدهما ، **بل قد تقع الكرامة لمحبٍّ أو زاهد ولا تقع لعارف** ؛ مع أن المعرفة أفضل من المحبَّة عند الأكثرين ، وأفضل من الزهد عند الكل ، لأنّ الزهد من أوائل المقامات ، والمحبَّة أول الأحوال الناشئة عن مجاوزة المقامات .

مطلب مهم

وهم عنه غافلون

ويؤيد ذلك قول أبي يزيد رضي الله عنه : العارف طيّار ، والزاهد سيّار .

وقال غيره : وأنّى يلحق السيّارُ الطيارَ ، وقال ذو النون المصري : الزهَّاد ملوك الآخرة ، وهم فقراء العارفين ، فعُلِم أنَّه لا دخل للكرامة في الأفضلية ، وإنما منشأ الأفضلية قوة اليقين وكمال المعرفة بالله تعالى ، فكلُّ مَنْ كان أقوى يقينا وأكمل معرفة كان أفضل ، ولذا قال سيّد الطائفة أبو القاسم الجنيد ـ قدس سره ـ : مشى رجال باليقين على المآء ، ومات بالعطش من هو أفضل منهم يقيناً .

وقال أيضاً : ارتفاع الريب في مشهد الغيب .

وقال سهل التستري : حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله .

ولا يشكل عليك مامرّ من حكاية الإطلاق في التفضيل بين المحبِّ والعارف مع أنَّ العارف لا بدَّ أن يكون محبّاً ! ! لأن المراد من ذلك إنما هو التفضيل بين غلبة المحبّة وغلبة المعرفة ، لأنَّ بعضهم يغلب عليه سكر المحبَّة ، وشدة الهيَمان والوَلَه في محبوبه ، وبعضهم يغلب

=بل أفضل ، فإن ضعفاء اليقين إذا رأوا يقوى يقينهم ، وأما القوي الكامل فهو لا يلتفت إليها انتهى . فراجعه (منه ؛ سامحه الله من فرطاته آمين) .

عليه المشاهدة وظهور الأسرار والمعارف ، وكثرة التجليات مع اعتدال حاله في المحبَّة في غالب الحالات ، فيكون أكثر معارفاً ، وأكثر وَلَهاً وسكراً ، ومن ثمّ قال المحققون : المحبّة استهلاك في لذّة ، والمعرفة شهودٌ في حيرة ، وفنآء في مِحْنةٍ ، انتهى .

وفي « بيان الأسرار » : إنّ كرامة الأوليآء وأحوالهم غير مأمونة من المكر والاستدراج . انتهى .

وفي « ترصيع الجواهر »إنّ تعلُّق القلب بالكرامة سبب البعد عن الله . انتهى بالمعنى .

وفيه : أن العبودية مع استقامةٍ خيرٌ من ألف كشف وكرامة ، انتهى . فراجعه من الباب السابع .

وفي « روح البيان » في سورة النحل : إن الكشوف السفلية بما كان في مرتبة الطبيعة غير مقبولة ، وعوام الناس يعدّون أمثال هذه الكشوف الأقطابَ ، لكونهم على الجهل لا يميِّزون بين الخير والشر . انتهى .

وفي « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان »[1] في ٧٩ : ولما كانت الخوارق كثيراً ما ينقص بها درجة الرجل كان كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك ويستغفر الله تعالى كما يتوب من الذنوب كالزنا والسرقة ، وتعرض على بعضهم فيسأل الله زوالها ، وكلهم يأمر المريد السالك أن لا يقف عندها ولا يجعلها همَّته ، ولا يتبجَّح بها ، مع ظنهم أنها كرامات ، فكيف إذا كانت بالحقيقة من الشياطين تغويهم بها ؟ ! انتهى .

---

(١) فمؤلف الفرقان وإن كان حشوياً خارجاً عن أهل السنة في مسائل فليس كل كلامه باطلاً ولذا نقلت منه أقوالاً توافق أقوال العلمآء السنّيّن . فافهم (منه رحمه الله تعالى) .

وفيه أيضاً في ٧٦ : والناس في خوارق العادات على ثلاثة أقسام :

قسم يُكذِّب بوجود ذلك لغير الأنبياء ، وربمّا صدّق به مجملاً وكذَّب ما يذكر له عن كثير من الناس لكونه عنده ليس من الأولياء .

ومنهم من يظن كلَّ مَنْ كان له نوع من خرق العادة كان وليّاً لله ، وكلا الأمرين خطأ ، ولهذا تجد أنَّ هؤلاء يذكرون أنّ للمشركين وأهل الكتاب نصراء يعينونهم على قتال المسلمين ، وأنهم من أولياء الله تعالى ، وأولئك يكذِّبون أن يكون معهم مَنْ له خرق عادة .

والصواب القول الثالث وهو : أنّ معهم من ينصرهم من جنسهم ، لا من أولياء الله عز وجل ! كما قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ وهؤلاء العبّاد والزهّاد الذين ليسوا من أولياء الله المتقين المتَّبعين للكتاب والسنة تقترن بهم الشياطين ، فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حالَه ، لكنَّ خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضاً ، وإذا حصل مَنْ له تمكُّن من أولياء الله تعالى أبطلها عليهم ، ولا بُدَّ أن يكون في أحدهم من الكذب جهلاً أو عمداً ، ومن الإثم ما يناسب حال الشياطين المقترنة بهم ، ليفرق الله بذلك بين أوليائه المتقين وبين المتشبِّهين بهم من أولياء الشياطين ، انتهى . فراجعه ففيه البسط .

وقال الخادمي في ٦٩ في « شرح النصائح الولدية » : إنّ جماعة هربوا من عبد الواحد لقوّة تكليفه إياهم بالمجاهدة ، فرأى أحدهم بعد مُدّة فقال : أين كنت ؟ فقال : نحن كل ليلة ندخل الجنة ونأكل من نعيمها ، فقال : خذوني الليلة معكم ، فأخرجوه معهم إلى الفضآء ، فلمّا جنَّ الليل إذا بقوم عليهم ثياب خضر وإذا بساتين وفواكه ، فلما أرادوا أن يتفرقوا قال لهم : أين تذهبون ؟ أليس الجنة دار خلود كإدريس

عليه السلام ؟ فلمّا أصبحوا إذا هم على مزبلة بين روْثِ الدواب فتابوا كلهم[1] .

وفيه أيضاً عن الديلمي : إنّ واحداً من السالكين رأى في برّيَّة طريق مصر الشيطانَ على عرش بين السمآء والأرض فسجد له ، فظنّ أنه الربّ تعالى ، ثمّ حكاه بجماعة من المشائخ فقالوا : هو الشيطان لحديث : « إن للشيطان عرشاً بين السماء والأرض » . . . الحديث ، فأعاد الرجل صَلواته وجدّد إيمانَه ، ثمّ عاد إلى المكان الذي رآه فيه ، ولعنه وأنكر عليه . انتهى .

حكي أن عبد القادر الكيلاني اعتزل عن الناس وتوحَّش للعبادة ، فليلة من الليالي امتلأ العالَم بالأنوار فنادى مناد : يا عبد القادر ، اجتهدت للعبادة لي وعبدت حق العبادة ، فإنّي قد رفعت عنك حرمة الأشياء ، وأبحت لك جميع الأشياء ، فافعل ما شئت فيما بعد وقد غفرت لك . فقال عبد القادر : أعوذ بالله من شَرِّك يا شيطان ، فإذا ركد الظلام واضمحلت تلك الأنوار وقائل [يقول] قد نجوت بعلمك يا عبد القادر ، إنّي قد أهلكت في هذا المقام عُبَّاداً وزهَّاداً . كذا في « البريقة » فراجعه

---

(١) **لا يسمع عذاب القبر من يخبره**

ومما ينبغي أن يُنْكر قول من يقول من أهل الزعم والدعوى : أني أسمع عذاب القبر وأعرف أحوال الموتى فإنه كذب محض ، لا يجوز لأحد أن يثق به فكيف لا وقد قال الشعراني في « مختصر تذكرة القرطبي » وكان بعض العارفين يقول لا يسمع عذاب الموتى إلا من اتصف بكتمان الأسرار كالبهائم ، فإنها ليست من عالَم التعبير عما ترى ، أما من يخبر الناس بما رأى فلا يسمع شيئاً من ذلك فما كتم الله تعالى ذلك عن الإنس والجن إلا لحكمة إلهيّة كما أشار إليه الحديث لغلبة الخوف عند سماع عذاب القبر ومن يطيق سماع عذاب الله في القبر من أمثالنا في هذه الدار مع ضعفنا . وقد بَلَغَنا أنه مات خلق كثير من سماع الرعد القاصف والزلازل الهائلة وهي دون صيحة الملك على الميت بيقين . وفي الحديث « لو سمع أحدكم ضربة الملك للميت بمقامع من حديد لمات » . نسأل الله تعالى العافية ، انتهى فراجعه من صحيفة ٣٤ (منه) .

في ٣٨٩ من الجزء الأول . ومن دسائسه أيضاً : أنه يأتي العبد بالكشف الصحيح والعلم التام ، ويقنع منه أن يَجهَل مَنْ أتاه به . ومن دسائسه : أنه يأتي العبد بنور يكشف به معاصي العباد ، ويهتك به أستارهم ، ويظهر به عوراتهم ، فيظن ذلك المكاشَف أنّه نال درجة عظيمة ، وإنّما ذلك من الشيطان ! لأنّ الشيطان صار سمعه وبصره ، فيجب على ذلك المكاشَف المبادرة للتوبة وإلا هلك . ومن دسائسه التي تخفى على غالب الأولياء : أنَّه ينظر إلى قلب الوليِّ فإن رآه يستمدُّ من العماء مثَّل له عماءاً وأتاه منه ، أو عرشاً فكذلك ، أو كرسياً فكذلك ، أو سماءاً فكذلك ، فإن كان سبق في علم الله تعالى حفظ هذا العبد ، أطلعه على أنّ ذلك مفتعل وتلبيس عليه من الشيطان فيردُّ خاسئاً ، وإن لم يحفظ الله العبد هلك مع الهالكين . كذا في « اليواقيت » في ١٧٤ من الجزء الأول فراجعه .

وفي « كشف المرام » في شرح أجوبة الأستاذ : وإذا توجّه العبد إلى مولاه الجليل ، وقصد الانقطاع عن كلّ ما سواه ، وركب سفينة الذكر فالشيطان المارد اللعين ـ أي : المطرود عن باب الله تعالى ورحمته ـ يريه بسحره ومكيدته وتخيُّله اللوح المحفوظ ليخدعه أنه وصل إلى ما لا يصل إليه المجتهدون ، ويطمئنُّ به ويستريح عن تحملّ العبادة والاجتهاد فيها ؛ فيغوى به ، أو يرى اسمه هناك مكتوباً في ديوان السعدآء الذين ليس لهم شقاوة ، فيتساهل في العبادة والاجتهاد ، أو يتكبّر به على المجتهدين الذين لا يرونه ، فيغوى أيضاً ، أو يحصل به العجب فيغوى ، أو يدَّعي به الولاية الكاملة فيضلُّ ضلالاً كبيراً ، إلى غير ذلك من الأحوال العارضة عليه ـ أعاذنا الله تعالى من الغرور والاتِّباع عليه ـ ويخيِّل بحيلته صفتي الجنة والنار بما فيهما ، فعلى العبد حينئذ الخوف من حيلته ـ أي الشيطان الرجيم ـ انتهى من عينه اختصاراً .

وفي « الإبريز » : وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن فلان من أهل القرن العاشر وكيف ذلك ؟ فقال ـ رضي الله عنه ـ : إنَّه فتح عليه ووقف به الحال ، فرجع ساحراً من جملة السحرة . فقلت : وكيف ذلك ؟ فقال ـ رضي الله عنه ـ : **أوّل ما يفتح على العبد يرى معاصي العباد وأسبابها ، وكيف يقعون فيها ، والضبابة الظلمانية التي تستمدُّونها[1] ذوات أهل الظلام** ـ والعياذ بالله ـ ونحو هذا الأمور ، فإذا أراد الله بصاحب هذا الفتح شراً ركن عقله إليها ، وأدام الفكر فيها ، فإن وقف به الفكر فيها ساعة واحدة انقطع عن الله ـ والعياذ بالله ـ فلا يبقى في نظره سوى ما سبق ذكره في الفتح ، وذلك الذي سبق هو مخيَّم الشيطان ومحلٌّ فتنتهم لبني آدم ، فيصير مشهده ومشهد الشياطين واحداً ، فيصيرون معه يداً بيد ، فيسخِّر على يده السحر ، ويرجع من جملة السحرة ؛ وإذا أراد الله بصاحب الفتح خَيْراً فتح عليه ما يشغل فكره عمّا سبق ، وهكذا لا يزال يُرْقيه في كلّ لحظة إلى ما لا نهايةَ . والله أعلم . انتهى .

وفي « المواهب البريقة » : **فائدة** : سيأتي أنهم أجمعوا على أنّه لا يشترط في الشيخ أن يكون يطَّلع على معاصي المريد الباطنة حتى يكاد كشفه باستعمال ما يزيلها وشهوتها من قلبه ، وأوجبوا على المريد أن لا يكلِّف شيخه بمثل ذلك ، لأنَّه كشف شيطاني[2] يجب على الشيخ التوبة منه فوراً لو وَقَعَ ، إذ لا يطَّلع على عورات الناس إلاّ الشياطين ، بل يذكر له ما عنده من الأمراض ليُدَاويه منه ، فلو قُدّر أنّ شيخاً اطّلع

(١) هكذا في الأصل ، لعله تستمدّها .

(٢) قال الشعراني في « لطائف المنن » : ولو أن الكامل اطلع على عورة أحد من الخلق لكاد أن يذوب حياءً من ذلك لأنه كشف شيطاني انتهى راجعه من ٩٣ من الجزء الثاني ، وفي « الدرر الغواص » للشعراني : ومن علامة مكره (أي إبليس) بالعبد أن يكشف له معاصي العباد في قعور بيوتهم وهتك أستارهم وهو كشف صحيح لكنه شيطاني يجب على العبد التوبة منه انتهى راجعه من ٨٣ من هامش « إبريز » (منه) .

على عورة مريده فهو من قبيل الإلهام من الله تعالى بواسطة صدق المريد في طلب الطريق . انتهى .

الفتح اثنان :

الفتح الأول : أن يشاهد صاحبه في أول الأمر الأرضين السبع وما فيهنّ ، والسماوات السبع وما فيهن ، وأن يشاهد أفعال العباد في دورهم وقصورهم ؛ لا يرى ذلك ببصره وإنما يراه ببصيرته التي لا يحجبها ستر ولا يردها جدَارٌ ، وكذا يشاهد الأمور المستقبلة مثل ما يقع في شهر كذا أو سنة كذا ، وهؤلاء وأهل الظلام في هذا الفتح على حدٍّ سوآء ، لكنَّ المقصودَ به مختلف ! فإنَّ القصد به لأهل[1] الظلام طردهم عن بابه تعالى ، ولأهل الحق ازديادهم فيه محبَّة وإرقاؤهم من درجة إلى درجة . انتهى .

وأما الفتح في ثاني الأمر فهو أن يفتح عليه في مشاهدة أسرار الحق التي حجب عنها أهل الظلام ؛ فيشاهد الأولياء العارفين بالله تعالى ، ويتكلَّم معهم ويناجيهم على بعد المسافة مناجاةَ الجليس لجليسه ، وكذا يشاهد أرواح المؤمنين فوق القبور ، والكرامَ الكاتبين والملائكة ، والبرزخ وأرواح الموتى التي فيه ، ويشاهد قبر النبي ﷺ وعمود النور الممتدّ منه إلى قُبَّة البرزخ ، فإذا حصلت له مُشاهدة ذات النبي ﷺ في اليقظة حصل له الأمان من تلاعب الشيطان .

---

(١) ورأيت في « عوارف المعارف » ما نصه : وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سبباً لمزيد بعده ، وغروره وحماقته واستطالته على الناس وازدرائه بالخلق ، ولا يزال به حتى يخلع ربقة الإسلام عن عنقه ، وينكر الحدود والأحكام والحلال والحرام ، ويظن أن المقصود من العبادة : ذكر الله تعالى ، ويترك متابعة الرسول ﷺ ، ثم يتدرّج من ذلك إلى تلحّد وتذندق . نعوذ بالله من الضلال . انتهى فراجعه في ١٨٦ من هامش « الإحياء » ج٢ وراجعه في ١٨٤ (منه) . وأما الأولياء : فما مالوا لخرق العوائد إلا لضعفهم عن تحمّل أعباء الحضرة الإلهية ، وعدم اطاقتهم لصعوبة تجلياتها . « جواهر الماني » ١٨١ ج١ (منه) .

فهذا الفتح الثاني هو الفاصل بين أهل الحق وأهل الباطل .

وأما الفتح الأول فإنّه كما يقع لهم يقع لأهل الظلام ، فيقع لهم الفتح في مشاهدة الأمور الفانية ، ويتمكَّنون من التصرّف فيها ، فترى المبطل يمشي على البحر ، ويطير في الهوآء ، ويُرْزَق من الغيب ، وهو من الكافرين بالله عزّ وجلّ ، وذلك أن الله تعالى خلق النور ، وخلق منه الملائكة وجعلهم أعواناً لأهل النور بالتوفيق والتسديد وخرق العادت ، وكذلك خلق الظلام وخلق منه الشياطين وجعلهم أعواناً لأهل الباطل بالاستدراج ، والمزيد في الخسران والتمكُّن من الخوارق ، هكذا في « الإبريز » في الباب التاسع فراجعه في ٢٩٠ .

وفي « تقريب الأصول » في [1]٢٦٦ : إنّ انخراق حجب البشرية قد يحصل بالرياضات ، فيلوح بسبب ذلك شيء من أنوار الروح ، فيرى الشخص بعض الآيات والمعاني المعقولة . وقد كان لبعض الفلاسفة[2] ولكن حيث لم يوجد الإيمان ! فعاقبة ذلك إلى الخزي والهوان . انتهى .

وفي « الفتاوى العمرية » : وأمّا الكرامة فليست بشرط للمرشد ، لأن الكرامة[3] ما نقلت عن الصحابة[4] والتابعين إلا عن بعضهم ، حتى

---

(١) وفي نسخة : ٢٢٦ .

(٢) وفي « فتاوى ابن حجر » : لو ظهر على أحد كرامات مع فسقه ، هل تقبل شهادته ؟ الجواب : لا تقبل . قال الشافعي : لو رأيت صاحب بدعة يظهر في الهواء لم أقبله حتى يتوب من بدعته ، ذكره أبو نعيم . وقد تظهر الكرامات على يد فاسق كالسامري ، فإنه رأي جبرائيل حتى أخذ من تراب حافره وجعله في العجل ، فخار . ونقل ابن العباد عن أبي محمد أنه قال : يجب على الولي إخفاء الكرامات . انتهى . فراجعه من الشهادة . وهذه الأمور الخارقة للعادة تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين ، وتكون لأهل البدع وتكون من الشياطين ، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه وليّ لله ، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دلّ عليه الكتاب والسنة ، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة . كذا في « الفرقان » في ٣٤ فراجعه وراجع « العوارف » في ١٧٤ من هامش « الإحياء » ج٢ (منه) .

(٣) وراجع « الفتاوى الحديثية » في ٢٢٣ (منه) .

(٤) وفي مكتوبات الچسطاوي قدس سره : إن الكرامات والكشوفات ما هي سبب التفاضل=

لم تنقل[1] عن الصديق الأعظم مع أنه أفضل الأمة .

أفضل الكرامة الاستقامة

والحاصل أن أفضل الكرامة هو الاستقامة ، كما قالت به رابعة العدويةُ ، حتى أنّ بعض الأوليآء لم يقبل الكرامة أصلاً ، ولم يشرب الماء الذي ارْتفع من البئر كرامة له ، وقال : لا أشربه إلا بإخراجي بيدي بالحبل والدلو . « روح البيان » .

وقد قال عبد الله القرشي : من لم يكن كارهاً لظهور الكرامات والآيات فهي أيضاً سبب للشقاوة ، ولذا قيل : الكرامة حيض الرجال . « روح البيان » . انتهى كلام « الفتاوى » .

وفي « الفتاوى الحديثية » لابن حجر بسط زائد في حق هذا المطلب فراجعه .

ولقد أخبرني واحد أنّ شخصاً من مريدي متشيِّخ كان داخلاً في الخلوة بأمره ، فإذا خرج من الخلوة قال لي : إني رأيت جميع منْ مات ممنْ كنت أعْرفهم في مدّة حياتهم! وحكاه متعجِّباً به ، ظاناً أنه شيء عظيم يدلّ على الخصوصية والخلوصية ، فقلت له : ليس ذلك من علامة الخير ، بل هو من علامة الانقطاع عن الله عز وجلّ ، لأنه إذا كانت هذه الأشيآء الظاهرة الدنيوية والمخلوقات المرئيّة حجباً عن الله وسبباً شاغلاً عن توجّه القلب إلى ذاته عزّ وجلّ فظهور الأموات

=بل سبب التفاضل هو التقوى لما قال الله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وقال قدس سره : إن الكشوفات والكرامات ما هي من لوازم الطريقة . اهى . وراجع « روح البيان » . (منه) .

(١) وفي « الدرر » في ١١٢ ج ١ : أن ظهور الخوارق لم ينقل من أكثر المتقدمين في طول عمرهم أزيد من خمسة أو ستة خوارق حتى أن الجنيد سيد هذه الطائفة لم يدر هل نقل عنه عشرة خوارق أو لا فراجعه (منه) .

وأحوالهم والكشف عما هم فيه من الأمور البرزخيّة يكون سبباً لزيادة الحجُب فوق الحجب والخطرات فوق الخطرات ، وإنّما الكرامة قلّة الحجُب القلبيّة ، وحصول الجمعيّة بربّ البريَّة ، والغيبَةُ عما سوى الله بمحْوِ الكون[1] كله عن صفحة القلب بالكليَّة ، فانتبه القائل ورجع عما كان متعجِّباً به وصدَّق قولي ، ولله الحمد .

مثال من وقف عندما ظهر له من الكرامات

وفي « السير والسلوك » : وقد مثّلوا حال مَنْ وقف عند ما ظهر له من الكرامات بحال مَنْ طلب بيت الله الحرام وسار مع الحجاج وقطع من الطريق أكثره ، فعند ذلك عرضتْ امرأة حسنآء لم ير الراؤن مثلها ، فأدْهَشَتْه وأخذت عقلَه ، فأراد الإقامة عندها ليمتلىء منها[2] ويُواصلها ، فقام إليه أمير الحجاج وقال له : لا تقُمْ هنا فتنقطع عن الحاجِّ ولكن اذهبْ معنا وزرْ بيت الله ، فإذا رجعنا تعقد عقادك[3] وتدخل عليها بالحلال ، وإن أقمْتَ فلا يحصل لك الوصال ، وإذا وصل ولا بدَّ فبالحرام لا بالحلال ! فتنقطع عن بيت الله وتعصيه ، فغلب عليه هَوَاهُ وانقطع عن رفقته ، فدلى[4] منها ، وأزال البَرْقع عن وجهها ؛ فإذا هي عجوزة مقلقلة الأسنان ، قبيحة المنظر منتنة الفم ،

---

(١) وهو – أي المحو – المقصود الأعظم من السلوك في هذا الطريق ومتى لم يحصل للسالك شيء منه فهو بمثابة من لم يدخل فيه كشف له الكون كله أولاً ، لأن الكون كله حجاب عن الله ومراد أهل السلوك فقد الحجب المانعة عن الوصول إلى الله ولا يحصل ذلك لمن لم يسلك في طريقهم ولو عبد الله سبعين ألف سنة ، لأن قلبه مملوءٌ بالأغيار ولا يسعى في إذهابها عن قلبه ولا يريد ما أراده السالكون بل يطلب ما وعده الله في الجنة ، هذا إن قبل الله عبادته أعطاه وإلا فلا . وأما السالك فيعطيه الله التجليات في الدنيا وله في الآخرة أعلى المقامات كذا في السير والسلوك راجعه (منه رحمه الله) .

(٢) وفي نسخة : بها .

(٣) هكذا في الأصل ، لعله عقدك .

(٤) أي تحير .

فندم حيث لا ينفعه الندم ، فأراد أن يلحق رفقته فما قدر ، فصار يبكي الليل والنهار ، فالمرأة مَثَلٌ للكرامات التي يطلبها السالك في سلوكه ، وبيت الله الحرام مَثَلٌ لحضرة القرب ، وطريق الحج مثال لطريق القوم رضي الله تعالى عنهم .

فالسالك لا شكَّ أنَّه إذ وصل إلى حضرة القرب تصير الكرامات كلّها طَوْعَ يديه ، وإن غلب هوى السالك عليه وطلب الشيء قبل أَوَانِه وتعرَّض لطلب الكرامات أتْعبَ نفسه فيما لا يعنيه ، وانقطع عن مطلبه ، فإذا حصلت له الكرامة وجدها كوناً من الأكوان لا تنفعه في الدنيا ولا في الآخرة ، فإذا عرف حقيقتها ندم وبكى لأنه تَقَهْقَرَ عن مقامه الذي تعب عليه حتى حَصَّلَه . انتهى .

فاللائق على منْ ظهر على يده أنواع الكرامات وأصناف الكشوفات أن لا يغترّ بها ولا يدعي المشيخة ، فإنه لا يصير الإنسان شيخاً مرشداً إلا إن سلك في مقامات الطريق وتحقَّق بها ، وأذن له الشيخ الكامل للإرشاد بالإذن الصَريح ، ولو وقع على يديه شيءٌ منها أكثر من أُلُوفٍ !

قال الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتيبه :

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، لِيَطِبْ قلب الأخ الأعزِّ السيد مير محمّد نعمان ، وليعلم أنّ ظهور الخوارق والكرامات ليس من شرط الولاية ، وكما أن العلماء ليْسوا مكلَّفين بحصول الخوارق ، الأولياء أيضاً ليْسوا مكلَّفين بظهور[1] الخوارق ! فإن الولاية عِبَارة عن قرب إلهيٍّ

---

(١) حفظ العبد آداب الشريعة والوقوف بمكارم الأخلاق والاجتناب من سفسافها والتحلية بالمراقبة في الأنفاس من أعظم الكرامات التي لا تدخلها مكر ولا استدراج ؛ كذا في « تنوير الصدر » في ٢٢٦ من هامش « مجموعة الأحزاب » .
وفيه أيضاً في ٢٣٢ أنّ الولي لا يجب عليه إظهار الكرامة ، فراجعه (منه) .

جلّ سلطانه ، يكرم بها أولياؤه بعد نِسْيان السوى ؛ شخص يُعْطى هذا القرب ولا يعطى الاطلاع على أحوال المغيَّبات والمحدثات ، وشخصٌ ثان يعطى هذا القرب ويعطى الاطلاع على المغيَّبات والمحدثات ، وشخصٌ ثالث لا يعطى من القرب شيئاً ! ويعطى الاطّلاع على المغيَّبات ، وهذا الشخصُ الثالث من أهل الاستدراج وجعله صفآء النفس مُبْتلى بكشف المغيَّبات وألقاه في الضلالة ، وآية ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ علامة حالهم ، والشخص الأول والشخص الثاني اللذان مشرفان بدولة القرب من أولياء الله تعالى لا يزيد كشف المغيبات شيئاً في ولايتهم ولا ينقص عدم الكشف شيئاً من ولايتهم ، والتفاوت بيْنَهم إنَّما هو باعتبار دَرَجات القرب ، كثيراً ما يكون صاحب عدم كشف الصور الغيبية أفضلَ من صاحب كشف تلك الصور ، وأسبق منه قدَماً بواسطة مَزيّة القرب الحاصل له ؛ صرّح بهذا المعنى صاحب « العوارف » الذي هو شيخ الشيوخ ومقبول عند جميع الطوائف في كتابه « العوارف » ، فمن لم يصدّق هذا الكلام منّي فليراجع ذلك الكتاب فإنَّه ذكر فيه بعد ذكر الكرامات والخوارق ، وكل هذه مواهب الله تعالى ، وقد يكاشف بها قوم ويعطى[1] ، وقد يكون فوق هؤلاء من لا يكون له شيءٌ من هذا ، لأن هذه كلَّها تقوية اليقين ، ومن مُنِح صرف[2] اليقين لا حاجة له إلى شيء من هذا ، فكل هذه الكرامات دُون ما ذكرناه من

---

(١) المعجزة يجب على النبي صلى الله عليه وسلم أن يتحدى بها ويظهرها ، والكرامة يجب على الوليّ أن يخفيها ويسرها إلا عن ضرورة أو إذن أو حال غالب لا يكون له فيه اختيار أو لتقوية يقين بعض المريدين ، وهذا الاستثناء لا بد منه فلا يجب عليه أن يخفيها مطلقاً . وإطلاق المحققين أنه يجوز له أن يظهرها وأنها لا تفارق المعجزة من هذا الوجه يحمل على ما إذا وجد بعض هذه الأشياء التي استثناها ، « نشر المحاسن » . ومثله في « الفتاوى الحديثية » لابن حجر في ٢٢٢ فراجعه إن شئت البيان (منه) .

(٢) وفي نسخة : صدق اليقين .

تَجَوْهُرِ الذكر في القلب ووجود ذكر الذات . انتهى .

قال إمام هذه الطائفة **الخواجه عبد الله الأنصاري** الملقب بـ« شيخ الإسلام » في كتابه « منازل السائرين » : إنّ الفراسة على نوعين فراسة أهل المعرفة ، وفراسة أهل الجُوع والرِياضة :

ففراسة أهل المعرفة في تمييزهم من يصلح لحضرة الله جلَّ وعلا ممّن لا يصلح ، ومعرفتهم أهل الاستعداد الذين اشتغلوا بذكر الله سبحانه ووصلوا إلى حضرة الجمع .

وفراسة أهل الرياضة وأرباب الجوع مخصُوصة بكشف الصور والإخبار عن المغيَّبات المختصة بالمخلوقات ، ولَمّا كان العالَمُ أكثرهم أهلَ انقطاع عن الله سبحانه واشتغال بالدنيا مالتْ قلوبهم إلى أهل كشف الصوَر والإخبار عما غاب من أحوال المخلوقات ؛ فعظَّموهم واعتقدوا أنهم من أولياء الله وخاصّته وأعرضوا عن كشف أهل الحقيقة واتّهموهم فيما يخبرونه عن الله سبحانه ، وقالوا : لو كان هؤلاء أهلَ الله كما يزعمون لَأخبرونا عن أحوالنا الغيبيّة وأحوال سائر المخلوقات ، وإذا كانوا لايقدرون على كشف أحوال المخلوقات فكيف يقدرون على كشف أمورٍ أعلى من هذه ؟ ! وكذَّبوهم في فراستهم المتعلِّقة بذات الواجب وصفاته جلّ وعلا بهذا القياس الفاسد وعميت عليهم الأنبآء الصحيحة ، ولم يعلموا أنّ الله قد حَمى هؤلاء عن ملاحظة الخلق[1]

---

(١) قال الشيخ : من جعل الله كرامته في قلبه فقد ملأ يديه من الخير ، وكان ممن اصطنعهم الحق تعالى لنفسه فلم تعرفه الأبصار في الدنيا ، ومن جعل الله كرامته في الأفاق وخرق العوائد اشتهر ضرورة بين الناس وخيف عليه الفتنة ، انتهى . كذا في « اليواقيت » فراجعه في ١٩٨ من الجزء الأول ؛ (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

وقد قال في الباب الخامس والستين من « الفتوحات » : اعلم أن سبب غلط منكري النبوّة من الحكماء قولهم : إن الإنسان إذا صفى جوهر نفسه من كدورات الشهوات وأتى بمكارم الأخلاق العرفية انتقش في نفسه ما في العالم العلوي من الصور بالقوّة ، ونطق بالغيوب=

وخصّهم بجناب قدسه ، وشغلهم عما سواه حماية لهم وغيرة عليهم ، **ولو كانوا ممن يتعرّضون لأحوال الخلق ما صلحوا للحقّ سبحانه،** انتهى كلامه .

وقال ـ قدس سره ـ أيضاً : وأنا سمعت حضرة شيخي قدس سره يقول : كتب الشيخ محيي الدين بن العربي أنّ بعض الأولياء الكرام ـ الذي ظهرت منه كرامات وخوارق كثيرة ـ ندم في آخر النفس من ظهور تلك الكرامات ، وقال تمنِّياً : ياليت هذه الكرامات لم تظهرْ منيّ ! فلو كان التفاضل باعتبار كثرة الخوارق لا يكون للندامة على ذلك الطور مَعْنى .

فإن قيل :إذا لم يكن ظهور الخوارق شرطاً في الولاية كيف يتميّز الوليّ من غير الوليّ ؟ وكيف يتبيّن المحقُّ من المبطل ؟ !

أجيب : لا يلزم التمييز ، بل يكون المحقُّ ممتزجاً بالمبطل[1] فإنّ اختلاط الحق بالباطل لازم لهذه النشأة الدنيوية ، والعلمُ بولاية وليٍّ ليس بلازم أصلاً ، وكثير من أولياء الله تعالى لا اطّلاع لهم على ولايتهم ، فكيف يكون الاطّلاع على ولايتهم لازماً لغيرهم .

وفي النبيِّ لا بدَّ من الخوارق ليتميَّز النبيُّ من غير النبيِّ ، فإنّ

=واستغنى عن الوسائط . قال الشيخ : والأمر عندنا وعند أهل الله ليس كذلك وإن جاز وقوع ما ذكروه في بعض الأشخاص ، وذلك لم يبلغنا قط عن أحد من نبيّ ولا حكيم أنه أحاط علماً بما يحتوى عليه حاله في كل نفس إلى حين وفاته أبداً ، بل يعلم بعضاً ويجهل بعضاً . بل ولو سئل اللوح المحفوظ عما خط الحق فيه من العلوم ، ما عرف ذلك إلا أن يشاء الله « يواقيت » ٥٠ من الجزء الأول . وفي هذا الكلام دليل على عدم كون كل كاشف شيخاً محققاً وعلى عدم جواز ظهور الكشف على أيدي المبطلين الكفرة والفجار . فإن صفاء النفس غير معتبر ، وإنما المعتبر صفاء القلب . فتدبره فإنه مما زلت به أقدام السالكين . (منه قدس سره ، خطه) .

(١) والفرق بين الكرامة والسحر فإن ظهر على يد صالح ـ وهو القائم بحقوق الله وحقوق خلقه ـ غير مقترن بتحدِّي النبوَّة فهو الكرامة ، أو على يد مَنْ ليس كذلك فهو السحر أو الاستدراج ؛ كذا في « الفتاوى الحديثية » مع زيادة بسط (منه) .

العلم بنبوَّة نبيٍّ واجبٌ . والوليّ لما كان داعياً إلى شريعة نبيِّه كفاه معجزة نبيِّه ، فلو كان الوليّ يدعو إلى ما ورآء الشريعة لما كان له بدّ من خارق ، وحيث كانت دعوته مخصوصة بشريعة نبيٍّ لا يلزم الخارق أصلاً ، العلماء يدعون إلى ظاهر الشريعة ، والأولياء يدعون إلى ظاهر الشريعة وباطن الشريعة ، يدلُّون المريدين والطالبين أولاً على التوبة والإنابة ، ويرغِّبونهم في إتيان الأحكام الشرعية ، ويهدونهم ثانياً إلى طريق ذكر الحق جلّ وعلا ، ويؤكّدون في استغراق جميع أوقاتهم بالذكر الإلهي جلّ سلطانه ، إلى أن يستولي الذكر ولا يبقى في القلب غير المذكور أصلاً ليحصل النسيان عن جميع ما سوى المذكور ، حتى لو كُلِّف بتذكر الأشيآء لا يكاد يتذكّر .

ومن اليقين أنَّه لا حاجة للوليِّ لأجل هذه الدعوة التي تتعلَّق بظاهر الشريعة وباطنها إلى الخوارق أصلاً ، والشيخوخة والمريديَّة عبارتان عن هذه الدعوة التي لا تعلُّق لها بالخوارق ، ولا مساس لها بالكرامة ، مع أنّا نقول : إنّ المريد الرشيد والطالب المستعدّ يحسُّ في كل ساعة في أثناء سلوك الطريق خوارق شيخه وكراماته ، ويستمدُّ منه في المعاملة الغيبيّة في كل زمان ويجد منه فيها مَدَداً ، وظهور الخوارق بالنسبة إلى الأغيار ليس بلازم .

الإحياء الجسدي بالنسبة إلى الإحياء القلبي والروحي كالمطروح في الطريق

وأما بالنسبة إلى المريدين ! ! فكرامات في كرامات ، وخوارق في خوارق ، وكيف لا يحسُّ المريد خوارق الشيخ ؟ ! فإن الشيخ أحيا القلبَ الميت ، وأوصل إلى المكاشفة والمشاهدة ، فإذا كان عند العوام الإحيآء الجسديّ عظيم الشأن فعند الخواص الإحياء القلبي

والروحي برهان رفيع البنيان .

كتب الخواجه محمد پارسا قدس سره في « الرسالة القدسية » : ولما كان الإحياء الجسديّ معتبراً عند أكثر الناس أعرض عنه أهل الله ، واشتغلوا بالإحياء الروحي ، وتوجَّهُوا إلى إحياء القلب الميت ، والحقُّ أنّ الإحيآء الجسديّ بالنسبة إلى الإحياء القلبي والروحي كالمطروح في الطريق ، وداخل في العبث بالنظر إليه ، فإن هذا الإحياء سبب حياة أيام معدودة ، وذاك الإحياءُ وسيلة للحياة الدائميّة ، بل نقول : إنّ وجود أهل الله في الحقيقة كرامة من الكرامات ، ودعوتهم الخلق إلى الحق جلّ سلطانه رحمة من رحمات الله تعالى ، وإحياءَهُمْ القلوب الميتة آيةٌ من الآيات العظمى ، وهم أمان أهل الأرض ، وغنائم الأيام ؛ بهم يُمْطرون ، وبهم يُرْزَقُون ، وَارِدٌ في شأنهم ، كلامهم دواء ، ونظرهم شفاء ، هم جلساء الله ، وهم قوم لا يشقى بهم جليسهم ولا يخيب أنيسهم ، والعلامة التي يتميَّز بها محقّ هذه الطائفة من مبطلهم هي : أنّه إذا كان شخص له استقامة على الشريعة ويحصل للقلب في مجلسه مَيْلٌ وتوجُّه إلى الحق سبحانه وتعالى وَيُفْهَم حصولُ بُرُودة عما سواه تعالى ، فذلك الشخص شخص محقٌّ ، ولأنْ يُعَدَّ من الأولياء على تفاوت درجاتهم مستحق ، وهذا أيضاً بالنظر إلى أرباب المناسبة[1] والذي لا

---

(١) فإن كان في ذلك خفاء فإنما هو بالنسبة إلى العوام كالأنعام دون الطالبين ، والخفاء على العوام ساقط عن حيز الاعتبار عند الخواص فإن منشأه مرض القلب وغشاوة البصر ، كذا في « الدرر » في ١١٢ من الجزء الأول (منه) .

وقال في الباب السادس والثمانين ومائة : لا يكون خرق العادة إلا لمن خرق العادة في ترك شهوات نفسه ، وأما من خرقت له العادة لا عن استقامة فهو مكر واستدراج من حيث لا يشعر ، وقال : هذا هو الكيد المتين . قال : واعلم أن خرق العوائد على وجوه ؛ منها : ما يكون عن قوى نفسانية ، فإن أجرام العالم تنفعل للهمم النفسيّة . ومنها ما يكون عن حيل طبيعية كالقلنطريات وغيرها ، وبابها معلوم عند العلماء بها . ومنها : ما يكون عن نظم وحروف بطوالع وذلك لأهل الرصد . ومنها : ما يكون بأسماء يتلفظ بها ذاكرها ، فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى خرق عادة في عين الرائي لا في نفس الأمر . وهذا كلها تحت قدرة المخلوق=

مناسبة له فهو محض محروم مطلق . شعر :

من لم يكن في نفسه مَيْلُ الهـــدى فَشُهُودُهْ وجْـــهَ النَبـي لا يـــنفعُهْ

انتهى « الدرر[1] المكنونات النفيسة » .

الباب الثالث والعشرون

في ردّ دَعْوى مَنْ يَقول : لا يَجوزُ اتِّخاذُ الشيخ وأخذ الطريقة منه

ويَطْعَنُ على المريدين ، ويَسْتهزئ بهم – والعياذ بالله – فتلك شأن[2] بعض العلماء من ديار ولايتنا – سامحه الله تعالى ، وألهمه رشده وهداه إلى ما يرضاه ، آمين . وهي مما يتوجَّه إليه ضرره دنيا وأخرى ، لأنه قد ارتكب كبيراً ، وأنكر مجمَعاً ، وصرّح بالرأي قَوْلاً ، كيف لا ؟ وقد قال بوجوب اتِّخاذ الشيخ لمن ليس له قلب سليم أئمةٌ من المذاهب الأربعة ، وأجمع عليه العلماء السلف والخلف ، حتى أنّ أبا حنيفة – رحمه الله تعالى – أخذ الطريقة عن تلميذه قبل وفاته بسَنَتَيْنِ فقال حين وَفاته : لولا السنتان لهلك النعمان .

=بجعل الله ، وليس صاحبها عند الله بمكان ، وإنما ذلك بفعل خاصية ما ذكرناه كالدواء المسهل بخاصيته وليس هو عند الله بمكان . « الكبرت الأحمر » من هامش « اليواقيت » (منه) .

(١) من صحيفة ١٤٠ من الجزء الثاني (منه) .

(٢) وكان سيدي علي المرصفي – رحمه الله – يقول : ما قطع بعض أهل الجدال عن الوصول إلى مقامات الأولياء وكراماتهم إلاّ دعواهم أنهم أعلم بالله منهم ، وخوفهم على علمهم الذي به رياستهم أن ينسى حين يتَّبعون طريق الفقراء ، وهو خديعة من النفس والشيطان ، فإنّ طريق الفقراء لا تزيدهم إلا علماً على علمهم ، وجلاء لقلوبهم ، وحضوراً في عباداتهم كذا في « لواقح الأنوار » فراجعه من صحيفة ١٨٥ من هامش المنن من الجزء الثاني (منه) .

وقد كان الإمام أبو حنيفة يَرَى بكشفه نجاسة الذنوب الّتي تسيل مع ماء الوضوء كما ورد في الحديث ، فلأجل ذلك قال بنجاسة الماء المستعمل ، كذا في « ميزان » الشعراني ، ومع ذلك أخذ الطريق .

وكان الشافعي - رضي الله عنه - يجلس بين يدي شيبان الراعي الأميّ كالصبيّ بين يدي المرضعة .

وكان الإمام ابن حنبل - رضي الله عنه - يقول لولده لمّا صحب أبا حمزة البغدادي وعرف أحوال القوم : يا ولدي ! عليك بمُجالسة هؤلاء القوم ، فإنّهم زادُوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلوّ الهمّة ؛ انتهى . بَعْضُها منقول من « الفتاوى العمرية » ، وبعضها من « المتممات » ، وبَعْضها من « مكتوبات » الإمام الرباني فراجعها .

وفي « الحديقة النديّة » : اعلم - أسعَدَك الله بالتوفيق وحلاّك بالتصديق - أنّ تَعلُّم علم الباطن ؛ من المهلكات والمنجيات وآداب السلوك والمعاملات فرضُ[1] عينٍ على كل مَنْ لم يرزق قلباً سليماً بالجذب الإلهيّ ، والعلم اللَدنيِّ ، والنفس القدسيّة الفطريّة ، وقليلٌ ما هم ، وأحكام الدين إنّما تُبْنَى على الأكثر الأغلب ، وتعلُّم علم الظاهر لا يُغْنِي عن استفادته كما ثبت ذلك عن كثير من العلماء الأكابر المتقدّمين والمتأخرين من الحنفيّة ؛ كابن الهمام وابن الشبلي والشرنبلالي وخير الدين الرملي والحموي (مُحشي الأشباه) وأمثالهم .

ومن الشافعية ؛ كسلطان العلماء العزّ بن عبد السلام والإمام الغزالي وتاج الدين السبكي والسيوطي وشيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري والعلامة الشيخ ابن حجر الهيتمي المكي وأضرابهم .

---

(١) ومثله في « فتاوى الرملي » فراجعه في ٣٧١ من هامش « الفتاوى الكبرى الفقهية » لابن حجر من الجزء الرابع وقد قال ابن حجر في « تحفته » مثله فراجعه في كتاب السِيَر ، (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

ومن المالكية ؛ كالعارف أبي الحسن الشاذلي وخليفته الشيخ أبي العباس المرسي وخليفته الشيخ ابن عطاء الله الإسكندري والعارف ابن أبي جمرة وناصر الدين اللقاني والشيخ العلاّمة المحقق العارف أحمد زروق البرلسي وغيرهم .

ومن الحنابلة ؛ كالشيخ عبد القادر الجيلي وشيخ الإسلام الشيخ عبد الله الأنصاري الهروي والشيخ ابن النجار الفتوحي وغيرهم ؛ فإنّ هؤلاء العلماء الأجلَّة بعد التضلُّع من علوم الظاهر اشتغلوا بتحصيل علوم الباطن واستفادتها من أهلها بالصحبة والخدمة ، والسلوك وحسن الاعتقاد والإخلاص ، والتخلية عن الرزائل ، والتحلية بالفضائل ، انتهى . وراجع « البهجة » في ٤ و« المتممات » في ١٦٢ .

قال الفخر الرازي : ولمّا قال الله تعالى ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ لم يقتصر عليه بل قال ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ وهذا يدل على أنّ المريد لا سبيل له إلى الوصول إلى مقامات الهداية والمكاشفة إلاّ إذا اقتدى بشيخ يَهْديه إلى سواء الصراط[1] ويجنِّبه عن الأغلاط والأضاليل ، وذلك لأنّ النقص غالب على أكثر الخلق ، وعقولهم غير وافية بإدراك الحقِّ ، وتمييز الصواب عن الغلط ؛ فلا بدّ من كامل يقتدي به الناقص حتى يتقوَّى عقل ذلك الناقص بنور عقل ذلك [الكامل] ، فحينئذ يصل إلى مَدارج السعادات ومعارج الكرامات[2] . فراجع « تفسير الكبير » ؛

(١) وقد قال صاحب « مطالع المسرّات » : إن أمر الاستقامة لا يتمُّ إلاّ بشيخ ناصح ، أو أخ صالح ، فراجعه من صحيفة ٢٣٣ . (منه) .

(٢) وفي « الأنوار القدسية في العهود المحمديّة » حكم الشيخ في سلوكه بالمريد وترقيه بالأعمال ، كحكم من يمرّ بالمريد على جبال الفلوس الجُدَدِ ، فإذا زهد فيها سلك به حتى يمرّ به على جبال الفضة ، فإذا زهد فيها سلك به حتى يمرّ به على جبال الذهب ثم الجواهر ، فإذا زهد فيها أوصله إلى حضرة الله تعالى ، فأوقفه بين يديه من غير حجاب ، فإذا ذاق ما فيه أهل تلك الحضرة زهد في نعيم الدارين . وهناك لا يقوم على الوقوف بين يدي الله تعالى شيئاً أبداً . وأما بغير شيخ فلا يخرج أحد من ورطات الدنيا ولو كان من أعلم الناس بالنقول في سائر العلوم . انتهى . « رماح حزب الرحيم » ١٠٥ ج ٢ من هامش « جواهر المعاني » .

انتهى . من « الفتاوى العمرية » .

وكان شيخنا رضي الله عنه يستكتب منّا أشياء من كتاب « مزكي النفوس »[1] ومن جملتها هذه العبارات : يجوز الذهاب في طريق في موضع له زمان ومكان ، وقد يقع المريد في وقت من الأوقات في درجة ليس فيها مكان ولا زمان ولا علامة ، وإذا وقع في تلك الدرجة التي ليس فيها مكان ولا زمان ولا علامة ، ولا طريق ولا رفيق ، يلزم عليه بالضرورة أن يصحب بالرجل الكامل . والمرشد والمربِّي الذي ذهب ، ورفق مع المرشد كرَّات ومَرَّات بجذب إلهيّ وتوفيق ، ومُوافقة مرشد .

ثم العشق درجة لا مكان ، وجذبة الحق كذلك لا مكان ، وتوفيق إلهيّ لا علامة ؛ أي هي أشياء لا يتصرَّف فيها ؛ النفس والعقل والحال والروح ، وتصرُّفها في عالم البشر يعني في عالم الظاهر ، وأمّا تصرُّف العشق فوق عالم البشرية ، ومَنْ أراد أن يذهب في هذا الطريق الذي ليس له مكان ولا زمان ولا علامة لا بدَّ من أن يذهب إلى مرشد كامل ، وهو الذي وقع في عالم العشق ، ليُفْنِيَ ذلك المرشد بشريَّته بتلقين الذكر والتربية ، فلو ذهب واحد إلى طريق ليس فيه علامة فيبقى بلا وصول إلى الله ، فوَقْتاً يصل من الله تعالى ما يعجز عنه المخلوقات ولا يعلمه إلا الله تعالى ، ثم يقع سير الطالب إلى عالم الأنفس ، فإذاً يقع في عجائب عالم الأنفس ويبقى فيها مغروراً بذوقه ، ويذهب أكثرون في عالم الأنفس إلى الكفر ، - والعياذ بالله - ، وكذلك لا يكون الهمَّة لمن يبقى في عالم الأنفس ، وقد يحصل لهم الترقِّي في وقت مّا ؛ لكن تغلب عليهم الأنفس فلا يصلون ولا يقفون في عالم الأرواح ، فلو أرادوا

---

(١) قوله من كتاب « مزكي النفوس » : هو كتاب تركيٌّ وقد كان الأستاذ المرحوم قدس سره يترجم منه بالعرب بفمه وأكتب كما قال . فافهم . وكان - قدس سره - يكتب منه أشياء بيده ويسلمها إلي جزاه الله عنا خيراً ، (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

أن يصلوا إلى عالم الأرواح ينبغي لهم أن يتخذوا مرشداً كاملاً . انتهى .

واستكتب رضي الله عنه أيضاً من ذلك الكتاب ما حاصله هذا : لاحظوا إلى حكم الله تعالى أنّ الخضر – عليه السلام – أدنى مقاماً من موسى – عليه السلام – بدرجات ومع ذلك ذهب هو لديه لطلب العلم اللَدنِّي ، والمستحيون حرموا من العلم اللَدنِّي ، وأنت تقول مع كونك عالماً كبيراً : ما الحاجة إلى الذهاب لدى المرشد ؟ فجميع الأنبياء الذين بعثوا من لدن آدم إلى نبينا – عليهم السلام – ، والأولياء الذين جاؤوا بعدهم سَعَوْا على هذا التوحيد ، لكن لم يذهب منهم إلى هذا الطريق ولو واحداً بغير مرشد ، وكل مَنْ قصَدوا أن يذهبوا إلى هذا الطريق بغير مرشد وقعوا في الشبهة ، وماتوا على سوء الخاتمة ، نعوذ بالله ، وكلهم صاروا ضالِّين ومضلِّين .

وإذا كان الحال كذلك ! يجب على الطالب ألبتّة طلب الشيخ المرشد المأذون الذي إجازته صحيحة ، ولا يكون الوصول بكثرة العلم والعقل ، ألا ترى أنّ كلب الصيد المعلّم إن دلّ خلف الصيد بقول « بسم الله » يجوز عند الحنفيّ أكل لحم ما قتله من الصيد ، وإن لم يكن الكلب مُعَلّماً يكون ما قتله نجساً ولا يجوز أكل لحمه ، وهكذا كل مَنْ لم يصل إلى المرشد ، انتهى .

وفي « حسبحال السالك » ما حاصله : إن لم يسلّم المريد نفسه إلى المرشد باقتدائه عقل غيره لا يصل إلى مقصوده ، ويبتلى بسوء حاله .

فإن قيل : القرآن وعلم الشريعة قد بيّنا سبيل الطريق ، والمرشد إلى هذا الطريق هو النبي عليه السلام ولطف الله ، فكيف الاحتياج إلى اتّخاذ الشيخ ؟

فالجواب : المرشد في الحقيقة هو القرآن ، وعلم الشريعة والنبي عليه السلام ولطف الله ، لكنّ المريد في أول الأمر كالمريض الذي قرأ علم الطب وجمعَ الأدوية والمعْجونات لمرضه ، وزاد مرضه بها لكون بعض الأدوية ممّا يهلك بها الإنسان ، فاحتاج إلى غيره من الأطبّاء ، فكذلك الداخل في طريق السلوك ! يحتاج إلى الشيخ لإزالة المهالك المعنويّة انتهى .

وفي « الفتاوى العمرية » : إن قلت : إنّي لا أتّخذ شيخاً بل أطالع كتب الشرع والتصوُّف ، وأتعلَّم غوائل النفس وأمراض القلب وعلاجها ! !

قلت : نَعَمْ ، ولكنّ اشتغالك بالذكر والفكر ونفي الخواطر والوُجُودِ خَيْرٌ لك من اشتغالك بمطالعة الكتب سنين عديدة .

قال حضرة خواجه نقشبند قدس سره الأمجد : أقرب الطرق إلى الله عندنا نفي الوجود ، وإن كان الصلاة والصيام طريقاً إلى الوصول إلى الله تعالى ، لكن لا يتمُّ الوصول بها إلاّ بنفي الوجود .

وقد قيل : وُجُودُكَ ذنب لا يقاس به ذنب آخرُ .

فلذلك كان للسالك من المدَد في الظاهر والباطن ما لا يجدُه في الصوم والصلاة ، فلا تلتفِتْ أيّها السالك إلى سائر أورادك ما عدا الفرائض والواجبات والرواتب ، واجتهد لقطع علائق القلب والفناء ؛ إن كنت تريد الوصول إلى المعبود .

وقال أبو يزيد البسطامي قدس الله سره السامي : جلسة خيْرٌ من ألْفِ حجّة . أي الجلوس ساعة متفكراً في عظمة الله تعالى منقطعاً عن سائر الخواطر خيْرٌ من ألف حجة في غفلة ، لأنّه ربّما يصل الأول إلى الله تعالى في لحظة بسبب ذلك التفكر ، وأمّا الأخير فكالحمار يحمل

أسفاراً ، يذهب إلى الحج ويرجع ولا يتفكَّر في شيء من عظمة الله تعالى ، ووعده ووعيده ، ولا يتخلَّص من الأخلاق الذميمة . انتهى .

واعلم يا أخي أنّ علماء الشريعة والحقيقة قد أَجْمَعُوا على وجوب مجاهدة النفس ، وتطهّرها من الأمراض الباطنة كالكبر والحسد والغِلِّ ، ومحبّة الدنيا ، وما لا يتمُّ الواجب إلاّ به فهو واجب . قالوا : ولا طاعة للوالِدَيْنِ في ترك المجاهدة ، ولا يصير الولد بذلك عاقّاً لهما ، كما لا يصير عاقّاً بمخالفتهما في تعلُّم العلم الواجب .

فإن قيل : فما الدليل على وجوب رياضة النفس ومجاهدتها ؟

فالجواب : الدليل على ذلك ما ورد في عقوبة المتكبِّر والحاسد ، والمعجب والمرائي ، والمنافق ونحو ذلك ، **وما توعَّد الله تعالى عباده عليه بالعقوبة يجب عليهم الخروج منه في هذه الدنيا** ، **وإلاّ ! فلا يطهِّرهم من ذلك إلا النار** . وأيضاً فإنّه كما يجب على العبد الخلوُّ من الأدناس النجسة في بدنه وثيابه ومكانه قبل دُخوله في الصلاة ؛ فكذلك يجب عليه التطهُّر من صفات الشياطين التي في باطنه لِتُمَكِّنَهُ ملائكة الحضرة الإلهية من الوقوف بين يدي الله تعالى ، **فإنّ كلَّ مَنْ فيه خصلة من النفاق والكبر أو العجب مثلاً لا تُمكِّنه الملائكة من دخول حضرة ربِّه أبداً** ، لأنّها كالنجاسات الظاهرة على حدّ سواء . انتهى . من « المواهب البريقة »[1] .

وفيه أيضاً : وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : يجب على كل مكلَّف أن ينظِّف ظاهره وباطنه من صفات الشياطين ، لتمكِّنه الملائكة من دُخول حضرة الله تعالى التي لا تصحُّ الصلاة عندهم إلاّ بدُخولها ، ومعظم غرض جميع الداعين إلى الله تعالى أنّ العبد يُطَهِّر

---

(١) نقلاً عن الشعراني (منه ، رحمه الله تعالى) .

باطنه كما يُطَهِّر ظاهره ، ويطابق في جميع طاعاته بين الظاهر والباطن ، فيخرج عن صفات النفاق ويتخلَّق بالإخلاص ، فهذا مُعْظم قصدهم من تسليك المريدين ، وذلك لِيُلْحِقوا المريدَ برائحة التخلُّق بما كان عليه السلف الصالح[1] من الصدق والإخلاص في جميع الأحوال ، واتِّهام النفوس بعد ذلك بأنّها لم تَصْدُق ولم تُخْلِص ؛ ولا يتمُّ ذلك لأحد إلاّ على يد شيخ صادق ، ولو بلغ في العلم الغاية وكان على عبادة الثقلين ، فربّما كان الذي لا شيخ له على عبادة الثقلين ثم وقع في العجب آخر عمره فحبط عمله كلّه . انتهى .

أول عمر الإنسان

وفيه أنّ أول عُمر العبد دخوله في طريق القوم ، ومَنْ لم يدخل فيها فكأنه لَمْ يُولَدْ ، وهو بمثابة الأموات بالنسبة إلى أهل الطريق .

وفي كلام عيسى - عليه الصلاة والسلام - للحواريين : بحقٍّ أقول لكم : لن يلج ملكوت السماء مَنْ لم يُولد مرّتين ؛ أي : وهو إشارة إلى ما ذكرناه . انتهى .

وفيه : وكان علي المرصفي - رضي الله تعالى عنه - يقول : لو أنّ مريداً عبد الله تعالى حتى ملأ ما بين السماء والأرض بغير شيخ فهو كالهباء المنثور ، لجهله بمَعْرفة دسائس الأعمال الظاهرة ؛ فضلاً عن الباطنة ، بل ولا يعرف الطريق الموصلة إلى ذلك حتى يتطلَّب معرفة كيفية التطهُّر ، وذلك لأنّ معظمَ طريق القوم غيبٌ غير محسوس ، فلا يكاد يدرك دسائس أعماله إلاّ مَنْ كشف الله تعالى حجابه . انتهى . (منه) .

---

(١) وذكر الشيخ سليمان الزهدي في منهوّاته على هامش كتابه « صحيفة الصفا لأهل الوفا » ما ملخصه هذا : لا يحصل حضور مقام الإحسان إلا بعد تصفية القلب عما سوى الله تعالى ، ولا تحصل التصفية والإخلاص إلاّ بالطريقة ، وهما فَرْضٌ أوّلٌ بعد الإيمان على الرجال والنساء . اهى . فراجعه ؛ (منه رحمه الله تعالى) .

وكان سيدي عليٌّ الخواص - رحمه الله تعالى - يقول : لو أنّ عَبْداً قرأ ألف كتاب في العلم بغير شيخ يفهم معانيها فلا ثمرة لذلك عند القوم .

وسمعت سيدي علياً الخواص - رحمه الله تعالى - يقول : مَنْ لم يكن له شيخ في هذا الزمان يخرجه من ظلمة الشكوك والأوهام فبَعِيدٌ أن يذوق شيئاً من مقام كمال الإخلاص في عبادة من العبادات الخالصة . انتهى . (منه) .

ومراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم الناس أن يوصلوا المريد إلى مقام العمل بالإخلاص الذي كان عليه السلف ، أو بعضه لا غير . كذا في « لطائف المنن » في ٤٧ .

وفيه أيضاً : وقالوا : مَنْ لم يجدْ له شيخاً في بلده وجب عليه السفر[١] في طلبه . انتهى . (منه) .

ومن وصايا الشعراني : فاطلب لك يا أخي شيخاً يبلّغك هذه المآرب ، ولو كان بينك وبينه بُعْدُ المشرقين . انتهى من « المواهب البريقة » .

وفي شرح « تائية السلوك » في ٥٢ : فمن لم يصاحب شيخ صدْق ملقِّن يكون له الشيطان[٢] شيخاً مُلقِّناً ، انتهى .

وقال العالم المحقّق محمّد علي الچوخي في فتاواه ؛ مجيباً لمن

(١) مع وفور علمه من المشرق إلى المغرب حتى يجد كاملاً ومكملاً متصرفاً بحسب الحال إذ لايؤخذ الكمياء من الكتب وكم من أضاع عمره وماله ولم يحصل منه رائحة منه فأخذ الأحوال أدق وألطف من ذلك ، « رسالة خالدية » .

(٢) راجع « الأضواء البهجة في إبريز الحقائق المنفرجة » في صحيفة ٢٦ ففيه نظيره (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

سَأله : الذي نفعله اتخاذ شيخ مرشد لنا إن ظفرنا به ؛ ولو بالسفر إليه بصَرْف ما يَجِبُ صرفه لسفر الحج . انتهى .

وقال الشعراني في « المنن الكبرى » : وطلب الإمام الغزالي له شيخاً يَدُلّه على الطريق مع كونه كان حجة الإسلام ، وكذلك طلب الشيخ عزُّ الدين بن عبد السلام له شيخاً مع أنه قد لُقِّبَ بسلطان العلماء ، فكان شيخَ الإمام الغزالي الشيخُ محمد البازاغاني ، وشيخ الشيخ عزّ الدين الشيخُ أبو الحسن الشاذلي ، وكان الإمام الغزالي يقول لمّا اجتمع بشيخه المذكور : ضيَّعْنا عمرنا في البطالة ؛ يعني : بالنسبة لما ذاقه من أحوال أهل الطريق .

وكان الشيخ عز الدين - رضي الله عنه - يقول : ما عرفت الإسلام الكامل إلاّ بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه وأرضاه .

فإذا كان هذان الشيخان قد احتاجا إلى الشيخ مع سعة علمهما بالشريعة فغيرهما من أمثالنا من باب أولى .

وقد كُنْتُ قبل اجتماعي بأهل الطريق أَتَّخِذُ أعمالي كُلَّها وَسائلَ إلى تحصيل أغراض ، فإن حصلت تلك الأغراض ثَبَتُّ على ذلك ، وإلاّ ! تحوَّلت منه ، فلمّا اجتمعْتُ بأهل الطريق قالوا لي : اجْعَلْ أعمالك كلّها مَقاصدَ لتحضُرَ فيها مع الله تعالى ، ولا تتّخذْها وسائل فتمُوتَ ؛ ولا تصلُ إلى مقصودك ، فقرَّبُوا عليَّ الطريق ، فلو لم يكن في الاجتماع بهم إلاّ هذه الخصلة لكان فيها الكفاية . انتهى ٤٩ .

وقال فيه أيضاً : ومما منَّ الله تبارك وتعالى به عليَّ بعد المجاهدة ظهور أنّ جميع ما كنت علّمتهُ من العلوم كلها ليس فيه شيء من الإخلاص ، وإنما هو مخلوط بالحظوظ النفسانيّة . انتهى ٥١ .

وفيه : وقد بلغنا عن الإمام الغزالي - رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة - أنّه لمّا دَخل طريق القوم كان يقول : قد وجدنا علوم الفقهاء حجاباً ، فيا ليتنا لم نضيّع عُمْرَنا[1] فيها . انتهى ٥١ .

وإنّما يكون حجاباً لمن لم يخلص لله عز وجلّ في تعلّمه وتعليمه . انتهى . ٥١ .

ولهذا قال النووي : إنما لم يظهر على العلماء كرامات كالعُبَّاد مع أنهم أفضل منهم ! ! لِما يدخل عليهم من الرياء . كذا في « بغية المسترشدين » في ٥ فراجعه .

وفي « منية الفقير المتجرّد » في ٦ : وقد بلغنا عن الإمام حجة الإسلام الغزالي - رضي الله تعالى عنه - أنّه قال ؛ لمّا اشتغل بعلم النظر واشتغل بمجاهدة نفسه على مُصْطلح أهل الله : ضيَّعْنا عُمْرَنا كلّه في البطالة ، فيا خَيْبَة مَسْعايَ في تلك الأيام ! ! . فقيل له : أَلَسْتَ قد صِرْتَ بذلك حجة الإسلام ؟ فقال : دَعُونا من هذه التُرَّهات ، أما بلغكم قوله عليه الصلاة والسلام : « إنّ الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر » ! ! قال : وقد انكشفتْ لي الآن أنّ جميع تلك الأسفار التي كنت أسافرها في تحصيل العلوم وجمعها وكتابتها وتأليفها ؛ إنما كان لحبّ المحمدة والثناء بها عليّ بين الناس ، ولأقَدَّم بذلك على أقْرَاني ، وأهل عصري ، لا لله ؛ ولا لِأجْلِ أن أعمل أنا بها ! ! .

فقيل له : أما كان أحد ينهاك من مشائخك عن شيء من هذه النقائص التي انكشفت لك الآن ؟ ! . فقال : لا ، بل ربّما كان الشيخ يَسْتَغِيبُ أقرانه ، فنقع معه تَبْعاً له ، ما عَدَا شيخنا إمام الحرمين - رضي

(١) وهكذا كان العالم المحقِّق ، الفقيه المدقِّق ، أستاذنا في العلم الظاهري ، الحاج عيسى القحي يقول بعدما دخل في الطريقة وذاق شيئاً من علوم أهلها : وَا ندامتي على العمر الذي ذهب في طلب العلم الظاهري . انتهى (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

الله تعالى عنه – ، فكان مجلسه مُطهَّراً من ذكر نقائص الناس رحمه الله ، انتهى .

وكان الطيبي صاحب « حاشية الكشاف » يقول : لا ينبغي للعالم ولو تبحَّر في العلم حتى صار واحدَ أهل زمانه أن يقنع بما عَلِمَهُ ، وإنما الواجب عليه الاجتماع بأهل الطريق ليدلُّوه على الصراط المستقيم ، حتى يكون ممّن يحدِّثهم الحقُّ في سرائرهم من شدّة صفاء باطنهم ، وليُخَلِّصوه من الأدناس ، وأن يجتنب ما شاب علمه من كدورات الهوى ، وحظوظ نفسه الأمَّارة بالسوء ، حتى يستعدَّ لفيضان العلوم اللَدنيّة على قلبه ، والاقتباس من مشكاة أنوار النبوَّة . انتهى منه ٦ .

وقال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » : وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخاً يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حَضْرة الله تعالى بقلبه لتصحّ صلاته ؛ من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجبٌ ، ولا شكّ أنّ علاج أمراض الباطن كلّه واجب[1] كما تشهده الآيات والأحاديث الواردة في تحريمها ، والوعيد والعقاب عليها ، فعلم أنّ كلّ مَنْ لم يتخذ له شيخاً يرشدُهُ إلى الخروج عن هذه الصفات فهو عاص لله ولرسوله ، لأنّه لا يهتدي لطريق العلاج ، ولو تكلَّف لا ينفع بغير شيخ ، ولو حفظ ألف كتاب ! فهو كمن يحفظ كتاباً في الطب ؛ ولا يعرف تنزُّل الدواء على الداء ، فكلّ مَنْ سمعه وهو يدرس في الكتاب يقول : إنّه طبيب عظيم ، ومَنْ رآه حين يُسْألُ عن اسم المرض وكيفيّة إزالته قال : إنّه جاهل . فاتَّخذْ لك شيخاً ولا تعْصِ ، وتفكّر أبديّة الآخرة ، **وإيّاك أن تقول إن طريق الصوفية لم يأت بها كتابٌ ولا سُنة ، فإنّه كُفْرٌ!! فإنّها كلّها أخلاق**

---

(١) الشيخ يُحتاجُ إليه ما دام ثَمَّ هوًى وإرادة لكسرهما ، وأما بعد زوالهما ! فلا ، لأنّه لا كدورة ولا نقصان . « فتوح الغيب » لعبد القادر الجيلاني ٢٥ ؛ من هامش « قلائد الجواهر » .

محمديّة ، وسيرة أحمدية ، وسُنَنٌ إلهيّة . انتهى . نقله أحمد ضياء الدين في « المتممات » .

وفي « ترصيع الجواهر » في ٩ : فنقول – وبالله التوفيق – : أجمع العارفون على أنّه لا يمكن سلوك طريق القوم من دُونِ المرشد . قال سيدي عبد القادر الجيلاني : مَنْ لا يرى المفلح لا يفلح ، واستدلّ على ذلك بقوله ﷺ : « مَنْ استغنى برأيه ضلّ » ، وبقوله ﷺ : « المؤمن مرآة المؤمن » ؛ وقال : السبب لا بُدَّ منه ، كان الله تعالى قادراً على أن يهدي إليه بلا أنبياء ! وحَضَّ – رضي الله تعالى عنه – على طلب المرشد حضّاً شديداً فقال : كل واحد منكم إذا جنّه الليل فليقم وليتوضأ ، وليصلِّ ركعتين ويقول : يا رب دُلّنِي على عبد من عبادك الصالحين المقرَّبين حتى يدلَّني عليك ، ويعرِّفني طريقك . انتهى . نقل ذلك عنه في كتاب « الفتح الرباني والفيض الرحمني » .

وقال الشعراني في « المنن » ؛ بعد ذكر مَنْ اجتمع عليه من مشائخ الطريق وما فتح الله تعالى به على أيديهم : فعلمت وتحقَّقت أنّ الإنسان ولو بلغ في العلم الغاية فلا بدّ له من شيخ عارف في طريق العمل به ، كما وقع للإمام الغزالي والشيخ عزِّ الدين بن عبد السلام واليافعيّ وغيرهم . انتهى ؛ أي : لأنّ العلم بتدبير الإكسير لا يغني عن العمل على العيان ، وإذا كانت الأمراض الظاهريّة المدلول عليها بالعلامات المحسوسة من الحرارة والبرودة لا يفيد استعمال أدويتها المَعْرُوفة إلاّ بمَعْرفة الطبيب الحاذق الذي مارس صناعة الطب عِلْماً وعملاً ، وإذا استعمل المريض الدواء بنفسه رُبّما كان سبب هلاكه ، لأنّ هناك أموراً آخر تجب مراعاتها ، من اعتبار الزمان والمكان ، ودرجة المرض وغير ذلك ممّا يتوقَّف معرفته على الطبيب الحاذق ، فكيف بأمراض القلوب التي هي غيب محض ليس لها أمارات مَحْسُوسَة ؟ ! وأكثر الناس راضون عن

أنفسهم ، يظنّون أنّهم على الاستقامة المطلوبة ، كالذي في وَجْهه برص ولا مرآة عنده يُبْصِرُ بها وجهه لا يعلم أنّه أبرص إلاّ ببصير آخر يُعَلّمه بعَيْبه ، ويكون له بمنزلة المرآة ، بل سُلوك الطريق المحسوسة لا يمكن بدون دليلٍ خَبِرَ الطريق وسار فيها ، وعرف أعلامها ومظان الهلاك ، ومحلّ المياه ومحل عدمها ، والمواطن المسبَّعة والمواطن المأهُولة ؛ وإذا سَلك السالك الغَمْر فيها بنفسه من دُون مُرافقة الدليل كان ضلاله أكثر من هدايته ، وهلاكه أقرب من نجاته ، فكيف بهذا الطريق الذي هي غيب محض ، لا نظر لسالكه ، ولا قدم ولا قوّة ؟ ! وتكثر فيه السرّاق وقطّاع الطريق من زخارف الدنيا والنفس والهوى ، وشياطين الجنّ والإنس الذين هم إخوان السوء ! ! وإنما ضلَّ نحو الطبائعيّين والدهْريّين وأهل التشبيه والتعطيل وأهل البدع والأهواء وأهل الإباحة ! لانفرادهم في السلوك ، فما قَدَرُوا على قطع العقبات والشبهات التي لا يمكن الخلاص منها إلاّ بحماية المرشد الكامل .

منها أنّ مرآة القلب إذا صفت يتجلّى الرُوح(١) فيها مجرَّداً عن الكسوة البشريّة ، ومُتَّصفاً بالصفات الربَّانية ، فيجد العبد في هذا المقام ذوق (أنا الحق ، وسُبْحاني) فيظنّ أنّه لا مَقام فوقه ، لا لوليٍّ ولا لنبيّ ، فلو لم يكن له شيخ يبيِّن له المقامات ، ويكشف له ما فوق هذا المقام ويرغِّبه فيه ، ويشوِّقه إليه وإلا بقي(٢) في مقامه ذلك أبدَ(٣) الآباد ، ومنه يخاف عليه زوال الإيمان والقول بالحلول والاتحاد ، ولقد ذُقْتُ شيئاً

---

(١) وفي « الدرر » في ٢٣٣ من الجزء الأول قال واحد من السالكين في هذا المقام : عبدت الروح ثلاثين سنة على ظنّ أنّها الحق سبحانه وتعالى اهى ١٣٣ فراجعه لترى البسط الزائد ؛ (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

(٢) هكذا في النسخة التي بيدنا ولعل الصواب بقي بإسقاط كلمة وإلا ، فتدبره (منه) .

(٣) وقال الحجة الغزالي : المريد لا غنى له عن شيخ وأستاذ يقتدي به ، ومَنْ لم يكن له شيخ يهديه ! قادهُ الشيطان إلى مهاويه . كذا في « عقد اليواقيت الجوهرية » في ١٣٨ من الجزء الأول (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

من هذا المقام وأنا في سُجُود الصلاة فلم يمكنِّي أن أقول سبحان ربّي الأعلى ، لأني أرى ذوقاً في ذلك المَشْهَد أنّ الله تعالى هو الذي يتكلَّم على لساني ، ولا ربّ له تعالى ، ولو قلت في ذلك المقام (سبحاني) لسهل عليّ ، فلم يَسَعْني إلاّ السكوت إلى أن انقضى ذلك المشهد ، وهذا من جملة الامتحان والابتلاء الذي يَعْرض للسالك ولا يمكنه العبور عنه بدون[1] تصرُّف الشيخ[2] الكامل ، بل يعرض للسالك في هذا الطريق عِلَلٌ وأمراض من انحراف مزاج الطلب والإرادة ، فيحتاج للطّبيب الروحي لإزالتها بالأدوية الصالحة ، وإلاّ ينقطع عن الطريق ! وكذلك يظهر للسالك في طريقه ما يشير إلى الزيادة والنقصان ، وصفاء القلب وكدورته ، والحجب الدنيويّة والأخرويّة ، والأحوال والخواطر الرحمنية والشيطانية والنفسانيّة ، وسائر المعاني الحاصلة من الوقائع التي لا تعدُّ ولا تحصى ، والمبتدىء لا معرفة له بها لأنّها لسان الغيب لا يعرفه إلا أهله ، فيحتاج لمن يكون مُؤيَّداً بتأييداتٍ إلهيّة ، وعالماً بالتأويلات الغيبيَّة . حتى يعرّفه ذلك ، فلا يكون محروماً من تلك الإشارات والمعارف ، ولا يتعذَّر عليه معرفة المقامات ، لأمُورٍ شتّى ؛

منها أنّ السلوك في الطريق لا يكون إلاّ بواسطة الذكر ، وهو لا

---

(١) وفي « الإتحاف شرح الإحياء » في ٣٢٤ من الجزء الأول : وأشرف العلوم وغايتها معرفة الله تعالى ، وهو بَحْرٌ لا يدرك منتهى قعره ؛ قد تاهت فيه ألْبابُ العارفين ، وكلٌّ منهم نال فيه مقاماً بحسب همَّته وقوَّته ، وتطهيره وتقرُّبه ، وليس كلَّ معرفة ، ألا ترى إلى الذي رأى الله تعالى سبعين مرة – لعله في المنام ! فتدبر – فقيل له : لو رأيت أبا يزيد لأغناك عن رؤيتك الله تعالى ! فتعجب من هذا القول ! فلما وقع بصره عليه ظهر له سرُّ المعرفة على غير الوجه الذي كان عرف فائدتها ، ولم يتحمَّل فمات لوقته . انتهى فراجعه وفيه سبب هذا (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

(٢) وقال الحجة الغزالي : المريد لا غنى له عن شيخ وأستاذ يقتدى به ، ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى مهاويه . كذا في « عقد اليواقيت الجوهرية » في ١٣٨ من الجزء الأول .(منه قدس سره) .

يفيد إفادة تامَّة إلاّ إذا أخذه من تلقين مرشد كامل ! لسرٍّ في التلقين يعرفه أهله ، ولعلّه هو الذي أشار إليه في « الذهب الإبريز » من أنّه يعطيه الاسم بنور فيعمل في تنوير القلب عمله ، وإذا كان الاسم خالياً عن النور لا يكون له ذلك التأثير ، حتى أنّه إذا وقع قرطاس عليه اسم الله تعالى على الأرض سارعت الملائكة لأخذ النور الذي فيه ، ولولا ذلك لهلك مَنْ وطأ عليه في الحال .

ومنها أنّ السالك إذا سلك بنفسه طالَ عليه الطريق لأنّ مَشْيَهُ أضعف من مشي النملة ، وكلُّ عقبة مسافة كذا وكذا عاماً ، ويحتاج في بعض المقامات إلى الطيران ولا يمكنه ذلك ، لأنّه على شكل البيضة وهي لا تطير إلاّ إذا صارت طَيْراً ، ولا تصير طيراً إلاّ بتصرُّف طَيْرٍ آخر فيها ، وهو المرشد الكامل . انتهى . كلام صاحب « ترصيع الجواهر » .

من كتب أهل التحقيق

فهذه المذكورات قَطَرات من البحار ، ومن أراد الزيادة فعليه بكتب أهل التحقيق من الفقهاء الصوفية ، فقد بسطوا فيها الكلام ، وأثبتوا فيها الدلائل والنصوص ، بحيث لا يبقى بعدها إنكار ، ولا يأتي من بين يديها ولا من خلفها إشكالٌ ؛ كـ « التحفة » لابن حجر والرملي من كتاب « السير » و« فتاوى » ابن حجر من الخاتمة و« المتممات » و« جامع أصول الأولياء » و« الحديقة الندية » و« الحدائق الوردية » و« لطائف المنن » و« الميزان الكبرى » و« الميزان الصغرى » و« لواقح الأنوار القدسية » و« الأجوبة المرضية » وكتاب « اليواقيت والجواهر » للشعراني و« الفتوحات الإلهية » لزكريا الأنصاري و« الفتاوى العمريّة » و« الفتاوى الچوخيّة » ؛ فقد بسط مؤلفه رحمه الله تعالى فيه الكلام بأبلغ بسط ، و« النور الساطع » و« الأنوار القدسية » و« عوارف

المعارف » و« الإحياء » و« البهجة السنيّة » و« المواهب البريقة » و« ترجمة الرشحات » و« النفائس السانحات » و« روح البيان » و« سلك العين » وشرحه و« تصديق المعارف » و« شرح تائية السلوك » و« بيان الأسرار » و« الخادمي على النصائح الولدية » و« الرسالة الخالدية » و« الذهب الإبريز » وغيرها ، فهذه الكتب المذكورة ممّا قلّبنا أوراقها ، ورأينا أعْيانها[١] ، وتحقَّقنا بما فيها في تقرير هذه المسألة فليراجع المنصف إليها .

وقد قصَدْتُ مرة أنْ أحْصي ما أوصى به الشعراني في حقِّ اتخاذ الشيخ في كتابه « لواقح الأنوار » فلم أطِقْ على إحصائه لكثرته ، فهذا سلطان العارفين ، ومعتمد العلماء العاملين في المذاهب كلّها يُوصي بذلك ، فكيف يسوغ لمن أضاع عمره في الغفلات ، وخرّب أوقاته في الفلوات ، وصار حَيْران والِهاً ينبغي أن يبكي على ما فرّط في حقِّ الله تعالى وحَقِّ عباده من أمثالنا أن ينكر على ما أجمع عليه أصحاب هذه التأليفات ؟ وما اتَّفق عليه علماء المذاهب الأربعة المتفقات قديماً وحديثاً ؟ ! رزقنا الله – والمنكرين – التوفيق ، وهدانا وإياهم إلى سواء الطريق ، فكم وكم مرّات تكلَّم أبْعاضٌ من الفقهاء في حقِّ الفقراء الصادقين بما تقشعرُّ به جُلُودهم ، وكم وكم افتروا على هذه الطائفة النقشبندية بما لم يتحقَّق منهم من أكاذيب ، فغفر الله لنا وإياهم آمين .

والمقصود من سُلوك طريق الصوفية حصول ازدياد اليقين بحقِّيَّة المعتقدات الشرعيّة الذي هو حقيقة الإيمان ، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية لا أمْرٌ آخر وراء ذلك[٢] . كذا قال الإمام الربَّاني في

---

(١) إلا بعضاً منها (منه) .

(٢) وفي « جامع الأصول » في ١٥ ما حاصله إن الطريقة ليس هي إلا أدآء الفرائض المشهورة وترك المحرمات المعلومة واتباع السنن المأثورة ومحبة الأولياء البررة انتهى . فما بال هؤلاء المنكرين أن يعترضوا على من هذه المذكورات دأبهم ولله در الشعراني حيث قال إن ردّ العلماء على الصوفية إنما هو لدقة مدارك الصوفية لا غير ، فلا يلزم من الرد عليهم فساد

بعض مكاتيبه . راجع « الدرر المكنونات » في ١٩٠ من الجزء الأول .

وفيه في ١٠٢ : وكما أنّ المقصود من خلق الإنسان أداء العبادة المأمور بها كذلك المقصود من أداء العبادة تحصيل اليقين الذي هو حقيقة الإيمان ، ويمكن أن يكون في قوله تعالى ﴿ **وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ** ﴾ رمزٌ إلى هذا المعنى ، فأنّ كلمة « حتّى » كما أنها تكون للغاية تكون للعلّة أيضاً ؛ أي لأجل أن يأتيك ، وكان الإيمان المتقدِّم على أداء العبادة صورة الإيمان لا حقيقته التي عبّر عنها باليقين ، قال الله عزَّ شأنه ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ** ﴾ أي : الذين آمَنوا صورةً ، آمِنُوا حقيقةً بأداء وظائف العبادة المأمور بها . انتهى .

وقال الإمام الربَّاني أيضاً في مكتوب آخر : أيها السَعيد النَجيب ! إنّ الإنسان إذا طرأ عليه مرض من الأمراض الظاهرة ، أو عرضت من أعراضه آفة يسعى سعياً بليغاً حتّى يندفع عنه ذلك المرض ، وتزول عنه تلك الآفة ، وقد استولى عليه المرض القلبي الذي هو عبارة عن تعلُّق القلب بما دون الحق جلّ وعلا على نهج كادَ يُوقعه في الموت الأبدي ، ويلقيه في العذاب السرمدي ، وهو لا يتفكَّر بَعْدُ في إزالته أصْلاً ، ولا يسعى في دفعه قطعاً .

عقل المعاش وعقل المعاد

فإن لم يعلم أنّ هذا التعلُّق مرض فهو سفيهٌ محض ، وإن علم ! ومع ذلك لا يبالي به فهو بَليدٌ صِرْفٌ ، ولأجل إدراك هذا المرض لا بُدَّ من عقل المعاد ، فإنّ عقل المعاش لقصور فكره مقصور على إدراك الظاهر لا يتعدَّاه إلى بواطن الأمور ، فكما أنّ عقل المعاش لا يدرك

قولهم في نفس الأمر كما قال الغزالي رضي الله عنه كنا ننكر على القوم أموراً حتى وجدنا الحق معهم . اهى (منه رحمه الله تعالى) .

المرض المعنويَّ ، أو لا يراه مرضاً بواسطة ابتلائه بالتلذذات الفانية ، وانغماسه فيها ، كذلك عقل المعاد لا يحسُّ الأمراض الصُوريّةَ ، ولا يعدُّها أمراضاً بسبب رجائه المثوبات الأخروية . عقل المعاش قصير النظر ، وعقل المعاد حديد البصر ، عقل المعاد نصيب الأنبياء والأولياء عليهم الصلاة والسلام ، وعقل المعاش مرغوب الأغنياء وأرباب الدنيا ، شتان ما بينهما ! ! .

والأسباب المحصّلة لعقل المعاد ذكر الموت ، وتذكر أحوال الآخرة ، ومجالسة قوم تشرَّفوا بدولة فكر الآخرة ، شعر :

دلّلتـك يـا هــذا على كنز مقصد ... فــإن أنا لــم أبلـغ لعلّك تبلغ

ينبغي أن يعلم كما أنّ مرض الظاهر مُوجبٌ للعسرة والتعب في أداء الأحكام الشرعية ، كذلك مرض الباطن أيضاً مستلزم لذلك ، قال الله تبارك وتعالى ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ والمستلزم لذلك العسر في الظاهر ضعفُ القوى والجوارح ، وفي الباطن ضعف اليقين ونقص الإيمان ، وإلاّ فليس في التكاليف الشرعية عُسْرٌ أصْلاً ! بل فيها كلّها تخفيف وتمام اليسر والسهولة ، وقوله تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وقوله تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ شاهدان عدلان لهذا المعنى ، شعر :

ما ضرّ شمس الضحى في الأفق طالعة ... أن لا يرى ضوءها مَنْ ليس ذا بصر

فكان فكر إزالة هذا المرض لازماً ، والالتجاء إلى الأطباء الحذّاق فرضاً ، ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ والسلام والإكرام ؛ كذا في « الدرر المكنونات » في ١٩١ من الجزء الأول .

وقال قدس سره في مكتوب آخر في ١١٠ من الجزء الأول : **قد تقرَّر**

عند الحكماء أنّ المريض ما دام مريضاً لا ينفعه غذاء أصلاً ، ولو كان من أعزِّ الأكل وأحسنه ، بل هو مقوٍّ لمرضه ، الأكل ما نال العليل عليل[1] ؛ فيشتغلون أولاً في فكر إزالة مرضه ، ثم يجتهدون في تحصيل القوّة بأغذية مُناسبة لمزاجه وحاله بالتدريج ، **فكذلك الإنسان ما دام مبتلى بمرض القلب** كما قال الله تعالى ﴿ **فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** ﴾ لا تنفعه عبادة وطاعة أصلاً ، بل هي مُضِرَّة له « رُبَّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه » حديث معروف ، و« رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلاّ الجوع والظماء » خبر صحيح . فأطباء القلوب أيضاً يأمرون أولاً بإزالة المرض ، وذلك المرض عبارة عن تعلُّق القلب بغير الحقِّ سبحانه وتعالى ، بل هو تعلُّق القلب بنفسه ، فإنّ الإنسان كلما يحبُّه ويطلبه إنما يحبُّه ويطلبه لنفسه ، فإن أحبَّ أولاده يحبُّهم لنفسه ، وكذلك الأموال والرياسة والجاه ، فمعبوده في الحقيقة هو نفسه ، فما دام الإنسان لم يتخلَّص من هذا التعلُّق والارتباط لا وجه لرجاء النجاة ، ففكر إزالة هذا المرض لازم للعلماء أولي الألباب ، والحكماء ذوي الأبصار ، ويكفي مَنْ له فهمٌ إشارةٌ ! ! انتهى من « الدرر المكنونات » من صحيفة ١١٠ من الجزء الأول .

مهم

وفيه أيضاً في ١١٤ : اعلم أنّ أهل الله أطباء الأمراض القلبيّة ، وإزالة العلل الباطنية مَنُوطَة بتوجُّه هؤلاء الأكابر ؛ كلامهم دواء ، ونظرهم شفاء ، هم قوم لا يشقى جليسهم ، وهم جلساء الله ، بهم يمطرون ، وبهم يرزقون ، ورأس الأمراض القلبية ، ورئيس العلل الباطنية هو تعلُّق القلب وارتباطه بما دُونَ الحق سبحانه وتعالى ، ومالم يتيسَّر التخلُّص من هذا التعلُّق بالتمام فالسلامة محال ، فإنه لا مجال للشركة في جناب الحق جلّ سلطانه ﴿ **أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ** ﴾ فكيف إذا جعل الشريك غالباً ؟ وجعل محبَّة غير الحقِّ تعالى غالبة على محبته

---

(١) وفي نسخة : الأكل ما زال العليل عليلاً .

تعالى على نهج تكون محبته تعالى معدومة في جنبها أو مغلوبة غاية الوقاحة ، ونهاية عدم الحياء ، ولعل المراد من الحياء في قوله عليه السلام : « الحياء من الإيمان » هو هذا الحياء .

وعلامة عدم تعلُّق القلب بما سواه تعالى نسيانه بالكلية ، وذهوله عنه جملة ، على وجه لو كُلِّف بتذكُّر الأشياء لما تذكَّر ! فكيف يكون لتعلُّق القلب بالأشياء مجال في ذلك الموطن ؟ ! **وهذه الحالة مُعبّرة عنها عند أهل الله بالفناء ، وهو أول قدم يوضع في الطريقة** ، ومبدأ ظهور أنوار القوم ، ومنشأ ورود المعارف والحكم وبدونها خَرَط القتاد . انتهى .

وقد أطلنا الكلام في هذا الموضع ، وزدنا تحرير النقول في هذا الباب ! لكونه مما كثر فيه القيل والقال بين عباد الله ، فلعلّك لا تسئم ، ثم لعلك لا تلوم على هذه الطائفة النقشبندية قائلاً : هل يجوز أن يُعلِّموا الطريقة إلا بعد إتمام الشريعة ؟ فإن تعليم الطريقة إنما هو لتكميل الشريعة ، بل لتكميل حقيقة الإيمان[1] كما هو المأخوذ من الكلام السابق ، وإيّاك ثم إيّاك أن تبغضهم ! فإنّ بغضهم سمٌّ قاتل ، والطعن فيهم موجب للحرمان الأبدي ؛ قال شيخ الإسلام الهروي : إلهي كلّ مَنْ أردت سقوطه فأسقطه علينا ، يعني أوقعه بغيبتنا وملامتنا . انتهى .

ولا تظنّ أن الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر فوقه ! فإنّ كلاًّ منهما عين الآخر ، كذا قال الإمام الربَّاني - قدس سره - ورَدَّ قول مَنْ

(١) ولذا قال الإمام الرباني قدّس سره في « رسالة المبدأ والمعاد » : والمقصود من السير والسلوك خرق الحجب ؛ وجوديةً كانت أو إمكانية حتّى يتيسر الوصل العريان ، وليس المقصود منه أن يصيد المطلوب ويقيِّده . اهى فراجعه من هامش « الدرر المكنونات » من الجزء الثاني في ٧٦ (منه) .

قال : الشريعة قشر الحقيقة ، والحقيقة لبُّ الشريعة[1] لإيهامه المخالفة بينهما ، بَلْ أوَّله وحَمَلَهُ على وجه حسنٍ .

وقال أيضاً : إنّ حصول الطريقة مقدَّم على حصول حقيقة الشريعة . انتهى . كذا في « الدرر المكنونات » في ٢٤٩ من الجزء الأول .

وفيه في ١٨٢ : إنّ طريق الصوفية خادم للعلوم الشرعية ، لا أنه أمر مُبَايِنٌ لها . انتهى .

فينبغي لكلّ واحدٍ أن لا يتكلَّم خلف الأولياء إلاّ بعد أن يُحصِّل مِنْ علومهم شيئاً ، ومِنْ أذْواقهم حالاً ، وإلاّ فيُورِطهُ في الهلاك ، والعياذُ بالله .

البابُ الرابع والعشرون

في وجوب ملازمة المريد على ما أمر به شيخُه من الذكر

ولقد سمعْنا أنّ واحداً من العلمآء المنكرين قد طعن فيمن يلازم على ما وضع عليه أستاذه الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة ، ولا ينتقل إلى الأذكار والدعوات خلف الصلوات ، قائلاً : إنّي أبارز وأباحث على مَنْ أمَرَ بتلك الملازمة ، وأسْألهُ من أين أخذ هذا الأمْرَ ؟ وفي أيّ كتاب وجَدَه ؟ ! فقد تحقّق وتبيَّن قول مَنْ قال : مَنْ اكتفى بالفقه تفسَّق !

(١) وهذا الكلام وإن كان منبئاً عن عدم استقامة قائله ، ولكن يمكن أنّ يكون المراد به أن المجمل حكمه بالنسبة إلى المفصَّل ؛ كحكم القشر بالنسبة إلى اللبِّ ، والاستدلال في جنب الكشف كالقشر في جنب اللبِّ .
وأما الأكابر المستقيموا الأحوال فلا يجوِّزون التكلُّم بأمثال هذه العبارة الموهمة للمخالفة ، ولا يثبتون الفرق بينهما غير الإجمال والتفصيل والاستدلال والكشف ؛ سَألَ سائل الخواجه بهاء الدين النقشبند – قدس الله سره الأقدس – أنه : ما المقصود من السير والسلوك ؟ فقال : كون المعرفة الإجمالية تفصيليّة ، والاستدلاليّة كشفية . هكذا ؛ بل عينه في « الدرر المكنونات » في ٩٦ من الجلد الأول فراجعه (منه غفر الله له آمين) .

فنقول وبالله التوفيق : قال الشيخ الإمام تاج الدين ابن عطاء الله في كتابه « تاج العروس » :

ولا تكن كمن يُريد أن يحفر بئراً فيحفر ذراعاً هُنا وذراعاً هنا فلا ينبع له ماء أبداً ، بل احفر في مكان واحد ، فينبع لك المآء . انتهى . هذا الكلام ـ منه رضي الله عنه ـ إشارة إلى الملازمة على الذكر وتكثيره من غير أن ينتقل إلى غيره ، وراجع « ماهية التصوف » و« المتممات » فالأولى والأصلح لمن له شيخ أن يلازم على ما أمر به شيخه ، ولا ينتقل إلى غيْره ؛ كذا قال ابن حجر[1] في « الفتاوى الحديثية » ، وفي « الباقيات الصالحات » : إنّه وقعت المباحثة بين شخصَيْن قال أحدهما : الذكر أفضل من تلاوة القرآن . وقال الآخر : بل التلاوة أفضل من الذكر . فخرج شيخنا في ذلك الأثنآء وقال : فيما ذا كنتم تتكلّمُونَ ؟ فعرضوا عليه المباحثة فقال : **الكون مع الله أفضل من الكلّ** . انتهى .

يعني أنّ ما يؤدِّي إلى وِجْهَةِ القلب إلى الله والحضور معه فهو أفضل ، ولا شكّ أنّ ملازمة الذكر أشدُّ جَلْباً لصَرْفِ القلب إلى الكون مع الله مما سواه ، فافهم والله أعلم .

وفي « النفائس السانحات » أنّ المداومة على الذكر من فرائض طريق أوليآء الله تعالى ، فينبغي الإكثار من الذكر بترك جميع مرادات النفس ، فإن القلب لا ينجلي من غير ذكر كثير . انتهى .

وفيه أيضاً في موضع آخر : ينبغي للسّالك أن يعمّر أوقاته ، ويستغرقها بالذكر والعبادة ، وحفظ مدركته عن الالتفات إلى السوى ، وصون سرِّه وهمَّته عن التوجُّه إلى غيرِ مفهومِ لفظةِ الجلالة حتى

---

(١) ومر في الباب الرابع عشر نقلاً من عينه (منه) .

تكون ملكة حضوره . انتهى .

وفيه أيضاً أن التكثير من تكرار اسم الذات مُثْمِرٌ لنسبة الجذبة الإلهيّة : انتهى .

وفي « الباقيات الصالحات » في ١٤٨ : جاء مولانا يوماً في حجرتي ورأى مُصْحَفاً في الرفِّ فقال : ما هذا الكتاب ؟ قلت : هو مصحف . قال : إنّ ذلك من علامة البطالة يعني أنّ وظيفة المبتدىء في بداية سلوكه الاشتغال بالنفي والإثبات . وقال : **إنّ تلاوة القرآن من وظيفة المتوسطين ، والصلاة شغل المنتهين ؛ وأهمّ المهمّات للمبتدئين الاشتغال بالنفي والإثبات ، وترك الأهم** ، والاشتغال بغيره بطّالة ، كمن يقرأ الفاتحة في قعُوده زعْماً منه أنها أمّ القرآن انتهى .

وقال الإمام الربَّاني في بعض مكاتيبه : وينبغي تعمير الأوقات بالذكر على نهج لا يشتغل بعد أدآء الفرائض والسنن المؤكَّدة بشيء غير الذكر أصلاً ، حتى يترك تلاوة القرآن ونوافل العبادة[1] أيضاً ، ويشتغل بالذكر بالوضوء ، وبغير الوضوء ، قائماً وقاعداً ، ولا يخلو عنه في مجيئه وذهابه ، ووقت أكله ونومه إلى آخر ما قاله[2] ، كذا في « الدرر المكنونات » في ١٠٨ من الجزء الثالث .

---

(١) أي : غير السنن المؤكدة للصلوات الخمس ، وهذا بالنسبة إلى المبتدئ ، فإن الأفضل في حقّه مجرد الذكر ، وأما بالنسبة إلى المتوسّط ، فالأكمل في حقه التلاوة ، وبالنسبة إلى المنتهي : الصلاة لأنها جامعة للذكر والتلاوة وأعمال الجوارح واختلاف الحالة . راجع « عوارف المعارف »و« شرح عين العلم » لعلي القارئ في ٢٩١ من الجزء الثاني (منه قدس سره) .

وليس من آداب المريدين كثرة الإمداد بالظاهر ، فإن القوم في مكابرة إخلاء خواطرهم ومعالجة أخلاقهم ونفي الغفلة عن قلوبهم لا في تكثير أعمال البرّ الذي لا بد لهم منه إقامة الفرائض والسنن الراتبة . فأما الزيادات من الصلوات النافلة فاستدامة الذكر بالقلب أتمّ لهم . « رسالة قشيرية » ٢١٦ . (خط حسن أفندي) .

(٢) ورأيت في « عوارف المعارف » ما نصه : أن العبد إذا أخلص لله وأحسن نيته وقعد في الخلوة أربعين يوماً أو أكثر فمنهم من يباشر باطنه صفو اليقين ويرفع الحجاب عن قلبه=

وقال الشيخ ممَّ دِبِر الروچي قدس سره نقلاً عن الشعراني ، وقال أيضاً : سمعت شيخنا علياً المرصفي ـ رحمه الله تعالى ـ يقول : إيّاكم أن تنكروا على شيخ أمَرَ مُرِيدَه بتقديم صلاة النافلة أو الذكر مثلاً على طلب العلم أو عكسه ، فإنّ في ذلك مشاهدة صحيحة للأشياخ ، وكذلك لا ينبغي لكم الإنكار على شيخ ينهى مريده عن صلاة النافلة أو العلم ويأمره بالذكر ، فإنّه ربّما رأى نيّته في العلم فاسدة بالكشف والقرائن ، ورأى عنده جَهْلاً بالله تعالى لغلظ حجابه ، فأمره بالذكر .

إذا رأيتم المريد يكثر من النافلة ويقلِّل من الذكر فاعلموا أنّه بطّال لا يجيء منه شيء في الطريق ، لأنّ صلاة النافلة من صلاة الكمّل لا المريدين . انتهى .

وفي « الفتاوى العمرية » **اعلم** أن الذكر هو العُمْدَة في جميع الطرق العلية ، فلا يصل أَحَدٌ إلى الله تعالى إلاّ بدوام الذكر والفكر ، والحضور والمراقبة ، وذلك أفضل العبادات ، وأقرب الطاعات والقربات في الطرقات ، بعد أدآء الفرائض والسنن المؤكدات ، لأنّ العابدين لو اشتغلوا بجميع الطاعات سوى ذكر الله تعالى ليلاً ونهاراً قلّما يحصل لهم تزكية النفوس وتصفية القلوب ، وهو مأثور وثابت

=ويصير كما قال قائلهم : رأى قلبي ربي . وقد يصل إلى هذا المقام تارة بإحياء الأوقات بالصالحات ، وكف الجوارح وتوزيع الأوراد من الصلاة والتلاوة والذكر على الأوقات ، وتارة يبادئه الحق لموضع صدقه وقوّة استعداده مبادأة من غير عمل وجدّ منه . وتارة يجد ذلك بملازمة ذكر واحد من الأذكار لأنه لا يزال يردّد ذلك الذكر ويقوله ، وتكون عبادته الصلوات الخمس بسننها الراتبة ، فحسب . وسائر أوقاته مشغولة بالذكر الواحد لا يتخللها فتور ولا يوجد منه قصور ولا يزال يردّد ذلك الذكر ملتزماً به ، حتى في طريق الوضوء وساعة الأكل لا يفتر عنه . انتهى فراجعه في ١٨٧ من هامش « الإحياء » في الجزء الثاني . (منه سامحه الله من فرطاته آمين) .

بالأدلة الأربعة ، وأفضليّته ثابتة بقوله تعالى ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[1] أي : ولذكر الله أكبر في إزالة مرض القلب من الصلاة وتلاوة القرآن ، فالصلاة وإن كانت تنهى عن الفحشآء والمنكر ؛ وكذا التلاوة ! لا توصلان إلى الله تعالى ، بل توصلان إلى الجنة والثواب العظيم ، وأمّا الذكر فهو موصل إلى الله تعالى ، فبينهما فرق عظيم ، لأنّ قيمة الذكر بقدر المذكور ، فحينئذ فذكر الله أكبر من تلاوة القرآن وصلوات النوافل « روح البيان » ملخصاً .

وفي « **هدية الذاكرين** » : **اعلم** أنّ الذكر من الواجبات لأنّ الأمر إذا تكرر يكون للوجوب على قاعدة الأصوليين ، وقد تكرر الأمر بالذكر في القرآن والحديث في مواضع لا تحصى . انتهى « هديّة الذاكرين » .

وفي « مزكي النفوس » : الذكر أفضل من صلاة النافلة . اهى

وفي « الفتاوى » للرملي : هل الذكر الوارد في وقت مخصوص أفضل من قراءة القرآن في ذلك الوقت أم لا ؟ فأجاب بأنّ الذكر أولى . انتهى ، في ١٥٤ من هامش « الفتاوي » لابن حجر .

فائدة : قد كتب إليَّ واحد من العلماء ـ رزقه الله التوفيق وجعله من أهل التحقيق آمين ـ : إنّ ما بين الخروج إلى الخلاء وبين إتمام أربع ركعات ألف وستمائة سُنَّة يجب حفظها على أهل الطريقة ! .

وقال : إن مَنْ لا يقدر على إتيان هذه السنن لا يحمل أعباء الطريقة ، وقال أيضاً : إنّ أكثر العارفين لم يبلغوا إلى مقام الطريقة .

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : له وجهان ؛ أحدهما أنّ ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه ، والآخر أنّ ذكر الله أعظم من كل عبادةٍ سواه ، كذا في « مكاشفة القلوب الكبير » للإمام الغزالي (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

وقال : إنّ الشيخ العبودي رحمه الله كان يقول بفمه ما ذُكِر وأنكر إنكاراً تاماً على مَنْ يُلقِّن الأذكار للعوام ! !

فنقول ـ والله الموفق ـ : إنّ المراد من الطريقة حصول المعرفة واليقين ، فإذاً تكون الطريقة من الوسائل ، والمعرفة واليقين من المقاصد ، فلا أدري معنى قوله : إنّ أكثر العارفين لم يبلغوا إلى مقام الطريقة ، ولعلّ القائل لا يعرف معنى العارف ، ولا معنى المعرفة بل ولا مقام الطريقة ، والله أعلم . ثم إنّ المنع من الدخول في الطريقة لمن لا يقدر[1] أمثال هذه السنن المذكورة ممّا لم يقله أحد من المشائخ ! بل الذي عليه سياسة المشائخ العارفين تلقين الذكر للعوام مستدلين بعموم قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الآية ، بل جعلوا أخذ الطريقة وتعلّم ظواهر حدود أمراض القلب وأسبابها من المشائخ المرشدين فرضَ عين على كل فرد من أفراد الرجال والنسآء . اللهمّ نعم ! قد استثنى ابن حجر في « الفتاوى » منهم مَنْ خلق سليماً منها ، وقال : لا يلزمه تعلّم ذلك . فراجعه في ١٣ من الخاتمة .

وأرى هذا القائل يأمر بإتيان السنن وينهى عَنْ فِعْلِ الفرض والواجب ؛ وقد قال بعض العارفين ـ رضي الله عنه ـ في رسالته : إنّ تلقين الذكر على منهاج النقشبنديين برعاية آدابهم خير من ألف ألف سُنَّة ابتدعوها وقالوها[2] الخالية[3] عن مؤسّسٍ واصل ، لما أنهم يلتجئون إلى السنن بترك الواجبات . انتهى .

---

(١) ولعل هذا القائل لو قيل له أخبرني من السنن المذكورة ولو نصفاً أو ثلثاً لا يدري ما يقول (منه) .

(٢) أي بأن ما بين الخروج إلى الخلاء وبين إتمام أربع ركعات ألفاً وستمائة سنة ، كما مر (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) أي الخالية عن الإذن والتلقين من المرشد الكامل الواصل الذي أسّس بناء أعماله على وفق ما جآء به الأكابر معنعنا مسلسلاً بلا انقطاع الوسائط (منه رحمه الله تعالى) .

يعني أنّ الذكر شفاء القلوب كما في الحديث ، وأخذه من الكامل المكمّل واجب على كل مَنْ له مرض قلبيّ فتدبره .

وفي « تقريب الأصول » في ٥٢ : سيْرك قدماً واحداً على أثر قدم عارف[١] أحسن من مائة ألف فرسخ تسيرها بهواك . انتهى . يعني : أنّ عبادة واحدة فعلها الطالب بإذن عارف وتلقينه يكون نفعها وأثرها أحسنَ وأزيد من مائة ألف عبادة يفعلها بهواه والله أعلم .

وأظنّ أنّ الشيخ العبودي لم يقل[٢] هذا الكلام الذي نسبه إليه هذا

---

(١) وقد قال بعض الأكابر : إن الإنسان ينبغي له أن يعمل ما يعمل بأمر صاحب الزمان يعني المرشد الكامل حتى تترتب عليه النتيجة ولو كان أمراً مشروعاً . انتهى . ولكن ينبغي أن يعلم أن المراد بالنتيجة نتيجة معتدّة بها ، لا مطلقاً كذا في « الدرر المكنونات » في ٢٢٣ من الجزء الأول ، فراجعه . (منه قدس سره) .

(٢) اللهمّ نعم ، قد وجدت هذا الكلام في كتابه المسمى بـ« كنز الدرر » بهذا الفظ : فأكثر العارفين رضي الله عنهم من أهل المذاهب ليسوا من أهل الطريقة حقيقة وإن عبدوا عبادة الثقلين وتزهّدوا في الدارين ، فضلاً عن مجرد شيوخ الأشياخ إلى آخر ما قاله فيخدشه ما قاله الإمام الرباني في « مكتوتاته » وما دام السالك في مقام النفي فهو في مقام الطريقة ، فإذا فرغ من النفي بالتمام وانتفى جميع الأغيار عن نظره وأتم الطريقة ، ووصل إلى مقام الفناء وجاء إلى مقام الإثبات بعد النفي ، ومال من السلوك إلى الجذبة فقد تحقق بمرتبة الحقيقة واتصف بالبقاء . وبهذا النفي والإثبات وبهذه الطريقة والجذبة وبهذا الفناء والبقاء وبهذا السلوك والجزبة يصدق اسم الولاية وتميل النفس من أن تكون أمّارة إلى الإطمئنان وتصير مزكاة ومطهّرة إلى آخره . والطريقة والحقيقة اللتان هما محصّلتان للولاية كأنهما من الشرائط لتحصيل حقيقة الشريعة . انتهى فراجعه في ٧٩ من الجزء الثاني . وأيضاً أن الكامل عارف ، وأدنى درجة الكمال اطمئنان النفس ، كما هو مذكور في « السير والسلوك » . ويؤخذ مما مرّ آنفاً ومما ذكره العبودي في كتابه المذكور أن صاحب المطمئنة هو المأذون المرشد . فالقول بأن أكثر العارفين ليسوا من أهل الطريقة مخالف لأقوال العلماء . ويحتمل أن يكون لكلامه هذا معنى آخر ، له تأويل عنده* والله أعلم . وأيضاً قال في ذلك الكتاب قبيل هذا : إنه لا يمكن أن يكون من له مذهب خاص من أهل الطريقة** ، فيرده بكون أئمة الطرق وأكابر الصوفية ممّن لهم المذهب الخاص . وقد كان الإمام الرباني قدس سره من الحنافية ، مقيداً بمذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، وكان يترك قراءة الفاتحة خلف الإمام رعاية لمذهبه . كما هو مذكور في كتاب « المبدأ والمعاد » فراجعه في ٨٧ من هامش « المكتوبات » من الجزء=

البعض ـ سامحه الله ـ وبفرض كَوْنه مما قاله ـ رحمه الله تعالى ـ فلا نسلِّمه ! ! لأنّه يخالف أقوال الأئمة الصوفية ، وقد قال الإمام الربَّاني قدس سره : لمّا كان كل من مظانِّ الخطأ ومجال الصواب مختلطاً بالآخر بحكم البشريّة ؛ والإنسان أحياناً مخطىء وأحياناً مصيب ، فلا جرم كان اللازم جعلُ الموافقة لأحكام السواد الأعظم الذين هم أهل الحق علامةً للصواب ، ومخالفتُهم دليلاً للخطأ ، أياًّ مَنْ كان القائل ، وأياًّ ما كان المقول . قال المخبر الصادق عليه وعلى آله الصلاة والسلام : « عليكم بالسواد الأعظم » . انتهى . كذا في « الدرر المكنونات » في ١٠٤ من جزء الثالث .

وقال الرملي : ولا يخفى أنّ هذا الشرع جآء باليسر والسهولة ، والرسول عليه السلام أرحم لأمته من كل واحد ، وقد طلب لهم اليسر في ليلة المعراج بقدر طاقته ، ولا أدري ما العلّة في الردِّ على مشائخ الطريقة الذين يهدون الناس بقدر طاقتهم إلى امتثال أمر الشارع ، ولا أحسُّ هذا التعسير من هؤلاء المنكرين أهل العنف والتغليظ مع أنّه تعالى قال ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ الآية ، وفي الخبر « إنّ الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » وفيه « أفضل أمتي الذين يعملون بالرُخص » رواه الطبراني في الكبير ، كذا

=الثاني . وكان رئيس الطريقة خالد البغدادي شافعي المذهب ، وغيرهما من أكابر النقشبندية كانوا أصحاب مذهب خاص فتدبره . وقد قال العبودي في الكتابه المذكور أمثال هذه المذكورات في عدة مواضع ؛ منه ما يعارضها ، ولعله رحمه الله تعالى قال ذلك في حالة السكر وكان الغالب عليه السكر (منه رحمه الله) .

*أي يجوز أن يكون المراد أن أكثر العارفين ليسوا واصلين إلى ما وصلوا إليه من المعرفة بالسلوك في الطريقة ، بل إنما وصلوا بما فاجأتهم من الجزبة الإلهية ، فتدبره ! (منه) .

**ويحتمل أن يكون المراد من هذا الكلام أيضاً : أن من له مذهب خاص لا يكون من أهل الطريقة الذين وصلوا إلى الانتهاء الذين لا يرخصون بل يأخذون العزيمة من كل مذهب . فافهم !

في « الجامع الصغير » و« البدر المنير » .

وفي « الرسالة الخالدية » ما حاصله : أنّ الوليَّ لو اقتصر على الفرائض مع ترك المناهي لا ينافي ولايته أيضاً ، لما روي في حديث نعمان بن نوفل حيث سأل رسول الله ﷺ أنّه لو اجتنب المنهيات واقتصر على الفرائض هل يدخل الجنة ، فقال عليه السلام : « نعم » برواية مسلم . انتهى .

وفيه أيضاً : إنّ الاعتراض على الوليِّ بترك سُنَّة من السنن ، أو بالإتيان بمباح شرعيّ بعد رؤية التصرُّف والتأثير من فرط الجهالة .

وفيه أيضاً : الاعتراض على المباح من عادة الجاهلية . انتهى .

وفيه أيضاً : وفي زماننا هذا لو رأى أحدٌ أكلَ لذيذ ، أو شرب بارد أو لبس حسنٍ ، في أحد من أصحاب الطريقة ، مع كون كل ذلك مُبَاحاً شرعياً والمباح لا يضرُّ ! لأنكر واعترض على حاله ، ولو كان له التصرُّف والآثار كالشمس في وسط النهار ، وكل ذلك من الاعتماد على رأيه ، واختراع الوليّ بقوله . انتهى .

وقال الإمام الرباني في مكتوباته : فإن عرض للمريد شبهة في حقِّ الشيخ لارتكابه الأمر المباح لا تُعتَبَرُ تلك الشبهة ولا يعبأ بها ، فإنّه إذا لم يمنع مالك الأمور جلّ سلطانه عن إتيان المباح ولم يعترض على فاعله ، كيف يسوغ لغيره سبحانه أن يعترض عليه من قبل نفسه ! ؟ وكم من مواضع يكون فيه ترك الأولى أولى من إتيانه ، وقد ورد في الحديث : « إن الله تعالى يحب أن تؤتى رُخَصُهُ[1] كما يُحِبُّ أن تؤتى عَزَائِمُهُ » ، راجعه في ٣٨٣ من الجلد الأول .

---

(١) إجلالاً لما صدر من كرمه ، « مناوي » .

فهذه في حقِّ الوليِّ ! فما تقول في حق المريد المبتدىء ؟ ! !
مع أنّ الاشتغال بالنوافل[1] ليس من وظيفة المريدين ، كما هو مذكور في غير كتاب ، وأمّا وظيفتهم فالدوام على الذكر قياماً وقعوداً ، ذهاباً وإياباً وعلى جنوبهم .

وفي « الرسالة » في فضائل الذكر : إنّ الذكر الخفيَّ القلبيَّ مستحبٌّ على كل حال حتى في الخلاء ، وقد مر أنّ الذكر أفضل للسالك ولو من الصلاة النافلة ، فكيف من سائر السنن والنوافل ؟ ! ولا يترقَّى المبتدىء إلا بتكثيره وتكريره ، ولا يخفى على العاقل أنّ ارتكاب الأفضل في حقِّه بترك المفضول لا يكون مذموماً بل يكون ذلك حسناً[2] ، ومحموداً ، ومرّ في بيان محاسن هذه الطريقة أنّ من عمل بعشر ما علم نجا ، فينبغي استحضاره هنا وقد قال الرملي في « شرح الزبد » في بيت :

فاعمل ولو بالعشر كالزكاة   تخرج بنور العلم من ظلمات

أفاد به أنّه ليس على الشخص أن يعمل بما تعلّمه من مسنونات الشريعة ، فإن لم يعمل بجميعها فليعمل ولو بالعشر منه تخفيفاً عليه ، كما اكتفى الشارع في زكاة النبات إلخ . انتهى .

وقد قال الإمام القشيري في « رسالته » : وليس من آداب المريدين

---

(١) وفي « الكبريت الأحمر » للشعراني في ١٩٤ من هامش « اليواقيت » من الجزء الأول ؛ كان الملامتية الذين هم أكابر القوم لا يصلون مع الفرائض إلا ما لا بد منه من مؤكدات النوافل انتهى بحروفه (منه) .
(٢) وقال الخادمي في « البريقة » : إن صاحب هذا المقام يقصر العبادة الظاهرة على الواجبات والسنن المؤكدات ، لاشتغاله بما هو أقوى منه وهو الشهود والحضور . فراجعه في ٢١١ من الجزء الأول ، وفيه أيضاً : إن مُتَارَكَتَهُمْ الفضائل ليس لاعتقادهم عدم النفع ولا الكسلان ، بل لاشتغالهم بالأكمل منها ، ولأنهم قد حصل لهم ما هو المقصود منها . فراجعه ٢١١ ج ٦ (منه سامحه الله من فرطاته آمين) .

كثرة الأوراد بالظاهر ، فإنّ القوم في مكابدة إخْلآء خواطرهم ، ومعالجة أخلاقهم ، ونفي الغفلة عن قلوبهم ، لا في تكثير أعمال البرّ الذي لا بدّ لهم منه كإقامة الفرائض والسنن الراتبة ، فأما الزيادات من الصلوات النافلة فاستدامة الذكر بالقلب أتمُّ لهم . انتهى فراجعه من صحيفة ٣١٦ .

ثم اعلم أيّها الأخ أنّ مفتاح السعادة اتِّباع السُنَّة والاقتداء بالرسول عليه الصلاة والتحية في جميع الأفعال والأقوال ، والحركات والسكنات ، وبذلك يحصل محبّة الله سبحانه ، وقد قال تعالى : ﴿ **قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ لكنّ أكثر الخلق قد أهملوا اتباع السُنن ، واتبعوا خطوات الشيطان ، وصاروا يصرفون وجوه قلوبهم إلى جمع هذه الفانية بالكُلِّيَّة ، وتركُ السنّة في العبادات من غير عذر ليس إلاّ لكفر خفي أو حمق جليّ .

وبيانه أنّ النبي ﷺ أخبرنا بأنّ صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ أي المنفرد بسبع وعشرين درجة ، فمن صلى منفرداً مثلاً وترك الجماعة فقد آثر الواحد على سبع وعشرين وذا لا يفعله إلاّ أحمق ! وإنّ خطر بِبَالِهِ أنّ هذا لا يكون كذلك وإنما ذكره للترغيب فهذا كفر خفيٌّ انطوى عليه صدره وهو لا يشعر ، والسبب الباعث إلى إهمال ارتكاب السنن في جميع ما ورد به الأخبار عمايةُ القلب ، وكدورته بعمل الجوارح ، فصار القلب حينئذ لا يتجلَّى فيه حقائق الحق ، فاحتيج إلى تصقيله وتنويره وتعديله ؛ أمّا تصقيله ! فبإزالة حب الشهوات والأخلاق الذميمات التي تَكْسُو بسببها على القلب الوسخ والران . **وأمّا تنويره !** فبأنوار الذكر . **وأمّا تعديله !** فبِأنْ يجري جميع حركات الجوارح على قانون العدل ؛ بوضع الأشياء في مواضعها التي وردت في السُنَّة ، فإذا كان الحال كذلك ، احتيج أن يداوى هذا القلب المكدَّر المعمى بأدوية الأذكار ،

فإنّ ذكر الله شفاء القلوب كما ورد ، فالذكر للمريد كالمصباح في يده يستضيء به ، وبنور الذكر يتعاضدُ ويقوى ما في النفس من النور الأصلي حتى يندفع ما فيها من الرذائل ، ويزداد إقبالُها على حضرة القدس ، وإدبارُها عن الدناءات ، حتى تنمحق عنها[1] بالكُلِّية ، ويحرق الذكر ما سوى المذكور . **ثم إنّ الذكر لو أخذه السالك من عارف يكون معه نوره فيعمل في تنوير الباطن عمله، وإن أخذه من غير عارف فلا** ، كما هو مذكور في مواضع من هذا الكتاب .

فعلم من هذا البيان أنّ الدخول في الطريقة يكون سبباً باعثاً لإتيان المأمورات ، وترك المنهيّات ، واتِّباع المسنونات فتدبّره . وأيضاً إنّ المراد من تلقين الذكر حمل المُلَقَّن على مقام الإخلاص ، فالمريد[2] كالمريض ، والذكر كالدواء ، فكل مَنْ اشتغل بالنوافل والسُنن مع عدم خلوّ باطنه من الرياء والسمعة كالعليل الذي يأكل الأطعمة التي تضرُّ علّته ، بل تزيد مرضه حتى يكاد يهلكه . ولا يخفى أنّ عادة الأطباء أن يأمروا المَرْضى بالاحتماء عما يضرُّ الداء ، ولا يرخِّصون لأكل بعض الأطعمة ؛ وإن كان لذيذاً .

مهم

وقد قالوا في كتبهم : ليس شيء من العبادات أنفع لنفي الإعجاب والرياء وغيرها من المذمومات من الذكر الكثير ، ولم يأمروا المريدين بالاشتغال بالنوافل إلا السنن المؤكدة إلى أن يحصل[3] لهم مقام الإخلاص ، فإنّ المريد قبل ذلك إنما يفعل السنّة لحظِّ نفس غالباً ، فالفعل للحظِّ مذموم ، بل هو ممقوت ، فيكون ترك السنّة حينئذ أولى

(١) وراجع تقريب الأصول في ٩ (منه) .
(٢) بشهادة حديث : « ذكر الله شفاء القلوب » (منه ؛ رحمه الله تعالى) .
(٣) راجع « الفتاوى العمرية » و« الدرر المكنونات » وغيرهما (منه) .

وأحسن في حقِّه لأنّ الله لا يعاقبه على ذلك[1] كما هو مبسوط في « الإبريز » .

وفي « الدرر » في ١٣ من الجزء الثالث : إنّ ذكر النفي والإثبات كالوضوء للصلاة ، ومالم يوجد الوضوء لا يصح الشروع في الصلاة . انتهى .

وفيه : ينبغي أولاً إزالة المرض ، وهو مربوطةٌ بالنفي والإثبات ، ثم الاشتغال بعد ذلك بعبادات وحسنات آخر مما هو كالغذاء الصالح للبدن ، وكل غذاء يُتناول قبل زوال المرض فهو فاسد ومفسد . انتهى .

وفيه قبيل هذا : وقد وضعوا مدار الوصول على الذكر وأشياء أخرى غيره كثمراته ونتائجه . انتهى فراجعه .

وفي « إتحاف السادة المتقين شرح أسرار إحيآء علوم الدين » في ١٨ من الجلد العاشر : ولأنْ ينتقل العبد من معصية إلى معصية فيكون تاركاً للأولى بنية الترك لأجل الله تعالى كان أنفع له وأحمد عاقبة وأصلح لقلبه وأقرب إلى توبته من افتعال الطاعات مَشُوبَةً بالهوى وفساد النيات ، لأنّه حينئذ يكون متقلباً في المعاصي بفساد نيّته ، وخالط عملاً سيئاً بسيء مثله ودرأ بالسيئة السيئة قبلها ، وهذا بخلاف وصف الله تعالى من قوله ﴿ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ وقوله ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ ومخالف لأمْرِ رسول الله ﷺ : « أتبع السيئة الحسنة تمحها » . انتهى نقله عن صاحب « القوت » مع زيادة بسط ، فراجعه .

وأيضاً : إنّ المريد المبتدىء سداه ولحمته غفلة لا يكاد أن يحضر[2] الله في قلبه إلاّ بالتكلّف ، فينبغي له أن يُوَاظِبَ على ما يطرد به

(١) أي على تركها وسيأتي بسط ذلك في الباب السابع والعشرين (منه) .

(٢) ولا يخفى أن العبادة لو خلت من الحضور والوقوف القلبي فهي كصورة بلا روح كما قال به السادات في الكتب (منه) .

الغفلة عن قلبه من الذكر الكثير ، فإنّه كالفأس يقطع به شوك الخواطر كما قاله صاحب « الرشحات » ، وقال في موضع آخر : إنّ الذكر قد يكون حديث نفس بالنسبة إلى غيره . انتهى يعني أنّ الذكر بالأسمآء الفروعيّة كالغفور والرحمن يطلب الأغيار كالمغفور والمرحوم كما مر في الباب الرابع عشر ، ولذا قال الشعراني في كتاب « الجواهر والدرر[1] » : فما في الأذكار أعظم فائدة من ذكر الاسم (الله ، الله) لأنّه لا يطلب أحداً من الأغيار وقد مرّ بيانه ، فاستحضره هنا .

وقال الغزالي في « جواهر القرآن » إن كُنْت ذاهِباً إلى الله لم تفتقر إلى ترتيب الأوراد بَلْ وِرْدُكَ واحِدٌ وهو مُلازمة الذكر . انتهى .

وقال أيضاً : إنّ الذكر أفضل من قراءة[2] القرآن للذاهب إلى الله تعالى فراجعه .

فإنّ قراءة القرآن قد تحمل قارئه مرة إلى التفكر في الجنان[3] ، ومرة إلى التخيل في النيران ومرة إلى التدبر في قصص الأنبيآء عليهم السلام ، ومرّة إلى ما وقع بين الكفرة الفجرة ، ومرة إلى أحوال الدنيا الدنيئة ،

---

(١) راجعه من هامش الإبريز (منه) .

(٢) وسئل الإمام الرملي : هل الاشتغال بلا إله إلا الله أفضل من الاشتغال بقراءة القرآن لقول ﷺ « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله » أو الاشتغال بقراءة القرآن أفضل لقوله ﷺ « فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه » ولتحريم قراءته على ذي الحدث الأكبر ومسّ ما كتب فيه ، وحمله على المحدث ، ونحو ذلك مما يدلّ على فضله ؟ فاجاب رحمه الله تعالى : بأن لا إله إلا الله من جملة القرآن ، فتفضيلها على بقية كلام إنما هو من باب تفضيل بعض القرآن على بعض ، وهو صحيح ورد به أحاديث كثيرة ، لا من باب تفضيل غير القرآن على القرآن . فراجعه في « فتاواه » في ٣٣٢ من هامش « الفتاوى الكبرى » لابن حجر من الجزء الرابع . (منه) .

(٣) والمريد الذاهب إلى الله لا ينبغي أن يلتفت إلى الجنة ورياضها ، بل ينبغي أن يجعل همه هماً واحداً حتى يدرك درجة الفناء والاستغراق . كذا في « جواهر القرآن » فراجعه ، (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

فناسبَ لمن غلب على قلبه الغفلات أن يلازم الأذكار الملقَّنة لا على قراءة القرآن والآيات لئلا تكون سبباً لزيادة الخطرات إلى أن يصير الحضور القلبي مَلَكة راسخة لا يشغله شيء من الأشياء ، ويصير كالبحر يحمل كل ما ألقي إليه ؛ ولا يتكدّر ، ويقدر أن يقف مع صاحب الكلام ، لا مع ما يدل عليه الكلام . **فافهم** ، فإنّه نفيس لا يفهمه إلاّ حَدِيدٌ .

وقد قال الشعراني في كتاب « الجواهر والدرر » : اقرأ القرآن من حيث ما هو كلام الله لا من حيث ما تدل عليه الآيات من الأحكام والقصص فإنها هي الران على قلبك وحجاب . انتهى ١٧٢ فراجعه من هامش « الإبريز » .

وقد ذكر الإمام الرباني ، قدس سره ، كلاماً نفيساً في بيان تأويل قوله تعالى ﴿ **لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ** ﴾ بهذه العبارات والرمز الذي يخطر في الخاطر الفاتر ويقع في القاصر في هذا المقام أنّه لا يمسّ الأسرار المكنونة القرآنية إلاّ الذين صفت سرائرهم من لوث التعلّقات البشرية ، فإذا كان نصيب الأطهار مساس الأسرار القرآنية ، ما ذا يصيب لغيرهم ؟ !

ورَمْزٌ آخر « لا يقرأ القرآن » يعني : لا ينبغي أن يقرأ القرآن إلاّ الذين زكت نفوسهم عن الهوى والهوس ، وطهرت عن الشرك الجلي والخفي ومن الآلهة الآفاقية والأنفسيّة .

بيانه أنّ المناسبَ لحال مبتدىء السلوك هو الذكر ونفي ما سوى المذكور على حَدٍّ لا يبقى شيء مما سواه تعالى مَعْلوماً ولا يكون مراده شيئاً غير الحق سبحانه ، فإن ذكّروه بالأشيآء بالتكليف لا يكاد يتذكر ولا يكون مقصوده ، فإذا صار طاهراً من الشرك ومحرراً من الآلهة الآفاقية والأنفسية فحينئذ يستحق أن يقرأ القرآن بدل الذكر ويترقى بدَولة التلاوة . وتلاوة القرآن قبل حصول هذه الحالة المذكورة

داخلة في أعمال الأبرار ، وبعد حصول هذه الحالة داخلة في أعمال المقرّبين ، كما أنّ الذكر قبل حصول هذه النسبة كان من عداد أعمال المقرّبين ، وأعمال الأبرار من جملة العبادات ، وأعمال المقرّبين من جملة التفكّرات ، ولعلكم سمعْتم « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » أو : « سبعين سنة » والتفكر عبارة عن الانتقال من الباطل إلى الحق ، والفرقُ بين الأبرار والمقرّبين هو فرق ما بين عبادة ذاك وتفكر هذا ؛ ينبغي أن يُعْلم أن الذكر الذي يكون في عداد أعمال المقربين من المبتدئ هو ما أخذه من الشيخ الكامل المكمل وكان مقصوده سلوك الطريقة ، وإلاّ فالذكر أيضاً من جملة أعمال الأبرار . انتهى . نقل من « الدرر المكنونات » من الجزء الثالث من صحيفة ٩ فراجعه[١] .

وفيه ، في ٣٧ من ذلك الجزء : والعجب أن الذكر إذا كرر في ذلك الوقت بعنوان تلاوة القرآن لكونه كلمات الآيات القرآنية وشرع فيه بالاستعاذة يترتب عليه من الفائدة ما يترتب على تلاوة القرآن ، فإن لم يكرر بعنوان القرآءة يكون مثل عمل الأبرار . انتهى .

فقد تبيّن بجميع ما ذكرناه فساد قول مَنْ قال : إنّ مَنْ لا يقدر أن يفعل المسنونات المذكورات في مكتوبه لا يجوز له أخذ الطريقة والذكر ، والحالُ أنّه نقل ذلك القول عن الشيخ العُبُودي ، قدس سره ، ونسبه إليه وكتب في أثنآء ذلك المكتوب أنّ شيخنا قطب الإرشاد ذا الجناحين العسوي ، قدس سره لم يكن شيخاً ، ونفاه عن مقام الإرشاد واعترض عليه بأشيآء تَنْبُو بسماعها الآذان ، مع أنّ الشيخ العبُودي رحمه الله تعالى قد كان[٢] يوافق شيخنا قدس سره ، فقد زاره مرة وكان

---

(١) ونظيره في ٣٧ مع زيادة وبسط من ذلك الجزء (منه) .

(٢) ولقد أخبرني العالم رمضان العشلي العندي أنّه وصل لدى الشيخ العبودي رحمه الله تعالى للزيارة حين كان في دائرة تربيته ، ووَجَدَ في باب عتبته شيخنا العسلي ، قدس سره واقفاً ، ثم إذا دخلنا على الشيخ العبودي ، قال له الشيخ العسوي : إنّ شيخ الحاج جبرائيل=

معه العالم الرباني الحاج محمّد بن شعبان العسوي رزقه الله الاستقامة التامة والمتابعة الكاملة ، ففي أثنآء الكلام قال له : لِمَ لا تلقّن الذكر القلبيّ مُوَافِقاً باصطلاح المشائخ النقشبنديين ؟ ! فقال له العبوديّ : يا ولدي ، إنّي لا أقْدِرُ أن أتوجّه إلى الناس ! يعني أنّ التوجه شرط في طريقتهم وهو أمْرٌ عسيرٌ يحصل بسببه للمتوجّه ثقل عظيمٌ كما هو معلوم عند أهل الذوق والوجْدان ، فلو مَنَعْتُهُمْ بالكلية صَرَفوا آئسين منكسري القلوب ، ولذا أقول لهم بالذكر اللساني ، فيظنون أنّهم صاروا من المريدين فيتركون المعاصي ويلازمُون بالأوامر . انتهى .

قال شيخنا قدس سره . إنّه قال في ذلك المجلس : ليس لي مُريدُونَ في الداغستان إلا أربعة رجال . انتهى .

ثم بعد ذلك أرشد العبودي الناس إلى أعتاب شيخنا وأمر مَنْ جآء لديه بذهابه إليه وبأخذ الطريق منه وعلّمهم بأنّه المرشد النقشبندي يتوجه إلى المريد ويتصرف في الباطن وأظهَرَهُ إظهاراً شائعاً ، هكذا أخبرني بعض الثقاة من أهل الورع والتقوى والعلم والعمل والهدى ، ومَعَ هذا أنكره هذا البعض الذي يزعم أنّه مُريد الشيخ العبودي ، رزقه الله الإنصاف وجنّبه عن الاعتساف ، آمين .

فائدة : كان شيخنا رحمه الله تعالى يُلَقِّنُ الذكر القلبي لكل مَنْ جآء لدَيْه من العوام والخواص بعدما علّمهم كيفية الرابطة وأمرهم بألف استغفار وألف صلوات ومهّلهم على ذلك مدة شهر[1] أو أكثر ، وكان يتوجّه إليهم أحياناً ولا يامرهم بترك شيء من المخالفات إلا بالإشارة ،

=كان قال لي : لاتجيء لدي إلا بعد زيارتك لدى الشيخ العبودي ، ولذا زرتك وجئت لديك ، فقال له الشيخ العبودي : يا ولدي ، إنّ سلسلة طريقتكم أقرب من سلسلة طريقتنا وأنّ طريقتكم أسرع انتفاعاً من طريقتنا . انتهى . وقال : إنّ الشيخ العبودي كان يعظمه ويبجله ويكرمه ، هذا ما قال لي ذلك العالم بفمه . انتهى (منه ؛ رحم الله إفلاسه) .

(١) وحصل لهم الاستعداد فافهم . (منه) .

وإن علم منهم ما علم بل كان يتركهم للتردّد إليه فيسارقهم وطبائعهم تدريجاً فيحسن بعد ذلك حالهم بيُمْنِ تصرّفه الباطني حتى قال لي قدس سره بفمه : إنّه جآء لديه مرّة سارق وطلب منه الورْد ، ثم بعد رجوعه من موضعه وجد في طريقه معز واحدٍ من قريته فسرقه وذبحه وحمل لحمه إلى قريته ولم يقل له الشيخ شيئاً ما ؛ وإن كان يعلمه يقيناً وترك ليتردّد لديه ولاطفه وألان له الكلام وتصرّف في باطنه بالتدريج فصار أمْرُ السارق أنه ترك السرقة بالكلية وصار من جملة أهل الإرادة والمحبّين .

هذا[1] وأيضاً جاء لديه رجُلٌ آخر يترك الصلاة بالكلية فلاطفه بحيث يظن الناس أنّه من أحبّ مريديه وأسبقهم من أصحابه . فصار الرجل يُصَلّي ويقضي ما فات من صلواته وحسن حاله .

فأمثال هاتين الواقعتين قد وقع في مريديه كثيراً ، ولو كان لم يستعمل هذه السياسة لفاتت عن الناس هذه الفائدة .

ويؤيّده[2] ما في « الطبقات الكبرى » في ٥٩ من الجزء الثاني : من سياسة الداعي إلى الله أن يؤلف الناس عليه أولاً بالإحسان وطيب الكلام وتخفيف المأمورات ، **فإذا رسخوا فله التحكم فيهم كيف شآء** . انتهى .

---

(١) ومن عجيب ما وقع لهذا السارق المذكور أنّه ذهب مع الشيخ المذكور حين خرج إلى سفر الحج بشدة مودته له إلى أن يصل إلى بلدة أنجه ، فحين كاد الشيخ أن يتفرق عنه وركب عجلة النار ، لم يطق السارق الصبر عنه بل نسي كل ما يقع له في العاقبة وركب العجلة معه سريعاً مع أنه ليس بيده « بليت » العجلة ولا الفضة التي تكفيه ، فحملته العجلة إلى مكان بعيد ولم يعلمه صواحب العجلة ، ثم إذا نزلت العجلة في بلد من بلدان الكفار فتشوه فيما بين الناس فوجدوه وطرحوه من العجلة وبقي هو في تلك البلدة حزيناً نادماً في مدة مديدة وعمل فيها بيده بالأجرة ، فبعد وصول الفضة إلى يده رجع هو إلى قريته ، هكذا أخبرني السارق المذكور بفمه والسلام ، (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

(٢) أي ما كان الشيخ يفعله .

فائدة أخرى : قد رأينا عياناً وتحققنا يقيناً أنّ كلّ من اعترض شيخنا المذكور ـ قدس سره ـ قد طرأ عليهم الأمراض الشنيعة أو البلايا العامّة ، فقد أنكره عالم كذا وآذاه أذى وكان ذلك العالم ذا منصب عظيم ، فعزل من منصبه المحبوب ، وطرأ عليه ماليخوليا ، فصار أحمق كالمجنون ومات في أسوإ حال .

وكذا كتب إليه عالم آخر مكتوباً بأنّه لا يجوز له تلقين الذكر للعوام ، وكتب فيه كلاماً بارداً ، وساء به قلب الشيخ ، فطرأ على ذلك العالم مرض الارتعاش ، وصار أمْرُهُ بحيث لا يطيق أن يأخذ الكوز بيده للوضوء ولا لغيره ، ولا يطيق أن يربط حبل إزاره ، وصار جميع أعضائه تتحرك بحركات عجيبة ، قال أهل جماعة ذلك العالم : إنّ يده لم يطق أن يمسك القلم بعد كتابة ذلك المكتوب ، وقد بقي المكتوب المذكور بلا إتمام ورأيته فوجدته كذلك .

وكتب إليه واحد مكتوباً فيه اعتراضات كثيرة وملامات زائدة عليه وعلى طريقته فطرأ على يده أثر الفالج وشُلَّ .

وأيضاً تكلّم في حقه واحدٌ من العلماء وقال : إنّه جَاهِلٌ[1] وهل يكون كلامه إلا جاهلاً .

فقلتُ لِوَاحِدٍ : انظر ماذا يحلُّ لهذا العالم ، فوالله قد طرأ عليه بعد ذلك مصائب كثيرة في البدن والأولاد والأموال ؛ بحيث يرحمه كل مَن يحبّه ، وهكذا هلك بسببه ـ قدس سره ـ المعترضون ، واهتدى بهديه المعتقدون ، وبذكر الجميع يطول الكلام ، ولله درّ القائل : **الوليّ كنيل مصر** ؛ رحمة للمطيعين ، وعذاب للمحجوبين .

---

(١) مع أنه ليس في يد هذا العالم من العلوم بالنسبة إلى ما في يده رحمه الله إلا كقطرة من البحر ، وسبب هذا القول أنه قدس سره قال شيئاً يفوت به شيء من دنيا هذا العالم في زعمه ، ولذا قال في حقه ذلك القول الشنيع ، (منه ؛ رحم الله إفلاسه) .

وفي « **الطبقات الكبرى** » في ٧٧ من الجزء الثاني : **كل فقير لا يقتل بعدد شعر رأسه من الظلمة فليس بفقير** . انتهى . وفي الحديث القدسي : « من آذى ولياً لي فقد آذنته بالحرب » . فالعاقل من اشتغل بتدبير نفسه ولم يعترض الأوليآء بما عنده من ظاهر علمه ، فإنّ لهم مقاماً يفنون في اسمه الرحمن ، وذلك الغالب عليهم ، ولا يجوز أن يكون الشيخ مرشداً أو هادياً إلاّ بعد فنائه في هذا الاسم الشريف ، لكن قد يطرأ عليهم حال يفنون في اسمه المنتقم أو القهار ، ففي تلك الحالة يهلك كلّ مَنْ أنكر عليهم وآذاهم[1] ، فالعياذ بالله .

وقد ينتقم الله لوليّه بغير علمه .

فقد روي أنّ رجلاً من الأولياء مرّ برجل فضربه بحصاة أصابته في كعبه فما التفت إلى الضارب ولا عرفه ، ولكنّ الله أكرمه بأن سقط الضارب ميتاً . فقيل للولي : أين أنت من العفو والسماح ؟ وهل يجوز قتل نفس حرّمها الله تعالى ؟ فقال : والله ليس لي علم بما تقول ولا أعرف الرجل ، ولكن جرت عادة الله تعالى بإكرام أوليائه من حيث لا يعلمون . كذا في « السير والسلوك » .

---

(١) وصورة ذلك أنّ الفقير يسأل ربه عز وجل أن يؤدب الظالم إمّا بمرض ، وإما بزوال نعمة ، وإمّا بإخراج وظيفته عنه ، أو زوال جاهه وحرمته من قلوب الناس ونحو ذلك . وأيضاً إنّ همة الولي تطلب الانتقام له ولأصحابه إذا ظُلموا فينفذ الله تبارك وتعالى ذلك بمجرد الهمّة من غير سؤال الله تعالى ، وذلك من أشد ما يكون من الانتقام ؛ فربما دخل في قلب ذلك الظالم منهم سهم مسموم ، فلا يزال به حتى يموت ، ولا يقدر أحد على مداواته . راجع المنن في ٢١١ ج ١ وفيه ، في تلك الصحيفة : وكان سيدي محمد السروي شيخ شيخنا يقول : الفقير إذا قوي عليه الحال وتفلت من يده صار كالأسد إذا أفلت ، يكسر كل من وجده ولو صاحبه وأولاده . وكان رحمه الله تعالى يقول أيضاً : لا يكمل الفقير حتى يقتل الله تعالى بسببه وبسبب أصحابه بعدد أعضائه من الظلمة الذين يؤذون أصحابه وإخوانه المسلمين . وكان رحمه الله تعالى يقول : من كمال الفقير أن يحتمل الأذى في حق نفسه ولا يحتمله في حق أصحابه ؛ قياماً بواجب حقهم عليه ؛ لأنهم ما اجتمعوا عليه إلا ليحميهم من ظالم يؤذيهم . انتهى .

وههنا دقيقة وهي : كما أنّه ليس من شرط الولاية علم الولي بنفس ولايته كما هو المشهور ـ كذلك ليس من شرطها علمه بخوارقه ، فربمّا ينقل الناس عنه خوارق شتى وهو لا علم له بها . كذا في « الحدائق الوردية » في ١٨٦ فراجعه .

وفيه أيضاً : وكان شيخنا ـ قدس سره ـ يقول : والعجب أن الناس يأتون إلي من الأكناف والأطراف ، فبعضهم يقول : رأيناك في مكة ، وبعضهم يقول : رأيناك في بغداد ، فيظهرون الصحبة والمعرفةَ ؛ والحالُ أنّي ما خرجت من بَيتي ؛ فما هذا الافترآء . انتهى ، ومثله في « لطائف المنن » للشعراني و« مكتوبات » الإمام الرباني .

فائدة أخرى إنّ واحداً من العلماء لقي شيخنا الحاج عبد الرحمن العسوي ـ قدس سره ـ فوجده قد كاد إلى الهلاك لكونه يعبد الله بغير شيخ حيّ ، فقال له : إنّك في بَحْرٍ فخِفْتُ عليك من الهلاك . فقال الرجل : أخرجني منه ولا تتركني للغرق والهلاك ، فدخل حينئذ في دائرته ، وكان ذا استعدادٍ عال فلقَّن له الأذكار بجميع اللطائف ، وعلّمه كيفية الذكر بحبس النفَس ، فحصل له الفناء في أقرب زمانٍ ، ثم إنّ ذلك الرجل ظنّ أنّ أمْرَهُ قَدْ تمّ ، ولعلّه وقع في ذلك الظنّ لمّا رأى في الكتب نظير هذه العبارة ، فإذا حصل الفناء فقد تمّ الأمر انتهى . والحال أنّها في حق المريد ، وأنّ الحيرة والفناء أول قدم في هذا الطريق .

وأيضاً قال له واحدٌ من المنكرين لهذه الطريقة : إنّك لا تحتاج إلى شيخ ، وأنت أعلى مقاماً من العسوي ، تعصباً وتحاسداً ، فقال للشيخ : إنّي قدَّمْتُ منك في المقام ، فقال الشيخ : إنّ في الطريقة مقامات كذائية ومراقبات كثيرة ، ونصحَ له بقدر طاقته ، بَيْدَ أنّه لم

يخرج من ظنّه الفاسد ، وتكلمه بكلامٍ جافٍ وقال له مثل ما قال أوّلاً بل أزيد من ذلك وأعجَبَ ، فمقته شيخنا قدس سره حينئذ وقال له : إنّ مَنْ تقدّم منّي لا يليق أن يكون عندي . وطرده عنْ بابه وأرسله إلى مكانه ، وقطع عنه النظر فحوَّل حال ذلك الرجل المذكور بعد ذلك إلى أسوأ حالٍ [1] وصار كالمجنون بشؤم اعتراضه على شيخه ، عياذاً بالله .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : إنّه لو انقاد إليّ واستسلم لأسْلِبُ منه الفنآء وأرقيه إلى أعلى مقام ، ولكنه اعترض ولم يطع أمري ولذا حوّل حاله . انتهى . يعني أنّ الشيخ وإن كان قطباً أو غوثاً لا يقدر أن يتصرف في أحد إلا إن كان له تسليم وانقيادٌ واعتقادٌ ، وعدم انتقادٍ ، كما قال نظيره الشعراني في « لواقح الأنوار » .

وأيضاً أن واحداً ترك الرابطة الّتي أمره بها الشيخ المذكور مع ما لقنه من الأذكار واشتغل بقرآءة القرآن زماناً ، فطرأ عليه الجنون[2] وحوّل حاله ولم يمتثل بعد ذلك أمر شيخه ، فصار بحيث لا يُرْجى له الإصلاح إلا إنْ حَفَّتْهُ العناية الربانية ، وحكمة ذلك أنّ من دخل في الطريقة واجتهد في العبادة يصير عدوّاً للشياطين ، فيحتاج إلى حارس يحرسُهُ منهم دائماً ، فلذا يأمره الشيخ بفعل الرابطة إلى الشيخ الكامل الذي

---

(١) وفي تيسير الأصول : إنّ أبا العباس المرسي كان يقول : إذا ضاق الولي هلك من يؤذيه في الوقت ، وإذا اتسعت معرفته احتمل أذى الثقلين ، ولم يحصل لأحد منهم بسببه ضرر ؛ ولحوم الأولياء مسمومة ، ولو لم يؤاخذوك فإياك ثم إياك . انتهى . ٦١ وفيه في ٦٠ : إنّ أبا الحسن الشاذلي قدس سره كان يقول : من اعترض على أحوال الرجال فلا بدَّ أن يموت قبل أجله ثلاث موتات أخر : موت بالذل ، وموت بالفقر ، وموت بالحاجة إلى الناس ؛ ثم لا يجد من يرحمه منهم . انتهى . فراجعه (منه ؛ سامحه الله من فرطاته ، آمين) .

(٢) ومما ينبغي أن يعلم أن من ذكر الله كثيراً بغير إخلاص بل لغرض وحظ يطرأ عليه الجنون ، وعياذاً بالله ، كذا في « الرسالة » في فضائل الذكر ، فراجعه (منه) .

لو قرب إليه الشياطين لكادوا أن يحترقوا بنوره ، ليكون له حارساً ورقيباً يحفظه [١] من نزغاتهم ووساوسهم ، فحين علم الشياطين أن لا مجال لهم لإهلاكه ، وانهم يحترقُونَ إذا قربوا إلى ذلك المريد الذي دامتْ رابطته بشيخه الكامل يتركونه على حاله ؛ آيسين من إطاقة إهلاكه ، ثم إن ترك المريد تلك الرابطة بالكلية وخرج من دآئرة حفظ الشيخ بقي وحيداً فريداً بغير حارس ، فيدخل عليه الشياطين ويهلكونه ، فالشيخ يكون مع المريد ما دام يلاحظه ويحضره بحضور قلبه أسرع من لَمْح البصر ، وإذا ترك المريد تلك الملاحظة وفسد اعتقاده في شيخه انعكس الأمْرُ ، ولا يقدر الشيخ بعد ذلك على حمايته من الشياطين ؛ كما قال نظيره الشعراني في « لواقح الأنوار » راجعه في ١٣١ من هامش « المنن » من الجزء الثاني .

وقد روي عن بعض العارفين[٢] رحمه الله تعالى أنّه كان يقول : لو رابط إليّ المريد متوجهاً إلى المشرق أو إلى المغرب لا يقدر الشيطان أن يقف بينه وما بينهما[٣] ، بل يحترق بنوري . انتهى . ويؤيّده ما في « الرسالة القدسية » من أنّ الشيطان لو قرب إلى الشيخ الفاني في الذات ، تعالت وتقدست ، يحترق بنوره . انتهى . فراجعه من صحيفة ٧٤ .

---

(١) ومعنى حفظه أن العبد إذا أطاع الله يطيعه فيما يريده ويحبه ، فالشيخ سبب عادي كالدواء والسلاح . (منه ؛ رحمه الله) والمؤثر هو الله ، وهو الحافظ الرقيب المحيط ، وقد يعطي الله تعالى لوليه قول : كن فيكون عنده ما يريده إكراماً له ، فراجع « مزكي النفوس » وهو كتاب نفيس و« جواهر المعاني » (منه ، رحم الله إفلاسه آمين) .

(٢) وهو الغوث الأعظم محمود أفندي قدس سره و قد ذكرنا ما وقع لبعض المريدين من هرب الشياطين وقت ندائه بذكر اسمه في كتابنا « خلاصة الآداب » فينبغي استحضاره هنا ، (منه ، رحمه الله تعالى) .

(٣) وفي نسخة : بينه وبينهما ، أي بدون ما .

الباب الخامس والعشرون

في بيان من يجوز أن يرابط به ومن لا

اعلم أنّ ما يفعله بعض الأوليآء الذي أجازه شيخه الكامل رحمهما الله تعالى ، وجعلنا معهما في دار الجنان من أمره بفعل الرابطة إلى نفسه مع كون شيخه لا يأمر بذلك ، ولو إلى نفسه ، بل يفعل هو ومريدوه الرابطة إلى روحانيّة الغوث الأعظم محمود الفعال الألماليّ قدس سره ، فالقلب يتردّد ويتحيّر ، والمطلوب من الله العفو والمسامحة إن كان في ذلك التردّد والتحيّر زلّة ، فقد قال الخاني في « البهجة السنية » : ثم اعلم أن الرابطة إنما تفيد إن كانت مع الإنسان الكامل المتصرف بقوّة الولاية ، لأن الإنسان الكامل مِرآة الحق سبحانه وتعالى ، **فمن ينظر إلى روحانيّته بعين البصيرة يشاهد الحق فيها** . وأطال فيها الكلام ، ثم قال : **تنبيه** : قد علم مما تقرّر أن المراد بالمرشد الكامل الذي يصلح أن يجعل رابطة للمتوسلين به هو الذي حصل له مقام البقآء بعد الفناء في الله[1] الأتمين ولكن هنا مزلَّة الأقدام ، لأنَّ هذه الطريقة العلية مندرجة بدايتها في نهايتها ، ونهايتها في بدايتها ، فربّما يحصل للمريد بعضُ أحوال قبل فنائه ، فضلاً عن حصول بقائه ، فيظنّ كمال نفسه ويأذن للمريدين في أن يَجْعَلُوهُ رابطة فيخسر هو ومن رابطه ، فلا بدّ أن يشهد له بحصول الكمال وأنّه بلغ مبلغ الرجال أهل الفضل والعرفان كشيخه ومرشده الكامل ، ويأمره بذلك . وقد أخلّ بهذا الشرط في هذا الزمان أكثر أصحابنا الذين حصل لهم الإذن بتلقين الذكر من جناب حضرة سيّدنا وسندنا ونور أبصارنا وضياء قلوبنا ، أبي البهآء ضياء الدين شيخنا الشيخ خالد النقشبندي المجدديّ ، قدس الله تعالى سرّه ، وأمرهم أن يلقّنوا رابطةَ نفسه للمريدين ، لأنّه مشهود له بالكمال ، ومأذون له بذلك من

---

(١) ومثله في الرسالة القدسية في صحيفة ٧٤ راجعه (منه ، رحمه الله تعالى) .

قِبَلِ مرشده الكامل المشهود له كذلك ، فبعضهم في حياة شيخنا ـ قدس سره ـ أخَلُّوا بهذا الشرط ، وأمروا المريدين الذين دخلوا الطريقة عندهم بأن يرابطوا بهم ، مع نهيه وزجره لهم عن ذلك ، كما يشهد بذلك كتابه ـ قدس سره ـ إلى خادم بابه وقدوة أحبابه الشيخ فلان ، عصمه الله عمّا وَصَمَه ، وصَانَهُ عمّا شانه ، آمين .

أما بعد : فقد قال كثير من نجوم الاهتدآء ومصابيح الاقتداء : بانّ الكفران هو نسيان المنعم بسبب الاشتغال بنعمه . وصرَّح محقّقوا طريقتنا بأنَّ رابطة مَنْ لم يَفْنَ عن وجوده لا تورث الفنآء للسالك ، بل قد تورِّطُه المهالك ، وأنتم ما كان المأمول منكم أن تقطعوا عنّا السلام والكلام ، بل كمال المروءة والوفاء كان مقتضياً أن تُواجهُونا أحياناً بأنفسكم ، وإلاّ فتراجعونا بالنقير والقطمير ! وتذكّرونا دائماً بالتحرير مع السفير ! ومن خدّامنا من هو أبعد شقة منكم ، وأقدم صحبة وأكثر خِدْمةً ، لا يتحرّك بدون إشارتنا . ولا تَقِسْ هذه الطريقة بخُزَعْبَلاَت متشيّخي العصر ؛ وتُرَّهَات أرباب الخدع والمكر ، فالشيخ المحقق واسطة بين المريد وربِّه ، والإعراض عنه إعراض عنه فلا تعلّموا رابطة صورتكم لأحد ، ولو ظهرت له فإنّه من تلبيس إبليس ، ولا تستخلفوا أحداً إلاّ بأمري ، فضلاً عن مزاحمتهم لخلفآء الأطراف من نحو أرزنجان وبدليس ، ولئن تماديتم في التغافل الذي تستعملونه ! لنُعرض عنكم بالكلية وخَرْطُ القتاد دونه ، ومن أنذر فقد أعذر ، والسلام ختام . قاله بلسانه ، ورقمه ببنانه ، حضرة العبد المسكين خالد النقشبندي المجددي الكردي العثماني انتهى .

صورة إجازة تامة ، أي صورة إجازة حضرة سيّدنا الشيخ عبد الله الدهلوي ـ قدس سره ـ إلى حضرة سيدنا ومولانا وشيخنا الشيخ خالد

قدس الله سره كه[1] . حضرة سلطان الأولياء ، وبرهان الأصفياء ، قطب الأقطاب ، وملجأ الشيخ والشاب ، جامع الكمال الصوري والمعنويّ مرشد برحق شاه عبد الله هندي دهلوي قدس سره السامي بخط شريف خود بحضرة أقتاب منقبت سلطان العارفين وفخر المحققين إمام الملة والدين ضياء الدين مولانا خالد ذي الجناحين قدس سره وروحي فداه نوشته اتدني زياده وكم أنيست الخ ، **والمقصود من ذلك أنّ حضرة سيّدنا ومولانا الشيخ خالد ـ قدس سره ـ لم يأمر المريدين أن يرابطوا بصورته المباركة إلا بعد أمر شيخه له بذلك ، وشهادته له بالكمال والوصول إلى الفنآء والبقآء الأتمين ، ومن كان كذلك فيسوغ له ذلك** ، والعجب العجيب أنّ بعض مريدي هذا المنهيّ المزجور هم كذلك ! يأمرون المنتسبين إليهم بأن يرابطوا بهم ، فلاحول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم . وبعضهم بعد وفاته وانتقاله إلى الدار الآخرة أمروا المنتسبين إليهم بأن يرابطوا بهم ، وادَّعى بعضهم أنّ الميّت إذا انتقل إلى دار الآخرة لم يبق له التفاتٌ إلى الدنيا ، وهذا القائل خطؤه أشدّ من خطأ مدّعي الكمال في نفسه لأنّه يفهم من قوله إِنْكَارُ تصرّف الأولياء بعد موتهم ـ نعوذ بالله من ذلك ـ وكأنّه غفل عمّا هو متّفق عليه بين أهل الطريق .

وقد قدّمناه أن حضرة إمام الطريقة المعروف بشاه نقشبند قدس سره تربّى من روحانية سيدنا وإمامنا الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدس سره وبينهما خمسة وسائط .

وكذلك أبو الحسن الخرقاني ـ قدس سره ـ لم يدرك أبا يزيد البسطامي قدس سره بل وُلد بعد وفاته .

وأبو يزيد أيضاً لم يدرك القاسم بن محمّد بن أبي بكر الصديق

---

(١) كلمة لعلها الكامل غير مفهومة في الأصل .

رضي الله تعالى عنهم أجمعين وعنا بهم بل وُلد بعد وفاته بزمان طويل ، كما قدمنا ذلك مفصّلاً .

واعلم أنّ جناب سيدنا وشيخنا ضياء الدين الشيخ خالد النقشبندي المجددي ـ قدس سره ـ خرجت روحه الزكيّة من الدنيا إلى المقامات العليّة من الآخرة ، ولم يشهد لأحد من أصحابه بالكمال ، ولم يأذن لأحد بأن يجعل نفسه رابطة فيما نعلم ، بل كان ينهى عن ذلك أشدّ النهي كما قدّمنا لك بعضه .

وكان إذا سئل عن حال المريد يقول : ما عندي مريدٌ بل إسماعيل نصف مريد ، يعني جناب سيّدنا وشيخنا الشيخ إسماعيل القائم مقامه بعد وفاته ـ قدس سره ـ وجناب سيدنا الشيخ إسماعيل خرج من الدنيا ولم يأذن لأحد أن يرابط بصورته الشريفة ، مع أنّه مشهود له ببعض الكمال من مرشده الكامل ، ومنصوبٌ مقامَه .

وكذلك جناب سيّدنا ومولانا وشيخنا الشيخ عبد الله الهروي قدس سرّه لمّا جلس مجلس الكمال بعد سيّدنا الشيخ إسماعيل ـ قدس سره الجليل ـ لم يأذن لأحد أن يرابط بصورته حتى انتقل إلى دار البقاء[1] .

فانظر أيّها الأخ إلى أدب هؤلاء السادات الكرام الذين هم أخصّ رجال الطريقة العلية النقشبندية الخالدية .

وأنا الفقير إلى الله أقول : لي بِهِمْ أَسْوَةٌ ، لا أرضى لأحد ممّن يحبّنا أن يرابط بغير حضرة سيّدنا وشيخنا قطب العارفين الشيخ خالد قدس سره العزيز .

---

(١) وذكر الشيخ سليمان الزهدي قدس سره في منهواته على هامش كتاب « نهجة السالكين » إن الشيخ إسماعيل والشيخ عبد الله الهروي ما استعملا الرابطة لأنفسهم ، تأدّباً مع حضرة مولانا قدس سره يعني الشيخ خالد قدس سره وهما العمدة . انتهى . وقال فيه أيضاً إن خضرة الشيخ خالد قدس سره نهى عن بعض خلفائه حين سمع أنه استعمل الرابطة لنفسه نهياً شديداً . اهى . فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

مهم

لأن المقصود من الرابطة طرد الغفلة ودفع الظلمة عن القلب ، وإبعاد وساوس الشيطان عنه ، والناقص هو عاجز عن دفع الغفلة والظلمة ، وطرد الشيطان عن قلبه ، فكيف بمن يستحضره ؟! ويدلك على أنّ سبب ادِّعاء الرابطة من بعض الناقصين حصول بعض الأحوال في الابتداء ما ذكره الغوث الصمداني مجدد الألف الثاني قدس سره في بعض مكتوباته بقوله :

ولمّا كان في هذه الطريقة العلية اندراج النهاية في البداية ! ظهر للمبتدئين في هذه الطريقة أحوالٌ تشبه أحوال المنتهين ؛ بحيث لا يفرّق بين هذين النوعَيْن من الأحوال إلاّ عارفٌ حديد البصر من الرجال ، فعلى هذا التقدير لا ينبغي أنْ يجازَ صاحب تلك الأحوال ، فإنّ في هذه الصورة ضرر صاحب تلك الأحْوال أكثر من ضرر من يصير مريداً له إذ يحتمل أن يمنعه تخيُّل الكمال عن الترقيات ، بل يمكن أن يوقِعه حصول الجاه والرياسة الّتي هي من لوازم الإرشاد في البلاء ، فإنّ إمارته بعد باقية على كفرها ، ولم تجد التزكية سبيلاً إليها ، ولا للقلب سياسة عليها . انتهى .

وكتب الشيخ المرشد الكامل محمد أسعد في هامش « الحديقة الندية » في ٦٨ لمحمد بن سليمان في ترجمة عبد الوهّاب السوسي هذه العبارات : لا يخفى أنّ هذا المترجم قد لحقه الحور بعد الكور [(١)] ، واتصف بالاعتداء والافترآء والجور ، وطرده مولانا خالد قدس سره بعد التقدم عن بابه ، وذلك لأنّ حضرة مولانا كلّف جميع خلفائه بالذهاب إلى القسطنطية لأجل إعلان الإرشاد ونشر الطريقة بين العباد ، وشرط على من يتوجَّه لذلك سبعة شروط معروفة ، فلم يرض أحد منهم

---

(١) النقص بعد الزيادة .

خوفاً من عدم وفائهم بتلك الشروط سوى المترجم[1] فإنّه قبل القيام بها ، وذهب إلى الأستانة ، فأقبلت إليه أُلوفٌ من الناس ، وأخذوا عنه الطريق وصار مصدراً ، فتخَبَّطَه الشيطان ونزغ في لبّه ، فخالف الشروط المقرّرة ، وابتدع بعض أمور في الدين منكرة ، وأمر مريديه أن يعملوا به الرابطة الشريفة المعروفة في الطريقة المنيفة ، ولمّا بلغ حضرة مولانا ذلك طلبه فحضرَ لديه ، ولمّا تبين له صحّة ما نسب إليه نهاه عن ذلك ، وَأبَانَ له ما فيه من المهاوي والمهالك ، وأمر أن يكتب لمريديه بحقيقة الحال ، وينهاهم عن عمل الرابطة به وأن يسلك بهم سبيل الكمال ، فأظهر بذلك الرضاً والقبول ، وكتب لهم بعكس المأمول . ولمّا وقف حضرة مولانا أيضاً على الحقيقة ! طرده من نسبته إلى الطريقة ، وقال له : قد صدرت الإرادة الإلهية بطَرْدك عن طريقتنا يا عبد الوهّاب ، فرحل من دمشق إلى مكة المكرمة ، ثم إلى دهلي ، وقابل حضرة سيّدنا الشاه عبد الله الدهلوي ـ قدس سره ـ فطرده أيضاً ، ثم ألّف رسالة نسب بها بعض أموره إلى حضرة مولانا خالد ضياء الدين ، مخالفة للشرع المبين ، وحاشاه ثم حاشاه من هذا الإفتراء ! الناشيء عن التهوّر والبغض والإفتراء ، فانتصر له العالم العلامة خاتمة المحقّقين السيد محمد أمين الشهير بابن عابدين بكتابه « سلّ الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندي » بما يشفي العليل ، ويبرد الغليل ، وهو مشهور بأيدي الناس فليعلم ذلك . انتهى ، أسعد صاحب في ٦٨ من « هامش أصفى الموارد » .

---

(١) أي عبد الوهّاب السوسي .

الباب السادس والعشرون
في بيان عدم جواز كون الجاهل[1] الأمي داعياً
إلى الله تعالى وبيان أوصاف الشيخ المرشد

سمعت شيخنا ـ قدس سره ـ يحكي عن شيخه العالم الرباني الحاج جبرائيل أفندي ـ قدس سره ـ أنه قال : إن الخلافة أمرٌ عظيم لا يجوز أن توضع إلاّ فيمن اجتمع فيه العقل[2] والعلم معاً ، ولا يجتمعان في شخص إلاّ نادراً .

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول في حق واحد من المأذونين : ليس في ديارنا أحدٌ أحسن أحوالاً منه إلا أنه جاهل ، والجهل لا يترك شخصاً إلاّ نَقص منه شيئ . **وسمعته** ـ رضي الله عنه ـ يعيبُ على شيخ أذِنَ لجاهلٍ ولو كان مشى على المقامات ، وما قاله ـ رضي الله عنه ـ يوافق بما في كتب أهل التحقيق .

قال الغزالي في « النصائح الولدية » : وشرط الشيخ الذي يصلح أن يكون نائباً للرسول ﷺ ، أن يكون عالماً أي بعلوم الشرائع والأخلاق وبصيراً بعيوب النفس ، لا أنّ كلّ عالم يصْلح له ، أي أن يتخذ شيخاً يقتدي به ومرشداً ، انتهى « الولدية » من عينه مع ضم عبارات من شرحه للخادمي .

وفي (تحفة السالكين) : إنّ من كان متصدراً للإرشاد يشترط أن يكون له عقل يدل به إلى الهداية ، وعلم يرشد به المهتدين لأمر دينهم . انتهى .

---

(١) وخرج بالجاهل (لفظه) الأمي الذي حصل له الفتح الإلهي ، وسيق إليه العلم اللدني ، كالغوث عبد العزيز الدباغ ، وعلي الخواص ، وأمثالهما رضي الله عنهم وعنا آمين . (منه ، رحم الله إفلاسه) .

(٢) وفي « الإحياء » في ١٢٤ ج ٤ ؛ فإنه لم يكن لله تعالى وليٌّ ناقص العقل . انتهى راجعه (منه رحمه الله تعالى) .

وفي « **بغية المسترشدين** » في ٢٤٣ : وينبغي كون المرشد عالماً ورعاً حَسنَ الخلق ، إذْ بها تندفع المنكرات ، وتصير الحسبة من القربات . انتهى .

وفي « **تنبيه المغترين** » إن كل من كان قليل العقل لا يصلح أن يكون داعياً إلى الله تعالى . انتهى . ٨٠ .

الشيوخ نواب الله تعالى في العالم

وفي « ترصيع الجواهر » في ١٢ : والحاصل أنّ الشيوخ نوّاب الله تعالى في العالم كالرسل عليهم الصلاة والسلام ، فلهم حفظ الشريعة وحفظ القلوب ، ومراعاة الآداب ، وَحَظ الشيخوخة من العلم بالله تعالى أن يعرف من الناس موارد حركاتهم ومصادرها ، والعلم بالخواطر مذمومها ومحمودها ، وموضع اللبس الداخل فيها من ظهور الخاطر المذموم في صورة المحمود ، ويَعْرف مالهم وما يَحْوُون عليه من الخير الذي يُرْضيه تعالى ، ومن الشر الذي يسخطه ، ويعرف العلل والأدوية ، ويعرف الأزمنة والسنين والأمكنة والأغذية ، وما يصلح المزاج وما يزعجه ويفسده ، ويعرف الفرق بين الكشف الحقيقي والكشف الخياليّ ، ويعلم التجلّي الإلهيّ والتخيُّل الشيطاني ، ويعرف التربية كما ذاق ، ويعرف انتقال المريد من الطفوليّة إلى الشباب إلى الكُهُولة ، ويعلم متى ترك التحكم في طبيعة المريد ويحكم في عقله ، ومتى تصدق خواطر المريد ، ويعلم ما للنفس من الأحكام ، وما للشيطان من الأحكام والأوهام ، وما تحت قدرة الشيطان ويعلم الحجب التى تعصم الإنسان من إلقآء الشيطان في قلبه ويعلم ما تمكنه نفس المريد مما لا يشعر به المريد ، ويفرّق للمريد إذا فتح عليه في باطنه بين الفتح الرحمني والفتح الإلهي[1] ويعلم بالتوسم أهل الطريق الذين يصلحون

---

(١) قوله والفتح الإلهي كذا في النسخة التي بيدنا ، ولعل الصواب والفتح الشيطاني ؛ والله أعلم (منه) .

والذين لا يصلحون ، ويعلم التحلية التي تُحلَّى بها نفوس المريدين الذين هم عرائس الله وهم لهم كالماشطة تزيّنها لهم أدباء الله ، عالمون بآداب الحضرة وما تستحقه من الحرمة .

وبالجملة فالشيخ الكامل هو الجامع جميع ما يحتاج إليه المريد السالك في حال تربيته وسلوكه وكشفه إلى أنْ يتأهّل للمشيخة ، ومهما نقص شيئاً مما يحتاج اليه المريد فلا يحلُّ له أن يقعد على منصبة الشيخوخة ، وإذا تصدَّى للتسليك والحالة هذه كان ضالاًّ مضلاًّ كالطبيب الجاهل يمرِّض الصحيح ويقتل المريض ويفسد أكثر مما يصلح .

فإذا علمت ذلك وكنت طالباً للكمال والتحلِّي بأوصاف الرجال ، فالواجب عليك أوّلاً أن تبحث عن المرشد الكامل ، وتسلم إليه نفسك ، وتدخل تحت تربيته ، وهو وإن كان لا يخلو عنه زمان إلاّ أنّه في هذا الزمان وقبله أعز من الكبريت الأحمر .

وأما غالب مشائخ الزمان فإنما يُلقِّنون الذكر بقصد التبرّك ، حتى يدخل المريد في سلسلة القوم ومحبّتهم والتسليم ، أو الاعتقاد لمقالاتهم ، ولايجوز لهم التلقين على غير هذا الوجه ، وكذلك إلباس الخرقة وإرخاء العذبة إنما هو لمحض التبرّك بزيّ القوم ! ومع هذا فلا يعدُّون من أتباعهم إلاّ إذا كانوا على طريقتهم التي كانوا عليها من الزهد والورع وترك الفضول وخوف الله تعالى ، ومن هنا قيل : إنّ الطريق من النصف الثاني في القرن العاشر صارت اسماً لا رسماً .

لا الخيام كخيامهم ولا نساء الحيّ نساءه

وأما من يزعم من أهل هذا الزمن أنه يرشد الطالبين ويوصِلهم إلى الله تعالى من غير استكماله لصفات المرشد الآتية فإنما هو مدّع

كاذب ، **وأوضح دليل** على كذبه أنه يُلَقِّن ناساً كثيرين ولا ينتج منهم واحداً ! ولنبين لك صفة المرشد الكامل الذي يتعسَّر أو يتعذَّر الوصولُ إلى الله تعالى بدون توسُّطه إلا ما كان بالجذبة الإلهية ، وسوابق العناية الأزلية .

للمرشد خمسة أركان وعشرون صفة

فنقول : المرشد الكامل المأذون من الله تعالى بدعوة الخلق إليه له خمسة أركان ، وعشرون صفة لا توجد إلاّ في نحو الأبدال .

أما الأركان! فهي : ١ - عبديّة الحضرة ـ وسيأتي آداب العبودية ، و٢ - استعداد قبول الحقائق من الحضرة بلا واسطة ، و٣ - وجود الرحمة الخاصة من مقام العنديّة ، و٤ -شرف تعلُّم العلوم من الحضرة ، و٥ - كون التعلُّم منها بلا واسطة . قال تعالى ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾فاندرج فيه جميع ما ذكر من الأركان كما هو ظاهر .

وأما الصفات! فهي : ١ - أن يكون عالماً بالشريعة على قدر ما يحتاج إليه المريد من الفقه وعقائد التوحيد ؛ بحيث يزيل الشبه التي تعرض للمريد في البداية ، وإن لم يكن متبحّراً ، و٢- يكون عالماً بكمالات القلوب وآفات النفوس وأمراضها ، و٣ ـ أدويتها ، و٤ كيفية صحتها واعتدالها ، و٥ ـ أن يكون على اعتقاد أهل السنة والجماعة . و ٦- أن يكون عاقلاً بالعقل الدينيّ والمعاشيّ ، وشجاعاً ، و٧- عفيف النفس ، بل قال بعضهم : إنه يجب على الشيخ أن يتعفَّف عن مال المريد إلاّ مَنْ علم أنه يفرح ويستبشر بقبول ماله ، و٨- أن يكون عالي الهمة ، ٩- مشفقاً على المريد ، و١٠- حليماً و١١- عفوّاً و١٢- حسن الخلق و١٣- صاحب إيثار و١٤- كريماً و١٥- متوكّلاً و١٦- مسلماً ١٧-

راضياً و١٨ - ساكناً في الحركات ، و١٩- ثابت القدم في الإرادات ، و٢٠ - صاحب هَيْبَةٍ ، فالموصوف بهذه الصفات مُتخلّق بأخلاق الله تعالى ، فيوصل المريد إلى الحق بإذنه تعالى في مدة قصيرة ؛ بشرط أن يكون المريد قابلاً . انتهى كلام « ترصيح الجواهر » .

وفيه في ١٣ : وأن يكون نصوحاً لجميع الأمة ، جُلُّ همّه تقريبُ السالكين إلى الله تعالى ، غير محبٍّ للمشيخة ، متمسكاً بطريقة رسول الله ﷺ ، ناظراً بقلبه في الهداية والخذلان إلى تقدير الله تعالى ، فإن فتح على أحد من تلامذته شكر الله تعالى ، ولا يشهد له في ذلك شيئاً . انتهى .

وفيه في ١٥ : ومن طلب الأستاذ بجدٍّ وصِدْق عزيمة لا بدَّ وأن الله تعالى يجمعه عليه **إذ لا يخلو**[١] **زمنٌ من وجوده** ، وإنما بيّنا لك صفة المرشد لأجل أن لا تُضَيِّع وقتك إذا كنت طالب السلوك بالاشتغال على غير الأهل ، وإذا ظفرت به تسلم كلَّك إليه ، وإذا رأيت منه مخالفة بعد ما تحققْتَ فيه شروطَ الإرشاد تأوّلها له ضرورة ، ولا ينحلّ اعتقادك فيه .

وثمَّ مِنَ الشيوخ طائفة أخرى أصحاب أحوال ليس لهم في الظاهر ذلك التحفُّظ تُسَلِّم إليهم في أحوالهم ، ولا تصحبهم ، وإن ظهر منهم كرامات خارقة ! لأنا لا نتبع إلا من كان ظاهره الشرع وباطنه الحقيقة ، فليس لنا طريق إلى الله تعالى على خلاف ما شرع على لسان نبيه ﷺ ! ولا يقتدى بشيخ لا أدب له ! ولو كان صادقاً في حاله ، ولكن يُحْتَرَمُ .

قال الشيخ الأكبر :

لا تقتـــدي بالذي زالــت شريعته   عـــنه ولـــو جاء بالأَنْبَا عــن الله

انتهى ، فراجعه ، ففيه البسط الزائد في صفات المرشد .

{١} وفي « البريقة » في ٥٦١ من الجزء الأول أنه موجود إلى يوم القيامة ولا تخلو البلاد عنه . راجعه (منه رحمه الله تعالى) .

ولا أدري كيف يكون حال أمثالنا الناقصين الذين لم يتَّصفوا من هذه الصفات المذكورات ولو بعُشر مِعْشَارِها ، **اللهمّ إلاّ أن السالك الناقص الذي أذن له شيخه الكامل المتّصف بالصفات المذكورات يجوز له التلقين والإرشاد** ، فإنّ يدَه حينئذ يدُه ، وتصرُّفَهُ تصرفُه كما مرّ في الباب الثالث والله أعلم .

وقال في « قلائد الجواهر » في ١٢ : ومما ينسب إليه ـ يعني عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ـ هذه الأبيات :

إذا لم يكن للشيخ خمس فوائد   وإلا فقد جال يقود إلى الجهل
عليمٌ بأحكام الشريعة ظاهراً   ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل
ويظهر للوُرَّاد بالبشر والقِرى   ويخضع للمسكين بالقول والفعل
فذاك هو الشيخ المعظم قدره   عليم بأحكام الحرام من الحلّ
يُهذِّب طلاب الطريق ونفسه   مَهذَّبة من قبل ذو كرم كلي

وقال رضي الله عنه : وصفة المقتدي أن يكون عارفاً بالعلوم الشرعية والطِبيَّة ، ومصطلح السادة الصوفية ، ولا غناية عن ذلك . انتهى .

وفي « شرح تائية السلوك » في ٦٠ للعلامة الوحيد عبد المجيد الشرنوبي الأزهري قدس سره : وكان سيد هذه الطائفة الإمام الجنيد يقول : لا يستحق الرجل أن يكون شيخاً حتى يأخذ حظّاً من كل علم شرعيّ ، وأن يتورَّع عن جميع المحارم ، وأن يزهد في الدنيا ، وأن لا يشرع في مُدَاوَاة غيره إلاّ بعد فراغه من مداواة نفسه ، ثم قال : وإياك ومتابعة من لم يكن على هذه الأوصاف ! فإنه من جنود الشيطان ، واعْتَبِرْ أقواله وأفعاله وأحواله ، وزِنْها بميزان الشريعة والطريقة ، فإن رأيت شيئاً مخالفاً لهما فردَّه ، فإن كان صاحب حال صحيح ورددْته ! فما عليك من ردِّه بحكم الشرع ، ولا تتخذْه شيخاً ومرشداً . انتهى .

وقال صاحب « الرائية » :

وللشيخ آيات إذا لـــم تــكن له ... فما هو إلاّ في ليالي الهوى يَسْرِي

إذا لم يكــنْ علم لدَيْه بــظاهر ... ولا بـاطن فاضرب به لجج البحر

وإن كـــان إلاّ أنـــه غيرُ جامع ... لوصفيهما جمعاً على أكمل الأمر

فأقـــربُ أحوال العليل إلى الردي ... إذا لم يكن منه الطبيبُ على خير[1]

وقال آخر :

فكن عالماً بالشرع واعمل بــه فــمن ... أراد طــريقاً دون علـــم فقد جنى

ولا يــنبغي للـــجاهلين تصـــدُّرٌ ... ولا نـــشرُ أعـــلام الشريعة بيننا

ألم يعــلمـــوا أن الطريق كناية ... عن العمل الجاري على وَفْقِ شرعنا

انتهى . شرح تائية السلوك ٥٢ .

وفي « تنبيه المغترين » للشعراني قدس سره : إن الجاهل لا يجوز الاقتداء به لا في طريق الظاهر ! ولا في طريق الباطن . انتهى ، راجعه .

وفي « المنن » في ٢٥ من المجلد ١ وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : قد أجمع أشياخ الطريق على أنّه لا يجوز لأحدٍ التصدُّر لتربية المريدين إلا بعد تبحُّره في الشريعة وآلاتها . انتهى راجعه .

وفيه أيضاً في ٦٨ في موضع آخر : فمن أراد من الفقهآء أن يصحب أحداً من هؤلاء القوم فليعاشره وينظر ، فإن رأى أفعاله وأقوالَه على الكتاب والسنة ! وعقيدته صحيحة ! فليصحبه ، وإلاّ ! فليتركه بعد أن ينصحه . انتهى .

---

(١) على خبر (خ) .

وفيه أيضاً قبيل هذا ما معناه : إنما كرامة الولي الاستقامة على الشريعة لا غير ، فهذه هي أعظم الكرامات . انتهى .

ولقد رأيت في عصرنا هذا شيخاً جاهلاً أمِيّاً يتكلَّم في الكشوفات والكرامات ، ويخبر ما ظهر له من خوارق العادات ، وأظن ـ والله أعلم ـ أنّ سبب شيخوخة أكثر المتصدِّرين للإرشاد في ديارنا من طرف الكشف والكرامة ، فإذا ظهر لهم منها شيء ظنُّوا أنهم صاروا من الخواص ؛ مع أنهم لم يضعوا قدماً واحداً في أوّل مقام من مقامات الإرادة ؛ فضلاً عن مقام المشيخة .

ورأيت في هامش « ترصيع الجواهر » من منهواته ما حاصله هذا : وقد قسم الكشف في « الذهب الإبريز » إلى قسمين : نوراني وظلماني ، وفرّق بينهما :

بأنّ **النوراني** هو الاطلاع على الأشياء الباقية كالجنة واللوح المحفوظ .

وأما **الظلمانيّ** فهو الاطّلاع على الأشياء الفانية ، كأن يطَّلع على ما في دور الناس من طعام وغيره ، وهذا النوع قد يحصل بالرياضة ، وهو غير مُعتَدٍّ به ، والسالكون يستجيرون منه . انتهى ، وقد مر الكلام في الكشوفات مبسوطاً في الباب الثاني والعشرون . فينبغي للعاقل أن لا يغترَّ بها ، والله وليّ التوفيق .

وسمعت شيخنا الحاج عبد الرحمن العسوي ـ قدس سره ـ يحكي عن شيخه قطب الأولياء الحاج جبرائيل اللكتي الزاخوري قدس سره ، أنه قال : إنّ مَهَارتي التي فِيَّ وتصرُّفي استطاعتي على منع ظهور الكشف للمريد ، وعلى سلب الوجد والجذبات ممّن يظهر عليه . انتهى .

يعني لأنّ أكثرهما من الشيطان ، وأغلبهما من الحظوظات . فافهم .

وقد كان رضي الله عنه يخبرنا عمّا يخطر في قلوبنا كثيراً فقلت له يوماً : يا أستاذ ! إنك تتكلَّم بما خطر في بالنا ، فهل أنت تتكلم باطّلاعك على خواطرنا أم أنت تتكلم بعينها اتفاقاً من غير اطلاع منك ؟ فقال رضي الله عنه : إني أطلع عليها لكني لا أعتبر بها خوفاً من أن يكون كشفاً ، أليس الكشف شيئاً مذموماً ؟ ! انتهى .

وقد قال بعض العارفين في رسالته :إن المقصود[1] المطلوب من سلوك طريق الصوفية الصافية مشاهدةُ الحضور والغيبة ، لا مشاهدة الصور والأشكال الغيبية ، ومعاينة الألوان والأنوار اللاكيفية ، فأنّ ذلك داخل في اللهو واللعب . وأي نقصان في الأنوار والصور الحسِّيين حتى يتركها شخص[2] **واختيار الطريقة النقشبندية من بين سائر طرق الصوفية أولى وأنسب ؛ لما أنّ تحصيل جناحي الاعتقاد والعمل فيها أتم وأكمل إذا كان توفيق الحق رفيقاً ودليلاً**، فلازم على من يريد السلوك على هذه النسبة السَنية النقشبندية أن ينظر : هل العامل المراد والشيخ الذي منه يستفاد ، هل هو يلتزم السنة ويجتنب البدعة الشنيعة أو لا ؟ وهل هو قائم على منهج الشيخ النقشبندي الأويسي البخاري أم على خلافه ؟ فسبيله ظاهر لأهله ظهورَ نار على علم ، أو هو مخالف لاصطلاحه ! فإن كان موافقاً ! فلازم على السالك العضّ على سبيله بالنواجذ . وإن كان مخالفاً ! فلازم تركه وطلب من هو مستقيم في حاله . وإن كان يتتبع آثار كل أحد من الرجال ، ويثق ويعتمد على كل قال وقيل ! فليتركها ولا يقربنّها ، فإنه لا يثمر شيئاً من نفع ولا يغني من جوع . انتهى .

---

(١) ومثله في المكتوبات للإمام الرباني قدس سره (منه) .

(٢) يعني ويطلب غيرها (منه) .

البَابُ السابعُ والعِشْرُونَ

في مسائل مُتفرّقة متعلّقة بأحْوالِ المتشيّخةِ ومريديهم وفي بيان وجوب كون دعوة الشيخ خالصة من الأغراض والأعواض

قال الشعراني في « المنن » في ٦٨ ج ١ : ومراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم الناس ! أن يوصلوا المريد إلى مقام العمل بالإخلاص الذي كان عليه السلف الصالح ، أو بَعْضه لا غَيْرُ ، فإن اشتغل أحدهم بعد ذلك بالعلم أو صلَّى أو صام أو حج أو تورّع أو زهد كان محفوظاً من الرعونات التي تجرح مقام الإخلاص ، أو تحبط العمل . انتهى .

ولا يخفى أنّ تكميل الغير فرْع كمال الإنسان نفسه[١] ، وهو درجة الولاية الخاصّة ، فمتى طلب الشيخ من دَعْوَته وإرشاده وتلقينه عوَضاً أو غرضاً أو حَظاً من حُظُوظات النفس ! فلا شك أنّ المريد يتبعه بالضرورة ، ولا يخلص في العبادة ، لأنّ للصحبة تأثيراً عظيماً فإنّ الله[٢] تعالى قد أعطى الإنسان صفة التأثير والتأثُّر بالصُحْبَة ، وقد يسرق الطبع بالطبع ، والمرء على دين خليله ، فحينئذ يكونُ امتثالُ المريد بمَنْ لا يخلصُ في إرشاد الناس إلى الحق تعالى سَبَباً لهَلاكه ، فإنّه قد يحصل التأثير في الأشياء بما عليه مُباشرها عند المباشرة ، خيْراً كان أو شرّاً ، بل ينتقل ذلك التأثير إلى الجمادات[٣] والمطعُومات ، ويسري منها ذلك التأثير إلى مَنْ يتعاطى بها .

قال الخاني في « الحدائق الوردية » في ١٦١ : فإن كان أستاذك نحويّاً فلا بدّ أن تصير نحويّاً ، أو محويّاً فمحويّاً . انتهى .

---

(١) أي المكمل فافهم .

(٢) راجع « الحدائق الوردية » في ١٦١ (منه) .

(٣) راجع « جواهر القرآن » و« شرح الفصوص » و« لطائف المنن » ، (منه) .

اعلم أنّ القيام على مقام الإرشاد مَعَ عدم الأهليّة لا يكون إلاّ لأحد أمْرَيْنِ : حبِّ الرياسة ، أو إرادة اصطياد الدنيا من أبنائها ، وكلا الأمْرَيْن فَسَادُهُمَا غنيّ عن البيان ، ولا شيء أقبح منهما عند أهل الله .

ولقد قال الفضيل رضي الله تعالى عنه : لأنْ آكُلَ الدنيا بالطبل والمزمار أحبّ إليّ من أنْ آكلَها بديني . انتهى « منن » ١٦٦ ج ١ .

وقال صاحب « حياة القلوب » : وينبغي لمن تصدى لإرشاد الناس وتذكيرهم أن لا يقبل من أحد منهم هدية ، ولا يأخذ منهم صلة . أهْدي إلى الحسن البصري هدية من خراسان وهي خمسة آلاف درهم ، وثياب من رقيق البَزِّ ، فقال للذي أتى بها عافاك الله ، ضُمَّ إليك ثيابك ونفقتك ، ولا حاجة لنا بذلك ، إنّه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله يوم القيامة ولا خلاق له . انتهى . فراجعه في ١٢٢ ج ٢ من هامش « القوت » .

وقد لقيت واحداً من متشيّخي هذا العَصْر فكان الناس يَدُورُونَ حَوْله ، ويُقَبِّلُونَ يده ويصافحونه ، ويُعْطُونه دراهم مَعْدُودَة ، حَتّى قال لي مَنْ كان معه وقتئذ : لعلّه وصل إلى كيسه في تلك الساعة عشرة تَوَامِنَ . وهو - سامحه الله تعالى - وَجَدْتُهُ جاهلاً بالطريق جَهْلاً مُرَكّباً ، ولو علم الناسُ ما علمتُ منه لَمَا أعْطَوْهُ ولو فُلُساً واحداً ، وإذا أوْصَيْتُهُ بالدعاء طلب منّي أخْذَ الذكر منه قائلاً : إنّ المُبالاة بالدعاء لا تقع من القلب إلاّ لمنْ في دائرته . وقال لي : اذكر (لا إله إلاّ الله) عشر مرّات و(صَلّ على النبي عليه السلام) كذا مرة ، فقلت في سري : أقولها لا لقولك كما قال عيسى عليه السلام للشيطان . وفارَقْتُ مِنْهُ بالوداع وداع مَنْ لا يرجع إليه ثانياً .

ولا يخلو حال أمثاله من أمْرَيْن : إمّا أن يكونوا صالحين في نفس

الأمر ، أو غير صالحين ،

فإن كانوا صالحين ومُرْشدين كاملين ! بَيْدَ أنّهم استشرفت نفوسهم وطمعوا إلى ما في أيدي الناس ، وكان إعطاء الناس لهم من أموالهم لمجرّد وَصْفِ الصلاح والإرشاد ، فقدْ أكلُوا بدينهم ، ومعلوم أنّ من يأكل الدنيا بدينه[1] أقبح ممّن يأكلها بدُنْياهُ .

وإن كانوا غير صالحين ! فقد أكلُوا حَرَاماً محضاً في الشرع ، لأنّ الناس لو اطَّلعُوا على أنهم ليسوا من أهل التربية والإرشاد لم يعتقدوهم أبداً ، ولم يُعْطوهم ولو درهماً ! بل ربّما يبْصقُونَ على وُجُوههم[2] ، ولم يُجَالسوهم ولو ساعة !

قال الشعراني في « تنبيه المغترين » : وكان وهب بن منبّه يقول : مَنْ طلب الدنيا بعمل الآخرة نكس الله قلبه ، وكتب اسمه في ديوان أهل النار . انتهى .

وفيه أيضاً في ١٠ : وقيل لابن مبارك رحمه الله تعالى : مَنِ الناسُ عندَك ؟ فقال : العلماء العاملون المخلصون . قيل : له فمن الملُوك ؟ قال : الزهاد في الدنيا . قيل له : فمن السفلة ؟ قال : الذين يأكلون الدنيا بعلمهم وعملهم ودينهم . انتهى .

وفيه في ١١ : وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : إذا طلب العالم الدنيا ذهب بهاؤه .

وكان الحسن البصري يقول : عقوبة العلماء تكون بموت قلوبهم ، وموت قلوبهم يكون بطلبهم الدنيا بعمل الآخرة ، فيتقربون بذلك من أبناء الدنيا . انتهى .

---

(١) كذا في المنن (منه) .

(٢) راجع « المنن » في ١٦٦ و« الأنوار القدسية » في آداب العبودية في ٣٤ (منه رحمه الله تعالى) .

وفيه أيضاً في ١١ : وكان مالك بن دينار – رحمه الله تعالى – يقول : قرأت في بعض الكتب المنزّلة أنّ أَهْوَن ما أنا صانع بالعالِم إذا طلب الدنيا بعلمه أن أحرمه لذيذ مُناجاتي .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يَقول : إذا رأيتم العالم يحبّ الدنيا فاتَّهِمُوه في دينه ، فإنّ كل محبٍّ يخوض فيما أحبّ . انتهى .

وفيه : وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول : لولا نقصٌ دخل على أهل القرآن والحديث لكانوا خيار الناس ، ولكنهم اتّخذُوا علمهم حرْفة ومَعَاشاً ، ولذلك هانوا في ملكوت السموات والأرض . انتهى تنبيه المغترين في ١١ .

وقال الشعراني : ولو جُعْتُ وعرَيْت لا آكل ولا ألبس بالدين . انتهى كذا في « المنن » ، قال الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا[1] وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾
ولله در القائل ، شعر :

تمسّكْ بحَبْل الشرْع واضرب بسيفه رؤوس المعاصي واتخذْ منه جَوْشَنًا[2]

وبـادر إلى إنكار ما كان خـارجًا عـن الحق واحــذر أن تكون مُدَاهناً

ولا تجعـل الذكر النفيس وسيلة إلـى عـرض الدنيـا المعـرّض للفنا

ولا تجعـل الـمقصودَ منـه تكسّبًا فـتنحـط قــدْرًا مــن عُـلاك وتَفْتنا

ولا تتّخــذه لــلـرّياسـة سُــلّمًا فــتــغضـب مَــرْبُوبًا ورَبًّا مهـيمنا

(١) أي بعمل الآخرة كذا فسَّرَ الإمام البركوي (منه) .
(٢) أي دروعاً .

فإن قيل : يفهم مما نقلتم في هذا الكتاب عدم جواز قبول المشائخ هدايا المريدين أصلاً ، وقد كان كبار المشائخ يقبلونها .

قلنا وبالله التوفيق : **اعلم** أنّ الهديّة اسم لما يُعْطي الرجل لآخر على قصد جلب المحبّة من قبل المهدى إليه ، لا لغرض معيّن ، ولكن طلباً للاستئناس . وتأكيداً للصحبة ، وتودّداً للقلوب ، فذلك مقصود العقلاء ومندوب إليه في الشرع ، قال ﷺ : « تهادوا تحابوا » . وعلى الجملة فلا يقصد الإنسان في الغالب أيضاً محبّة غيره لعين المحبّة ، بل لفائدة في محبّته ، ولكن إذا لم تتعيّن تلك الفائدة ولم يتمثل في نفسه غرض مُعيّن يبعثه في الحال أو في المآل سمّيَ ذلك هديّة ، وحلّ أخذها .

وروى أبو يعلى والإمام أحمد بسند صحيح والطبراني وابن حبان في صحيحه مرفوعاً : « من بلغه من أخيه معروف من غير مسألة ولا استشراف نفس فليقبله ولا يرده ، فإنما هو رزق ساقه الله إليه » الحديث .

والاستشراف هو قولك في نفسك : سَيَبْعَثُ إليّ فلان ، سيصلني فلان ، وأمّا ما يعطى لدينه وصلاحه لا يحلُّ له أن يأخذه إن كان فاسقاً في الباطن ؛ فسقاً لو علمه المعطي ما أعطاه . وقلّما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة إليه ، وإنما سِتْر الله الجميل هو الذي يحبّب الخلقَ إلى الخلقِ ، وكان المتورِّعون يوكِّلون في الشراء من لا يعرف أنه وكيلُهم[١] حتى لا يتسامحوا في المبيع خيفة من أن يكون ذلك أكلاً بالدِين ، فإنّ ذلك مخطر والتُقَى خفيّ لا كالعلم والنسب والفقر !

فينبغي أن يجتنب الأخذ بالدِين[٢] ما أمكن ؛ نعم إنما يحلُّ أخذ

---

(١) فإن كل عبادة نشأت من لقمة فهو لصاحب اللقمة . كذا في « الأنوار القدسية » (منه ، رحمه الله تعالى) .

(٢) وراجع « الإقناع » للخطيب الشربيني في ٣١١ من هامش « تحفة الحبيب » للبجيرمي ، من الجزء الرابع ، (منه ، رحمه الله تعالى) .

ما يعطى لأجل الدِين إذا كان الآخذ بحيث لو علم المعطي من باطنه ما يعلمه الله تعالى لم يقتض ذلك فتوراً في رأيه فيه ، فإن اضطرّ طالب الحلال ومريدُ طريق الآخرة إلى أخذ مال غيره فليصرِّح له ، وليقل : إنّك إن كنت تعطيني لما تعتقده فيَّ من الدين ! فلَسْتُ مستحقاً لذلك ، ولو كشف الله تعالى سرِّي لم ترني بعين التوقير ، بل اعتقدت أنّي شرّ الخلق ، أو من شرارهم . فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ ، فإنه ربّما يرضى منه هذه الخصلة ، وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما يأخذه ، ولكن هاهنا مكيدة للنفس بيّنة ومخادعة ، فليتفطن لها ، وهو أنه يقول ذلك مُظهراً أنّه متشبّه بالصالحين في ذمهم نفوسهم واستحقارهم لها ، ونظرهم إليها بعين المقت ، فتكون صورة الكلام صورة القدح والازدراء ، وباطنه وروحه هو عين المدح . هذا حاصل ما في « الإحياء » من مواضع في ١١٦ ج ٢ وراجع « كشف الغمَّة » في ١٩٧ ج ١ و« شرح الحكم » و« لواقح الأنوار » في ١٢٣ .

وذكر الشعراني في « الطبقات » أن علياً بن محمد المزين رحمه الله تعالى كان يقول : اذا عُرض على أحدكم طعام من حيث لا يحتسب فليأكله . . الخ فراجعه في ٩٦ من الجزء الأول .

وقد كان الشعراني لا يسأل شيئاً ، ولا يردُّ حلالاً ، ويقبل كل ما جاءه بغير سؤال منه بالحال ولا بالمقال ، وينفقه على من يحتاج إليه من نفسه أو غيره على الوجه الشرعي . كما هو مذكور في « لطائف المنن » فراجعه في ٢٠٤ الجزء الأول .

وذكر الشعراني في « الطبقات » أنّ من الأولياء من يكون ستره قَبُوله من الخلق ما يعطونه له من الهدايا والصدقات ، ثم يخلط عليه من ماله ، ويُعلم الناس بأنّ ذلك كله من صدقات الناس الأجانب ، ويمدح الناس الذين أعطوه بالكرم ، ويوهم الناس أنّه انتقص من ذلك

المال لنفسه وعياله من وراء الفقراء أشياء ، بنحو قوله : من يقدر في هذا الزمان أن يأخذ مالاً ويفرِّقه على الفقراء ولا يحدِّث نفسه بانتقاص شيء منه . ولا يسعنا كلنا إلا العفو ، ويكون مأكولاً مذمُوماً ؛ وهذا من أكبر أخلاق الرجال الذين أخلصوا في معاملة الله عز وجل ؛ فإنّه لا يهتدي أحد إلى كماله الذي هو عليه في باطن الحال مع ظهور احتقاره في أعين الناس واستهانتهم به ، فإنّ الرجل إذا قبل من الخلق صَغُر في أعينهم ضرورةً ، كما أنّ من رَدَّ عليهم كَبُرَ في أعينهم ، ولعل ذلك الرادُّ إنما ردّ رياء وسمعة .

قال الفضيل بن عياض – رحمه الله تعالى – : من طلب الحمد من الناس بتركه الأخذ منهم فإنما يعبد نفسه وهواه ، وليس من الله في شيء .

قلت : ومعنى يعبد : يطيع .

وكان يقول أيضاً : ينبغي لمن يخاف على نفسه من فتنة الردّ أن يأخذ ، ثم يعطيه سرّاً لمن يستحقه ولا يأخذ هو لنفسه منه شيئاً ، فإنه بذلك يأمن من الفتنة إن شاء الله تعالى . انتهى ٨ ج ١ فراجعه .

وذكر أيضاً في « لواقح الأنوار » ما حاصله : إنّ الكامل ربما يشتغل بالكسب والتجارة أو الزراعة في آخر عمره ولا يكون متجرداً عن الدنيا ؛ بأن تخلو يده منها لأنه يحتاج ضرورة إلى سؤال الناس إمّا بالحال ، وإمّا بالمقال لو كان متجرداً عنها ، وإذا احتاج إليهم هان عليهم ، وقلّ نفعهم به ، بخلاف ما إذا كان ذا مال يعطي منهم المحتاجين من مريديه وغيرهم ، فإن فقد الحال الذي يُميل به قلوب المريدين إليه كان معه المال يميلهم إليه به ، ومَنْ لا حال له ولا مال لا ينفعه المقال ، فافهم .

وأيضاً إنّ زهد الكمَّل ليس هو بخُلُوِّ اليدين من الدنيا ! وإنما هو

بخلو القلب ، ولا يتحقق لهم كمال المقام إلاّ بزهدهم فيما في أيديهم وتحت تصريفهم ؛ من غير حائل بينهم وبين كنزه .

وأمّا زهدهم مع خلو اليد فربما يكون لعلّة الفقر ، وقد قالوا : من شرط الداعي إلى الله تعالى أن لا يكون متجرداً عن الدنيا بالكلية . فراجعه في ١٧٨ ج ١ من هامش « المنن » .

وقال البجيرمي في حاشيته المسمَّى بـ « تحفة الحبيب على شرح الخطيب » المسمَّى بـ « الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع » قدس الله أرواح جميعهم ، آمين .

تتمة : يندب قبول الهدية[١] . لغير الحاكم حيث لا شبهة قوية فيها ، وحيث لم يظن المهدَى إليه أنّ المُهدي أهداه حياء أو في مقابل ، وإلاّ ! لم يجز القبول مطلقاً في الأول ، وإلاّ إذا أثابه بقدر ما في ظنه بالقرائن في الثاني .

وينبغي للمهدى إليه التصرُّف في الهدية عقب وصولها بما أهديت لأجله ، إظهاراً لكون الهدية في حيز القبول ، وإنما وقعت الموقع ، ووصلت وقت الحاجة إليها وإشارة إلى تواصل[٢] المحبة بينه وبين المهدى إليه ، حتى أنّ ما أهداه إليه له مزية على غيره مما هو عنده ، وإن كان أعلى وأغلى ، ولا ينحصر ذلك في التآلف ونحوه ، فالأولى فعل ذلك مع من يعتقد صلاحه أو علمه ، أو يقصد جبر خاطره ، أو دفع شره ، أو نفوذ شفاعته عنده في مهمات الناس ، وأشباه ذلك ، ولا يشترط في ذلك

---

(١) وفي « السراج المنير شرح جامع الصغير » ما يليق أن يرجع إليه ، فراجعه في ٢٩٦ ج ٢ (منه ، رحمه الله تعالى) .

(٢) وفي الحديث : « تهادوا تحابوا » انتهى وفي الخبر أيضاً : « تهادوا يزد في القلب حباً » انتهى . وذلك لأنّ الهدية تؤلف القلوب ، وتنفي البغضاء من الصدور ، وقبولها سنّة ، كذا في « السراج المنير » فراجعه في ١٥٩ ج ٢ (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

صيغة ، بل يكفي البعث والأخذ . انتهى ، فراجعه في ٣١١ ج ٤ .

وفي « لواقح الأنوار » أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن لا نردَّ شيئاً جاءنا من غير سؤال ولا استشراف نفس . وهذا العهد يقع في خيانته كثير ممن يحبُّ أن يشتهر بالزهد ويردُّ ما أعطيه خوفاً أن يجرح مقامه عند الناس ، وعار عليه أنه جرح مقامه بذلك عند الله تعالى ، فخذ من الله وأعط لله[1] . انتهى ١٩٠ ج ٢ فراجعه من هامش « المنن » فهذه المذكورات تشعر بجواز أخذ الهدايا للأكابر الذين بواطنهم كظواهرهم في المعاملة لله تعالى ؛ فإنهم إنما يأخذون بمشاهدة صحيحة ، يأخذون من الله لا من المعطي وللمعطي لا لهم ، **فافهم** ! .

وأمّا من أظهر نفسه بزيِّ الصالحين مع إفلاسه في الباطن عن حقيقة العلم والتصوف ! فكل ما وصل إليه لأجل هذا التلبيس حرام عليه قبوله ، فإن قبله كان فاسقاً لأكله أموال الناس بالباطل ، كما هو مذكور في « الزواجر » لابن حجر فراجعه في ٣٥ ج ١ من الكبيرة الثانية ، وراجع « التحفة » والرملي قبيل النكاح وآخر الهبة ، وحاشية عبد الحميد والشهاب ، تجد البيان .

ولا شك أنّ مَنْ طلبَ الدنيا بدينه وجرَّ الناسَ إلى جانبه بغُرورِ حِيَلِهِ محضاً لجلب الدراهم والدنانير لا طلباً[2] لرضاء خالقه وامتثالِ أَمْره ، **فَتسْمِيَتُهُ باسم الشيطنة أَلْيَقُ من تسميته باسم المشيخة** ، ويَدْخل كلّ مَنْ لم يَعْترضه في وعيد المداهنة ، ولا يجوز لأحد أن يُصاحبَه بالمُداراة ، إلاّ إن كان قصْدُه بالمُصاحبة ، أن يجرَّه تدريجاً إلى الحق

---

(١) وفي « ترشيح المستفدين » في ١٥٨ قال سم عن الزركشي : واختار بعض المتأخرين وجوب الأخذ ممن عرض عليه الصدقة ولو غنيّاً ، ثم إن كان حلالاً لا تبعة فيه تموّله وإلا ردّه في مورده إن عرف مستحقه وإلا ! فهو كالمال الضائع انتهى فراجعه (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) ورأيت في « الأنوار القدسية » ما حاصله إنّ كل عبادة نشأت من لقمة ، فهو لصاحب اللقمة . فراجعه (منه) .

بالمسارقة ، ويخرجَه عمّا هو فيه بالمناصحة ، عافاهم الله تعالى وإيانا عمّا لا يليق بشأن الربوبية ، وقد تحقّقَ وتيقّن بما سبق[1] تأثُّر[2] الجمادات بأحْوالِ مَنْ يَصْحَبُها بالمباشرة ، ولا يخفى أنّ التابعين لهواء[3] المتشيّخينَ الذين نصَبُوا شبكة الإرشاد لاصطياد الدنيا من أهلها مع اتحاد جنسيّتهم يُوقعُونهم في المهلكة ، مع أنّهم ظانون أنّهم على حالة مَرْضِيّة ، لأنّهم بصُحْبتهم يسارقون أحوالهم السيّئة ، ويتعدَّى إليهم ما في بَواطنهم من حُبّ هذه الفانية ، ويتصرّف فيهم الشيطان كما يتصرف الصبْيَان في الكرّة ، مع أنه ليس معهم نُورٌ إلهيٌّ بلا مِرْيَةٍ ، لأنّ تلقينهم لهم صار خالياً عن نور النسبة والمَعْرفة ، وعلَّمُوهم الاسمَ مُنْسَلِخاً عَنْهُ بالكليّة ، فلذا تسبّب الشيْطَانُ في إهلاكهم بقوّته الغضبيّة ، وقد هداهم إلى رؤية أنفسهم الأمَّارة قائلاً : إنّكم على شيء عظيم من العُبُوديّة ، وغَيْرُكُمْ أدْنى مَقاماً منكم ، وأنتم الأعلون بالخصوصيّة ، كلاّ وكلاّ ! بل أرْداهُمْ في مهلكة العُجْب والأنانيّة ، بحيث لا رجاء للخلاص منها ولو بشيء من الحيلة ، ولعلهم صاروا بكثرة صَلاتهم وعباداتهم وأذكارهم المأخوذة من شيوخهم في زُعْمهم مدلين مُعْجِبينَ[4] والحال أنهم جَهلُوا ما ورد في الخبر : « إنّ صَلاة المدل لا ترفع رَأْسَه » ولأنْ تضحك وأنت مُعْترفٌ بذنبك خيرٌ من أن تبكي وأنت مدلٌّ ، ولقد كانوا قبل الأخذ منهم خائفين من الله منكسري القلوب ، ظانّين أنهم من المستحقين

---

(١) في هذا الكتاب (منه) .

(٢) كذا في « الرشحات » .

(٣) وفي نسخة : لهؤلاء .

(٤) والعجب : هو استعظام النعمة ، والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم ، فإن انضم إلى ذلك أنْ غلب على نفسه أنّ له عند الله حقاً وأنّه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا ، واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعاداً يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق ، يسمّى هذا إدلالاً بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالّة . كذا في « الإحياء » في ٢٨١ من ربع المهلكات . (منه رحم الله إفلاسه) .

لعذاب الله ، نادمين على ما فعَلوه من مخالفة أمْرِ الله ، ولا يخفى أنّ هذا خيْرٌ لعباد الله ، من أن يَعْبُدُوه عبادة الثقلين مُعْتَقدين أنهم بمكان عند الله ، كيف لا ؟ وقد قال التاج ابن عطاء الله في حِكَمِه : معصية أورثت ذلاًّ وافتقاراً خيْرٌ من طاعة أورثت عزّاً واستكباراً ، ولا شكّ أنّ شيخَهُمْ في زعمهم هو السبب الظاهر لوُقوعهم في هذه الورطة ، لأنهم استكبَرُوا به استكباراً ، وظنوا أنهم بتعلّقهم به صارُوا آمنين من عذاب الله تعالى ، وبعباداتهم المخلوطة بالشوائب المحبطة عُدُّوا من أخصّ الخواص من أهل الله ، حاشا ذلك وكلاّ ! بل شيْخُهُمْ في زعمهم أرْداهُمْ في المهالك ، وسَلَّمَهم إلى أيدي الشياطين[1] ليتصرّفوا فيهم بما أرادُوا منهم ، وجرَّهم اللعين بحبل غروره إلى ذَنْبٍ طرّده الله عن رحمته لأجله ، وحَثّهم إلى أن يقول كلّ منهم : أنا خيْرٌ منه . ولم يُبالوا سوى كثرة العبادات الظاهرة ، بل اعتقدوا في نفوسهم أنهم من أخْيَرِ عباد الله ، مع أنهم في الحقيقة عبدة الحظوظات .

وأحسن أحْوال[2] **مَنْ ليس لهم شيخ كامِلٌ** أنْ يَعْبُدُوه تعالى خوفاً من النار ، أو طمعاً في نعيم الجنة ، **ولا شك** أنهم صاروا الآن مع ذلك عَبَدَةَ الثواب ،

كما قال الغزالي في « الإحياء » : **العامل لأجل الجنّة، عامل لبطنه وفرجه** . انتهى .

وما أخسَّ هِمّة من يَعْبُدُ الله تعالى لأجل الجنة مع أن الله تعالى يقول : ﴿ **وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا** ﴾ الآية ؛ فانظر إلى نكارة قوله « شيئاً » وكُنْ عَالِيَ الهمّة لعل الله ينزل بك شيئاً من الرحمة الهابطة . وسيأتي

---

(١) يعني أنهم ليسوا بمشائخ لهم على التحقيق ، ومَنْ ليس له شيخ فشيخه الشيطان ؛ فافهم ! (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) وراجع « لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية » تجد المأخذ (منه) .

إن شاء الله تعالى أنّ الأصنام المعنوية كالأصنام الحسيّة على حدّ سواء ، ولقد صدق القائل في حق هؤلاء المدّعين : إنهم قطاع طريق الله ، كيف لا وقد دَلُّوا أتباعَهم إلى أن يَعْبُدُوا[١] لأنفسهم ، ويتخذوا أهْواءَهم آلهة ، وهم يحسبونَ أنهم يحسنون صُنْعاً جميلاً ، والمقصود من إيجاب الله تعالى جميعَ العبادات على عباده تعالى أنْ يُقرُّوا له بالذلِّ والافتقار والعبودية ، وأن يخضعوا رقابهم له مُعْترفين بالربوبيّة ، فإذا فقد هذا فأيّ فائدة من العبادة ؟ وأيّ ثمرة من الرياضة ؟ وإنّما ثمرات العبادات هي مَحْوُ البشريّة باستيلاء أوصاف الربوبيّة وخروج النفس من الأنانيّة ؛ ولا نفع في شجرة لا تجني منها ثمرة . والله ولي التوفيق .

وروي أنّ إبليس عَبَدَ الله تعالى ثمانين ألف سنة ، بل قال صاحب « تنوير الصدر » أنه عبد الله تعالى سبعمائة ألف سنة وسبعين ألفاً وخمسة آلاف سنة[٢] . انتهى ، ثم بعد ذلك تَكَبَّر وقال : أنا خَيْرٌ منه ؛ وبذلك وقع فيما وقع ، **ولقد وَجَدْنا** في مريدي مُتشيّخي زماننا رَوَائح رؤية نفوسهم على من سواهم ، بل علمنا منهم أنّهم يظنّون بهم خيْراً ،

---

(١) يعني أنّ مقصودهم الأعلى أن يحثّوهم إلى مجرد طلب الثواب ، لا إلى مجرد طلب التقرب ، ولا إلى امتثال الأمر ، مع أنّ أهل السنّة ذهبوا إلى أنّ من عبد ودعا لأجل الثواب لا تصح عبادته ولا دعاؤه ، وإنما يصِحَّان أنه لو أتى المكلَّف بهما لمجرد أنه تعالى أمره ، وكلفهم بطاعته بمقتضى ألوهيته ، وأنه ليس للعبد إلا طاعة سيده ومولاه ؛ بإتيان ما أوجبه عليه ، والاجتناب عما نهاه عنه ، فمن أتى بهذه العبادات لأجل هذا التوجُّه صحت ، وأمّا من أتى بها خوفاً من العقاب ، أو طمعاً في الثواب وجب أن لا يصحّ لأنه ما أتى به تعبُّداً لمولاه وقضاءً لحق ألوهيته وعبودية نفسه ، فلذلك فسَّر _ أي القاضي البيضاوي . (منه) _ قوله تعالى ﴿ **خَوْفًا وَطَمَعًا** ﴾ *بقوله : خائفين من أن يردَّ ما فعلتم لوقوع التقصير في بعض الشرائط المعتبرة في قبوله مع الطمع في قبوله تفضلاً ، كذا في « ح قاضي » (منه رحمه الله تعالى) .

*أي ليس المراد دعوة ذوي خوف من العقاب . . والخ لأن أهل السنة الخ .

(٢) لعلّها روايات . (منه) .

ويُسِيئُون بغيرهم ظنّاً ، وأخبرنا بعض الثقات أنّ شيْخَهم في زَعْمهم تهدَّد لهم من الاجتماع بالطائفة النقشبندية ، ولو علم هذا البعض – سامحه الله تعالى وإيانا بفضله ، وهدانا وإياه إلى سبيله – ما عليه النقشبنديّون من الحضور الدائميّ ! لأمَرَهُمْ بعدم افتراقهم منهم أبداً ؛ ليأخذوا من أنوار قلوبهم حَظّاً .

وهذا التهديد من علامة الجهل المركب ، بتراكم الرَيْنِ على القلب ، ولعلّه تعصّب وتحزّب ، وكانّ سرَّه قد تخرَّب ، ولم يذق ما ذاقه أهل الله ، وما جرَّب ، ولو كان شيخاً ما تحجَّر وما تعصَّب ، ولا يتحجَّر على المريد إلاّ من أحبّ الرياسة ولم يحسن ظنّه بمَنْ أناب .

وقال لي العالم الرباني أدرة العرادي النقشبندي الخالديّ – أدخله الله بُحْبُوحَةَ الجنّة المعجّلة آمين – : إنّ الناسَ يظنّون أنْ ليس في قلوبهم شيءٌ من محبطات الأعمال من الرياء وغيره ، وليس كما ظنّوا ! بل إنهم لا يَعْرِفُونها ، ولا يتفحَّصُون عنها ، ولذا لم يُدْرِكُوها ، وظنّوا أنهم خالصون منها . انتهى .

وهو كما قال رضي الله عنه وجزاه عنا خير الجزاء ، لأنّ أكثرهم لا يعرفون القلب ولاَ مَحَلَّهُ ، حَتّى أن أبعاضاً منهم لا يجوزونَ استعمال الذكر بالقلب ! ولا يخفى أنّ القلب مَنْبَتُ الأخلاق المَذْموماتِ ، ومنبع المهلكات ، ومحلّ النجاسات المعنويّات ، وبصَلاحه يصلح الجسد ، وفسادِه يفسد الجسد ، كما ورد به الحديث ، فلا شك أنّ مَنْ لا ينظر إلى النجاسة ولا إلى محلّها لا يُبْصِرُها ، ومن لا يَعْرِفُ محلّها لا يغْسِلها ، ولا يمكنُ تطهيرُها إلاّ باستعمال الماء على مَوْضعها فافهمه[1] ! .

---

(١) يعنى أن الذكر شفاء القلب كما في الحديث ولا ينجلى القلب إلا بكثرة الذكر كما في « ذيل » ترجمة « الرشحات » . (منه ، رحمه الله تعالى) . =

اعلم أنّ الطريقة والشريعة توأمان كالروح والجسد[1] .

أحدهما لتحصيل كمال الإخلاص الذي هو عمل القلب .

والآخر لتحصيل أركان الدين بكماله الذي هو العمل بالجوارح .

فإنّ الروح بلا جسد ما له قيام ، وإنّ الجسد بلا روح ما له دَوَامٌ ، وذلك أمر مشترك بين المكلفين من الرجال والنسوان ، كذا قال سليمان الزهدي في رسالته .

وكل عمل ليس فيه الإخلاص والنية والحضور كوصيفة[2] مَيْتَةٍ ليس فيها روحٌ ، والأعمال المشروعة تُحَفٌ يتحف بها العبد إلى الله تعالى ، والمُهدي للجيفة الميتة مستهزئ للسلطان ؛ فيستحق سفك الدم ، فإذاً يجبُ على العبد أن يزكّي القلب من الأخلاق المضادّة للإخلاص والحضور وتزكيتُه[3] منها مَوْقُوفَةٌ على سلُوك الطريق على يد شيخ عارف مأذون ، ولا يكون ذلك السلوك إلاّ بواسطة الذكر ! ومن شرطه أن يأخذه منه ؛ لأنّ الذكر الذي أخذ منه يكون معه نُورٌ حَاجِبٌ من الشيطان ؛ فيعمل في تنوير الباطن عمله ، والذي أخذ من غير عارف لا يكون معه ذلك النور ، فلا يكون الذكر حجاباً ، بل يكونُ سَبَباً للهلاك ، ويكون حُكْمُه كإلقاء السمِّ ليداوى به المريض ، والله أعلم .

وأمّا من أراد أن يخلص منها بغير سلوك الطريق المذكور ! فقد طلب المحال ، ولذلك ترى الأبرار - وإن سَعَوْا في الخلاص من

=يعني أن الذكر يغسل القلب من وسخ الأغيار ، ويطهِّره من الأدناس ، فمن لا يستعمل الذكر عليها فكيف يطهرها ؟ فتدبر ! (منه ، رحمه الله تعالى) ،

(١) وقال الإمام الرباني الطريقة لتكميل الشريعة . راجع في ٧ البهجة (منه) .

(٢) أي جارية .

(٣) وقد جعل الغزالي التزكية المذكورة شطر الإيمان . كما هو مذكور في الجواهر (منه رحمه الله تعالى) .

الصفات وتيسر لهم ذلك - وَقَعُوا في صفة أخرى ، وخصلة أقبح من الأولى ، كذا في « السير والسلوك » .

وقد كان سلطان العارفين ومَلْجَأ العلماء من مذاهب الأئمة الأربعة المجتهدين وغيرهم ، عبد الوهَّاب الشعراني رضي الله عنه يجاهدُ نفسه بأنواع المجاهدات الشاقّة ، والرياضة التامّة ، ويلازم العلوم ، حتى صار متبحِّراً في المذاهب الأربعة وغيرها ، ومع ذلك وَجَدَ عباداته وعلومَه مخلوطة بالحظوظات النفسانيّة ، ولم يَعْرِفْها إلاّ بعد اتخاذ الشيخ له[1] ، وهكذا عدّ الإمام الغزالي علوم الفقهاء حجاباً لعدم وُجُوده فيها إخلاصاً .

ومن المعلوم أنّ العلم إنما يكون حجاباً لمَنْ لم يخلص لله في تعلُّمه وتعليمه وإلاّ فلا ! كذا في « المنن » في ٥١ ج ١ .

وقال في « الإحياء » ما مَعْناه : لو سلّم للإنسان من عمره لحظة واحدَة خالصة لوجه الله تعالى نجا وذا لعزة الإخلاص ، ولِعُسْرِ تَنْقِيَة الأعمال من شوائب الرياء[2] انتهى .

وفي الإبريز في ٣١ قال الشيخ رضي الله تعالى عنه : وأن ترتفع همّتك إلى طريق الفقر وهو طريق التصوّف - فاطْرَحْ هَوى نفسك فيما تختاره لنفسها من وُجُوه التعبّدات وأنواع القربات دون أن يأمر بها الشيخ ، وباعد هواها في ذلك مُبَاعَدَتك للشرّ . يريدُ أنّ فلاح المريدِ فيما يختاره له الشيخ ، لا فيما يختاره لنفسه وإن كان يختار هو لنفسه هَلَكَ .

قلت : وكم من مريد سقط من هذا الباب ؟ لأنّ المريد قبل الفتح

---

(١) كذا في المنن . فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) وفي « الطبقات » لو صحَّ لعبد في عمره نَفَسٌ واحد من غير رياء ولا شرك ، لأثَّر بركات ذلك عليه إلى آخر الدهر . اهى . ٩٢ ج ١ فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

عليه إذا اختارت له نفسه الإكثار من النوافل والصيام والقيام فربّما كان ذلك لشهوة السُمْعَة والرياء ، فيصيرُ عمله لغير الله عز وجلّ ، فإذا رحمه الله بالشيخ المربي ، وجمعَه به ! فإنّه يرى تلك العلّة فيه ؛ فيُريد نقله عنها ، فإنْ ساعفه[1] المريد وسبقت العناية من الله تعالى دَلَّهُ على ما يليق به ، وانتقل به إلى حالة مَرْضيّة عند الله تعالى ، وإن لم يساعفه المريد وقال : جئناه ليزيد ، وجَعَل ينْقصُنا ! وخسرت نيّته في شيخه المربّي ! فهذا قد استحوَذ عليه الشيطان[2] واستحكمت فيه علّة الرياء والخسران ، نسأل الله تعالى السلامة والعافية بمنّه وكرمه . انتهى .

وفيه أيضاً في ٢٠١ : وقد رأيت بَعْضهم جاء إلى شيخ رضي الله تعالى عنه ، وأراد أن يتخذه وسيلة ، وكان على غاية الإكثار من العبادة ؛ حتى أنّه يقرأ في كل ليلة ختمة من القرآن ، ويقرأ دَلائل الخيرات في النهار عدّة مرات ، ويصوم الدهر ولا تلقاه إلاّ أصْفَرَ اللون كأنّه من أهل القبور ، فلم يزل الشيخ - رضي الله عنه - ينقله عن درجة إلى درجة ومن حالة إلى حالة حتى رَدّه إلى مقام التوسط ثمّ قال له الشيخ - رضي الله عنه - ذات يوم : كمْ مِنْ تَعْبٍ أراحك منه يا فلان فقال : جزاك الله عَنّا خيْراً يا سيدي ، فإنّما كانت أعمالنا رياء فلغير الله كنا نعبد ، وأراحنا الله من ذلك ببركتك .

وقال لي الشيخ رضي الله عنه يَوْماً : إنّ هذه النوافل إذا لم يفعلها الشخص فإنّها لا يحاسب عليها ، وإنْ فعَلها بنيّة أن يراه الناس ويمدحوه عليها فإنّه يعاقب عليها في الآخرة[3] ويخلي دار أبيه عليها قلت : لأنّ الرياء[4] معْصية .

---

(١) وأسعفته : أعنته على أمره « مصباح » .

(٢) واستحوذ عليه الشيطان غلبه واستماله إلى ما يريده منه . (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) ومرّ في الباب الرابع والعشرين ما ينبغي استحضاره هنا ، (منه رحمه الله تعالى) .

(٤) وفي « الزواجر » في ٣٥ ج ١ ما حاصله : أنّ من لم يقصد من عباداته غير الرياء=

وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول : إنّ المحجوبَ لا يَخْلُو من الرياء والسمعة إلاّ إذا كان يرى في كلّ لحظة أنّ أفعاله مخلوقة له تعالى ؛ لا يغيب عنه ذلك في حالة الفعل ، ومَهْما غاب عنه طرفة عين وقع في الرياء والسمعة والعجب . انتهى .

ولقد قال شيخنا ذو الجناحين العسوي قدس سره : لا يخلو الإنسان من الرياء إلاّ إذا وصل إلى مقام يشهَدُ فيه أن لا فاعل ولا محرّك في الوُجود إلاّ الله سبحانه . انتهى .

قلت : وذلك المشهد يَحْصُلُ للسّالك في مُراقبة القلب ، فحينئذ يضمحلّ كسبه وكسب جميع المخلوقات ، لظهور فعل الخالق تعالى على كسبه وكسبهم ، كاضمحلال نور السراج عند ظهور نور الشمس . والله أعلم بالصواب .

وقال جامع القطبتين الشيخ أبو عبد الرحمن في « تبصرة المرشدين » في بيان المراقبات : إنّ من كان على مراقبة الروح وتجلى له الصفات الثبوتية لا يضيف كمالاته إلى نفسه ؛ بل إلى الله تعالى ، فيَأْمَنُ من العجب ونحوه من المهلكات . وسيأتي إن شاء الله تعالى .

فعلى العاقل أن يتدبر في نفسه ويَعْتَبِرَ هل هو مُتَّصَفٌ بذلك المشهد أم لا ؟ فإن كان متصفاً به ! فيجب عليه الشكر دائماً ، وإلاّ ! فاللاّئق به ترك الدعوى وطلبُ مَنْ يُرْشِدُهُ إلى كَسْب ذلك المقام الأسْنى .

قال الشعراني رحمه الله تعالى في « لواقح الأنوار القدسية » :
وقد عجز الأكابر فضلاً عن مثلك أن يعرفوا طريق قطع علائقهم

=فعباداته باطلة ، وليته لم يحصل له من السوء غير ذلك ، بل عليه عظيم الإثم وقبيح الذم ، كما علم تفصيل ذلك من الآيات والأحاديث السابقة ، والمعنى في تحريمه كونه كبيرة وشركاً . اهى . فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

وحدّ الرياء المذموم إرادة العامل بعبادته غير وجه الله تعالى . « زواجر » ٣٥ .

بأنفسهم من غير شيخ فلم يقدروا ، فلا يزال الشيخ يأمرك بإزالة العوائق واحداً بعد واحدٍ حتى لا يبقى إلاّ واحد فيقول لك : أَزِلْهُ وهاأنت وحضرة ربّك .

وتحتاج يا أخي إلى طُول زمانٍ وصبرٍ على مأمورات شيخك ، وغالب الناس يرجع من الطريق ، فلا يحصل من قطع العلائق على طائل .

وإيضاح ذلك : أنّ طريق السير في الطريق طريقٌ غيب ، والمريد كالأعمى الذي يريد أن يسلك طريقاً طول عُمرِه ما سلكها ، والشيخ كالمسافر الذي سلكها في نور الشمس زماناً طويلاً ، فعرف مهالكها كلّها ، فهو بتقدير أنّه أعمى أو يسير في ظلمة الليل يَعرف المهالك والطرق المسدودة كدليل الحاج سواء ، فمن سلَّم للشيخ وانقاد له قطع تلك الطريق ونجا من العطب ، ومن لم يسلم[1] للشيخ لا يعرف يمشي ، وربّما وقع في مهلكة ، فلم يعرف يخرج منها حتى يموتَ ، ولولا أنّها طريق غيب لا يقدر أَحَدٌ على سلوكها وَحْدَهُ ما كان للدعاة إلى الله فائدة من أنبياء وأولياء وعلماء ! فلا بدّ من مزيد خُصُوصيّته فتأمّل ! انتهى ١١٣ ج ٢ .

ونقل المحقق محمد علي الجوخي في فتاواه من كتاب « أدلّ الخيرات » أشياء نافعة ومن جملتها هذه العبارات :

وينبغي للعاقل أن يصحّح نيّة العبادة المحضة لله تعالى حتى ينخرط في سلك المقرّبين ، لأنّهم عبدوا الله تعالى خاصّة من غير عوض ولا غرض ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم بجاه النبي ﷺ . انتهى .

وفيه أيضاً في أول الكتاب ما لفظه : منها - أي من فوائد الصلاة

---

(١) وفي نسخة : لم يسلك .

وفضائلها – امتثال أمر الله تعالى ، وهذه الفائدة أعظم الفوائد ، وهي العبودية المحضة ، لأنّها أشرف مقامات العبد ، إلى آخر ما ذكر فيه فراجع .

وعبارة الإمام السنوسي في « شرح أم البراهين » بعد ذكره فضائل الذكر والصلاة ونحوها : وليقصد بذلك كله امتثال أمر الله تعالى وطلب رضائه . انتهى .

وكتب عليه العلامة الدسوقي ما لفظه : ولا يقصد أن يكون وليّاً ! لأنّه لا ينبغي ، بل قال بعضهم : من قصد بالذكر أن يكون ولياً كانت عبدة الأوثان أحسن منه من هذه الحيثيّة ، لأن عبدة الأوثان يقصدون بعباداتهم التقرب إلى الله تعالى وطلب رضاه ، وهذا الشخص إنّما يقصد منفعة نفسه ، لا لِامتثال أمر مَوْلاه ورضاه ! انتهى .

وفي كتاب « الجواهر والدرر » ما له بهذا المذكور شَبِيهٌ فراجعْهُ .

وقال الشعراني في « لطائف المنن » : وقد سمعت سيدي علياً الخواص – رحمه الله تعالى – يقول : لا فرق بين عبّاد الأصنام وبين مَنْ يعبد الله تعالى لغرض فاسد ، فإنّ الأصنام المعنويّة كالأصنام الحسيّة[1] على حدّ سواء ، لأن كلاًّ من العابدين اتخذ من دون الله تعالى ما لم يأذن به الله .

وهم في ذلك على طبقات :

فمنهم من قصَدَ بعلمه وعمله وما يقع على يديه من الخيرات حصول المكانة في قلوب الناس ، ودوام الصيت وانتشار الجاه .

ومنهم مَنْ يقصد بعلمه وعمله إعلاءَ الدرجات ، وظهورَ الكرامات ، والتصْريفَ في الكون ، والمشي على الماء ، والطيرانَ في

---

(١) وراجع « المنن » ٢٩ ج ١ (منه) .

الهواء ، وكشفَ الغيُوب .

ومنهم مَنْ لم يقصد بعلمه وعمله شيئاً من أمور هذه الدار ، إنّما يَقْصُدُ بذلك الحورَ الحسان ، ودُخولَ الجنان ، وغير ذلك من ثواب الآخرة .

ومنهم مَنْ يقصد بذلك السلامةَ من النار ، والخوفَ من الحساب والعقاب ، وما أعده الله تعالى لأهل تلك الدار من النكال والوبال .

ومنهم من يقصد بعلمه وعمله القربَ من الله تعالى ، والرضا عنه ، والمحبة له .

ومنهم مَنْ لا قصد له في علمه وعمله إلاّ علمه باستحقاقِ مَولاه العبادة والتذلّل والخضوع ، والوقوف عند أمْره ونهيه ، قد تبرّأ من الاعتماد على حوله وقوّته ، وعلمه وعمله ، وقصده وإرادته ، فأتى بأعماله على وجه الإخلاص ، وهو خائف من الله تعالى لا يرى أنّه قام بذرَّة واحدة من الأمور الّتي كُلِّف بها على الوَجه الذي أمِرَ به . ومن هنا يترقى السالك في مراتب إخلاص الخواص التي كلّ ذرّة منها تعدل عبادة ألف سنة من عبادة أهل تلك الأقسام السابقة ، فاعلم ذلك ، واعمل به ، والحمد لله رب العالمين . انتهى ٣١٣ .

وفي « الإبريز » : كلّ ما عَمِلْتَهُ بقصد الأجور والحسنات فهو عَمَلٌ[١] لغير الله تعالى . انتهى ١٧٧ ،

---

(١) وقد قال تعالى ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ فنكّر تعالى شيئاً فشمل كل شيء من جميع المخلوقات حتى الإرادة والهوى والشهوة ، فإنها من خلقه تعالى بيقين ، فلا يريد ولا ينوى شيئاً دون الله تعالى فيكون شركاً . وقال تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ قال السيد عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه : ليس المراد بالشرك في هذه الآية عبادة الأصنام فقط ، وإنما المراد ما هو أعمّ من ذلك من متابعة الهوى ، وأن يختار العبد مع ربه شيئاً سواه إلا بإذنه ، من الدنيا وما فيها ، والآخرة وما فيها . فإن كل ما سواه عز وجل فهو غيره . فإذا ركن العبد إلى غير الله تبارك وتعالى من مقام أو حال فقد أشرك بالله غيره كذا في « لطائف المنن » في ٦٩ من الجزء الأول . فراجعه (من خطه قدس سره) .

وفيه أيضاً في ١٥٩ ج ١ : وأمّا المحْرُومُونَ فهم الذين تكون أعمالهم لنفع نفوسهم ، ولتحصيل أغراضها ، ولا تكون لله عز وجلّ ، وهذه الأعمال لا تزيد إلاّ بُعْداً من الله عز وجل ؛ لأنّها مخالفة لسرِّ حقيقة الذات ، فإنّ سرَّ حقيقة الذات أنّها ذات مخلُوقة لله ، مَفْعُولة له ، مملوكة له ، منسوبة إليه ، لا نسبة لغيره فيها بوَجْهٍ من الوُجُوه ، فلو جرت أفعالها على هذا السرِّ لكانت كلها خالصة ، فكأنّه يقول : لا حَظَّ لي في شيء من أفعالها ؛ إذ هي كلها مخلوقة لله ! فتخرج عنه الأعمال عند صدورها على سرّ حقيقة الذات ، وأما أنه يقول : ذاتي هي لله وأفعالها لي ، فينويها لنفسه ولتحصيل أغراضه ، فهذا لا يجري فعله على سرِّ حقيقة ذاته ، ولا يمكنه أبداً أن يُوفي بشيء من حُقوق الله ، لأنّه يفعل لغرض نفسه ، لا للقيام بحق الله ! فقد انقطع عن الله في أفعاله ، فتنقطع عنه العَطيّة من ربّه عز وجل ، فيكون مَحْرُوماً من المحرومين .

فقلت : وردت آيات كثيرة ، وأحاديث لا تحصى في الترغيب بذكر الثواب وجزيل الأجر لمَنْ فعل الفعل ، ولو كان - كما قال سيدي عمرو بن محمد الهراوي - لم يرد شيئاً منها بذلك ، لما فيه من القطع عن الله عز وجلّ ، فقال رضي الله عنه : لا يرد علينا ما في الآيات والأحاديث ، لأنّه لم يقل فيها : اعملوا لأنفسكم وأنا أثيبكم على أنفسكم في هذه الحالة بجزيل العطيّة ، وإنّما قال : اعبُدُوني وأخلصُوا لي العبادة وأنا أثيبكم ، فَنِيَّتُنا في أفعالنا تكون لله عز وجل ، ولعظمته وكبريائه ، ولما أسدى[1] إلينا من العطايا الجسيمة ، وهو يُثيبُنا عليها عزّ وجلّ فَضْلاً منه ومنّة ، وإنّما يَرِدُ علينا ما في الآيات والأحاديث أن لو كانت العبادة مع الإخلاص لا أجر فيها ، ولا يثاب العَبْدُ عليها فحينئذ

(١) وأسديت إليه معروفاً : اتخذته عنده ؛ « مص » .

يرد ما ذكَرْتم ، **وما أقبح العبد وأجهله ! حيث يظنّ أن يحصّل الحسنات ويكسب الأجر بأفعاله ، وهو يعلم أنّ أفعاله لم يحصّل منها ولا شعرة ،** فإذا كانت الذات مخلُوقة لله ، والأفعال مخلوقة لله ، فكيف يسُوغ لنا أن نعْتمد في الحسنات على أفعالنا المخلوقة له عزّ وجلّ ، ولا نعتمدَ على مجرّد فضله ورحمته ؟ ولكنّ الغفلة عن الله تعمي البصائر والعياذ بالله .

مهم

قال رضي الله عنه :

وقد كان بعض العُبَّاد يَعْبُدُ الله بقَصْدِ نفع نفسه وأن يعطيه ما يحبّ ، فدام على ذلك عشرين سنة ، وكان لحَّاحاً في الطلب ، فما ظَهَرَ له شيء مما يطلب ، فتحيَّر في أمره ، فقال كيف يكون هذا ؟ أنا أطلب الله في مسألةٍ عشرين سنة ولم يعطني شيئاً ولا رَحِمَني بها ! فَألْقى الله عزّ وجلّ رَحْمتَه عليه ، ورزقه في تلك اللحظة معرفة نفسه وأفعالها . فقال : إنّي لأحْمَق ! إذا كان الله سبحانه خلق الذات وخلق أفعالَها ، وخلق الصحّة ، وخلق المكان الذي أعْبُدُه فيه ، وخلق الماء الذي أتوضأ به ، وخلق الثوب الذي أسْتَتِرُ به ، وخلق الزمان الذي أعْبُدُه فيه ، فأيّ شيء عملت حتى أطلب عليه أجراً وأستحق بسببه ذِكْراً ؟ كلاّ والله ما فعلْتُ شيئاً ، ولكنّي عمدْتُ إلى أفعال الله فيَّ فقطعْتُها عنه ثم نَسَبْتُها إليَّ ، وجَعَلْتُ أطلب بها عنده ، وأتمنّى بها عليه حتى صِرْتُ أقول : وَقَفْتُ أنا ببابه عشرين سنة وما أعطاني شيئاً . أنا تائبٌ إليك يا ربّ ، أنا تائب إليك يا رب ، أنا تائب إليك يا ربّ ، فلمّا تاب إلى الله وعلم منه تعالى التوبة الصحيحة ، رحمه الله تعالى بأن أعطاه كلّ ما يتمنّى ، وزاده المعرفة به التي لا تعارضها جنة ولا غيرها . انتهى .

قال الشيخ مَوْلانا الجامي في شرح النصوص[1] :

(١) وفي نسخة : الفصوص .

مهم

واعلم أنّ عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سلطان هم العارفون الذين يَعْرِفُونَ مَداخِلَهُ ، الواقفون مع الأمر الإلهي لا يبعدون عنه ، والموحِّدون الذين لا يرون لغيره وُجُوداً ، لا يعلمون الأشياء إلاّ مظاهره ومخاليه ، فتكون عبادتهم وحَركاتهم وسكناتهم كلها بالله لله ، من الله إلى الله ، قال تعالى : ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ** ﴾ والذين يعبدون الله من حيث أُلُوهِيَّتِهِ وذاته المستحق للعبادة ، لا من حيث أنّه مُنْعِمٌ أو رحيم ، فإنّ عبد المنعم لا يكون عبد المنتقم ، وعبد الرحيم لا يكون عبد القهّار ، ولا لدُخول الجنة[1] ولا للخلاص من النار ، فإنّه حينئذ عبد حظه وأسيرُ نَفْسِهِ ، فلا يكون عبد الله ، لذلك أضافهم الحق إلى نفسه في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ** ﴾ .

وفيه أقول :

وعشْنا زَماناً نعبد الحق للهوى ... من الجنة الأعلى وحسن ثوابه[2]

فلمّا تجلّى نوره في قلوبنا ... عَبَدْنَا رجاء في اللقاء وخطابه

فمزج أنواع العُبُوديّة الهَوى ... سوى من يكن عَبْداً لعزِّ جنابه

ونعْبُدُه من غير شيء من الهوى ... ولا للنوى من ناره وعقابه

ولا بدّ أن تعلم أنّ هؤلاء محفوظُونَ من الأعمال الشيطانيّة ، لا من الإلقاءات والخواطر كما قال تعالى : ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ**

(١) وفي « المنن » في ١٤٧ : إن عبد الثواب معدود عند كُمَّلِ العارفين ممن هو في مقام بعض النساء . وإن كان له لحية . فراجعه ، (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) فالعارفون إنما يسألون الجنة لمجرد كونها محل رؤية الله ، ولكونها دار أوليائه ومستقرهم ، وللامتثال بأمره تعالى حيث أمرهم بطلبها وأمثالها ، لا لذاتها ولا للإلتذاذ بلذاتها ، فافهم . وراجع « جواهر المعاني » في ١٠٥ ج ٢ تجد فيه البيان الشافي في حق هذا المطلب ، (منه سامحه الله من فرطاته . آمين) .

﴿وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ الآية . انتهى .

وقال الشعراني في مِنَنِهِ : ومما أنعم الله تعالى به عليَّ إعطاءه تبارك وتعالى لي الفرقان بين رجال الله تعالى ، فإنّه ما كلّ الرجال أعْطُوا الفرقان .

وهم : **ثلاثة أصْناف لا رابع لهم** ، ذكرهم الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى في « الفتوحات » :

الأوّل : العُبَّاد بضم العين ، وهم قوم غلب عليهم الزهد والتبتّل والأفعال الظاهرة المحمودة ، ومن شأنهم أنهم لا يرون شيئاً فوق ما هم فيه حتّى يطلبوا الانتقال إليه ، فلا مَعرِفَةَ لهم بالأحوال ولا بالمقامات ، ولا رائحة عندهم من العلوم الإلهيّة الوَهبيّة ولا مكاشفة لهم ، ويخافون من ظهور أعمالهم أن تُحْبَطَ لاعتمادهم عليها دون مطلق فضل الله تعالى .

الصنف الثاني : الصوفية ، وهم رجال فوق هؤلاء العُبّاد ، فإنهم يَرَوْنَ أفعالهم كلّها لله تبارك وتعالى ؛ مع ما هم عليه من الجدّ والاجتهاد والورع والزهد والتوكّل وغير ذلك ، ويَرَوْنَ مع ذلك أيضاً أنّ جميع ما هم فيه بالنظر للمقامات التي فوقهم كَلاَ شَيء ، وفيهم رعونة نفس بالنظر لأهل الطبقة العُلْيَا ، فعندهم رائحة دعوى مع حسن أخلاقهم وفتوّتهم .

الصنف الثالث : الملاميّة وهم على قدم السيّد أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، ومن شأنهم أنهم لا يزيدون على الصلوات الخمس إلاّ الرواتب ، ولا يفعلون من العبادات كلّها إلاّ ما لابدّ منه ، ولا يتميّزُونَ عن غالب الناس بعبادة ، يَمْشُونَ في الأسواق ويتكلّمُونَ مع الناس بكلام العامة ، قد انفردوا بقلوبهم مع الله جلّ وعلا لا يتزلزلون عن عبوديّتهم ، ولا يذوقون للرياسة طعماً لاستيلاء عظمة الله تبارك وتعالى على قلوبهم ، وهؤلاء أعْلَى الطوائف كلّها مقاماً ،

كما فضل أبو بكر الصحابة كلهم رضوان الله عليهم أجمعين ، فتأمّل في ذلك واطلب المقامات الثلاثة ولا تَقْنَعْ بشيء دُونَ المقام الثالث ، والحمد لله رب العالمين . انتهى ٥٢ . وهذا الصنفُ الأخيرُ[1] ، هُمُ النقشبنديُّونَ الصدّيقيّون ، وطريقتهم أفضل الطرق وأقربها وأسْهَلُها ، لكنّهم في قلوب المنكرين كالشوْك ، وفي عُيُونهم كالقذى ، ولا يُحبّهم مُتشيّخوا هذا العَصْرِ خَوْفاً على سقوط مَنْزِلتهم عند الناس وعلى إظهار ما هم عليه من دعوى الشيخوخة ، وقد يتكلّم أبْعاضٌ منهم خلف هؤلاء الطائفة بما تقشَعِرُّ به جُلُود أهل الله - عياذاً بالله من هذه الحالة - وكان الواجب عليهم أن يحبّوهم ويعينوهم ، وأن لا يغتابوهم ولا يذموهم ، لكنّهم حملهم الأمارة على العناد والحسد ، والله حسبهم ونعم الوكيل .

قال الشعراني في « المنن » : ومما منّ الله تبارك وتعالى به عليَّ محبّتي لكلّ مَنْ كان أكثر طاعة لله تعالى مِنِّي **وترجيح محبّته على محبّتي لنفسي** ؛ محبّةً في رَبّي عزّ وجلّ لأنّي أعلم أنّ من كان أكثر طاعة لله تعالى فهو أحبُّ إليه ، ومن أدب كلّ عبد أن يحبَّ كلّ مَنْ يحبُّه سيّده ، وهذا خلق غريبٌ لا يثبت فيه إلاّ مَنْ خرج عن حُبّ الرياسة ونَشْرِ الصيت ، وأمّا مَنْ يحبُّ انفراده بالصيت فلا يكاد يحبُّ أحداً من

(١) يعني أن رأس سلسلة هذه الطريقة السنية ورئيس أهلها هو الصدّيق الأكبر رضي الله عنه ، الذي هو أفضل جميع بني أدم بعد الأنبياء عليهم السلام على التحقيق ، وبهذا الاعتبار وقع في عبارة أكابر هذه الطريقة أنّ نسبتنا فوق جميع النسب ، فإنّ نسبتهم التي هي عبارة عن الحضور والشعور الخاص هي بعينها نسبة الصدّيق ، وحضوره الذي فوق جميع الحضورات كما هو مذكور في مكتوبات الإمام الربَّاني قدس سره ؛ راجعه في ١٩٥ ج ١ ، فالمراد من الشيء في قوله عليه السلام : « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ، بل بشيء وقر في قلبه » هو الذكر القلبي الخفي كما فسر به أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » ، فراجعه في ٢٢ . وفي تعبير الشعراني في حق هؤلاء بهذه العبارة المذكورة في « المنن » كفاية ، وأيّ كفاية في مدح النقشبنديين . وقد قال ابن حجر في « الفتاوى » : إنها - يعني الطريقة النقشبندية - سالمة من كدورات جهلة الصوفية ؛ فيكفيك أيضاً هذا التعبير من هذا النحرير (منه رحمه الله إفلاسه) .

المطيعين والمتقين خوفاً منهم أن يُطْفِؤُا صيتَهُ ، وكفى بذلك مَقْتاً من الله تعالى ، وما يضرّ العبد أن لو كان الناس كلّهم صالحين عالمين عاملين وَرعين زاهدين ، فإنّ في ذلك الشرف العظيم لدين محمد ﷺ .

فليمتحن مَنْ يدَّعي الإخلاص نفسه بما إذا فارقه تلميذه الذي يزعم أنّه كان يحبّه ويخدمه سنين ولم يُفتح عليه ، ثم إنّه اجتمع بأحد من الأقران ففتح عليه ، فإن رأى نفسه تنشرح لذلك فليشكر الله تعالى ، وإلاّ ! فليحكم على نفسه بالرياء والنفاق ، **فإنّ المخلص يفرح بهداية الناس بأيّ وجه كان** ، لا سيّما إِنْ قالوا : إنما لم يفتح لذلك الفقير على يَدِ فلان لكون فلان ليس له قدم في الطريق . فإنّ المرائي يكاد يتميَّز من الغيظ بخلاف المخلص ، وفي الحقيقة الهداية بيد الله ليست بيد أحد من العباد ، وجميع من فتح عليه على يد فقير إنما كان ذلك من باب تعليق الأسباب على المسبّبات . انتهى .

وقال فيه أيضاً : وسمعت أخي سيدي أفضل الدين - رحمه الله تعالى - يقول : من علامة المرائي أن لا ينشرح لكثرة المتقين ، إلاّ إنْ كانوا تلامذةً له ! فيفرح حين يَسْمَعُ الناس يقولونَ عنه : فلانٌ أحْيَا الطريق بعد أستاذه ، ولم يحيها أحد ممّن أخذ عن شيخه غيره ؛ وانظروا إلى جماعته كلّهُمْ مُتأدِّبُونَ صالحون ، عليهم سكينةٌ ووقار ، بخلاف جماعة فلان . فمن صَغَى بقلبه إلى ذلك فهو مُراء دقّ المطرقة كما أنّه متى انقبض لمدحه ومدح تلامذته دُونَ أقرانه فهو دليل على إخلاصه ، كما أنّه إذا انقبض لذمّه وذمّ تلامذته ونسبتهم إلى الرياء والنفاق فهو دليل على عدم إخلاصه كذلك ! فاعلم ذلك . انتهى .

وفيه أيضاً : وسمعت أخي سيدي الشيخ أفضل الدين يقول : من علامة الْمُتَشَيخين بأنفسهم بالدعوى عدم صفاء قلوبهم لبعْضهم بَعْضاً ، لأنّ كل واحد منهم يعتقد في نفسه أنّه هو الشيخ الحقيقيّ وأنّ أخاه هو

المدّعي للمشيخة بغير حق ، ويُصدّقُهُ أصحابه على ذلك ، وفي الآخرة يصلح الله تعالى بينهما ، ويكشف لكلّ واحد منهما أنّه ليس بشيخ ، ولا شمَّ للطريق رائحة . انتهى .

مهم

وكان رحمه الله تعالى يقول : **لا ينبغي إخراج هؤلاء المدّعين للصلاح بغَيْرِ حَقٍّ في الاستسقاء** لأنّه رُبّما منع الناس السقيا بحضورهم ، إلاّ أنْ يَتُوبُوا ويَرَوْا نفوسهم أحقر الناس ! وربّما كان هؤلاء يدَّعُونَ المشيخة ولا يعدّون الكبر الذي في نفوسهم مَعْصِيَةً وهو من أكبر المعاصي .

وكان رحمه الله تعالى يقول : ما دامت نفوس هؤلاء المدّعين لا تنكبسُ لأنْ يتلمّذُوا لأقرانهم ويأخذُوا عنهم الطريق - ولو كانوا غير صادقين - فالكبْرُ باقٍ في صُدُورهم ، لأنّ الصادق لا تأبى نفسه من التتلمذ للكاذب ولو صورة ، بل يُبادر إلى ذلك لاحتمال أن يصلح الله به حال ذلك الكاذب إذا سارقه بتعليم آداب الطريق شيئاً فشيئاً ، فليتنبّه الفقير لمثل ذلك . انتهى .

ولقد مشى هذا الفقير[1] - رحمه الله تعالى إفلاسه - مَرَّةً على هذه السياسة إذا لقي بواحِدٍ من المدَّعين فتتلمذ له صُورةً ليُسارقه تدريجاً ، ولاطفه بالكلام ليُنَبِّهه على نقصه ويُعَلِّمَهُ قواعد أهل الطريق ، فاعترف ذلك المدّعي بأنّه لا يَعْرف كيفيّة تلقين النقشبنديّين وكيفيّة استعمال أذكارهم على اللطائف ، بَلْ وَجَدَهُ جاهلاً بها وبِمَحَالِّها مع أنّه قبل ذلك يدّعي أنّه شيخ نقشبندي مَشْهُورٌ في الأقاليم ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) أي المؤلف .

وقال لي العالم العارف أخونا الصالح حبيب الله النقشبنديّ هداه الله إلى كلّ ما يَرْضاه : إنّي تكلَّمْتُ مع شيخين يزعمان أنهما نقشبنديّان مع عدم مَشْيِهِمَا على مصطلح النقشبنديّة ، ثم بَعْدَ إظهار الحق لَهُمَا أقَرَّا واعْترفا ، ثم قالا : ألاَ نرتقي إلى مقام يجوز لنا فيه أن نعلّم الطريقة النقشبنديّة للمُريدين لَوْ جِئْنَا لدى الشيخ العسلي – قدس سره – لنتلمّذ له نرتاض ونجاهد عنده ؟ انتهى . فإذا أخبر ذلك الأخ ما قالاهُ لهذا الفقير – رحم الله إفلاسه – قال له : لا والله ![1] ولو عَبَدَا الله تعالى بالإقامة عنده ألف سنة ! لأنّهما قصَدَا بتلك الإقامة والرياضة أن يكونا شيْخَيْنِ نقشبنديّين ، ومُريدُ هذا الطريق يجبُ أن يكون عَبْداً بلا عِلَّةٍ ، فما أخسَّ همّتهما ! سامحَهما الله تعالى وألهمهما رشدَهُمَا آمين .

وأكثر متشيّخة زماننا في ديارنا إذا سئلوا : إلى أيّة طريقة انْتَسَبْتُمْ ؟ يقولون إلى الطريقة النقشبنديّة ، مع أنّهم لا يستعملُونَ من أصولها وفروعها ولو شيئاً واحداً ، **فكما لا يصيرُ الحنفي مثلاً شافعيّاً إلاّ باستعماله مذهب الشافعيّ ! فكذلك لا يصيرُ الشخص نقشبنديّاً إلاّ بالدخُول في طريقتهم[2] واستعمال تلقيناتهم فهذا مما لا يخفى على عاقل ، وحين عجزوا عن الجواب إذا سُئِلُوا : لِمَ لا تعلِّمون أوراد النقشبنديّة ؟**

يقولون : إنّ تعليمَها[3] لا يجوز لمن له نَفْسٌ أمَّارة . فنقول لهم : إنّ الله تعالى أعطى القدرة للمشائخ لرَدِّ النفس الأمَّارة بالترْبِيَةِ إلى اللوَّامة ، ومنها إلى الملهمة ، ومنها إلى المطمئنَّة بحيث تقبل قوله

(١) أي لا يرتقيان ولا يصلان إلى ذلك المقام المذكور (منه رحمه الله) .
(٢) وفي « ترصيع الجواهر » في أثناء كلمات ، ومع هذا فلا يعدُّون من أتباعهم إلاّ إذا كانوا على طريقتهم التي كانوا عليها . اهى فراجعه .
(٣) ولا بد من المراجعة إلى « الإبريز » في الباب الخامس في ذكر التشايخ والإرادة في ١٧٤ ففيه ما يَرُدُّ هذا القول مبسوطاً ، (منه رحمه الله تعالى) .

تعالى : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ الخ .

ولإذهاب الصفات الرديئة المذمومة الكائنة للنفس الأمّارة أسبابٌ ، منها : أخْذُ الذكر واتخاذ المرشد[1] و كذا في « مزكي النفوس »[2] فراجعه في ٣ وفي ١٧١ .

وفي « مسيرة الحكم » في ٤٣ ، لا يمكن تَزْكية النفس إلاّ بتصفيةِ[3] اللطائف الخمس : الأمريّة ، وهي القلب والروح والسر والخفي والأخفى . انتهى .

واستعمال الأذكار على اللطائف إنما هو لتصفيتها وتزكيتها ؛ فعَجَبٌ قولهم : يجوز الذكر الذي وضعوه برَأيهم لكلّ واحدٍ ، ولا يجوز الذكر الذي ورد في أصول النقشبنديّة مُعَنْعَناً مُسَلْسَلاً . ولا يخفى أنّ الشيخ إنما يكون لتعليم الطريقة ؛ والشيخ عبارة عن الدليل إلى الله والدليل[4] إنما يكون لدَلالة الطريق لا لدلالة ما أرادَهُ ممّا لَيْس بِطَريق ؛ فافهم ! وقدْ مرّ بَسْطُ هذا الكلام في الباب السادس والباب السابع فليصتحضره هنا .

---

(١) ولا يخفى أنّ تعليم الطريقة وتلقين الأذكار إنّما هو لدفع النفس الأمّارة وتبديل أخلاقها المذمومة ، وقد عُلِمَ مما مرّ ويأتي في هذا الكتاب مراراً أنّ هذه الطريقة العلية النقشبندية هي طريق الصحابة بلا زيادة ولا نقصان ، وإنّ طُرقهم مقتبسة من مشكاة خير الأنبياء عليه السلام ، والحكيم المطلق جلّ وعلا إنما قرر بعثة الأنبياء ، ووضع شرائعهم لتعجيز النفس الأمارة وتخريبها ، ولم يجعل تخريبها بل إصلاحها في غير متابعة الأنبياء عليهم السلام ، فمن ارتكب ألوفاً من الرياضات والمجاهدات بلا متابعة هؤلاء الأكابر لا ينقص من أمارتها مقدار شعرة ، بل تزيد في طغيانها وعنادها ، كذا في « الدرر » في ١٧٧ ج ٣ (منه رحمه الله إفلاسه) .

(٢) راجعه في ٣ وفي ١٧١ (منه) .

(٣) ومثله في « الدرر المكنونات » فراجعه من الجلد الأول (منه) .

(٤) والشيخ هو من يُري المريد طريق الحق سبحانه و تعالى كذا في « الدرر المكنونات » في ١٩٩ من الجلد الأول فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

الباب الثامن والعشرون

في ذكر الطرائق المجتمعة في هذه الطريقة النقشبندية

اعلم أنّ طرق الوصول إلى الله تعالى والفنآء به عند السادات النقشبندية ـ قدس الله أسرارهم العلية ـ أربعة :

الطريقة الأولى : وهي الأعلى ، الأقوى ، صحبة الشيخ الحقيقي الكامل السالك بطريق الجذب ، المشروطة بثلاثة شروط :

الأول : أن يصحبه خدمةً له وانتساباً إليه ، وافتخاراً به وإقبالاً عليه .

الثاني : أن لا يعترض شيخه ، ولا ينكر عليه فعلاً من أفعاله مطلقاً ، ظاهراً وباطناً ، ويعدَّ خطرات وَهْمه ذنوباً يستغفر الله تعالى منها ، لأن شيخه بيد الله تعالى ، والله لا يأمر بالفحشآء ، ولكنه تعالى يمتحن من أراد من خلقه بالشيخ وغيره .

الثالث : أن يكون بين يديه كالميت بين يدي الغسّال ؛ لا يخالفه في شيء مطلقاً ، ولا ينتصر لجانب نفسه مع شيخه أبداً ، المقرونة تلك الصحبة مع الأصلين الأصيلين للطريقة ـ أعني كمال اتباع النبي ﷺ ، ومحبّة ذلك الشيخ الكامل ـ ولها آداب أخر لكن المذكور[1] منها يجرُّ غيره ، والأخلاق يجلب بعضها بعضاً ، وشيخ الصحبة هو الشيخ الحقيقي الموصل إلى الله تعالى بحاله ؛ لا بواسطة شيء آخر كالخرقة

---

(١) وفي « الرشحات » في ١٩٦ قال واحد لا يطيب قلبي لأن أكون في ديار فيها سادات ، فإن حرمتهم وشرافتهم كثيرة جداً ولا أقدر أن أقوم بحق تعظيمهم ثم قال : قام الإمام الأعظم رضي الله عنه يوماً في أثناء مجلس درسه على قدميه مرات ولم يعلم أحد سبب قيامه ، فسأله عن ذلك واحد تلامذته ، فقال إنّ طفلاً من السادات العلوية يلعب في صحن المدرسة مع الأطفال وكلّما يجيء في مقابلة الباب ويقع عليه نظرى أقوم تعظيماً له . انتهى . راجعه (منه) .

أو الذكر ، فإنّ شيخ الخرقة يسري حاله في الخرقة ، ثم يصل إلى المريد . وكذلك شيخ الذكر ذكره أمدّه لا شيخه ! فهما شيخان مجازاً وهوشيخٌ حقيقة ؛ لعدم الواسطة بين قلبه وقلب المريد .

قال العارف عبد الغني النابلسي ـ قدس سره ـ في شرح ابن الفارض . ما يتخيَّله السالك من معاني تجليّات الحضرة الإلهيّة ـ وقت حضوره معها بها لا بنفسه ـ إنما يكون من المرشد الكامل بطريق التوجُّه الرباني والإمداد الرحماني ، فتارةً يأتي بالإلقآء الإلهاميّ من القلب إلى القلب مع صدق الحال ، وتارةً يأتي بتقرير العبارات وتبيين الإشارات ، وتارة بإلباس خرقة الصوفية المشهورة ، وشرطها كمال الصدق من الطرفين فيسري الحال الصادق بأمر الله تعالى في المريد الصادق ، وتارةً بنظر الشيخ الصادق من قوله ﷺ حكاية عن ربّه : « كنت بصره الذي يبصرُ به » في الحديث المشروط بالتقرب بالنوافل ، وتارةً بنظر المريد الصادق إلى الشيخ من قوله ﷺ في الحديث : « إذا رُأوا ذُكِرَ اللهُ » وهذا الأمر يختلف باختلاف الاستعداد في السرعة والبُطْء ، والإخلاص في الخدمة ، والأدب مع المشائخ وحفظ حرمتهم غيْبَةً وحضوراً . انتهى « البهجة السنية » ٣٩ .

ثم اعلم أن الصحبة في جميع الطرق العلية سببٌ مستقل في الإيصال إلى المرتبة ، لأن مَدار الوصول في الطريق كلها صحبة المشائخ الكاملين[1] ، ونصيحة المرشدين الواصلين ، لأن الشيخ الكامل

(١) كما قالوا : لا يمكن المريد الصادق الوصول الا بشيخ كامل المتخلق بأخلاق الله ، متصف بأوصافه ينفذ أمره ويسوس خلقه ويدبر أمرهم ، فيلزم الحضور معه ، ولا يفارقه الا بأذنه . فإن قلبه حضرة الله ، وحواسُّه أبوابها ،فمن تقرّب منه فتحها ، ولا تردّ له دعوة عند الله ، لأنّ من أرضاه أرضى معروفه ،ومن أغضبه أغضب معروفه ؛ كما جاء في الحديث : « إن الله تعالى يرضى لرضا عمر ، ويغضب لغضبه » فكيف يشتغل عن دلالة وصفها الحق لنفسه ببيت وضعه لخلقه ؟ ! وكيف يفارقه لمواضع آثار الأنبياء عليهم الصلاة السلام التي هي دونه ؟ ! فالسير إليه قدماً أحسن من مائة فرسخ لغيره ، إذ هو المحبوب الذي قال فيه=

يوصل المريد الصادق بصحبةٍ واحدةٍ إلى درجة الكمال ، ويكشف له أنوار الجمال والجلال ، يظهر له أسرار مقامات الوصال ؛ من غير احتياج إلى مداومة الذكر ومباشرة الرياضة وكثرة الأعمال ، **فبالجملة** إن للصحبة فوائدُ كثيرةٌ لا يمكن إحصاؤها بالتفصيل والإجمال ؛ لأن أحكام النبوّة وأسرار الولاية وآداب العبوديّة والكمالات الإنسانيّة كلّها إنّما تستفاد من صحبة أهل الكمال ، والمقامات بأرباب المقامات والأحوال ، لأنّ الله تعالى أجرى عادته في كَشْف الأسرار وإفاضة الأحوال وإعطآء الكمال أن يجعل صُحْبة العارفين وسيلة إليها ، وألْسنة الواصلين واسطة لها ، ألا ترى أن النبي ﷺ مع كونه عند الله أقرب المقرَّبين وأكرم المكرَّمين إنّما اتّصف بأحكام النبوّة ، وتحقَّق بآداب العبوديَّة ، وتجمَّل بالكمالات الإنسانيّة ، بصحبة جبرائيل عليه السلام في ثلاثة وعشرين سنة ! وأنّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ مع كونهم أكثر الناس فطانةً ، وأوفر الخلق ذكاءً ، إنما اكتسبوا أحكام الشريعة ، وآداب الطريقة وأسرار الحقيقة بصحبة

=الرسول ﷺ حكاية عن ربه عز وجل « فإذا أحببته كنت سمعه » الخ . فعليه أن يعرف قيمة الشيخ ؛ ليكون عزيزاً مثله وإذا أفشا سره كان معكوساً رجيماً . فمن جعلت له الرحمة في قلب الشيخ لم يحتج إلى معالجة الخلوة والأوراد . فإذا كان المريد لا يمكنه الاجتماع بالشيخ أو إخباره بوقائعه فليتوجه إليه بالقلب ، لأن الأرواح يستوي عندها جميع الأمكنة ، ولايكون بُعْد المريدين من الشيخ إلا بسبب إدبار روحانيته عن التعلق بروحانية شيخه ، وعلى قدر تعلق الروحانية بالروحانية يأتي المدد بواسطة روحانية الشيخ ، فالأمر كله لله تعالى ، ولكن من سر حكمته تعالى جعل أرزاقاً جارية على أيدي خلقه ، فليكن المريد ملازماً للباب الذي رزقه الله منه وهو شيخه ، فهو باب عظيم والشيطان قاعد عليه بالمرصاد ؛ ليقطعه عليه ، كما قال الشيخ محمد البكري :

واعلم أن الشيطان إذا أحسَّ بإقبالك على من عنده وديعتك ، ولديه بغيتك يحشد أجناده ويجلب عليك ليصرفك عما يوجب إتصال نفعه إليك حسداً منه ، وأنفة من أن يصل أحد إلى الحق ويأخذ عنه . انتهى كذا في « عقد اليواقيت الجوهرية » في ٦١ من الجزء الأول . فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

النبي ﷺ ! فلذلك نسبوا إلى الصحبة ، فالصحبة عند الصوفية من جملة الفرائض ، **لأن علم التصوف إنما يكتسب من صحبة المشائخ الكاملين ؛ لا من مطالعة الكتب والأسفار ! ولا من الرياضات في الليل والنهار** . لأن مطالعة الكتب لا تفيد في ذلك العلم إلا الاطّلاع[١] على مناقب العارفين وأحوالهم ومحافظة العبارات وحكايتها ، وأنّ الرياضات من غير صحبة المشائخ وتربيةِ الكاملين لا تورث إلا الوسوسة والجزبرة ، والتلوين والزبزبة ، **فما يجد السالك في صحبة الشيخ الكامل في لحظة واحدة لا يجده في مطالعة ألف كتاب ، ولا رياضات ألف سنة** ، لأن الشيخ الكامل يتصرّف في المريد بصحبةٍ[٢] واحدة ، ويوصله إلى مرتبة المشاهدة التي لا يمكن الوصول إليها بوجه من الوجوه من غير صحبة ، ولا سيّما الصحبة في الطريقة النقشبنديّة[٣] لأن نسبتها العليّة بمجرّد الصحبة ، لأن أبا بكر الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ لما صحب النبيّ ﷺ في غار الهجرة تلقّاها[٤] عنه ﷺ هناك بالصحبة ، فلذلك كانت الصحبة في هذه الطريقة العلية أفيد من جميع طرق الوصول .

قال خواجه بهاء الملة والدين قدس سره العزيز : طريقتنا الصحبة ؛ والخيرُ في الجمعيّة انتهى . سلسلة الخواجكان .

---

(١) وسمعت شيخنا قدس سره يقول : ـ إذا سئل هل يكتب كتاب « تصديق المعارف » أم لا ؟ ـ وصول الأحوال (أي حصولها ووجدانها في النفس خير من الخ) خير من علم الأحوال . وهو كلام نفيس ، غوره بعيد . فجزاه الله عني خيراً ، (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) فكل صحبة عند هؤلاء الطائفة تعدل أربعينا واحداً . انتهى . من « النفائس السانحات » .

(٣) فإن توجههم الواحد يعمل عمل مائة من الأربعين ، و التفاتهم الواحد يساوي رياضة السنين ، كذا قال الإمام الرباني في « المكتوبات » وفيه أيضاً . ورأيت بنظرهم الواحد ما لا يراه الناس في الأربعين ، ووجدت بكلامهم الواحد ما لا يجده الآخرون في السنين ، كذا في « الدررالمكنونات » في ٦٦ من الجزء الثاني (منه رحمه الله تعالى) .

(٤) وروي : « ما صب الله تعالى في صدري شيئاً إلا وصببته في صدر أبي بكر » انتهى .

وفيه : **ثم اعلم** أن العارفين المسلكين قد أجْمعوا على أن المريد الصادق إذا دخل في صحبة الشيخ الكامل بالانقياد والتسليم انطبع باطنه بأنوار باطن الشيخ الكامل في أوّل قدومه فيها ، فلا يعود إلى حالته الأولى ، فَمَنْ دخل في صحبة الشيخ ولم ينطبع باطنه بأنواره ، ولم يحصل فيه حالٌ من أحواله ، ولم تندفع عنه الخواطر الكونيّة ، ولم يتلطف الكثافة العُنْصُريّة ، ولم يعلم أنه من أرباب الحال ، ولم يبلغ مبلغ الرجال ، فليترك صحبته ، لأنّ صحبة الناقص تقطع السالك عن السلوك ، وتؤخّره عن الصعود ، لأن القلوب تأخذ حَظها من الصحبة ؛ سواء كانت صحبة الناقصين أو صحبة الكاملين[1] ، وسواء قصدوا ذلك أو لم يقصدوا ، فلذلك كانت صحبة الأغيار عند الصوفية من المحظورات .

قال مالك بن دينار : صحبة الكلب أحبّ إليَّ من صحبة الرجل السوء ، لأن صحبته تنسي الحق ، ومجالسته تميت القلوب . انتهى .

وقال سيدي الشيخ محمد مظهر روّح الله روحه ونوّر ضريحه : ولا يصحب الأغيار ، وهم الذين لا يعتقدون في مشائخ الطريقة ، خصوصاً مع من يتكلَّم في شيخه ، أو لا يحبّه ، أو يكون الشيخ مُعرضاً عنه ، فإن المجالسة معهم سَمٌّ قاتل ، فليجتنب ذلك أشدّ الاجتناب . انتهى « النفائس السانحات » لمحمد مراد القزاني قدس سره .

وفيه : وأما العزلة عن الناس فليس ذلك بشرط في الطريقة النقشبندية إلاّ عن الأغيار ، فهو[2] من أهمّ المهمّات بإجماع المشائخ انتهى .

---

(١) ومما ينبغي أن يعلم أن الانتفاع من الشيخ إنما يحصل لمن صدق في إرادته ، واستولى على قلبه قوة حبه ؛ وأما من تكون نيته في صحبته والاختلاط به فاسدة غير صادقة ، فيحرم من النفع بصحبته ، ويخيب من بركته ، راجع « عقد اليواقيت » في ٥٨ من الجزء الأول (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

(٢) أي العزلة عن الأغيار انتهى .

وفيه ولا يقال : إن بنآء طريقة هؤلاء الأكابر **على الخلوة في الجلوة لأن تلك الخلوة ليست مع كل أحد بل مع المرشد والإخوان انتهى .**

وفي « الباقيات الصالحات » رشحة قال : إن صحبة أهل هذه النسبة بغير هؤلاء الطائفة الذين غلبت عليهم هذه النسبة ، في بداية حالهم سببٌ لِفُتور عظيم في النسبة ، ولو كانوا من أهل الزهد والتقوى ! وهذا الكلام ليس بإنكار للزهد والتقوى ، فإنهما في غاية الصفاء والنورانية ، ولكن لمّا كان الغالب على أهلهما نسبتهما ، تحصل تلك النسبة في صُحبتهم لأهل نسبة هؤلاء الطائفة أيضاً ، فيبقى خالياً عن نسبة هؤلاء الطائفة ـ التي هي فوق جميع النسب ـ فإنّ الحكم للغالب ، فإن كان حال صحبة أهل الزهد والتقوى كذلك ، فما ظنُّك في تأثير صحبة الأشقيآء والأجانب ! وفيما يحصل منهم من النسب الظلمانية ! انتهى ٢٠٠ .

وفيه في ١٩٠ أيضاً : الصحبة مع الأجانب والأغيار موجبة لفتور النسبة . انتهى .

وفي « النفائس السانحات » في ١٠٦ : إنّ صحبة الأغنيآء وأرباب التنعّم سمٌّ قاتل للطالبين ، ويحصل من صحبتهم سدّ ذي القرنين في مجاري الفيض ، وتنسدل الحجُبُ الظلمانية الكثيفة على وجه القلب . انتهى .

وفي « النصائح الولديّة » للغزالي قدس سره : ويحترز من مجالسة الصاحب السوء ليقصر[١] ولاية[٢] شياطين الجن والإنس من صحْن قلبه . انتهى . وهم[٣] الفسّاق والأشقياء بل مطلق أبناء الدنيا . خادمي ١٠٥ .

---

(١) أي يزول وينعدم « خادمي » .

(٢) يعني تصرف « خادمي » .

(٣) أي شياطين الإنس (منه) .

إذا وقع الصحبة مع موافق الشياطين ومُصاحبيهم ، كانت كنفس الشيطان إذْ الأشخاص الرديّة آلة الشياطين في تأثير أعمالهم في غيرهم ، وإنّ في الأفعال الخارجيّة تأثيراً قوياً في الملكات القلبيّة[١] . انتهى خادمي ١٠٥ .

وأشدّ شيء على المريد معاشرة الأضداد . انتهى « بريقة » ١٨٠ ج ٢ .

مخالطة المنكر تورث قَسْوة القلب . انتهى « متممات » .

تأثّر الجمادات من أعمال الناس وأخلاقهم أمْرٌ مقرر عند أرباب التحقيق .اهى « رشحات » ١٩١ .

وفيه أيضاً : ويبلغ تأثر الجمادات حدًّا وغايةً إن أدّى شخصٌ مثلاً الصلاة التي هي أفضل العبادات في محلٍ تأثّر من قبائح أعمال الفسّاق وأخلاقهم الغير المرضية لا تساوي قيمتها وحالها حال عمل وقيمته كان أدْوَنَ منها رُتْبة لكونه مؤدّى في موضع متأثر من جمعية أرباب الجمعية . انتهى . ١٩١ . فهذه هذه ، وقد أوردناها في هذا الموضع لكي ينتفع بها أرباب السلوك من الإخوان ، جعلنا الله تعالى وإيّاهم من المتفطنين آمين .

علامة معرفة الشيخ الكامل

فائدة : **قال تاج الدين النقشبندي** : ومن يريد أن يعرف الشيخ الكامل بالتحقيق يجلس على مقابلته ، فإن حصل له الجمعية وزال عنه التفرقة أو نقص فهو وليّ ، وإن لم يحصل له التمييز ففي وقت سكون الشيخ يجلس أيضاً مقابله متوجِّهاً إلى الباطن .

فإن نقص من الخواطر والوساوس فوليٌّ مرشد ، وإلاّ ! فيتركه[٢]

(١) بيان الملكات .

(٢) مطلب مهم : علامة معرفة الشيخ الكامل وينبغي أن يعلم أن هذه المعرفة إنما تكون=

فالشيخ هو بقوّة تصرّفه ترتفع الظلمات البشريّة عن المريد ، وتثبت أنوار الجمال الإلهيّ ، فبسببه يحصل طلب الذات الأحديّة ؛ فتحويل القلب عن الأدنى على يد الشيخ وترك الدنيا[1] على يد المريد .

وقيل : الشيخ يحيي ويميت ، انتهى . كذا في شرح الخادمي على النصائح الولدية ٩٩ .

الطريقة الثانية :

الرابطة : وهي طريقة مستقلّة للوصول ، وعبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة ، المتحقّق بالصفات الذاتيّة ، وحفظ صورته في الخيال ولو بِغَيْبَتِهِ ، فرؤيته بمقتضى (الذين إذا رُأوا ذُكر اللهُ) تحصل[2] بها الفائدة كما تحصل من الذكر بموجب (هم جُلساء الله تعالى) ولا يخفى ما ورد من الأحاديث في الحثِّ على الجليس الصالح . والشيخُ كالميزاب ينزل الفيض من بحره المحيط إلى قلب المريد المرابط ، وإن وجد الفتور في الرابطة يحفظ صورة شيخه في خياله بموجب (المرء مع من أحب) ، فبحفظ الصورة يتحقّق ويتّصف المريد بأوصاف الشيخ[3] وأحواله التي فيه . وقيل : الفناء في الشيخ مقدّمَةُ الفنآء في الله ، وإن وجدَ في إحضار الصورة سكراً أو غيبة يترك الالتفات إلى الصورة ، ويكون متوجّهاً إلى ذلك الحال ، كما نقل في

=بالنسبة إلى أرباب المناسبة ، والذي لا مناسبة له فهو محض محروم مطلقاً ، والخفاء إنما هو بالنسبة إلى العوام كالأنعام دون الطالبين ، والخفاء على العوام ساقط عن حيز الاعتبار . راجع « الدرر » ١١٢ . ج ١ وقلّب إلى ما مرّ قبيل الباب الثالث والعشرين تجد فيه عين ما ذكر ، (منه رحمه الله تعالى) .

(١) أي ميل قلبه إلى الدنيا بأن لا يكون قصده من سلوكه طلبها ، فافهم! (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) ونظيره في « عقد اليواقيت » في ٦٠ من الجزء الأول فراجعه (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) ومثله في « عقد اليواقيت » في صحيفة ٦٠ من الجزء الأول (منه رحمه الله تعالى)

مقامات النقشبند قدس سره : إنه كان واحد من الصوفية مشغولاً بطريق الرابطة ، وكان يوماً في مجلسه متوجّهاً إلى الصورة ، فوجد أثر الغيبة وما التفت إليها ؛ فقال خواجه نقشبند قدس سره :خلني وكُنْ متوجِّهاً إلى تلك الغيبة ؛ لأنّ زمان الغيبة عمّا سوى الله تعالى يسمّونه زمان الوصول والشهود في اصطلاح القوم .

وفي « **المعرّبات** » قال الغوث الصمداني قدس سره : ينبغي أن يعلم أنّ سلوك هذه الطريقة العلية مربوط بالرابطة بالشيخ المقتدى به[1] ومحبته الذي قطع هذا الطريق بالسير المرادي ، وانصبغ بقوّة الجذبة بهذه الكمالات ، فنظره شاف للأمراض القلبيّة ، وتوجُّهه رافع للعلل المعنوية ، وصاحب هذه الكمالات إمام الوقت وخليفة الزمان ؛ الأقطاب والبُدَلاء ، بظلال مقاماته قانعون ، والأوتاد والنجبآء بقطرة من بحار كمالاته متسلون ، إرشاده مثل نور الشمس من غير قصد منه على الكل فائض فكيف إذا قصد ؟ فارتِبَاطُنا حُبِيٌّ ، ونسبتنا انعكاسيٌّ وانصباغيٌّ ، لا يتفاوت في القرب والْبُعد ، وإذا كانت الإفادة والاستفادة في هذا الطريق حبّياً وانعكاسيّاً وانصباغيّاً ! فينصبغ المريد في هذا الطريق برابطة المحبة بالشيخ المقتدى به بلَوْنِهِ ، وصبغه ساعة فساعة ، ويتنوَّر بطريق الانعكاس بأنواره ؛ وفي هذه الصورة لا يشترط العلم لا في الإفادة ولا في الاستفادة ، فإنّ البطيخ ينضج بحرارة الشمس

(١) ورأيت في « عقد اليواقيت » ما حاصله : أن المريد يترقى بنظره إلى الشيخ ، « وأما بنظر الشيخ إليه فإنه يوصله إلى أعلى مقام لا يمكن تعبيره ؛ فراجع « عقد اليواقيت » في ٥٩ ج ١ منه رحمه الله تعالى » وتعظيمه وحسن الظن فيه من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم ، وترقيه وانتفاعه بذلك أكثر من ترقيه بمجاهدته وأعماله ، فإذا اجتمعا في المريد كان أجدر في الترقي وأحرى للانتفاع ، وأما الذي يقويه « أي الترقي » فهو أن ينظر المريد فيما يولد اعتقاده وتعظيمه للشيخ من أعماله الصالحة وسيره المرضية ، وبالجملة فلا أنفع للمريد من انطوائه في الشّيخ وكمال حسن الظن والاعتقاد فيه ، والقليل من التوجه والمجاهدة مع ذلك كثير وبالعكس حكم العكس . انتهى . فراجعه في ٦٠ ج ١ ففيه الزيادة النافعة ، (منه رحم الله إفلاسه) .

ساعة فساعة وينطبخ ، وبمرور الأيام يستوي ، وأيّ علم له بذلك ، أو أن الشمس تعرف أنها تنضجه وتطبخه .

نعم ! يشترط العلم بالسلوك ، أي الاستفادة والتسليك ، أي الإفادة الاختياري في سائر الطرق ؛ وأمّا طريقتنا الذي هو طريق الصحابة الكرام عليهم الرضوان فلا يشترط فيه العلم بالسلوك والتسليك أصلاً ؛ ولو كان الشيخ المقتدى به في هذا الطريق متصفاً بتمام العلم ، ومتحقّقاً بكمال المعرفة ، كما في سائر الطرق ، فيستوي في هذا الطريق في إفادتها الأحيآء والأموات ، وفي استفادتها الشيوخ والصبيان ، وقد تقدّم أنّه كما لا يشترط علم الوليّ بنفس ولايته لا يشترط علمه بخوارقه ، فيصلون برابطة المحبة أو بتوجّه الشيخ إلى منتهى المقاصد . وذلك فضل الله يؤتيه منْ يشاء . انتهى .

واعلم أن استحضار الرابطة على أقسام :

الأول : أن يتصوّر المريد صورة شيخه الكامل بين عينيه ، ثم يتوجَّه إلى روحانيّته في تلك الصورة ، ولا يزول عن التوجُّه إليها حتّى يحصل له الغيبة أو أثر الجذبة .

الثاني : أن يتصور صورته بين جَنْبَيْه ، ثم يتوجّه إلى روحانيّته في تلك الصورة كذلك حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذبة ، فبعد حُصُول الأمرين في الوجهين يترك الرابطة ويشتغل بذلك الأمر الحاصل بالغيبة أو بالجذبة ، وكلّما يزول عنه ذلك الحاصل من الرابطة يعود إليها حتى يرجع إليه ذلك الحال ، فهكذا يداوم على الرابطة حتى يفنى عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ ، فعند ذلك يشاهد روحانيّة الشيخ مع كمالاته في صورته ، لأن الكمالات لا تفارق الروحانيّة ، فتربِّيه روحانيّة الشيخ بعد ذلك إلى أن توصله إلى الله تعالى ، فيكون من

الواصلين الكاملين ، فبالرابطة يتربّى المريد من الشيخ ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب[1] .

الثالث : أن يتخيّل صورة شيخه في جبهته ، ويقرّرها وسط الجبهة ، وهو أقوى لدفع المخيلات من القسمين اللذَيْن قبله .

الرابع : أن يستحضر صورة شيخه في وسط قلبه ، وهو أعْون على دفع الخطرات القلبيات .

الخامس : أن يتخيّل الصورة في جبهته ، وينزل بها إلى وسط قلبه ، ويقدّر أن القلب دهليز واسعٌ ، ويقطع الخواطر جملة واحدة ، وهذا القسم أنفع الأقسام التي قبله وأصعبُها .

السادس : أن ينفي نفسه ويُثْبت شيخه ، وهو أقوى لرفع البليّات[2]

---

(١) وقال سيدنا الشيخ علي بن أبي بكر علوي نفع الله به : وينتفع المريدون بشيوخهم وإن غابوا بموت أو غيره إذا كانت الروابط كاملة وأسباب الاستعداد من الجانبين بصدق الودّ وشغف الحب واصلة متواصلة . وقال رضي الله عنه : وقد ينتفع المريدون بالشيوخ وإن لم يعرفوهم ويروهم بل بمجرد قوّة محبة صادقة في الله تعالى معهم وصفو عقيدة بهم وقوّة حسن ظنّ بهم . وقد يكون التعلق بشيخ كامل قد استولى على قلب المريد قوة حبه وصدق ودّه وشغف عشقته ، وكمال صفاء الاعتقاد فيه أقرب في النفع وأعمّ سراية في التفرقة والجمع . انتهى . ومن كتاب « الزهر الباسم شرح الروض السيد حاتم » للسيد الإمام عبد القادر ابن شيخ العيدروس قال : اعلم أن وجود الشيخ من منح الله تعالى على المريد وهداياه حالاً ومآلا يؤيّد به المريد إذا صدق في إرادته وبذل في المناصحة جهد استطاعته ومتى حصلت للمريد من شيخه رشحة نظره ، أسمى الله بها قدره ورفع ذكره ورفع أمره ، وإن أدرك منه دعوة صالحة صارت مطالبه ناجحة ، وتجارته في سوق الآداب رابحة ، وأنفاس العناية إليه غادية رابحة ، وريّا القبول لأعماله فاتحة ، ونسمات تكميل النفس بحسن العمل فيه نافحة . انتهى كذا في « عقد اليواقيت » في ٥٩ من الجزء الأول ، فراجعه منه (منه قدس سره) .

(٢) وكان شيخنا قدس سره يخبرني أبعاضاً من هذه الأقسام ويقول : بأيّ كيفية منها حصلت لك البركة فاستعملها . جزاه الله عنا خير الجزاء آمين (منه رحمه الله تعالى) .

*والرابطة يحصل بها زوال الغفلة ، وجمع القلب على الله ، وذهاب القسوة من القلب ، والخشوع ، ونزول الرحمة ، وكل ذلك يثمر المحبة « الرحمة الهابطة » ٢٣٢ ج ٣ من هامش « الدرر » .

ثم اعلم أن الرابطة إنما تفيد إن كانت مع الإنسان الكامل المتصرِّف بقوة الولاية ، لأن الإنسان الكامل مرآة الحق سبحانه وتعالى ، فمن ينظر إلى روحانيّته بعين البصيرة يشاهد الحق فيها ، فبالرابطة يستفيض الشيوخ عن الصبيان الكاملين ، ويستفيض الأحيآء عن الأموات المتصرِّفين ، لأن الرابطة تدخل المستفيض تحت تصرُّف ولاية روحانية المفيض ، وتتصرَّف فيه الروحانية ، وتفيض عليه من الكمالات الإلهيّة والتجليات الربانيّة ، وتبلغه إلى الحضرات العليّة ، سواء كان المفيض ميْتاً أو حيّاً ، وسواء عرف ذلك أو لم يعرف .

كيفية الرابطة مع الأموات

ثم اعلم أن كيفية الرابطة مع الأموات أن يجرِّد المريد نفسه عن العلائق العنصرية ، ويطلق باطنه عن القيودات الطبيعيّة ، ويعرّي قلبه عن العلوم والنقوش والخواطر الكونيّة ، ثمّ يتصوّر روحانيّة ذلك الميّت نوراً مجرَّداً عن الكيفيات المحسوسة ، ويحفظ ذلك النور في قلبه حتى يحصل فيه فيضٌ من فيوضات ذلك الميّت ، أو حال من أحواله ، لأن روحانية الكاملين منبع الفيوضات ، فمن أدخل المنبعَ في قلبه ينال فيضُه البتّة . وأما إن كانت الرابطة عند قبر ميت ! فلا بدّ أن يسلّم على صاحب ذلك القبر ، ثم يقف في طرف اليمين قريباً من رجله ، ويضع يده اليمنى على اليسرى فوق سرّته ، ويطرق رأسه على صدره ، ثم يقرأ سورة الفاتحة مرة ، وسورة الإخلاص إحدى عشرة مرة ، وآية الكرسي مرة ، ويهبُ ثوابها لذلك الميت ، ثم يجلس عنده ويتوجّه إلى روحانية ذلك الميت في القبر بطريق الاستفاضة كذلك ؛ لقوله ﷺ : « إذا تحيّرْتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور » فمن توجَّه من محلِّه إلى روحانية

* وقال الشعراني ! لاستناده إلى الله لا لذاته الخ ؛ منه ٢٦٧ (منه رحمه الله تعالى) .

النبي ﷺ في قبره الشريف في المدينة المنورّة يستفيض منه ، وكذلك إذا توجَّه أحدٌ من محلِّه إلى روحانية الأوليآء في قبورهم ينتفع بهم .

فالرابطة من غير توجُّه كافية في الاستفاضة ، ثم إذا اجتمعت الرابطة مع التوجُّه فنور على نور ، لكنّ المدار على قوّة الرابطة ، فمن داوم عليها حصل له جميع أحوال الطريق وكمالات الحقيقة ، ومَنْ اختلت رابطته انقطعت استفاضته ، ولم تحصل له أحوال السلوك ، ولم تظهرْ له أسرار الوصول[1] .

مهم

آداب الرابطة

وأما آداب الرابطة: فهي أن يعتقد المريد أنّ كمالات الشيخ لا تفارق روحانيّته ، وأنّ روحانيّته ليست مقيّدة بمكان دون مكان ، **ففي أيّ مكان يتصوره تحضر فيه روحانيته** ، وأن يعتقد أن تصرّف روحانيّة الشيخ من تصرفات الحق سبحانه وتعالى ، وأن يحفظ محبَّة شيخه ، وأن يراعي نسبته في كل حال ، وأن لا يترك الرابطة عند حصول بعض الأحوال قبل أن يتمكّن فيه ذلك الحال ، لأنه إن ترك الرابطة يزول عنه ذلك الحال ، لأنّه من أحوال الشيخ كالعارية عنده ، وأن يداوم على الرابطة في جميع الأوقات ولا يفارقها أصلاً .

ثم اعلم أن المريد إنما يحتاج إلى الرابطة إنْ لم يقدر على الاستفاضة من الله تعالى من غير واسطة ، فإن قدر عليها يجب عليه أن يترك الرابطة ، لأنّ الاشتغال بالرابطة حينئذ اعتبار التنزّل عن الترقي ،

---

(١) وفي « الرسالة القدسية » وإن لم يفعل المريد الرابطة لا يحصل له الفنآء أبداً ، ولا يتجلى له الصفات والشؤون . اهى . راجعه ٧٤ .

* والذكر المخصوص بمحل يرجح على الذكر الذي لم يختص ، وإن كان أفضل ! قياساً على ما قالوه في أذكار الصلاة . « ميزان » (منه رحمه الله تعالى) .

وترجيح مرْتبة الحجاب على مقام الشهود ، وذلك إعراض عن الله تعالى ، ولكن لا يترك محبة الشيخ ولا يترك نسبته ، لأن حفظ المحبة والنسبة يزيد المشاهدة ، ويقرّب إلى مقام الأنس والمحادثة . انتهى « البهجة السنية » ٤٠ .

قال شيخنا ومولانا الحاج عبد الرحمن العسلي ـ قدّس سره ـ : إذا فني السالك في النبي عليه السلام يترك الرابطة . انتهى .

وسمعته رضي الله عنه يحكي عن شيخه قطب الأولياء الحاج جبرائيل أفندي ، وهو عن شيخه قطب الأقطاب محمود أفندي ـ قدس الله أسرارهم ـ أنّه قال : لو رابط إليَّ السالك متوجّهاً إلى المشرق أو المغرب لا يَطيق الشيطان أن يدخل ما بين السالك وما بينهما ، ولو دخل لاحترق . انتهى فهو قول مهمّ فللّه الحمد والمنة .

مهم

فما دام المريد يشهد شيخه ملاحظاً له فهو محفوظ من كلّ آفة ، ومتى غفل عن ذلك جاءته الآفات من كلّ جانب . كذا في « لواقح الأنوار » ، **فالواجب على المريد اعتقاد وصول الفيض الإلهي بواسطة الشيخ المرابَطِ ، لأن المَدارَ على حسن ظنّ المريد**[١] واعتقادِه ، لا على الشيخ . وإذا استمرّ توجّه قلب المريد إلى الله تعالى في كلّ حركة وسكونٍ من غير علّة فبابُ الفتح مفتوح ولابدّ ، وما دام العبد متوجّهاً فالمدد فيّاض على قلب من أريد له الكمال . كذا في « درر الغواص » **فإن ظن المريد بشيخه أنّه يحميه من إبليس بنظره حماه** ، وإن ظن أنّه لا يقدر على حمايته ، فلا يصحّ له حماية ، ولذا يأمر الشيخ مريديه أن

---

(١) وهو مستنبط من الحديث القدسي :« أنا عند ظن عبدي بي » انتهى . فافهم ! (منه رحمه الله تعالى) .

لا يغفلوا عن شهود كونه معهُمْ ؛ ونظيره في « لواقح الأنوار » .

قال العارف عبد العزيز الدباغ ـ رحمه الله تعالى ـ لبعض المريدين ما حاصله : إنّ أكبر الكبائر في حقك أنْ تمرّ عليك ساعة ولا أكون في خاطرك ، فهذه هي المعصية التي تضرّك في دينك ودنياك . انتهى . كذا في « الإبريز » .

وفي « الرسالة القدسية » ما معناه هذا : أن هذه النسبة لا تحصل إلاّ لمَنْ فعل الرابطة بمن فني في الذات ، يعني في ذات الله . انتهى .

وفيه أيضاً : أن إبليس اللعين لا يقدر أن يتصوّر بصورته ، ولا يقرب إليه ، وإن قرب يحترق بنوره . انتهى . راجعه من صفحة ٧٤٤ .

وفيه أيضاً : إذا رأى المريد في الوليّ الكمال يفتح الله له باب التصرّف منه ، ويربِّي روحه بروحه ، سوآء علم المريد أو لم يعلم . انتهى ٦٩ .

وفيه أيضاً في ٧١ : **إذا رأى المريد الكمال في المرشد لا يكون عند المريد مكان خالي من نوره وفيضه** . انتهى .

وقد سمعت شيخنا ـ قدس سره ـ يقول : إنّ الحاج جبرائيل أفندي قال : إنْ رابطتَ الشيخ محمودَ الفعال ـ قدس سره ـ حينَ اجتمعْتَ البناتِ والنسآء ولاقيتَهُنَّ لا تشتهي أنْ تنظُرَ إليهنَّ ، كما لا تشتهي أنْ تنظر إلى السلداة الكافر انتهى ، فلقد جرّبْتُه مراراً بعد ما سمعته يحكي هذا الكلام فوجدتُهُ كما قال . فالحمد لله رب العالمين .

وحكمة ذلك أنّ المريد إذا رابط قلبه بشيخه وتخيّلَ صورتَه بين عينيه يحضر روحانيّة الشيخ عنده أسرع من لمح[1] البَصَر ، فيسْعَى في

---

(١) قال الشيخ خالد في « رسالة الأواب » فحضوره بحضور قلب المريد أسرع من لمح البصر ، راجعه (منه) .

حماية المريد[١] ويتصرّف فيه بما يريد ، ويبعد عنه الشيطان ، فيكون محفوظاً منه ، فإنّ الشيخ الكامل يكون في حضرة الله ، ولا يَدْنُونّ الشيطان إلى مَنْ دخل في تلك الحضرة ، وهو للمريد كالرقيب الحافظ الحاضر ، متى كان لم يخرجه من الخاطر ، واعتقد أنه في حصن حمايته حاصر فافهم! والله أعلم ، وسيأتي الكلام في الرابطة إن شاء الله تعالى ؛

مهمة

يقع السؤال بين الإخوان : إذا كان رجال كثيرون يرابطون روحانية الشيخ في آنٍ واحد في أطرافٍ متفرقة ، فكيف يكون بين أيديهم في تلك الحالة ؟

فنقول : فإن الروحانية نور منبسط ، فجميع المخلوقات فيه كذرّة واحدة تحت الشمس ، فإذا دعاه ألفُ ألف رجل من أطراف الدنيا يحضرهم في لحظة واحدة[٢] . كذا في « مشارق الأنوار » .

وفي « الرسالة القدسية » : يمكن للوليّ أن يعلم[٣] ويتوجّه في ساعة ولحظة إلى أحوال السالكين ، ولو كانوا ألفاً ومأتين [٤] ويجيب لهم في القبر في تلك الساعة . انتهى ٧٢ .

---

(١) أي يتصرف بهمته إلى الله تعالى ، ويكون ذلك سبباً بإذن الله تعالى . فافهم (منه) .

(٢) قال الإمام الأردبيلي في رسالته المكية : فصل : على المريد أن يتيقّن أن روحانية الشيخ غير متحيِّزة بموضع دون موضع ، وكل ما لا يكون متحيِّزا استوت عليه الأمكنة كلها ، ففي أي موضع يكون المريد لا تفارقه روحانية الشيخ ، وإن كانت تفارقه شخصيّتها! والبعد إنما يتعلق بالمريد ، فإذا تذكَّر المريد بقلبه الشيخ قرب إليه ، فتعلق به قلبه ، فاستفاد منه . ونقله صاحب « نور الهداية » وصاحب « الرحمة الهابطة » فراجعهما (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) قوله (أن يعلم) كذا في النسخة التي نقلناه عنه ولعل فيه سقطاً . فتدبره! (منه رحمه الله) .

(٤) وذلك أن الروح تدرك الأشياء جملة في آن واحد . كذا قال الشعراني في « لطائف المنن » فراجعه في ١١٨ ج ١ (منه رحم الله إفلاسه) .

ونقل الشيخ سليمان الزهدي في « تبصرة الفاصلين » من كتاب « نفحات القرب والاتصال » ما خلاصته : أن الأوليآء يظهرون في صورة متعدّدة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم . انتهى ١٢ .

وفيه : أن الروح الكلية تظهر بسبعين ألف صورة في دار الدنيا ، ففي البرزخ من باب أولى ! لأن الروح فيه أقوى وأكثر استقلالاً بسبب المفارقة من البدن . انتهى ١٢ .

الطريقة الثالثة : الالتزام بما لقنه الشيخ من الأذكار ، وهو طريق مستقلّ للوصول . انتهى « البهجة » .

اعلم : أن الذكر المعنعن في الطريقة النقشبندية **نوعان** : اسم الذات ، والنفي والإثبات فإن كان المريد من أهل الجذبة ! فيلقّنه الشيخ اسم الذات ثم النفي والإثبات بحبس النفس ، وإن لم يكن المريد من أهل الجذبة ! فيُلقنه الشيخ بذكر النفي والإثبات بغير حبس النفس ، فيذكر المريد كذلك حتى تحصل له الجذبة ، ثم يلقنه الشيخ اسم الذات ، ثم النفي والإثبات بحبس النفس ؛ هذا مَسْلَكُ أكثر المشائخ النقشبندية .

وأما مسلك بعضٍ منهم فهو أن يلقنوا المريد النفي والإثبات بحبس النفس في أوّل الأمْرِ ، ويسلكونهم بذلك حتى يُوصلوهم به إلى الله تعالى ، وكلاهما طريقة واحدة ، لكن اختلفت وُجُوههما . كذا في « سلسلة الخواجكان » في الباب الأول .

وأما ما اختاره الإمام الرباني آخراً : أن يلقّن اسم الذات من غير فرق بين مريد ومريد . كذا في « تبصرة المرشدين » ؛ وعليه عمل مشائخنا قدس الله أسرارهم العليّة .

وكِلا الذكريْن على التلقينات المذكورات بالقلب لا باللسان كما هو

مذكور في« سلسلة الذهب » و« المتممات » وليس في هذا الطريق ذكر اللسان[١] وكذا الجهر ممنوع فيه . كذا في « الدرر المكنونات » في ١٤ ج ٢ .

اللهمَّ نعم إنّ الشيخ محمود الأنجير فغنوي قدس سره قد عدل إلى الذكر الجهري منذ مرض أستاذه بمقتضى وقت الخلق ، ومصلحة حال الطالبين ، واستمر عليه بعد انتقاله ، فسأله واحد من كبار علماء الظاهر : ماذا ينوي بذكر الجهر ؟ فقال له : إيقاظ النائم ، وتنبيه الغافل ، ليتوجه إلى الله ، ويقبل على الطريقة ، ويخلص التوبة إلى الله . فقال له : إن نيَّتك صحيحة تجيز لك الجهر بالذكر . وطلب منه أيضاً أن يبيِّن له حال من يجوز له ذكر الجهر ليمتاز المُحِقُّ من المبطل ، فقال قدس سره من وجدتم لسانه مُطهَّراً من الكذب والغيبة ، وجوفه منزهاً عن الحرام والشبهة ، وقلبه مزكَّى من الرياء والسمعة ، وسرَّه مبرأاً من التوجه للأغيار فهو المحق ؛ وذكر العلانية مسلّم له .

ومن زمنه قدس سره إلى زمن الشيخ أمير كلال كانوا يجتمعون للذكر بالجهر ، أي : وكانوا إذا انفردوا يذكرون خفية . فلما ظهر الشيخ محمد نقشبند قدس سره اقتصر على الذكر الخفيّ ؛ أخذاً للعزيمة ، واجتناباً عن الرخصة ، وذلك بأمر من روحانية الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدّس سره .

وحين شرع أصحاب الأمير كلال في الذكر الجهري كان قدس سره يخرج ويقوم من بينهم ، وكان الأصحاب يثقل عليهم ذلك . لكن أوصى الأمير كلال في مرض موته لجميع أصحابه ومريديه باتِّباعه فقالوا : إن الخواجه نقشبند لا يذكر بذكر الجهر فكيف نتبعه ؟ فقال : إنّ كل ما أعطاه الله تعالى فيه حكمة فلا تخالفوه . وبعد ذلك تركوا

---

(١) إلى أن يصل المريد إلى المراقبة .

الذكر الجهري ولو بالاجتماع ، واستمروا على ماهو الأصل في هذه الطريقة الصديقية . راجع « الحدائق الوردية » في ١١٩ وفي ١٢٨ و« البهجة السنية » في ٦٢ ، و« رشحات » في ٣٦ وفي ٥٠ ، وفي « الحدائق الوردية » في ١٣٣ .

إنّ الإمام النقشبند قدّس سره قال لحضرة علي الراميتني : طريقان في الذكر ، سرٌّ وجهر ، فاخترت منهما السرَّ لأنّه أقوى . انتهى .

فليتدبّره المخالفون لهذه الأصول والأوضاع ؛ القائلون بأنه لا يجوز تلقين الذكر الخفيّ لأهل الداغستان ، بل هو حرام لمن له نفس أمارةٌ مع أنه عكس النقل وخلاف العقل ، فإنّ من كانت له نفسٌ أمارة منغمسٌ في الحظوظات ، ومُتزيِّنٌ بالمراآت ، ولا قصد له سوى الرؤية والسمعة ، فإذا أخذ هذا الشخصُ الذكر الجهريّ ممّنْ يزعم أنّه شيخ ، ولقّن له ذلك الذكر[1] وحثه عليه ، فلا شكَّ أنّه لم ينصحه ، بل ألقاه في قَعْرِ المهلكة ، وزاده مرضاً على مرض ، فصار غَشَّاشاً لذلك المريد ، مع أنّ ماهيّة الشيخ أنّه العارف بالطب الروحاني ، الذي هو العلم بكمالات القلوب وأمراضِها وأدْويتها وكيفية صحّتها واعتدالها ، القادر على الإرشاد ، ومع أنّ مراد جميع الداعين إلى الله تعالى من تسليكهم الناس في الطريقة أن يحملوهم إلى مقام الإخلاص لا غير ، هذا .

مهمة : ينبغي أن يعلم أن العلة في تفضيل الذكر الخفيّ عند مَنْ يَقول به : هي خلوصه عن الرياء والسُمْعَة . وفي تفضيل الذكر الجهريّ عند من يقول به : أنّه من الأعمال المتعدّية[2] فالحقُّ الذي ظهر من

---

(١) أي : الذي ليس له نور ، كعدم كون ملقنه شيخاً مأذوناً . فافهم (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) وأنه يدفع به الكسل والفتور ، ويذهب النوم والسنة من أرباب القصور ، كما هو مذكور في كتبهم (منه رحمه الله تعالى) .

كلام الأكابر ، أنّ الذكر الجهريّ يفضل لو صدر ممّن يذكر لمجرّد وجه الله تعالى ؛ غير مشوب بشوائب الأغراض والأعواض والحظوظات النَفسَانيّة ، فان منفعَته حينئذ تتعدّى ، ولو صدر ممّن سُدَاهُ ولحْمَتُه أنانيّة ، وقصْدُه وغرضه[١] شهرةٌ وسُمْعةٌ ، وهو مقيّد في سِجْن نفسه الأمارة بالسوء ! فلا ثواب فيه أصلاً ، فكيف يفضل على الذكر الخفيّ ؟ ولا تتعدّى منفعته ، لأنّ الانتفاع والتأثير للغير بحسب الذاكر[٢] فلو صدر من مخلص ينفع بسماعه غيره ويتأثّر ، وإلاّ فلا ! بل يكون الذكر والسماع كالضرب على الحديد ، فافهمه فإنه نفيس . فحاصل ما مرّ أن السالك لا يخلص لله سبحانه في العبادة[٣] إلا إذا وصل إلى مقام يشهد فيه **أن لا فاعل ولامحرك إلا الله** . فالذكر الجهريّ لمن لم يصل إلى ذلك المقام مشوب بالحظوظات . وفي ذلك قال العالم العارف[٤] الشيخ صهيب الشالي النقشبندي في منظوماته :

ومن عجيب ما بَدا في العَـالـم	مـا يـفتريه جَـاهل كـعالم
بمنعه الـذكرَ الخفـيَّ شرعـاً	يـفضِّل الجَـهْرَ عـليه قـطـعاً
مُغمِّضاً عينَيْـه عـن تفـصيل	حـكاه فـي ذاك ذُوا التحصيل
وذاك أن الـسرّ والإخـفـاء	عـند الأذى أو خـوفه الـرياء
والجـهـرُ بهْ ورفـعُ صَوْته إذا	لـم يخَفِ الريـاءَ وانتفَى الأذَى
وعـدمُ الخـوف مِنَ الرياءِ	مـا نالـهُ الذاكِـرُ بِـادِّعَآءِ
وإنـما يَـسْعد بِـالـزَوَال	مـن بلـغ التوحيدَ في الأفعال

---

(١) بذلك الذكر (منه) .

(٢) أي بحسب ما عليه حال السالك من الإخلاص والرياء فافهم .

(٣) بالتمام (منه رحمه الله تعالى) .

(٤) فلو تتبعت وتفحصت وجدت النقول والمآخذ لجميع ما قاله هذا العالم بتمامها في الكتاب (منه رحمه الله تعالى) .

ولا يكـــون ذا لـــغير سـالكٍ　　عـــلى يـــد الـــشيخ الوَفيِّ نَاسِكٍ

وصـدقُهُ بِفَقْدِ غَـضْبِ ضَـاربٍ[١]　　وســـارق لـــماله وناهـــــبٍ

وأن يـــرى ذلِـــكَ مـــثل آلَةٍ　　كـــالسَيْفِ والسَـوْطِ بكَشْفِ حَالةٍ

وذا غـــدَا[٢] فـــي دارنا عـــزيزا　　وإن يـك الـــقولُ بـــه غَرِيزاً[٣]

ونفْيُ أجـرِ غـــير مُسْمِـعِ النَفَسْ　　وهـــو الذِي اغترّ به أهْل اللبس

فـــفي الذي بـــلَفْـظِـه تُـعُبِّداً　　مـــن كـــلّ ذكرٍ خُصِّصاً وقُيِّدا

مُـــقيَّدٌ بنـفي أجـــر اللـــفظِ　　مـــؤيَّد بِـجَـزْلِ أجْـــرِ اللَحْظِ

وَمَا علـــى تاركِ فَـرْدِ الجَهْرِ　　بأخْـــذِ سَـــبْعِينَ بِـــذِكْرِ السِرِّ

هذا الّذي ذكـرتُهُ فـــي المَسْألَة　　أقـــوالُ أهْـــلِ الفقه فيها مُجْمَلَةْ

أما الشيُـوخ كـــان مِنْهُمْ دَأْباً　　تَلْقِـينُهُـــمْ ذكـــراً خـــفِياً قَلْباً

لكـــل عَاصٍ تَائِبٍ مِـــن العَوَام　　من غَيْرِ تحريك اللسان في الدوام

عن خضر الـــنبيّ أصْله بَدَى　　لهـــم أئمّـــة الهدى به اقْتَدَى

فَإنْ بـــسرٍّ بالفنـــاء كُـمِّلا　　قالـــوا لـــه ذكر اللسانِ قَبْلُ[٤] لاَ

ومـــن هُنَا عَلِـمْتَ أن الضُعَفَاء　　يُـــخْفُـــون وَالْـجَهْرُ بِه للأقويَاءْ

وإن أهْـــلَ دارِنـــا جـــميعاً　　مـــن ضـــعَفَاءِ الناس كن سميعاً

يَلْزَمُـــهم فـــي جَـهْرِهم ريَاءُ　　فـــواجـــبٌ علـــيهمُ الإخْفآءُ

---

(١) راجع « المنن » و« الإبريز » و« هداية البدية » (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) أي صار .

(٣) أي كثيرا .

(٤) يعني والله أعلم ، إن كمل على يد شيخ باتيان الذكر السريّ حتى يحصل له الفناء ويتشرف بوصوله إلى مقام لا فاعل ولا محرك إلا الله قالوا ذكر اللسان له أولى ، لا مطلقاً ، كذا قال العالم أصحابْ علي القحي .

فقَــائِلٌ بعكــس هذا مُنْعَكس	مُــنَــابِذٌ للشرع تابــعُ النـفس
مــخــالِفٌ للعــلمــاء القَـادةِ	ومُـــنْكِـــرٌ عـــلى الشيوخ السَادَةِ
ورَاكِـــبٌ بالجَـــهْل مَتْنَ عَمْيَاء	وخابــطٌ[1] بـــالوَهْم خَبْطَ[2] عَشْوَاء
فقـــوْلُهُ وَالفِـعْلُ في اختِلالٍ	وحَـــالُهُ خَـلَتْ عَـــنِ اعْـــتـدالِ
فـــلا اعْـتِـدَادَ بِهْ فإنّهُ الْتَوَى	عـــن الـيَقِينِ مَالَ واقْتَـفَى الهَوَى
وإن يَــكُــنْ عــند العَوَام بحراً	غَــدَا لـــدى الخـواصِ وغْداً غَمْراً
فإن بَدَى لــه دليلٌ ذو ثبُوت	ولـــو وَهَى كمثل بيت العَنْكَبُوت
فَلْيكْتُبَنْ إلى أئــمّـة الهُـدَى	لِيَنْظـروا هَــلْ ذا هُدًى أم الرَدَى
وإن خَـلاَ عن الهُدى ولَنْ يَرَى	فـــلا يَغُرَّنَّ العَـــوَامَ فـي الـقُرَى
وَلْيَسْكُتَنْ عن ذِكْرِ عِلْمٍ كَالْحِمَــار	وليَشْتغِـــلْ عَـــنْهُ بلـــعبة القِمَار
من عُلَمَــاءِ الجَـبَلِ المَشْـــهُورِ[3]	وَالنظـــم مـــن حسان ذِي القُصُورِ
زَجْــراً لـــكُلِّ مُـنْكـرِ السدَادِ	وَتُــحْفَـــةً لِطَـــالـــب الرَشَادِ

انتهى .

قال الشيخ محمد مراد في « النفائس السانحات في تذييل الباقيات الصالحات » فذكر اسم الذات هو الاشتغال بذكر لفظة الجلالة الله من اللطائف السبعة على الترتيب المعهود عندهم ،

فأوّلها : لطيفة القلب ؛ وهي لطيفة ربّانية مودعة في الجانب الأيسر ؛ مائلة إلى تحت الثدي والجنب بفاصلة إصبعين ، ونسبتها

---

(١) أي على ظهر الناقة العمياء .

(٢) أي كما يخبط الناقة التي لا تبصر بالليل كذا فسّره أصحابْ علي القحيّ .

(٣) أي بالعلم والصواب .

إلى القلب الجسمانيّ الصنوبري الشكل الموجود في جميع الحيوانات نسبة الصبيّ إلى المَهْد ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان عند الأكثر ، **وتسمّى حقيقة جامعة** ، وتسمّيها الحكماء بالنفس الناطقة ، ويسميها بعضهم لطيفة إنسانيّة .

وكيفيّة الاشتغال بالذكر منها : أن يخلي القلب عن الخواطر وحديث النفس ، بل عن جميع ما سوى[1] الله تعالى بقدر الإمكان بعد تقديم الرابطة ، ويقول بلسان الخيال من هذا المحلّ (الله الله) ملاحظاً[2] مفهومه بأنّه ذات موصوفة بجميع صفات الكمال ، ومنزّهة عن سمة النقصان والزوال ، كما آمنّا به وصدّقناه ، من غير أن يتصوّر صورة قلبه ، وبلا حبس نَفَسه ، بل يترك نَفَسَهُ على حاله ، ولا يلاحظ صفة من صفاته سبحانه وتعالى لئلا ينزل عن ذروة الذات إلى واد الصفات ، فإنّ مطمح نظر هذه الطائفة العلية هو أحديّة الذات دون الأسمآء والصفات ، بخلاف سائر الطرق .

ولا يحرّك رأسه وسائر أعضائه باختياره ، **ولا بدّ من توجّه السالك إلى قلبه بكليّته ، وبقلبه إلى الله تعالى في جميع أنواع الذكر ، فإن حصول النسبة بدون هذين الأمرين محالٌ** ، ويقال لهذا : **الوقوف**

---

(١) ويشخص قبالة قلبه صورة الشيخ انتهى . « المناقب الأحمدية » ١٩٤ .

(٢) قال الشيخ أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » : واعلم أن أوّل صيغ الذكر لفظة (الله) عند النقشبنديّة مع ملاحظة المعنى وقول (لا إله إلا الله) عند الشاذليّة ، وهما والاستغفار والصلاة عند سائر الطرق بحضور تام وأدب . ومعنى لفظة الله ؛ أي : الله مقصودي أو مطلوبي أو محبوبي أو يا الله أنت مقصودي أو الله لا شريك له أو الله هو مقصودي أو هو موجود أو معبود أو أنت الله لا غيره أو لا غيرك . والأصح عند النقشبندية لا تركيب له بل يقول الله ويلاحظ بَحْت الذات بلا تركيب ولا معناه ، ومآله ليس كمثله شيء وهو السميع العليم كذا في « جامع الاصول » في ١٦ فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .
وقال الرملي في « الفتاوى » : بأنه لا يسمّى ذكرًا عرفًا لعدم إفادته ، لكنه يثاب لقصد الذكر . فراجعه في ٣٥٧ من هامش « الفتاوي الكبرى » لابن حجر من الجلد الرابع (منه خطه) .

القلبي . ويداوم على الذكر على هذا الوجه إلى أن تجري لطيفة قلبه بالذكر ؛ بمعنى[1] إنه متى توجّه إلى قلبه تجده ناطقاً بالذكر وحاضراً بالله ، لا أنه تحصل له الحركة ! فأن ذلك ليس بلازم ولا مستحيل[2] الحصول .

والعمدة في كل الأذكار هي الوقوف القلبي ، وتعيين **العدد** ليس بشرط[3] ؛ فإنّ ذلك لم يرد عن المتقدّمين ، بل اللازم استغراق الأوقات بالذكر ، والمداومة عليه آناء الليل والنهار ، **ولكن لما رأى مشائخنا المتأخرون تقاعد الهمم وتكاسل المريدين عن المداومة تداركوا ذلك بتعيين العدد** ، واختلفوا في مقداره ، فمنهم من كلّف بالكثير من غير فرق بين مستعدّ وغيره ، ومنهم مَنْ تمسّك بقول النبيّ ﷺ على ما في

---

(١) معنى جريان الذكر من القلب : وقال محمد مظهر المدني قدس سره في هامش « المناقب الأحمدية » في ١٩٥ : ليس المراد من جريان القلب يعني من قوله في المتن : ويواظب على الذكر في جميع الأوقات حتى يجرى القلب بالذكر حركته واهتزازه ، وإنما هو توجه القلب وحضوره سواء كانت الحركة أم لا . فراجعه (منه) .

(٢) وفي « البهجة السنية » قال الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتبه إن أريد من الذكر تحركه بالذكر فدوامه ليس بشرط لا في حالة الفناء ولا في غيرها ، والذي يطلب دوامه هو الحضور القلبيّ والتوجه إلى جناب الحقّ جلّ ذكره ، وجد التحرك أو لم يوجد . انتهى . راجعه .

(٣) ولو توغل القلب في ملاحظة الذات القدسية واستغرق في تلك الحالة المرضية ولم يذكر الاسم الشريف لاستغرافه فيها واستهلاكه لكفى ، فهو أحسن وأقوى ، وهو حال الأقوياء لا المبتدئ . ولو حصل لقلبه فتور وقبض أو غفلة أو خطرة لغلبة الانقباض فليغتسل بالماء البارد ، فإن لم يقدر فبالحارّ . ثم ليستغفر الله من كل غفلة وخطرة ومن ترك الأدب مع ربه أو مرشده ومن سائر زلاته خمساً وعشرين ، ويصلي ركعتين صلاة التوبة أو يقول : سبحان الله الملك الخلاق الفعّال إن يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز . وقيل : من المعالجة استماع أصوات الرياح والمياه الجاريات ، وقيل الصعود على الجبال الراسيات ، وقيل : البكاء والانكسار لان الذكر سبب الوصل والمحبوبية فلا يسلب إلا ممّن أراد الله تعالى به المقت والشقاوة والغضب ، فإذا حصل له الانكسار يعود حاله قال تعالى « أنا عند المنكسرة قلوبهم » . وقيل يقول : « إذا أردت مني ذلك فهو عين مرادي » كذا في « جامع الأصول » للشيخ أحمد ضياء الدين فراجعه في ١٨ ومثله في « الرسالة الخالدية » . (منه قدس سره) .

البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ لن ينجي أحداً منكم عملُه ؛ سدِّدوا وقاربوا واغْدُوا وروّحوا ؛ وشيء من الدلجة[(١)]والقصد القصد[(٢)] تبلغوا »[(٣)].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال : « سدّدُوا[(٤)]وقاربوا ، واعلموا أن لن يُدْخل أحدَكم عملُه الجنةَ ، وإن أحب الأعمال إلى الله أدوَمُها ، وإن قلَّ » .

وعنها أيضاً : « سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أحبّ إلى الله ؟ قال : « أدومها وإن قلّ » . وقال : « كلّفوا من الأعمال ما تطيقون » .

وعنها أيضاً عن النبي ﷺ « سدّدوا وأبشروا » وهذا اختيار مشائخنا قدس الله أسرارهم ، فإنهم كانوا يعاملون مع كل واحد من الطالبين على حَسَب استعدادهم ، كما مرّ في تراجمهم ، ولكن لا ينبغي أن ينقص من خمسة آلاف في الملوين من كل لطيفة . وينبغي أن يزيد شيئأ فشيأ بالتدريج وذلك مع مصاحبة حضور القلب ، وبدونها لا فائدة للذكر

---

(١) بالضم والفتح السير من أول الليل راجع « البريقة » .

(٢) من الاقتصاد التوسط نصب على الإغراء بفعل واجب الحذف نحو الزموا « بريقة » ١٨٠ ج ١ .

(٣) والمعنى على ما نقل عن « شرح المصابيح » اعملوا آناء الليل وأطراف النهار ، واستريحوا في سائر الأوقات ـ « بريقة » ١٨٠ راجعه ـ قائماً وقاعداً ومضطجعاً ، ومحدثاً وجنباً وحائضاً . قال الله تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ .
وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه » رواه مسلم .
وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « لو أن أحدكم إذا أتى أهله فقال : بسم الله ، اللهم جنّبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا ، فقضي بينهما ولد لم يضره » متفق عليه .
كذا في « رياض الصالحين » للإمام النووي رضي الله عنه ورزقنا بركته آمين . فراجعه في ٢٨٨ (منه ؛ رحم الله إفلاسه آمين) .

(٤) أي : قوِّموا ، من سدده تسديدا ، وقيل : من السداد في الأمر ، وهو الصواب . من غير إفراط وتفريط أي : توسطوا في الأمور بلا زيادة ولا نقصان « بريقة » .

معتدّ بها غير ثواب الآخرة ، وهو نصيب الأبرار ، ونَظر هذه الطائفة ليس في غير الحق سبحانه ورضائه ، ورجاء الثواب عندهم يُعدّ من الذنوب ، ولهذا قيل : حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين .

وينبغي أن يقول بعد مائة أو مائتي مرة من كل ذكر بلسان الخيال بغاية التضرع والانكسار والاستحياء والانفعال : **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي أعطني محبّتك ومعرفتك**[1] ولينظر هل هو صادق في هذا الكلام أم لا ، وليجتهد أن يكون متّصفاً بمفهومه في الواقع ، ويتضرّع إلى الله تعالى دائماً ، ولايفارق التضرع أبداً ، وليكن وقت اشتغاله بالذكر فارغ البال من جميع الأشغال والتفرقة والأهوال ؛ خصوصاً في حضور المرشد ،

بيان اللطائف

فإذا حصل للقلب نسبة الحضور مع الله وجرى بالذكر على ما مرّ فليشتغل[2] من لطيفة الروح على هذا المنوال بأمر شيخه وتلقينه ، ولا يسأل ذلك من شيخه ! بل ينتظر أمرَه ، فإنه أعلم بحاله . وهي لطيفة مودعة في الجانب الأيمن ؛ مائلة إلى تحت الثدي والجنب

---

(١) عن حذيفة وأبي ذر ـ رضي الله عنهما ـ قالا : كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال : باسمك اللهم أحيا وأموت ؛ وإذا استيقظ قال : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » رواه البخاري . « رياض الصالحين » ٢٨٨ .

(٢) وقال محمد ذاكر ـ قدس سره ـ في « تبصرة المرشدين » : ثم إذا تحرك قلب المريد بالذكر ، وصار وصفاً لازماً ولا يقدر هو على إسكانه ، يلقن الشيخ بهذا الذكر « أى ذكر اسم الذات » على لطيفة الروح . انتهى . وجعل ـ قدس سره ـ نتيجة سائر اللطائف صيرورتها كالقلب اهى . فراجعه . (منه رحمه الله إفلاسه) . ولكن كان شيخنا ـ قدس سره ـ يقول : إن الحاج جبرائيل ـ قدس سره ـ كان يقول : اترك الذكر على القلب ولا تنقله إلى الروح إلى أن ينعكس إليك الحرارة الشديدة بحيث لا تطيق أن تحملها من قلب المريد وقت التوجه . انتهى فافهم (منه رحمه الله تعالى) .

بفاصلة إصبعين ؛ وهي في مقابلة لطيفة القلب ، ثم بعد إتمام أمرها يشتغل من لطيفة (السرّ) على المنوال السابق بأمر شيخه ، وهي لطيفة مودعة في جنب الثدي[1] الأيسر ؛ مائلة منه إلى وسط الصدر بفاصلة إصبعين ، ثم يشتغل من لطيفة (الخفي) وهي لطيفة مودعة في حنب الثدي الأيمن مائلة منه إلى وسط الصدر بفاصلة إصبعين ، ثمّ من لطيفة (الأخفى) ، وهى لطيفة مودعة في وسط الصدْر ، ثمّ من لطيفة (النفس) ، وهي لطيفة مودعة في وسط الجبهة ، ثم من لطيفة القالب ، ومحلّها تمام البدن ، حتى يجري الذكر من كلّ منبت شعرة ويقال له : **سلطان الأذكار** .

ثم اعلم أنّ خمسة من هذه اللطائف السبعة عند هذه الطائفة من عالم الأمر أعني : لطيفة القلب والروح والسرّ والخفي والأخفى ، والباقية ، أعني : النفس والقالب الذي هو مشتمل على لطائف العناصر الأربعة من عالم الخلق ، وقد مرّ معنى عالم الأمر والخلق في « الرشحات » فراجعها[2] .

مهم

ولكلّ لطيفة من لطائف عالم الأمرِ أصْلٌ فوق العرش مُتعلّق باللامكان . وحصل لتلك اللطائف نسيان وذهول عن أصولها بسبب العلائق الجسمانية ، والعلائق الدنياويّة ، والحظوظات النفسانيّة ، فاحْتِيجَ[3] لتذكير أصُولها إلى شيخ كامل مُكمّل ، وذكر كثير حتى يحصل لها مَيْلٌ إلى أصُولها ، وتنجذب بالجذبات الإلهيّة فتصل إلى

(١) أي من فوقه .
(٢) عالم الأمر : ما وجد الحق بغير سبب ، ويطلق بإزاء الملكوت .
عالم الخلق : ما وجد عن السبب ، ويطلق بإزاء عالم الشهادة ، كذا في « اصطلاحات الصوفية » ، فراجعه من آخره . (منه رحمه الله تعالى) .
(٣) وهكذا في « الأنهار الأربعة » و« المناقب الأحمدية » . (منه) .

أصولها ، ثم وثم إلى أن تصل إلى الذات البحت من غير احتجاب بالصفات والشؤونات ، ويقال له : التجليات الذاتية ، فيحصل لها الفناء الأتمُّ ، والبقاء الأكمل ، وأما قبل وصولها إلى أصولها ! لا تحصل لها الفناء .

مطلب : أصل (القلب)

فأصل (القلب) : الأفعال الإلهيّة فيكون فناؤه في التجلي الأفعالي ، وعلامة فنائه اختفاء أفعال السالك وأفعال جميع المخلوقات عن نظره ، وعدم رؤيته غير فعل فاعلٍ حقيقيّ ، ويقال للولاية « القلبية » ولاية آدم عليه السلام ، ويقال للسالك الواصل من هذه الولاية آدميّ المشرب .

مطلب : أصل (الروح)

وأصل (الروح) : الصفات الثبوتيّة ، ففناؤه في التجلي الصفاتيّ الثبوتية ، وعلامة هذا التجلي اختفاء صفات السالك وصفات جميع الممكنات عن نظره ورُؤْيته إيّاها مسلوبة عن الممكنات ومنسوبة إلى الحق سبحانه ، ويقال لولاية « الروح » : ولاية نوح ، وولاية إبراهيم عليهما السلام ، ويقال للسالك الداخل من تلك الولاية : إبراهيميّ المشرب .

وأصل (السر) : الشؤونات الذاتية ، ففناؤه في التجلي الشؤونيّ الذاتية وعلامته : وجدان السالك ذاته مستهلكاً في ذاته تعالى ، ويقال لولاية (السرِّ) : ولاية مُوسى عليه السلام ، وللسالك الواصل منها موسوي المشرب .

وأصل (الخفيِّ) : الصفات السلبية ، ففناؤه في التجلّي الصفاتي السلبيّة ، وعلامته مشاهدة السالك تفرُّده تعالى وتجرُّده عن جميع العالم وما يُناسبه ، ويقال لولاية (الخفي) : ولاية عيسى عليه السلام ، وللسالك الواصل منها : عيسوي المشرب .

وأصل (الأخفى) : الشأن الجامع ، ففناؤه في التجلي الشأني الجامع ، وعلامته : حصول التخلّق بأخلاق الله تعالى للسالك ؛ ويقال لولاية (الأخفى) : الولاية المحمديّة ، وللسالك الواصل منها : محمّدي المشرب . فاحفظ ذلك فإنّه كثيراً ما يقع في كلام هذه الطائفة : الولاية الآدمية ، والولاية الإبراهيمية وغيرها ، فمَنْ لم يعرف هذا لم يعرف ذلك !

وربّما يُراقبونَ بملاحَظة أصول هذه اللطائف ، بأن يجعل قلبه في مُقابلة قلب نبيّنا محمّد ﷺ ، ثم يعرض على الحق سبحانه بالخيال أنْ أفِضْ عليَّ من فيض التجلّي الأفعالي الذي وَصَل من قلب سيّدنا محمّدﷺ إلى قلب آدم عليه السلام ، ويقول : في الروح أفِضْ عليّ من فيض التجليات الصفاتية الثبوتية الذي وصل من روح نبيّنا ﷺ إلى روح سيدنا نوح وسيّدنا إبراهيم عليهما السلام ، جاعلاً روحه في مُقابلة روح سيّدنا محمّد ﷺ ؛ وهكذا في البواقي ، ويجعل في تلك المراقبة لطائف المشائخ[1] كالمنظرة ؛ ولِكلٍّ لطيفة من لطائف عالم الأمر نور على حدة ربّما يظهر في أثناء السلوك لمن له كشف ؛ فنور (القلب) أصْفر ، والروح أحمر ، والسر أبيض ، والخفي أسود ، والأخفى أخضر ، ونور النفس بعد التزكية يظهر بلا كيف ولا لون ، وأصل كل لطيفة من لطائف عالم الخلق أصل لطيفة من لطائف عالم الأمْرِ ؛ فأصل النفس أصل القلب ، وأصل الهواء أصل الروح ، وأصل الماء أصل السرّ ، وأصل النار أصل الخفي ، وأصل التراب أصل الأخفى . انتهى كلام « النفائس السانحات » ٢٠٩ فراجعه في هامش « الرشحات » .

وقال الشيخ محمد ذاكر في « تبصرة المرشدين » : في ٢٥ : ولا

---

(١) الذين هم وسائط فيض النبي ﷺ . كذا في هامش « المناقب الأحمدية » في ١٩٥ ؛ (منه ، رحمه الله تعالى) .

يترك ذكر القلب عند ذكر الروح ولا يتركُهما عند ذكر السرّ ، ثم وثم ، يعني يجمع المريد ذكر اللطيفة السابقة مع ذكر اللطيفة اللاحقة ، على أنه يتمّ أوّلاً عدد ذكر القلب ، ثم يشرع في ذكر الروح ويتم عدده ، ثم يشرع في ذكر السِرّ ويتم عدده أيضاً ، ثم الخفي كذلك ، ثم في الأخفى ، ثم في النفس كذلك ، فصار المجموع ثلثين ألفاً ، ثم إذا كمل الذكر المذكور بلطيفة الجسد على عدد يختاره المرشد على وفق حال المريد فحينئذ يترك ذكر اللطائف ، لأنّه حينئذ تتّحد اللطائف ، وعند ذكر الجسد يتحقق ذكر اللطائف جميعاً ، فيذكر بجميع الجسد مع الوقوف القلبيّ ، فإذا أثَّر الذكر في الجسد كله يجري الذكر في جميع الجسد الكثيف ، فيكون كالقلب يتحرّك بالذكر من أسفله إلى أعلاه حتى يصير كلّ جزء من أجزاء البدن وكلّ شعرة من شعَراته ذاكِراً مثل القلب ، ويسمّى هذا بسلطان الذكر . ثم لا يخفى عليك أيها الأخ المنصف أنّ الوقوف القلبيّ بمعنى مُلاحَظة الواحد تعالى لازم في جميع ذكر اللطائف ، بل في جميع الأزمان والأماكن والأحوال ، حتى في الحمّام ووقت القربان ، وحتّى في الكنيف وفي الخلوة والجلوة ، ولكن عند الناس بفتح العين سَتْراً للحال مع عدم خلوّ البال وهذا المعنى يحصل أوّلاً بالتكلّف من الظاهر ، وبدون هذا المعنى الذكر قليل الجَدْوَى ، بل لا يُوصِلُ إلى مَقْصُودٍ وهو غلبة المذكور واستيلاؤه ؛ وهي الذكر الحقيقي والمقصُودُ الأصلي المعبّر عنها تارة بالفناء ، وتارة بالعُبُوديّة ، إلى غير ذلك من العبارات كما هو المذكور في كتب القوم .

مهم

ثمّ اعلم أنّ الذكر كما ينتقل بنقل الشيخ ! كذلك ينتقل بقوّة الذكر ، وهو الأفضل والأكمل ، فإذا كان في الشيخ قوّة التصرّف ! وكان المريد قابلاً وواردًا على محبة الشيخ المقتدى ! يحصل سلطان الذكر

بأبلغ الوجوه في أوّل التوجُّه كما علم هذا في بعض مشائخ الزمان ؛ والشيخ إذا كان ذا بصيرة واطّلاع على حال المريد ! فهو ينظر إلى حال المريد ، ويعمل على وفق حاله ، فيأمر بالذكر في جميع اللطائف ، ويأمره أيضاً بالنفي والإثبات في أسرع وقت ، حتى بالمراقبة بعضاً ، بل جميعاً في زمان قليل ، فيصدق مَنْ هو من أهالي البصيرة ، وينكر من هو أعمى ليس على البصيرة ، وفي التنْزيل ﴿ **فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ** ﴾ .

وأمّا إذا لم يكن الشيخ ذا علم وبصيرةٍ ! غير مطّلع على حال المريد – وهو لا ينافي كمال الشيخ وإكمالِه وإرشاده ، لأنّ الإرشاد عند الطريقة النقشبندية بطريق الانعكاس ، كما صرّح به إمامنا الإمام الرباني في مكتوباته[1] في مواضع عديدة – لم يستعجل في نقل الذكر والمراقبة إلى ما فوقه فيخلُّ قابلية المريد ، فيحرم الوُصُول أو يتأخّر ، فيلزم لهذا الشيخ حضانة الطالب في الذكر ، أو في المراقبة ، أو في المقام ؛ مقدار سنة أو ستة أشهر بقابلية الطالب واجتهاده ، إِنْ آثر أمر السلوك على سائر الأمور ، وإِنْ آثر أمور الدُنْيَا على السلوك ! فكلُّ ذكر وكل مقام هو فيه يكفيه ، مع أنّه يخاف عليه أن لا يحفظه بحق الحفظ ، فلا حاجة إلى الزيادة . والانتساب إلى النسبة العلية إن حَفِظَهُ يكفيه فقط ، كما قال شيخنا[2] في بعض رسالته إلى هذا الفقير . انتهى .

وقال شيخنا قطب الأقطاب محمود أفندي قدّس سره في بعض مكاتيبه : وأمّا كمال اللطائف في الذكر وفي مقام المراقبة وغيرها ليس على نهج واحد ، بل يختلف بمخالفة الطبائع والقابلية ، وفي معرفة كماله يحتاج الشيخ إلى الصفاء التام حتى يكون كالمرآة ، ثم يتوجَّه

(١) راجع « الدرر المكنونات » في ٢٥٣ من الجلد الأول تجد فيه البسط (منه رحمه الله إفلاسه آمين) .
(٢) أي محمود أفندي .

إلى الطالب بتمام قواته ولطائفه ومقامه لا بقصد الإفادة بل بمطلق المقابلة ، كمقابلة المرآة لمن قابلها ، حتى يجري ويسري حرارة الفيض في الطرفين ، التي يذوقها ويحسُّها القوة الماسّة ، ثم يلاحظ في نفسه ، فكلّما يظهر فيه يظهر بالعكس ! من أحوال الطالب القابل ، إذ لا حركة فيه من أنواع الأحوال ، بل هو على قرار وسكينة تامة كالغفلة المحضة ، لأنّه وجد ووجد أنه وجد ثم فقد ، وفقدَ أنه فَقَد ، وصار كالماء المتجمد لا يضطرب ولا يتحرك ، هذا هو رتبة أهل النهاية .

وأمّا صاحب الحركة من المتوسطين ليس كذلك ! لأنّه لا يخلو عن التردّد والاضطراب ، بل هو كالنار المحرقة يلزمه الدِقة بالتفتيش في أحوال الطالب ظاهراً وباطناً من الأخلاق والأعمال والأفعال والواقعات ، والمقارنة والمجانسة ، سراً وعلانية ، لأنّ لكل مقام وكل رتبة أخلاق وأعمال وأفعال وواقعات ، ومقارنة ومجانسة ، سراً وعلانية ، ولأجل ذلك يلزم الشيخ الأخير حضانة الطالب في الذكر أو في المراقبة ، أو في المقام مقدار سنة أو ستة أشهر . انتهى .

فائدة

قال الإمام الرباني قدّس سره : أيّها الولد إنّ الفرصة غنيمة ، والصحة والفراغ مغتنمان ، فينبغي صرف الأوقات إلى الذكر الإلهيّ جلّ شأنه على الدوام ، وكل عمل يَصْدُرُ على وفق الشريعة الغراء فهو داخل في الذكر وإن كان بيعاً وشراءً[1] فينبغي مراعات الأحكام الشرعية[2] في جميع الحركات والسكنات لتصير كلها ذكراً ، فإنّ الذكر عبارة عن طرد الغفلة ، ومتى حصلت مراعات الأوامر والنواهي في جميع الأفعال فقد

---

(١) ومثله في « تنوير الصدر » (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) فإنّ نفع الذكر وتراتب الأثر عليه مربوط بإتيان الأحكام الشرعية ، كذا في « الدرر المكنونات » في ١٦٢ من الجزء الأول (منه رحمه الله تعالى) .

تيسَّرت النجاة من أسر الغفلة عن الآمر بالأوامر والناهي عن المناهي ، وحصل دوام ذكره تعالى ، وهذا الذي ذكرناه من دوام الذكر ورآء ياد واشت خواجكان – قدّس الله أسرارهم – فإنّه مقصور على الباطن ، وهذا مُتَمَشٍّ في الظاهر أيضاً ، وإن كان متعسِّراً . انتهى كذا في « الدرر المكنونات » في ٤٨ ج ٢ ، ومرّ مثله في هذا الكتاب فاستحضره هنا .

مهم جداً

وقال أيضاً : إنّ دوام الذكر يتيسّر في طريقة خواجكان – قدّس الله أسرارهم – في الابتداء ، ويحصل ذلك فيها على طريق اندراج النهاية في البداية ، فاختيار هذه الطريقة كان للطالب أولى وأنسب ، بل يكون واجباً عليهم ولازماً ، فعليك إِذاً صرف التوجُّه عن جميع الجهات ، والإقبال بالكُلِّية على جانب أكابر هذه الطريقة العلية ، وطلب الهمّة من بواطنهم الشريفة ، ولا بدّ من الذكر في الابتداء فينبغي أن تتوجَّه إلى القلب الصنوبري[1] الشكل ؛ فإنّ تلك المضغة كالحجرة للقلب الحقيقي ، وأن تجري الاسم المبارك (الله) على هذا القلب ، ولا تحرِّك عضواً من أعضائك في هذا الوقت بالقصد ، واقعد متوجِّهاً إلى القلب بالكُلِّية ، ولا تخيّل صورة القلب بالقوة المتخيّلة أصلاً ، ولا تلتفت إليها قطعاً ، فإنّ المقصودَ التوجُّه إلى القلب لا تصوّر صورته ، وينبغي أن تلاحظ معنى اللفظ المبارك (الله) بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وأن لا تضمَّ إليها شيئاً من مُلاحظة الصفات ، حتّى الحاضريّة والناظريّة ! لئلاّ تنْزل من ذروة حضرة الذات إلى حضيض الصفات ، فتقع منها إلى شهود الوحدة في الكثرة ، وتطمئنّ بالمثاليّ من التعلّق بِمَنْ تنَزّه عن المثال والتوجّهِ إليه . انتهى . كذا في « الدرر المكنونات » في ١٦١ من الجلد الأول .

---

(١) الصَنَوْبَرُ : بوزن السفرجل ، شجر وقيل ثمرة . « مختار الصحاح » .

وأمّا طَريق الذكر بالنفي والإثبات[1] ، فقد قال محمد ذاكر قدس سره في « تبصرة المرشدين » في ٢٣ : وهو أن يلصق لسانه بالحنك الأعلى ، وتوضع الأسنان على الأسنان ، والشفة على الشفة ، كما في ذكر اسم الذات ويحبس النَفَس تحت السرّة ، ويسير كلمة (لا) من السرّة إلى الدماغ ، وكلمة (إله) منه إلى الكتف الأيمن ، ويضرب كلمة (إلاّ الله) منه إلى القلب الصنوبري ، فيصير نقش المجموع على صورة (لا) معكوسة ، ويجري الكلمات المذكورة من محلّ إلى محلّ بمجرّد الخيال ، حتّى لا يكون لحركة الأعضاء والنفس فيها مجال ، ويكون النَفَس[2] محبوساً تحت السرّة ، ولا يزال بتكرار الكلمة المذكورة ما دام النَفَس محبوساً ، ولا بدّ من أن يكون عدد الذكر وَتْراً ، ولذا سُمّي هذا الذكر وُقوفاً عَدَدِيّاً ، ثم إذا ضاقت النفس يترك النفس[3] ويَقول : إلهي أنت مقصُودي ورضاك مَطْلوبي ؛ مرّة ثم يحبس ويذكر كما مر ، ثم كذا ، ثم كذا ويتصور معنى هذه الكلمة بهذا الطريق : لا مقصود[4] إلاّ الذات المقدس ، أو لا مقصود إلاّ الله تعالى ، ولا يتضيق في حبس النَفَس للتكثير ، ولا يتحرّك أعضاؤه ، وهما ينافيان في حصول الأثر ، وإن زاد وكثر بلا تكلّف وبلا منع الحضور كثر وازداد ، حتى روي في البعض أنّه بلغ في نَفَس إلى واحد وألف ، كما في « تحفة الأحباب » ونحوه وُجِدَ في بَعْضِ فقرآء الزمان

---

(١) وفي الفقرات : وطريقه أن ينحي عن قلبه غير الحق بقول « لا إله » ويلاحظ الحق عز وجل بالمعبودية والمحبوبية في قول (إلا الله) بحيث يضمر في قلبه كل مرة يقولها أن لا معبود إلا الله . انتهى فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) مهم فوئد حبس النفس

وحبس النفس في الذكر مفيد ، ومن فوائده حرارة القلب والشوق والذوق والرقة وانتفاء الخواطر وظهور المحبّة ، ويمكن أن يكون مُوجباً لحصول الكشف . كذا في « الأنهار الأربعة » ومثله : في « المناقب الأحمدية » في ١٩٧ فراجعهما (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) وفي نسخة : الحبس .

(٤) وأمّا السالك فمعناه ، لا معبود إلا الله للمبتدىء ، لأنّ مقتضاه العبادات ابتداءً . أوْ لا مقصود إلاّ الله للمتوسط ، لأنّ مقتضاه الطلب . أوْ لا موجود إلاّ الله للمنتهي ، لأنّ مقتضاه الفناء لما سوى الله والبقاء بالله . كذا في « جامع أصول الأولياء » فراجعه في ١٦ . (منه سامحه الله من فرطاته آمين) .

مع كمال القبض في الأول ويكرّر إلى أن بلغ العدد في نَفَس واحد إلى أحد وعشرين فحينئذ يضم (محمد رسول الله)[1] في كل أخير النفس مبتدأ (ميم) (محمّد) من الروح وينتهي إلى القلب على ما اختاره شيخنا قدّس الله تعالى سره الأسنى ، وإلاّ ففيه أقوال كما في كتب القوم الخ ؛ قالوا : وإن بلغ العدد إلى إحدى وعشرين ولم تظهر النتيجة فبما وقع من الخلاف في الآداب ، فليستأنف وليطابق القولُ والفعلَ مضمون الذكر ، فَإِنَّ المَقْصُودِيَّةَ فيما سِواهُ إذا كانَتْ بَاقِيَةً ؛ وخلاف الاتِّباع إذا كان ثابتاً في الواقع لزم الكذب من الذاكر في ذكره (بلا إله إلا الله) . كما في سلسلة الذهب .

وقال الإمام الرباني : يرتفع النقصان بتوجّه الشيخ المقتدى ، ولذا قال شيخنا رضي الله تعالى عنه : وهذه الحالة تعرض للطالب بكلمة التوحيد أكثريّاً ، وبذكر لفظ الجلال في البعض ، وبالرابطة للبعض ، وبتصرّف الشيخ للبعض . انتهى كلام « التبْصرة » مع اختصار قليل .

---

(١) وفي « الأنهار الأربعة » : ويقول عند إطلاق النَفَس بلسان الخيال : محمّد رسول الله ﷺ ، ولكنّ الّذي كان شيخُنا – قدّس سره – يَأْمُرُنا به أن يقال بلسان الفم حالة إطلاق النفس معاً . وفي « الأنهار الخمسة » وإذا أراد إطلاق النَفس يضمّ إليها (محمد رسول الله ﷺ) انتهى . ولم يقيّد باللسان أو بالقلب بل أطلق وقيد في « الرسالة الخالدية » بالقلب فبالنظر إلى اختلاف الأقوال سألت أخانا المحقق سيف الله الحسيني فكتب في الجواب بهذه العبارات : وأنت المخيَّر في أن تقول باللسان كما عليه بعض السادات أيضاً ، وهو ما اختاره العارف صاحب « حَسْبُ حال » ، ويكفيك جلالة قدره وكمال صدقه قدّس سره ، والذي أمرنا جامع القطبتين شيخنا أبو عبد الرحمن محمد ذاكر قدّس سره بالقلب قبل إطلاق النَفَس ، وعلى ذلك كان أيضاً تلقين شيخنا أبو المواهب زين الحق والدين زين الله الشريفي ونفسي فداه ، كما سار عليه أكابر السادات أكثرهم ، والفقير أيضاً على اختياره لما أنّ قوله بالقلب أقرب للجمع وأبعد من التفرقة ، كذا قال السيد زيني والعارف محمد مراد في « تحفة الأحباب » والعارف محمد مراد المنزلويّ في « التقريب » بناء على ما ذهب إليه الإمام الرباني قدّس سره ، لكن رأيت من بين المشائخ من يختاره باللسان ، فانظر يا أخي لنفسك في أيّهما ظهور النتيجة (وهى قوة الحضور منه) ، وحصول الذهول ! وقال مولانا الشيخ محمد مظهر : ويقول عند إطلاق النَفَس بلسان الخيال (محمد رسول الله) وعند البعض قبل إطلاق النَفَس ، وكلهم بحق إن شاء الله تعالى . انتهى . من خطه (منه رحم الله إفلاسه) .

مطلب

وشروطه تسعة : سبعة منها مُتّفَقٌ عليها ، واثنان منها مختلف فيهما ،

الأول : الوقوف القلبيّ لاطّلاع القلب .

والثاني : حبس النَفَس لدفع الخواطر .

والثالث : ملاحظة الخطّ لإراءة طريق الذكر .

والرابع : مُلاحظة النقش لجريان (لا إله إلا الله) .

والخامس : مُلاحظة المعنى للوصلة .

والسادس : ضرب لا إله إلا الله ضرباً شديداً إلى القلب لوسعة القلب وقوّته لإخراج الأخلاق الرديّة الدنيئة .

والسابع : مُلاحظة العدد الوتر للتّمييز .

والثامن : ذكر (محمد رسول الله) للاتصال إلى ولاية النبوّة ﷺ .

والتاسع : بازكشت ، أي : إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي ، لتصحيح النية ، كذا في « مهمة المريدين » .

قال الخاني في « البهجة السنية » : قال العُرْوة الوثقى رضي الله تعالى عنه مجيباً لمن سأله : أنّ الذكر مع حبس التنفس بدعة أم لا ؟ فإن كانت بدعة حسنة فعلى مسلك المجدد رضي الله عنه ليس في بدْعَةٍ حسن ! فكيف السبيل في هذا العمل إلى الخلاص من البدعة ؟ ! .

الذكر في حَدّ ذاته حَسَنٌ ومسنون ، أمّا الحبس فيه فيتوقّف كونه بدعة على عدم ثبوت ذلك في الصدر الأول ، وذلك ممنوع .

وأيضاً الحبس في الذكر علّمه الخضر عليه السلام للخواجه عبد الخالق الغجدُواني قدّس سره ، ولا يحكم على عمله بالبدْعَة .

وفي ملفوظات الخواجه عبد الباقي قدّس سره : إنّ الخرقة في

سلسلة الچشتيّة والسهروردية معنعنة عن رسول الله ، ولم يبيّن الذكر المعنعن عنه ﷺ ولم يتحقق ، بخلاف طريقتنا ، فإنّ الذكر مُعَنْعَنٌ خالٍ عن الانقطاع في الوسائط[1] من الصديق الأكبر والحيدر الأبهر رضي الله

---

(١) قال الخاني في « الحدائق الوردية » في فصل في وصل ما حاصله : إن الإمام النقشبند أخذ الذكر الخفي عن روحانية عبد الخالق الغجدواني ولم يجتمع معه في عالم الأرواح ، وكذلك الشيخ أبو الحسن الخرقاني أخذ الطريقة عن روحانية الإمام أبي يزيد وذلك في ظهوره له في عالم السير إلى الله تعالى . فإن الروحانيات تجتمع في ذلك كاجتماعهم في المنام وبعد الممات ، وهوعالم اللاهوت . وأبو يزيد قدس سره أيضاً لبس خرقة الطريق ظاهراً وباطناً من روحانية الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه . وما اشتهر بين بعض أهلِ الطريق من خدمة الشيخ أبي يزيد للإمام جعفر وصحبته له غير صحيح . انتهى اختصاراً من مواضع . فراجعه في ٩ . وقال بعد ذلك ما حاصله : إن هذه النسبة الروحانية أقوى اتصالاً من الجسمانية .إنتهى اختصاراً . وقال أيضاً بعيده : وكما أن للسادة النقشبندية اتصالاً روحانياً بواسطة قطب الأوليآء وأبي الحسن الخرقاني بسلطان العارفين أبي يزيد البسطامي وبواسطة أبي يزيد به شرف الأئمة جعفر الصادق كذلك لهم اتصالان ؛ جسمانيان بالسلسلتينِ السالفتين فيه نسبتهم ؛ ولله الحمد متصلة ، وعروة سلسلتهم لا انفصام لها روحاً وجسماً حساً ومعنى . ولقد سها بعض المؤلفين بقوله : إن سلسلة النقشبنديّة منفصلة ويد نسبتهم غير متسلسلة فإنه منه غرور بقصوره من عدم الاطلاع على سلاسلهم المنتظمة . انتهى فراجعه في صحيفة ١٠ قبيل السلسلة الأولى . لكن المحقق محمد أسعد صاحب « زاده » النقشبندي الخالدي العثماني قال في « الفيوضات الخالديّة » : إن أبا يزيد أخذ عن جسمانية إمام الأئمة الذي هو بالحق ناطق سيدنا الإمام جعفر بن الإمام محمد الصادق رضي الله تعالى عنهما لا عن روحانيته فقط ، كما أورد كثير من المتأخرين فزعم بذلك بعض المعاصرين انقطاع يد السلسلة النقشبندية ونسبه للواسطي في « روضة الناظرين » المنسوبة للشيخ الوتري والله أعلم بحقيقة الحال ، وإنها بحمده تعالى واصلة للحضرة الصديقية . فإن ملاقاة أبي يزيد البسطامي لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنهما ، وكونه سقاء في داره ، أوردها جماعة من أصحاب التاريخ ، وأوردها الفخر الرازي في كثير من كتبه الكلامية ، والرضي في كتاب « الطرائق » والعلامة الحلبي في شرحه على « التجريد » . وبعد شهادة هؤلاء بذلك لا عبرة بما في بعض الكتب « كشرح المواقف » . ذلك كثير من المتأخرين كالعلامة محمد بن سليمان البغدادي صاحب « الحديقة » والحيدري والخاني في « بهجته » كحفيده وأضرابهم حتى تسبّبوا في القول المدسوس على الواسطي من أنها قد انقطعت يد السلسلة النقشبندية ، والمتسبب كالقائل ، وعدم التثبت يوقع في أعظم من هذا . ونظير هذا إقرار الخاني في « القصيدة القافية » التي مطلعها تبدت لنا أعلام الهدى صدقاً ، فصار لشمس الدين مغربنا مشرقنا مع أن القصيدة في « بهجة » سيدنا الغوث الجيلاني رضي الله تعالى عنه=

تعالى عنهما إلى يَوْمنا هذا ، فسأله سائل ممّن حضر مجلسه : ما تقول أيّها الشيخ فيمَنْ يذكر في السلسلة النقشبندية وُصْلة الرابطة عن الصدّيق الأكبر ، والذكر عن علي رضي الله تعالى عنهما ؟ قال : الذكر المسمّى بالوقوف العدديّ الذي يعهد فيه الحبس مع ضم (محمّد رسول الله ﷺ) تَعَنْعَنَ[1] عن الصدّيق الأكبر رضي الله تعالى عنه . وكذا طريق الصحبة ! لأنّه رضي الله عنه ما فارق النبي ﷺ لا في سفر ولا في حضر ، وإنما أخذ الفيض من الصحبة[2] انتهى .

وفي جامع أصول الأولياء : ومن تَتَبَّع أحاديث رسول الله ﷺ وعرف أخباره وأحْواله ، وعلم أقواله وأفعاله ، تبيّن له أنّ هذه الطريقة هي التي اختارها ﷺ بعد البِعْثة ، وبعث أمّته على هذه الحالة ، وتبعه أكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، دُونَ ما ابتدعه المبتدعة ولو كان بَعْضها مستحسنة في الجملة . انتهى .

وفي الفتاوى العمريَّة : وأمّا النسبة الباطنية في تلقين الأذكار

=في مدح سيدنا أبي مدين الغوث رضي الله تعالى عنه إلا بيتين منهما ؛ صدرهما : أيا خالد إلى آخره ، مع أن بين المؤلفين أحقاباً . ولولا ما زعمه أولاده من خلافة أبيهم في الطريقة القادريّة ، وارتقائه لا على سددها استعذر عنه بعدم وقوفه عليها ، فتبين الحالين يوجب إحدى الوصمتين . ثم ربّما يرفع التنافي بين كلام « شرح المواقف » فقط وكلام غيره من البين يجعل المسمّى بهذا الاسم اثنين . أحدهما : طيفور السقآء الذي صحب سيّدنا الإمام جعفر الصادق وخدمه ، والآخر : شخص غيره . قال إبن زهرة الأندلسي في تاريخه : أبو يزيد البسطامي خدم أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنه سنين عديدة وكان يسميه طيفور السقاء لأنه كان سقاءاً في داره ، ثم رخص له في الرجوع إلى بسطام هذا . وقد وقع الاشتراك في الأسماء في كثير . انتهى كلام أسعد صاحب « زاده » في « الفيوضات الخالديّة » فراجعه في صحيفة ٣٩ من هامش كتابه « نور الهداية » و « الفرقان » (منه قدس سره) .

(١) قال الشيخ محمد مظهر في هامش « المناقب الأحمدية » في١٩٧ بعد ذكر هذا الكلام : ونقل عن حضرة المجدد قدّس سره أيضاً أنّ هذا الذكر قد وصل إلى أهل الطريقة النقشبندية معنعناً من الصدّيق الأكبر ، وطريقة الصحبة أيضاً وصلت إليهم منه رضي الله عنه . كذا في « كنز الهداية » انتهى راجعه من صفحة ١٩٧ (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) المستلزمة للرابطة (منه رحمه الله تعالى) .

القلبية ، أي : سوآء كان لفظة (الله ، الله) أو النفي والإثبات ، والمراقبة والحضور من غير حركة اللسان ، وهي نسبة الصدّيق الأعظم التي اختص بها الصدّيق دون سائر الصحابة أخذها باطناً بالتوجه عن رسول الله ﷺ لقوله عليه السلام : « ما صبَّ الله في صدري شيئاً إلاّ وصَبَبْتُهُ في صدر أبي بكر » . وكذا قوله عليه السلام من ربّه : « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ! بل بشيء وقر في قلبه » فالحديث الأول دليل السادات النقشبندية لثبوت التوجّه وإلقاء الذكر والمحبّة والجذبة في قلب المريد ، ودليلهم أيضاً للذكر القلبي والحضور والمراقبة . انتهى .

وقال صاحب « المناقب الأحمدية » في هامشه في ١٩٤ بعد نقله خَبَر « خَيْر الذِكر الخفي » : وخَبَر الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيدُ على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً وغيرهما[١] .

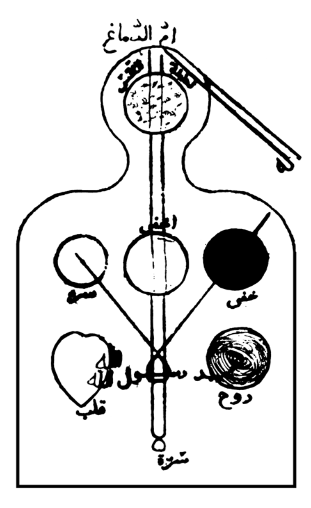
قال شارحه العلامة المناوي : المتبادر إرادة الذكر القلبي . انتهى . وقال أيضاً الذكر نوعان قلبي ولساني والأوّل أعلاهما وهو المراد في الحديث . انتهى .

وقال أيضاً : قال مولانا علي القاري : فالأحاديث حجج ظاهرة للسادة النقشبندية ، زبدة القادة الصوفية ، قدّس الله أسرارهم العلية . انتهى .

ثم قال : فثبت أنّ الذكر القلبي المعمول في طريقتنا هو الذكر المسنون المفضل . انتهى .

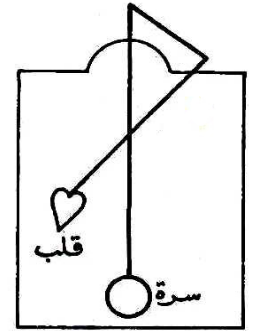
---

(١) أي غير هذين الخبرين (منه)



وصورة الذكر القلبيّ بلا إله إلاّ الله[1] المشروط بالشرائط المذكورة آنفاً هذه :

وكان شيخنا قدّس سره يقول : إنّ محمود الفعال قدّس سره جاء روحانيته لديّ مرة حين كنت في السلوك ، فأمرَّ إصبعه على محالٍّ لطائفي فصار الخط النوريّ على كيفية (لا) المعكوسة ، فسهل عليَّ استعمال ذلك الذكر بعد ذلك انتهى . وكان يقول : إنّ هذه الكيفية المكتوبة بملاحظة الألفاظ والحروف تكون قوية الأثر ، وأمّا مجرد[2] ملاحظة الخط النوراني على صورة (لا) المعكوسة تكون سهلة . وكان يكتب لنا بيده بكلتا الكيفيتين . وصورة الخط المجرد هكذا :

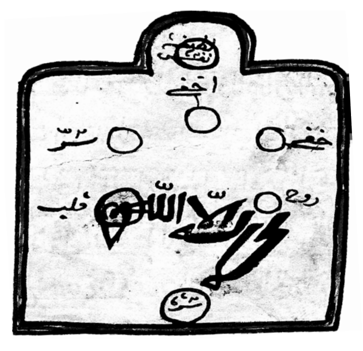


وأمّا كيفية ذكر اللسان بـ (لا إله إلا الله) الذي يجوِّزه النقشبنديون إذا وصل السالك إلى مقام المراقبة على ما في « تحفة الأحباب » فهي أن يقول الذاكر هذه الكلمة الطيبة من غير تحرك الأعْضاء ، ولا تميّلٍ إلى اليمين والشمال ، ويبتدىء (لا) من فوق السرّة ، ويمدُّ طَرَفَيْها إلى تحت الثدي اليمين ، و(إله)متصلة بطَرَفَيْ (لا) في تحت الثدي ، ثم يأخذ (إلاّ الله) من تحت الثدي اليمين ويضربها

(١) واختار جماعة من المشائخ كلمة (لا إله إلا الله) . وهذه الكلمة لها خاصيّة في تنوير الباطن وجمع الهمّ إذا داوم عليها صادق مخلص . كذا في « عوارف المعارف » فراجعه في ١٨٨ من هامش « الإحياء » من الجزء الثاني (منه قدس سره) .

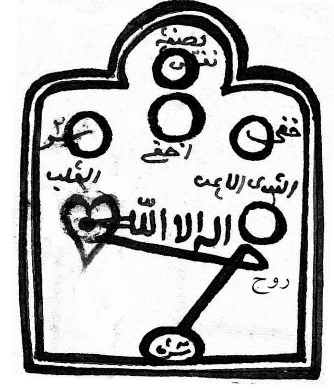
(٢) وكان يحكى هذا الكلام من محمود الفعال قدس سره (منه) .

على القلب ، ويلاحظ معناها بأن (لا موجود إلاّ الله) وصورته هذه :

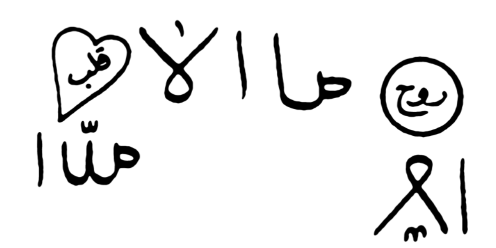


وله كيفيّة أخرى وهي أن يأخذ (لا) من تحت الثدي اليمين[1] بحيث يكون كرسيّها تحت الثدي ، ويمدُّ أحد طرفيها إلى القلب والآخر إلى السرّة ، و(إله) متصلة بكرسيها في تحت الثدي ، ويأخذ (إلاّ الله) من تحت الثدي الأيمن ويضربها أيضاً إلى القلب .

لكنّ الطريق الأوّل أحسن من الطريق الثاني لكون تأثير الذكر في الطريق الأوّل أكثر من التأثير الحاصل بالطريق الثاني . كذا في « تحفة الأحباب » ، وصورته هذه :



وله كيفية أخرى على ما في هامش « مسيرة الحكم » لسليمان الزهدي قدّس سره من القلب إلى الروح ، ومنه إلى القلب ، هكذا وجدت صورتها :



مطلب

ومَنْ قال : إنّ في الطريقة النقشبندية غير ما ذكرناه في هذا الكتاب من الأذكار والكيفيّات فهو مُفْتَرٍ كذّابٌ ، والمنتسبُ إليه

---

(١) اي لذكر اللسان المذكور (منه) .

من فيْضِ الأذكار وبركاتها منقطع محروم ، فعلى مَنْ له غِبْطَةٌ على عُمْرِهِ العزيز وخوفٌ على فوات أنفاسه التي تَذْهَبُ بلا منفعَةٍ أنْ يتدبَّرَ فيما ذكرته ، ثم يُنيبَ إلى ما يفعله أهل الدعوى في ديارنا هذه من استعمال الأذكار الجهريّة اللسانية بالتحرك والاضطراب يميناً وشمالاً ، وبالصياح الهَائِلاتِ من غير اعتبار قواعد النقشبنديّة ، ومع ذلك ينتسبُون إليهم ويقولون : نحن نقشبنديُّون . فلعلّه يَعْرِف حينئذ أنْ يُميِّزَ الصواب من الباطل ، والمحق من الكاذب ، ولا حَوْل ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم .

فائدة مهمة : قال صاحب « ترصيع الجواهر » في ٤٢ : فما دام عبد الهوى أو الدنيا أو نحو ذلك يلاحظ في (لا إله إلاّ الله) لا مَعْبُودَ بحق إلاّ الله ، ومعنى كونه عبد الهوى انقياده له وعمله بمقتضاه ، فإذا صارت أعماله كلّها في مَرْضاة الله تعالى إلاّ أنّه بَقِيَ في قلبه التفات إلى الخلق يخافهم ، ويَرْجُوهم ويَعْتمدُ عليهم ، لاَحَظَ (لا معطي ولا مانع ، ولا ضار ولا نافع إلاّ الله) فإذا وَصَل لوحدة الأفعال ، وهي أوّل مَراتب الوصول ، وصار يشهَدُ أنّ الكلّ عَبِيدٌ مسخرون ، وأنّ الله تعالى آخذ بناصية كلّ منهم شهُوداً ذَوْقيّاً ، وانقطعُوا من نظره وزال تعلّقه بهم ، ولم يبق له مَقْصُودٌ سوى الحق سبحانه وتعالى ! لاحظ لا مقصُودَ إلاّ الله تعالى . وإذا وصل لمقام الوحدة ، وفنيت العوالم في نظره ، ولم يشهد في الوُجُود إلاّ الله تعالى - وهذا شيء لا تحيط به العبارة ولا يدرك إلاّ ذوقاً - لاحَظ (لا مَوْجُودَ إلاّ الله) انتهى .

فائدة أخرى في آداب الذكر

قال الخاني في « البهجة السنية » نقلاً عن « نفحات » الشعراني قدّس سرهما : وآداب الذكر الذي حث عليها القوم ورَأَوْها أقرب

للفتح على المريدين كثيرة ، ويَجْمَعُها كلّها عشرون أدباً : خمسة سابقة على التلفظ بالذكر واثنى عشر في حالة الذكر وثلاثة بَعْدَ الفراغ من الذكر ،

فأمّا الخمسة السابقة **فأوّلها** : التوبة ! وحقيقتها عند القوم أن يتوب عن كلّ ما لا يعني العبد من قول وفعل وإرادة ، ومَنْ لم يتب هذه التوبة وترخص فلا يجيء منه شيء .

وكان ذو النون المصري رحمه الله تعالى يقول : من ادّعى حَلاوة الذكر مع محبّته للدنيا فكذِّبُوه . **الثاني** : الغسل للذكر ، أو الوضوء .

وكان أبو يزيد قدّس سره يتوضّأ ويغسل فمه بماء ورد كلّما أراد الذكر . **الثالث** : السكون والسكوت فيحصل بذلك الصدْق ، بأن يشغل قلبه بـ (اَللهْ ، اَللهْ) بالفكر دُونَ اللفظ حتّى لا يبقى خاطر مع اللهْ اللهْ ، ثم يُوَافق اللسان بقول : لا إله إلاّ الله . **الرابع** : أن يستمدَّ بقلبه عند شروعه في الذكر بهمّة شيخه . **الخامس** : أن يرى أن استمداده من شيخه هو استمداده حقيقة من النبي ﷺ ، لأنّه واسطة بينه وبينه .

وأمّا الاثني عشر التي في حالة الذكر **فالأوّل** : الجلوس على مكان طاهر كجلوسه في الصلاة . **الثانى** : أن يضع راحتيه على فخذَيْه . **الثالث** : تطييب مجلس الذكر بالرائحة الطيّبة ، وكذا ثياب بدنه . **الرابع** : لبس الثياب الطيب الحلال ؛ ولو شراميط الكيمان . **الخامس** : اختيار موضع مُظْلِم إن وجد . **السادس** : تغميض العينين ، وذلك لأنّه إذا أغمض عينيه ينسدُّ عليه طرق الحواس الظاهرة ، وسدُّها يكون سبباً لفتح حَواس القلب . **السابع** : أن يتخيّل صورة

شيخه بين عَيْنَيْهِ ، وهذا عندهم من آكد الآداب . **الثامن** : الصدْق في الذكر بأن يستوي عنده السرّ والعلانية . **التاسع** : الإخلاص ، وهي تصفية العمل من كلّ شوْب فإنّ بالذكر والإخلاص **يصل الذاكر إلى درجة الصِدِّيقية** بشرط أن لا يكتم شيْخَهُ شيئاً من خواطره **ولو مذمومة** ، فمَنْ كتم شيئاً منها كان خائناً وحرم الفتح . والله لا يحب الخائنين ، **فإنّ المريد لا عورة بينه وبين شيخه** إلاّ فيما نهاه الشرع . **العاشر** : أن لا يختار من صيغ الذكر شيئاً بنفسه ، بل يشتغل بما لقَّنه شيخه واختاره لَهُ[1] . **الحادي عشر** : إحْضارُ مَعْنَى الذكر على اختلاف دَرَجاته في المشاهد[2] ، ويعرض على شيخه كلما ترقى إليه من الأذواق ليُعَلِّمَهُ طريق الآداب فيه . **الثاني عشر** : نفي كلّ مَوْجُود من القلب حال الذكر سوى الله تعالى ، **فإنّ الله غَيُورٌ لا يحبّ أن يرى في قلب عبده غيره** . ولولا أنّ الشيخ له مَدْخل في التربية ! من حيث كونه واسطة بين المريد وبين ربّه ما شرطوا تخيّله للمريد .

قال شيخنا : وإنما نَفَوْا من القلب كلّ ما سوى الله تعالى ليتمكن تأثير (إلاّ الله) بالقلب ويسري إلى الأعضآء ، كما أنشدُوا في **ذلك** :

أتاني هواها قبل أن أعـرف الهـوى فـــصادف قـــلباً فـــارغاً فتمكّنا

وأمّا الثلاثة التي بعد الفراغ من الذكر ، **فأوّلُها** : أن يسكن إذا سكت ، ويخشع ويحضر مع قلبه مُترقباً لوارد الذكر ، **فلعله يرد عليه وارد فيَعْمر وجوده في لحظة أكثر مما لا تعمره الرياضة والمجاهدة في نحو ثلاثين سنة،** لأنّه إن كان الوارد زُهْداً في الدنيا

---

(١) ويقصد الذاكر بذكره التعبد فقط ، لا طلب مقام آخر ! وذلك ليكون حال ذكره غير خال عن العبادة ، فإنّ الخلوة والرياضة إنما شرعاً للتفرغ عن الأكوان ، فالصادق من جعل أعماله كلها مقاصد لا وسائل « متممات » ٩٩ .

(٢) كما مرّ نقلاً من « ترصيع الجواهر » (منه) .

فيتمهَّل فيه حتى يستحكم فيه فيصيرُ زاهداً ، وإن كان الوارد الصبْرَ على الأذى فيتمهّل له حتى يستحكم فيه فيصير يتحمّل الأذى من كل أحد من جميع الأنام ، وهكذا في جميع أخلاق القوم ، بخلاف ما إذا فرغ من الذكر ولم يسكن فإنّ الوارد يَطْرقه ولا يستحكم فيه ، فلا يثبت له في الوارد قدم . **ثانيها** : أن يَزُمَّ[1] نَفْسَهُ ونَفَسَهُ مراراً . وهذا كالمجمع على وُجُوبه عندهم ؛ لأنه أسرع في تنوير البصيرة وكشف الحجب وقطع خواطر النفس والشيطان ، قالوا : وأكثر مقدار المرار سبعة أنفاس ؛ كل نفس أطول ما يحتمل صاحبه . **ثالثها** : منع شرب[2] الماء عقب الذكر ، لأنّ الذكر يُورِثُ حرْقة وشوقاً وتهيّجاً إلى المذكور وذلك هو المطلوب الأعظم من الذكر ، وشرب الماء عقب الذكر يطفىء[3] ذلك . فليحرص الذاكر على هذه الأداب الثلاثة فإنّ نتيجة الذكر إنما تظهَرُ بها . والله أعلم . انتهى .

قوله ثانيها أن يَزُمَّ نفسه ونفسه الخ ؛ وعبارة « ترصيع الجَواهر » في ٤٢ هكذا : وثانيها : أن يطرق رأسه ويكتم نفَسه من أنفه وفمه ؛ خاشعاً بحيث لا تتحرّك منه شعرة مثل سكون الهرة[4] عند الاصطياد ، حتى يضيق نَفَسُه ، يفعل ذلك ثلاثة أنفاس أو خمسة أو أكثر ، فإن لم يأت الوارد ختم بقوله : لا إله إلا الله هو محمد رسول الله حقّاً وصِدْقاً ، كما يختم بها قبل السكتة عند الفراغ من الذكر .

علامة الوارد

ثم إن علامة الوارد أن ينزل بين كتفيك برد كبرد الماء أو

---

(١) أي يحبس نفسه من الحركة ويمنع نفسه من الخروج (منه) .
(٢) حتى يمضى ساعة أو نصفها « ترصيع الجواهر » ٤٤ .
(٣) ويضرّ بالبدن « ترضيع » . وهو كتاب نفيس في طريقة الخلوتية العلية (منه) .
(٤) راجع « رماح حزب الرحيم » (منه) .

تحصل لك رَعْشَةٌ أو قُشَعْريرة ، أو يطبَ[1] في قلبك شيء كحذف الطوية في الدار ، فإن حصل لك شيء من ذلك فهو علامة الوارد ، فاحمد الله تعالى على مارزقك من النفحات والبركات ، **وهذا السكون مجمع على وجوبه عند القوم، فإنّه أسرع في تنوير البصيرة وكشف الحجب وقطع خواطر النفس والشيطان** لما يترتب عليه من اصطياد الواردات الإلهية ، وهي تمحو عن العبد جميعَ رُعُوناته البشريّة ، وتهدم عليه مستمرّ عاداته ، فإن لها سَلْطَنةً عظيمة لأنّها تأتي من حضرة قهّار ، ولأنّها حقٌّ ورد على باطل ، والباطل لا ثبات له مع الحق ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** ﴾ فإذا وردت تلك الواردات على قلب مشحون بأنواع الخبائث والرذائل والرعونات البشريّة ! أزالت ذلك بالمرّة ، وأثبتت عِوضاً عنه أطواراً عليّة وأوصافاً رضيّةً ،

قال سيدي أبو العباس المرسي :

لـــو عاينت عيناك يـــوم تزلزلت أرض النـــفوس ودكّـــت الجبال

لرأيت شمس الحق يسطع نورها حيـــن التـــزلزل والرجال رجال

ثم إن الواردات الإلهية لا تختص بكونها بعد طاعة ، ولا تجيء بالتكلّف ، كالعطاس لا يمكن ردُّه ولا يمكن تكلُّفه وإنّما هي أنوار يقذفها الله تعالى في قلوب طالبيه عند براءتهم من الدعوى ، وتحرُّرهم من رقِّ الأغيار ، وتعرُّضهم لِنفحاته تعالى بالذلّ والافتقار ، فإذا كانت الواردات من العلوم الإلهية فلا يعمل بها مالم يشهدْ لها الشرع ، فإن كلّ حقيقة تخالف الشريعة فهي باطلة .

(١) وفي نسخة : يطلب .

مهم جداً

ثم من الآداب أن لا يفرح بالوارد ، ولا يغترَّ به مالم يعلم ثَمْرَتَه فيه من تأثير القلب وتبدل صفاته المذمومة بالصفات المحمودة ، وأن لا يتكلم بالمعاني الواردة عليه حتى يتحقق بها ، وترسّخ[1] وتتضح بانكشافها ، وأن لا يطلب بقاء الوارد ، ولا يأسى على فقده بعد أن يبسط عليه أنواره فتَكَيّفَ باطنه وظاهره بكيفيات العبودية ، ولاح له شيء من عظمة الربوبية ، فإن في الله غنى عنه وعن غيره ، **وكذلك لا ينبغي أن يلاحظ العبد شيئاً من الأغيار والأنوار ، أو المقامات والأحوال ، والدنيا والآخرة ، والنعم الباطنة والظاهرة ، ولا يركن إليها ولا يعتمد عليها بَقِيَتْ أو ذهبت ، فإنّها غيره، فيلزم أن تحيدَ منها** كما قيل :

إلـــيكِ يا حـــور الجـــنان عنّا مـــــالك قاتلـــــــنا ولا قـــتلنا

قال أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى : ومن المقاطع المشكلة : السكون إلى استحلاء مايلاقيك به من فنون تقريبك ، **فإنّ كل لطيفة يَطْرِبُك بها تَحْتَها خِدَعٌ** . انتهى .

ولو خاطب الوليَّ كُلُّ مافي الكوْنِ وقال : السلام عليك ياوليَّ الله تعالى ، فسكنت نفْسُه إلى ذلك ! كان في يد ذلك أسيراً .

وقال سيدي أبو العباس المرسي رحمه الله تعالى : اللطف حجابٌ عن اللطيف يعني السكون إليه والوقوف عنده وشدّة الفرح به . انتهى .

ومتى قصد العبدُ شيئاً من الكرامات ، وخرْقِ العَوائد وأنواع

---

(١) وفي نسخة : تترسّخ .

الإجابات ، افْتتنَ ! وانقطع عليه طريق العبوديّة ، وَمَنْ أدركته السعادة كاشفه الله تعالى بشهود جلاله وجماله ، لا بإثباته في الأحوال اللطيفة والكرامات الشريفة . ماأرادت همّة سالك أن تقف عندما كشف له ! إلا نادته هَوَاتف الحقيقة ﴿**إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**﴾ الذي تطلب أمامك .

والحاصل : أن الصوفيَّ مرجعه في كل أحواله إلى الحق تعالى فهو لا دُنْيا له ولا آخرة ، وذلك **لأن الحق تعالى غَيُورٌ لا يحبّ أن يرَى في قلب عبده سِوَاه** فإن وجد في قلبه سكوناً إلى غيره ابتلاه وحجب ذكره عن قلبه ، وأجراه على لسانه ، فإن انتبه وانقطع عمن سكن إليه كشف الله مابه ، وإن دام على سكونه نزع من قلوب الخلق الرحمة إليه وألْبَسَهُ لباسَ الطمع فيهم ، فتصير حياته عَجْزاً ، ومَوْته كَمداً ، ومعاده أسَفاً ، نعوذ بالله تعالى من السكون لغيره ، آمين .

قال الشاعر :

من لم يكن بكَ فانياً عن حَظه ... وعن الهوى والأنس بالأحباب

فلأنّه بين المراتب واقف ... لمنال حظ أو لحسن مَآبٍ

وقال أبو سليمان الداراني : أقرب مايتقرّب به إلى الله تعالى ، أن يطّلع على قلبك وهو لا يريد من الدنيا والآخرة غيره . انتهى كلام « ترصيع الجواهر » .

وفي « الإبريز » في ١٩٨ : **إن الغرض من الوليّ** الدلالة على الله تعالى والجمع عليه ، والتزهيد فيما سواه ، فإذا جعل القاصد إليه يطلب منه هذا الأمر ! فإنّه يربح معه ، وإذا جعل يطلب منه قضاء

الحوائج والأوطار ولا يسأله عن ربِّه ولا كيف يعرفه ! مقته الوليّ وأبغضه ، وهو السالم إن نجا من مصيبة تنزل به وذلك لأمور ،

منها : أن محبته للوليّ على حرف ليست لوجه الله تعالى ، وإنما هي على حرف ، والمحبة على حرف خُسْرانٌ مبين لا ينزل عليها نور الحق أبداً .

ومنها : أنّ الوليّ يراه في تعلّقه بغير الله تعالى في عين القطيعة ، وهو يريد أن ينقذه منها والعبد يريد منه أن يزيده منها ، فإنّ الوليّ يراه ترك الثمرة وأخذ الجمرة ، فالثمرة معرفة الله تعالى والعكوف بين يديه ، والجمرة هي القطيعة عنه والقبض في غيره والميل إلى الدنيا والركون إلى زخارفها ،

ومنها : أن الوليّ إذا ساعده في قضآء بعض الأوطار وقابله ببعض الكشوفات ربما يظن العبد أنّ هذا هو الذي ينبغي أن تقع المعرفة عليه ، وفيه يرغب الناس ، وليس ورآءه مطلب ، **وكل ذلك ضلال** وموجب لمقت الوليّ له . انتهى .

مهم

فلا ينبغي للسالك أن يطلب ظهور الأحوال وحصول الأذواق بالأعمال والأذكار ؛ **وأكثر المريدين** يطلبون ظهورها وينقبضون حين لم تظهر لهم نتيجةُ الأذكار وسُترت عنهم حركات الألطاف **وأما العارفون منهم يخافون من حال البَسْط كما يخافون من الأسد ويتلذّذون بالقبض كما يتلذذ أهل الدنيا بدنياهم** ، وذلك لعلمهم أنّ في البسط هلاك بواطنهم وعمارة ظواهرهم ، وفي القبض هلاك صفة النفس الخبيثة وعمارة الباطن .

مهم

وإذا قال المريد: في حال البسط مع الله حضور ومناجاة ومراقبة ومشاهدة، وفي حال القبض ليس لي شيء من ذلك! **فاعلم أن هذا المريد ليس أهلاً لما ادّعاه**، ولا علم الله ولا عرف الحضور معه، لأنّ الحضور مع الله تعالى هو الغيبة عن جميع ماسواه، **ولا يَسْلبُ الإنسانَ عن جميع ما سواه إلاّ حالة القبض**. كذا في «السير والسلوك» فراجعه.

وقد كتب أخونا في الله العالم العارف المستور سيف الله الحسيني البشلاريّ النقشبندي القادري قدّس سره في رسالته إلى هذا الفقير هذه العبرات: إنّ التجليات تكون على قدر مقامات السادات باختلاف صور المرئي، وقد لا يظهر شيء، ولا يكون ذلك نقصاً في الحال! فالعدم المحض أسنى الأحوال، ولا بدّ من ظهور الخوارق متى ومتى، وأغلب مايكون من ظهورها حين غلب عليه عدم ظهورها. انتهى من خطه بحروفه.

وفي «تقريب الأصول لتسهيل الوصول»: إنّ الله تعالى يستر عن العارفين كثيراً من مقاماتهم وكراماتهم حتى لا يخطر الدعوى على قلوبهم. انتهى ٥٣.

وفي كتاب «الجواهر والدرر» للشعراني: كلما خفي الحال وأبطأ وجوده كان في حق صاحبه خيراً كثيراً. انتهى ١٨٩ من هامش «الإبريز».

وفيه أيضاً في ١٨٢: إنّ ما يقع لبعض الصالحين من نتائج أعمالهم الصالحة في هذه الدار **نقص**، لاسيّما إن كان ذلك بميل منهم! وذلك لأنّ الدنيا ليست بمحل لنتيجة الثواب، وإنما محلها الدار الآخرة. انتهى.

مهم

وفيه أيضاً في ١٨٩ : **غياب الحال عن صاحبه أكمل في المعرفة** . انتهى .

وكتب الإمام الرباني قدس سره في جواب مَنْ شكى إليه : بأَنَّ الذوق والفرح الذي كنت أجده أوّلاً لا أجده الآن ، وأظنّ ذلك من تنزّلي وانحطاطي . هذه العباراتِ :

اعلم أيها الأخ أنّ الحالة الأولى كانت من قبيل حالة أهل الوجد والسماع التي للجسد دَخْلٌ تامٌّ فيها ، **وأمّا الحالة التي تيسَّرت الآن فالجسد قليل النصيب منها ، بل تعلّقها بالقلب والروح أزيد** ، وبيان هذه المعاملة يستدعي تفصيلاً **وبالجملة** : إنّ الحالة الثانية فوق الحالة الأولى بمراتب ، وعدم وجدان الذوق وفقدانُ فرصة الفرح فوْقَ وجدان الذوق والفرح ، لأنّ النسبة كلّما تنجر إلى الجهالة وتنتهي إلى الحيرة وتتباعد عن الجسد! تكون أصْليّة وأقرب إلى حصول المطلوب ، فإنّه لا مجال في ذلك الموطن لغير العجز والجهل .

مطلب مهم

ويعبّر عن هذا الجهل بالمعرفة ، ويسمّى هذا العَجْزُ إِدْراكاً . انتهى كذا في « الدرر المكنونات » في ٢٢٦ ج ١ .

وقد يجوز أن يكون ظهور الأحوال ثواباً مُعجّلاً ينقص بها الأجور في الآخرة! فإنّ مَنْ تلذّذ بشيء في الدنيا ينقص الله تعالى بقدره الثواب في العُقْبى ، فإذاً عدم ظهور الأحوال أسلم للسالك ، ومَنْ تطلع على شيء منها يسكن إليه قلبه عند حصوله البتة ، فإذا

سكن إليه القلب وقع فيه الحجاب ، والمقصُودُ المطلوب المهمّ هو الله[1] تعالى .

وأمّا الأحْوال فهي بمثابة السكر والزبيب يعطاها أطفال الطريقة ليتسلُّوا بها ، فكما أنّ الأطفال لا يُعْطُونَ السكر والزبيب إلاّ عند بكائهم ! كذلك أطفال الطريقة لا يعطون الأحْوال إلاّ ضعافُ القلوب منهم دُونَ الأقوياء ، فإنّ مَطْمَحَ نظرهم وراء الأحوال ؛ وقد قال الإمام الرباني قدّس سره : إنّ المقصود من حصول الأحوال التعلقُ والارتباط بمحوِّل الأحوال[2] ، فإذا حصل هذا التعلّق فلا ضرر من عدم حصول[3] الأحوال . كذا في « الدرر المكنونات » في ٢١٩ الجزء

---

(١) لا لأحوال (منه) .

(٢) وإن علم الأحوال أمر زائد على المقصود بل هو مضرّ للبعض ، راجع مكتوبات محمود الفعال ومكتوبات الچسطاوي قدس الله سريهما آمين . (منه) .

الكائن في الحال على قسمين

وقال إبن عطاء الله : في كتاب « التنوير في إسقاط التدبير » : وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول : الكائن في الحال على قسمين ؛ عبد هو في الحال بالحال ، وعبد في الحال بالمحوّل . والذي هو في الحال بالحال هو عبد الحال ، وهو يفرح بها إذا وجدها ويحزن عليها إذا فقدها . وعبد هو في الحال بالمحوّل : فذلك عبد الله لا عبد الحال ، وهو الذي لا يأسى عليها إذا فقدها ولا يفرح إذا وجدها . انتهى . وقال فيه بعيد هذا : وكم من ظانٍّ أنّ أُنْسَه برَبّه وإنما أنسه بحاله . دليل ذلك فُقْدانُهُ لأنسه عند فقدان حاله . فلو كان أُنْسُهُ بربِّه لدام أنسه بدوامه ولبقي ببقائه . انتهى ، فراجعه في ٥٧ ومثله في « تقريب الأصول » في ١٢٨ (منه قدس سره) .

قال إبن عطاء الله : إياك أن تلاحظ مخلوقاً وأنت تجد إلى ملاحظة الحقّ سبيلاً . فيدخل في هذا جميع الأغيار والأنوار والمقامات والأحوال والدنيا والآخرة والنعم الباطنة والظاهرة . فلا تلاحظ شيئاً من ذلك ولا تركن إليه ، ولا تعتمد عليه بقي أو ذهب ، فإن ذلك قادح في إخلاص التوحيد « تقريب الأصول » ١٢٨ . فكن عبد الله لا عبد العلل (منه) ١٢٨ .

(٣) وقال ابن عطاء الله في كتاب « التنوير في اسقاط التدبير » وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول : الكائن في الحال على قسمين ؛ عبد هو في الحال بالحال ، وعبد في الحال بالمحوّل . والذي هو في الحال بالحال هو عبد الحال وهو يفرح بها إذا وجدها ويحزن عليها إذا فقدها ، وعبد هو في الحال بالمحوّل ، فذلك عبد الله لا عبد الحال وهو الذي لا يأسى=

الأوّل . وراجع « السير والسلوك » و« النفائس السانحات » وكتاب « الجواهر » و« الدرر » تجد فيها ما قلناه بالتمام .

وقد يفقد من السالك الأحْوال فيَظنّه من الخسران وليس كذلك ! فإنّه كلّما وجد على الاستقامة بالشريعة ثم فقد على حال الاستقامة فيها بلا فتور ولا نقص منّا فيها لا يُعَدُّ نُقْصاناً ، ولا يُتوهّم فيه خُسرانٌ ، بل هو بشارة الكمال ! إذ الفقدان بَعْدَ الوُجْدانِ على ما قُرِّرَ إمارة الترقي وثمرة البقآء ، إذ البقآء عبارة عنه ،

وأمّا قلّة الذوق أو عدمها في العبادة إن لم يترك من شروطها شيء ، ولم ينقص من أركانها وآدابها ، وكان في العبادة كأنه مجبور بها ؛ مع أنّ النفس يعمل بها كالآلة الجامدة بلا ذوق ولا شوق كالمشقات المعتادة بلا خوف من النيران ولا طمع من الرضوان ، بل استحياء من الرحمن هي كمال الفنآء ، وأول قدم البقاء .

كما قال سيّدنا سيد الطائفة جنيد رضي الله تعالى عنه : التلذذ من العبادة شرك . انتهى . يعني كلّما يحبّه القلب ويَهْواهُ سواء من العبادة كالصلاة والتلاوة ، أو من آلة العبادة كالمصحف والسجادة حجاب عليه من قبيل قوله تعالى : ﴿إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ . هذا حاصل ما قاله الغوث الأعظم محمود أفندي في بعض مكاتيبه ،

=عليها إذا فقدها ولا يفرح إذا وجدها . انتهى . وقال فيه بعيد هذا : وكم من ظانّ أنّ أنسه بربّه وإنما أنسه بحاله . دليل ذلك فقدانه لأنسه عند فقدان حاله ، فلو كان أنسه بربه لدام أنسه بدوامه ولبقي ببقائه . انتهى فراجعه في ٥٧ ومثله في « تقريب الأصول » في ١٢٨ (منه قدس سره) . قال ابن عطاء إياك أن تلاحظ مخلوقاً وأنت تجد إلى ملاحظة الحقّ سبيلاً ، فيدخل في هذا جميع الأغيار والأنوار ، والمقامات والأحوال ، والدنيا والأخرة ، والنعم الباطنة والظاهرة ، فلا تلاحظ شيئاً من ذلك ، ولا تركن إليه ، ولا تعتمد عليه بقي أو ذهب ، فإن ذلك قادح في إخلاص التوحيد « تقريب الأصول » ١٢٨ .
فكن عبد الله لا عبد العلل . منه ١٢٨ .

ويؤيده ما في « لواقح الأنوار » : إنّ طلب التلذذ بخطاب الله تعالى كما ذكرنا محمود بالنسبة لمن هو تحته في المقام ، وإلاّ فللَّه تعالى رجال يتوبون من التلذذ بخطاب الله تعالى إلا على وجه الشكر لا غير ، فإنّ مَنْ كان الباعث له التلذذ بخطاب الله تعالى فهو عبد لذته لا يكون عبداً لله تعالى . انتهى ١٧٧ من هامش « المنن » من الجلد الأول .

فائدة مهمّة : قال الشيخ محمد مراد في « النفائس السانحات » في ١٠٦ في ترجمة الشيخ محمد صالح : أنه قال : إنّ بعض الناس يقول : كيف نضيّع خمس سنين أو ست سنين في تحصيل هذه الطريقة ؟ مع أنّ العاقبة مَجْهُولة ، أتحصل في تلك المدّة أم لا ؟ وهذا القول يدل على بُعْدِهم عن ساحة السعادة ، فإنّ الإنسان إذا ضَنَّ[1] بخمس سنين من عمره في طلب الحق سبحانه وتعالى ففي ماذا يصرف جميع عمره ؟ !

وقال في هذا المعنى أيضاً : ينبغي للطالب أن لا يسأم ولا يضجر عن الطلب بل اللازم أن يَدُومَ ويَصْبِرَ على الشدائد والتزام الباب بكمال الأدب قائلاً :

لن أبرح الباب حتى تصلحوا عوجي ... أو تقبلوني على عيبِي ونقصاني

إنّ سائلاً لو قرع باب واحد من كرام الناس وأَلَحّ في السؤال فلا جرم يستحي من ردِّه محروماً ! بل يَردُّه بكسرة الخبز التي هي مقصوده ، وما يطلبه الطالب من الطريقة لَأهْوَنُ على الله من كسرة خبز بالنسبة إلى هذا الكريم ، فكيف يردّ طالباً صادقاً ! وهو أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ، ولكن لا بدّ من الجدّ والصبر ،

---

(١) ضنّ بالشيء : بخل « مصباح » .

وقال : إنّ بعض السالكين أراه مغموماً ومَهْمُوماً دائماً لظنه عدم حصول النسبة ، وليس الأمر كذلك ! فإنّ من داوم الذكر والصحبة لا بدّ من أن يحصل له النسْبَة ، ولكن لمّا كان حُصُولها على سبيل التدريج لا يظهر له شيء ، فيزعم أنّه لا يحصل له شيء فيغتم بذلك ، وهذا كمن يعطي ولده للخطّاط ليعلّمه الخطّ فيستكتب منه الخطاط في ساعته ويحفظ ما كتبه عنده ، ثم يترقى الولد في الخط شيئاً فشيئاً وأبوه لا يشعر بذلك ، فبعد مضي أيّام يقول للخطاط إنّ ولدي ما تعلّم شيئاً ، فَيُخرج الخطاط ما كتبه الولد أوّلاً فيقابله بما كتبه في ذلك الوقت فيتميّز الغث[1] من السمين ، وكذلك هُنا ! يعرف المرشد تباين الحالين ، ولكنّ أمر الطريقة لمّا كان أمراً معنوياً غير محسوس لا يمكن تفهيمه إلاّ بالتمثيل .

مهم

وقال في بيان سرّ عدم حُصُول هذه النسبة دفعة : أنّه سَأَلَ واحدٌ شيْخَهُ عن ذلك فقال : لو أنّ جواداً مثلاً أعطى مالاً جزيلاً لواحد من الفقرآء ربّما لا يكون لهذا المال قدر عنده ، ويصرفه فيما لا يعنيه ، ويغنيه في أيام قلائل ، ويبقى محتاجاً مفلساً ، بخلاف ما إذا أعطاه تدريجاً ! فإنّه ينفقه ، ويجد منه بركة عظيمة .

أقول وهذا كما قيل : إنّ المحصول بعد الطلب أعزّ من المنساق بلا تعب ، مع ما في حصولها دفعة واحدة من فوات المقصُود ، أعني حُصُول البصيرة في مَعْرفة عقبات الطريقة ، فإنّه كلّما كانت مُدّة السلوك أطول كانت البَصيرة في معرفة عقباتها ومقاماتها أوضح وأكثر . انتهى .

وفي « الرشحات » في ٩٩ ما خلاصته : ليس في جوف بني آدم

---

(١) غثت الشاة : عجفت أي ضعفت (مص) .

قلبان حتى يجعل أحدهما مشغولاً بالدنيا والثاني بالحق سبحانه، بل فيه قلب واحد، فإن جعله مشغولاً بالدنيا! يبقى بلا حَظٍّ من الله تعالى، وإن كان مُتوجّهاً به إلى الله تعالى! تنفتح منه كوّة إلى الله فتشرق منها إليه شمس الفيض الإلهي، فكما أنّ الشمس إذا طلعت تكون كلّ ذرّة من ذرات العالم محظوظة[1] من نورها من المشرق إلى المغرب وينبسط نورها على الكلّ، فإن كان بيت لا روزنة له ولا كوّة يبقى محروماً من ذلك النور البتة، كذلك القلب! إن كان حاضِراً! فحضوره بمثابة الكوّة يشرق إليه منها نور فيض الوجود، وإن كان غافلاً! يفوت عنه الاحتظاظ بذلك النور كالبيت الذي لا كوّة فيه. شعر:

ولا نقص في فيض الإله ولا بخل ولكنّما النقصان في نفس قابل

انتهى.

والفيض الإلهي غير منقطع أبداً، والمانع من إحساسه ووُجْدانه إنما هو حديث النفس[2]، ولذلك ينبغي للطالب أنْ يشتغِلَ بنفي الخواطر[3] بالجدّ والجهد، وأنْ يتوجّه قلبه إلى الله وينتظر منه الفيض فمَنْ لم ينتظر لا نصيب له منها[4]، كمن دَخل السقف والجدار وقت نزول الأمْطار؛ ونسبة فيض رحمة الله مُتساوية للكلّ، ولكنّ النقصان من القابل. نسأل الله سبحانه وتعالى كمال القابليّة.

فائدة أخرى: ينبغي أن يرى العمل مَحْبُوباً دُونَ الحضور والجمعية، فإنهما من المواهب وعزيزي الوُجُود، ولَيْسا تحت

---

(١) في نسخة: محفوظة.
(٢) كذا في «الرشحات» في ٩٨ راجعه (منه).
(٣) راجع «الرشحات» في ١٠٠ (منه رحمه الله تعالى).
(٤) كذا في النفائس السانحات لمحمد مراد في ٢١١ من هامش الرشحات (منه).

الاختيار ، وفقدانهما مُوجِبٌ للكسل والفتور ، بخلاف العمل ! فإنّه من المكاسب وتحت الاختيار ؛ والمواظبة عليه مُوجبة للجَمْعيّة والحضور ، فإنّ الفتور مُتطرّق إلى الجمعيّة والحضور ، وذلك واقع بالخاصيّة . انتهى .كذا في « الرشحات » في ٢٠٢ .

وفيه أيضاً في ٢٠٢ إنّ المقصودَ من هذا الطريق في اعتقادي كون القلب حاضراً بالله تعالى على سبيل الذوق واللذة دائماً ، ويكتسب هذا المعنى بأعمال مناسبة وأشغال لائقة به ، وذلك في البداية ، وأمّا في النهاية فلا مَدْخل للكسب فيه أصلاً بل يكون هذا المعنى فيها مَلَكَة النفس وملكها . انتهى .

ومما ينبغى أن يعلم أن طلب حصول اللذة في الذكر وظهورالأشياء في النظر داخل في اللعب واللهو بل كلما توجد المشقة في الذكر يكن أفضل وأنفع . كذا في « الدرر » في ١٤ من الجلد الثالث . يعني أنّ ملازمة الذكر بملاحظة امتثال الأمر مع قطع النظر عن طلب الالتذاذ وحصول نتيجته[١] مقام أعلى وهي العبودية المحضة ، والله اعلم (منه) .

مهم

وقد أطلقنا عنان القلم في هذا الموضع لكون ما ذكرته فيه من أهمّ المهمّات عندي ، فلعلّ الله سبحانه ينفع به الإخوان . إنه وليّ النعمة والإحْسان .

الطريقة الرابعة التوجّه والمراقبة ، وهي أن يلازم القلبُ معنى اسم الذات على مفهوم الإيمان على طريق الاستغراق بحيث لا ينفكُّ عنه في أيّ حال ، فإن انتهى أمره إلى انتفاء العلم مطلقاً ! حصل

(١) أي الذكر .

مَبَادىء الفناء . كذا في « البهجة » .

ولها كيفيات عديدة ونحن إن شآء الله تعالى نذكر أنواعاً منها في هذا الموضع .

قال الشيخ أبو عبد الرحمن محمد ذاكر قدس سره في « تبصرة المرشدين » : وإذا ظهرت النتيجة ـ أي نتيجة النفي والإثبات ـ وهي الحضور والذهول والنسْيان ، والاستهلاك والانمحاء والاستغراق والسكر والغيبة ، فيعلِّم الشيخ طريق مراقبة الأحديّة ؛ والمراقبة هُنا عبارة عن انتظار الفيض من الواحد الغفار ، وملاحظة ورودِهِ إلى مورده ، وهو لطيفة من لطائف السالك ، **وعيّنوا لكل مَقام مراقبة من المراقبات، فعيّنوا لدائرة الإمكان مراقبة الأحدية** ؛ وهي عبارة عن تجريد القلب عما سوى الله تعالى متوجّهاً إلى الله تعالى ، وانتظار الفيض من الله تعالى على لطيفة قلبه ، فإن دام الحضور والتجرّد والاستغراق ! فدُمْ على ذلك ، وإن وقع الوسوسة والخطرات ! فادفع بأحد الأمور المذكورة في كلام شيخي من تكرار الكلمة الطيبة والرابطة ونحوهما مما هو مذكور في كتب القوم .

ثم اعلم أيها الأخ الأعزّ بعد تمام سَيْرِ دائرة الإمكان يعلّم الشيخ بمراقبة المعية ، فإنهم كما يأمرون في دائرة الإمكان بمراقبة الأحدية كذلك يأمرون بعدها بمراقبة المعيّة وتمام سير دائرة الإمكان[1] يعرفه السالك إن كان له كشف ، أو يخبره الشيخ إن كان هو صاحب كشف وبصيرة ، وإلاّ ! فينبغي أن يلاحظ السالك جمعيّة قلبه ، فإن بلغ انتفآء الخواطر أوقاتها إلى أربع ساعات كاملات فحينئذ يشرع في مراقبة المعيّة . هكذا قال بعض الأفاضل .

---

(١) ودائرة الإمكان تنقسم إلى صنفين : أعلى وأسفل ، فالأعلى : فوق العرش ويقال له عالم الأمر . والأسفل : من العرش إلى الأرض ويقال له عالم الخلق . « الأنهار الأربعة » .

قال في « الأنهارالأربعة[1] » : إذا حصل الحضور والجمعية للقلب بحيث يبلغ انتفاء الخواطر عنه إلى ساعتين فذلك عند البعض علامة لتمام دائرة الإمكان .

وقال بعضهم : علامته رؤية الأنوار . انتهى كلام « الأنهار » .

ثم يعلّم بمراقبة القلب على نهج ماحررت ، فصفاء القلب بظهوره بالنور الأحمر في عالم المثال ، وكماله بتجلي الصفات الفعلية ، فحينئذ يضمحل كسب العبد لظهور خلق الخالق سبحانه على كسبه كاضمحلال نور السراج عند ظهور الشمس ، أو كاضمحلال النجوم عند ظهور نور الشمس ، على تفاوت كمال القلب ، فالقلب تحت قدم نبيِّنا أبينا المشفق حضرة آدم عليه الصلاة والسلام ، وولايته منسوب إليه عليه السلام .

ثم بمراقبة الروح[2] ؛ وصفاؤه بظهوره بالنور الأصفر في عالم المثال عند البعض ، وبالأحمر ـ كما في « المكتوبات » ـ وكماله بتجلّي الصفات الثبوتية فحينئذ لا يضيف العبد كمالاته إلى نفسه ، بل إلى الله تعالى ، فيأمَنُ من العجْب ونحوه من المهلكات ، فالروح تحت قدم إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام ، ونوح عليه الصلاة والسلام يشاركه ، وولايته منسوب إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

ثم بمراقبة السِر ، وعلامة صفائه ظهوره بالنور الأبيض ، وكماله بتجلّي الشؤونات الذاتية فحينئذٍ يَرَى السالك في عالم المثال نفسه على صورته – كما في مكتوبات الإمام الرباني – حتى قال البعض من أهالي الكمال : إنّه تجلّي الذات . كما في « الفتوحات » . وهو تحت قدم موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام – أي تحت

---

(١) راجعه بعيد قوله الطريق الثالث الاستفادة من الشيخ ، انتهى .

(٢) ولينتظر بالانكسار إلى ورود الفيض برجاء الإفاضة منهم « كنز المعارف » .

ولايته - وولايته منسوب إليه عليه السلام .

ثم بمراقبة الخفي ، وصَفآءُ الخفي بظهوره بالنور الأسود ، وكماله بتجلي الصفات السلبيّة ، فحينئذ يكمل تنْزيه العبد لله تعالى ، وهو تحت قدم عيسى روح الله عليه الصلاة والسلام ، وولايته منسوب إليه عليه السلام .

ثم بمراقبة الأخفى وصفاؤه ظهوره بالنور الأخضر ، وكماله بتجلي الذات سُبْحانه ، ويؤيّده ما ورد - في الأخفى أنا - كما في « المكتوبات » فحينئذ يصير السالك مُتخلّقاً بأخلاق الله تعالى - على ما قال البعض - وهو تحت قدم نبيّنا عليه أفضل الصلاة والسلام ، وولايته أيضاً مَنْسُوبٌ إليه عليه الصلاة والسلام ويقال لصاحبها[1] : محمديّ المشرب فالكلّ في سير الولاية الصغرى ، ثم بعد ذلك ينظر الشيخ بدقة النظر إلى حال المريد ، هل يقدر لرعاية آداب الولاية الكبرى ؟ ! فإنّ آدابَ الولاية الكبرى أدق من آداب الولاية الصغرى على ما قالوا ، حتى قال شيخنا جزاه الله عَنّا عن بَعْض السادات : إنّه لا يخرج الدَرويشان إلى سَيْرِ الولاية الكبرى تعليلاً بأنّهم لم يُراعُوا آدابها فيسقطُونَ منها ، فحينئذ يُعَلِّم سير الولاية الكبرى ، فدائرة الولاية الكبرى متضمّنة ـ على ما قالوا - الدوائر الثلاثة ، **وقوس الأولى دائرة الأقْرَبيّة ، ويأمُر فيها بمُراقبة الأقربيّة[2] ويُعَلِّمُها ، والثانية دائرة المحبّة ، والثالثة دائرة**

---

(١) وقد مرّ مثل هذه المذكورات في بيان الطريقة الثالثة ، وكرّرهنا بعضاً من العبارات المذكورة هناك ، لأنّ ما مرّ في بيان تذكير أصول اللطائف ! وما ذكر هاهنا في بيان كيفية المراقبة بملاحظة اللطائف ، فالتكرار لا يخلو عن فائدة زائدة فتدبر ، (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) وهاهنا تنتهي الطريقة النقشبنديّة ! وما فوق ذلك من المقامات فممّا اختصّ بها الإمام الرباني ، ويقال لمن سلكها : مجدّديّ ؛ لأنه أول من فصلها ، وإن كان مشائخه ذاقوها بالإجمال ، فافهم ، وراجع زيل ترجمة « الرشحات » منه رحمه الله تعالى .

المَحْبُوبيّة ، - والقوس نصف دائرة هو دائرة قاب قوسين - ويعلِّم الشيخ في هذه الثلاثة مُراقبة المحبة على نهج ما قررت ، ومورد الفيض في الكلّ بالذات لطيفة النفس ، ثم بواسطتها سائر اللطائف ، فحينئذ يحصل كمال النفس ، وهي بعد كمالها تجلس سريرَ الصدر .

وكيفية المراقبات غير المراقبة الأحديّة مسطورة في رسالتنا ، وهي في يد كل من صنّف هذه الرسالة لأجله مَوْجودة ، ولهذه العلّة هذا الفقير عن كتابتها في هذه الرسالة معذورٌ .

وقال البعض في رسالته : وعلامة قطع بعض الدائرة وتمامها هي أنّ الدائرة تنكشف للسالك كقرص الشمس ، وكلّما قُطع من الدائرة شيء فعلى قدره يكون لها الظهور بالنورانيّة بكمال الشَعْشَعان ، ومقدارها الذي لم يقطع يعلم فإنّه يرى بلا نور ؛ كالشمس في وقت الكسوف . انتهى .

وقد ظهر لبعض المحبّين الدوائر الثلاث والقوس جملة بكمال الشعشعان ، وقد تعجَّب منه شيخه بعد القصّة .

ثم علامة تمام الولاية الكبرى أنّ معاملة فيض الباطن التي كانت تتعلّق بالدماغ هي تتعلّق بالصدر ، لانتقال مورد الفيض في الدماغ حينئذ منه إلى الصدْر ، وهو لطيفة النفس ، وهي الآن في سرير الصدْر كما سبق ، فحينئذ يحصل شرح الصدر واطمئنان النفس والإسلام الحقيقيّ والارتقآء إلى مقام الرضآء . على ما بيّنوا في كتبهم قدّس الله تعالى أسرارهم .

قال إمامنا الإمام الغزالي في « الإحيآء » : أما بعد ؛ **فإنّ المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات ، والذروة العليا**

من الدرَجَات ، فما بعد إدراك المحبّة مقام! إلاّ وهو ثمرة من ثمارها ، وتابع من توابعها ، ولا قبل المحبة مقام! إلاّ وهو مقدمة من مقدّماتها . انتهى كلامه .

ثم اعلم أن السير في الولاية الكبرى في الاسم الظاهر ، وهو جَناحٌ واحدٌ ، فلا بدّ من تحصيل جَناح آخر للطيران! وهو السير في الاسم الباطن الذي هو ولاية الملأ الأعلى المسمّى **بالولاية العُلْيَا** ، وعَيَّنوا فيها مراقبة واحدة؛ والترقيات بالأصالة في هذا السير لِلْعَنَاصِرِ سوى التراب ، والتراب تابع لها في السير ، ولكن لايتأخّر عنها كما في « الرسالة المدنيّة » ؛ ومورد الفيض في هذه الولاية بالذات للعناصر سوى التراب أيضاً ، وفيها ارتكاب الرخصة ينافي الترقي لتقوية طرف البشريّة ، بل التزام العمل بالعزيمة يفيد الترقي لتقوية طرف الروحانية والملكيّة ، **ثم بعد ذلك** إذا وقع السيْرُ يتشرَّف السالك بكمالات النبوّة ، ثم بكمالات الرسالة ، ثم بكمالات أولي العزم ، وهي التجلي الذاتي الدائميّ ، وهو على ثلاثة مراتب **وعيَّنوا لكلّ** واحد منها مراقبة على حدة ، **ثم مورد الفيض** في كمالات النبوّة عنصر التراب ، وإن كان للبواقي حظّ منها بالتبعيّة ، **ومورد الفيض في كمالات الرسالة وكمالات أولي العزم الهيئة الوحدانيّة** الحاصلة للسالك في هذا المقام من مجموع عالم الأمر وعالم الخلق ، ثم بعد ذلك إن تيسّر التسليك يسلك الشيخُ الطالب إلى أحد الطرفين أيّاً شاء ،

أحدهما : طرف الحقائق الإلهية ، وهي حقيقة الكعبة ، وحقيقة القرآن ، وحقيقة الصلاة ، وعيّنوا لكلٍّ مراقبة على حدة ؛

وثانيهما : طرف الحقائق الأنبيائيّة وهي الحقيقة الابراهميّة ،

والحقيقة الموسَوِيّة ، والحقيقة المحمديّة ، والحقيقة الأحمديّة ، ولكلٍّ أيضاً مراقبة على حدة على ما قالوا ، ثم وثم ، إلى ما شآء الله تعالى ، والله تعالى أعلم بالصواب ، والحمد لله الملهم بالحق والصواب ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمّد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بعدد كلّ شيء إلى يوم الحساب . انتهى ماقاله الشيخ محمد ذاكر الچيستالي في « تبصرة المرشدين » .

ومن أراد التفصيل فعليه أن يرجع إلى « النفائس السانحات » وغيره من كتب السادات .

وأحببت أن أكتب هنا جميع الدوائر والمراقبات الكائنة في هذه الطريقة المجدّدية على الكيفيّة التي أجملها غوث الثقلين الشيخ الفاني إسماعيل الچوخيّ الداغستاني المهاجري النقشبندي قدّس الله سرّه ، عن الالتفات إلى ما سواه لتعلم حقيقة ما تستعمله الطائفة النقشبندية المجددية الخالدية في طريقتهم فتقابلها بما عليه المغترون المتشبهون ، سامحهم الله ، وأيضاً وإن كانت الأشياء الذوقية لا يعرفها إلا أهلها ، لكنّ ذكرها لا يخلو عن فائدة فإنّ أهل الدعوى لو نظروا إليها بالانصاف لحكموا على أنفسهم بالإفلاس ، رزقنا الله وإياهم الاستقامة ؛ وقد وضعتها في الجداول مع زيادة في بعض الأمور ولعلك تعرف أن تميزها .

وهذا الترتيب إلى معبودية الصرف أراناه[1] حضرة علي كرّم الله وجهه أولاً ، وبعد ذلك رأينا مرات وكرّات .

دائرة الإمكان المفهوم من قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ .

مراقبة أحدية

وقد مر أنهم ربما يراقبون بملاحظة اللطائف وقد وضعتها في الجداول على هذا الترتيب

ولاية صغرى

المفهوم من قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ .

مراقبة معيّة

وفي هذا المقام يوجب الترقي للسالك التهليل اللساني مع رعاية الوقوف القلبي وملاحظة المعنى بأن يلاحظ وقت النفي نفي وجوده ووجود جميع ما سوى الله تعالى أو ما يراد نفيه بخصوصه ، ووقت الإثبات إثبات الحق تعالى . كذا في ذيل ترجمة « الرشحات » . وكان شيخنا العسلي قدس سره يقول : يجوز في هذا المقام أن يشتغل السالك بنوافل العبادات ، وكان يرخّص لذكر اللسان . انتهى . جزاه الله عنا خيراً . آمين .

الولاية الكبرى

المفهوم من قوله تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ انتهى

مراقبة أقربية

سيف قاطع — مراقبة محبّة

المفهوم من قوله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ انتهى .

وهذه المراقبات في الولاية الصغرى كما مر .

نوره أصفر — مراقبة القلب — آدمي المشرب

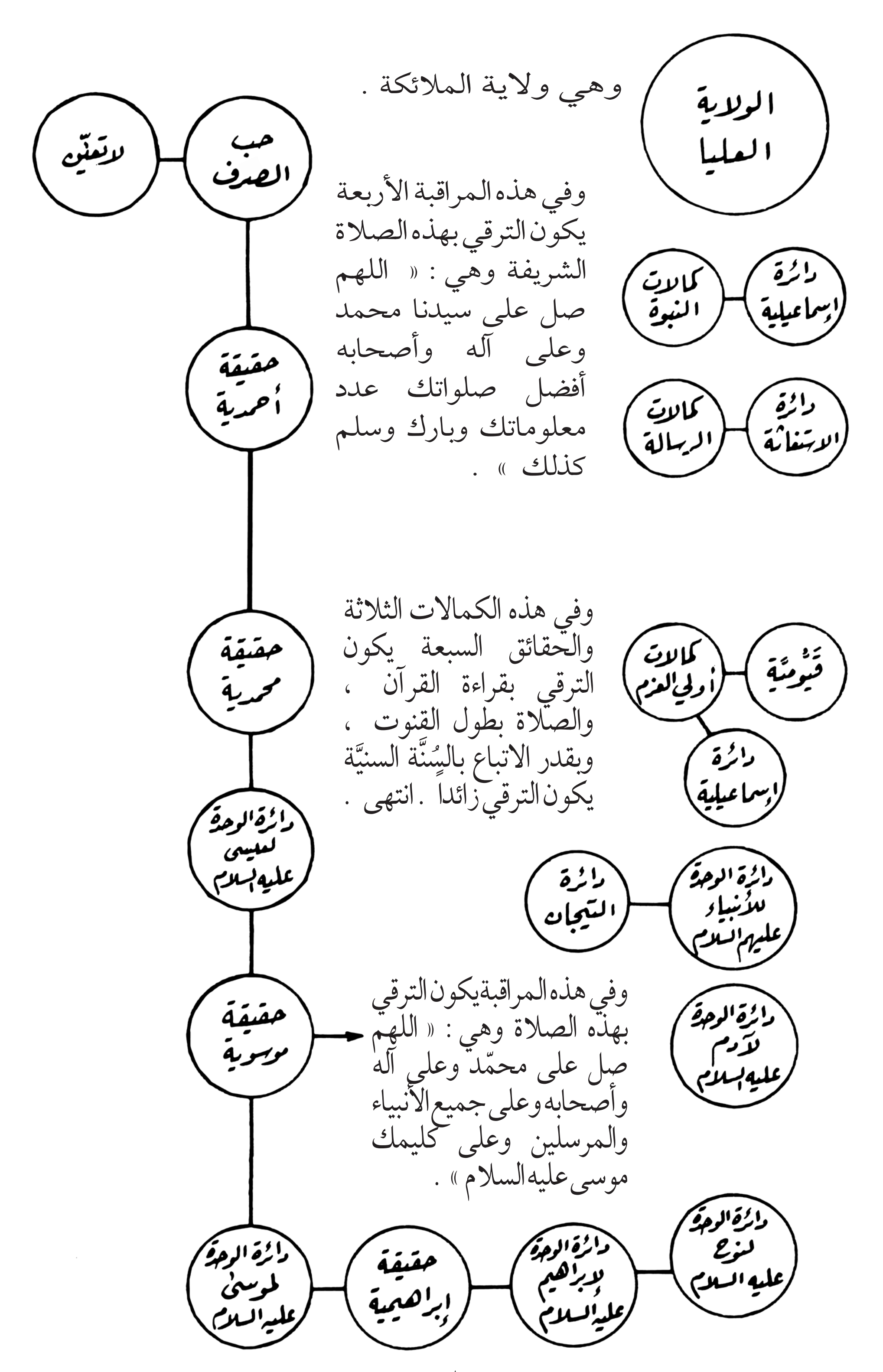
نوره أحمر — مراقبة الروح — ابراهيمي المشرب

نوره أبيض — مراقبة السرّ — موسوي المشرب

نوره أسود — مراقبة الخفيّ — عيسوي المشرب

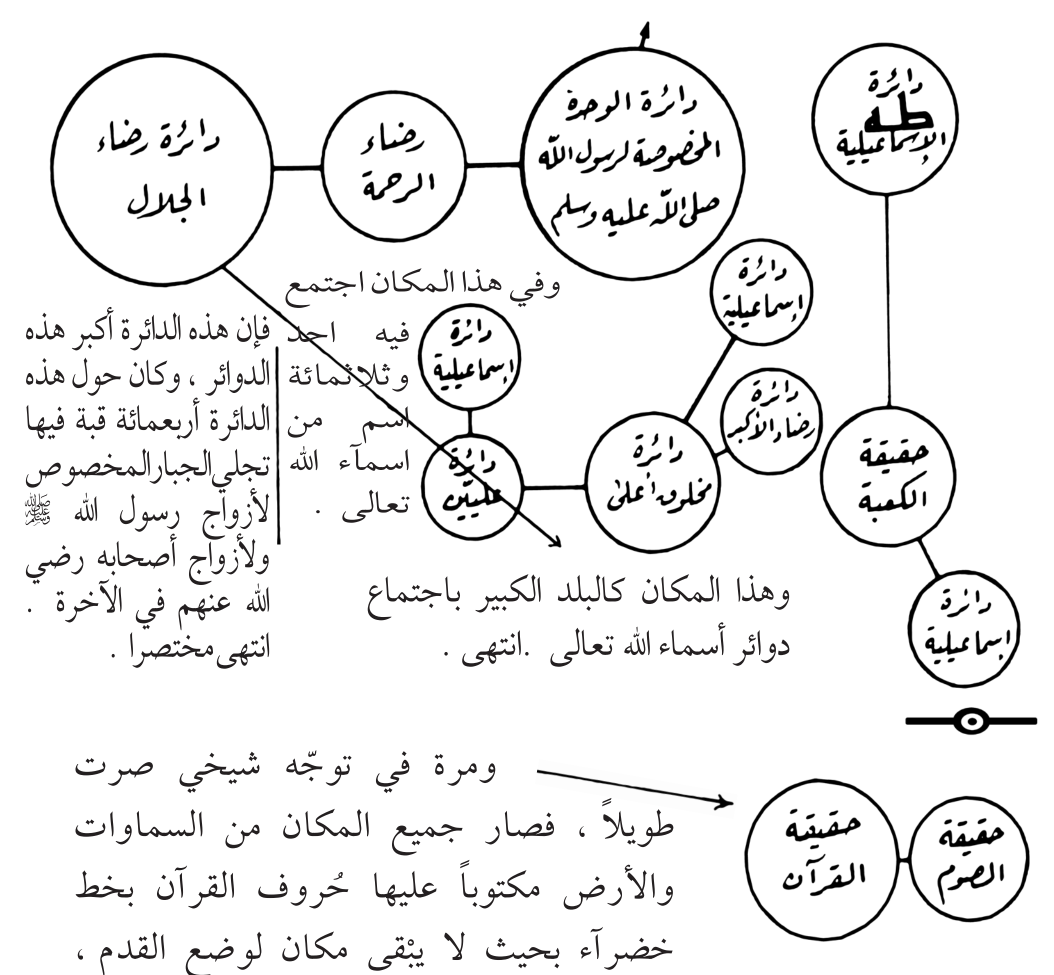
نوره أخضر — مراقبة الأخفى — محمدي المشرب

(١) وفي نسخة : أرانا إياه . .



الولاية العليا
وهي ولاية الملائكة .
لاتعيّن
حب الصرف
وفي هذه المراقبة الأربعة يكون الترقي بهذه الصلاة الشريفة وهي : « اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أفضل صلواتك عدد معلوماتك وبارك وسلم كذلك » .
دائرة إسماعيلية
كمالات النبوة
دائرة الاستفاضة
كمالات الرسالة
حقيقة أحمدية
حقيقة محمدية
وفي هذه الكمالات الثلاثة والحقائق السبعة يكون الترقي بقراءة القرآن ، والصلاة بطول القنوت ، وبقدر الاتباع بالسُنَّة السنيَّة يكون الترقي زائداً . انتهى .
قيّوميّة
كمالات أولي العزم
دائرة إسماعيلية
دائرة الوحدة لعيسى عليه السلام
دائرة التيجان
دائرة الوحدة للأنبياء عليهم السلام
حقيقة موسوية
وفي هذه المراقبة يكون الترقي بهذه الصلاة وهي : « اللهم صل على محمّد وعلى آله وأصحابه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى كليمك موسى عليه السلام » .
دائرة الوحدة لآدم عليه السلام
دائرة الوحدة لموسى عليه السلام
حقيقة إبراهيمية
دائرة الوحدة لإبراهيم عليه السلام
دائرة الوحدة لنوح عليه السلام

ثم قال لي الخضر عليه السلام : ويتوّجه غوث الثقلين إسماعيل من هذه الدوائر لمن أراد من المريدين . انتهى مختصراً .



ومرة في توجّه شيخي صرت طويلاً ، فصار جميع المكان من السماوات والأرض مكتوباً عليها حُروف القرآن بخط خضرآء بحيث لا يبْقى مكان لوضع القدم ، فبقيت متحيّراً وبقيت بعده . الخ . ومرة في توجه شيخي بعد تعليمه إليّ حقيقة القرآن صِرْتُ طويلاً مع شيخي ومع الإمام الرباني فجاء القرآن من جوّ الدائرة وتعانقني وصرت مغشيّاً عليّ ولم أعلم بعده . انتهى مختصراً .

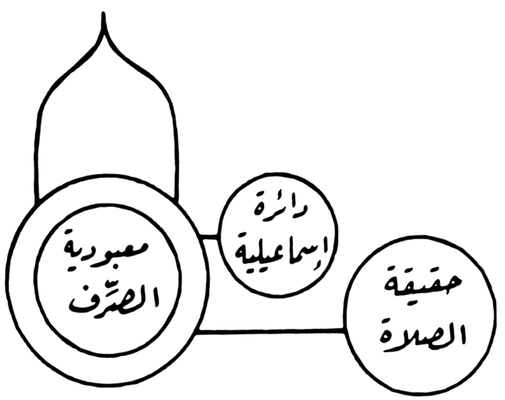
وفي ليلة الجمعة الثامنة عشر من شعبان سنة [1]١٣٠٦ جاء

---

(١) وفي نسخة : ١٣٠٤ .

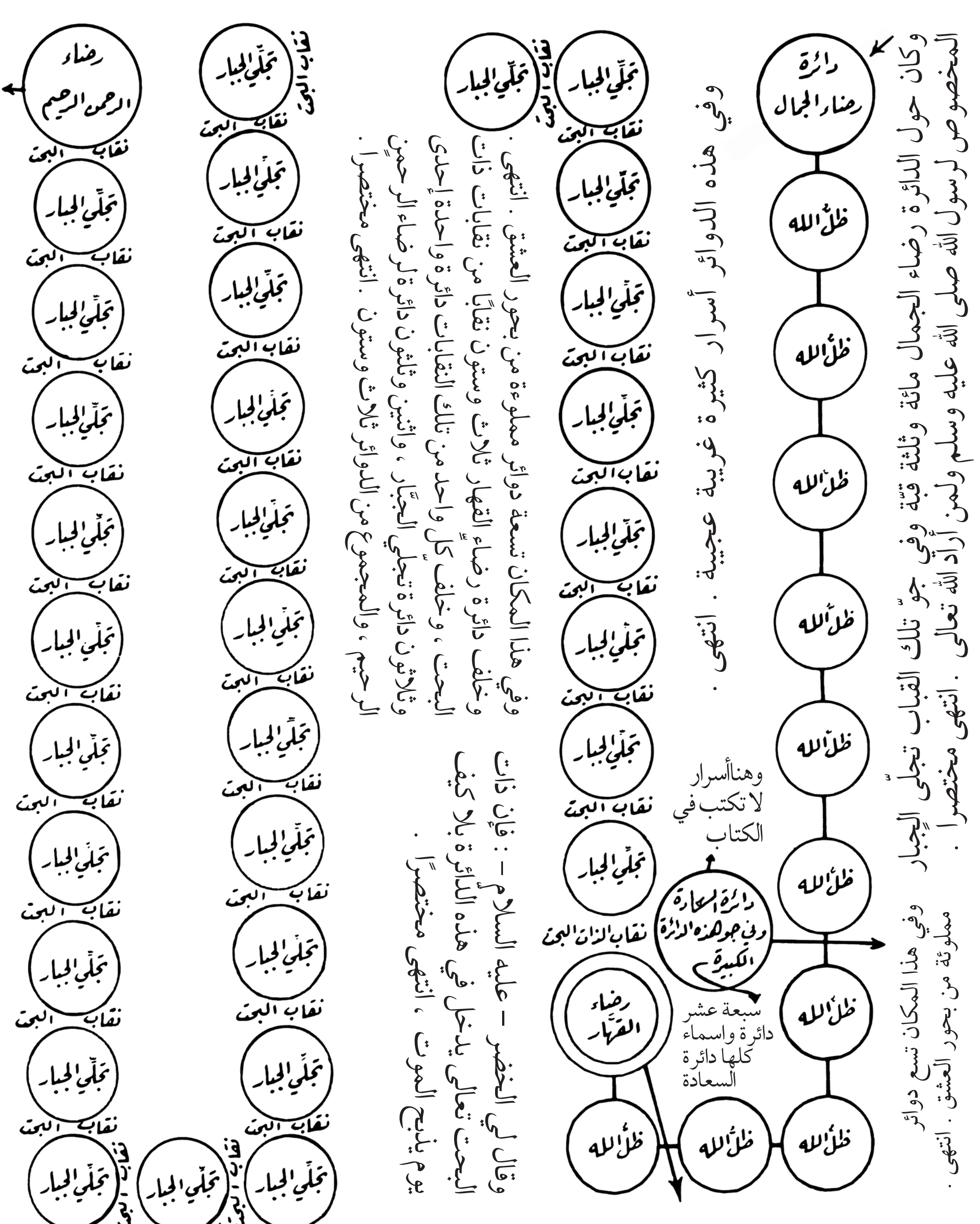
رسول الله ﷺ إلى تكّة غوث الثقلين إسماعيل بصورته الجسمانية وقال رسول الله ﷺ يقظة ومشافهة وأنا أنظر بعين رأسي فإنّ الله تعالى خلق الآن لغوث الثقلين إسماعيل ثلاثة دوائر ، دائرة واحدة بحذاء معبودية الصرف ودائرة واحدة بحذاء مخلوق أعلى ودائرة واحدة بحذاء عليّين ، وفيوضات تلك الدوائر الثلاثة قد أسال الله تعالى الميزاب من نور تجلي الجبار إلى هيئة واحدية غوث الثقلين ، ويتوجّه غوث الثقلين لمن أراد من خلفائه من تلك الدوائر ، وأسماؤهم دائرة إسماعيلية . انتهى كلام رسول الله ﷺ يقظة ومشافهة ، انتهى .

هذه علامة حمراء فوق معبودية الصرف كالمنارة

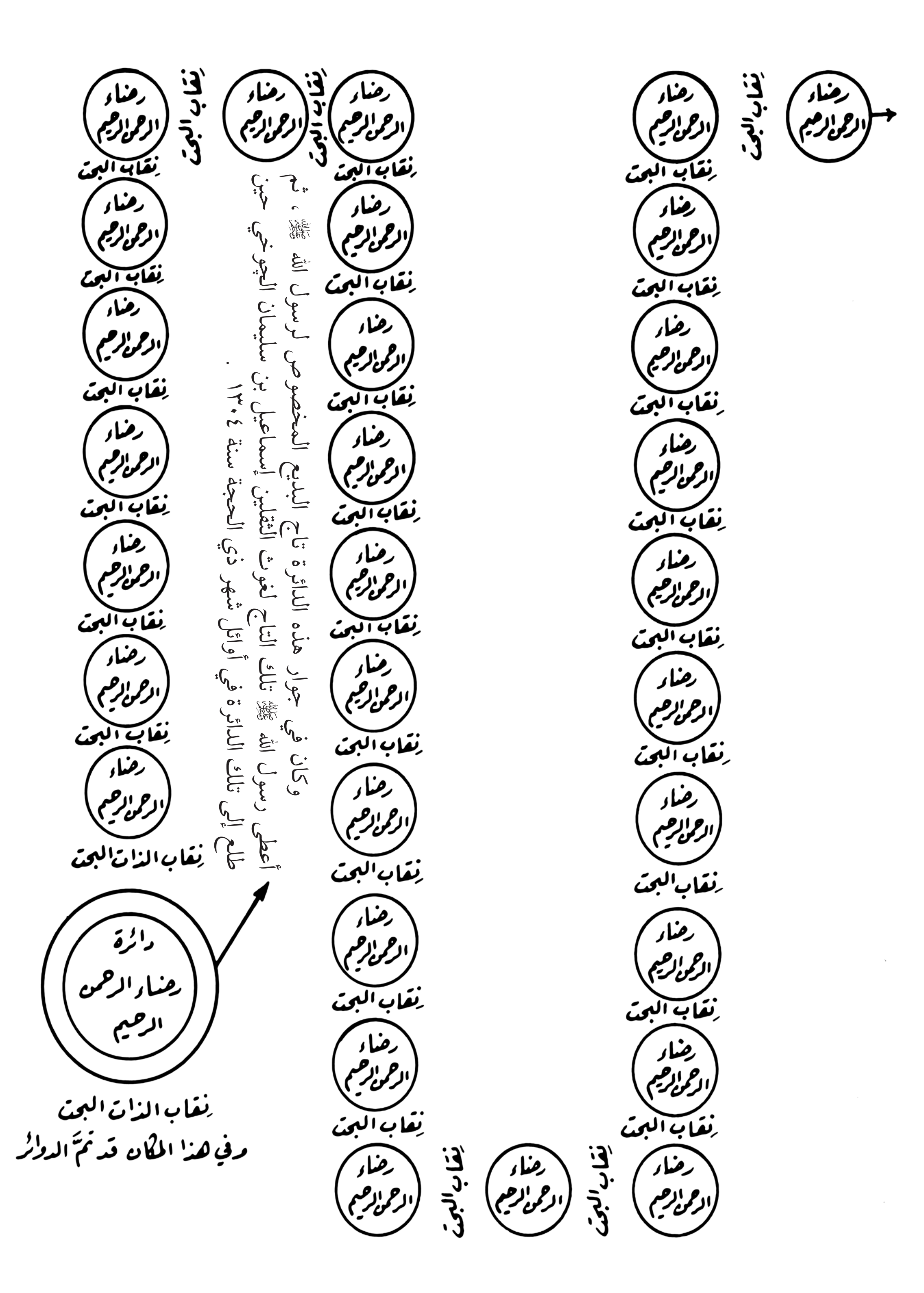


والأسرار التى فوق معْبوديّة الصرف كلها واجب الستر انتهى .

وفي هذه المراقبات يكون الترقي بقراءة القرآن والصلاة النافلة بطول القنوت والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .



وهذه الدائرة أقرب الدوائر إلى نقاب . انتهى .


رضاء الرحمن الرحيم
نقاب البحت
وكان في جوار هذه الدائرة تاج البديع المخصوص لرسول الله ﷺ ، ثم
أعطى رسول الله ﷺ تلك التاج لغوث الثقلين إسماعيل بن سليمان الحوخي حين
طلع إلى تلك الدائرة في أوائل شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٤ .
نقاب الذات البحت
دائرة رضاء الرحمن الرحيم
نقاب الذات البحت
وفي هذا المكان قد تمّ الدوائر

ولكنّ نقابات الذات البحت بعد هذه الدوائر كثيرة بلا حساب ، لا يعلم عددها إلا الله تعالى ، وخلف كل واحد من النقابات بحر من الفيوضات اللاتي خرجت عن الذات البحت ، وتنتهي تلك البحور في سدرة المنتهى المخصوصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدد النقابات بعدها إلى الذات البحت إحدى ومائة نقاب ، وتلك النقابات كأوراق القرآن ليس بينها شيء ، هكذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحوالها وإلا ! لايقدر أحد من المخلوقات أن يتكلم من أحوال تلك النقابات غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يعلم ما كان خلف النقابات اللاتي كانت بعد سدرة المنتهى إلا الله تعالى » . وفي سدرة المنتهى أسرار وغرائب وعجائب بحيث لا يتحمل القلم والكاغذ للكتبة ، ولا يمكن التلفظ بها بعبارة لضيق ميدان العبارة في حقها فافهم! ولا تكن من الممترين!

وهذه الدوائر طريق الأولياء إلى سدرة المنتهى المخصوصة له صلى الله عليه وسلم ، وطريق آخر كان لأولى العزم ، وطريق آخر كان لسائر الأنبياء ، وطريق آخر كان لأرواح من الأصحاب ونادراً من الأغواث ، وذهب عليه السلام إلى المعراج أي : إلى سدرة المنتهى من طريق آخر غير هذه الطرق ، وفي تلك الطريق ليس دائرة ولابحر غير مقام جبريل عليه السلام انتهى مختصراً . **وهنا أسرار** لا يدرك حقيقة تلك الطرق إلا الله تعالى .

وبعد كتبة هذه الدوائر أرسلت الدوائر بيد فاطمة رضي الله عنها الداغستانية الأوريّة العُرْكَچِيَّةِ إلى يد الخضر عليه السلام لينظر عليه السلام إليها ، فنظر بالدقة إلى جميع هذه الدوائر من أوّلها إلى آخرها ، وقرأ الخضر عليه السلام كلّ الدوائر مع ظهوراتهم ثم قال الخضر عليه

السلام لفاطمة : فاقرئي مني سلامي على غوث الثقلين ، ليس في هذه الدوائر خطأ وعرج ، وهي صحيحة كما كانت حقيقة ، ووقعت في مكانها ومقامها بلا خلط . انتهى ما قاله غوث الثقلين إسماعيل الچرخي المهاجري . فما أطول هذا الطريق ، وأنّى يصل إليه مَنْ يَمْشِي مَشْيَ النملة العرجاء من أمثالنا ، الغرقى في بحر عميق ، رزقنا الله تعالى المقام الحق الحقيق برفيق التوفيق . إنه هو العفو الكريم .

البابُ التاسِعُ والعِشرُونَ

في بيان كَون ما يَفْعَلهُ النقشبندِيّونَ في طريقتهم من الآداب وغيرها موافقاً بالأدلة من الكتاب والسنة أو آثار السلف من أهل السنّة والإجماع[١]

وقد قصدتُ[٢] أنْ أكْتُبَ هُنا خلاصَة ما ذكره العالم العلاّمة والحبر الفهّامة الشيخ يوسف أفندي شوقي الطرابزوني الأوفى الحنفي النقشبندي في « هداية الذاكرين » و« حجّة الواصلين » اختصاراً والتقاطاً ، مَعَ ضمِّ ما في سائر الكتب من الأشياء المهمّات في أثناء بَعْض المواضع .

قال قدّس سره : وبعد[٣] فشرائط النقشبندية : الاعتقاد الصحيح المطابق لاعتقاد أهل السنّة والجماعة ، والتوبة الصادقة ، واتّباع السنّة السنيّة ، واجتناب البدَع المخالفة للشريعة ، وترك الرخصة[٤] ، والعمل

---

(١) وفي نسخة : الجماعة .
(٢) وفي نسخة : وقد أردت .
(٣) بعد البسملة والحمدلة (منه) .
(٤) وقد قيل : متى رأيت المريد يشتغل بالرخص أو بالكسب فاعلم أنه لا يجيء منه شيء=

بالعزيمة ، وردُّ المظالم ، والاستحلال من أصحاب الحقوق ، وقضاء الفوائت ، والتزام كثرة ذكر الله تعالى ؛ المأمور بذكره كُلَّ مَنْ آمن به واتبع سبيله ؛ باسم الذات الجامِعِ لجميع الأسماء والصفات العلية ؛ بالذكر الخفيّ في القلب واللطائف ، وبالنفي والإثبات ، ثم التهليل باللسان .

وأمّا آداب[1] ذكر المنتسبين لهذه الطريقة التي هي بمنْزلة الشروط عِشْرُونَ : أربعة عشر منها آداب ، واثنان منها مَعْرفة التأثيرات والواردات بسبب الورد والرابطة ، وأربعة منها أبواب إلهيّة ، **الأول** : الطهارة الكاملة بأن يكون مُتوضئاً طاهر البَدَنِ[2] والثياب والمكان ، **والثاني** : استقبال القبلة في مكان خال . **والثالث:** الجلوس مُتورِّكاً على عكس ما في الصلاة ؛ بأن يعتمد على وركه الأيمن ، ويخرج قدم رجله اليمنى من تحت ساق الرجل اليسرى . **والرابع** : الاستغفار من جميع المعاصي والمخالفات والغفلات بأن يقول : أستغفر الله خمساً ، أو خمس عشرة ، أو خمساً وعشرين مرة . **والخامس** : قراءة الفاتحة مرة ، والإخلاص ثلاث مرات وإهداء ثوابها إلى روح سيّدنا محمّد ﷺ وإلى أرواح سلسلة الطريقة العليّة النقشبندية الخالدية قدّس الله

=وأمّا عند النقشبندية بعد الحضور لا يضر . كذا في « المتممات » فراجعه في ١٩٦ .
وفي « جامع أصول الأولياء » في ٥٢ : وليس المراد بالرخصة هنا ما هو كقصر الصلاة والجمع والفطر وغيرها ، بل المراد مداراة الناس والإقبال على الأسباب الخ فراجعه . (منه رحم الله إفلاسه) .

(١) دأب علّه . (هامش الأصل) .

(٢) وفي « مفاتح الجنان » راجعه في ٩٧ وفي ٦٢ « شرح شرعة الإسلام » ما يدل على استحباب التيمم لذكر الله ولكل خير ولردّ السلام ونحوه كمسّ المصحف وقراءة القرآن عنه أو عن ظهر القلب وزيارة القبور ودفن الميت والأذان والدخول في المسجد أو خروجه ولو عند وجود الماء وصرّح به في شرح النقاية نقلاً عن المحيط ومثله في البزازية فراجعه (منه رحمه الله رحمة واسعة آمين) .

تعالى أسرارهم العليّة . **والسادس** : الاستمداد من أرواحهم . **والسابع** : تغميض العينين بلا شدّة ، لاصقاً الأسنان بالأسنان والشفة بالشفة واللسان بسقف الفم ، منطلق النَفَسِ على حاله ، كما في حال النوم . **والثامن** : رابطة الموت ، وهي عبارة عن ملاحظة الموت وأحواله ، والقبر والسؤال والحساب ، والقيامة وأهْوالها ، كأنّ الموت قد حَلّ به الآن ، وكأنّ هذا آخر نَفَس من أنفاسه في الدنيا . **والتاسع:** رابطة المرشد من حيث هو مرشده وأستاذه ، وهي عبارة عن المحبة الكاملة له لله وفي الله . **والعاشر** : رابطة الحضور ، وهي عبارة عن التفكر بأنّ الله تعالى حاضر ناظر محيط ، عالم بك وبجميع العالم بكمال الهيبة والعظمة ، منَزَّه عن المكان والجهة والصورة . **والحادي عشر** : الوقوف القلبي ، وهو عبارة عن التوجُّه إلى القلب الصنوبري بعين الخيال ، وتطهيره عمّا سوى الله تعالى . **والثاني عشر** : الوقوف الذكري ، وهو عبارة عن تخيّل لفظة الجلالة أعني لفظة الله ، وتخيل نقشه على القلب ، **والثالث عشر** : الوقوف العددي وهو عبارة عن ضَبْطِ عدد الذكر الذي ذكرْته . **والرابع عشر:** القول في رأس كل مائة(١) أو عند غلبة الخواطر مما سوى الله تعالى : **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي** . **والخامس عشر:** مَعرفة تأثير الذكر ، أي انتظار الواردات الإلهيّة على القلوب واللطائف بَعْد تمام الورد بسبب الذكر . **والسادس عشر** : معرفة تأثير الرابطة ؛ أي انتظار الواردات والفيُوضات الإلهيّة . **والسابع عشر** : الشريعة وهي الباب الأول من الأبواب الأربعة الإلهية الموصلة إليه تعالى ، أي العلم بالشريعة واتباعها لدُخول الجنة والنجاة من النار . **والثامن عشر** : الطريقة ، وهي ثاني الأبواب الإلهية الموصلة إليه تعالى لتكميل تزكية الإيمان والقلب . **والتاسع عشر** : الحقيقة ، وهي ثالث الأبواب الإلهيّة الموصلة إليه تعالى لتكميل الإنسان ، وكسب العيان .

---

(١) نعني رزيادة (وسلم) أولاً وآخراً (منه) .

والعشرون : المعرفة ، وهي رابع الأبواب الإلهية الموصلة إليه تعالى ، وهي المطلب الأعلى ، وهي لسلامة القلب والعرفان ، وهذه الأبواب الإلهية كلها متلازمات لا تخالف بعضها بَعْضاً[1] ، فإنّه لا ينفع ظاهر إلاّ بباطن ، ولا يُعْتبر باطن إلاّ بظاهر ، لأنّه ورد « إنّما الأعمال بالنيات » ولا تنفع النيّة إلاّ بالعمل لأنّ النية شرطه . مثلاً : إنّ الرجل إذا نوى الصلاة فلم يُصَلّها لا تجزؤهُ عن الصلاة ، وكذا الصلاة لا تجوز إلاّ بالنية كما بيّنه الإمام الشعراني في كتابه « الدر والياقوت » .

أمّا الطهارة الكاملة فلتعظيم الذكر وللسلاح على الأعداء ، كما في الصلاة لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾وقوله تعالى ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ وقوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ ولقوله عليه الصلاة والسلام « تنظّفوا بكل ما استطعتم ، فإنّ الله تعالى بنى الإسلام على النظافة ، ولن يَدْخل الجنة إلاّ كل نظيف » ، وقوله « إنّ الله نظيف يحب النظافة ، فَنَظِّفُوا أفنيتكم » وزاد في رواية « ولا تشبّهُوا باليهود » وقوله « الطهور شطر الإيمان » الخ وقوله « إذا توضَّأ العبد تحاتَّ عنه ذنوبه كما تحاتَّ ورق هذه الشجرة » . انتهى ، « هدية » وروي عنه عليه السلام « إذا توضأ الرجل المسلم خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه ، فإن قعد قعد مغفوراً له » الحديث انتهى من « أسباب الفلاح » من ٢٥ .

---

(١) وفي « الإحياء » : فمن قال : إنّ الحقيقة تخالف الشريعة ، أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان . انتهى . فراجعه في ٧٥ ج ١ ، وفيه قُبيل هذا ما حاصله : أنّ قول من قال : إنّ الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر . انتهى فراجعه في ٧٤ (منه رحمه الله تعالى) .

* والوقوف القلبي عبارة عن وقوف السَالك قلبه بدون الذّكر وتوجّه عَلى بَالهِ وكونه ناظراً إليه حتى ينسدّ عليه خطور ما سوى الله تعالى ولا يكون للتفرقة سبيلاً إلى الْقَلْبِ فيحدث في القَلْب توجّهاً إلى المطلوب الحقيقيّ من « مكتوبات العُرْوَة الْوُثْقَى » .

وأمّا استقبال القبلة في مكان خال فلتعظيم ذكر الله ، ودفع الشغل ، وطلب الحضور والفراغ ، واجتناب الرياء . لقوله تعالى ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ ولقوله عليه الصلاة والسلام « خير المجالس ما استقبل القبلة » . انتهى . « هدية الذاكرين » .

وروى الطبراني بإسناد حسن « إنّ لكل شيء سيّداً ؛ وإنّ سيد المجالس ما استقبل القبلة » ، وفي رواية أيضاً « أنّ لكل شيء شرفاً » . انتهى « لواقح الأنوار » في ١٠٨ من هامش الجزء الثاني من « المنن » .

وفيه : وأمّا إن كان جالساً في حلقة فالتوجّه إلى وجوه الناس أفضل ، فراجعه . وقوله عليه الصلاة والسلام : « السرّ أفضل من العلانية » ولمن أراد الاقتداء العلانية أفضل من السرّ وفي الحديث القدسيّ « عبدي إذا ذكَرْتني في نفسك ذكرتك في نفسي » الحديث . وقوله عليه الصلاة والسلام « ذاكر الله خالياً كمبارزة إلى الكفار من بين الصفوف خالياً » . وقوله ﷺ لعلي كرم الله وجهه ورضي الله عنه : « عليك بمُداومَة ذكر الله تعالى في الخلوة » كما في « جامع الأصول » .

وأمّا الجلوس متوركاً على عكس ما في الصلاة فلاتّباع الأصحاب رضي الله عنهم ، ولاستراحة البدن ، لأنّ الأصحاب كانوا يجلسون عند النَبي ﷺ على هذه الهيئة ، واتّباع الأصحاب سنّة ، وهي أقرب للتواضع وأجمع للحواس على القلب .

وأمّا الاستغفار فللطهارة من دنس الذنوب ؛ لأنّ الذنوب مانعة من الوصول إلى حضور حضرة ربّ الأرباب ، ورَيْنٌ وحجابٌ على القلوب ، وذلك فرض على كلّ مُذْنب وعاص ، لقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ الآية الخ ، ولقوله ﷺ « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » وقوله « الله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم إذا سقط عليه بعيره قد أضَلَّه بأرض فلاة » وقوله « من لزم

الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل همّ فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب » وقوله « ثلاثة مَعْصُومُونَ من شرّ إبليس وجُنوده : الذاكرون الله كثيراً بالليل والنهار ، والمستغفرون بالأسحار ، والباكون من خشية الله » .

وأمّا قراءة الفاتحة والإخلاص وإهداء ثوابها لأرواح السلسلة فللوَسيلَة للاستمداد منهم ، وللقربة والمناسبة لهم ، لقوله تعالى ﴿إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ الآية ولقوله ﷺ « ابتغوا إلى الله الوسيلة بالصلاة عليّ » كما رواه القاضي عياض ، وكيفيته أن يقول : اللهمّ بلّغ ثواب ما قرأناه أو مثل ثواب[1] ما قرأناه إلى روح سيّدنا محمّد ﷺ وإلى أرواح سلسلة الطريقة العليّة النقشبنديّة قدّس الله أسرارهم العليّة ، وهذا أمر مشروع مسنون عند أهل السنّة الخ ، وصرّح علماؤنا في باب الحج عن الغير بأنّ للإنسان أن يجعَل ثواب عمله لغيره ، صلاة أو صَوْماً أو صدقة أو حجّاً أو غيرها . كذا في « الهداية » وقال في زكاة التَتَارْخَانِيَّةِ عن المحيط : الأفضل لمن يتصدّق نفلاً أن ينوي لجميع المؤمنين والمؤمنات لأنّها تصل إليهم ولا ينقص من أجره شيء . انتهى .

ويؤيّده قوله ﷺ « من قرأ الإخلاص إحدى عشر مرة ثم وهب أجرها للأموات أعطي من الأجر بعدَد الأموات » وقوله ﷺ « ما الميت في قبره إلاّ شبه الغريق المتغوث ، ينتظر دعوة من أب أو أم أو ولد أو صديق ثقة ، فإذا لحقته كانت أحبّ إليه من الدنيا وما فيها » .

وإنّ الله عز وجلّ ليُدْخِلُ على أهل القبور من دعاء أهل الدنيا أمثال الجبال ، - أي : من الرحمة والمغفرة ، لو تجسّمت - وإنّ هديّة الأحياء إلى الأموات الاستغفار لهم والصدَقة عنهم .

---

(١) راجع « الفتاوى الكبرى » لابن حجر ، (منه رحمه الله تعالى) .

فائدة مهمة : قد يوجد في كثير من كتب الحنفية أنّ القراءة والتهليل والتحميد والتصلية وغيرها من أنواع العبادات لأجل المال غير جائزة ، وقد صنف الإمام البركوي قدّس سره في حق هذا المطلب كتابين جليلين ، أحدهما « إيقاظ النائمين » والأخرى « إنقاذ الهالكين » وأثبت فيهما عدم جواز تلك الأمور المذكورة لأن تقابل بأمر دنياوي بالنصوص الصحيحة من الكتاب والسنّة والقياس والإجماع ، فمَنْ أراد أن يعرف الحقيقة فعليه الرجوع إلى ذينك الكتابين .

وقال صاحب « التتارخانية » نقلاً عن « المحيط » : وإذا أوصى أن يدفع إلى إنسان كذا من ماله ليقرأ القرآن على قبره فهذه الوصية باطلة .

قال بعض : إذا كان القارىء معيَّناً ينبغي أن يجوز وصيته له على وجه الصلة دون الأجرة ، والصحيح أنّه لا يجوز وإن كان القارىء معيناً ، وهكذا قال أبو النصر وكان يقول : لا معنى لهذه الوصية ولصلة القارىء لِقراءته ، لأنّ هذا بمنْزلة الأجرة[1] ، والإجارة في ذلك باطلة ، وهذا بدعة ولم يفعلها أحد من الخلفاء . انتهى .

قال في « الخلاصة » : رجل أوصى لقارىء القرآن أن يقرأ عند قبره بشيء فالوصية باطلة ؛ ونقل تاج الشريعة في « شرح الهداية » أنّ القراءة بالأجرة لا يستحق بها الثواب لا للميت ولا للقارىء ، ووجهه انعدام النية[2] وهي مناط الثواب . انتهى ، ومثله في « البريقة المحمودة »[3] فراجعه من آخره .

---

(١) لأنّ هذا معروف بالعرف ، والمعروف بالعرف كالمشروط بالشرط ، فافهم . (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) وعن الحافظ العيني في « شرح الهداية » عن « الواقعات » : ويمنع القارىء للدنيا . « بريقة » ٥٠٩ .

(٣) وفيه في ٥٠٩ ج ١ بسط زائد في منع القراءة بالمال ، فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

وأمّا أقوال العلماء الشافعيين معلومة مشهورة ،

فقد قال الشهاب القليوبي : تصح الإجارة لقراءة القرآن لحي أو ميت ، ويحصل له الثواب إن قرأ بحضرته أو نواه بها أو أهدى له الثواب الخ خلافاً لمن نازع فيه ، ويحصل مع ذلك ثواب القراءة للقارىء ، كذا قالوه فانظره مع قولهم : كل عبادة كان الحامل عليها أمراً دنياوياً لا ثواب فيها للفاعل انتهى ١٧٠ من الإجارة ، فراجعه .

مهم

وفي « حاشية إيضاح » لإبن حجر : ثمّ الذي يظهر أنّ محل الخلاف حيث قصد الدنيا لنموِّ ماله فقط ، أمّا لو قصدها لكفاية عياله والتوسعة عليهم وعلى المحتاجين ، أو نحو ذلك من الأغراض الصحيحة فينبغي أن يحصل له الثواب ، بل كماله جزماً لأنّ كلاًّ من القصدين أخرويّ . وراجع « الأنوار » مع « حاشية إبراهيم » في ٢٠ وابن حجر مع ابن قاسم وغيرها .

وفي « فتح المعين » قال شيخنا في « شرح المنهاج » : يصح الاستئجار لقراءة القرآن عند القبر ، أو مع الدعاء بمثل ما حصل له من الأجر له أو لغيره عقبها ، عيّن زماناً أو مكاناً أوْ لا ، ونية الثواب له من غير دعاء لغو – خلافاً لجمع . وإن اختار السبكي ما قالوه وكذا أهديت قراءتي أو ثوابها له خلافاً لجمع أيضاً – أو بحضرة المستأجر ، أي أو نحو ولده فيما يظهر ، ومع ذكره في القلب حالتها كما ذكره بعضهم ، وذلك لأنّ موضعها موضع بركة وتنَزّل رحمة ، والدعاء بعدها أقرب للإجابة ، وإحضار المستأجر في القلب سبب لشمول الرحمة له إذا نزلت على قلب القارىء ، وألحق بها الاستئجار لمحض الذكر[1] والدعاء عقبه . انتهى . من الإجارة .

---

(١) أي كالتهليل سبعين ألف مرّة المشهور بالعتاقة الصغرى . « ترشيح » ٢٠٣ راجعه .(منه) .

وقال السيد علوي ابن السيد أحمد السقاف في « ترشيح المستفيدين بتوشيح فتح المعين » قوله : (لقراءة القرآن عند القبر) الخ عبارة الأسنى ، والمغنى : **فرع** الإجارة للقراءة على القبر مدة معلومة أو قدراً معلوماً جائزة للإنتفاع بنُزول الرحمة حيث يقرأ القرآن ، ويكون الميت كالحي الحاضر ، سواء أعقب القراءة بالدعاء له أو جعل أجر قراءته له أم لا ، فتعود منفعة القراءة إلى الميت في ذلك ، ولأنّ الدعاء يلحقه ، وهو بعدها أقرب إجابة وأكثر بركة ، لأنّه إذا جعل أجره الحاصل بقراءته للميت فهو دعاء بحصول الأجر له فينتفع به ، فقول الشافعي : إنّ القراءة لا تصل إليه محمول على غير ذلك[1] . انتهى ٢٥٣ فراجعه ؛

وقال أيضاً بُعَيْدَ هذا : والحاصل صحة الإجارة في أربع صور كما في الرشيدي ، القراءة عند القبر ، والقراءة لا عنده لكن مع الدعاء عقبها ، والقراءة بحضرة المستأجر ، والقراءة مع ذكره في القلب ، وخرج بالقراءة لا مع أحدها ، أي : فلا تصح الإجارة عليها ، واعتمد ع ش الصحة فيها أيضاً وهو ظاهر كلام سم . انتهى . وراجع « الفتاوى الكبرى » لابن حجر في ٢٩٨ من الجزء الثالث و« التحفة » في شرح قول « المنهاج » : وينفع الميت صدقة ودعاء ، و« لطائف المنن » في ١٢٤ من الجزء الثاني و« إعانة الطالبين » من الإجارة .

ورأيت في « الفتاوى الفقهية » لابن حجر ما يصرّح بأنّ ما يأخذه

---

(١) وفي « إتحاف السادة المتقين » : ونقل عن الشافعي انتفاع الميت بالقراءة على قبره ، واختاره شيخنا شهاب الدين ابن عقيل ، وتواتر أن الشافعي زار الليث بن سعد وأثنى عليه خيراً ، وقرأ عنده ختمة ، وقال : أرجوا أن تدوم ، فكان الأمر كذلك وقد أفتى القاضي حسين بأن الاستئجار للقراءة على رأس القبر جائز كالاستئجار للآذان وتعليم القرآن .
قال النووي في زيادات « الروضة » : ظاهر كلامه صحة الإجارة مطلقاً ، وهو المختار فإن موضع القراءة موضع بركة وتنزّل الرحمة ، وهذا مقصود ينفع الميت . انتهى فراجعه في ٣٢٩ ج ٩ (منه رحم الله إفلاسه) .

القرّاء من ربع الوقف في مقابلة القراءة سائغ ، بل هو من أطيب وجوه الكسب . انتهى ٢٩٨ من الجزء الثالث فراجعه .

لكنّ الإمام البركوي قدس سره من علماء الحنفية قال في « إنقاذ الهالكين » ما نصه : ولا تظننّ أنّ الشافعي يجوّز[1] بناء على تجويز الإجارة على التعليم وأمثاله ! فإنّه باطل من وجوه :

أمّا أوّلاً : فلأنّ الشافعي وكذا مالكاً لم يريا وصول العبادات البدنية للميت فكيف يجوّزان الإجارة التي هي تمليك المنفعة بعوض ؟ والمنفعة هاهنا لا تقبل التمليك ! !

وأمّا ثانياً : فلأنّ التعليم وأمثاله له منفعة غير الثواب ! وهو حصول العلم للغير ونحوه ، وغرض المستأجر ذلك دون إعطاء ثواب التعليم ونحوه ، فإذا أخذ الأجرة على التعليم لا يحصل له ثواب ، ولكن يحصل العلم للغير وهو المراد ! وكذا المراد من الأذان إعلام وقت الصلاة ، ولا ينافيه أخذ الأجرة وإن نافى حصول الثواب ، وكذا أخذ الأجرة على الإمامة لا ينافي صحة حصول الاقتداء وحصول ثواب الجماعة للمقتدين ، ألا يرى أنه يجوز الاقتداء بمن لم ينو للإمامة ، بل يجوز الاقتداء بمن نوى أن لا يصير إماماً ! نعم ينافي حصول ثواب الإمامة للإمام كما ينافي عدم النية ، فالفرق ظاهر ، فالقياس فاسدٌ .

وأمّا ثالثاً : فلأنّ الثواب منوط على النية عند الشافعي وجميع المجتهدين ، وفيما نحن فيه لم يوجد نية ، فلا يحصل له ثواب ، فكيف يجوّز الإجارة لأجل الثواب ؟ فلا ثواب ولا منفعة ، فلا إجارة ! إذ هي تمليك المنفعة بعوَضٍ .

وأمّا رابعاً : فلأن القراءة مثل الصلاة والصوم بلا فرق ، فقد قال

---

(١) يعني القراءة بالأجرة (منه رحمه الله تعالى) .

الغزالي في « فاتحة العلوم » : يجوز أخذ الأجرة على التعليم والإمامة والتدريس .

وأمّا أخذ الأجرة على الصلاة فحرام بالاتفاق . فدلّ هذا أنّ أخذ الأجرة على الصوم والقراءة لا يجوز أيضاً بدلالة النص .

وأمّا أئمتنا[1] فلا يجوّزون الإجارة على الطاعة أصلاً ! وبعض المتأخرين جوَّزوا في التعليم دون الإمامة والتأذين لما ذكرنا سابقاً ، أو لأنّ الأول يمنع الاشتغال بالكسب ، وأنّه منع العطاء من بيت المال ، فلو قلنا بعدم الجواز يلزم تضييع حفظ القرآن ، ولا كذلك الأخيران ! ثمّ البعض الآخر ممن جاؤوا بعدهم لمّا رأوا تغيير الزمان وأنهم لا يداومون الإمامة والتأذين حسبة بل يدافعون ، قالوا : لو قلنا بعدم الجواز يختلُّ أمر الجماعة وهي من شعائر الدين ، فأفتينا بجوازهما أيضاً لضرورة حفظ الدين مع وجود معنى الإجارة فيهما ، وكذا في التعليم ، لما بيّنّا سابقاً ، ولا ضرورة في القراءة وإعطاء الثواب بالأجرة ، ولا يوجد مَعْنى الإجارة فيه أيضاً فكيف يجوز ؟ ! انتهى كلام الإمام البركوي ٥١ .

وأمّا العارفون الذين حسنات الأبرار سيئاتهم فلا يجوزون القراءة بمقابلة شيء من هذه الجيفة المنتنة الأقل عند الله من جناح بعوضة ، المبغوضة الرذيلة ، بل يرون حال من يقرأ القرآن لمجرد قصد المال أسوأ من حال عابد الوثن من هذه الحيثية ، فإنّ عبدة الأوثان يعبدونها قائلين : ما عبدناهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفى كما هو نص كلام الله تعالى ، وأمّا هذا فإنما يقرأ لمجرد عوض دنياوي لا غرض له سواه ، فينبغي لكلّ متديِّن أن يعْلم أنّ الصنَم المدور[2] والصنم المربّع على حدّ

---

(١) يعني الحنفية (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) والمراد من الصنم المدور هو القروش الذي يأخذه القارئ بالسهر في طول الليل على شفير القبر (منه رحمه الله تعالى) .

سواء لا فرق بينهما عند أهل الشهود والعيان أصلاً ! وإن كان أرباب الحجاب في غفلة عن هذا ! فَتَدَبَّره فإنّه نفيس .

فإن قيل : فما هذا التشديد والمبالغة ! مع أنّ أبعاضاً من علماء الظاهر سامحوا في هذا الأمر ورخصوا فيه فهل يكون بين كلامهم وكلام المقربين موافقة أم لا ؟

قلنا : إنّ ما يكون مرخصاً عند قوم يكون كالمحرم عند قوم آخرين ، ولعلك سمعت قولهم : (حسنات الأبرار سيئات المقرّبين) ألا ترى أنّه لو كان لشخص ولد مثلاً في مكان بعيد والحال أنّه لا يعلم أباه ولا رآه قط فإذا أراد أبوه أن يقرِّبه منه ويوصله لديه فيعده بالثواب وإعطاء الأجور ، ويهديه بالهدايا والعطايا ، ويرخِّص له الدنوّ إليه ولو لأجل العطية والهديّة ، بل يكون ذلك مرضياً ومحبوباً عند الأب ، ثم إذا عرف الولد أباه وصار عنده ليلاً ونهاراً فلو طلب ذلك الولد حالتئذ من أبيه عوضاً بخدمته له وقال : لا أخدمك أبداً إلاّ إن أعطيتني شيئاً كما كنت تعطينيه من قبل فهل يكون ذلك مرضياً عند الأب ؟ لا والله ! بل يكون سبباً لإبعاده بعد دنوه ، وطرده بعد قربه ، فهكذا ما نحن فيه فلا مخالفة بين كلاميهم ، فافهم . ولا تعجل .

وقد كنتُ مرة أقرأ القرآن على القبر بالأجرة ، فرأيت في الواقعة كأنّي أقرأ القرآن والقرآن تحت رجلاي ، فهالَتْني تلك الواقعة هَوْلاً عظيماً ، وعلمت تأويلها فتركت القراءة بالأجرة بعد ذلك وأعرضت عنها بالكلية ، غفر الله لنا ، إنّه هو الغفور الرحيم آمين .

مهم جداً

ولقد كان شيخنا ذو الجناحين العسوي رحمه الله تعالى يقول : لم أر شيئاً ليس فيه بركة من مال حَصلَ بقراءة القرآن . وكان يقول

أيضاً : إنّ القراءة بمقابلة المال مما لا أحبّه أصلاً .

وسمعته يقول : أني لا أوصي للقارىء على قبري شيئاً ما ، فمن أراد أن يقرأ مني لمجرد وجه الله فليقرأ وإلاّ فلا . انتهى .

ومن المعلوم المشهور أنّ مَنْ لا يقرأ من القرآن ختمة واحدة في طول السنة يقرأ طول الليل والنهار بترك النوم على شفير القبر لمجرد قروش واحد فهل هذا إلاّ استهزاء الله واستهزاء كلامه ! فبأي حجة يقف بين يديه سبحانه ؟

وقد قال البركوي في « إنقاذ الهالكين » ما حاصله : إنّ الضرورة التي تبيح الحرام أن يخاف على نفسه الهلاك من الجوع ، ألا ترى أنّ السؤال حرام على من له قوت يوم ! ولا يوجد قارئ على هذه الحالة ، وإن وجد فلا كلام فيه أن يجوز له أكل الميتة ولحم الخنْزير ، ومال الغير بلا إذن ، وما جاز للضرورة لا يتعداها ، فاعلم ذلك . انتهى ٥٢ .

مهم

فإن قلت : فما الذي يليق لنا[1] أن نفعله ؟ قلت – والله أعلم – : الذي يليق للموصي أن يوصي شيئاً معلوماً ليتصدق الوصي عن روحه من غير شرط التهليل أو القراءة ، ثم يقول الوصي للقارىء أو المهلّلين : إنّ هذا الموصى به هو صدقة لكم عن روح هذا الميت ، ولا يلزم عليكم من القراءة والتهليل شيء ، فلو جُدْتم بالقراءة أو التهليل[2] لمجرد وجه الله فلكم الثواب وللميت ، وإلاّ ! فليس عليكم شيء ما ، ثمّ بعد ذلك

---

(١) وفي نسخة : بنا .

(٢) وفي « البريقة » في ٥٠٨ ج ١ إنّ الأولى أن يأتي ذلك ، يعني : التهليل نحو سبعين ألفاً كما هو المتعارف لنَفْسه أو لغيره بلا أجرة ، ولو أعطى على طريق الصلة بلا عقد لجاز ، لكنّ الأولى عدمه أيضاً لأنّ ذلك قد يكون متعارفاً ، والمعروف عرفاً كالمشروط شرطاً . فراجعه ؛ (منه سامحه الله من فرطاته) .

يعلمون أنّ لا شيء عليهم ، وأنّ الصدقة ليست بمقابلة عوض ، فإن قرؤوا بعد ذلك أو هلّلوا وأهدوا الثواب يحصل للميت ثوابان : ثواب الصدقة ، وثواب القراءة أو التهليل ، هذا حاصل ما قاله شيخنا قطب الأولياء وملجأ الأصفياء قدس سره فإنّه كلام نفيس .

ولا يخفى أنّ ثواب الصدقة يزيد إلى سبعمائة وأكثر كما نطق به القرآن[1] ، فما بال طلب ثواب القراءة أو التهليل الذي يخاف عليه الفوات بالكلية لأجل مقابلتهما بعرض دنياوي بإضاعة سبعمائة أو أكثر من الأجر[2] . جعلنا الله تعالى من عباده المخلصين . آمين . ولنرجع إلى ما كنا بصدده .

وأمّا الاستمداد من أرواحهم فللخلاص من اشتهاء النفس ووسوسة الشيطان وهذا أيضاً أمر مسنون لقوله تعالى ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ**﴾ الآية قال الإمام الأعظم رحمه الله تعالى :

فلأنت أكرم شافع ومشفع   ومن التجا بحماك وقاكا

وقوله ﷺ : « إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور » .

وقوله ﷺ : « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله ! احبسوا عليّ ، يا عباد الله ! احبسوا عليّ ، فإنّ لله في الأرض حاضراً سيحبسه عليكم » رواه ابن مسعود رضي الله عنه وقوله : « إذا ضلَّ أحدكم شيئاً أو أراد أحدكم غوثاً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل : يا عباد الله أغيثوني يا عباد الله أغيثوني فإنّ لله عباداً لا يراهم » . رواه عتبة بن غزوان . لأنّ روحانية سيدنا محمد ﷺ كجسمانيته في الفيض

(١) بقوله تعالى ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ الآية (منه) .
(٢) الذي يحصل له بسبب الصدقة (منه) .

والنصرة والإمداد ، وكذا روحانية الأولياء والصالحين من أمته معجزة له عليه الصلاة والسلام وكرامة لهم .

وفي الأمالي :

كرامـــــات الولي بـــدار دنيا لـــــها كـــوْنٌ فهم أهــل النوال

وقال الإمام الغزالي : والرحلة لزيارة قبور الصالحين مندوبة ، ونفع الزائرين بحسب مَعارفهم وأسرارهم .

وقال ابن حجر في فتاواه : ولا تترك زيارتهم لما يَحْصُل عندها من المنكرات ؛ كاختلاط النساء بالرجال وغير ذلك .

ورخّص في « الدر المختار » زيارة القبور للنساء العَجائز بطَريق الاعتبار والرحم[1] ، وبطريق التبرّك بزيارة قبور الصالحين ، ويكره للشواب منهنّ[2] كحضور الجماعة في المساجد .

وأمّا تغميضُ العَيْنَيْنِ فلقطع الخواطر التي يُوجبها النظر ، ولكمال الخشوع ، وهذا أيضاً أمْرٌ مسنون لأمره ﷺ علياً كرّم الله وجهه حين علّمه طريق الذكر بقوله : « يا علي غمّض عَيْنَيْكَ » الحديث . لكنّه في الصلاة يكره تنْزيهاً إلاّ لكمال الخشوع ، فلا يكره بأن خاف فوت الخشوع[3] بسبب رؤية ما يفرق الخواطر ، بل قال بَعْض العلماء : إنّه الأولى وإنه ليس ببعيد ، كذا في « الحلية » ، و« البحر » ، و« الدر المختار » ، و« ابن عابدين » .

وأمّا رابطة الموت فلتذلّل النفس وانكسارها ، وهذه مَعْدُودَةٌ من

---

(١) وفي نسخة : الترحم .

(٢) وفي النساء خلاف : الأظهر في مذهب الشافعي الكراهة . كذا في « مشارق الأنوار » في ٧١ فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) وراجع « المنهاج » للنووي وشروحه ، (منه ، رحمه الله تعالى) .

الفرائض في رسالة حسن البصري لقوله تعالى : ﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ولقوله عليه الصلاة والسلام : « كُنْ في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعُدّ نَفْسَكَ من أصحاب القبور » . وقوله عليه الصلاة والسلام : « مُوتوا قبل أن تموتوا ، وحَاسِبُوا قبل أن تحاسبوا » . وقوله : « أكثروا من ذكر هاذم اللذات فإنّه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلاّ وسعه عليه ولا ذكره في سعة إلاّ ضيّقها عليه » . وقوله : « أكثروا ذكر الموت ، فما من عبد أكثر ذكره إلاّ أحيَا الله تعالى قلبه وهوّن عليه الموت » . وقوله : « كلكم يحب أن يَدْخُل الجنة ؟ » قالوا : نعم يا رسول الله . قال : « فأقصروا من الأمل وثبّتوا آجالكم بين أبْصاركم » الحديث . انتهى « هدية » .

وقال الشيخ سليمان الزهدي قدّس سره في هامش « صحيفة الصفاء لأهل الوفاء » هذه العبارات : عن مقداد بن أسود رضي الله عنه قال عليه السلام لأبي هريرة رضي الله عنه ، « كيف تفكّرك وفيما ذا ؟ قال : في قوله تعالى : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قال عليه السلام : « تفكّرك خير من عبادة سنة » ، ثم سأل عليه السلام ابنَ عباس رضي الله عنهما عن تفكره ، فقال : « تفكري في الموت وهول المطلع . قال عليه السلام : تفكرك خيرٌ من عبادة سبع سنين » ، ثمّ قال عليه السلام لأبي بكر رضي الله عنه : « كيف تفكرك ؟ قال : تفكري في النار وأهوالها ، وأقول يا ربّ اجْعَلْني بحال تملأ النار منّي حتى يصدق وعيدك لا تعذّب أمة محمد ﷺ ، فقال عليه السلام : « تفكرك خير من عبادة سبعين سنة » ، ثم قال عليه السلام : « أرْأفُ أمّتي بأمّتي أبو بكر رضي الله عنه » انتهى ٥ .

مهم

وطريق الفكر فيه ، أي : في الموت أن يفرغ الإنسان قلبه عن

كل فكر سواه ، ويجلس في خلوة ، ويباشر ذكر الموت بصميم قلبه ، ويتفكر أولاً في أقرانه وأشكاله الذين مضوا ، فيتذكرهم واحداً بعد واحد ، ويتذكر حرصهم وأملهم وركونهم إلى الجاه والمال ، ثم يتذكر مصارعهم للموت ، وتحسُّرهم على فوات العمر وتضيّعه ، ثم يتفكر في أجسادهم وكيف تمزّقت في التراب وصارت جيفة تأكله الديدان ، ثم يرجع إلى نفسه ويعلم أنّه كواحد منهم ، أمله كأملهم ، ومصرعه كمصرعهم ، ثم ينظر في أعضائه وينظر كيف تتفتّت ، وإلى حدقتيه كيف يأكلها الدود ، وإلى لسانه كيف يتهزى ويصير جيفة في فيه ، فإذا فعلت ذلك تنغص عليك الدنيا وكنت سعيداً . إذ (السعيدُ مَنْ وعظ بِغَيْرِهِ)كذا في « جواهر القرآن » .

وفيه : اعلم أنّ العارف الكامل المستهتر بذكر الله مستغن من ذكر الموت ، بل حاله الفناء في التوحيد ، لا التفات إلى ماض ومستقبل ، ولا إلى الحال من حيث أنه حال ، بل هو ابن وقته ، بمعنى أنّه كالمتحد بمذكوره ولَسْتُ أقول أنه متحد فلا تغفل فتغلط أو تسيء الظن ، وكذلك يفارقه الخوف والرجاء لأنهما سوطان يسوقان العبد إلى هذه الحالة التي هو ملابسها بالذوق ، وكيف يذكر الموت ، وإنما يراد ذكر الموت لتنقطع علاقة قلبه عما يفارقه بالموت ، والعارف قد مات مدة في حق الدنيا وفي حق كل ما يفارقه بالموت ، فإنّه قد ترفع وتنزه عن الالتفات إلى الآخرة أيضاً فضلاً عن الدنيا ، بل قد ينغص عليه كل ما سوى الله ولم يبق له من الموت إلاّ كشف الغطاء ليزداد به وضوحاً وليزداد يقيناً ، وهو معنى قول علي رضي الله عنه : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً . فإنّ الناظر إلى غيره من وراء ستر رقيق لا يزداد برفع الستر يقيناً ، بل وضوحاً فقط ، فإنّ ذكر الموت يحتاج إليه من لقلبه التفات إلى الدنيا ليعلم أنّه سيفارقها فلا يعتكف بهمته عليها ، ولذلك قال النَبي ﷺ : « إنّ روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فإنّك مفارقه ، وعش ما

شئت فإنّك ميت ، واعمل ما شئت فإنك مجزيّ » . انتهى .

وأمّا رابطة المرشد فلقطع الخواطر والوساوس الشيطانية ، وللوسيلة إلى السير والسلوك ، وهي عبارة عن استحضار صورة مرشده الكامل مع روحانيته وتخيّله ، والاستمداد منه بالقلب ، لأنّه النائب عن النَبيّ ﷺ في التربية والإمْداد ، والفيض والإرشاد والتبليغ ، وهذا المعنى عبارة عن المحبّة الكاملة لله وفي الله ، لأنّه الواسطة والوسيلة بيننا وبين نبيّنا عليه الصلاة والسلام ، كما أنّه عليه الصلاة والسلام واسطة بَيْنَنَا وبين الله تعالى . انتهى « هديّة الذاكرين » .

والشيخ كالميزان ينْزل الفيض والنور من قلب الرسول عليه السلام الذي هو كالبحر المُحيط النوري إلى قلب المريد المرابط الذي بمثابة الحوض الصغير النوري . وأما قلوب المشائخ فكالبحر الذي له ساحل فتنْزل الفيوضات الإلهية من طرف الله إلى قلب الرسول ثم إلى المشائخ ثم إلى قلب المريد بواسطتهم[١] انتهى « الفتاوى العمرية » .

وفي « الرشحات » في ٧٦ : فمن أراد الاشتغال بهذه الطريقة ينبغي له أوّلاً أن يحضر صورة شيخه الذي أخذ النسبة عنه في خاطره حتى تظهر فيه نسبة عدم الشعور . انتهى . فبهذا يردّ قول من يزعم أن فعلِ الرابطة بالشيخ لا يجوز للمريد إلاّ بعدما حصل له الفناء ولا أدري قولاً مّا أعجب من هذا ، فكيف لا فإنّ الرابطة إنما تُفْعَلُ ليتوسّل بها إلى حصول الفناء وجلب الحضور والجمعية وأما بعد حصولها فالرابطة تنَزّل عن المقام وانحطاط عن الترقي وقد قال الخاني في « بهجته » : وقيل الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله وإن وجد في إحضار الصورة يعني صورة الشيخ المرابَطِ سكراً أو غيبة يترك الالتفات إلى الصورة

---

(١) وقال الغوث الشعراني قدس سره في « البحر المورود » : واعلم يا أخي أن ربط أحدنا قلبه بشيخ حيّ أو ميت ينفعنا وإن لم يكن ذلك الشيخ في علم الله تعالى شيخاً لأن ربطنا حقيقة إنما هو لاستناده إلى الله تعالى لا لذاته ، انتهى راجعه (منه) .

ويكون متوجها إلى ذلك الحال كما نقل في مقامات النقشبند قدس سره أنه كان واحد من الصوفية مشغولاً بطريق الرابطة وكان يوماً في مجلسه متوجهاً إلى الصورة فوجد أثر الغيبة وما التفت إليها فقال خواجه نقشبند قدس سره خَلنِي وكن مُتوجها إلى تلك الغيبة لأن زمان الغيبة عما سوى الله تعالى يسمونه زمان الوصول والشهود في اصطلاح القوم ، وفي المعربات قال الغوث الصمداني قدس سره ينبغي أن يعلم أن سلوك هذه الطريقة مربوط بالرابطة بالشيخ المقتدى به الخ انتهى راجعه من ٤٠ .

وفي « المكتوبات » للإمام الرباني في ١٦٠ من الجزء الأول : اعلم أن حصول رابطة الشيخ للمريد بلا تكلف وتعمل علامة المناسبة التامة بين المرشد والمريد التي هي سبب الإفادة والاستفادة ولا طريق أقرب من طريق الرابطة أصلاً فيا سعادة من استسعد بهذه الدولة .

أورد حضرة الخواجه أحرار قدس سره في الفقرات : أن ظل الدليل أولى من ذكر الحق سبحانه باعتبار النفع يعني أن ظل الدليل أولى للمريد من اشتغاله بالذكر فإنه لم تحصل بَعْدُ للمريد مناسبة كاملة بالمذكور جل وعلا حتى ينتفع من طريق الذكر انتفاعاً تاماً والسلام أولاً وآخراً . انتهى .

وفي « البهجة السنية » في ٤٠ : إذا حفظ المريد صورة شيخه في الخيال ولو بغيبته فرؤيته بمقتضى : الذين إذا رُؤُوا ذُكر الله ، تحصل بها الفائدة كما تحصل من الذكر بموجب : هم جلساء الله تعالى انتهى .

وفي « الرشحات » في ٧٧ : فإن خطرت الخواطر فليحضر خيال حضرة المرشد فيرجى اندفاعها بإذن الله تعالى انتهى ، فافهم ، ولا تغرّنك قول من لم يفهم مَآلَ قولهم أن رابطة من لم يفن عن وجوده لا

تورث الفناء للسالك بل قد تورطه المهالك فإن الإضافة فيه ليست إلى الفاعل بل إلى المفعُول فهو دَلِيلٌ لعدم جواز الرابطة إلاّ إلى مَنْ حصل له مقام البقاء بعد الفناء في الله تعالى الأتمّين لا لعدم جواز رابطةِ المريد إلاّ إذا حصل له الفناء كما زعم بذلك واحد من أهل الدعوى ، فتدبره فإنه مما زلّ به قدمه ، فإن أردت أن تعلم حقيقة هذا الكلام فراجع البهجة السنية من صحيفة ٤٢ ، والله أعلم .

وفي ديارنا الداغستانيّة مَنْ ينكر أصل الرابطة ، بل أَخْبَرَنا واحِدٌ من العُلماء رحمه الله تعالى أنّ بَعْضاً يزعم أنّه شيخ نقشبنديّ قال : ألاَ يكفر مَنْ فعَل الرابطة ؟ ! الخ . فنقول وبالله التوفيق إِنْ أخذ هذا القائلُ من الرابطة – التي بمَعْنى الاستمداد من شيخه ظاهراً وباطناً والمحبّة الكاملة له – معنى اتخاذ الشيخ مُرْشِداً ومَعْبُوداً بالذات ومَقصوداً للمريد ! فهذا القول نشأ من عدم فَرْقِهِ بين الرابطة المشروعة المقبولة عند أرْباب[1] الطريقة والشريعة ، وبين الرابطة المردودة التي سوّاها بالصنم . نعم ! إن كان معنى الرابطة بهذا المعنى فنَحْنُ مَعَهُ في مَرْدُوديّته وإيجاب الكفر ، لكنّ الرابطة التي هي تخيُّل صُورة الشيخ في قلبه لشدّة محبّته له ليكون وسيلة له في الخضوع والخشوع والحضور ، ودَفْعاً للخواطر والوساوس الشيطانية ، فهي أمْرٌ مسنون ، مشروع مَقْبُولٌ ، ليس لأحَدٍ من المؤمنين مَساغ لإنكارها ، فكيف يَسوغ له الإنكار وقد قال بها وبحسنها الأولياء الكرام ، وأئمّة الشرع الشريف من كل مذهب من المذاهب الأربعة ، تصريحاً وتلويحاً .

فمن الأئمة الحنفيّة : كمال البابرتي في « شرح المشارق » في حديث : « من رآني[2] فقد رآني » .

---

(١) فالعجب ممّن يزعم أنّه نقشبنديّ ، كيف ينكر الرابطة مع أنّها الركن الأعظم في الطريقة النقشبندية ، فإنكاره هذا يشعر عدم كينونته شيخاً نقشبندياً . فافهم (منه رحم الله تعالى) .

(٢) علّه في المنام .

ومنهم الإمام العارف بالله عُبَيْدُ الله السمرقندي في تفسير قوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ .

وصرَّح الإمام العلامة المحقق الجرجاني الحنفي في أواخر « شرح المواقف » وأوائل حواشيه على « شرح المطالع » بصحّة ظهور الأولياء للمريدين وأخذهم الفيض منهم حتى بعد الموت .

ومنهم العالم العلامة مولانا عبد الرحمن الجامي في « شرح الرباعيات » ، وفي « النفحات » ، وفي « رسالة توجه الخواجكان » ، ومنهم العالم العلامة محمد أبو سعيد الخادمي[1] في « رسالته النقشبندية » ،

ومنهم شارح « الأشباه » الإمام العلامة الحموي في « نفحات القرب » ،

ومنهم الإمام العارف بالله تاج الدين الحنفي في « التاجية » ،

ومنهم ابن كمال الوزير قال : الروح في الدنيا كالسيف في الغمد ، وأمّا بعد الموت فكالسيف المسلول لتجرُّده عن العلائق الجسمانية .

ومنهم الإمام فخر الدين الرازي في « المطالب العالية » ،

ومنهم صاحب القاموس في مقدمة « البَصَائر » .

وقال الشيخ المحقق نجم الدين الكبرى : فالرابطة بالقلب مع الشيخ أصل كبير في الاستفاضة ، بل لا تتصفى مرآة القلب بدون رابطة المرشد .

ومنهم قدوة المحققين وزبدة المتأخرين عبد الغني النابلسي في « شرحه على التاجية » .

---

(١) شارح الطريقة المحمدية .

ومنهم عبد الحكيم السيلكوتي ، وهو أخذ هذه الطريقة عن الإمام الرباني .

ومنهم العلامة ابن عابدين على « شرح الدر المختار »

ومنهم العالم العارف بالله تعالى إسماعيل حقي في عدة كتبه وفي « التحفة الوسمية » .

ومنهم العالم إبراهيم حقي الأَرْضِ رُومِي في « مَعْرِفَة نَامَة » .

ومنهم الإمام العالم الإمام الرباني في « مكتوباته » .

قال : اعلم أن حصول رابطة الشيخ للمريد بلا تكلف وتَعَمُّلٍ علامة المناسبة التامة بين المرشد والمريد التي هي سبب الإفادة والاستفادة ، ولا طريق أقرب من طريق الرابطة أصلا ! فيا سعادة من استسعد بهذه الدولة . أورد حضرة الخواجه أحرار قدس سره في « الفقرات » أن ظل الدليل[1] أولى من ذكر الحق سبحانه باعتبار النفع ، يعني : إن ظل الدليل أولى للمريد من اشتغاله بالذكر ، فإنه لم يحصل بعد للمريد مناسبة كاملة بالمذكور جل وعلا حتى ينتفع من طريق الذكر انتفاعاً تاماً ، والسلام أولاً وآخراً راجعه في ١٦٠ من الجزء الأول .

وكذا ابنه محمد معصوم الحنفي في « مكتوباته » ،

ومنهم أشرف زاده عبد الله الرومي في « مزكي النفوس » ،

ومنهم محمد مراد الكابلي الحنفي في « رسالته النقشبندية » .

ومنهم الإمام العارف محمد جلال الدين الرومي في « المثنوى » .

ومن الأئمة الشافعية :الإمام الغزالي ، في « الإحياء » ، في بيان

---

(١) أي الشيخ .

ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن من الصلاة .

ومنهم العالم المحقق شهاب الدين ابن حجر المكي في « شرح العباب » وفي « شرح الشمائل » .

ومنهم خاتمة المحدثين العلامة الحافظ جلال الدين السيوطي في « تنوير الحلك في رؤية النبي والملك » ،

ومنهم العالم الإمام الشعراني في « النفحات القدسية » .

ومنهم العالم العلامة السفيري الحلبي الشافعيّ في « شرحه على البخاري » في حديث : « ثم حبّب إليه الخلاء » قال : **إن الشيطان كما لا يقدر أن يتمثّل بصورة النبي ﷺ لا يقدر أن يتمثل بصورة الولي الكامل بشرط ذكره ثمة** . انتهى .

ومنهم الإمام السهرورديُّ في « عوارف المعارف » ، ومنهم زين الدين الخوافي في « وصاياه » .

ومن الأئمة المالكية : صاحب « المختصر » المشهور الجليل العلامة الشيخ خليل ، من أجلّ فقهآء المالكية ،

ومنهم الشيخ أبو العباس المرسي ،

ومنهم الإمام العالم العلامة ابن عطاء في « تاج العروس » ،

ومنهم السيّد محيي الدين العَرَبيّ في الباب الثلاثين من « الفتوحات » .

ومنهم الإمام الفاسي في « شرح دلائل الخيرات » في عدة مواضع منها .

ومن الأئمة الحنابلة الإمام الرباني العلامة شمس الدين ابن القيم

في كتاب « الروح » .

قال: للروح شأن آخر غير شأن البدن ، فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة ببدن الميت ، بحيث إذا سلّم على صاحبها ردّت السلام وهي في مكانها هناك . انتهى . نقلاً عن السيوطي في كتابه « المنجلي » .

وقصة الإمام الخطيب الشربيني مشهورة متواترة عند العلماء المصريّين أنّه خطب وصلى الجمعة في أربعين مَسْجداً في يوم واحد في جمعة واحدة ،

ومنهم الغوث الأعظم السلطان عبد القادر الكيلاني قال ما معناه :

فوائد الرابطة

إنّ للفقير السالك طريق القوم رابطة قلبيّة مع الأولياء ، فيستفيدُ منهم بسبب تلك الرابطة باطناً ، فلا بأس بعدم إكرامه ظاهراً ، بخلاف الذي ليس له رابطة معهم فيجب إكرامه ظاهراً . انتهى . نقلاً عن الإمام السهروردي في « عوارف المعارف » في باب آداب المريدين مع شيخهم . وقال الله تعالى : ﴿ **وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ** ﴾ وقال ﴿ **وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ** ﴾ وقال ﴿ **وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ** ﴾ وقال ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ** ﴾ وقال : ﴿ **قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ** ﴾ . وقالﷺ : « تفكروا في آلاء الله ولاتفكروا في ذاته » . الحديث . فإنّ التفكر فيه تعالى يؤدي إلى التصور والتخيُّل ، وهو سبحانه منزَّه عنهما ، وعن كلّ ما يخطر بالبال ، وإذا غلب على الذاكر هذا التفكر يصرف باله نحو نائبه وخليفته تعالى فيأمن من شرك ، فهذه من جملة فوائد الرابطة ، فإذا كان التفكر في آلاء الله تعالى وخلق السموات والأرض جائزاً ومرغوباً فيه بالأدلّة ! فكيف لا يجوز في أفضل خلقه وأشرف

آلائه محمّد ؟ الذي هدانا به إلى الصراط المستقيم وفي خلفائه وأتباعه الكاملين ؟

وَمَنْ أراد تفصيل ما قاله العلماء المذكورون آنفاً فعليه الرجوع إلى « هديّة الذاكرين » وفي « تبصرة الفاصلين » و« الفتاوى العمريّة » و« الرسالة[1] الخالديّة » في الرابطة و« الرحمة الهابطة » بَسْطٌ سديدٌ في إثبات هذا المطلب العزيز ، ويكفي لذلك شاهداً حديث : « **ذكر الأنبيآء من العبادة ، وذكر الصالحين كفارة الذنوب ، وذكر الموت صدقة** » انتهى .

فوائد الرابطة

ولا يمكن ذكر الشيء إلاّ بإحضار صورة المذكور في القلب والخيال ، وكذا يكفي ما حصل لأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه حيث لم يجد محلاً خالياً من النبي ﷺ حين أراد قضاء حاجته البشرية ، فاشتكى من هذه الحالة إلى النَبي ﷺ فرخص له فيه . انتهى .

وذلك لتمكّن حبِّه رضي الله عنه للنبي ﷺ ، فإذا تمكَّن حبه لم تغب صورته الكريمة عن عين البصيرة لمحة راجع شرح « دلائل الخيرات » للفاسي .

ونقل صاحب « نور الهداية » من « الفوائد الضابطة في إثبات الرابطة » ما حاصله : إنّ في حفظ صورة الشيخ في حال الذكر عين حكمة التذكير ، لأنّ المذكر واقف لديه لا يتركه غافلاً عن الله سبحانه وتعالى لمحة واحدة . انتهى .

وفي « نور الهداية » أيضاً : قال الشيخ جبرائيل الحزب أبادي : إذا ابتدأ بالذكر يحضر صورة شيخه في قلبه ، ويستمد منه ؛ إذ قلب شيخه يحاذي قلب شيخ الشيخ إلى حضرة النبويّة ، وقلب النبي ﷺ

(١) وراجع إلى « نور الهداية » (منه) .

دائم التوجُّه إلى الحضرة الإلهيّة ، فالذاكر إذا صوّر صورة شيخه في قلبه تفيض الإمداد من الحضرة الإلهية على قلب سيد المرسلين ، ومن قلب سيد المرسلين على قلوب المشائخ على الترتيب ، حتى ينتهي إلى شيخه ، ومن قلب شيخه إلى قلبه ، فيقوى على قلبه استعمال الآلة ، إذ هو في البداية على مثال الطفل ليس له قوة استعمال الآلة على الوجه الذي يؤثر ويقع محصّلاً للغرض وإن كان بيده سيف الله وهو الذكر[1] .

مهم وهو دليل للرابطة

قال ﷺ : « الذكر سيف الله » ، ولكن ليس للسيف ضارب إلاّ لقوة مستفادة من حضرة بني السيف ، فإذا استمدَّ من شيخه جاءه المدد ، لقوله تعالى ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾ انتهى .

وفيه : إنّها[2] تثمر ما يثمر الذكر ، بل هي أشد تأثيراً من الذكر لمن عرف شرطها وآدابها . انتهى .

وفي « الرشحات » في ٧٦ : فمن أراد الاشتغال بهذه الطريقة ينبغي له أولاً أن يحضر صورة شيخه الذي أخذ النسبة عنه في خاطره ، حتى تظهر فيه نسبة عدم الشعور . انتهى .

وفي « الفتاوى العمرية » : إنّ الشيخ كالميزاب ينزل الفيض

---

(١) وفي « بهجة السالكين » : اعلم أن طريقتنا إما طريقة رابطة معنعنة كما بيناها في رسالتنا « تبصرة الفاصلين عن أصول الواصلين » وإما طريقة ذكر معنعن مسلسل ، وهما طريقتان مستقلتان للوصلة إلى الله تعالى عز وجل بانفرادهما ، وإذا اجتمعاً فيكون أقرب الطرق وصلة . انتهى فراجعه من صحيفة ٢٢ .
ورأيت في « جامع الأصول » ما حاصله : إن الذكر وحده بلا رابطة وبلا فناء في الشيخ لا ينفع في الإيصال ؛ والرابطة وحدها مع رعاية آداب الصحبة تنفع في الإيصال . فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .
عن ابن عباس وهو « أفضلكم الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى لرؤيتهم » أي لما علاهم من بهاء العبادة . « السراج المنير » ١٥٤ ج ١ .

(٢) أي الرابطة (منه) .

والنور من قلب الرسول ﷺ الذي كالبحر المحيط النوري إلى قلب المريد المرابط الذي بمثابة الحوض الصغير النوري .

وأما قلوب المشائخ فكالبحر الذي له ساحل ، فتنزل الفيوضات الإلهية من طرف الله إلى قلب الرسول ثم إلى المشائخ ثم إلى قلب المريد بواسطتهم . انتهى .

ورأيت مكتوباً منسوباً إلى واحد وكان فيه ما حاصله أن المريد لا يجوز له أنّ يرابط بالشيخ إلاّ إذا حصل له الفناء ، واستدل لذلك بقولهم إنّ رابطة مَنْ[1] لم يفن عن وجوده لا تورث الفناء للسالك ، بل قد تورطه المهالك . انتهى ، ولعلّه ظن أن الإضافة في قوله رابطة مَنْ . . الخ إلى الفاعل ، مع أنّها إلى المفعُول ! وكان فيه أنّه سامحه الله قال : فتح عليه جميع علوم الأولياء واه واه وأدار المنتسبون إليه تلك المكاتيب العجيبة في البلدان ، وزعموا أنّ فعل الرابطة لا يجوز لأحد من المريدين في ديارنا ، فوا عجبا على شيخ فتح عليه جميع علوم الأولياء ولا يعلم أن يفرِّق بين الإضافة إلى الفاعل وبين الإضافة إلى المفعول ! ألم يعلم أنّ الرابطة إنما تُفْعَلُ ليتوسل بها إلى حصُول الفناء وجلب الحضور والجمعية ، ولا أدري معنى عدم جواز طلب الوسيلة إلاّ إذا حصَل المقصود والمطلوب فافهم . وراجع « البهجة » في ٤٠ .

وأما رابطة الحضور فلحُصول الفنآء في الله تعالى ، والانقطاع ممّا سواه تعالى ، لقوله تعالى : ﴿ **وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا** ﴾ وجميع التبتُّل بالإخلاص والحضور ، والانقطاع عما سوى المذكور . ولقوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾ وقوله في الحديث القدسي : « أنا جليس مَنْ ذكرني » الخ وقوله « تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » ، وهذه

---

(١) وقد يرد قول هذا القائل بما مرّ في هذا الكتاب آنفا ، فتدبر (منه رحمه الله تعالى) .

الرابطة[1] عبارة عن التفكر في أنّ الله تعالى حاضرٌ بَصِيرٌ ، مطّلع على جميع أحوالك ، عالم محيط بك وبجميع العالم بكمال الهيبة والخوف والعظمة والجلال ، منزّه عن المكان والجهة والنقائص والصورة ، كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك ، وكل ما خطر ببالك فهو مُنزّه عن ذلك ، فسُبْحان من جعل العجز عن درك الإدراك إدراكاً .

وأمّا الوقوف القلبي فلقطع العلائق والحجاب ، وهو عبارة عن النظر والتوجّه إلى القلب الصنوبري الشكل ؛ الذي تحت الثدي الأيسر بقدر إصبعين بعين الخيال ، وتطهيره عما سوى الله تعالى ، بعد تجريد نفسه عن الجسمانية ، ويتصوَّر نوراً بسيطاً وَحْدَانياً مجرداً عن الكيفيات كلها غير متعلق بشيء ظاهر على العالم الجسماني كظهور الشمس على الجسمانيات بحيث يكون جميع العالم الجسمانيّ بالنسبة إلى هذا النور البسيط كالذَرَّة في شعاع الشمس ، ويعلِّق نظر بصيرته بذلك النور البسيط ، ويداوم على ذلك النظر حتى يستغرق في ذلك النظر بحيث لا يبقى له شعُورٌ لغيرِ ذلك .

وصورة أخرى من الوقوف القلبي أن يتوجّه إلى قلبه ويلاحظ فيه أنّ نظر الله تعالى محيط به من جميع الجهات[2] ، ويجعل قلبه محاطاً بنظر الله تعالى ويستمرّ على ذلك ، وبالاستمرار على تلك الملاحظة تصغر ذاته تحت نظر الله تعالى حتى لا يبقى لها بالتدريج أثر من الوجود ، فعند ذلك يظهر سرُّ قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ويكون فانياً عن وجود الإمكان ولا يشاهد فيه ولا في الأشياء كلها إلا وجود الحق سبحانه وتعالى ، فيظهر سرُّ قوله تعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ

---

(١) وراجع ٢٦٢ .

(٢) وعبارة « جامع الأصول » أن يتوجه السالك إلى قلبه ويلاحظ فيه أن نظر الله تعالى محيط به من جميع الجهات ويجعل ذاته محاطة بنظر الله تعالى ويستمرّ على تلك الملاحظة انتهى راجعه ٧٥ .

﴿ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ فيكون واصلاً إلى الله تعالى . كذا في « شرح رسالة الخادمي » قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ أي مَنْ تطهَّر ظاهره بالشريعة ، وباطنه عما سوى الله تعالى بالكلية ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ وأنّ الله تعالى كما لا يقبل الشريك كذلك الذكر في القلب لا يقبل الشريك لقوله تعالى : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾[1] **فلهذا يلزم أولاً تهيئة المحلّ بالتخلية لمن أراد الذكر ، والتحلية . كذا في « الهدية »** .

وأمّا ما ذكره صاحب « الرشحات » أنّ الوقوف على معنيين : أحدهما : كون قلب الذاكر حاضراً مع الحقِّ سبحانه ، فهو بهذا المعنى من مقولة يادداشت المذكورة .

وكتب حضرة شيخنا في بعض كلماته القدسية : إنّ الوقوف القلبي عبارة عن حضور القلب مع الحق سبحانه بحيث لا يبقى للقلب مقصود غير الحق سبحانه .

مهم

وقال في محل آخر : ومن الشروط حين الذكر الارتباط بالمذكور والحضور معه ، **ويقال لهذا الحضور شهود ووصول ووجود ووقوف قلبيّ ، والثاني** : كون الذاكر واقفاً على قلبه ، يعني يكون متوجهاً في أثناء الذكر إلى قطعة اللحم الصنوبري الشَكل الذي يقال له القلب مجازاً ، وهو واقع في الجانب الأيسر محاذي الثدي الأيسر ، ويجعله مشغولاً بالذكر ، ولا يتركه غافلاً عنه وذاهلاً عن مفهومه ، ولم يجعل

---

(١) واعلم أن الذهن وإن كان بسيطاً لا يتعلق في زمان واحد بأكثر من شيء واحد ، إلا أنهم قالوا : يتيسر التوجه التام دفعة إلى شيئين للمجردين عن العوائق البشرية ، ولذوي النفوس القدسية القوية ، ولعل الآية واردة في حق غيرهم . فتأمله وراجع « البريقة » في ٢٠٩ ج ١ تجد فيه البيان ، (منه رحمه الله تعالى) .

بهاء الدِين قدّس سره حبس النَفَس ورعاية العدد لازماً في الذكر .

وأما الوقوف القلبي فجعله مهماً بمعنييه وعدّه لازماً ، فإنّ خلاصة الذكر والمقصود الوقوف القلبي ، شعر :

ترقب لِبَيْضِ القَلْــبِ كَــالطَيْرِ يَافَتَى　　فَمِنْ بَيْضِ قَلْبٍ يَحْصُلُ الذَوْقُ وَالوَجْدُ

انتهى من ٣٢ .

وفي « الرشحات » أيضاً في ٣٢ : قال الشيخ علاء الدين العطار قدّس سره :الإكثار من الذكر ليس بشرط ، بل الشرط كون الذكر ناشئاً من الحضور[1] والوقوف حتى يترتب عليه الفائدة . انتهى .

الوقوف الذكري

وأما الوقوف الذِكري فلِلألفَةِ والأنسيّة مع الذكر لدفع الغفلة وجلب الحضور ، وهو عبارة عن تخيُّل نقش لفظ الجلالة ، أعني لفظة « الله » على القلب بقلم النور ، أو تخيُّل جريان الذكر في القلب بأي كيفية شآء ، مع ملاحظة المعنى وهو الذات بلا مثل ، المنزّه عن المكان والجهة والنقائص والصورة ، لا شريك له لقوله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ الآية ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ الآية « هدية » .

وأما الوقوف العددي فلتمييز عدد الذكر الذي هو أهمّ ، وهو عبارة عن ضَبْطِ عدد الذكر الذي ذكرْته ، وهذا أمْرٌ مسنون ، لقوله ﷺ لمعاذ بن جبل : « يا معاذ ! كَمْ تذكر كل يوم أتذكر عشرة آلاف مرة ؟ ألا أدلك على كلمات هنّ أهون عليك وأكبر من عشرة آلاف » الحديث . وقوله عليه السلام : نِعم المذكّر « التسبيح » وجوّز الفقهآء اتخاذ السبحة كذا في « البحر » و« الخزائن » و« الحلية » .

---

(١) والحاصل أن مخ الذكر وروحه ، حصول الحضور مع الحق سبحانه ، « طبقات الخواجكان » من مناقب عبد الخالق الغجدواني قدس سره .

وفي « المصباح » السبحَةُ خرزات مَنْظُومَة .

وأما قوله : **إلهي أنت مَقصُودي ورضاك مطلوبي** عند غلبة الخواطر وتشتّت النيّة بما سوى الله تعالى ، بقلبه أو بلسانه مع ملاحظة المعنى فلتصحيح النيّة وإخلاص العزيمة لقوله تعالى : ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا** ﴾وطلب الرضاً أمْرٌ مَشْرُوعٌ . انتهى « هدية الذاكرين » . ولهذه الكلمة خاصية إذا أكثر المريد ذِكرها تُنْفى المقاصد والمطالب كلّها عما سوى الله تعالى . راجع « الرشحات » ؛

وأمّا انتظار الواردات والفيُوضات الإلهيّة على القلوب من التجلّي والأنوار والسكينة حالة الذكر والرابطة ، وبعد تمام الورد بسبب الذكر والرابطة ! فللبصيرة واليقظة ، وللأنس بها وللقيام بشكرها ، وهذا يُسَمَّى بالمراقبة عند الأكثر لأنّه يُرَادف معناها . قال تعالى : ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ قال عليه الصلاة والسلام : « إنّ الله يحب أن يرى أثر نِعْمَتِهِ على عبده » انتهى من « هدية الذاكرين » .

وفيه : **واعلم** أنّ الإنابة هي إمّا بمعنى الرجوع ، أي : الرجوع من الكفر إلى الإيمان ، أو من المعصية والمخالفة إلى الطاعة ، والموافقة لأمر الله تعالى ، أو من الغفلة إلى ذكر الله عز وجل ، وهذا أمر واجب لقوله تعالى : ﴿ **وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ** ﴾ الآية . وإمّا بمعنى المراجعة أي رُجُوعِ المكلفين إلى المشائخ العالمين لتعلُّم كيفية الإنابة إلى الله تعالى ، وكيفية الذكر على الوجه المسنون ، ولتعلُّم أمور الدين . وهذا أيضاً أمْرٌ مشروع واجب على المكلفين لقوله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وبهذا المعنى تعبيرُ العوام بأخذ الإنابة من المشائخ ، وكذا الإنابة إليهم لا غير .

وأما الانتساب إلى المشائخ فَأمْرٌ مشروع ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « اقتدوا باللَذَيْنِ من بعدي أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمّار ، وتمسَّكوا بعَهْدِ ابن أمّ عبد أي عبد الله ابن مسعُود » . ولقوله عليه السلام : « العلمآء ورثة الأنبيآء » . وقوله : « اتبعوا العلمآء فإنّهم سُرُجُ الدنيا ومَصَابيح الآخرة » . لأنّ الانتساب بمعنى الاقتدآء والاتباع لمن سلك سبيل الهدى وهدى إلى صراط مستقيم . انتهى ، قال الله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ وهي إشارة إلى ذلك ، فإنّ المشائخ لما اهتدوا أهِّلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة المقتدين[1] . انتهى من « عوارف المعارف » ،

وفيه : وورد في الخبر عن رسول الله ﷺ : « والذي نفس محمّد بيده ، لأقسمنَّ لكم أنّ أحبّ عباد الله تعالى الذين يحبِّبون الله إلى عباده ويحبِّبون عباد الله إلى الله ، ويمشون على الأرض بالنصيحة » . وهذا الذي ذكره رسول الله ﷺ هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله تعالى ، لأن الشيخ يحبِّب الله إلى عباده ويحبِّب عباد الله إلى الله ؛ ورتبة المشيخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ، ونيابة النبوة في الدعآء إلى الله . انتهى .

وأمّا النسبة إلى المشائخ وغيرهم على وجه العرف القديم فهي كما قيل لمن آمن بمحمّد عليه الصلاة السلام واتَّبعه محمّديّ ، ومَنْ اقتدى بمسلك أبي بكر الصدّيق في الذكر القلبي يقال له صدّيقيّ ، ومَنْ كان على مذهب مجتهد باطني فيه مثل شاه نقشبند يقال له نقشبندي ، وكذا مَنْ اقتدى بأبي حنيفة في الأحكام والأعمال يقال له حنفي ؛ هكذا ورد في اصطلاح السلف وعُرْفِهم . وتجيء النسبة بمعنى الإسناد ، وورد : « الإسناد من الدِين » لأنّ عليه مدار المجتهدين ، **ومَنْ لا سند له فهو لقيط** .

(١) وفي نسخة : المتقين .

وقال عبد الله بن المبارك : **لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء** فلا بدّ من الوسائط والوسائل ، فلو لا الواسطة لذهب ـ كما قيل ـ الموسوط ، **وللوسائل حكم المقاصد** .

وأمّا تعلّم الذكر من المشائخ[1] فأمرٌ مسنون ، وكذا تعليم المشائخ لغيرهم ، فقد علّم النَبي ﷺ الذكر الخفي أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه ، والذكر اللساني علياً كرّم الله وجهه ، وهما علماء سائر الصحابة والتابعين انتهى « هدية » والأحاديث الواردة في تعليمه عليه السلام الذكر جماعة وفرادى مشهورة ، ولذا أعرضنا عن ذكرها . انتهى .

وأمّا الأخوّة واتخاذ الأخوّة فلقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ الآية . وقوله ﴿ **فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا** ﴾ ولقوله عليه السلام : « تواخوا في الله أخوين أخوين » وقد آخى النَبي ﷺ بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما ، وكذا بين المهاجرين والأنصار ، وكذا بين الأصحاب مرتين ، فهذه الأخوّة أخوّة خاصة فوق الأخوّة العامة ، وكذا أخوّة المريدين المَنْسُوبين إلى شيخ واحد ! لقوله عليه السلام : « أكثروا من الإخوان » الحديث ،

وأمّا البيعة فهي بمعنى المبايعة ، وهي والمقاومة والمعاهدة بمعنى ، وذلك جائز في المعاملات الشرعية كلها ، وأمّا المبايعة على فعل الواجبات والسنن ، وترك المنكرات والبدع فمشروع أيضاً لأنّه ﷺ فعلها مع الأصحاب مراراً ؛ مع الذكور والإناث ، فرضي الله تعالى عنهم وأعْلَمَهُمْ رضاه بقوله تعالى : ﴿ **لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ** ﴾ الآية ، وقوله ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ** ﴾ الآية جعل الله النَبي ﷺ نائباً

---

(١) مهم ، قال عليه السلام « لا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ، بل لا بد أن يتعلم العلم من أهله » « هدية الذاكرين » .

عنه تعالى ، وجعل الأصحاب نُوَّاباً وخلفآء عن النَبي ﷺ ، وكذلك من بعدهم كابراً عن كابر إلى يوم القيامة من غير إنكار نكير ممّن آمن بالله تعالى من أهل السنة والجماعة ، فكذلك نبايع[1] أمة محمد ﷺ على أداء الفرائض والواجبات ، وردِّ المظالم ، واستحلال أصحاب الحقوق ، والأخذ بالعزائم ، وترك الرخص ، مع كمال اتِّباع السنن ، وتمام الاجتناب عن البدع وأهلها ، ودوام الذكر المأمور به من غير ترك .

ثم اعلم أنّ المبايعين ثلاثة : الرسل ، والشيوخ الورثة ، والسلاطين ، والمبايع في هؤلاء الثلاثة على الحقيقة هو الله تعالى ، وهؤلاء الثلاثة شهود الله تعالى في بيعة هؤلاء الأتباع ، وعلى هؤلاء الثلاثة شروط يَجْمَعُهَا القيام بأمر الله تعالى ، وعلى الأتباع الشروط يجمعها المبايعة[2] فيما أُمِروا به . ولا يجوز البيعة على المعصية أصلاً لأنّه ورد « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » كذا في « روح البيان » .

فائدة : ومن الأمور التي غفل عنها أهل الغلظة من المتشيخين[3] الذين يدورون في القرى باسم الوعظ والتذكير والنصح والوعيد عدم إطاعتهم سلاطينهم وأمراءهم ، وتغليظ القول والكلام في حقهم ، وقد يجب إطاعة السلطان في جميع ما يأمره ، وما لم يأمر بعصيان الخالق سبحانه قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ الآية ولا يجوز ردُّ التابع كلام متبوعه ، ومقابلته ومخالفَته ، وعدم قبول

(١) ففي كل مريد (فكل مريد لعلّه) يلقاه إلى مرشده الذي يجدّد بيعته فيجدّد الله ثوابه كما يجدّد ثواب المصيبة (مثل أيوب عليه السلام) في شهر أو شهرين ، « جامع الصغير » .

(٢) وفي نسخة : المتابعة .

(٣) فقد سمعنا أن واحداً منهم أفطر في يوم مع عدم رؤية الهلال وفقدان حجة شرعية ، لكونه أول يوم من شوال ، وأفطر معه كثيرون ، مع أن القاضي لا يأمر بالإفطار ولا يحكم بأن اليوم من أيام شوال ، وهذا مما لا يقبله عقل ولا نقل ، بل الواجب على كل أحد أن يمتثل أمر القاضي ولا يخالفه إلا بحجة شرعية . فتدبره . (منه رحمه الله) .

قوله وإطاعته في أمر مشروع ، عتوّاً وعناداً ، كالرعيّة للأمير قال ﷺ : « اسمعوا كلام مَنْ تجب طاعته من ولاة أموركم ، وأطيعوا أمرهم وجوباً فيما لا معصية فيه ، لأنهم نوّاب الشرع ، وإن اسْتُعْمِل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » أي : مشبهاً رأسه بالزبيبة في السواد والحقارة وقباحة الصورة . كذا في « البريقة » في ٤١١ ج ٢ وفيه وهذا حثٌّ على السمع والطاعة للإمام ولو جائراً ، وذلك لِما يترتب عليه من اجتماع الكلمة و . . الخ ، انتهى .

وفيه : واستدل به على أنّ الإمام إذا أمر بعض رعيته بالقيام ببعض الحرف والصنائع من زراعة وتجارة وعمل ، أنه يتعيَّن على من عيّنه لذلك ، وينتقل من فرض كفاية إلى فرض العين عليه بتعيين الإمام[١] . كذا في « الفيض » انتهى .

وعدّ الشيخ أحمد ضياء الدين قدس سره في « نجاة الغافلين » سبّ السلطان ـ ولو عبداً أو فاسقاً أو ظالماً ـ وكذا ترك الدعاء بصلاحه ذنباً من الذنوب ، واستدلّ لذلك بما أخرجه الطبراني : « مَنْ أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله تعالى ، ومن أكرم سلطان الله في الأرض أكرمه الله عز وجل » ، وأخرج الشيرازي : « لا تدعوا أئمتكم بالفساد فأن صلاحهم صلاحكم ، وفسادهم فسادكم » . وأخرج الطبراني : « لا تسبوا الأئمة ، وادعوا الله لهم بالصلاح ، فإن صلاحهم لكم صلاح » وابن النجار : « لا تشتغلوا قلوبكم بسب الملوك ، ولكن تقربوا إلى الله تعالى بالدعاء لهم ، يعطف الله قلوبهم عليكم » عن عائشة . انتهى .

وأمّا المصافحة عند البيعة وغيرها فمسنون لأنّه ﷺ فعلها مع

---

(١) والمراد كل من كان والياً على أمر الخلق ولو كافراً فإنه يعلم أنه ولو كان كافراً لا يأمر الناس بالزنا والسرقة وبالضرب والفتنة ، ولا بالقتل والمقاتلة فحينئذ يجب علينا التسليم والإطاعة ويكون حكمه كحُكْم الإمام المسلم . فتدبر ! (منه رحمه الله تعالى) .

الأصحاب عند البيعة وغيرها ، دلّ عليه قوله تعالى : ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ وقال ﷺ : « تصافحوا ، فإنّ المصافحة تذهب بالشحناء » . وقال عليه السلام : « تمام التحيّة الأخذ باليد والمصافحة باليمنى » . وقال عليه السلام « إذا التقى المسلمان فسلّم أحدهما على صاحبه كان أحبَّهما إلى الله أحسنُهما بشراً لصاحبه ، فإذا تصافحا أنزل الله تعالى عليهما مائة رحمة ؛ للبادىء تسعون ، وللمصافح[1] عشرة » . وكان عادة الصحابة إذا تفرقوا تصافحوا ، رضي الله عنهم ، انتهى .

وفي « لواقح الأنوار القدسية » في ٩٢ من هامش « المنن » في الجزء الثاني : وروى أبو داود والترمذي : « ما من مسلمَيْن يلتقيان فيتصافحان إلاّ غفر لهما قبل أن يتفرقا » . وفي رواية للطبراني مرفوعاً : « إنّ المسلمَيْن إذا التقيا وتصافحا وضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه لا يفعلان ذلك إلا لله لم يتفرقا حتى يغفر لهما » . وفي رواية للإمام أحمد والبزار وأبي يعلى مرفوعاً : « ما من مسلمَين التقيا فأخذ أحدهما بيد صاحبه إلاّ كان حقاً على الله عز وجل أن يحضر دعآءهما ، ولا يفرق بين أيديهما حتى يغفر لهما » . ومعنى يحضر دعاءهما : يجيبه ، وإلاّ فالحق تعالى حاضر على الدوام . انتهى .

وأما مبايعة النسآء وتعليم الذكر لهن فهي مشروعة مسنونة بشروطها وآدابها ، لقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ﴾ الآية ، وكيفية المبايعة مذكورة في كتب التفاسير

---

(١) وسئل الإمام الرملي رحمه الله عن مصافحة الكافر ، هل تجوز أو لا ؟ وهل تستحب مصافحة المسلم ولو على قرب ، سواء الذكر والأنثى ، الصغير والكبير ؟ فأجاب : بأن مصافحة الكافر جائزة ولا تسن ، وتسن مصافحة المسلم عند كل لقاء ولو على قرب ، وسنيتها شاملة لمصافحة الرجلين ، ومصافحة المرأتين ، ومصافحة الرجل الأنثى إذا كانت محرماً له ، أو زوجته ، أو أمته ، أو كانت صغيرة لا تشتهى . وشاملة لمصافحة المرأة الأجنبي صغيراً لا تشتهى كذا في فتاواه فراجعه من هامش « الفتاوى الكبرى الفقهية » لابن حجر (منه سامحه الله من فرطاته آمين) .

والأحاديث ؛ والأظهر الأشهر ما قالت عائشة رضي الله عَنْهَا : والله ما أخذ رسول الله ﷺ قطُّ إلاّ بما أمر الله تعالى ، وما مسَّت كفُّ رسول الله ﷺ كفَّ امرأة قط ، وكان يقول إذا أخذ عليهن : قد بايعتكنّ . كلاماً ! » انتهى « هديّة » ، ملخصاً .

وفي « الرسالة القدسية » ما حاصله : يعطي الشيخ الإنابة للنسآء ، ولا يفعل الخلوة مَعَهُنَّ إلا إن كنَّ محرمياتٍ أو كان معهنّ محرم ، فيقعدْنَ وراء الستارة ويعلِّمهنّ . انتهى راجعه في ١٦ .

وفيه: أن الإمام الرباني قال في « مكتوباته » : سألتموني أنّ جماعة من النسآء يطلبن المشغوليّة ؟ الجواب : إن كنّ محارم فما المانع ؟ وإلاّ ! يقعُدْنَ وراء الستارة ويأخذن الطريقة[1] انتهى ٧١٦ .

وفي « الفتاوى » للشيخ عمر الميرطي : وأمّا الخلوة بالنسآء فإن كنّ متعدّدات فيجوز مع الحجاب ، وإن كانت واحدة أو كثيرة غير مستورة فلا يجوز أصلاً . « فتاوى خليلي » . انتهى .

وقال سيد علي زاده في « مفاتح الجنان شرح شرعة الإسلام » : وإذا أمّ الرجلُ النسآء في مسجد جماعة ليس معهنّ رجل لا بأس به ؛ وفي غير المسجد من البيوت ونحوه يكره ، إلاّ أن يكون معه ذات رحم محرم منه ! كذا في « خلاصة الفتوى » . انتهى ١١٢ .

وأما تعليم الذكر لهنّ فلعموم الأمر به لجميع المؤمنين والمؤمنات لقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الآية . كالصلاة والزكاة والصوم وغيرها ، وقال تعالى في حقهنّ ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ الأية وقال في آخرها ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ

---

(١) ولا يجوز أن تسئلن ـ أي : نساء النبي ﷺ ـ إلا من وراء حجاب ، ويجوز أن يسأل غيرهن مشافهة أي من غير حجاب ، « أنوار » ٣٨ من النكاح ، حاشية العلامة الكمثراوي وحاشية الحاج إبراهيم .

﴿ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ وقال ﷺ : « يا نساء المؤمنين عليكنّ بالتهليل والتسبيح والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين الرحمة ، واعقدن بالأنامل فإنهنّ مسؤولات مستنطقات » .

وأمّا تعليم الذكر للعوام فلعموم الخطاب بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ فعلى العلماء والمشائخ أن يعلِّموهم أمر دينهم ، ولا يمنع العلم عن أحد من المؤمنين والمؤمنات من أهل السنة والجماعة ، لأنّه ورد الوعيد عليه في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ الآية ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ سُئل عن علم فكتمه ، ألجمه بلجام مِن نار » وقوله : « إنّي لأعرف ناساً ما هم بأنبيآء ولا شهدآء ، يغبطهم الأنبياء والشهدآء بمنزلتهم يوم القيامة ، الذين يحبُّون الله ويحبِّبونه إلى خلقه ، يأمرونهم بطاعة الله ، فإذا أطاعوا الله أحبهم الله » . رواه أبو سعيد ، وكثرة الذكر تستلزم محبة الله ، وهو من الأمر بالمعروف ؛ والأمر بالمعروف واجبٌ حتى على الآحاد قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ الآية . انتهى « هدية الذاكرين » .

يقول الفقير رحم الله إفلاسه : **إن تلقين الذكر أمر خاصٌ بالمشائخ الكاملين المأذونين ؛ لا يجوز لأحد من غيرهم أن يباشره ! لسرٍّ في التلقين** . وقد مرّ مراراً ، فليستحضره هُنا ، والله أعلم . نعم ! قال في « مزكي النفوس » ما خلاصته : إنّ الذكر على قسمين : ذكر التعليم وذكر التلقين ، **فذكر التلقين** هو الذي يفيد الطالب ، ويُذْهِبُ الحجابَ من القلب ، ويخرج منه الظلمة والخيالات والوسوسة الشيطانيّةَ[1] ، وهو

---

(١) فإن الوسواس الخناس ـ أي الوجاع ـ لا يوسوس إلا مع الغفلة ، وكلّما تنبّه العبد وذكر الله خنس ، فالخنوس عادة له كالوسواس . عن سعيد بن جبير : إذا ذكر الإنسان ربه خنس=

مثل مطر النيْسَانِ ، **وأما ذكر التعليم** فهو الذي يذكره العوام بلسانهم ، ويُعَلِّمُهُم الآباءُ بلسانهم ، ولا يدخل ذلك الذكر إلى القلب ولا إلى الروح . انتهى ٣٣٥ .

ولا تحصل تصفية القلب عن كدورات السوى ، وتزكية النفس عن رذائل الصفات الحيوانية[1] من الكلمة الطيبة[2] ، ومن سائر الأسماء الإلهية إلاّ إذا تلقَّنها الذاكر عن شيخ كامل ملقن إياها عن شيخ آخر ، وهكذا إلى رسول الله ﷺ . كذا في « المتممات » في ١٣٨ .

وفي الإبريز في ٢١٦ إن المريد إذا قال لا إله إلا الله قبل أن يلقى الشيخ الكامل يقولها بلسانه وقلبه غافل ! والشيخ يقولها بالباطن لعظيم مشاهدته فإذا لقن المريد سرت حالته في المريد . انتهى .

وأما التوجه أي توجُّه المشائخ إلى المريدين ، فهذا أيضاً أمرٌ مسنون ؛ مخصوص كماله بأهل الطريقة وأرباب الحقيقة ، ونفْعُهُ مشهود لأهله ، لقوله عليه السلام : « جالسوا العلماء وزاحموهم بركبكم ، فإنّ الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء » .

ولقوله : « ما صبَّ الله في صدري شيئاً إلاّ وصببته في صدر

=الشيطان ووَلّى وإذا غفل وسوس إليه ، كذا في تفسير الشيخ الأكبر محي الدين العربي في سورة الناس ، وإذا كان كذلك فالذكر الذي لقّنه الشيخ العارف يكون معه نور يتقيه الشيطان كاتقاء أحدنا النار ويصير الذكر مطبوعاً في القلب ومنقشاً فيه فكلما توجه المريد إليه يجده ذاكر الله فيتنبه ويتذكر فحينئذ يخنس الشيطان ويولي ويتخلص من وسواسه ، والله أعلم (منه) . وأما القصر في اسم الجلالة بحذف الألف بين اللام والهاء ، فهذا قد سمع في لغة بعض العرب ولا مانع من التكلم بأيّ لغة من لغاتهم ، بل قد جوّز الفقهاء ذبيحة من سمّى بتلك اللغة ، وقالوا بانعقاد يمينه . كذا بل عينه في « النور الساطع » و مثله في « تنوير الصدر » فراجعه . (منه قدس سره) .

(١) وقال الشرقاوي في شرحه على الحكم ما حاصله : أن زوال العيوب النفسانية لا يكون في الغالب إلا على يد شيخ كامل ناصح . فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) أي لا إله إلا الله (منه) .

أبي بكر » وقوله عليه الصلاة والسلام : « خير جلسائكم من ذكركم الله رؤيته[1] ، وزاد في علمكم منطقه ، وذكَّركم الآخرة عمله » . ولقد كان عمر رضي الله تعالى عنه مع جلالة قدره يجلس بين يدي أنس بن مالك رضي الله عنه ويقول : « يا أنس ! كُنْتَ خادم رسول الله ﷺ ومن آل بيته ، والله تعالى أعلمكم شأن المنافقين كما قال الله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ﴾ الآية . فانظر يا أنس هل تجد في قلبي أثر النفاق ؟ فبكى أنس من شدّة خوف عمر من النفاق ، فبكى معه عمر أيضاً ظنّاً منه أنّ بكاء أنس لرؤية النفاق في قلبه ، ثم قال أنس : يا عمر ! لا تبك ، وإنما بكيت أنا من شدّة خوفك من النفاق وعدم أمْنِكَ مِنْهُ ، فقال عمر : يا أنس ! مَنْ أمِنَ مِنْ النفاق فهو منافق ، فلا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون .

ومعلوم أنّ هذا نفاق رياء لا نفاق شرك . كذا في « الفتاوى العمرية » وقيل : هذه القصّة مع حذيفة بن اليمان صاحب سرِّ رسول الله ﷺ . انتهى « هدية » .

وقال الشيخ سليمان الزهدي في « صحيفة الصفا لأهل الوفا » التوجّه[2] هو أن يلاحظ قلبه تحت قلب المرشد يسيراً ، ولطائفه كذلك ،

---

(١) يعني أن نور قلب العارف مشرق على وجهه ، فمن رآه رأى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه ، ومثلوا ذلك بالشمس إذا أشرقت على الجدار استنار الجدار الآخر لمواجهته لذلك الجدار الذي أشرقت عليه الشمس . كذا في « تقريب الأصول » في ١٦٥ ومثله في « الرحمة الهابطة » « الدرر » ج ١ وراجع نور الهداية (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) هذا في حق توجه المريد لاستفاضته من الشيخ ، وأما التوجه من طرف الشيخ فهو عبارة عن إلقاء الجذبة في قلب السالك قبل السلوك ، وصب ما في صدره أوّلا بحكم وراثة الشيخ الكامل عن شيخه كذلك ، وهكذا إلى سيدنا الصديق الأكبر . كذا في « نور الهداية » في ٩٢ وفيه : والتوجه أنواع ، والذي يوافق مشربي هو أن يتوجه حضرة الشيخ إلى قلب=

إنْ أهْل[1] لطائف! وينتظر بواسطته الفيض، ولو أهل نفي وإثبات كذلك. انتهى ٦.

وقال في هامشه: وفي الأثر: «أنّ جبرائيل عليه السلام توجَّه النبيَّ ﷺ في غار جبل حراء» انتهى من ٦،

وفيه أيضاً: والنَبي ﷺ توجّه أبا بكر رضي الله عنه في غار جبل ثور والحاصل أن التوجه الملقن المُعَنْعَنَ من النَبِيّ ﷺ إلى الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه ومنه إلى المشائخ الكرام قدس الله أسرارهم سَحَابُ الفيوضات، وقلوب المشائخ ميزاب الحكم والعرفان، مَنْ انتَظَر بالصدق وَصَل، ومن انتهى بالغفلة ذهل. انتهى ٦.

وقال قدّس سره في هامش «نهجة السالكين»: أوّل توجُّهٍ من جبريل إلى النَبي ﷺ ثلاث مرات: مَرَّةً للتخلية، ومرّة للتحلية، ومرة لإلقاء الوحي. وفي غار ثور توجَّه النَبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه، وهو التوجُّه الواصل المعنعن إلى السادات النقشبنديّة انتهى ٧٧.

فكيفية إيقاع الذكر في القلب في اصطلاح السادات النقشبندية بالتوجُّه وبالصبِّ من صدر إلى صدر، لا بلقلقة اللسان بالذكر، كما زعم عليه البعض! وإنما يحيى القلب بمُقابلة قلب حيّ، فإنّ طريقتهم انعكاسيَّةٌ وانصباغيَّة، ويعمل توجّهُهُم الوَاحِدُ ما لا تعمله المجاهدة والرياضات للآخرين، ولذا قال في «النفائس السانحات»: فكل صحبة عند هؤلاء الطائفة تَعْدِلُ أربعين واحداً. انتهى. **ويؤيده حديث:** «المؤمن مرآة المؤمن» أي ينعكس من قلب أحدهما إلى الآخر ما

=المريد بتوجه جذبي يرفع عن قلبه الظلمة الشيطانية المستكنة فيه. انتهى، وكان شيخنا عبد الرحمن العسوي قدس سره يقول وقت التوجه: توجهت بقلبي إلى قلب شيخي محمود أفندي، ومن قلبه إلى قلب هذا الطالب، وقصدت إزالة الظلمة من قلبه. انتهى، (منه رحم الله إفلاسه).

(١) أي إن كان أهل الخ (منه).

في القلب ، فربّما ينعكس نور الذكر من مرآة القلب إلى ما يحازيها من الحيوانات والجمادات فتنطقه بالذكر ، كما وقع لداود عليه السلام كما قال تعالى : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ إلى ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ وكما وقع لسلمان وأبي الدرداء قال : كنا نأكل الطعام ونسمع تسبيحه ، ولهمّة أهل الله ونظرهم وتوجُّههم وأنفاسهم ومسّهم وصحبتم تأثير عظيم ، فمن ذاق يعرفه ، ومَنْ لم يذق لم يعرف . كذا في « الفتاوى العمريّة » فراجعه[١] .

وأمّا الذكر مطلقاً سواء كان سراًّ أو جَهْراً[٢] باللسان أو بالقلب فمشروع بالاتفاق ، وإنما الخلاف في الأفضلية والأولويّة ، قال عليه السلام : « السرّ أفضل من العلانية ، والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء » . رواه ابن عمر[٣] ، راجع « هديّة الذاكرين » و« حاشية الدر المختار » لابن عابدين و« رسالة الفكر في الجهر بالذكر » و« رسالة الأجوبة عن المسائل المائة » و« الفتاوى الخيريّة »[٤] و« رياضة الأسماع في أحكام الذكر[٥] والسماع »[٦] و« النور الساطع » ؛

(١) وراجع « المطالب العالية » للإمام فخر الرازي رحمه الله تعالى (منه) .
(٢) قوله أو جهراً أي لأهله ، فافهم ، وتذكر ما مرّ في مواضع متفرقة (منه) .
(٣) رواه الديلمي أيضاً . راجع « الزواجر » في ٤٢ من الجزء الأول (منه) .
(٤) هو كتاب نفيس في الطريقة الرفاعية (منه رحمه الله) .
(٥) وفي فتاوى ابن حجر رحمه الله تعالى : ما اعتاده الصوفية من عقد الذكر بالجهر به في المساجد لا كراهة فيه . كذا في « ذخيرة المعاد » ، فراجعه في ٣٧ من هامش « يواقيت عيدروس » من الجزء الأول ، وراجعه في ٢٢ ففيه بسط الكلام على أرجحية الذكر السري أو الجهري (منه رحم الله إفلاسه) .
(٦) فحاصل ما ذكروه في حق الذكر الجهريّ : أن المريد المبتدئ الذي دخل في طريقة ليس فيها التوجه الذي يحصل به حياة القلب ويخرج بسببه منه الظلمة والقساوة فذكر الجهر له أولى وأنفع وإن كان ذلك المريد المبتدئ منغمساً في الرياء ، فإن الرياء قنطرة الإخلاص ، فيأمر عليه الشيخ بتكريره والملازمة عليه آناء الليل وأطراف النهار ويأمره بترك الحظوظ وحوض فصيلة الإخلاص . فإذا دام عليه وكرره فيرجى أن يحصل لقلبه الحياة التي بها=

وأمّا الذكر والختم والحلقة بالجمعيّة والجماعات فمشروعة مسنونة لقوله تعالى ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية وروى أبو داود والبيهقي وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّه قال: «جَلَسْتُ في عصابة أي: جماعة من ضعفاء المهاجرين وإنّ بعضهم ليستتر ببعض من العري، هؤلاء هم أهل الصفة، منهم مَنْ كان ثوبه أقلّ من ثوب صاحبه، وكان يجلس خلف صاحبه يستتِرُبه، وقارئ يقرأ علينا إذ جاء رسول الله ﷺ فقدم علينا يعني كنا غافلين عن مجيئه فنظرنا فإذا هو قائم فوق رؤوسنا، فلما قام رسول الله ﷺ سكت القارىء فسلّم ـ أي: النبي ﷺ ـ علينا ثم قال: ما كنتم تصنعون؟ قلنا: نستمع كتاب الله تعالى. فقال: الحمد لله الذي جعل من أمّتي مَنْ أمِرْتُ أنْ أصْبِرَ نفسي معهم، أي جعل زمرة فقراء مقرّبين عند الله بحيث أمرني الله بالصبر معهم بقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ الآية.

قال الراوي: فجلس ـ أي: النبي ﷺ ـ وسطنا ليعدل بنفسه فينا ـ أي يسوّي نفسه ويجعلها عديلة لنا في المجلس ـ تواضعاً منه ﷺ لربّه،

=الحياة في الدارين وأن يخرج منها القساوة والظلمة الشيطانية ويطرد به الغفلة والنعاس ويندفع الوسواس ويصير بسببه من أهل الإخلاص الذين ينفعون بسماع أصواتهم الناس، إذا رؤوا ذكر الله الملك القدوس. فالذكر الجهري هو العلاج لهذا المريد المبتدئ المذكور. وأما المريد الداخل في الطريقة النقشبندية التي التوجّه شرط فيها، فلا يحتاج إلى الذكر الجهري، لأن الطائفة النقشبندية يتوجهون إلى قلب المريد ويصبّون ما في قلوبهم إلى قلبه من نور النسبة، فيحصل بذلك الحياة لقلب المريد، فلا يحتاج أن يعالجه بتكرار الذكر الجهري كما احتاج إليه سالك سائر الطرق، فإن توجهاً واحداً يفعل لقلب السالك ما لا يفعله الرياضات والمجاهدات في سنين عديدة، كما هو مذكور في مواضع من «مكتوبات» الإمام الرباني قدس سره. وأما الكاملون منهم؛ فجواز الجهر لهم نار على علم لا يحتاج إلى بيان. وبما ذكرته يندفع الإشكال ولا يبقى بعده النزاع والاعتراض، ويجمع به بين أقوالهم ويتبين المراد. ولا حول ولا قوّة إلا بالله. (منه قدس سره العزيز، من خطه).

وَرَغْبَةً فيما نحن فيه ، ثم قال بيده هكذا ـ أي : أشار بها أن اجلسوا حلقاً[١] فتحلَّقوا أي جلسوا حواليه كالحلقة ـ وبرزت ـ أي : ظهرت ـ وجوههم له بحيث يرى عليه السلام وجه كلّ واحد منهم ، فقال : أبشروا ـ أي : افرحوا ـ يا معشر صعاليك المهاجرين ـ جمع صعلوك وهو الفقير ـ بالنور التام يوم القيامة ، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم ؛ وذلك خمسمائة سنة » وإنما دخلوا قبل الأغنياء لأنّ الأغنياء يقفون في العرصات للحساب ، ويُسْأَلُونَ عن جهة تحصيل الأموال وكيفيّة صَرفها ؛ والمراد بالفقراء : الصابرون الصالحون ، وبالأغنياء : الشاكرون المؤدّون حُقوق أموالهم . كذا في « مشكاة المصابيح » وشرحه . وقال رسول الله ﷺ : « أبشروا يا أصحاب الصُفَّةِ ، فمن بقي من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضياً بما هو فيه فإنه من رفقائي يوم القيامة » . رواه الخطيب والديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما ولقوله ﷺ : « ما اجتمع قوم على ذكر إلاّ حفّتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة » وقوله : « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عزّ وجلّ لا يريدون بذلك إلاّ وَجْهَ الله إلا ناداهم مُناد قوموا مغفوراً لكم قد بُدِّلَتْ سيّئاتكم حسنات » وقوله : « إنّ أهل الذكر ليجلسون إلى ذكر الله تعالى ، وإنّ عليهم من الآثام مثل الجبال ، وإنّهم ليقومون ما عليهم منها شيء » رواه أحمد في الزهد عن ثابت البنّاني وقوله « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » ، قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال « حلق الذكر » وقوله : « إنّ لله تعالى سيّارة من الملائكة يطلبون حِلَقَ الذكر ، فإذا أتوا إليهم حفُّوا بهم ، فيقول الله : غَشُّوهم برحمتي ، فهم الجلساء الذين لا يشقى بهم جليسهم »[٢]

---

(١) حِلَق ، بكسر ففتح – جمع حلقة بفتح فسكون ، راجعه .

(٢) وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « إذا مررتم برياض الجنة ، فارتعوا » – أي ارعوا كيف شئتم وتوسعوا في اقتناص الفوائد – قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال « حلق الذكر » . كذا في « الرسالة » في فضيلة الذكر ، فراجعه في ١٣ . (منه) .

أخرجه البزاز عن أنس ، وقوله كما في الصحيحين وغيرهما : « إنّ لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هلمّوا إلى حاجتكم ، قال : فيحفُّونهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا ، فإذا تفرقوا عرجوا إلى السماء » الحديث ؛ « هدية » .

وفي « مراقي العبودية » : إنّ حضور مجالس الوعظ والعلم أفضل من اشتغالك بالأوراد والنوافل . كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه : « إنّ حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة ، وشهُود ألف جنازة ، وعيادة ألف مريض » . انتهى .

وفي « الإحياء » في ٢٢٥ من الجزء الأول في فضيلة مجالس الذكر وقال ﷺ « المجلس الصالح يكفِّر عن المؤمن أَلْفَيْ ألف مجلس من مجالس السوء »[1] .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه . « إنّ أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم » .

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى : إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا ، فيقول الشيطان للدنيا : ألا ترين ما يصنعون ؟ فتقول الدنيا : **دَعْهُمْ فإنهم إذا تفرقوا أخذْتُ بأعناقهم إليك** . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه دخل السوق وقال : أراكم ها هنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم في المسجد ، فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق ، فلم يروا ميراثاً ، فقالوا يا أبا هريرة : ما رأينا ميراثاً يقسم في المسجد قال : فماذا رأيتم ؟ قالوا : رأينا قوماً يذكرون الله عزّ وجل ويقرؤون القرآن ، قال : فذلك ميراث رسول الله ﷺ . وروى الأعمش

(١) وراجع « مكاشفة القلوب » في ١٧٤ ففيه نظيره . (منه رحمه الله) .

عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عنه ﷺ أنّه قال : « إنّ لله عز وجلّ ملائكة سياحين في الأرض فضلاً عن كتاب الناس ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجلّ تنادوا : هلموا إلى بغيتكم ، فيجيئون فيحفُّون بهم إلى السماء ، فيقول الله تبارك وتعالى : أيّ شيء تركتم عبادي يصنعونه ؟ فيقولون : تركناهم يحمدونك ويمجّدونك ويسبّحونك . فيقول الله تبارك وتعالى : وهل رأوْنى ؟ فيقولون : لا ، فيقول الله جلّ جلاله : كيف لو رأونى ؟ ! فيقولون لو رأوْك لكانوا أشدّ تسبيحاً وتحميداً وتمجيداً . فيقول لهم : من أيّ شيء يتعوّذون ؟ فيقولون : من النار . فيقول تعالى : وهل رَأَوْهَا ؟ فيقولون : لا . فيقول الله عزّ وجلّ : فكيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها لكانوا أشدّ هَرَباً منها وأشد نفوراً . فيقول الله عز وجل : وأي شيء يطلبون ؟ فيقولون : الجنة . فيقول الله تعالى : وهل رأوها ؟ فيقولون لا . فيقول الله تعالى : فكيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصاً . فيقول جلّ جلاله : إنّي أشهدكم أني قد غفرت لهم . فيقولون : كان فيهم فلانٌ لم يردهم إنما جاء لحاجة . فيقول الله عزّ وجلّ : هم القوم لا يَشْقى بهم جَلِيسُهُمْ »[1] .

مهم

وأمّا تخصيص العدد في الختمات والذكر والصلاة فمشروع أيضاً ، لقوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل : « يا معاذ ، كم تذكر كل يوم ، أتذكر عشرة ألاف ؟ » .الحديث وقوله عليه الصلاة والسلام :

(١) وقال صاحب « العوارف » بعد ذكره هذا الحديث : فلا يشقى جليس الصوفية ، والمتشبه بهم والمحب لهم فراجعه من هامش « الإحياء » . فراجعه في ١٦٥ ج ١ . (منه رحمه الله تعالى) .

وذكر النووي ـ قدس سره ـ هذا الحديث في « رياض الصالحين » بألفاظ مختلفة ، وقال متفق عليه ، وذكره أيضاً برواية مسلم . فراجعه ٢٨٩ (منه ؛ رحمه الله إفلاسه آمين) .

« من صلَّى عليَّ في يوم مائة مرّة قضى الله له مائة حاجة ، سبعين منها لآخرته ، وثلثين منها لدنياه » وقوله عليه الصلاة والسلام : « من قرأ قل هو الله أحد ألف مرّة فقد اشترى نفسه من الله عز وجلّ » .

وأمّا غلق الأبواب والكوّات عند ختم السادة النقشبندية العليّة فلئلا يشغلهم الناظرون عن الحضور والخضوع والخشوع ، ولدفع الخواطر ، فهذا أمْرٌ مسنون ، لما روى أحمد بن حنبل في مسنده عن شدّاد بن أوس بإسناد حسن قال : كنّا عند رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام : « هل فيكم غريب » ؟ يعني أهل الكتاب أو مَنْ يطَّلع بَعْدُ على أسرار الشريعة . فقلنا : لا يارسول الله . فأمر بغلق الباب . فقال : « ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله » ، فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا كذلك لا إله إلا الله . ثم وضع رسول الله ﷺ يَدَهُ وَوَضَعْنا ، ثم قال : « الحمد لله ، اللهمّ إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنَّة فإنك لا تخلف الميعاد » ، ثم قال : « ألا أبشروا فإن الله عز وجل قد غفر لكم » الحديث . وهذا أمرٌ مرغوبٌ في كثير من العبادات ، وذلك أجمع للحواس على القلب وأبلغ في الحضور ، وكما تكره الصلاة تِلْقَاءَ وجه الرجل ، وخلف النائم والمتحدث عند الحنفية والمالكية ، يكره الختم في حضور غير المنتسبين لهذه الطريقة العلية ، وكذا ترك الأبواب مفتوحة ، وهو من آدابهم القديمة ، وأمّا منع غير المنتسبين لهذه الطريقة من الختم فلأن هذا الختم أمرٌ مخصوصٌ مشروط بأهل هذه الطريقة العلية ، ليس لأحدنا تبديل طريقتهم وآدابها ولا تغييرُهَا ، ولأنّ العمل لا ينفع إلا بالعلم ، ولأنّه لا فائدة له في دُخوله الختم من غير تعلّم ورُخْصة ، لأنّ كلّ واحد يقبل على شغله وذكره ، ويقرأ في نفسه سرّاً لا يسمعُهُ غيره حتى يستفيد منه ، بخلاف ختمات سائر الطرق ، ولأنّه لا فائدة لَهُمْ في إدخالهم الختم بل ذلك مُضِرٌّ لهم[١] ولهم

(١) وراجع « القدسية » من صحيفة ٧١ منه ، وفي « القدسية » في ٧١ : لا يترك الأجنبي=

لعدم رعايتهم الآداب ، وإن كان ممّن يقرُّ هذه الطريقة ويريد بدخوله العبادة والقربة ! فلا بدّ له من الانتساب والتعلّم من أهله . وإن كان مراده التفرج وإمرار الوقت وتضييعه ! فهذا لا يجوز ، وإن كان مراده الاستخفاف والاستهزاء بالذاكرين ، فهذا كُفْرٌ ، وعلى كل حال منعه أولى صيانة له ولهم . انتهى « هدية الذاكرين » .

وفي « الرشحات » : وقع فتور على وقت الشيخ أبي يزيد البسطامي قدس سره فقال لأصحابه : قد دَخل في مجلسنا هذا أجنبي قد طرأ عليّ فتور بسببه فالتمسوه . فقال الأصحاب بعد تفتيش بليغ : ليس في المجلس أجنبيّ . فقال : التمسوه من بيت العصا . فالتمسوه منه فوجدوا عصاً أجنبية فرموْها بعيداً . فكان الشيخ واجداً لوقته في الحال ، وتبدَّلت تفرقته بجمعيّة وانشراح البال . انتهى .

وفيه أيضاً : وقع الفتور على واحد لأجل نعل أجنبي في صف النعال ، فرموها خارج البيت فحصلت له الجمعية . انتهى راجعه . فهذه من جملة العلل لمنع الأغيار من الدخول إلى مجلس الختم ، والله أعلم .

وأمّا تغميض العينين عند الذكر والختم فهو مسنون ومرّ بيانه ، وأمّا قراءة الصلاة المخصوصة في ليلة الجمعة فلما في « نهج المتقين » من أنه قال علي رضي الله عنه : « من صلَّى على النبي ﷺ بهؤلاء الكلمات في كل يوم ثلاث مرات وفي كلّ جمعة مائة ، فيقول : صَلَوَاتُ اللهِ ومَلَائِكَتِهِ وأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَجَمِيعِ خَلْقِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، عَلَيْهِ وعَلَيْهِمُ السَلَامُ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ ؛ فقد صلى بصلوات جميع الخلق ، وحشر يوم القيامة في زمرة رسول الله ﷺ يأخذ يده حتى يدخل الجنة » . انتهى ومثله في « نزهة المجالس » في ١٣٠ .

=عند التوجه . فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

وأمّا الجهر بها فلما في « هدية الذاكرين » نقلاً من « المورد العذب » قال النَبي ﷺ : « من ضجَّ بالصلاة عليَّ في الدنيا ضجَّت الملائكة بالصلاة عليه في السموات العلى » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من صلّى صلاة وجهر بها شهد له كل حَجَرٍ ومَدَرٍ ورَطْبٍ ويابس » . كذا في « النزهة » . انتهى . وفيه قبل هذا : وقال النووي : يستحبّ لقارئ الحديث وغيره ممّن في معناه إذا ذكر رسول الله ﷺ أنْ يَرْفَعَ صَوْته بالصلاة عليه والتسليم . وممّن نصّ على رفع الصوْت بالصلاة على النَبيﷺ الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي وآخرون ، وقد نصّ العلماء من أصحابنا وغيرهم على استحباب رفع الصوت بالصلاة[1] عليه انتهى .

وأمّا بيان[2] قراءة الختم للمشائخ الخواجكانية فقد قال الشيخ

---

(١) وأمّا الجهر بها فلما في مطالع المسرات أنه قال الشيخ أبو جعفر بن وداعة رحمه الله تعالى : روي في الحديث عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال ما من موضع يذكر النبيّﷺ ويصلي عليه فيه إلاّ قامت منه رائحة تخرق السموات السبع حتى تنتهي إلى العرش يجد ريحها كل من خلق الله في الأرض إلا الأنس والجن فإنهم لو وجدوا ريحها لشغل كل واحد منهم بلذتها عن معيشته ولا يجد تلك الرائحة ملك ولا خلق من خلق الله تعالى إلا استغفر لأهل المجلس ويكتب لهم بعددهم كلهم حسنات ويرفع لهم بِعَدَدِهم درحات سواء كان في المجلس واحد أو مائة ألف يأخذ من الأجر هذا العدد وما عند الله خير وأجزل انتهى فراجعه من ٣٨ (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) **رسالة سيف الله الحسنيّ الغازي الغموقي**

إلى حضرات السالكين الكرام . .الخ السلام . .الخ . أسئل الله تعالى عافيتكم في الدين والدنيا وأيّدكم على آداب السادات ، ثم اعلموا أيها الأمناء أن سماع الخير والجمعية الخيرية منكم يسرّني كل وقت ، وأرجو من هممكم أن تكونوا بالجمعية والتفرقة لا بمجرد التفرقة ، وأن جمعكم للختم برعاية شروطها المعنعن عن السادات سبب لترقيكم ، فاجتهدوا لرعاية اصطلاحهم وفق الإمكان . ومعلوم عندهم أن لا يكون أجنبي بينكم حينئذ وغلق الأبواب شرط إلا للضرورة الملجئة لذلك ، فإن أمكن لكم الاجتماع في موضع مخصوص فذلك هو المراد المهمّ ، ويأبى الله أن تقع بينكم المخالفة ، فكونوا أيها الأولاد كاليد الواحدة والجمعية ، فيد الله مع الجماعة . خادمكم سيف الله – سامحه الله من فرطاته – . انتهى (من خط ذلك الشيخ العارف النقشبندي الشاذلي القادري الغازي الغموقي قطب أوان تلك الوقت) .

محمّد حقي النازلي النقشبندي في « خزينة الأسرار » : اعلم أنّ الإمام الهمام الفائق ، الذي هو في التفسير والحديث ناطق ، وفي جمع الطرق والأسرار كالسابق ، وهو سيدي جعفر الصادق ، وأبو يزيد البسطامي ، وأبو الحسن الخرقاني ، ومَن دونهم إلى شاه النقشبندي قدّس الله أسرارهم ونفعنا بهم آمين ، أنهم اتفقوا في قضاء الحاجات ، وحصول المرادات ، ودفع البلاء ، وقهر الأعداء والحساد ، ورفع الدرجات ، ووُصُول القربات ، وظهور التجليات ، قد استعملوا هذه الفائدة الجليلة ، والأسرار الغريبة ، وهو الاستغفار[1] مائة مرّة ، والفاتحة سبع مرّات ، والصلاة على النبيّ ﷺ مائة ، وقراءة ألم نشرح لك تسعة وسبعين مرّة ، وسورة الإخلاص ألفاً وواحدة ، ثم الفاتحة سبع مرات ، وعند تمام الكل يصلي على النَبي ﷺ مائة مرّة ثم يسأل حاجته ويطلب مقصُوده ، فإنّها تقضى بإذن الله تعالى ولا يتجاوز إلى أربعة أيّام ، ويداوم عليها إلى سبعة أيّام ؛ وجرَّبها كثيرٌ ؛ ولكن أوصوا من وصل إلى مراده أن لا يُفشي سرَّه لأحد من السُفهاء لئلا يستعملوها فيما حرّم ؛ ثم كان ذلك الترتيب عادة لهم يداومونها ويعملون بها كل يوم مرة أو مرتين صباحاً ومساء ، أو دُبُرَ كلّ المكتوبات الخمس[2] ، فعادات السادات سادات العادات ، ومن خالط السادات ينال السعادة . انتهى . وهكذا في « سلم المريد » في ٧٤ من الباب التاسع .

فشروط قراءته أن يكون قارؤه من أهل هذه الطريقة العلية ،

---

(١) قوله وهو الاستغفار الخ وقد عدَّ الخاني في « البهجة » الاستغفار خمساً وعشرين مرة ، وتغميض العينين والجلوس متوركاً على عكس تورك الصلاة من الآداب لا من الأركان . فراجعه في ٥٨ وبعد الاستغفار يفعل الرابطة ، ثم يشرع في القراءة بعد قراءة الدعاء المشهور وإذا ذكر اسم السادات في الدعاء يستمد منهم بحصول المقصود ، كذا قال الزهدي في هامش « صحيفة الصفا » في ٦ (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) فقد لازم على قراءته الخواجكان في كلّ ليلة الإثنين وليلة الجمعة كذا في « سلسلة الخواجكان » (منه رحمه الله تعالى) .

أو مأذوناً منهم بقراءته ، وأن يكون متوضئاً ؛ على ركبتيه ، في مكان طاهر ، متوجّهاً إلى القبلة ، وأن يراعي الترتيب والعدد[1] بحيث لا يقدِّم بعض ما يقرأ فيه على البعض ، ولا يزيد ولا ينقص في العدد ، وإن كان مع الجماعة يقسم العدد عليهم ، وأن يستحضر روحانية الخواجكان قبل الشروع فيه ، ويقرأ هذا : اللهمّ يا مفتّح الأبواب ، ويا مقلّب القلوب والأبصار ويا خالق الليل والنهار ، ويا دليل المتحيرين ، ويا غياث المستغيثين ، توكّلت عليك يا رب العالمين ، وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، ثم يقرأ الفاتحة[2] واه واه ، ثم يهب ثوابه لرسول الله ﷺ ولأصحابه الخواجكانية النقشبنديّة ، وهذا أحسن ثم يرفع يديه ويدعو الله ويتوسل به إلى حصول مقصوده ، ويأكل بعد الفراغ عن الدعاء بعضاً من الحلويات كالتمر والزبيب . انتهى . كذا في « سلسلة الخواجكان » وإذا ذكر اسم السادات في الدعاء يستمدُّ منهم بحصول المقصود . انتهى كذا في « صحيفة الصفا » في ٦ .

وفيه في الهامش وإن كان في محلّ خمسة إخوان ، فلا يتركونها ، وإن كان أقل منها فمخيَّرٌ فيها ، ولا يتعدَّد محلّ الختم في بلدة واحدة كي لا يفتن ، إلاّ إذا كانت البلدة كبيرة بحيث لا يمكن الاجتماع في محل واحدٍ . انتهى . ولا يحرّك أعضاءه حالة[3] الذكر والختم والتوجّهات غير الإصبع الذي يجّر السبحة به ويعد ؛ ولا يتأوَّه ولا يصيح بالحالات

---

(١) فإنها أسنان مفاتح الغيب ، من هامش صحيفة الصفا راجعه في ٦ (منه) .

(٢) مع البسملة سبع مرات ثم يصلي على النبي ﷺ مائة مرة ثم يقرأ سورة ألم نشرح لك مع البسملة تسعاً وسبعين مرة ثم يقرأ سورة الإخلاص مع البسملة أحداً وألفَ مرة ثم يقرأ الفاتحة مع البسملة سبع مرات أيضاً ثم يصلى على النبي ﷺ مائة مرّة (خ) .

(٣) ومثله في الدرر (ومر عينه) في ١٦١ من الجزء الأول فراجعه (منه) .

والفنايات ، وكل ذلك مدخل للشيطان وحظوظ للنفس ، وكثير من الناس يحسبون أنها جذبة ، وليس كذلك ! كما مرّ ، ويهتمّ المرشد منع ذلك ، وسبب ذلك إمّا الجَهْل بالأصول ، أو ادّعاء العشق ، وليست طريقتنا طريق العشق والهيجان ، بل طريقتنا طريق العبودية والسكينة ؛ وأهلها معشوق ومحبوب للاستقامة في الاتباع والعبودية لذاته ورضائه . كذا في « نهجة السالكين وبهجة المسلكين » في ٢٥ .

وأما قراءة الفاتحة سبعاً فلاستفاضة رقائق حروفها المطروحة من وجه الرحمة ، وللاستحجاب عنها من وجه النقمة ، ومن هذا تليت سبعاً مرتين على أنه كذلك موافقة للنزول المكي والمدني . انتهى . « الفيوضات الخالدية » ٢٠ من هامش « نور الهداية » ،

وفيه أيضاً : وأما الصلاة على النبي ﷺ مائة مرة[١] فلما ورد من أن من صلى عليه ﷺ مائة مرة يعطى مائة حاجة ثلاثين في الدنيا وسبعين في الآخرة . على أن الصلاة مائة ، إجابة لكل لطيفة عشر مرات ، والعشرة إن نظرت إلى صورتها فهي واحدية الأحدية ، وإن نظرت إلى رتبتها فكذلك ، فتكون كل لطيفة جامعة للواحدية والأحدية وبهذا تتم له الإنسانية الكاملة ، إذ هما جناحان لاَ طَيَرانَ للمرءِ بدونهما .

وأما الانشراح[٢] تسعاً وسبعين مرة ! فلما ورد أن القلب كلما فعل

---

(١) والسر في تكررها مائة في البدء ، ومائة في الختام إشارة على ما ورد في الأثر من إستجابة الدعاء بين الصلاتين على النبي ﷺ . كذا في « نور الهداية » (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) وفي « نور الهداية » والسرّ في قرائتها تسعاً وسبعين مرة إشارة إلى مراتب شعب الإيمان التي هي تسع وسبعون مرتبة لقوله ﷺ « الإيمان بضع وسبعون » الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما . .الخ فراجعه . وفيه : ثم قراءة سورة الإخلاص الشريف ألفاً ومرة واحدة ، لما روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه : أن من قرأ سورة الإخلاص ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله . .الخ . وأما سرّ ضم الواحدة إلى الألف ، فإشارة للدلالة على معنى الأحدية . اهى اختصاراً (منه) .

حسنة انشرح وانفسح ، وكلما فعل سيئة اصطلك وانقبض ، وأمهات الحسنات بضع وسبعون مرة ، والبضع تسع ، فكل مرة شرح للقلب بالتخلق بصفة من صفة الإيمان ،

وأما الإخلاص ألفاً وواحداً ، ألفاً للمريدين مع الشيخ ، وواحدة له ، فلأن الألف مجمع الأعداد الأربعة التي هي الآحاد والعشرات والمئات والألوف ، السارية أحكامها في الأشياء كلها ، وهذه الأعداد الأربعة يقابلها حضرات أسمائية ، منها حضرات الإخلاص الأربعة ؛ كل حضرة لعدد الهويّة ؛ للوحدة في الآحاد ، والجامعية الأحدية للواحدية في العشرات ، فإنها بالجامعية كانت واحدة ، والجامعية الصمدية في المئات ، ولهذا ظهرت في التنزل الثالث الذي منه الكيان الملكي ، والتنزيهية المحضة في الألوف ، ولهذا ظهر في التنزل الرابع الذي منه الكيان الإنساني ، والألف هو النقطة الواحدة الممدة كل مكون ، ولهذا كانت أول الحروف النورانية لا يكون معها شيء ، وهي معنى الواحدة القائم في رتبة الواحد حقاً ، ومن هذا خص الشيخ الذي هو واحد بذلك الواحد على لسان سيدنا إبراهيم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات ـ اللهم أنت في السماء واحد وأنا في الأرض واحد .

ثم ينبغي أن يقدم على قراءة الختم الشريف دعاء الافتتاح[1] والاستغفار خمساً وعشرين لما في بعض الروايات : « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات في كل يوم سبعاً وعشرين مرة أو خمساً وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق به أهل الأرض » . انتهى ٣٣ .

فإن قيل : ما السر في ضبط الأعداد في قراءة الأعداد ؟ قلنا : لأن الأوراد كالمفاتيح لأبواب المغيبات ، وبلوغ المقاصد والآمال

---

(١) وهو اللهم يا مفتح الأبواب .

والحاجات ، **وإن أسنان المفاتيح إذا كانت موافقة لمراتبها تفتح الأبواب لا محالة** ، **وتحصل المثوبة من ذي الجلال** ، أما إذا كانت الأعداد زائدة عن المراتب فقيل : إن ذلك لا يضر في حصول المطالب ، والأولى ضبط الأعداد المأثورة . كذا في « نور الهداية » في ١٩ .

وفيه قال الحافظ ابن حجر في « شرحه على البخاري » في باب الأذكار بعد الصلاة : مراعاة العدد المخصوص في الأذكار معتبرة ، وإلا لكان يمكن أن يقال لهم : أضيفوا التهليل إليها ثلاثاً وثلاثين ، وقد كان بعض العلماء يقول : إن الأعداد الواردة كالذكر عقب الصلاة إذا رتب عليها ثواب مخصوص فزاد الآتي بها على العدد المذكور لا يحصل له ذلك الثواب ؛ لاحتمال أن يكون لتلك الأعداد حكمة وخاصية تفوت بمجاوزة ذلك العدد ، وقال شيخنا الحافظ أبو الفضل في « شرح الترمذي » : فيه نظر لأنه أتى بالمقدار الذي رتب الثواب على الإتيان به فحصل له الثواب بذلك ، فإذا زاد عليه من جنسه كيف تكون الزيادة مزيلة لذلك الثواب بعد حصوله ؟ ! انتهى .

ويمكن أن يفترق الحال فيه بالنية ، فإن نوى عند الانتهاء إليه امتثال الأمر الوارد ثم أتى بالزيادة ! فالأمر كما قال شيخنا لا محالة ، وإن زاد بغير نية ! بأن يكون الثواب رتب على عشرة مثلاً فرتبه هو على مئة ، فيتجه القول الماضي . « نور الهداية » ٢٠ .

فإن قيل : إنّ قراءة الختم وأمثاله من الدعوات لمجرد نفع دنياويّ أو لدفع ضرر نفسانيّ ، ألا يكون ذلك من الرياء ؟

مهم

قلنا إرادة النفع الدنياوي بالعمل من الخالق للتوسل إلى عمل الآخرة ليس برياء ، كصلاة الاستسقاء ، وصلاة الاستخارة وصلاة

الحاجة ، وقراءة الواقعة لدفع الفقر . كذا في « الطريقة المحمديّة » .

وفي « إنقاذ الهالكين ومنهاج العابدين » : مَنْ اشتغل بشيء من الأبيات والأذكار والأدعية لحفظ نفسه أو لواحد من أصدقائه من الآفات الدنيوية ، أو لقهر الأعداء ، فإن كان مراده من الحفظ والقهر التفرغ للعبادة والتمكن من تأثير مذهب أهل الحق ، والرد على أهل البدع ؛ ونشر العلم وحثِّ الناس على العبادة ، ونحو ذلك ؛ فهذا كلّه إرادة سديدةٌ ونيات محمودة ، لا يدخل شيء في باب الرياء ، إذ المقصود منها أمر الآخرة . فإن كان مراده منها التلذذ والتنعّم بالدنيا أو شرف النفس والرياسة ! فهذا رياء محظور . انتهى . هكذا في « شرح حزب النصر » فراجعه في صحيفة ٤٩٢ من هامش « مجموعة الأحزاب » .

وأما ما جرى به عادة مشائخنا قدّس الله أسرارهم ، من أمرهم المريدين بألف استغفار في كل يوم وليلة ، فلأنّ التوبة والاستغفار من أول ما يُلَقّنه جميع أهل الطرق ، وهي أساس بناء طرقهم ، فلما علموا أنّ الإنسان لا يخلو عن الوقوع في الزلات أحياناً أمروهم بتجديد التوبة والاستغفار لكي لا ينهدم[1] بناء طريقتهم ، وليصحَّ دخولهم في حضرة الله ؛ خالصين من دنس الذنوب وكدورات الخطايا ، و كان عطاء السلمي رحمه الله تعالى يقول : لا ينبغي لمن ظلم نفسه أن يذكر الله تعالى إلا بعد التوبة والاستغفار ، فإنّ الله تعالى يلعن الظالم إذا ذكره ما دام مصراً ، ولأجل هذا المعنى جرت عادتهم بتكرار الاستغفار في كل يوم وليلة احتياطاً لأنفسهم ، ولاحتمال ظلمهم لها ، ولو بارتكاب مكروه أو غفلة أو خاطر مذموم ونحو ذلك ، وكان ﷺ يقول : « طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً ، فمن أحبّ أن تسرّه صحيفته

---

(١) وقد قال ابن عطاء الله في « تاج العروس » : من أراد النهايات فعليه بتصحيح البدايات . انتهى راجعه ٢٥ (منه) .

فليكثر فيها من الاستغفار » وكان ﷺ يقول : « ما من مسلم يعمل ذنباً إلاّ وقف الملك ثلاث ساعات ، فإن استغفر من ذنوبه لم يُوقفه عليه ولم يُعذّبْه يوم القيامة » .

الران

وكان ﷺ يقول : « إنّ العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء ، فإن هو نزع واستغفر صقلت ، فإنْ عاد زيد فيها حتّى تعلُو على قلبه ، فذلك الران الذي ذكره الله تعالى ﴿ **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ** ﴾ .

وكان ﷺ يقول : « إنّ للقلوب صدأاً كصدأ الحديد ، وجلاؤه الاستغفار » .

مهم

وكان ﷺ يقول : « مَنْ قال : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له ، وإن كان قد فرّ من الزحْف ، ومَنْ قالها في دبر كلّ صلاة غفرت له ذنوبه كلها ، ومَنْ استغفر الله تعالى سبعين مرة في دبر كلّ صلاة غفر الله له ما اكتسب من الذنوب ، ولم يخرج من الدنيا حتى يرى أزواجه ومساكنه من الجنّة » وكان ﷺ يقول : « ما مِنْ عبد ولا أمة يستغفر الله تعالى في يوم سبعين مرّة إلاّ غفر له سبعمائة ذنب ، وقدْ خابَ عبدٌ أو أمة عمل في يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب » .

وكان أنس رضي الله عنه يقول : « جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : وَاذُنُوبَاه واذنوباه يقول ذلك مرتيْن أو ثلاثاً ، فقال له رسول الله ﷺ : قل « اللهمّ مغفرتك أوسع من ذنوبي ، ورحمتك أرجى عندي من عملي ، فقالها . فقال له رسول الله ﷺ : قُمْ فقد غفر الله لك » . انتهى

الأحاديث كلها من « كشف الغمة » في ٢٨٨ من الجزء الأول .

وهكذا يأمرون مريديهم بالصلاة على النبي عليه السلام في كلّ يوم ألف مرّة ، لأنّها من أنفع الوسائل لمن يريد التقرب من الله تعالى **فإنها توصل إليه من غير شيخ .**

وقد قال بعضهم : لم يبق من طريق القوم إلا مجانبة الأشرار ، والصلاة على النبي المختار ؛ هكذا بل عينه في « مناهج السعادات شرح دلائل الخيرات » في ٣ .

وقال خاتمة المحققين شيخ الإسلام إبراهيم الباجوري في حاشيته على متن السُلَّم في المنطق : والأحاديث في فضل الصلاة عليه ﷺ جملة لا تنضبطُ ، وخصائصها لا تنحصر ، فمن ذلك قضاء الحاجات ، وكشف الكرب المعضلات ، ونزول الرحمات[١] ومن ذلك أيضاً ما جرِّب من تأثيرها في تنوير القلوب حتى قيل أنّها تكفي عن الشيخ[٢] في الطريق ، وتقوم مقامه ، كما حكاه سيدي أحمد زروق والشيخ السنوسي في « شرح صغرى الصغرى » ، وأشار له الشيخ أبو العباس أحمد بن موسى اليمني ، لكن قال الشيخ الملوي المراد أنها تكفي عنه[٣] وتقوم مقامه في مجرد التنوير ، أما الوصول لدرجة الولاية ! فلا بدّ فيه من شيخ . كما هو معلوم عند أهله ، واختصت من بين الأذكار بأنها تذهب حرارة الطِباع بخلاف غيرها فإنّه يُثيرها . انتهى ١٤ وراجع « مطالع المسرات » و« الفتاوى الجوخي » .

وفي « تقريب الأصول لتسهيل الوصول » ففيه نظير ما مر فراجعه

---

(١) ومثله بل عينه في « البجيرمي » في ٢٨ من الجزء الأول ، فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .
(٢) ومثله في « أفضل الصلوات » في ٣٤ راجعه (منه رحمه الله تعالى) .
(٣) ومثله في « البجيرمي على شرح الإقناع » في ٢٨ من الجزء الأول (منه رحمه الله تعالى) .

في ٥٦ وفي ٨٤ وفيه : أنها تمنع[١] العطش مطلقاً ، وكذا في وقت الحمى ، بشرط أن لا يكون[٢] في تلك الصيغة التي يصلِّي بها ذكر الله تعالى لأنّه حار ، ومثل ذلك بأن يقول : **الصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام** . انتهى .

وفيه في ١٠ أنّه يعدم المربّيون في آخر الزمان ويصير[٣] ما يوصل إلى الله تعالى إلاّ الصلاة على النَبي ﷺ مناماً ويقظة ، وإنّ جميع الأعمالِ منها المقبول ومنها المردودُ ، إلاّ الصلاة على النَبي ﷺ ! فإنّها مقطوع بقبولها إكراماً له ﷺ وحكي اتفاق العلماء على ذلك[٤] انتهى .

---

(١) مهم أيها الكاتب
وليحذر من فعل الكسالى وعوام الطلبة فيكتبون صورة صلعم بدلاً عن ﷺ وكفى شرفاً قوله ﷺ : « من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب » انتهى « أفضل الصلوات » ٤٠ .

(٢) ومثله فِي « أفضل الصلوات » فراجعه في ٥٠ (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) يعني يذهب وينقطع ما يوصل إلى الله إلا الصلاة . انتهى (منه) .

(٤) وفي « أفضل الصلوات » في ٣٤ أنه قطع الإمام الشاطبي والسنوسي بحصول ثواب الصلاة على النبيّ عليه السلام للمصلّي ولو قصد الرياء . فراجعه . ولكن العلامة أحمد بن المبارك قد حقق في « الإبريز » هذا البحث تحقيقاً شافياً في أواخر الباب الحادي عشر منه ، وقال في آخر ذلك : إذا فهمت هذا ونحوه علمت أنه لا دليل على القطع بقبول الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلّم . نعم ، هي أرجى في القبول من غيرها والله تعالى أعلم . اهى فراجعه . وحقق العلامة الأمير في حاشيته على عبد السلام نقلاً عن بعض المحققين : أن لها جهتين فمن جهة القدر الواصل له صلى الله عليه وسلم فهذا لا شكّ في وصوله ، ومن جهة القدر الواصل للمصلّي فكيفيّة الأعمال لا ثواب فيه إلا بالإخلاص ، وهذا هو الحق لعموم طلب الإخلاص في كلّ عبادة وضمّ ضدّه في الكل أيضاً اهى . كذا في « أفضل الصلوات » فراجعه في ٣٤ . وفي « جواهر المعاني » : والذي نقول به بأنها مقبولة قطعاً ، والحجة لنا في ذلك : أن الله تعالى يقول للنبيّ صلى الله عليه وسلم « من صلى عليك صليتُ عليه ومن سلم عليك سلمت عليه » وهذا الوعد صادق لا يخلف ، وهو لا من حيثية العبد بل من حيثية شدّة العناية منه سبحانه وتعالى بنبيّه ﷺ ، وقيامه عنه سبحانه وتعالى بالمكافأة لمن صلى عليه ﷺ ، لا يترك صلاة العبد تذهب دون شيء وهو معنى قبول الصلاة من العبد اهـ . فراجعه من ٢٠٠ من الجزء الأول (منه قدس سره) .

وأمّا اختيارهم منها صيغة مخصوصة وهي : اللهمّ صلّ على سيّدنا محمد وعلى آله ، فلأنّها صيغَةٌ أَمَرَ بها الخضرُ عليه السلام الشيخَ مولانا محمود أفندي قدس سرّه حين وقعت الملاقات[1] بينهما كما هو مَذْكُورٌ في بعض مكاتيبه قدّس سره .

ولكن كان شيخنا الحاج عبد الرحمن العسوي قدّس سره يَأْمُرُنَا بإتيانِ الصيغة المشهورة في رأس كلّ مائة أوّلاً وآخراً وهي : أللهمّ صلِّ على سيّدنا محمّد وعلى آل سيّدنا محمّد وَسَلم ، وكان أيضاً يأمرنا بضرب لفظة الجلالة من اللهم . . الخ ومن أستغفر الله على القلب ضَرْباً عنيفاً في كلّ مرّة . انتهى . وبذلك الضرب يتأثّر القلب ، **فإنّ القلب أشدّ قسْوَةً من الحجر ، فكما لا يتأثّر الحَجَرُ إلاّ بالضرب الشديد فكذلك لا يتأثّر القلب إلاّ بشدّة ضرب لفظة الجلالة عليه ،** لكن لايكون ذلك الضرب بحركة[2] الرأس ، بل بمجرد النظر والخيال ، وملاحظة الوقوف في حالتي الاستغفار والصلاة ، **فالأذكار والعبادات كلّها لو خلت عن الحضور والوقوف فهي كصورة بلا روح ؛**

وقد قال الشرنوبي في « شرح تائية السلوك » :فرُبّ ذاكر لله لحظة بقَلْبٍ حاضر خَيْرٌ ممّنْ ذكره ألف سنة بلا حضور قلب . انتهى ١٤ .

وفضائل الصلاة على النبي عليه السلام كثيرة جدّاً ، وأنا أذكُرُ هنا شيئاً منها لكي تنبعث على إكثارها رغبة الطالب ،

منها : ما ذكره الشيخ الجزولي في « دلائل الخيرات » برواية عبد الرحمن بن عوف[3] قال : قال رسول الله ﷺ : « جاءني جبريل عليه

---

(١) أي وقد مشت عادة خلفائه بعده على ذلك لكي يحصل لهم الانتساب بواسطتها إلى الخضر عليه السلام ، فتدبر ، (منه رحمه الله) .

(٢) وتلك لا تجوز عند النقشبندية قدس الله أسرارهم ، راجع وحرر (منه) .

(٣) ومن أراد أن يدرك فضائل الصلاة على النبي عليه السلام ومنافعها جملة وتفصيلاً=

السلام فقال : يا محمد لا يصلي عليك أحد إلا صلَّى عليه سبعون ألف ملك ، ومن صلت عليه الملائكة كان من أهل الجنة » .

وقال ﷺ : « أكثركم عليّ صلاة أكثركم أزواجاً في الجنّة » .

وروي عنه ﷺ أنه قال : « مَنْ صلّى عليّ مرة واحدة صلى الله عليه عشر مرّات ، ومَنْ صلى عليّ عشر مرات صلى الله عليه مائة مرّة ، ومَنْ صلى عليّ مائة مرة صلى الله عليه ألف مرّة ، ومَنْ صلى عليّ ألف مرّة حرّم الله جسده على النار ، وثبّته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة عند المسألة ، وأدخله الجنة ، وجاءت صلواته عليّ نوراً له يوم القيامة على الصراط مسيرة خمسمائة عام ، وأعطاه الله بكلّ صلاة صلّاها قصراً في الجنة ، قلّ ذلك أو كثر » .

وقال النَبيّ ﷺ : « ما من عبد صلى عليّ إلاّ خرجت الصلاة مسرعة من فيه ، فلا يبقى بر ولا بحر ولا شرق ولا غرب إلا وتمرّ به وتقول : أنا صلاة فلان بن فلان صلى على محمد المختار خير خلق الله ، فلا يبقى شيء إلاّ وصلىّ عليه ؛ ويخلق من تلك الصلاة طائرٌ له سبعون ألف جناح ؛ في كلّ جناح سبعون ألف ريشة ؛ في كلّ ريشة سبعون ألف وجه ؛ في كل وجه سبعون ألف فم ؛ في كل فم سبعون ألف لسان ؛ كلّ لسان يسبح الله تعالى بسبعين ألف لغة ، ويكتب الله له ثواب ذلك كلّه » . انتهى ، ملخصاً .

ومن فوائد الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام أنها تأخذ بيد من يعثر على الصراط ، وتعدل عشرين غزوة في سبيل الله ، وتقوم مقام الصدقة لمن لم يكن عنده صدقة ، وإنّ المكثر منها لا يسأله الله يوم القيمة

=فليراجع إلى « أدل الخيرات » للشيخ الحافظ إسماعيل أفندي المداري القادري السهروردي الكبروي الچشتي النقشبندي قدس سره (منه رحمه الله تعالى) .

فيما افترض عليه ، وَمَنْ صلى عليه في كل يوم خمسين مرة صافحه النَبيّ ﷺ يوم القيامة ، وإنها سبب للنصر على الأعداء ، ولمنع الغيبة من الناس ، وهي موجبة لمحبّة الناس للمصلي ، وينمى المال بسببها ، ويلقى العبد بسببها وجوه الخير . كذا في « تقريب الأصول » ٨٤ .

وقال صاحب « العقد الثمين » : وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حجّ حجة الإسلام وغزا بعدها غزاة كتب غزاته بأربعمائة حجة ، قال : فانكسر قلوب قوم لا يقدرون على الجهاد ولا الحج ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه ما صلّى عليك أحد إلاّ كتبت صلاته بأربعمائة غزوة ، كل غزوة بأربعمائة حجة » . أخرجه أبو حفص الميافشي في « المجالس المكية » . انتهى ٣٠ فراجعه .

وفي « كشف الغمة » في ٢٧٨ من المجلد الأول وكان ﷺ يقول : « مَنْ صلى عليّ تعظيماً لحقي جعل الله عزّ وجلّ من تلك الكلمة ملكاً له جناح في المشرق ، وجناح بالمغرب ، ورجلاه في تخوم الأرض ، وعنقه ملتو تحت العرش ، يقول الله عزّ وجلّ له : صلّ على عبدي كما صلى على نبيّي ، فهو يصلي عليه إلى يوم القيامة » وفي رواية « فما من عبد يُصَلّي عَليّ حُبّاً لي إلاّ انغمس ذلك الملك في المآء ، ثم ينتفض ، فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقطر منه ملكاً يستغفر لذلك المصلّي عليّ إلى يوم القيامة » . انتهى .

وفيه أيضاً في ٢٧٩ : وكان ﷺ يقول : « مَنْ صلّى عليّ كل يوم ثلاث مرّات ، وكل ليلة ثلاث مرات كان حقاً على الله أن يغفر له ذنوبه تلك الليلة وذلك اليوم » . انتهى .

وفيه : كان ﷺ يقول : الصلاة عليّ أمحق للخطايا من المآء للنار ، والسلام عليّ أفضل من عتق الرقاب ، وحُبّي أفضل من مهج الأنفس ـ أو قال : من ضرب السيف في سبيل الله عزّ وجلّ ـ وَمَنْ صلّى عليّ واحدة حبّا لي وشوقاً إليّ أمَرَ الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنباً ثلاثة

أيام ». انتهى ٢٧٩ ج ١ .

وفي « مناهج السعادات » في ٤ وورد : « أكثروا من الصلاة عليّ في يوم الجمعة ، وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كُنْتُ له شهيداً وشافعاً يوم القيامة » .

قال أبو طالب المكي : وأقلّ الكثرة ثلاثمائة مرة ومثله في « البجيرمي على الإقناع » فراجعه في ١٧٦ ج ٢ .

وفي « السراج المنير شرح الجامع الصغير » نظير ما مر فراجعه في ١٧١ من الجزء الأول .

وروي عنه ﷺ أنه قال : « مَنْ صلى عليّ يوم الجمعة مائة مرّة غفرت له خطيئة ثمانين سنة » . « دلائل الخيرات » والمراد غفران الصغائر . انتهى . « مناهج » ٥ .

وذكر الخطيب الشربيني هذا الحديث بعينه في « الإقناع » برواية أبي هريرة فراجعه في ١٧٦ من « هامش تحفة الحبيب » للبجيرمي ج ٢ .

وقال قبيل هذا : ويكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في يومها ـ يعني يوم الجمعة ـ وليلتها لخبر : « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه ، فإنّ صلاتكم معروضة علي » انتهى .

وقال البجيرمي رحمه الله تعالى قوله : « فإن صلاتكم معروضة عليّ » ظاهره أنها تعرض عليه كل وقت ، الجمعة وغيرها ، وفيه ردّ على ما اشتهر من أنها تعرض عليه في غير الجمعة وليلتها ، أما في الجمعة وليلتها فيسمعها ـ أي : الصلاة عليه ـ بنفسه » انتهى . **قلت** : وكونها تعرض عليه لا يمنع السماع ، أي : فيسمعها وتعرض عليه ؛ فقد قال بعض

الأولياء : إنه صلى الله عليه وسلم يحضر مجالس الذكر ، وإنّ بعضهم اجتمع به فهو صلى الله عليه وسلم روح جسد الكونين انتهى . ج١ .

وقال السملاوي في « شرح الفضائل » وقد يسمع صلى الله عليه وسلم صلاة من يصلي عليه منّا يوم الجمعة بأذنيه ، وإن كان في أقصى الأرض ، وفي غير الجمعة يسمع صلاة من أخلص في محبته ، وتبلّغه الملائكة صلاة غيره . والذي ذكره غيره نقلاً عن ابن حجر على الهمزية أنه إنما يسمع صلاة القريب منه قرباً عادياً ؛ بأن كان في الحجرة الشريفة ؛ بحيث لو كان حياً لسمع ذلك ، وأمّا غيره فيبلّغه الملك مطلقاً ، أي سواء كان في يوم الجمعة أم لا ، أخلص في محبته أم لا . انتهى ١٧٦ ج ٢ فراجعه .

قال السخاوي : ويروى في بعض الأخبار أنه كان في بني إسرائيل عبد أسرف على نفسه ، فلما مات رموا به ، فأوحى الله إلى نبيّه موسى عليه السلام أن غسّله وصلّ عليه فإنّي قد غفرت له . قال : يا ربّي وبماذا ؟ قال : إنه فتح التوراة يوماً فوجد فيها اسم محمد صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ، فقد غفرت له بذلك . كذا ذكره صاحب « أفضل الصلوات » فراجعه في ٢٧ وفي « عقد الثمين » في ٣٠ .

حكى بعضهم أنّ رجلاً شوهد يكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مواقف الحج والمطاف ، فقيل له : لما لاتستعمل المأثور الأفضل ؟ قال : آليت على نفسي أن لا أترك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على أي حالة كنت . قال وسبب ذلك أنه كشف وجه والده عند الموت فرأى وجهه وجه حمار فحزن عليه ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم ، فتعلق به مستشفعاً لوالده ، سائلاً عن سبب حصول حالته المذكورة ، فقال له : إنه كان يأكل الربا ، وأن من أكله يقع له ذلك دنياً وأخرى ، لكنّ والدك كان يصلي عليّ كل ليلة عند نومه مائة مرة

فشفعت فيه ، فاستيقظ فرأى وجه والده كالبدر ، ثم لمّا كفنه سمع قائلاً يقول : سبب العناية بوالدك الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذكره الجريري في « كنز الادخار » . انتهى ، فراجعه . ومثله في « رماح حزب الرحيم » ، فراجعه أيضاً .

فهذه المذكورات قَطَرَاتٌ مِنْ بِحَارِ ما وَرَد في فضائل الصلاة على النبيّ ﷺ ، فعلى العاقل أن يحوز من غنائم هذه الدولة جواهرها ، ولا يُعَطِّلَ أوقاته عن السعي في جمْع فرائدها وقد قال ابن عطاء في « تاج العروس » في ٩ ما خلاصته : مَنْ فاته كثرة الصيام والقيام فَلْيُشْغِلْ نَفْسَهُ بالصلاة على رسول الله ﷺ فإنك لو فعلت في جميع عمرك كلّ طاعة ثم صلى الله عليك صلاةً واحدة رجحت تلك الصلاة الواحدة على كلّ ما عملته في عمرك كله من جميع الطاعات[1] لأنّك تصليّ على قدر وُسْعِكَ ، وهو يصلي على حسب ربوبيته ، هذا إذا كانت صَلاة واحدة ! فكيف إذا صلّى عليك عَشْراً بكلّ صلاة ؟ ! كما جاء في الحديث الصحيح[2] .

---

(١) ونظيره في « أفضل الصلوات » فراجعه في ٢٢ .
ورأيت في « جواهر المعاني » ما حاصله : أن من توجه بالصلاة على النبي ﷺ اعتناه الله به ، ولو أتاه بذنوب أهل الأرض كلها من أول وجود العالم إلى آخره أضعافاً مضاعفة لأدخلها كلها في بحر عفوه وفضله ، وواجهه في بلوغ أمله في الدار الآخرة بتبليغه له في أعلى مراتب رضاه عنه . انتهى . فراجعه في صحيفة ١٣٢ ج ١ ففيه البسط ولله الحمد (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) وقد قال الرملي رحمه الله تعالى : إن الاشتغال بالصلاة على النبي ﷺ أفضل مطلقاً يعني سواء كان لمن غلبت طاعاته أم معاصيه ـ فراجع فتاواه في ٣١٨ ج ٤ من هامش « الفتاوى » لابن حجر (منه رحم الله إفلاسه ، آمين) .
وفي « الجواهر المعان » ما حاصله إن الصلاة على النبيّ عليه السلام أنفع للعاصي من القراءة القرآن فراجعه في ٢٥٣ ج ٢ (منه رحمه الله تعالى) .
وقال القاضي أبو عبيد الله السكاكي : اعلم أن الصلاة من الله رحمة ، ومن رحمه الله رحمة واحدة فهو خير له من الدنيا وما فيها ، فما الظنّ بعشر رحمات كم يدفع بها من البلايا والمحن ويستجلب ببركاتها ، من « لطائف المنن » . « مطالع المسرات » ١٨ . فالمرء مع من أحبّ=

فائدة مهمّة : قال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » : أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن لا نسأل الله تعالى شيئاً إلا بعد أن نحمد الله تعالى . ونصلي على النَبي ﷺ ، وذلك كالهدية بين يدي الحاجة .

وقد قالت عائشة رضي الله عنها : مفتاح قضاء الحاجة الهديّة بين يديها ، فإذا حمد الله تعالى رضي عنا ، وإذا صلينا على النَبي ﷺ شفع لنا عند الله في قضاء تلك الحاجة ؛ وقد قال تعالى ﴿**وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ**﴾ وتأمّل بيوت الحكام تجدها لا بدّ فيها من الواسطة الذي له قُرْب عند الحكام وإدلال عليه ليمشي لك في قضاء حاجتك ، ولو أنّك طلبت الوصول إليه بلا واسطة لم تصل إلى ذلك ، **وإيضاح ذلك:** أنّ مَنْ كان قريباً من الملك فهو أعرف بالألفاظ التي يخاطب بها الملك ، وأعرف بوقت قضآء الحوائج ، ففي سؤالنا للوسائط سلوك للأدب معهم ، وسرعة لقضاء حوائجنا . ومن أين لأمثالنا أن يعرف أدب خطاب الله عزّ وجلّ ؟ !

مهم

وقد سمعت سيّدي علياً الخواص رحمه الله يقول : **إذا سألتم الله حاجة فاسألوه بمحمد** ﷺ ، **وقولوا اللهم إنّا نسألك بحق محمد أن تفعل لنا كذا وكذا،** فإنّ لله ملكاً يبلغ ذلك لرسول الله ﷺ ويقول له : إنّ فلاناً سأل الله تعالى بحقك في حاجة كذا وكذا ، فيسأل النَبيّ ﷺ ربّه في قضاء تلك الحاجة ، فيجاب لأنّ دعاءه ﷺ لا يُرَدُّ قال : **وكذلك القول في سؤالكم الله تعالى بأوليائه** ، فإنّ الملك يبلغهم فيشفعون له في قضاء تلك الحاجة ، والله عليم حكيم انتهى من ١١ من هامش « المنن » من الجزء الثاني .

=والحب يوجب الاتباع للمحبوب والاتباع يؤذن بالوصال . منه ١٩ .

وفيه في ١٣ واعلم يا أخي أنّ طريق الوصول إلى حضرة الله من طريق الصلاة على النَبي ﷺ من أقرب الطرق ، فمَنْ لم يخدمه ﷺ الخدمة الخاصة وطلب دخول حضرة الله فقد رام المحال ، ولا يُمَكِّنُهُ حجاب الحضرة أن يدخل ، وذلك لجهله بالأدب مع الله تعالى ، فحكمه حكم الفلاح إذا طلب الاجتماع بالسلطان بغير واسطة ، فافهم ! فعليك يا أخي بالإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ ، ولو كنت سالماً من الخطايا ، فإن غلام السلطان أو عبده إذا سكر لا يتعرض له الوالي أبداً ، بخلاف مَنْ لم يكن غلاماً له ويرى نفسه على خدّام السلطان وعبيده وغيرهم ولا يدخل من دائرة الوسائط ، فإنّ جماعة الوالي يَضْرِبُونَهُ ويعاقبونه ، فانظر حماية الوسائط ، وما رأينا قط أحداً تعرض لغلام الوالي إذا سكر أبداً إكراماً للوالي ، فكذلك خدّام النَبي ﷺ لا يتعرض لهم الزبانية يوم القيامة إكراماً لرسول الله ﷺ ، فقد نفعت الحماية مع التقصير ما لا تنفعه كثرة الأعمال الصالحة مع عدم الاستناد إلى رسول الله[1] ﷺ الاستناد الخاص ، وقد كان في زمن شيخنا الشيخ نور الدين الشوني مَنْ هو أكثر منه علماً وعملاً ولكنّه لم يكن يكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ كما كان يكثر الشيخ ، فلم يكن ينهض له علمه وعمله إلى التقريب الذي كان فيه الشيخ نور الدين ، فكانت حوائجه مقضية ، وطريقه ماشية ، وسائر العلماء والمجاذيب تحبه ، ووالله ليس مقصود كل صادق من جمع الناس على ذكر الله ، إلاّ المحبة في الله ! ولا جمعهم على الصلاة على رسول الله ﷺ إلاّ المحبة فيه ! فافهم . انتهى .

وقال الشيخ سليمان البجيرمي في « تحفة الحبيب على شرح

---

(١) ورأيت في « جواهر المعاني » ما حاصله : إن الله سبحانه وتعالى ضمن لتاليها أي لتالي الصلاة على النبي ﷺ أن يصلي عليه ، ومن صلى الله عليه مرة لا يعذبه ، ولا وسيلة عند الله أعظم نفعاً وأرجى في استجلاب رضى الرب عن العبد في حق العامة أكثر من الصلاة على النبي ﷺ . انتهى . فراجعه من صحيفة ٢٥٥ ج ١ . (منه رحمه الله تعالى) .

الخطيب » الشربيني المسمى بـ« الإقناع » : وفي « حواشي التلخيص » : حكمة الصلاة على النبي ﷺ في مبادئ الكتب والحاجات : أن الفاعل ينبغي له أن يستعين في جميع أموره بجانب الحق سبحانه وتعالى ، ويسأله إفاضة طلبته ، وإنجاح بغيته ، ولكن لا بد من نوع ملاءمة وقرب بين الطالب والمطلوب منه ، وهذه الملاءمة منتفية في حقنا لكوننا مدنسين بأدناس اللذات الحسية والشهوات الجسمية ، وذات المولى عز وجل في غاية التقدس والتطهر ، فاحتجنا إلى واسطة بيننا وبينه متجردة عن تلك الأدناس ؛ وتلك الواسطة هو المصطفى ﷺ ، لكن لا بد لتلك الواسطة من هدية إليه ، وهديته ﷺ اللائقة به طلبنا الصلاة عليه . انتهى ٢٨ ج ١ فراجعه .

فائدة أخرى : قال الخادمي في « شرحه على النصائح الولدية » ما خلاصته : إنّ الاكتفآء بالصلاة على النبي عليه السلام حرام عند البعض ، ومكروه عند النووي ، وهو الظاهر من ظاهر القرآن يعني صلوا عليه وسلّموا تسليماً ، وإن كان المختار[(١)] ترك الأولى على مافي « جامع الرموز » مع ردّ النووي ولأنّ الاحتياط مع الاتفاق . انتهى .

وفي « بغية المسترشدين » في ٣ : ومحل كراهة إفراد الصلاة عن السلام وعكسه عليه ﷺ في غير ما ورد به فيه الإفراد . الخ راجعه .

وفي « الفتاوى الحديثية » لابن حجر بسط زائد في حق هذا الأمر ، فراجعه في ١١٧ .

وفي « حاشية خضري على متن الألفية » من الديباج : ولم يذكر السلام جرياً على عدم كراهة الإفراد [(٢)] ، بل إذا صلى في مجلس وَسَلّم

---

(١) وراجع « حاشية الباجوري » على « السلم » في ١٤ (منه) .

(٢) كالصلاة الإبراهيمية فلا يقال إن إفراد الصلاة فيها مكروه ، كذا في « حاشية العلامة=

في آخر ـ ولو بعد مدّة ـ كان آتياً بالمطلوب[1] من آية[2] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾ الآية . كما اختاره الخافظ ابن حجر ، انتهى . فلأجل هذه[3] المذكورات كان شيخنا ومولانا ـ روّح الله روحه ونوّر ضريحه ـ يأمر المريدين بإتيان (وسلم) في أول وآخر كل مائة حين يصلون بالصلاة الخضريّة المذكورة آنفاً .

وسمعتُهُ رضي الله عنه يَقُولُ : إنّ شيخَهُ الحاج جَبْرَائيل قدّس سره قال له بعد تلقين الذكر : إنّي غَرَسْتُ في قلبك شجرة لفظة الله ، فأنبتها بالصلاة والاستغفار . انتهى . يعني أن الصلاة على النَبي والاستغفار للذكر الملقّن بمثابة المآء لإنبات الشجرة المغروسة . والله أعلم .

فائدة أخرى : كان شيخنا ـ وسّع الله لحده ـ يقول في أثناء تلقين التوبة للمريد : زوّجْتُ امرأتي إياي ثلاثاً ، ويقول بعده : إن كانت الشبهة واقعة في نكاح زوجتي زوّجتها لنفسي بحسب الوكالة ، وقبلتها بحسب الأصل . الخ . فسألني عن ذلك بعض الإخوان هل لذلك نقل أم لا ؟ فأقول ـ والله أعلم ـ : قال الشعراني في « كشف الغمة عن جميع الأمة » في فصل في توكيل الزوجين واحداً في العقد في ٦٤ : من ج ٢ .

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يوماً لأمّ حكيم : أتجعلين أمْركِ إليّ . قالت : نَعَمْ . قال : فقد تزوجتُكِ .

=البجيرمي على الخطيب » ونقله يوسف بن إسماعيل في « أفضل الصلوات » فراجعه في ١٣ . (منه رحمه الله تعالى) .

(١) وراجع مخلوف « حاشية شرح الجوهر المكنون » في ١٣ وصبيان على الأشموني (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) والآية لا تدل على طلب قرنهما ، لأن الواو لا تقتضي ذلك ؛ راجع صبان (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) أي لأجل الخروج عن الخلاف ولو ، الخ (منه رحمه الله تعالى) .

مهم

قال العلماء : وهذا يَدلّ على أنّ مذهب عبد الرحمن بن عوف أنّ مَنْ وكِّل في تزويج أو بيع فله أن يبيع ويزوج من نفسه ، وأن يتولّى ذلك بلفظٍ وَاحِدٍ ، وبه أخذ بعض الأئمّة . انتهى .

فلعلَّه نوّر الله قبره كان يجدّد نكاح زوجة المريد بتلك الكيفيّة المذكورة تقليداً بهذا المذهب ؛ جزاه الله عنّا خير الجزاء فلم نجده يفعل شيئاً ما منذ صاحبناه إلا مطابقاً بالنقل ، فها هنا أمسكنا عنان القلم عن التحرّك عن كتبة ما يحتاج إليه المريدون من الآداب وقد كنّا على قصد إيراد آداب الصحبة والزيارة ، وآداب الذكر في الخارج[١] ، ليكون الكتاب تام النفع لكلّ طالب وسالك في جميع أمر السُلُوكِ في كلّ آنٍ وحين ؛ لكن بعد ما وصل الخبر بموت[٢] الشيخ شمس المعارف وبدر الإرشاد سيّدنا ومولانا العسوي ـ أسكنه الله تعالى على أسرَّة الفردوْس الأعلى ـ قد فاضت بالبكاء عليه من العيون عيونٌ ، وشقَّت لمشقّة فراقه من القلوب جيوبٌ ، وحل بالمسلمين لانتقاله بلاء عظيم ، واضطربوا اضطراباً عديداً ، وزلزلوا زلزالاً شديداً ، إذ علموا أنّ موت العالم ثلمة في الدين ، فما بالك بموت إمام المرشدين ، وعلامة المسلمين ؟ ! فقد كان إرشاده للطالبين مشهوراً عند العوام والخواص ، وانتشرت صيت تربيته في الأطراف ، وكان من أخصّ الخواص ، ولأجل ذلك فترت الهمَّة وخمدت نار البسط ، وقد طرأ على الباطن القبض المشدّد ، ولذا أعرضنا عن كتابتها ، فعلى السالك الحقيقي أن يقف على « الرسالة الخالديّة » و« البهجة السنية » ففيهما الكفاية في حقّ تلك المهمّة ، ولقد كان الواجب عليّ أن لا أتصدّر لمباشرة أمر التأليف ، فإنه أعظم

---

(١) أي خارج الذكر (منه) .

(٢) مات في جدة في ١٣٢٤ رحمه الله تعالى (منه) .

وأعلى من أن أكون له أهلاً ، وليس في انتسابى إلى سلك السادات النقشبندية والتكلّم في حقّهم مناسبة مّا قطّ ، إلاّ رجائي وحسن ظنّي بربي جل وعلا أن لا يخيب آمال من تعلّق بأذيال أوليائه ! مع الاعتراف بتقصيراته ، فإنّه تعالى قد أكرم كلباً خطى خطوات خلف من وحّده ، فالحاصل إنّ شرح أحوالي مضمون هذه الأبيات :

لستُ أهْلاً لِوُصْلهم فظلامي ... حائل أن يحلّ منهم ضياء

هجَرُوني ولست أنكر أني ... لم أزَلْ مُذْنِباً وكلّي خطاء

غير أنّي التجأت قدماً إليهم ... وعزيز على الكرام التجاء

ورجوت النوال منهم وظنّي ... بل يقيني أن لا يخيب الرجاء

إن أكن مُذْنباً فهم أهل عَفْوٍ ... وعلى الكون إن رضوني العفآء[1]

أوْ أكُنْ أكدَرَ المحبّين قلباً ... فلمثلي منهم يكون الصفاء

أو يكن في الفؤادِ دَاءٌ قديم ... فلديهم لكل دَآءٍ دَوآءٌ

أو أكُنْ فاقداً فِعَال محبٍّ ... فلقَلبي على الوِدَادِ احتِوَآء

أوْ يَرَوْنِي أفْلَسْتُ من عمل البـ ... ـرِّ فمنهم نَالَ الغِنَا الأغنيآء

أو أكن مُثْرِياً ولست بهذا ... فَمَعَ الهجر ما يُفِيدُ السرآء

أو أكُنْ نازح الديار فمنهم ... لحظات تدنو بها البعدآء

وأحببت الآن أن أنهي الكلام على هذا المقام بقطعة قصيدة نبويّة تكون له مسك الختام ، وسلسلة نقشبندية يتبرّك بذكرها أخيارٌ من الأنام ، فإنّها أنفع ما يوصل المعتقد إلى المرام[2] :

---

(١) عفى عن شئ ، يعف من باب ضرب ، عفة بالكسر وعفافاً امتنع عنه الخ ، ويتعدى بالآلف فيقال أعفه الله إعفافاً وجمع العفيف أعفة وأعفآء . « المصباح المنير » .

(٢) **فائدة** : نقل الشيخ المحقق محمد اليراغي قدس سره في آثاره عن « إقناع الشربيني » بأنه=

يا أجلّ الرسل إنّي قـــد دهــا نِي دَهَآء الـــدهر بالخطب الخطير

وعــرَانِي ما عراني من عنــا ءٍ عسير زاد عـن صبري اليسير

وأنــا عــبد ضعيف مــذنب مستجـير بِحِمَـاك المســتنيــر

وحـماك الـملجأ المقصُود في كــلّ حــالٍ مــن صغير وكبير

فأغِثْنــي يا غـياث الأنـبياء لـيس لـي غيـرك والله نصير

وأعــذنــي من بلاء مخـطر خــاطــرى مــن خوفه غير قرير

واستجبْ لي وقني ما أشتكي وأجـــرْني مــنه يــا خيْرَ مجير

يا نَبِيَّ الرحمة العظمى الّتي وســعت كــلّ غـــنيٍّ وفقير

لا تـــخيّبْني فــإنّــي ســائِلٌ واقـــفٌ بالبَاب مُضْطَرّ حقير

يا أبا الزَهْراء كُنْ لـــي مُنْقِذاً يوم لا يــغني كبيرٌ عن صغيرٍ

يَوْم لا ينفـــعُ مــالٌ مُسْلِكاً فــيه أو يَـرْفع وِزْراً عن وزير

=قال : ويسنّ لكل أحد ممن يستسقي أن يستشفع بما فعله من خير بأن يذكره في نفسه فيجعله شافعاً ، لأن ذلك لائق بالشدائد ، كما في خبر الثلاثة الذين آووْا في الغار ، وأن يستشفع بأهل الصلاح لأن دعائهم أقرب للإجابة ، لاسيما أقارب النبي ﷺ كما استشفع عمر بالعباس رضي الله تعالى عنهم ، فقال : اللهم إنا كنا إذا قحطنا نتوسّل إليك بنبيّنا فسُقِينا وإنا نتوسل إليك بعمّ نبيّنا فاسْقِنا ، فيسقون ، رواه البخاري . وفي « البهجة » قبل البيت المذكور : ويذكر الإنسان سراً عمله من الجميل ، وشفيعاً ما جعله . انتهى . وقال الشيخ العارف الإمام الفقيه المحدّث عبد الله اليافعي في « نشر المحاسن » : قد جرت العادة أن من له حاجة قد يتوسل بوجيه وفوقه من هو أوجه منه ، ثم يتوسل ذلك الوجيه بالأوجه إلى من يراد منه قضاء ، كما يتوسل إنسان من الرعية بالأمير ، والأمير يتوسل بالوزير والوزير يشفع عند السلطان في قضاء حاجة ذلك الإنسان . فكذلك نحن نتوسل إلى الله الكريم بنبيّنا عليه أفضل الصلاة والتسليم . وقد يتوسل بالأولياء في نادر من الأوقات في قضاء بعض الحاجات ، والأولياء يتوسلون بالنبيّ الكريم ﷺ فيشفع عند الله عز وجل ، فيسمع الله سبحانه شفاعته بفضله ويقبل . انتهى ، فراجع « آثار اليراغي » في ١١ . والله ولي التوفيق ولا حول ولا قوة إلا به . (منه رحمه تعالى ، خطه) .

مَنْ لهــذا المذنب العاصي إذا لــم يـجره أحمد الهادي البَشِير

جارت البَلْوَى على جسمي وهل غــير مغني فضــله المغني يجير

حاش خير الخلق أن يمــنعَني رشـــفة مـن برِّه البَـحْر النمير

وهـــو ذُخر العالمين المرتجـى عاصم العاصي من الهول المبير

وهـــو كاف لــلبرايا كـافــل للعَـــطايا ظـاهر المجد ظـهير

ذو يــمين وهبت كـــلّ يَسَا رٍ لـمن في قبضة العُسْرُ أسير

وهذه سِلْسِلَةُ مشائخنا الكرام الّذين كرّمنا الله تعالى بفضله العميم بحُصُول الانتساب إليهم ولو كان صُورِيّاً ، والتشبّهِ بهم ولو لم يكن حَقِيقيّاً ؛ جَعَلنا الله تعالى من المتعلّقين بأزيالهم والمتبرّكين بذكر أسمائهم ، وعلى هذه القصيدة الأدُرَتِيَّة تَرْتيبُهُمْ :

محمّدٌ أبُو بَكْرٍ فَسَلْمانٌ فقاسِـمُ فجَعْفَرٌ فَطَيْفُورٌ أبُوا الحسنْ قائِمُ

أبُو عَلِيٍّ فيُوسفُ فعَبْدُ الخَالِقِ الغُجْدُ فعارفٌ فمَحْمُودٌ عَلِي بابَاَ مُحَمَّدُ

كُلالِيٌّ فَنَقْشُبَنْدْ علاءُ الدين يَعْقُوبُ عُبَيْدُ الله أحْرارْ محمّدْ وهْوَ يَعْسُوبُ

محمّدٌ فخواجَكي فباقي فالمُجَدِّدُ فعُرْوَةٌ فسَيْفُ الدينِ سَيِّدْ نُورْ مُحَمَّدُ

حَبِيبُ اللهِ عَبْدُ اللهِ خالِدْ شاهْ وَلِيُّ اللهْ وبعده فالمرشد المكمّل ذبيح الله

فالصالح الشرواني وليّ الله الكامل إبراهيم القدقاشني الواصل المواصل

فَيُونُسْ يمشي على المياه كالطير بالله فقطبُ الأوْلِياء مَحْمُودْ أفَنْدي بَحْرُ فَيْضِ اللهْ

ثم جَبْرائيلْ أفندي وشَيْخِي ذُو الجَناحَيْنِ[1] وكلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ جَناحٌ لِلنَّجاحين

---

(١) هو لقب سيدنا الحاج عبد الرحمن العسلي نوّر الله مرقده الذي لقب به شيخه الحاج جبرائيل أفندي قدس سره وقد يلقبون بذلك على من حصل له السير في الاسم الظاهر والاسم الباطن وارتقى إلى الولاية العليا التي هي ولاية الملأ الأعلى ، راجع بتصرة المرشدين (منه رحم الله إفلاسه) .

تَوَسُّلِي بسَيِّدِي محمّدٍ رَسولِ اللهْ   وغيْرِه من الأشياخِ هؤلاءِ أهْلِ الله

أَسَاتِيذِي أَمِدُّوني ، وأشْياخي أَغِيثُونِي   وسَادَاتي أفيضُوني ، أَدِلاَّئِي أَعِينُونِي

بهم يا ربّ أَلْحِقْنِي ، ومنهم ربِّ فاجْعَلْني   لِما وَفَّقْتَهُمْ رَبِّي بفَضْلٍ منك وَفِّقْنِي

بسَيْلِ الفَيْضِ يا ربّ عن الأقذار فَاغْسِلْنِي   عن الآثام والأوزارِ يا وهّاب طَهِّرْنِي

بِحَقِهِم حِجَابُ الظُّلمَة رَبِّي أزِلْ عَنِّي   بُحُورَ الفيض والأنوار يا رَزّاق فَارْزُقْنِي

شراب الحبّ حَتَّى صِرْتُ رَيَّاناً فَأَشْرِبْنِي   عن الأكْوَانِ والأغْيَارِ يا غفارُ غَيِّبْنِي

بجُودٍ مِنْكَ يَا ذَا المَجْدِ يا فتّاح أَوْصِلْنِي   بِمَا مَنَّنْتَ بِالأحْبَابِ يَا رَحْمَنُ أَكْرِمْنِي

إِلَهِي تُبْتُ تَوَّابِي تقبّل تَوْبَتِي مِنِّي   ذُنُوبي كُلَّها فَاغْفِرْ تَجَاوَزْ وَاعْفُ وَارْحَمْنِي

وَوَفِّقْنِي لِمَا تَرْضى به عنّي وبَاعِدْنِي   عن الأعمال والأخلاق مِنْهَا مَا يَضُرُّنِي

وأستاذي وأشياخي وأحبابي وإخواني   وآبائي وأولادي ومَنْ بالخير أوْصَانِي

إلهي صَلّ سَلِّمْ سَيِّدِي خَيْرَ الْبَرِيّة   وآلاً ثُمَّ صَحْباً ذَا الْمَرَاتِبِ العَلِيَّةِ

فَهَؤلاء أَوْلِيَاءُ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمِ   وَلاَ هَمٌّ ولا غمّ ولا حُزْنٌ لَدَيْهِمِ

وهم لا شك أرْكَانٌ أقطابٌ وَأَوْتَادٌ   فمن تشبهُوا بِهِمْ فَقَدْ فَازُوا وَقَدْ سَادُوا

وَمَنْ تجنبوا عنهم وَعَابُوا في طريقهم   فما اهتدَوْا بِهَديهم وما فَادُوا بِفَيْدِهِمْ

وَهُمْ مِمَّنْ يَقُولُ الله : مَنْ عَادَى وَلِيّاً لِي   فَقَدْ آذنْتُهُ حَرْباً فَمَنْ حَارَبْتُهُ أُبْلِي

بذكرهم بدَعْوَةٍ تَنَزَّل المَرَاحِمُ[1]   فَلاَزِمْ يَا أخِي بِهِمْ فَفي ذَاكَ المَغَانِمُ

---

(١) فإن الحضور روح العبادات ، وزوال الغفلة لا يكون إلا بنزول رحمة الله تعالى على عبده . ومن أسباب نزول الرحمة ذكر الصالحين ، وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، وذكرهم من لوازم محبتهم ؛ ومحبتهم فرض لقوله ﷺ : « وهل الدين إلا الحبّ في الله والبغض في الله ؟ ! » كذا في « الرحمة الهابطة » في ٢٢٧ من هامش « الدرر » ، (منه رحمه الله وغفر ذنبه ، ورزقه الاستقامة والتوفيق آمين اللهم آمين) .

تَوَسُّلِي بِسَيِّدِي مُحَمَّدٍ رَسول اللهْ　　وَمَنْ تَوَسَّلُوا به من الأَشْيَاخِ أَهْلِ اللهْ

فَوَفِّقْنِي إلهي بالذِي تَرْضَى به عَنِّي　　وَجَنِّبْنِي عَنِ الّذي به ثِقْلِي وسَدِّدْنِي

وَكُنْ يَا رَبّ لي وَاغْفِرْ ذنوبي كلها وَاقْبَلْ　　بحقّهم دُعَائِي وَاهْدِني يَا مَانِحَ النحل

وليكون هذا آخر الكتاب ؛ فأستغفر الله سبحانه من قول بلا عمل ، ودعوى بلا علم مع تقصير فيه وخلل ، ومن كل خاطر دعاني إلى التصنع والتزين في كتاب سطرته ، أو كلام نظمته ، أو علم أفدته ، ومن كل ما زل به القدم ، وطغى به القلم ، وأسأله أن لا يجعله وزراً ووبالاً ، وأن يجعله نافعاً للعباد ، وهادياً إلى الحق بلا عناد ، وسبباً للعفو والعافية إنّه هو البرُّ الجواد ذوالعرش المجيد الفعال لما يريد ، وحاشا أن أعد نفسي من جملة المؤلفين ، بيد أني جمعت أقوال المصنفين ونقول العلماء العارفين ، وليس لي في ذلك دخل ما سوى تحريك القلم وتحرير الكلمة والكلام مع بيان المآخذ ومواضع المنقولات ، وقد كتبت في أكثر المواضع تواريخ الصحيفة من النسخ الكائنة عندنا ، ليطلع إليها من له في ذلك ارتياب ، فإن يك صادقاً فذا هو المقصود ، وإلا ! فإظهار الحق والصواب من أهم الأمور عند ذوي الصدق والإنصاف ، ولا يخلو إنسان عن زلل ، وإن اجتهد في تمييز السداد من الخلل ، فمن وجد فيه رائحة شبهة وإشكال فليطلب مني الإزالة متى كنت في دار الحياة ، فإن لم يجد عندي البيان فعليه أن يسرع في إثبات الصحيح بدل السقيم ، فالحمد لله أولاً وآخراً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين .

وقع الختام وتمّ التأليف في يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول من سنة ١٣٢٥ ؛ جعلنا الله تعالى من الذين فنوا فبقوا ، وغابوا في الوجود ، ونالوا بالشهود ؛ آمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين .

تذنيب

قد مرّ آنفاً أنّي كنت على قصْد كتبة آداب الذكر في الخارج وآداب الصحبة والزيارة ، فبعد ما وَصَلَ الخبر بموْت شيخنا العسوي قدس سره طرأ على الباطن القبْضُ والفتور ، ولذا أعرضت عن ذلك القصد ، لكن الإخوان من أهل السلوك سألوُني الآن بإيرادها ولو في ذيل الكتاب ، ليعمّ نفعُهُ لجميع أرْباب الإرادة والآداب ، فأجبْتُهُمْ لذلك ، والله المستعان وهو حسبي وعليه التكلان .

قال الشيخ الكامل أحمد ضياء الدين في « متمماته » في ١١٤ :

وأما الآداب في خارج الذكر : فدوام الوضوء ، وصلاة سنّة الوضوء ، وقيل ، إنه مستحب ، والإشراق ، وصلاة الضحى ، والاستغفار ، وصلاة الأوّابين ، والتهجّد ، وملازمة الجماعة ، والرواتب ، وإحيآء ما بين الطلوعيْن ـ أعني : الفجْر والشمس قدر رمح ـ بالذكر ، وإحيآء ما بين العشائيْن بالذكر ، فإن ضمّ إلى ذلك ما بعْد العصر كلّه بالذكر كان أتمّ ، وكذلك الرابطة والعمل في ذلك مهمّ ، وعليه[١] اتّباع الشرع والسنة وإماتة البدْعة ، وحفْظ الكسْب من المحرمات ، ولا ينقص ورده عن خمسة آلاف في اليوم والليلة وما زاد أتمّ وأنجى ، والمجرّد يكثر البتة واستغراق أوقاته في الاشتغال[٢] مهما أمْكن ، والاعتزال عن المنكر مهما حَصَل ، إذْ مخالطة المنكرين مع أهل الباطن تورث قسوة القلب ، والانكسار والتصفية والوقوف[٣] دَوَاماً والسكوت دواماً بغيْر مُوجب الشرع ، وتقليل الطعام وإن كان حلالا ، وإن كان غير الحيواني فهو أعلى ، وتقليل النوم ، والعزلة عن أهل

(١) أي على الذاكر لله .

(٢) أي في الاشتغال بأوراده .

(٣) أي الوقوف القلبي .

الغفلة ولو مريداً وترك المراد والمقصود وصرف همّته إلى معرفة الله فقط ، والتواضع ونَفْي الوجود ، وحسن الظنّ بالله لمحْض فضله وخوْف مكره ، والمحبّة لمرْشده ومبالغة الإخلاص إليه وطلب رضاه دائماً ، والأدب مع الحضور معه وضمّ القَدَميْن إليْه ؛ فهذا سبب الفتح ، وأن لا يكون طعامه ولباسه بيد تارك الصلاة ، ولا بيد منكر ، ولا منفوس ، ولا حائض ، ولا مَعْيُونٍ ، وكذلك طهارتهما ونحوهما ، ومراعاة كل المذاهب الأربعة بعد تصحيح الاعتقاد والتبرّي عن التُرَّهات وأهل الفساد ، وترك البدعة والإعراض عن متاع الدنيا ، والميل إلى نعيم الآخرة ، وأن يكون بطهارة الظاهر والباطن ؛ بأن يحفظ قلبه عن دخول الخواطر ، وأن يتجرّد عن القيود والعلائق ، ويزكّي نفسه عن الشهوات وحبّ الدنيا واتباع الهوى والسوى ، وأن يذكر الله دائماً مع الحضور والتوجّه التامّ ، وأن يستمدّ من شيخه للترقي إلى حقيقة الذكر وكلِّ حاله ، وأن يراعي نسبته في حال الذكر ، وأن يحضر جميع وقته على الذكر بعد أدآء الفرائض والسنن الرواتب ، وأن لا يشتغل بشيء غير ما أمر به الشيخ ، وأن يذكر بالمحبّة والشوق والعشق ؛ لا لطلب الأحوال والكرامات والأغراض . انتهى .

وأما الشرائط التي لا بدّ منها للمريد ؛ على ما نقله أحمد ضياء الدين في « المتممات » في ١٧٥ من « الحديقة الندية » فستّة عشر :

منها : إذا حصلت العقيدة بالشيخ يقول عنده : جئت إليكم لطلب معرفة الله تعالى ، ثمّ بعد قبول الشيخ لا يلتمس شيْئاً ، بل يخدمه بالميل والرَغْبة حتى يحصل له القبول التامّ عند الشيخ . فإذا لقّنه شيئاً فليشتغل به على الدوام من غير إخطار خاطر .

ومنها : أن لا يتحمل أمانة تبليغ سلام الغير إلى الشيخ لأنّه سوء أدب .

ومنها : أن لا يتوجه إلا لما أراده الشيخ ، رافعاً نظره عن الغير ، فانياً في أقوال الشيخ وأفعاله وصفاته وذاته لما قيل : الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله .

ومنها : أن لا يتوضّأ بمَرْأى من الشيخ ، ولا يرمي البزاقة والمخاطة في مجلسه ، ولا يصلّي النوافل في حضُوره .

ومنها : أن يبادر بإتيانه ما أمره به الشيخ بلا توقّف ولا إهمال ولا تأويل ، من غير استراحة ولا سكون قبل تمام ذلك الأمر .

ومنها : أن لا يعترض في القلب على أفعال الشيْخ ، ومهما قدر على تأويلها يُؤوّلها وإلاّ ينسب نفسه إلى القصور في الفهْم ويتأنّس بقصة موسى والخضْر عليهما السلام **لأنّ الاعتراض أقبح من كلّ قبح،** والمعترض لا يكون معذوراً . فالحجاب الذى ينشأ من الاعتراض ليس له علاجُ ورفعُه متعذر[1] ويسدّ مجاري الفيض على المريد .

ومنها : أن يظهر الخواطر خيراً وشرّاً لشيخه حتى يُعَالجه ، فإن الشيخ كالطبيب ، فإذا حصل له الاطّلاع على أحْوال المريد يتوجّه إلى إصلاحه ورفع أمراضِهِ ، ولا يعتمد في عدم إظهارها على كشف الشيخ ! لأن الكشف قد يتلوّن وقد يخطأ ؛ والخطأ الكشفي عند الأولياء بمنزلة الخطأ الاجتهادي إلاّ أنّه لا يعمل به ! ولو صحّ لا يبنى عليه حكم عندهم ما لم يساعده الظاهر . فاحْفظ هذا فإنه نفيس .

ومنها : الصدق في الطلب فلا تغيّره المحن والشدائد ، ولا يفتره العذل والمكائد ، والمحبّة المفرطة لشيخه أكثر من نفسه وماله وولده ، معتقداً أنه لا يحصل له المقصود من الله تعالى إلا بتوسّط شيخه .

---

(١) وفي « السراج المنير شرح الجامع الصغير » : عقوق الوالد يغفر بالتوبة منه بخلاف عقوق الشيخ المعلّم . انتهى . فراجعه في ١٧١ ج ٢ (منه رحمه الله تعالى) .

ومنها : أن لا يقتدي بجميع أفعال الشيخ العادية إلاّ أن يأمره بها ، بخلاف الأقوال ! لأنّ الشيخ قد يَعْمل بعض الأعمال بحسب مقامه وحالِهِ وذلك العمل يكون على المريد سمّاً قاتلاً .

ومنها : المبادرة إلى أمره بأنْ يأتي بما أمر به من غيْر تأويل ولا تسْويف ، فإنهما من أعْظم القواطع .

ومنها : العمل بما لقّنه شيخه من ذكر أو توجّه أو مراقبة ، وترك جميع الأوراد الغير المأثورة لأن فراسة الشيخ اقتضت تخصيصه بذلك ، وهي منْ نور الله .

ومنها : أن يرى نفسه أحقر من جميع الخلائق ، ولا يرى لنفسه حقاً على أحد ، ويخرج من عهدة حقوق غيره بالأدآء والتوبة ، وقطع العلائق عما سوى المقصود .

ومنها : عدم الخيانة لشيخه في أمر من الأمور ، واحترامه وتعظيمه على أقصى الوجوه ، وتعمير قلبه بالذكر الملقّن به ، وطرد الغفلة والخواطر .

ومنها : أن لا يكون مراده من الدنيا والآخرة غير الذات الأحديّة من حال أو مقام أو فنآء أو بقاء ، وإلاّ ! فهو طالبٌ لكمال نفسه وأحوالها ، فينبغي أن يكون كالميّت بين يدي الغاسل ، وأن لا يردّ كلام الشيخ وإن كان الحق مع المريد ، بل يعتقد أن خطأ الشيخ أقوى من صوابه ، ولا يشير للشيخ بشيء إن لم يسأله .

ومنها : أن يكون منقاداً مستسلماً لأمْر الشيخ ولمنْ يقدّمه عليه من الخلفآء والمريدين ، وإن كان عملهم أقلّ من عمله الظاهريّ .

ومنها : أن لا يظهر حاجته إلى أحدٍ غير شيخه ، فإن لم يكنْ

شيخه حاضراً وحصلت له الضرورة فليسأل من صالح أمينٍ سخيّ تقيٍّ .

ومنها : أن لا يغضب على أحد لأنّ الغضب يميت نور الذكر ، وأن يترك المناظرة والمباحثة بالجدال مع طلبة العلم ، لأن المناظرة تورث النسيانَ والكدوراتِ ؛ وإذا وقع منه الغضْب أو المباحثة مع أحدٍ يستغفر ويطلب منْه العذر وإن كان محقاً ، وأن لا ينظر إلى أحد بنظر الْحَقارة ، بل يحسبه أنه الخضر عليه السلام ، أو وليٌّ من أولياء الله تعالى الكرام ، فيطلب منه الدعاء .

وفي « التاجية » : اعلم أنّ مكافأة بعض حقوق الشيخ لا تتيسّر إلا برعاية حسن الأدب ، **فالتعظيم في الطريقة من معظمات حقوقهم، والإهمال عَيْن التقصير والخسران** لأنّ له نسبة الأبوّة المعنويّة ، بل قالوا : هذه النسبة عند أهل المحبة والعارفين أشرف وأعظم من نسبة الأبوة الظاهرة .

وأما الآداب المعيّنة على المريد مع شيخه المتفق عليها عند الجمهور فهي بطريق الإجمال عشرة :

منها : أن يكون اعتقاده مقصوراً على شيخه ، معتقداً أنه لا يحصل مَقْصوده ومطلوبه إلاّ بيد هذا الشيْخ ، وإذا تشتت نظره إلى آخر حرم من شيخه وانسد عليه الفيض .

ومنها : أن يكون مستسلماً منقاداً راضياً بتصرفات الشيخ يخدمه بالمال والبدن ، لأن جوْهر الإرادة والمحبّة لا يتبيّن إلا بهذا الطريق ؛ ووَزْن الصدق والإخلاص لا يعلم إلا بهذا الميزان .

ومنها : أن يسلب اختيار[1] نفسه باختيار الشيخ في جميع الأمُور

---

(١) ومن لم يعتقد في شيخه أنه أشفق عليه من نفسه ، وأنه لا يأمره قط بترك شيء إلا=

كليّة أوْ جزئية ، عبادة أو عادة .

ومنها : الفرار من مكاره الشيخ بأقصى الوجوه وكراهة ما يكرهه الشيخ طَبْعاً .

ومنها : عدم التطلع إلى تعبير الوقائع والمنامات ، وإن ظهر له تعبير فلا يعتمد عليه ، وبعد عرض الحال على الشيخ يكون منتظراً لجوابه من غير طلب ، ويبادر بالجواب إذا سأله .

ومنها : غضُّ[1] الصَوْت في مجلسه لأن رفع الصوْت عند الأكابر من سوء الأدب ، ولا يبسط المقال والجواب والسؤال معه لأنه يُزيل احتشام الشيخ عن قلب المريد فيحجب .

ومنها : معرفة أوقات الكلام معه ، فلا يكلّمه إلاّ في البسْط بالأدب والخضوع والخشوع ، من غير زيادة على الضرورة ، بقدر مرتبته ودرجته وحاله ، مُصْغياً بتوجّه تامّ إلى جواب الشيخ ، وإلا ! فيَحْرم من الفتوح ، وما حرم منه لا يرجع إليه مرة أخرى إلاّ نادراً .

ومنها : أن لا يكتم شيئاً من الأحوال والخواطر والواقعات والكُشُوف والكرامات وما وهبه الله له عن الشيخ .

ومنها : أن لا ينقل من كلام الشيخ عند الناس إلا بقدر أفْهَامِهم وعقولهم . انتهى .

وفي « المتممات » أيضاً في ١٧٧ .

وأما آداب المريد مع إخوانه لمسيس الحاجة إليها :

=ليعطيه أنفس منه فمحبته نفاق كذا في « رماح حزب الرحيم » ١٢٨ ج١ من هامش « جواهر المعاني » . (منه قدس سره) .

(١) خفض لعله .

فمنها : أن لا ينظر لهم قط عورة ظهرت ، ولا عثرة سبقت ، فإنه معرض للوقوع فيها أو في مثلها ، كما وقعوا ، وقالوا : كلّ فقير كشف له عن شيء من عيوب الناس فهو صاحب كشف شيطاني لا يعبأ الله به ، ومن نظر إلى عَورات الناس وحملهم إلى المحامل السيئة قلّ نفعه وعدم بركته وانتفاعه مع شيخه .

ومنها : أن ينفق على إخوانه وعلى نفسه كل ما فتح الله عليه به أوّلا فأوّلاً ، ولو كانت فجلة أو خيارة .

ومنها : أن لا يزحم على الإمامة قط في الزاوية وغيرها .

ومنها : أن ينبّه إخوانه لأوقات الخيرات والمَوَاسِم كالأسحار وليالي الجُمع والقدر وغيرها ؛ ثم ينبغي للفقير إذا تنبّه قبْلَ إخوانه ورأى نفسه أكثر عبادة منهم أن لا يرى نفسه عليهم ، بل يرى نومهم أخلص من عبادته ، هو لأن النائم لا يكتب عليه قلمٌ .

ومنها : أن لا يكون مِقْداماً لإخوانه قط في سوء الأدب مع الشيخ أو مع أحد من إخوانه ، كأن يخرج من تحت يد شيخ وتربيته ، ويطلب وظآئف الدنيا ويجمع مَعْلومها ويوسع على نفسه في المأكل والملبس ، فيسيء في حقّ الشيخ وفي حق إخوانه ، ويصير قدوة لكلّ من تبعه في فعله ، فتتلف ضعفآء المريدين بالكليّة .

ومنها : أن لا يرمي بنفسه إلى الكسل والخمول ، ويمتنع من مساعدة الفقراء في قضاء حوائج الزاوية .

ومنها : أن يكون مِقْداماً لإخوانه في كل عمل شاق .

ومنها : أن لا يغفل عن خدمة من مرض في الزاوية من إخوانه الذين لا أهل لهم ولا قرابة ولا أصحاب يخدمونهم .

ومنها : أن يحسن لإخوانه إذا بغى بَعْضهم على بعض بالأخذ على يد الظالم وتصبير المظلوم .

ومنها : أن يُراقب قلبه من جهة إخوانه ؛ فمهما حدث له تغيّر في قلبه من أحد من المسلمين فليسع في إزالته وليظنّ بأخيه خَيْراً .

ومنها : أن لا يغفل عمّن حضرته الوفاة من إخوانه ، وليسهّر عنده إلى الصباح .

ومنها : أن لا ينسى إخوانه من الدعاء لهم بالمغفرة والمسامحة كلما قام من اللَيل في عبادته ليقول الملك : ولك مثل ذلك .

ومنها : أن لا يذكر الفقير أخاه إلا بخيْر ، ولا سيما أيّام غيظه عليْه ، ولا يتوقف على مُوَاطَأة لسانه .

ومنها : أن يقدم خدمة إخوانه وقضاء الحوائج من مهماتهم على جميع نوافله .

ومنها : مبادرة الفقير لتنظيف المستراحات من القذرة والأذى ، لا سيّما إن أمر الشيخ .

ومنها : أن يتخذ عنده الموسى والسكين والإبْرة والمخرز ونحوها لرفع مؤنته عَنْ إخوانه لئلا يحتاج إلى أحد منهم فيمنعه فيقع في عرضه .

ومنها : إذا وقع في سوء أدب مع أحدٍ من إخوانه أو غيرهم أو في حق شيخه أن يكون استغفاره بكشف الرأس والوقوفِ في صفّ النعال ؛ واضعاً يده اليمنى على اليسرى ، فإن لم يقبل ، فالأدب أن يبقى قائماً ويقول : أنا ظالم .

ومنها : أن يحث إخوانه كلهم على الأدب .

ومنها : أن لا يأكلوا فرادى[1] قطّ إلا لعُذْر وهذا إجمال من التفصيل ، والموفق يكفيه الإشارة ، والبليد لا يفيده التطويل ، انتهى .

وأما آداب زيارة الأنبياء عليهم السلام والأولياء فليتوسل المريد بروْحانية مرشده الذي عمّه من خيْره ، ويتخذه شفيعاً إلى حضرة ذلك المزار في ابتداء سيره ، ويلاحظه أمامه على طريقة الشافعيّين للقوْم العاصين ويستغفر كثيراً من جميع ذنوبه ومخالفة وعده ، بل من علمه وفضْله وزهده ، ويلاحظ نفسه مفلساً من العمل الصالح ، ولا يتأذى بمشاق الطريق ، بل يعدّها فضْلاً ونعمة من الله تعالى ، فإن في ذلك إشارة إلى حصول المطلوب ، كما وقع لموسى مع الخضر في قوله تعالى ﴿لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا﴾ ويخلص في حضرة القبر النيّة الظاهرية والباطنية ، ويسلّم عليه من كلّ باب من أبوابه مع الذل والانكسار عند القرب لرجآئه ، ويقول : السلام عليكم تحية منّي إليكم ؛ ويقرأ في كلّ باب الفاتحة والإخلاص ثلاثاً ثلاثاً ويقول : أتوسّل بكم إلى ربّ البرية بتسهيل أموري في الدنيا والآخرة . والأحسن أن لا يقصد بتلك الزيارة غير مرضاة الذات القدسية ، لا غرضاً من الأغراض الدنية ؛ ثم إذا وقع نظره على مرقد حضرة القبر يقرأ الفاتحة في كلّ خطوة مرّة إلى سبع خطوات ، ويربط قلبه بقلب حضرة القبْر على الوقوف القلبي للاستفاضة من باطنه ، سواء كان من الأحياء أو من الأموات ، ثم يقف متوجّهاً إلى ضريح المزار قريباً من رجليْه ، مستدبراً للقبلة ، ملاحظاً مرشده الشفيع له بحضرة المزار ، ومتوسلاً بذلك الشفيع إليْه ، وحينئذ يُسلِّم عليه ويقرأ الفاتحة والإخلاص قائماً كأنه حيّ وهو واقف بين

---

(١) لقوله عليه السلام « أفضل الطعام ما كثرت عليه الأيدي » وقال عليه السلام : « اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه » . وفي الخبر : « لا يحاسب العبد على ما يأكله مع إخوانه » (منه رحمه الله تعالى) .

يديه ، فلوْ جلس وقرأ عشراً من القرآن فهو أفضل ، ثم يستفيض من قلبه جاعلاً قلبه ملاصقاً بقلب المزار لكن قلبه أنزل ، ولا يسهو عن الوقوف القلبيّ بغاية التضرّع والانكسار ، ولا يتغافل ، ويحسن الظنّ به إن كانت له حاجة فإنها تقضى بواسطته بإذن ربّي ؛ قال الله تعالى : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي » . ومدّة تلك الاستفاضة بإقامته ، وعلى قدر ذوقه وجمعيّته وآدابه ، ثمَّ يدعو له وللمؤمنين والمؤمنات بقوله : اللهمّ اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ؛ ويخصص نفسه ومرشده بالدعوات الصالحات ويتوسَّل بالمزار إلى رابطة الداعى له إلى الله ومرشده لِيُنِيلَهُ من خيره ورفده ، ويتحقّق بإجابة دعواته ، فإنّه لا يدْعو داعٍ بمباحٍ إلاّ وصاحب المرقد يؤمّن على دعائه فيستجيب الله له بفضله وعنايته ، وإذا أراد الذهاب وانتصبت قَدَمَاهُ يسلم كالأول ويقرأ الفاتحة والإخلاص ، أو مع عشر[1] من القرآن ويتوسّل به في أموره الدنيوية والأخرويّة إلى ربّه ، ويفعل ذلك في كلّ باب من أبوابه ، ويخرج على قفاه ، فإذا فعل ذلك حصل مطلوبه وانتصر ، وانقطع عنه كل شرّ وضرر . كذا في « المتممات » فراجعه في ٢٠٦ .

وأما آداب الحضور مع المرشد[2] : فأن لا ينظر إلى وجهه ويخضع رقبته له ، ويقف بَيْن يديْه كالعبد الآبق المأتي به إلى حضرة سيّده الذي هو السلطان ، وأن لا يجلس بغير أمره ؛ ولا يبتدىء من نفسه الكلام من غيْر اقتضاءٍ شرعيّ أو إشكالٍ في الطريقة أو مَصلحة للمرْشد ؛ ولا يتكلم هناك مع الحاضرين ولو كانوا شيوخاً ولا يلتفت إليهم ، بل يسكت

---

(١) أي عشر آيات .

(٢) فإن كان في بيته فلا يدق عليه بابه ، ولا يستأذن عليه إلى أن يخرج ، فإذا خرج تقدَّم إليه بأدب ، فسلَّم عليه ، ولا يتكلم بين يديه إلاّ أن يسأله ، فإن سأله أجاب بقدر السؤال ، ولا يسأله من مسألة ما لم يستأذن أوّلاً . كذا في « الإحياء » فراجعه في ١٧٥ : ج ٢ (منه رحم الله إفلاسه) .

ويغمض عينيه ويتوجه إلى الباطن بالتضرع للاستفاضة ؛ ويعدّه نائباً للنبي ﷺ وسلطاناً في الحكم والتصرّف ، ويرى المعاملة معه كمعاملته مع النبي ﷺ والسلطانِ[1] وأن لا يحضره وقلبه غافل أو فيه خطرة أو اعتراضٌ أو امتحانٌ أو كُرْهٌ ، لأنّ كل ذلك يُوجِبُ نفرة قلب المرشد عن المريد ، فربّما يسقط عن نظره ويخرجه عن قلبه ، والسقوط من السماء السابعة على الأرض السافلة خير من الوقوع من قلب أرْباب الباطن ؛ فأعاذنا الله تعالى وإيّاكم عن ذلك ، فلا بدّ في الحضور معه أن يكون ضَابطاً على الوقوف القلبيّ ، طارداً للغفلة ، طالباً للفيض الباطني ، رابطاً قلبه بقلبه على وجه المحبة والتضرّع ، منتظراً لتوجهّه والتفاته ، وموقناً أن فيْض مرشده سدّ الأفق وملاء وموقوف على طلب المريد فقط ، وإن لم يُدْركه ، لأنّ الإدراك ليس بشرطٍ للوصول ، بل الشرط له مجرّد الاعْتقاد وحسن الظنّ بالوصول ولا يضرّ المرشد أهل الدنيا ، والبَحْث عنها بحسب الاقتضاء للمصْلحة ، ولا يطيل في الحضور عنده حذراً عن كره قلبه أعاذنا الله تعالى عن ذلك ، ولا يشتغل بظاهر المرشد عن باطنه فيحرم عن الفَيْض الباطني لأن ظاهره لأهل الظاهر وباطنه لأهل الباطن ، ولا يشغله الخلق عن الحق ، ولا الحق عن الخلق ، بل جميع المريدين في وسط قلبه كخردلة في وسط كفه .

تفريد الشيخ

وأن يفرد شيخه بمعْنى أنه ليس على وَجْه الأرض أحد يوصله إلى ربّه لَوْلاَه ، وأن يكثر الخوف والخشية من مرشده مع الرجاء في عنايته ، وأن يكون حذراً من سطوته في حضوره وغَيْبَته ، فإنّه **يطلعه الله تعالى على أفعال المريدين وخواطرهم** وإن لم يظهره لهم إلا نادراً ،

(١) وإذا قصد زيارة الشيخ فلا يقيم عنده أكثر من يوم وليلة ، ولا يشغل نفسه بالعشرة ، فإنّ ذلك يقطع بركة سفره . كذا في « الإحياء » في ١٧٥ : ج ٢ (منه رحمه الله تعالى) .

وأن لا يغترَّ بضحكه وحسن خلقه معه في الظاهر ، بل يرجو منه أن يقطع عنه معاملة الظاهر ، لأنّ منهم من يعطيهم الظاهر ويحرمهم عن الباطن ، وأن لا يأمل تعظيمه عن المرشد لأنّ تعظيم المريد سمٌّ وعده أجنبيّاً وتحقير المرشد لأجل تربيته مع أنّه لا يخلو عن امتحان المريد أبداً بجميع أعماله وأحواله .

ومن الآداب أن لا يأكل المريد مع شيخه ، ولا يلبس لباسه ، ولا يشرب من كأسه المخصوص ، ولا يجلس مكانه ، ولا يركب مرْكبه **إلا أنْ يأمر بالكلّ** ، ولا يتزوّجَ أهله بعد موته ، ولا يركبَ قبل ركُوبه ، وينزلُ قبل نزوله ، ولا ينامُ قبل نوْمه لو كان خادماً ، ولا يقف قريباً من خلائه حين ذهابه إليْه أو بحيث يراه في الصحرآء ولا يقضي حاجته في خلائه ، ولا يستعمل ما استعمله تعظيماً له وللمرشد ، ولا يكتم عنه كلّما سأله ، بل ذنبه أيضاً ! ولا يكتم ما صارت خطْرة في قلبه إذا لم يقدر بالتوبة والاستغفار على إزالته ، سوآء كان في حق المرشد أو طريقه أو مخطوراتِ نفسه ، بل يعرضها فوْراً ليَدْفع عنه ، وإلاّ ! سدّ باب الفيض عنه ما دام باقياً في قلبه ، ويكتم أحْواله الباطنة عن غيْر المرشد ، ويظهر لمرشده فوراً ، ويحب من يحبه ويبغض من يبغضه ، ويجتنب من أهل البدع وأرْباب الغفلة وعن المنكرين أبداً ، فإن قساوة قلوبهم تنعكس إلى قلب المريد فيطفىء النور كما يطفىء الماء النار ، ويشوش حضُوره ، ويُورث الغفلة والقسوة وبطالة القلب في الذكر ، وربّما يمنعُه عن الذكر ، ولا يأكل طعام المنكرين فإنه يسدّ باب الفيْض أربعين يوماً ، بل يأكل طعام مخلص أصْلَحَهُ طاهرٌ متوضىء ولو كان من أهل الحضور لكان أفْضل ، ولا يسرف في الأكل والشرب ، ولا يأكل عن شره وحرْص ، ولا يأكل مع قلب غافل **لأن لقمةَ الغَفْلَة تورث الغفلة ولقمة الحضور تورث الحضور** ، ويحافظ على نفسه من الغضب والضحك فإنهما يطفئان نورَ النسبة ويميتان القلب ، ويتكلّم مع المُرْشد

بالاستئذان خافضاً صوته ، ويصدّق كل ما يقوله بالقلب واللسان ولا يقابله بلا ولم لا لفظاً ولا خطُوراً ، ولا يطلب منه إظهار الكرامة ، ولا يكشف بحضوره رأسه[1] ، ولا ينام في غطائه ، ولا يصلّي في حضُوره إلا إن كان يصلي أو كان في المسجد وإلاّ لضرورة شرعيّة لا بدّ منها ، ولا يصلي على فراشه ، ولا يتغوط ولا يبول متوجهاً إلى جهته ، ولا يمدّ الرجل إلى موْضعه ، ولا يطلب منه تبديل ذكره . انتهى .

فهذه الآداب منقولة من « الرسالة الخالدية » من مواضع متفرّقة فراجعها .

ولما كان رعاية الآداب ومراعاة شرائطها من ضروريّات هذا الطريق بل كان الطريق كله أدباً ، ولم يصل أحد إلى الله إلا بالأدب ، نقلت هذه الآداب المذكورة في ذيل هذا الكتاب ، فعلى السالك أن يجتهد في حفظها ولا يقصّر في إتيانها بقدر الإمكان ، فإن أدب المريد مع شيخه وصحبه مع رعايته حُرْمَتَه يكون طريق الإفادة والاستفادة مفتوحاً ، وإلاّ ! فلا نتيجة للصّحبة ولا ثمرة للمجالسة ؛ فإن رأى المريد نفسه مقصّراً في رعاية بعْض الآداب ولم يَبْلغ حدّ أدائها كما ينبغي ولم يقدر أن يخرج عن عهدتها بالسعي فإنّه معفوّ عنه ، ولكن لا بدّ من الاعتراف بالتقصير ، فإن لم يراع الآداب ـ عياذاً بالله سبحانه ـ ولم ير نفسه مُقصّراً فهو محروم من بركات هؤلاء الأكابر ، كما قال بذلك[2] الإمام الرباني قدس سره ورزقنا الله تعالى التوفيق والاستقامة وجعلنا من أهل الآداب المتأدّبين بآداب السادات القادات آمين .

وأمَّا آدَابُ الخلوة والسلوك فمذكورة في المطوّلات والمختصراتِ ، وقد أردتُ أنْ أتَعَرّض إليْهَا على ما ذكره أحمد ضيآء الدين رضي الله

(١) ولا رجليه أيضاً (منه) .

(٢) راجع « المكتوبات » في ٣٤٨ من الجزء الأول . (منه رحمه الله تعالى) .

عنه في « المتممات » .

قال رضي الله عنه : **واعلم أنّه لا يمكن الوصول إلى معرفة الأصُول والسعادة إلا بالخلوة** ولا بد منها للإرشاد التام لفعله عليْه السلام ، فإنه حبّب إليه الخلوة وكان يخلو بغار حرآء فيتحنث ـ أي يتعبد فيه الليالي ذوات العدد ـ حتى جاءه الحق وهو في الغار وقد أمر بالدعوة إلى الحق لجميع الكفار .

وللخلوة خمسة وعشرون شرطاً :

الأول : النيّة مع الإخلاص بقطع مادّة الرياء وطلب السمعة بالكلية ، فإن صحة الخلوة مبنية على تلك القضية ، فالواجب على المريد الطالب للحق وإرادته أن يخلص له بقلبه وقالبه في جميع حركاته وسكناته ، وأن يقطع علائقه من الدنيا الفانية ويصحّح غرضه ويصدّق مع الله في السر والعَلانية .

الثاني : أن يستأذن الشيخ في دخول الخلْوة وأن يجعل التواضع لديه طبعاً ولا يدخلها بلا إذن الشيخ وحضوره قطعاً .

الثالث : أن يدخل الشيخ الخلوة ويصلّي فيها ركعتين قبل دخول المريد ويتوجه إلى الله تعالى بتسهيل الأمر عليه ، وأن يجعله فيها سعيداً .

الرابع : أن يدخلها كما يدخل المسجد مقدّماً رجله اليمنى مُبَسْمِلاً متعوّذاً من شر النفس والشيطان بالله اللطيف ، مخلّصاً لربّه ومولاه ، منقطعاً عما سواه .

الخامس : أن لا يعلّق همته بكرامة تحصل له ، فجميع المرشدين نفَّروا عن الميل إلى الكرامات جميع المريدين . قال ابن عطآء الله : ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلاّ نادته هواتفُ الحقيقة : الذي تطلب أمامك . ولا تبرّجت ظواهر المكونات إلاّ نادته حقائقها :

إنما نحن فتنة فلا تكفر .

السادس : أن تكون الخلوة مظلمة لا يدخلها شعاع الشمس ولا ضوء النهار ، فيسدّ على نفسه طرق الحواس الظاهرة ؛ فسدّ طُرقها شرط لفتح[1] خلاص القلب من الأغيار ويلازم الوضوء[2] فإنه إذا داوم عليه أوْشَكَ أن تتلألأ منه الأنوار الإلهيّة وتظهر عليه أتمّ الظهور لقوله عليه السلام : « الوضوء نور » .

السابع : أن لا يستند إلى جدار الخلوة ولا يتكىء على شيء ولو مبنيّاً ، ملاحظاً قوله تعالى : « أنَا جَلِيس من ذكرني » ثمّ يلازم خيال شيخه بين عَيْنيه فإنه رفيقه في طريقته وهو معه بِمَعْنَاه ورُوحَانيّته .

الثامن : أن تشغل قلبك بمعْنى الذكر مراعياً معنى الإحسان الذي له هيَّأك ، وهو أن تعبد الله تعالى كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك .

التاسعُ : الصوم فإنّه يصفي القالب من الرطوبة الحسيّة فيصفو القلب من الكدُورات البشريّة .

العاشر : أن يعتقد في نفسه أنّه إنّما يدخل الخلوة لكي يستريح الناس من شرّه .

الحادي عشر : أن يكون السالك في خلْوته متيقظاً لأعدائه الأربعة . الشيطان ، والهوى ، والدنيا ، ونفسه . وأن يكون تاركاً لغفلته فكلّما يتجلّى له في الخلوة من الصُورَة فيقول له : أنا الله أو يقول له : إنّ الشيء الفلاني هو الله فليقل : سبحان الله الذي ليس كمثله شيء ، آمنت بالله ؛ وليذكر جميع ما يرَاه ويخطر له لشيخه ويشتغل بالذكر حتى يتجلّى

---

(١) حواس القلب . كذا في « رماح حزب الرحيم » فراجعه في ١٦٠ ج ٢ (منه رحمه الله) .

(٢) فإن الوضوء نور ساطع يظهر ابتداءً كنور القمر فتتنوّر الخلوة به وانتهاه كنور الشمس . كذا في « رماح حزب الرحيم » راجعه ١٦٠ ج ٢ (منه رحمه الله تعالى) .

له مذكوره ، فإذا أفناه عن الذكر به أوْ أَنَامَهُ فتلك المشاهدة أو النومة ، وسبيل التفرقة أنّ المشاهدة تترك في المحلِّ شاهدها فتقع اليقظة واللذة عقبها ، وأمّا النومة فلا تترك شيئاً فيقعُ عقبها الندم والاستغفار .

الثاني عشر : أن لا يتكلّم مَعَ أحدٍ في الخلْوة أو خارجها إلاّ مع شيخه لغرض واقعة ضرورة[1] البيان ، أو الخادم الذي أقامه الشيخ للفقراء فيكلّمه بقدر حاجته ، أو إذا تعيّن الكلام عليه شرعاً كخوف سُقُوط أعْمى .

الثالث عشر : أن تكون الخلوة بعيدة عن حسِّ الأصْوات ، فإنّ القلب الرقيق يؤثّر فيه الخطرات المذمُومة ولو يسيراً ، وأثر القليل عليه كثير .

الرابع عشر : إذا خرج إلى الصلاة أو الوضوء فليغط رأسه ورقبته بشيء ، مُطْرقاً إلى الأرض ، غير ناظر إلى أحد .

الخامس عشر : المحافظة على صلاة الجمعة والجماعة فتركها خطأ وغلط ، فإن وجد تفرقة في خرُوجه فليكُنْ له رفيق يصلّي معه في خلوته ، وإلاّ ! فَلْيَحْضر مع الجماعة بحيث يدرك تكبيرة الإحْرام ، فإذا سلّم الإمام انصرف إلى خَلْوته .

السادس عشر : نفي الخواطر مطلقاً ، ولا يشتغل بالتمييز بين الخاطر الإلهيّ والملكي والشيطاني والنفسيّ ، إذ التمييز بَيْنها ومَعْرفة أقسامها لا يكون إلا بتحصيل أنواع الأنوار ؛ والمبتدىء لم يسلم له هذا المقام ، فينبغي أن ينفي الجميع لئلا يضيّع أوقات حضوره مع الحق تعالى ، ولا يجوز للذاكر في مذهب أهل الذكر والخلوة أن يتفكّر في

(١) فمهما تكلّم بكلمة غير ضرورية خرج شيء من نورانية قلبه مع تلك الكلمة ، فإن زادت أي الكلمة لغير الضرورية خرجت الأنوار الحاصلة بالأذكار وبقي القلب خاليا . نعوذ بالله تعالى من الحور بعد الكور كذا في « رماح حزب الرحيم » ، راجعه في ١٦٠ ج ٢ (منه رحمه الله تعالى) .

معْنى آية أوْ حديث أو غيرها إلاّ إذا ورد عليه معْنى من المعاني في أثنآء الذكر من التَنْبيهات الإلهيّة والواردات الحقيقيّة من غير تدنيس الأفكار البشرية فيفهمها ويرجع إلى الحضور ، فإن خاف النسيان فليكتبها سريعاً .

السابع عشر : أن لا ينام إلاّ عن غلبة ، فإذا نام نام بالطهارة ، فإذا لزم المجاهدة وترك الاستراحة صار ذلك دأب الأركان الأربعة المائيّة والترابيّة والهوائيّة والنارية فيكشف له عن القلب الحجب البشرية ، فحينئذ ينظر إلى عالم الملكوت بعيْن قلبه فيشتاق إلى مشاهدة ربّه .

الثامن عشر : الملازمة لأوسط الأمُور في جميع الأحْوال ، حتى ينال رتبة الكاملينَ من الرجال ، فيكون بَيْنَ جُوع وشبع في الطعام . وقال بعض المتأخّرين : ينبغي أن يكُون طعام الخلوة دسماً من غير حَيْوانٍ وما خرج من الأنعام .

التاسع عشر : إذا كان في خلوته ، لا يفتحها لمجيء الناس للتبرك والزيارة إليه ، ولينظر إلى حال الرسول في ابتداء أمْرِه وإرادة تكميل جمعيّته على الله تعالى كيف كان يتحنث في غار حرآء بمكة ولا يستصحب أحداً ﷺ .

العشرون : ملازمة الذكر في لطيفة القلب ، ثم في لطيفة الروح . ثم في لطيفة السر ، ثم في لطيفة الخفآء ، ثم في لطيفة الأخفى ، ثم في لطيفة النفس ، ثم في لطيفة الجسد ، ثم في النفي والإثبات المرتفع إلى الدماغ ، ثم في النفي والإثبات الذي كالمنشار يخرج من لطيفة القلب يمرّ على اللطائف المعارضة إلى لطيفة الروح بـ (لا) و(إله) تضرب إلى لطيفة الروح و(إلاّ) تمرّ على اللطائف بالرجُوع و(لفظة الجلالة) تضرب لطيفة القلب وذلك بغيْر حبس النفس فيكون الذكر بـ (لا إله

إلاّ الله) كالمنشار ، وكيفيةُ ذلك وما بعده في (الدرّ المسلوك في انتهاء غاية السلوك) .

الحادي والعشرون : إذا شاهد شيئاً في الواقعة إمّا في النوم أو في اليقظة أو في الفَهْوانية – وهي ما بين النوم واليقظة – لا يستحسن ذلك ولا يَسْتَقْبِحُهُ ، ولا يزيد عليه ولا ينقصه ، بل يعرض جميع ذلك على شيخه ولا يطلب منه تأويله ، فربّما لا يرى الشيخ المصلحة في التأويل ولا يكتم واقعته عن شيخه ، فإنّ الكتمان خيانة والله لا يحبّ الخائنين ، ولا يَعْرف تأويل واقعة الذكر إلاّ الذاكرون .

مهم

الثاني والعشرون : دوام تخيُّل صورة شيخه وهو الرابطة بينه وبين خالقه ، فيَجْعَل قلبه مَرْبُوطاً به لأنّ ذلك يجرُّه إلى مُراقبة ربّه ، **والمراد من رَبْط قلب المريد بشيخه واستحضار روحانيّته معه إنما هو لدفع وسوسة الشيطان، وترك الإثم والعُدْوانِ** ، فإنّه إذا همّ بمعصيته يتمثل له الشيخ فينْزجر عن فعلها إن كان ربطه كاملاً على محبة دائماً ، كما أخبر الحق تعالى عن يوسف عليه السلام بقوله ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ** ﴾ وهو أنه مثّل له يعقوب عليه السلام عاضّاً على أنملته .

الثالث والعشرون : دوام التوبة والاستغفار عن الكبائر والصغائر ، وهفوّات الخواطر ، في كل يَوْم سبعين مرة .

الرابع والعشرون : أن لا يعيّن مُدَّةً للخَلْوة وقت دُخُوله كأربعين يَوْماً وعشرين وعشرة وسبع وثلاث من الأيام ، ولا يحدّث نفسه بذلك ، فإن خطر له هذا الخاطرُ خرج من يوم دخُوله ، بل يحدثها أنّ الخلوة قبْرُها لا يُخرجها منها إلى يوم النشور وإخراج الناس من القبُور ، فيكُون

الأمْرُ لشيخه متى أراد أخرجه .

الخامس والعشرون : أن يرى الاستمداد الحاصل له إنما هو من شيخه واستمدادُ شيخه من النَبي ﷺ فهو نائب عنه والنبي نائب عن ربّه ، **فلو أنّ رجلاً جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلاّ بالرياضات** عند شيخ مرشد كامل وإمام ناصح مؤدّب بالشرع عالم بالفنون ، فما حرم مَنْ حُرِمَ الوُصول إلاّ بتضييع الأصُول وترك الاقتدآء بالدليل ، والعدُول في هوى نفسه عن سواء السبيل . انتهى ١٤٧ فراجعه .

وهذا آخر ما لخصْناه من كتب الأوليآء الكرام ؛ والحمد لله على ما أنعم به من تيسير الإتمام وعلى نبيّه محمد وآله وصحبه الصلاة والسلام .

اللهمّ إنّي أعيذ كتابي هذا ونفسي من شر الحسّاد والأعداء ، وأهل الحقد والبغضاء ، بآياتك وأسمائك وكلماتك ؛ أقول : عليه وعلى ديني وعلى نفسي ألف ألف بسم الله ، وألف ألف ألف لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ، اللهمّ إنّي استجرت نفسي وإيّاه باسمك العظيم الأعظم وبالذكر الحكيم من كلّ من يطلبني ويطلبه بسوء وعناد ؛ احتجبت بنور الله القديم الكامل وتحصّنت بحصن الله القوي الشامل ، ورَمَيْتُ من بَغى عليَّ بسَهْم الله وسيفه القاتل ، اللهمّ يا غالباً على أمره ، ويا قائماً فوق خلقه ، ويا حائلاً بين المرء وقلبه ، حُلْ بَيْني وبين الشيطان وبين نزغه وبين ما لا طاقة لي به من خلقك أجمعين ، اللهمّ كفّ عنّي ألسنتهم ، واغلل أيديهم وأرجُلهم ، واربط على قلوبهم ، واجعل بيني وبينهم سدّاً من نور عظمتك ، وحجاباً من قوّتك ، وجُنْداً من سُلطانك ، إنك حيّ قادرٌ مقتدر قهّارٌ . اللهمّ إنّي لَمْ أؤَلِّفْ هذا الكتاب إلاّ لمجرَّد وَجْهك فيما عَلِمْتُ ، اللهمّ إن كان فيّ غرض مّا في ذلك فيما لا أعلم فاغفره

واعْفُ عنّي إنّك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، اللهمّ اجْعَله لي صدقة جارية إلى يوْم الدين ، وهادياً لعبادك إلى العمل بما فيه من آداب الدين ، اللهمّ احفظه من الدَسِّ وادْفَعْه من أيادي الحسّاد والْمَسِّ[1] ، ولا تُلْحِقْه أبَداً شيئاً مِنَ الطَمْسِ ، اللهمّ بـ (كهيعص) كُفيت وبـ (حمعسق) حُميت ، اللهمّ إنّي رميت كلّ مَنْ يريد بنا سوءاً بـ (حسبي الله ونعم الوكيل) رميت كلّ مَنْ يريد بنا سُوءاً بـ(كهيعص) رميت كل من يريد بنا سوءاً بـ (حمعسق) رميت كل من يريد بنا سوءاً بالتوكل على الحيّ الذي لا يَمُوت وكفى بالله وكيلاً وهو أرحم الراحمين . رميت كلّ من يريد بنا سوءاً بمحاريز السبع المثاني والقرآن العظيم ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ بسم الله ربّي الله الله الله ، لا إله إلاّ الله ، لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم ، الحمْد لله ربّ العالمين .

لا إله إلاّ أنت عزّ جارك وجلّ ثنائك ، بِسْمِ اللهِ الَّذي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ في الأرْضِ ولا في السَماءِ وهو السميع العَليم ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حم حم حم حم حم حم حم ، حُمَّ الأمر وجاء النصر فعلينا لا ينصرون ، ربّ اغفر وارحم وأنت خَيْرُ الراحمين . آمين .

خاتمة وتاريخ التأليف

تم بيد المؤلف الحقير في ١٧ من رجب سنة ١٣٣٠ . فرحم الله

---

(١) أي من مسّ أياديهم (منه رحمه الله) .

امرءاً استغفر لهذا الكاتب آمين . تم[1] .

فهذه تَقريظات العلماء الربانيين في تصديق هذا الكتاب

تقريظ السيد الأمير سيف الله الحسيني الغازي الغموقي النقشبندي القادري الشاذلي ، فلمّا طالعت في هذا الكتاب من تأليفات أخينا العالم العامل بعمل صلحاء الأمة ، الفائز بجهاد نفسه عند أصحاب الميمنة أرباب القلوب الذي هو عَيْنُ الفوز الحقيقيّ عند الله ، حسن حلمي أفندي النقشبندي المجدّدي الخالديّ ابن العالم محمّد القحيّ ، كان الله معه ؛ ووقع جميع ما فيه في حَيّز القبُول ، مُطابقاً لما في كتب الفحول تمثّلت بهذه الأبيات اللاتى للقطب الحقيقيّ سيدي عبد الغني النابلسي قدس الله سره خطاباً للمنكر . . الخ :

لو تجلّى عن ناظريْك الغبار ... لرأيت الكؤوسَ كيف تدار

ولبانت نار لديك كما بانت ... لموسى من جانب الطور نار

ولزالت رسوم ذاتك فيمَنْ ... لم يزل وانْمَحَتْ به الآثار

وتبدّت فريدة الحسن تجلّى ... زائلات عن وجهها الأستار

ورأيت الهدى وارشدك الدف ... وصوت الغناء والمزمار

لكن القلب منك في غفلات ... وعلى وجهك الكثيف خمار

ويقينا أن التكاسر ألْهاكَ ... وغرّت بوَهْمِك الأغيار

وَرَمَتْكَ الذنوب في ظلمات ... من شكوك بها العقول تحار

فاجتهدْ واقصد الحقيقة واطلب ... ولتكن فيك همةٌ واصطبار

وتذلّل بباب ديرك واخضع ... فعسى أن يريدَك الخمار

---

(١) أعني به مؤلف الكتاب (منه) .

إنما أنت عند نفسك وهم ظهرت منك هذه الأطوار
والذى أنت فيه محض غرور وهو في مذهب الحقيقة عار
عدمٌ في الوُجُود يبدُو ويخفى ما له في الحقيقتَيْنِ قرار

فقد نطق المؤلّف المذكور في إدحاض خرافات أهل القصُور . فكأنما نطق رُوح القدس من لسانه مُؤيّداً من عند الله بالفيض الوهبيّ طبق يقينه ، فلا كثّر الله المنكرين المعاندين الذين في الناسِ يجتهدون للإضلال ، ومَاذا بَعْدَ الحقِّ إلاّ الضلال ، من قلم أقلّ العبادِ مير سيف الله الحسيني النِزْبكري الغازي الغموقيّ النقشبندي الخالديّ رحم الله إفلاسه ؛

تقريظ الحاج سليمان الحَبْشِيِّ : رحمه الله ، بسم الله هو الهادي ، والصلاة والسلام على سيّد الأنام محمّد ﷺ ، وأنا الفقير الحاج سليمانُ الحبشيّ نظرت إلى فلك هذا الكتاب فصَادَفْتُ فيه النيرات من علوم الأوائل الكرام ، وفُنُونِ الخلفاء العظام ، فمن ناظر ما فيه من الشموس فليس عليه العتاب ، قد تنكر العين ضوء الشمْس من رمد الخ ، فالحمد لله الذي خَلَقَ مِثْلَ مَنْ كان في السلف ؛ وأَجَزْتُ ما فيه لإحاطته ما في مُصطلح القوم ، ولله دَرُّ مُؤلّفه وَلَدِنا حسن القحيّ رزقه الله الاستقامة آمين .(١)

تقريظ العالم العارف أدرة العرادي الهدلي رحمه الله تعالى ، بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، الحمد لله ملهم الصواب ، ومفيض الحكم والأسرار على قلوب الأحباب ، ومظهر حقائق العلوم وغرائب الفُهُوم على أيدي مَنْ شاء من ذوي الألباب ، والصلاة والسلام على محمد وآله الأنجاب وأصحابه الأقطاب ،

أمّا بعد ؛ فقد تشرّفت بالاطلاع على هذا الكتاب للعالم الفاضل

(١) انتهى . من خطه ، كتبه في السفينة فوق البحر .

والحبر الباسل مظهر الحقائق ومرشد الخلائق مَوْلانا حسن المحموديّ الخالدي النقشبندي ابن العالم الباهر محمّد الحقيّ[1] الهِدَلي عليهم رحمة الإله الأبديّ ، والتأمّل بما فيه من المسائل الشريفة ، والزخائر المنيفة ، والإشارات العلية ، والعبارات البهيّة ، والأسرار الخفيّة ، فإذا هو عزيز المثال ، بديع المنوال ، قد تفجّرت ينابيع الحكم من جوانبه ، وتدفّقت جداويل العِرْفان عن مشاربه ، حاوٍ لِما إليه يضطر كل سالك من القواعد ، حائز لِما إليه يرغب كل طالبٍ من الفوائد ، مشرق لعلوم الحقائق بَعْدَ خبوّ أنوارها ، مظهر لِمَعالم الطريقة بعد خفآء آثارها ، كيفَ لا وهو في علوم مَنْ يكلّ لسان البليغ عن ولوج بحر فضائلهم ، ويَعْشُوا نظر السليم أن يستقصي مزايا أواخرهم ، فضلاً عن أوائلهم ، ولذلك تقاعدت عزائم غالب العلماء عن استطلاع روايات أزهارهم ، وتقاصرت هممهم عن استكشاف خبيَّات أسرارهم ، بل هم عن استماع ما فيها وإدراكها محرومون ، وعن رؤية ما فيها واستنشاق نسيم طيبها مزكُومون ، وبذلك عن تميّز الشيخ الماهر عن المتشيّخ الخاسر غافلون ، وعن الفرق بين المحق الكامل والمبطل العاطل عاجزون ، فلو لم يكن فيه سوى سرد هذه الشوارد وجمع هذه الأباعد لكان كافياً لهداية الراغبين المسترشدين ، وردِّ المنكرين المعاندين ، بَيْدَ أَنَّهُ تضمّن عُلُوماً غريبة ، وفنوناً عجيبة ، بنصوص صريحة ، ونقول صحيحة ، متوجّة بالآيات القرآنية ، مكلّلة بالأحاديث النبويّة ؛ ومُعْظَمُ ما فيه مما لا يهتدى إليه إلاّ بالفيض الرحمني والمدد الوَهْبانيّ ، حتّى إنّي رأيت كلَّ ما فيه في مثل هذا الوقت الذي كثر فيه المتشيّخون المغترّون والمتصدّرون المدّعون مما يتأكّد الاعتناء به وإشاعته ، ولا سبيل لإهمال ذرّة منه وإضاعته ، لأنّه ممّا زلّت فيه كثير من الأقدام ، وتحيّرت فيه العقول

(١) أي القحي بدّله للتفاءل .

والأفهام واشتدّت إليه حاجة كلّ مَنْ له بدينه اهتمام وللحق تطلّب وبه تمسّكٌ وإلْمَامٌ ، فجزى الله مؤلّفه خير الجزاء في الدارين ، وجعلنا وإيّاه من خير الفريقَيْنِ ، ولله درّه وله خيره وجزى الله سعيه وأصاب رأيه ، ونفعنا والمسلمين من بركات علومه ، ونفائس فهومه ، ورزقنا حَظّاً من أنفاسه الطاهرة ، وإمْدادِه الوافرة ؛ وفيوضاته العاطرة ودعواته المتوافرة ، هذا والسلام والتحية والإكرام ، وأوصيكم بالدعاء على ممرّ الليالي والأيام .

أبيات أدرة العرادي في تصديق هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه توفيق ما أقول وهو السميع العليم .

الحمد لله على الإنعام   أزكى الصلاة أفضل السلام
على محمد خير الأنام   وآله وصحبه الكرام
إذا نظرت هذه الرسالة   وجدتها من الكنوز الفاخرة
وأنّها من العلوم الباهرة   للمفسدين في السلوك زاجرة
عن محدثات هذا العصر رادعة   وعن محرّفات قوم مانعة
قَدْ اَظْهَرتْ تمييز شيخ كامل   عمّن تشيّخوا بدَعْوى باطل
لله دَرُّ الحسن المُحْيِ لَنَا   مُنْدَرِسات علمهم في وقتنا
أهدى الورى لأوضح الطريق   أبدى لهم مَرَاتبَ الفريق
وفّقْ له اللهم للإفادة   لمن أراد الفوز بالسعادة
بحَمْلِهِمْ لِأصْلَح المصالح   وهَدْيهم بأبلغ النصائح
لكنّما الجهّال في غرورهم   أيضاً وأهل العلم في قُصُورهمْ
لا يحفظون حرمة الشريعة   ولن يبالوا فتنة الطريقة

كم بـدْعة فيهـا لا يَعْبَؤون   وخِـدْعةٍ بـهـا هُـمْ يرتضون
بـل كـلّ مُـنْكَرٍ بلا اعتبار   ولا نـصيحـة ولا إنـكار
لأجله المعروف أضحى بـاطلاً   وصـار وجـه الحق أيضاً عاطلاً
لـولم يسامحـوا فيما ذكـرته   ولـم يـداهِـنُوا لمن أشرْتُهُ
مـا كان اَهْـلُ وَقْتِنَا في فِتْنَةٍ   والكـلّ كـانَ سَالِماً عن محنة
لمثلهم هـذا مـن الفضيحة   ويـنـبغى لـهم بَذْلُ النصيحة
لله والـكتـاب والأئـمة   ولـلرسـول ثـالـثاً والأمّـة
مـن كـان مـنكم مخلصاً للهِ   وعـامـلاً بـالـعلم غير لاه
كُنْ عن جميع المنكـرات ناه   عـلى عـباد الله غـيـر باه
وبـالـمعروف آمـراً لـلناس   وعـن مَسـاويهم فكن كالناسي
مـن بـعد أخـذه لأجل الدين   بـالأحْـوط الأتـمّ والمتين
هـذا الـذى ذكـرته نصيحتي   كـذا لـكلّ سـامع وَصِيَّتي
تـذكـرة لتذكـرون حَسْرَتي   عـلى إهبات أهل الدين إخوتي
وحـاجتي الـى دعـاء صالـح   بـلا تـكـاسُـلٍ ولا تسامح
وفّـق لـنا اللـهمّ لـلإنابة   ولـجميع الخيـر والإصـابة
مـع كـلّ مَـنْ بدَعْوَةٍ أوْصَاني   أيـضاً وَمَنْ فـيهـا فلا يَنْسَاني
وإنّـنى أدُورَة الـعـرادي   فـارْحَمْه ربّـى أنت اعتمادي

هذه النصائح بالنظر إلى أبعاض رجلة العلماء ، وجهلة الفقراء ، لِما رَأيْتُ فيهم من الحقد والحسد والإنكار الخفيّ ، والكراهة الجليّ ، والجهل الوفي ، لا يَرْقبُونَ في مُؤْمِنٍ إلاّ ولا ذمّةً ، ولا يريدون لغيْرهم

فضلاً ولا حرمة ، ومع ذلك لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، ولا يبذلون وسعهم في إعانة مظهر الصواب ، ومبيّن القشر من اللباب . (منه رحمه الله تعالى) .

وأنا العبد الساعي في هلاك نفسه الملهى بشُغْلِ يومه عن جزآء غَدِه وذنوب أمْسِهِ أُدُرَةْ بن حَنَفِ العرادي الهِدليّ النقشبندي عليهما رحمة الإله الهادي .

بهاء المرء علم فاغتنمْهُ ... وما في العلم فاعمل وانتشرْه

ورأس المال إخلاص فَقِفْهُ ... وعن خلق ذميم فَاجْتَنِبْهُ

ودع شيئاً يُرِيبُكْ فرّ منه ... إلى ما لا يريبُكْ فاتّخذه

فقل حَقّا يقيناً وامتثلْه ... ودع قولاً ضعيفاً لا تُشِعْه

ونفسُكْ عن هواها فَامْتَنِعْهُ ... فمن ينطق به جَهْلاً يُهِنْهُ

وبالمعروف فَأمُرْ وَاتَّبِعْهُ ... وَعَنْ أَمْرٍ كَرِيهٍ فانْهَ عَنْهُ

وهذا ما أمَرْتُكْ فأتَمِرْه ... كَفَاكْ بما وَعظْتُكْ فاتّعظْهُ

وهذا أدرَةٌ فَلْتَسْتَمِعْهُ ... ويوصي بالدُعآ فلا تدعْه

وقل فَارْحَمْ واغفر وامتثلْه ... تمّ الكلام بعون العلام .

تقريظ الفقير غازي محمد علي ولد أميرْخان العوري وأوصيكم بالدعاء لى ولوالديّ :

بسم الله الرحمن الرحيم هو الهادى إلى الصراط المستقيم هذا الكتاب تنبيه السالكين إلى غرور المتشيّخين قد جاء بحمد الله سبحانه وتعالى سبكاً عجيباً وصار بمنّه تعالى سفراً مطرباً فلذلك أزال الزيغ عن أفئدة المنكرين سوى مَنْ هو رئيس الحاسدين فللّه تعالى درّ مؤلفه ما

أحسن تصنيعه فقلت في حقه بالشوق الظاهر من البحر الوافر :

يجـــاز الله قـــوماً منكرينــــا لـــهذا الكنـــز بـــالنار الحريق

واصْبَحْ دَعْــوَى كــلّ الحاسِدينا كـــأصـــوات الـــبَهائـــمْ والنعيق

لـــما اســتنشق الحبر الحقـيّ مِــــيـــاهـــاً عَذْبُها مـثل الرحيق

مــشائِخُهْ جبــــال رَاسِـيَاتٌ لإهــــداء الخـــلائـــق للــطريق

كـــأنّ كــتابَه بَـحْـرٌ مُحيطٌ بـــعيد قَــــعْرُه لــــــلمُسْتفيــق

فَــوَائِـــدُهْ نُــصُوصٌ وافراتٌ فَــرَائِـــدُهْ جَـــوَاهِرْ لـــــلوميق

كــتابَتُهْ هِـــدَايَةْ للـــعـــوام وَعَـــطْرٌ فـــاح كـالمسك العبيقِ

فـــيا لله مـــن فـرد عــلـــيّ حـــليم ســـالـــك حسن وثيق

فــــهـــذا للفقير أبــي حــامد عـــورِيٍّ عـــاطل طـــاش عَوِيقٍ .

تقريظ فقير الله تعالى شعيب الباكنيّ جعل الله تعالى يومه خيراً منْ أمْسِهِ :

وأنا الفقير شعيب الباكني قد تأمّلت الكتاب من أوّله إلى آخره بالإجْمال ، فما وجدت فيها ما ينكدر به الصدور ويحصل به الغرور ، فلله درّ مؤلّفه وله تعالى زين مصنّفه ، فجزاه الله تعالى خيرالجزاء وجعل سعيه مشكوراً يوْم القضاء ، جَعَل الله قلوب عباده تابعاً للحقّ وقابلين للوعظ من الخلق اللهمّ أرنا الحقّ حقاً وارزقنا إتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العزيز الحكيم . انتهى في ١٨ من شهر شعبان المعظّم سنة ١٣٢٧ .

تقريظ العالم المتبحر حاجيو الخركي رحمه الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله تعالى على

النبي محمد وآله أجمعين ، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً ﷺ عبده ورَسُولُه أرْسَلَه إلى كافة المخلوقات ، أمّا بعد فقد قال الله تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ وأنا أشهد بما شهد الله به ، وأشْهِدُ الله على ذلك ، وأستودع الله هذه الشهادة ، وهي لي عند الله وَديعة ، وأنا أشهَدُ بأنّ جميع ما نقله هذا الشيخ الفاضل العالم حسن بن الحاج محمّد القحي الهِدَلي أنّه من خالصِ النية بلا ارتياب ، وأنّ جميع ذلكم مما خرج من مشكاة النبوّة بالنور المبين ، كما أنّ أوليآء الله تعالى لا يتفوّهُونَ ولا يتنفسون إلاّ بما شربوه من هذا البحر المحمديّ العذب المشرب ، ومصداق هذه الشهادة أنّه ما تكلم في هذا الكتاب إلاّ بالنقل الصريح ، والقول الصحيح ، آخذاً ممّن تَقَدَّمه من أرباب الشَريعة وأصحاب النبوة ، فاتخذُوه نصب أعينكم أيّها الإخوان ، واجْعَلُوه ديوانكم تفرحوا يوم الهَوَان ، فمن آمن بما فيه نجا ، ومن أنكره فإلى الخلاص من سطوة الله ما ارْتجى ، ولَمَّا كثرت البدع واتخذها أهل الأهْوآء سنّة متبعة ، وسنّة رَسُولِ الله أساطير مبتذلة ، وتشيّخت الجهلاء ، وصَمَتَ عن مقاومتهم العلمآء ، وعمّت هذه المصيبة في هذه الأقطار ، وعميت عن رؤية الحق منهم البَصائر والأبْصار ، ألْهَمَ الله تعالى بفضله وكرمه إجراءً لما ثبت في قديم عِلْمِه هذا الشيخ الفاضل تأليف هذا الكتاب إدحاضاً لشبه المبطلين ، وإرغاماً لأنوف المتعصّبين والمتعَسفين ، والحمد لله على ذلكم في كلّ حال وفي كل حين ، سبحان مَنْ لا يجري في ملكه إلاّ ما يشآء .

هذا بعض ما أشار إليه سيد الإنسِ والجان ومن غيب علمه عند نطقه بقوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق » . الحديث ؛ والسلام من الكاتب الفقير خادم العلوم ، تراب الأقدام حجيو

الخركي ، فمن ظنّ أنّ في كلامي غلوّاً فليأتني يبسط له سود الكتاب الصحيحة . انتهى من خطِّه .

بسم الله الرحمن الرحيم ، هو الهادي إلى السبيل المستقيم ، أحمدك اللهمّ يا مجيب كلّ سائل ، وأصلّي وأسلّم على من هو لنا إليْك أشرف الوسآئل ، محمد وآله وصحبه ذوي الفضائل ، وأسألك الرضى عن العلماء العاملين العارفين القائمين بخدمة الشريعة والطريقة ، فلا أحد لهم في ذلك مماثل .

أمّا بعد ؛ فهذا كتاب « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيّخين » لشيخنا ورُوح أجسادنا وحياة قلوبنا حسن حلمي النقشبنديّ الخالديّ الشاذليّ القادريّ ابن العالم المرحوم الحاج محمّد القحيّ رحمه الله تعالى ؛ وسِفْرٌ أشرقت شموس تحقيقه ، وأظهرت في سمآء الفهوم نجوم تدقيقه ، قد أخذت البلاغة فيه زخرفها ، وأشرف الروض من صحيفته أحرفها ، قد انفرد مؤلفه في هذا الزمان بالرتبة الّتي لا يدّعيها زيد ولا عمْر ، ولا يتطاول لمثلها أحد إلاّ أعجزه الدَهْر ، وكيف لا وهو سلامة مجْد انتظمت في عقد فخاره أفاضل العلمآء ، وثمرة شجرة أصلها ثابت وفرعها في السمآء ، فلا غَرّ وأن أوتيَ ملك البيان الذي لا ينبغي لأحد من بَعْده ، واجتمع له طاعة القلب واللسان وهما خادمان لشكره وحمده ، فخطيب الأقلام بحمده على منابر الأنامل ، وفصيح اللسان يقوم بحمْده في صدور المحافل ، قد أحسن كل الإحسان في ابتداع هذا التصنيف ، وأجاد في اختراع هذا الترصيف ، الذي يفتخر به العالمون ، ولمثل هذا فليعمل العاملون ، فيه من دقائق علوم الطريقة شواردها ، ومن لطائف فهُوم الحقيقة قلائدها ، وحوى من المسائل وقواعد الطريقة ما لم يحوه كتاب ، وفتح للطالب إلى أقصى المطالب

كلَّ باب ، وتناسق فيه جزيل المعاني مع لطيف الألفاظ تناسق العقد المنظوم ، حتى صار عمدة ودستُوراً ينسج على منواله أرباب المنثور والمنظوم ، وسار شُهْرَتُهُ مسير الشمس في الآفاق ، وترنمت بالثنآء عليه ألسنة الفضلاء ، كأنّها الحمائم وهو في أجْيادها الأطواق ، وأيّد قول مَنْ قال : لكل علم رجال ، ولكلّ ميدان أبطال . قول القائل الماهر : كم ترك الأوّل للآخر ، وهذا هو القول الذي عليه التعويل ، ومن ذهب إلى غيره لم يهتد إلى سوآء السبيل ، فإنّ فضائل الله ليست محصورة في قوم ، ولا مختصّة بيوم دون يوم ، وما زالت أفكار العلماء العارفين تستخرج درر العلوم ، ويحقق المتأخّر منهم ما لم تحم حوم تحقيقه من المتقدّم الفهوم ، فللّه درّ شيخنا المذكور ، وبالجنّة دَره حيث أبدى لنا أقوالاً جامعة لنصوص العلماء العاملين ، ونصوص الأولياء العارفين ، قدّس الله تعالى أرواحهم الزكية ، ونوّر الله تعالى أضرحتهم المباركة ، وأعاد علينا منْ بركات أنفاسهم وفيوضهم دائماً ، والحمد لله رب العالمين آمين . فبناء على هذا قلت في حقّه قدّس سرّه وإن لم ألحق بواصفيه .

أنتَ في العِلْمِ والمعالي فريد ... وبعقد الفخار أنت الوحيد

لك عِزٌّ قد أشرقَتْ بعُلاه ... شمس فضْلٍ بِها الضِياء يزيد

وعُلُوم أبْدَعْتَها بفهُوم ... بحلاها تتوَج المستفيد

غصْتَ فيها على فرائد درّ ... في نُحورِ الحِسان هُنَّ عقود

سائراتٍ كالشَمْسِ في كل قَطر ... مشرقات والجهل منها يبيد

مَنْ يُضاهي هَذا المقام المعلّى ... إنّ هذا عن غيره لبعيد

من الكاتب الحقير ، ترابُ أقدام الأنام الحاج محمد بن جبرائيل الكراطي الأشنخي رحم الله تعالى إفلاسهما ، اللهم لا تحرمنا من

بركات مشائخنا وفيوضاتهم آمين يا مجيب السائلين ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وأوفر التحيات والإكرام آمين . في ١٦ من صفر وفي ١٢ من سنتابر وفي ٢ من برج ميزان سنة ١٣٤٢ هجرية .

هو الهادي إلى سبيل الرشاد . حمداً لك يا من أطلعت شموس الهداية في قلوب العارفين ، وهديت من اصطفيته من صفوة عبادك إلى طريق السالكين ، تظهر حدوداً لا يتعداها إلاّ الظالمون ، وتبين أحكاماً لا يصدّ عنها إلاّ المرتابون ، إنّي أنا الحقير الفقير إلى ألطاف ربه القدير وإلى مننه الظاهرة والباطنة الراجي ، حجيو بن يونس الحسيني البقاجي ، لمّا رأيت ما ألفه أخونا التقي النقي حسن القحي فخر العلماء العاملين مرجع الفضلاء الشامخين ، مربي المريدين ومرشد السالكين ، منبع المحاسن السنية ، خليفة السيد المختار في الطريقة المجددية النقشبندية ، صحيحاً ومطابقاً لما ألفه السلف ، بل متزايداً ومتفاضلاً في عموم فوائده ونضارة عوائده ، عما صنفه الخلق مع رقة عباراته وحلاوة مفهوماته ، محتوياً على قواعد من ذكر المتين ، ومشتملاً على زجر المنكرين ، وإفحام المعاندين ، الذين لا هداية لهم في الدين ، صادقاً ظواهره في الظواهر وبواطنه في البواطن ، فهو عالم فيما يعلم ، وفَّقه الله تعالى فيما لا يعلم ، وهو حسبنا ونعم المعين ؛ قرضت هذه الأبيات في حقه موازنة لأوزان بحر الكامل ، وإن عدمت لمثل ذلك فطانة هذا الجهول ، وقلت :

حـــمداً لـــمن أعلى مراتب ذاكر ... تـــزهـــو بها الجنان ذاتُ الأنهر

مـــتَطالعاً بلــطائف الـــمتوجِّـــه ... شـــمس الهداية من سَـما الأذكار

وبـــها اعْتـــرى للسَالكين تَنَبُّه ... مـــن قـــدوة المُتَشَيِّخ الغـــرّار

تـــشقى لمن أثنى وصال جمالها ... مـــن راحها الأحلى بلطف الباري

طـردت مقاسـاة القـلوب منهمو طــرأت عــليهــا بانكشاف البدر
فتزايدت فيها التفكُّر والصَـــفـاء ونـفت ريــوب القوم في الغبــار
وتفيض من بَحْرِ الفيوضِ حكمة وفــوائـــداً كـــسواطــع الأقمار
فبها تسلَّى ذو الهـموم البــاطنة ولــها مــؤانسة الـــفقير العاري
وبهـا انتشقَّ يــا كل مَن فزت بها مــن طــيب نفحــات لها كالعنبر
لــكنها مــستورةٌ أنـــوارُهــا عــمن تـــصدى منهــج الأبرار
حسن القحي ألقى المواهـب جـمّة مــن قــعر لــجَّة ســـادة الأخيار
وبمثلها لــم يـأت آت وكـم غا در الأول أبــهى السَنــا للآخر
أبدتْ لنــا المـــخفيّ تـحقيقاته ومــحت بــها الغياهِبَ عن أخطار
قـــل لمن في أعتابها بَذَل الجهد اللبومـــة الصَـــــدى فــي النَهار
ثمراته نزلت بنا في غسكه ١٣٣٥ يـــوم الخـــميس مـــن ربيع الآخر
وبـــمدحها أيـن التناهي ونظمـي مـــتقاصـــر عـن حصر تلك الثمار
وقع الوفى من سطر ما ســالت به قــلم الـــجهول متزاحـــم الأوطار

أعني به مرشد الزمان وغوث الأقطار وقطب الأبرار الحاج عبد الرحمن العسوي ، الذي دفن في جنب أم بني آدم .

الموضوع	الصفحة

الفهرس

ترجمة المؤلف ٥
المقدمة في بيان أصناف المغرورين من المتشيخين ٤٦
في بيان جواز هتك أستار الكاذبين والتحذير منهم ٥٢
العمل على طريق البدعة مبعد عن الحق والجذبة ٥٣
المنع عن ذكر الجهر ٦٠
التعامل المعتبر ما جاء في الصدر الأول ٦١
المعتبر في إثبات الأحكام هو الكتاب والسنة ٦٢
أرباب الولاية مساوية لعامة المؤمنين في تقليد المجتهدين ٧٧
مبحث مهم في طريق النقشبندية ٦٧
جواز الإنكار على المخالفين والرد عليهم ٧١
تبويب الكتاب ٧٢

الباب الأول

في بيان عدم جواز التصدُّر للإرشاد لمن ليس له إذن ٧٧
من تصدّر بغير إذن فما يفسده أكثر مما يصلحه ٨٠
الذكر لا يفيد إلا بالتلقين ٨٣
من لم يصح له نسب القوم لا يجوز له التصدُّر لإرشاد الناس ٨٣
حاصل كلام أئمة الطرق في الولاية ٨٥
الفتح الظلماني والفتح النوراني ٨٦
من لم تتصل سلسلته إلى النبي ﷺ فهو مقطوع الفيض ٨٨
من بلغ مراقبة المعية يجوز للشيخ أن يأذن له ٩٠
من غيّر أصول الطريقة فهم خارجون ومبعدون ٩٣
فائدة يحرم على المأذون كتم ما عنده من الفوائد ٩٣
٢٠ الآداب ١٠٢

الباب الرابع

في بيان أن مقام الأخذ عن النبي ﷺ مقام عزيز ١٠٣
الرؤيا ليست بحجة ١٠٤
قراءة المولد ١٠٦

الباب الخامس

في بيان كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١١١
هل الأمر والنهي فرض كفاية أو فرض عين ؟ ١١٢
من مكائد الشيطان ١١٤
والوعظ قبل الأوان معصية ١١٥
علامات الواعظ المخلص ١١٩

الموضوع	الصفحة
الباب السادس	
في بيان بطلان دعوى من يزعم أن تلقين الذكر للعوام حرام	١١٩
تلقين الذكر لأهل المناصب أمر حسن	١٢٠
أعظم أسباب الندم على المعاصي المداومة على ذكر (لا إله إلا الله)	١٢٥
خفض الجناح للأصحاب	١٢٥
مطلب خصية تمكّن الذكر في القلب . الذكر أشرف العبادات	١٣٠
ومن لا شيخ له يقع في العجب	١٣٢
جواب سؤال لبعض العلماء المنكرين	١٣٢
لا إله إلا الله من أحسن الحسنات	١٣٣
العاصي أحوج إلى تكثير الخيرات	١٣٧
وصل في بيان رفق المشائخ لضعفاء المريدين	١٣٨
العارف يضحك في وجه الفاسق ليألّفه	١٣٩
لا يترك العبادة لأجل الرياء	١٤٠
مطلب الرياء قنطرة الإخلاص	١٤٠
النظر إلى العصاة بعين الرحمة	١٤١
فائدة من شرط الداعي إلى طريق الله معرفة استمالة المدعوين	١٤٣
المعصية مع الذل خير من الطاعة مع العز	١٤٣
مطلب خليع بني إسرائيل	١٤٦
الباب السابع	
في ردِّ دعوى من يقول لا يجوز للشيخ النقشبندي تلقين الذكر إلا لمن له نفس مطمئنة	١٤٧
معنى الذكر والمقصود منه	١٤٨
مطلب مهم السالك ذو النفس المطمئنة يستعد لترية الطالبين	١٥١
الباب الثامن	
في بيان جواز تلقين الذكر للتبرك	١٥٤
مطلب طريق الأخذ والانتساب	١٥٦
الباب التاسع	
في بيان فوائد الانتساب ولو للتبرّك	١٥٨
ما يوجب الاغتباط بهذا العلم	١٦٠
كلمتان تحت العرش	١٦٢
مطلب مهم في محبة القوم	١٦٢
مهمة في فضل الزيارة	١٦٣
الباب العاشر	
في بيان كيفية تلقين الأذكار عند القادريين	١٦٥

الموضوع	الصفحة
ذكر الذات على أربعة أنواع	١٦٦
الذكر بالنفي والإثبات	١٦٧
الذكر الخفي على نوعين	١٦٨
مطلب مهم علامة الإخلاص في التلقين والإرشاد	١٧٠
الباب الحادي عشر	
في بيان جواز انقطاع المريد من شيخ ودخوله في عهد شيخ آخر	١٧١
مطلب في جواز أخذ الطريقة من شيخ آخر	١٧٣
مطلب مهم المقيم في محل مقيم في كل محل	١٧٥
واقعة عجيبة	١٧٨
واقعة أخرى	١٧٨
الباب الثاني عشر	
في بيان أن الطريقة النقشبندية سالمة من البدع	١٨٠
مطلب أول قدم يضعونه في الذكر القلب	١٨١
مطلب طريقة النقشبندية هي طريقة الصحابة وهي أم الطرق	١٨١
فائدة مهمة	١٨٤
فائدة جليلة للنقشبنديين	١٨٤
وصل في بيان خصائص النقشبندية	١٨٥
مطلب مهم ومن خواص هذا الطريق	١٨٩
من محاسن هذه الطريقة	١٩١
المرشد في الطريق هو الموصل إلى الله	١٩١
مطلب مهم في التكسب الحلال	١٩٢
ومن محاسن هذه الطريقة	١٩٦
من غلب خيره على شره فهو الكامل	٢٠٣
مطلب مهم في عدم الكفر بارتكاب الذنوب	٢٠٧
الجمادات تذكر الله	٢٠٨
ما وقع بين الإمام الرباني والسيلكوتي	٢٠٨
لا وجد مع الوجدان	٢١٤
من أعظم محاسن الطريقة	٢١٤
من خواص الطريقة	٢١٥
الباب الثالث عشر	
في بيان أفضلية الذكر الخفي على الجهري	٢١٧
مطلب من الأعمال مالا اطلاع عليه للحفظة	٢١٨
رشحة معنى قولهم « إن الله ينظر إلى قلب المؤمن ...إلخ »	٢٢٢
مطلب سلطان الأسماء ، الاسم الأعظم	٢٢٢
مطلب مهم أفضل العبادات	

الموضوع	الصفحة

المواظبة على الذكر الخفي ٢٢٣
مطلب الإسرار في الذكر
عزيمة ٢٢٥
مطلب أنواع الذكر ثلاثة ٢٢٧

الباب الرابع عشر

في بيان فضيلة لفظ الجلالة وخواصه ، والاختلافات في الذكر القلبي ... ٢٢٩
لفظ الجلالة هوالاسم الأعظم وهو الجامع للحقائق كلها ٢٣٣
الذكر على نوعين ، والذكر الكامل ٢٣٨
مطلب الذكر القلبي واللساني ... ٢٣٩
الذكر على حسب حال السالك قسمان ٢٤٢
مطلب قشور الذكر ولبُّه ٢٤٣
إذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة ٢٤٧
مهم المستغرق لا يلتفت لا إلى الجنة ولا إلى النار ٢٤٧
فائدة في ذكر الله ٢٤٨
الذكر مع عدم الحضور قليل الجدوى ، والحضور ٢٤٨
ثمرة العبادات العملية ٢٤٩
القلب لا ينام ولا يموت ٢٥١
مهم الأنبياء والأولياء يصلون في قبورهم ٢٥٢

الموضوع	الصفحة

مهمات عجيبات ٢٥٣
لو يعلم المنكرون ما عليه النقشبنديون لضاربوهم عليه بالسيوف ٢٥٦
المتكبِّر لا يصلح أن يكون داعياً إلى الله ٢٥٨
كلام وقع بين المؤلف وبين من يدعي أن شيخه النبي عليه السلام ٢٥٩
مطلب للبهلوان ٢٦١
خروج النيسابوري من المسجد من بين المتعبدين خوفاً من نزول البلاء ... ٢٦٢
حضرة الحق محرَّمة على من فيه شيء من الكبر ٢٦٣
شرط العمل الصالح ٢٦٣
مهم الطاعة تنقلب معصية بفساد النية ٢٦٣
مطلب مهم كمال المرشد وقوعه في البداية ٢٦٥
مطلب للمعاصي حكم الزبل ... ٢٦٥
حكاية مهمة ٢٦٦
الأنانية تمنع من الترقي إلى المقامات ٢٦٨
من مكتوب لأمير سيف الله الغازي الغموقي ٢٧٠

الباب الخامس عشر

في بيان عدم جواز الإرشاد إلا للشيخ

الموضوع الصفحة

السابق ٢٧٢
لا يصلح تعدد المشائخ في بلدة كما لا يصلح عدد أمرائها ٢٧٥
التبعية للمقدَّم في التلقين ٢٧٦
حكاية الشيخ سليمان في امتحان السيد الشيخ عبد الله ٢٧٧
أسئلة مهمات وأجوبة مرضيات .. ٢٧٨
الكلام عن الأربعين واستحقاق الخلافة بأربعين واحد غير مسموع ٢٨١
الباب السادس عشر
في بيان أن أخذ الطريقة من المتشيخ يضرُّ الآخذ والمأخوذ منه ٢٨٥
مهم أسماؤه تعالى التي تقرأ في الأوراد إن أخذت عن شيخ عارف لا تضر بخلاف المتشيخ ٢٨٦
الشيخ المحجوب يلقِّن الذكر مجرَّداً عن النور ٢٨٧
الباب السابع عشر
في بيان جواز الذكر بلا انتساب إلى شيخ مرشد وبيان أن شرط الذكر النافع أخذه من أهله ٢٨٩
إذا لم يأخذ الإنسان الذكر من شيخ لا يستحضره عند الموت ٢٩٠
مطلب مهم الذكر المأخوذ من الشيخ أفضل من الصلاة على النبي ﷺ ومن سائر النوافل ٢٩٢

الموضوع الصفحة

الباب الثامن عشر
في ذكر المواعيد الواردة من السلف لمن جلس في مقام المشيخة بالدعوى . ٢٩٣
مهم المشائخ المدَّعون هم الأصنام المعنوية ٢٩٤
السالكون أربعة أقسام ٢٩٥
الإجازة لا تثبة بالواقعة ، وهل يجوز الأخذ عن الشيخ الميت ؟ ٢٩٧
لا يقبل القول بالأخذ في المنام أو الإلهام ٢٩٩
مهم من شرط من يجتمع بالخضر أن لا يدَّخر قوت غد ٣٠٠
الباب التاسع عشر
في بيان سبب اعتقاد الناس في المتشيخ الناقص وعدم اعتقادهم في الشيخ الكامل ٣٠١
مهم الولي الكامل يتلون على قلوب القاصدين ٣٠٣
مطلب مهم إذا أراد الله شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بالولي سخّرهم الحق فيما هم فيه من قبح ومخالفة ٣٠٣
إن ظنوا بشيخهم أنه يحميهم من إبليس حماهم ٣٠٤
قصة مهمة بين الغوث الكيلاني وامرأة طلبت منه الدعاء بولد ٣٠٥
فإن الأمور تجري بها المقادير الإلهية بحسب قوة الاعتقاد ٣٠٦

الموضوع	الصفحة
فائدة في اعتقاد أفضلية الشيخ وحدودها	٣٠٧
عمل الكامل قلبي لا يطَّلع عليه إلا الله	٣٠٨
معرفة مقام الولي أصعب من الممكن من معرفة الله تعالى	٣٠٩
طريق الترقي مسدود في الملائكة	٣١١
الباب العشرون	
في بيان غرور الشيطان في إظهار التواجد	٣١٢
مطلب مهم وجهة القلوب إلى الله هي صلاتها	٣١٣
فائدة مهمة في الرقص والسماع	٣١٥
أقوال الفقهاء في الرقص والسماع	٣١٦
وجد المبتدىء معلول ومضرّ	٣٢٧
مطلب شروط السماع مفقودة في أبناء الزمان	٣٢٨
مطلب أرباب التجليات الذاتية لا يحتاجون إلى الوجد والسماع	٣٢٨
أقسام الرقص	٣٣٢
الباب الحادي والعشرون	
في بيان قاعدة الذكر وكيفية أخذ الذكر	٣٣٣
مطالب مهمة للمرشد	٣٣٥
فائدة مهمة في تصرفات المشائخ	٣٣٦
مطالب مهمات لا بد للمرشد من الوقوف عليها	٣٣٧
الباب الثاني والعشرون	
في بيان أن الكرامة والكشف ليسا بشرط للولي	٣٣٩
قد تقع الكرامة لمحب ولا تقع لعارف	٣٤٠
مطلب مهم وهم عنه غافلون	٣٤٠
حكاية الغوث الكيلاني مع إبليس	٣٤٣
من دسائس إبليس	٣٤٤
أول ما يفتح على العبد يرى معاصي العباد	٣٤٥
فائدة لا يشترط في الشيخ أن يطّلع على معاصي المريد	٣٤٥
الفتح اثنان ظلماني ونوراني	٣٤٦
أفضل الكرامة الاستقامة	٣٤٨
مثال من وقف عند ما ظهر له من الكرامات	٣٤٩
قول الخواجه عبد الله الأنصاري الفراسة على نوعين	٣٥٢
لو كانوا ممن يتعرَّضون لأحوال الخلق ما صلحوا للحق	٣٥٣
الإحياء الجسدي بالنسبة إلى الإحياء القلبي والروحي	٣٥٤
الباب الثالث والعشرون	
في رد دعوى من يقول لا يجوز اتخاذ الشيخ وأخذ الطريقة منه	٣٥٦
تعلم علم الباطن فرض عين	٣٥٧

الموضوع الصفحة

الجواب عن سؤال : كيف الاحتياج إلى شيخ بوجود القرآن وعلم الشريعة . . ٣٦٠
أقرب الطرق إلى الله عندنا نفي الوجود ٣٦١
جلسة خير من ألف حجّة ٣٦١
الدليل على وجوب رياضة النفس . . ٣٦٢
أول عمر الإنسان ٣٦٣
من وصايا الشعراني ٣٦٤
الغزالي والعز بن عبد السلام طلبا الشيخ ٣٦٥
ما وقع للإمام الغزالي ٣٦٦
القول بأن الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة كفر ٣٦٧
ذوق معنى (أنا الحق ، سبحاني) . ٣٦٩
من كتب أهل التحقيق ٣٧١
المقصود من السلوك ، المرض القلبي ٣٧٢
عقل المعاش وعقل المعاد ٣٧٣
المريض ما دام مريضاً لا ينفعه غذاء أصلاً ٣٧٥
مهم إزالة العلل الباطنية منوطة بتوجه الأكابر ٣٧٥
الفناء هو أول قدم يوضع في الطريقة ٣٧٦
تعليم الطريقة إنما هو لتكميل الشريعة ٣٧٦

الموضوع الصفحة

الباب الرابع والعشرون
في وجوب ملازمة المريد ما أمر به شيخه من الذكر ٣٧٧
الكون مع الله أفضل من الكل ٣٧٨
الذكر هو العمدة في جميع الطرق ٣٨٠
فائدة بين الخروج من الخلاء وبين إتمام أربع ركعات ألف وستمائة سُنّة . . . ٣٨١
اعتراض الولي بترك سنة أو فعل مباح من فرط الجهالة ٣٨٥
ارتكاب المبتدىء الأفضل بترك المفضول لا يكون مذموماً ٣٨٦
أخذ الذكر من العارف يكون معه نوره من غير العارف لا ٣٨٨
مهم ليس شيء ينفع لنفي الإعجاب والرياء أكثر من الذكر الكثير ٣٨٨
مهم ترك المعصية بنية الترك أفضل من الطاعة المشوبة بالهوى ٣٨٩
في تأويل قوله تعالى ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ ٣٩١
فائدة ٣٩٣
فائدة أخرى في بيان ما وقع من البلايا لمن اعترض شيخنا ٣٩٥
ينتقم الله لوليه بغير علمه ٣٩٦
ليس من شرط الولاية علم الولي بخوارقه ٣٩٧

الموضوع	الصفحة
فائدة أخرى في بيان ما وقع لمن خالف الشيخ العسوي ونقض عهده	٣٩٧
حكمة هلاك المريد إذا ترك الورد والرابطة	٣٩٨
يحترق الشيطان إذا قرب من الشيخ الفاني في الذات	٣٩٨
الباب الخامس والعشرون	
في بيان من يجوز أن يرابط به ومن لا	٤٠٠
رابطة من لم يفن عن وجوده لا تورث الفناء للسالك	٤٠١
صورة إجازة تامة وفيها : الشيخ خالد لم يأمر المريدين أن يرابطوا بصورته إلا بأمر شيخه	٤٠١
مات الشيخ خالد ولم يشهد لأحد من أصحابه بالكمال	٤٠٣
المقصود من الرابطة ، حكاية ما وقع في طرد عبد الوهَّاب السوسي	٤٠٤
الباب السادس والعشرون	
في بيان عدم جواز كون الجاهل شيخاً مرشداً وبيان أوصاف المرشد	٤٠٦
الشيخ الكامل هو الجامع جميع ما يحتاج إليه المريد	٤٠٨
غالب مشايخ الزمان يلقِّنون الذكر للتبرُّك	٤٠٨
للمرشد خمسة أركان وعشرون صفة	٤٠٩
يجوز للسالك الناقص المأذون التلقين والإرشاد	٤١١
لا يستحق الرجل أن يكون شيخاً حتى يأخذ حظاً من كل علم شرعي . . .	٤١١
كرامة الولي الاستقامة على الشريعة ، الكشف قسمان	٤١٣
مهارة الشيخ جبرائيل أفندي	٤١٣
المقصود من السلوك مشاهدة الحضور لا الصور	٤١٤
اختيار الطريقة النقشبندية أولى . . .	٤١٤
الباب السابع والعشرون	
في مسائل متفرّقة متعلقة بأحوال المتشيخة وفي بيان وجوب كون دعوة الشيخ خالصة من الأغراض والأعواض	٤١٥
مراد جميع المشائخ بتسليكهم الناس تكميل الغير	٤١٥
تكميل الغير فرع كمال الإنسان نفسه وهو درجة الولاية الخاصة	٤١٥
القيام على مقام الإرشاد مع عدم الأهلية ولا يكون إلا لأمرين	٤١٦
في ذم من طلب الدنيا بالدين	٤١٧
في جواز قبول الهدية وعدمه	٤١٩
الكامل ربما يشتغل بالكسب ، من لا حال له ولا مال لا ينفعه المقال . . .	٤٢١
من طلب الدنيا بالدين فتسميته باسم	

الموضوع	الصفحة
الشيطنة أولى	٤٢٣
العامل لأجل الجنة عامل لفرجه وبطنه	٤٢٥
الطريقة والشريعة توأمان	٤٢٨
مهم الله هو خالق الذات والأفعال	٤٣٦
مهم العباد الذين ليس للشيطان عليهم سلطان	٤٣٧
الرجال ثلاثة أصناف	٤٣٨
من أدب كل عبد أن يحب كل من يحبّه سيده	٤٣٩
المخلص يفرح بهداية الناس ، علامة المتشيخين	٤٤٠
مهم لا ينبغي إخراج أهل الدعوى في الاستسقاء	٤٤١
الصادق لا تأبى نفسه التتلمذ للكاذب ولو صورة	٤٤١
كما لا يصير الحنفي شافعياً إلا باتباع الشافعي كذلك لا يصير الشخص نقشبندياً إلا بدخول طريقتهم	٤٤٢
لا يمكن تزكية النفس إلا بتصفية اللطائف ، الشيخ عبارة عن الدليل إلى الله تعالى	٤٤٣
الباب الثامن والعشرون	
في ذكر الطرائق المجتمعة في الطريقة النقشبندية	٤٤٤
الطريقة الأولى صحبة الشيخ الكامل بشروطها	٤٤٤
علم التصوف يكتسب من المشائخ الكاملين لا من الكتب	٤٤٧
فائدة في معرفة الشيخ الكامل	٤٥٠
الطريقة الثانية : الرابطة	٤٥١
أقسام استحضار الرابطة	٤٥٣
كيفية الرابطة مع الأموات	٤٥٥
آداب الرابطة	٤٥٦
مهم ما دام المريد يشهد شيخه ملاحظاً له فهو محفوظ	٤٥٧
مهم كيف يرابط رجال كثيرون لشيخ ويكون بين أيديهم في تلك الحالة	٤٥٩
الطريقة الثالثة : الالتزام بما لقَّنه الشيخ من الأذكار	٤٦٠
نوعاً الذكر في الطريقة النقشبندية	٤٦٠
مهمة في تفضيل الذكر الخفي	٤٦٢
كيفية الاشتغال بالذكر	٤٦٦
العمدة في كل الأذكار هي الوقوف القلبي	٤٦٧
متى يقول : إلهي أنت مقصودي .. إلخ	٤٦٩
في بيان اللطائف	٤٦٩
مهم لكل لطيفة من لطائف عالم الأمر أصل فوق العرش	٤٧٠
مطلب أصل القلب ، مطلب أصل الروح	٤٧١

الموضوع	الصفحة
أصل : السر	.٤٧١
الخفي الأخفى	.٤٧٢
الوقوف القلبي لازم في جميع الأحوال	.٤٧٣
مهم : الذكر ينتقل بقوة الذكر . . .	.٤٧٣
فائدة ينبغي صرف الأوقات كلها إلى الذكر الإلهي	.٤٧٥
مهم جداً يتيسَّر الذكر في الطريقة النقشبندية في الابتداء	.٤٧٦
لا يحرك عضواً وقت الذكر بالقصد ، طريق الذكر بالنفي والإثبات	.٤٧٧
مطلب شروط ذكر النفي والإثبات	.٤٧٩
هذه الطريقة مستحسنة في الجملة	.٤٨١
صورة الذكر القلبي بـ (لا إله إلا الله)	.٤٨٣
كيفية ذكر اللسان بـ (لا إله إلا الله)	.٤٨٣
كيفيات أخرى	.٤٨٤
مطلب من ادعى في النقشبندية غيرما ذكرناه فهو مفتر كذاب	.٤٨٤
فائدة مهمة ما دام عبد الهوى يلاحظ في « لا إله إلا الله » ... لاحظ « لا موجود إلا الله »	.٤٨٥
فائدة في آداب الذكر	.٤٨٥
مهم قوله : ثانيها أن يزمَّ نفسه ونفسه ...إلخ	.٤٨٨
مهم جداً ثم من الآداب	.٤٩٠
الحاصل : الصوفي مرجعه في كل أحواله إلى الحق تعالى	.٤٩١
الغرض من الولي الدلالة على الله .	.٤٩١
مهم في عدم طلب ظهور الأحوال	.٤٩٢
مهم الحضور مع الله هو الغيبة عن جميع ما سواه	.٤٩٣
مهم غياب الحال عن صاحبه أكمل في المعرفة	.٤٩٤
مهم يعبَّر عن هذا الجهل بالمعرفة ويسمى إدراكاً	.٤٩٤
فائدة مهمة إذا ضنّ الإنسان بخمس سنين من عمره في طلب الحق ففي ماذا يصرف جميع عمره	.٤٩٧
مهم في بيان سر عدم حصول النسبة دفعة واحدة	.٤٩٨
فائدة أخرى	.٤٩٩
مهم طلب حصول اللذة في الذكر داخل في اللعب واللهو	٥٠٠
الطريقة الرابعة : التوجه والمراقبة ، وكيفياتها	.٥٠٠
مراقبة القلب والروح والسر وعلاماتها	.٥٠٢
مراقبة الخفي والأخفى وعلاماتهما	.٥٠٣
أقواس دائرة الولاية الكبرى	.٥٠٣
علامة تمام الولاية الكبرى	.٥٠٤
طرف الحقائق الإلهية ، طرف الحقائق	

الموضوع	الصفحة
الأنبيائية	٥٠٥
الدوائر والمراقبات الكائنة في هذه الطريقة المجددية	٥٠٧
الباب التاسع والعسرون	
في بيان أن ما يفعله النقشبنديون في طريقتهم موافقاً بالأدلة من الكتاب والسنة أو آثار السلف من أهل السنة والإجماع	٥١٤
شرائط النقشبندية ، آداب المنتسبين لها	٥١٥
الوقوف القلبي ، الوقوف الذكري . .	٥١٦
الطهارة الكاملة	٥١٧
استقبال القبلة التوجه في الجلوس في الحلقة إلى وجوه الناس أفضل ، الجلوس متورِّكاً	٥١٨
الاستغفار	٥١٨
قراءة الفاتحة والإخلاص	٥١٩
الأفضل لمن يتصدق نفلاً أن ينوي لجميع المؤمنين والمؤمنات	٥١٩
فائدة مهمة في عدم جواز أخذ الأجرة على القراءة والتهليل وغيرها من العبادات	٥٢٠
مهم قول ابن حجر : محل الخلاف حيث قصد الدنيا لنموِّ ماله فقط	٥٢١
ردُّ الإمام البركوي من الحنفية على أقوال الشافعية	٥٢٣
قول العارفين في هذه المسألة . . .	٥٢٤
مهم جداً قول الشيخ ذي الجناحين العسوي في مال القراءة والوصية بها	٥٢٥
مهم الذي يليق بنا أن نفعله	٥٢٦
ثواب الصدقة	٥٢٧
الاستمداد من أرواح الموتى	٥٢٧
تغميض العينين	٥٢٨
رابطة الموت	٥٢٨
مهم طريق الفكر في الموت . . .	٥٢٩
العارف الكامل المستهتر بذكر الله مستغن عن ذكر الموت	٥٣٠
رابطة المرشد	٥٣١
من قال بها من الأئمة الحنفية . . .	٥٣٣
من قال بها من الأئمة الشافعية . .	٥٣٥
الشيطان لا يقدر أن يتمثل بالنبي ﷺ ولا بالولي الكامل	٥٣٦
من الأئمة المالكية والحنابلة	٥٣٦
فوائد الرابطة	٥٣٧
مهم دليل الرابطة	٥٣٩
مهم رابطة الحضور	٥٤٠
الوقوف القلبي ، صورة أخرى من الوقوف القلبي	٥٤١
الوقوف القلبي على معنيين	٥٤٢
مهم يقال للحضور مع المذكور شهود ووصول وقوف قلبي ووجود	٥٤٢
خلاصة الذكر والمقصود الوقوف القلب	٥٤٣

الموضوع	الصفحة
الوقوف الذكري ، الوقوف العددي	٥٤٣
قوله إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلولي ، انتظار الواردات	٥٤٤
معنى الإنابة ، الانتساب إلى المشائخ	٥٤٥
من لا سند له فهو لقيط ، لو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء ، للوسائل حكم المقاصد	٥٤٦
تعلم الذكر من المشائخ ، الأخوَّة ، البيعة	٥٤٦
فائدة من الأمور التي غفل عنها أهل الغلظة من المتشيخين عدم إطاعتهم سلاطينهم وأمراءهم	٥٤٧
المصافحة عند البيعة	٥٤٨
مبايعة النساء	٥٤٩
تعليم الذكر للعوام	٥٥١
الذكر قسمان : ذكر تلقين ، ذكر تعليم	٥٥١
التوجُّه	٥٥٢
توجه جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ	٥٥٤
مهم تخصيص العدد في الذكر والختمات	٥٥٩
غلق الأبواب والكوات عند الختم	٥٦٠
سبب وقوع الفتور لأبي يزيد وغيره	٥٦١
تغميض العينين عند الذكر	٥٦١
والختم والجهر بالصلاة على النبي ﷺ	٥٦٢
بيان قراءة الختم ، عادات السادات سادات العادات	٥٦٢
شروط قراءة الختم	٥٦٣
طريقتنا طريقة العبودية والسكينة ، قراءة الفاتحة سبعاً	٥٦٥
الصلاة على النبي ﷺ مئة مرة	٥٦٥
الإنشراح تسعاً وسبعين	٥٦٥
الإخلاص ألفاً وواحد	٥٦٦
السر في ضبط الأعداد في قراءة الأعداد	٥٦٦
مهم إرادة النفع الدنيوي بالعمل من الخالق ليس برياء	٥٦٧
الران	٥٦٩
مهم في الاستغفار	٥٦٩
القلب كالجمر لا يتأثر إلا بشدة ضرب لفظة الجلالة عليه	٥٧٢
الأذكار والعبادات بلا حضور كصورة بلا روح	٥٧٢
من فضائل الصلاة على النبي ﷺ	٥٧٢
من فوائد الصلاة على النبي ﷺ	٥٧٣
حكاية عجيبة ، حكاية أخرى	٥٧٦
فائدة مهمة تقديم الصلاة على النبي ﷺ بين يدي الحاجة كالهدية	٥٧٨
مهم سؤال الله تعالى الحاجة بمحمد ﷺ	

الموضوع	الصفحة
وبالأولياء	٥٧٨
فائدة أخرى في الاكتفاء بالصلاة على النبي ﷺ	٥٨٠
فائدة أخرى ما كان يقوله شيخنا في تلقين التوبة	٥٨١
مهم مذهب عبد الرحمن بن عوف في الوكالة بالتزويج والبيع	٥٨١
أبيات تتضمن شرح أحوال المؤلف	٥٨٣
قطعة قصيدة نبوية	٥٨٤
سلسلة المشائخ الكرام	٥٨٥
تذنيب	٥٨٨
الآداب خارج الذكر	٥٨٨
الشرائط التي لا بدَّ منها للمريد ستة عشر	٥٨٩
الاعتراض أقبح من كل قبيح	٥٩٠
التعظيم في الطريقة من معظمات حقوقهم والإهمال عين التقصير والخسران	٥٩٢
الأداب المعينة المتفق عليها في الصحبة مع الشيخ عشرة	٥٩٢
آداب المريد مع إخوانه	٥٩٣
آداب زيارة الأنبياء عليهم السلام والأولياء	٥٩٦
آداب الحضور مع المرشد	٥٩٧
تفريد الشيخ ومعناه	٥٩٨
ومن الآداب أن لا يأكل المريد مع الشيخه	٥٩٩
آداب الخلوة والسلوك	٦٠٠
لا يمكن الوصول إلى معرفة الأصول والسعادة إلا بالخلوة	٦٠١
للخلوة خمسة وعشرون شرطاً	٦٠١
مهم المراد من ربط المريد قلبه بشيخه	٦٠٥
الخاتمة وتاريخ التأليف	٦٠٧
تقريظات للمؤلف والكتاب	٦٠٨
تقريظ السيد الأمير سيف الله الحسيني الغازي الغموقي	٦٠٨
تقريظ الحاج سليمان الحبشي ،	
تقريظ العالم العارف أدرة العرادي الهدلي	٦٠٩
تقريظ الفقير غازي محمد علي	٦١٣
تقريظ فقير الله تعالى شعيب الباكني	٦١٤
تقريظ خادم العلوم حجيو الخركي	٦١٤
الفهرس	٦٢١